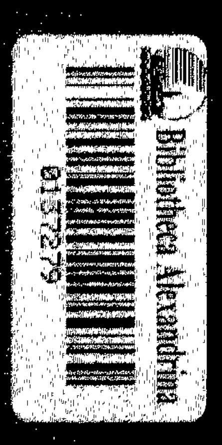

Bibliotheca Alexandrina
0137279







الشعر والشعراء

لابن قتيبة



الشعر والشعراء

لابن قتيبة

تحقيق وشرح

أحمد محمد شاكر

الجزء الأول



دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج. م. ع.

بسم الله الرحمن الرحيم
تبركة من الله ونعم

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على أشرف المرسلين .

هذه طبعتى الثانية لكتاب (الشعر والشعراء لابن قتيبة) . وقد كنت طبعته من قبل بتحقيقى وشرحى ، بين سنتى ١٣٦٤ — ١٣٦٩ فى دار إحياء الكتب العربية للسيد عيسى الحلبى وشركائه . ثم نفدت طبعته منذ سنين ، وطلبه العلماء والأدباء فعزّ عليهم أن يقتنوه .

وكان قد صدر فى مجلدين . وكنت عقب تمام المجلد الأول طلبت من الأستاذ الأديب (السيد أحمد صقر) أن ينقده فى مجلة (الكتاب) التى كانت تصدرها دار المعارف بمصر . وكذلك عقب تمام المجلد الثانى . فنشر نقده للمجلد الأول فى الجزء الثامن من مجلدها الثانى (عدد جمادى الآخرة سنة ١٣٦٥ — يونية سنة ١٩٤٦) . ونشر نقده للمجلد الثانى فى الجزء العاشر من سنتها الخامسة (عدد صفر سنة ١٣٧٠ — ديسمبر سنة ١٩٥٠) . ثم عقبت على مقاليه فى الجزء الرابع من سنتها السادسة (عدد جمادى الآخرة سنة ١٣٧٠ — أبريل سنة ١٩٥١) .

وقد رأيت — وإنى بصدد إعادة طبع الكتاب — أن أثبت هنا فى مقدمته نص مقالَىِ الأستاذ (السيد صقر) فى نقد الكتاب ، حرفيًّا دون تصرف ، إلا أنى حذفت من آخر مقاله الثانى نقده للقسم الذى حققه أخى العلامة الأستاذ عبدالسلام هرون فى آخر الكتاب ، حين كنت غائبًا فى الحجاز ، وهو من ص ٨٠٣ إلى آخر الكتاب ص ٨٦١ فى طبعتنا الأولى — أى من الفقرة : ١٥٣٥ فى هذه الطبعة — لأنه ليس من حقى نشره ، وهو متعلق بغيرى . ثم أثبت نص كلمتى فى التعقيب على النقد .

ورأيت أن الأمانة العلمية تقتضينى أن لا أتصرف فى نقد الأستاذ (السيد صقر) على ما فيه من هنات ، أو تحامل اعتاده كثير من شباب هذا العصر العجيب .

ولا بأس عليّ من ذلك . فما كان من نقده صوابًا وإرشاداً إلى خطأ وقعتُ فيه ، تقبلتُه راضيًا شاكراً وصححتُه فى هذه الطبعة . وما كان منه خطأ أو تحاملاً لم أفكر فى التعقيب عليه إلا فيما ندر . وما كان من مواضع اختلاف وجهة النظر تركته للقارئ يرى فيه رأيه : فيقبل منه ما يقبل ويرفض منه ما يرفض . فما يكون لى على الناس من سلطان أفرض به رأيى عليهم ، وما كان هذا من أخلاق العلماء .

وسيجد القارئ أن كثيراً من نقد الأستاذ السيد صقر ما هو إلا تحكم وافتئات على ابن قتيبة أو غيره دون دليل مرجح . فنجده كثيراً ما يذكر البيت أو النص من كلام ابن قتيبة ، ثم يزعم أن صوابه كذا ، دون دليل مقنع ، وأحيانًا دون نقل عن مصدر معتمد . والروايات فى الشعر وفى نصوص المتقدمين تختلف كثيراً ، كما يعرف كل مشتغل بالعلم أو بالأدب . فمن المصادرة والتحكم أن نجزم بصحة رواية أخرى فى كتاب آخر دون رواية ابن قتيبة . وقد يكون راوى تلك الرواية دون ابن قتيبة منزلة فى العلم أو فى الثقة بروايته . خصوصًا دواوين الشعراء . فنجد الأستاذ السيد صقر يجزم بصحة رواية بيت بأنه فى ديوان الشاعر المنسوب إليه بنص آخر . والشعراء — كما يعرف الناس — لم يجمعوا دواوينهم بأنفسهم ، إلا فى الندرة النادرة . وقد يكون جامع الديوان ورّاقًا من الورّاقين ، أو عالمًا مغموراً متوسطًا لا يوازن بابن قتيبة وأضرابه من العلماء . فمن التجنى والتحكم أن نجزم بصحة الرواية لأنها فى ديوان الشاعر ، دون رواية ابن قتيبة ، وهو إمام كبير ، وعالم يعرف ما يقول وما ينقل .

وهذا بديهى لمن تأمل وعرف وأنصف .

وقد رأيت — فى هذه الطبعة — أن أقسم الكتاب إلى فقرات بأرقام متتابعة ، لتسهل الإشارة إلى مواضع النصوص فيه بذكر رقم الفقرة ، دون التقيد بأرقام الصحيفة فى طبعات تتعدد وتختلف فيها الصفحات .

والله الهادى إلى سواء السبيل . والحمد لله رب العالمين .

كتبه

أحمد محمد شاكر

عفا الله عنه بمنه

الأحد ٤ شعبان سنة ١٣٧٧

٢٣ فبراير سنة ١٩٥٨

نقد الأستاذ السيد أحمد صقر

الشعر والشعراء

لابن قتيبة (الجزء الأول)

وهذا كتاب من أرفع كتب الأدب قدرًا ، وأنبهها ذكرًا ، وأقدمها نشراً .

فقد طبع لأول مرة فى مدينة ليدن سنة ١٧٨٥ ، وأعيد طبعه فيها مرة ثانية سنة ١٩٠٤[1] بعناية المستشرق الكبير « دى غوية » ثم طبع بعد ذلك فى مصر عدة طبعات سقيمة مبتورة كثيرة التصحيف والتحريف لا تعد شيئًا مذكوراً بالقياس إلى طبعة ليدن الثانية ؛ لأن دى غوية قد عنى بنشره ، فراجع مخطوط ليدن على خمس نسخ خطية ، استحضرها من فينا وبرلين وباريس ودمشق والقاهرة ، وأثبت ما بين هذه النسخ من اختلاف فى هامش الكتاب ، وبذل مجهوداً كبيراً فى مراجعة كل موضع من المواضع التى اقتبسها المؤلفون من الكتاب . ووضع فهرسين للأعلام والأماكن . وظلت هذه الطبعة عمدة العلماء والباحثين إلى يومنا هذا . بيد أن الحصول على نسخة منها قد أصبح متعذرًا بل مستحيلا . فتشوفت النفوس إلى طبعة جديدة تغنى عنها أو تسد مسدها ، واستشرف الناس إلى من ينتدب نفسه للقيام بهذا العمل الخطير ، حتى ارتضى الأستاذ العلامة الشيخ أحمد محمد شاكر أن ينهض بتلك المهمة الشاقة ، فأصدر هذه الطبعة الجديدة التى يقول فى مقدمتها : « وخير ما ندل به على منزلة هذا الكتاب من العلم ، وعلى فائدته للعلماء والمتأدبين أن نخرجه إخراجًا صحيحًا متقنًا ، على ما أستطيع بجهدى القاصر ، بأنى رجل جُلّ اشتغالى بعلوم الحديث والقرآن ، وما أستطيع أن أزعم أنى أهل لمثل هذا العمل ، إلا أن أبذل ما فى وسعى » . وهذا تواضع من الأستاذ ، فقد نشر منذ أزمان بعيدة كتبًا عدة نشرًا علميًّا ممتازاً ، دل به على سعة علمه ، وحصافة رأيه ، ودقة نظره ، وعمق فكره ، وأنفق فى سبيل ذلك ما أنفق من جهد ووفر ، وعافية ووقت ،

---

[1] صوابه : سنة ١٩٠٢ .

رضيّ النفس طيب البال ، حتى غدا في طليعة الناشرين المرموقين ، وحسبه أنه ناشر الرسالة للشافعي والمعرّب للجواليقي . والأستاذ نفسه يعتبر نشره مثاليًّا يضارع نشر المستشرقين ، بل يفوقه ، وقد صرح بذلك إذ يقول : « إنما أرجو أن يجد القارئ هذا الكتاب تحفة من التحف ، ومثالا يحتذى في التصحيح والتنقيح ، وأصلا موثوقًا به حجةً . وليعلم الناس أننا نتقن هذه الصناعة - من تصحيح وفهارس ونحوهما — أكثر مما يتقنه كل المستشرقين ولا أستثني »[1] . وقد اعتمد الأستاذ في تحقيق هذا الكتاب على طبعة ليدن اعتمادًا كليًّا ، حتى جاءت طبعته وكأنها صورة من الأولى ، إلا أنه قد شرح بعض الألفاظ الغريبة شرحًا مقاربًا ، وراجع كثيرًا من النصوص على ما بين يديه من المصادر ؛ ودل على أماكن وجودها في الكتب المختلفة ؛ ولكنه لم يثبت اختلاف الروايات إلا قليلا .

ولئن كانت هذه الطبعة تمتاز بذلك ، إن طبعة ليدن تمتاز عنها بميزة عظيمة ، فقد حرص « دى غوية » كل الحرص على إثبات كل خلاف بين النسخ مهما كان شأنه ، ليكون القارئ على بينة منه فيختار ما يختار ويردّ ما يرد ؛ بذوقه الخاص ؛ ورأيه المستقل ، ولا يكون مقيدًا بذوق الناشر ورأيه ؛ فقد يكون الناشر مصوبًا للخطأ أو مخطئًا للصواب وهو لا يدرى ؛ والأنظار متباينة ، والأفكار متفاوتة ، وفوق كل ذى علم عليم . ومن أجل ذلك لا أوافق الأستاذ على طرحه لتلك الاختلافات التي أثبتها « دى غوية » ولست أدرى لماذا تركها وهي بين يديه .

ومنهج الأستاذ شاكر في نشر هذا الكتاب هو أنه المعتمد في نشره على طبعة ليدن فقط ، فأخذ منها وترك ، ولم يرجع إلى النسخ المخطوطة في القاهرة ، وهو يعلم أن فيها نسختين وهما برقمي (٥٥٠ ، ٤٢٤٧ — أدب) رجع « دى غوية » إلى أولاهما ؛ ولم يرجع إلى الثانية ، لأنها لم تكن في دار الكتب إذ ذاك ؛ وفي دار الكتب نسخة ثالثة تحت رقم (٩١٦٠ — أدب) وصفت في الجزء السابع من فهرس الدار ص ١٨٠ . وفي مكتبة الأزهر نسخة رابعة (٦٨٨٥ — أدب) فكان من الواجب على الأستاذ أن يرجع إلى تلك النسخ كلها حتى يستطيع تحقيق متن

---

(١) مقدمة شرحه للترمذى ص ٦٤ .

الكتاب[١] ، وهو يعلم أن نسخه التى اعتمد عليها « دى غوية » يختلف بعضها عن بعض اختلافاً كبيراً ، إلى حد جعل « دى غوية » يقول : « إنه ينبغى أن تنشر مستقلة » . والحق أن الخلاف بين النسخ اختلاف هائل ، ليس فى سطر أو سطرين ، أو صفحة أو صفحتين ، بل فى فصول وتراجم بأكملها ، فامرؤ القيس ، وزهير ، والنابغة ، والمتلمِّس ، وطَرَفة ، وأوس بن حجر ، والمرقش الأكبر ، والمرقش الأصغر ، وعلقمة الفحل ، وعدىّ بن زيد . كل شاعر من هؤلاء له ترجمتان متتاليتان ، كل واحدة منها تباين الأخرى فى أسلوبها ومنهجها ، وتخالفها فى ترتيب عناصرها . وقد راجعتُ تلك التراجم فى النسخ الخطية فلاحظتُ أن الترجمة الأولى لكل شاعر قد خلت منها النسخ خلوا تامًّا . وكنت أحسب أن هذه التراجم الثانية ستحفز الأستاذ إلى التماس المخطوطات ليخرج الكتاب كما كتبه صاحبه غير ملفق ولا ناقص كما هو الآن . فقد تبينت أن بعض النصوص التى نقلها الأقدمون عنه لا توجد فيه . كل ذلك يثبت لنا أن طبعة ليدن لا تصلح وحدها لأن تكون أساسًا لنشر الكتاب نشراً علميًّا يجعل القارئ على ثقة من أن الكتاب كما ألفه مؤلفه لم تعبث به أيدى الماسخين أو الناسخين . ولكن الأستاذ قد اعتمدها واتخذها إمامًا لطبعته ، واتبعها حتى فيما لا ينبغى أن تتبع فيه . وهناك بعض ملاحظات أخرى عنت لى فى أثناء مطالعتى رأيت أن أنبه عليها ابتغاء لوجه الحق ، ورغبة فى تصحيح الكتاب ومساهمة فى رجعه إلى أصله . وبذلك أكون قد أديت واجبى . فإنى أعتقد أنه يجب على كل قارئ للكتب القديمة أن ينشر ما يرتئيه من أخطاء ليعرفها القارئ . وينتفع بها الناشر . وبمثل هذا التعاون العلمى المنشود تخلص الكتب العربية من شوائب التحريف والتصحيف الذى منيت به على أيدى الناسخين قديمًا والطابعين حديثًا . وقد رأيت أن لا أنثر ملاحظاتى على الكتاب نثراً ، بل رأيت أن أقسمها إلى أقسام ، فإن ذلك أنفع وأمتع .

فالقسم الأول : لما فى الكتاب من أخطاء فى الشكل والضبط . ومن أمثلته :

---

(١) لماذا كان هذا واجباً ؟ ! أظن أن الأستاذ سيد صقر يقلد بعض المتحذلقين الذين يزعمون أنه لا يجوز نشر كتاب إلا بعد جمع مخطوطاته التى فى العالم ! ! أحمد محمد شاكر .

١ ــ (الفقرة : ١٦٢) قال امرؤ القيس :

وإنى أَذِينٌ إن رجعتُ مملَّكاً ... بِسيْرٍ تَرَى منه الفُرَانِقَ أَزْوَرَا

على ظَهْرِ عاديّ تُحَارِبُه القَطَا ... إذا ساقه العَوْدُ الدِّيافِيُّ جَرْجَرَا

هكذا ضبطه دى غوية « تُحَارِبُه القطا » وتبعه الأستاذ ، وهو خطأ . ولست أدرى ما الذى صنعه العادى ــ وهو الطريق القديم ــ مع القطا حتى تحاربه ؟ ! والصواب « على ظهر عادى تَحَارُ بِه القَطَا » و « تَحَارُ به القطا » تعبير شائع فى الشعر القديم .

٢ ــ (الفقرة ١٧٩) قال الشماخ :

لها مِنسَمٌ مثل المَحَارَةِ خِفُّهُ ... كأنَّ الحَصى من خَلْفِه حذْفُ أَعْسَرَا

« مِنسَمٌ » هكذا ضبطها دى غوية بكسر الميم وفتح السين ، وتبعه الأستاذ : وهو خطأ . وقد نقل الأستاذ ضبطه صحيحاً فى المفضليات عند شرحه لقول المخبل السعدى :

ولها مَنَاسِمُ كالمَوَاقِعِ لا ... مُعْرٌ أشاعِرُها ولا دُرْمُ

فقال (١ : ١١٥) : « المَنْسِم » بفتح الميم وكسر السين : طرف خف البعير . والمواقع : المطارق . الواحدة ميقعة . شبه المناسم بالمطارق . وهذا ما يجعلنى أميل إلى أن « خِفُّهُ » محرفة ، وصوابها كما جاء فى ديوان الشماخ ص ٧٩ « خُفُّهُ » قال الشنقيطى : « المعنى أن مَنْسِمَها قوىّ يتطاير الحصى من شدة وقعه » .

٣ ــ (الفقرة ١٨٠) قال امرؤ القيس يصف فرساً :

كُمَيْتٌ يزل اللِّبْدُ عن حالِ مَتْنِه ... كما زَلَّتِ الصَّفْوَاءُ بِالمُتَنزِّلِ

والصواب « بالمتنزِّل » كما جاء فى شرح المعلقات للتبريزى ص ٤١ ، والديوان ١٣٣ .

٤ ــ (الفقرة ٥٠٠) وقال الآخر :

أَرأيتَ إنْ بَكَرَتْ بليلٍ هامتى ... وخرجتُ منها بالياً أثوابى

هل تَخْمِشَنْ إبلِى علىَّ وجوهَها ... أو تَعْصِبَنَّ رؤوسَها بسِلاَبِ

« أرأيتَ » هكذا ضبطها دى غوية ، وتبعه الأستاذ ، وهو خطأ والصواب :

أرأيتِ إن صرخت بليل هامتى وخرجت منها عارياً أثوابى

لأن الصراخ من شأن الهامة فيما يزعم العرب ، ولأن الإنسان لا يخرج من الدنيا بالى الأثواب ، بل يخرج منها عاريـًا . والشعر لضَمْرَة بن ضمرة النهشلى ، كما فى نوادر أبى زيد ص ٢ وأمالى القالى ١٢/ ٢٧٩ .

وأوله :

بَكَرَتْ تلومُكَ بعد وَهْنٍ فى النَّدَى بَسْلٌ عليكِ ملامتى وعتابى(١)

أأصرها وبُنَىُّ عمى سـاغبٌ فكَفَاكِ من إبَةٍ علىَّ وعَابِ

٥ – (الفقرة ٥٢٢) قال أبو زُبَيْد الطائى يصف الأسد :

إذا واجَهَ الأقرانَ كان مِجَنَّهُ جَبِينٌ كَتَطْبَاق الرَّحا اجتابَ مَمْطَرَا

« مَمْطَرا » هكذا ضبطها دى غوية بفتح الميم ، ظنًّا منه أنها اسم مكان ، وأن اجتاب بمعنى قطع ، وتبعه الأستاذ . وهو خطأ ، والصواب « اجتاب مِمْطَرا » بكسر الميم ، وفى القاموس (٢ – ١٣٥) « الممطر والممطرة بكسرهما : ثوب صوف يتقى به من المطر » واجتاب هنا بمعنى لبس ، جاء فى لسان العرب (١ : ٢٧٨) واجتبت القميص إذا لبسته . قال لبيد :

فبتلك إذْ رَقَص اللوامعُ بالضُّحَى واجتاب أرديةَ السَّراب إكامُها

أقضى اللبانةَ لا أفرِّط ريبةً أو أن يلومَ بحاجةٍ لوَّامُهـا

٦ – (الفقرة ١٠٧) قال الشماخ :

لم يَبْقَ إلا مِنْطَقٌ وأطْرَافْ ورَيْطَتَانِ وقميصٌ هَفْهَافْ

وشُعْبَتَا مَيْسٍ بَرَاها إسْكَافْ يا رُبَّ غازٍ كارِهٍ للإيجَافْ

(١) بكرت : عجلت . بسل : احرام . السلاب : خرقة سوداء تتقنع بها المرأة فى المأتم . الإبة : الحياء .

« إلا مِنْطَق » هكذا ضبطها دى غوية . وتبعه الأستاذ . وهو خطأ . لأن « المِنْطَق » كمنبر : « شقة تلبسها المرأة » وأول الشعر كما فى الديوان ص ١٠٢ .

قالتْ ألا يُدْعَى لهذا عَرَّافْ لم يَبْقَ إلا مَنْطِقٌ وأطرافْ

والصواب « إلا مَنْطِق » بفتح الميم وكسر الطاء . والمراد به النُّطْقُ ، وجمعه مناطق . قال زهير (ديوانه ص ٣٤٤) :

من يَتَجَرَّم لى المناطقَ ظالمـاً فيَجْرِ إلى شأوٍ بعيد ويَسْبَحُ
يكنْ كالحُبَارَى إن أُصيبتْ فمثلها أُصيبَ وإنْ تُفْلِتْ من الصقر تَسْلَحُ

* * *

والقسم الثانى من أقسام الملاحظات يتعلق بالتحريف ، وهو كثير جداً فى ثنايا الكتاب[1] . ومن أمثلته :

١ ـــ (الفقرة ١٠٧) قال الشماخ :

أو كظباء السِّدْرِ العُبْرِيَّاتْ يَحْضُنَّ بالقَيْظِ على رَكِيَّاتْ

« يحضن بالقيظ » : هكذا جاءت فى طبعة ليدن ، ونقلها الأستاذ كما هى . ولا معنى لها لأنها محرفة . والصواب « يُصِفْنَ بالقيظ على ركيات » أى : يُقِمْنَ فى زمن الصيف على آبار ، كما فى الديوان ص ١٠٤ . وقد ذكر دى غوية رواية أخرى فى هامش الكتاب ، وهى « يحضرن » ولكن الأستاذ لم يذكرها .

٢ ـــ (الفقرة ٩٧) :

وأخو الوَجْهَيْنِ حيث وَهَى بهَـواهُ فهْوَ مَدْخُولُ

« حيث وهى » هكذا فى طبعة ليدن ، ونقلها الأستاذ ، وهو خطأ . والصواب كما فى النسخ المخطوطة « حيث رمى » وقد أشار دى غوية إلى أنها قد وردت كذلك فى إحدى النسخ ، ولكن الأستاذ كعادته لم يذكرها .

---

(١) هذه دعوى عريضة . (أحمد محمد شاكر) .

٣ — (الفقرة ١٢٧) كقول العباس بن مرداس السلمى :

وما كان بَدْرٌ ولا حابسٌ   يفوقانِ مِرْدَاس فى مَجْمَعِ

وكذلك ورد مرة أخرى (فى الفقرة ٥١٤) وهو خطأ . والصواب « وما كان حصن ولا حابس » كما جاء فى النسخ المخطوطة كلها ، وسيرة ابن هشام ٤ : ١٣٧ ولسان العرب ٧ : ٤٠٠ والأغانى ١٣ : ٦٤ وخزانة الأدب ١ : ٧٣ والموشح ص ٩٣ ، والبيت من قصيدة قالها العباس لما أعطى النبى صلى الله عليه وسلم المؤلفة قلوبهم يوم حنين ، وأعطاه أقل مما أعطى الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن الفزارى . ومن الغريب أن دى غوية ذكر فى هامش ص ٣٤ ، ١٦٦ أن رواية بعض النسخ المخطوطة : « وما كان حصن ولا حابس » ولكن الأستاذ لم يأبه لتلك الرواية .

٤ — (الفقرة ١٦١) فى ترجمة امرئ القيس : « فنزل على قوم منهم عامر ابن جوين الطائى فقالت له ابنته : إن الرجل مأكول فكله ، فأتى عامر أجأ فصاح : ألا إن عامر بن جوين غدر ، فلم يجبه الصدى ، ثم صاح : ألاَ إن عامر بن جوين وَفَىّ ، فأجابه الصدى ، فقال : « ما أحسن هذه وما أقبح تلك » و« غدر فلم يجبهِ الصدى» تحريف واضح . والصواب كما فى الأصل المخطوط « غدر فأجابه الصدى » وإذا كان الصدى لم يجبه فى الأولى . وأجابه فى الثانية فكيف تسنى له أن يفاضل بينهما ويقول « ما أحسن هذه وما أقبح تلك » ؟ ومن الغريب أن دى غوية أثبت ذلك عن بعض النسخ ، ولكن الأستاذ لم يشر إليها . وقد نقل صاحب الأغانى هذا الخبر عن ابن قتيبة (٩ : ٩٠) وفيه : « غدر ، فأجابه الصدى بمثل قوله . فقال : ما أقبح هذا من قول » .

٥ — (الفقرة ٢٣٧) قال النابغة :

ستة آباءُهم ما هُمُ   هم خير من يشرب صفو المُدامْ

« ستة آبائهم ما هم » هكذا رسم شطر هذا البيت فى طبعة ليدن . وتبعه الأستاذ وهو خطأ . والصواب :

ستة آباء هُمُ ما هُمُ   هم خير من يشرب صفو المدامْ

راجع خزانة الأدب ٢ : ١١٨

٦ — (الفقرة ٣٦١) : « . . . وأخذ جملين ، يقال لهما عوهج وداعر ، فصارا بعُمَان ، فمنها العوجهية والداعرية » وهكذا جاء فى طبعة ليدن « فمنها » . والصواب « فمنهما » .

٧ — (الفقرة ٣٠٣) :

وقدَّمَتِ الأَديمَ لرَاهِشَيْهِ   وألفَى قولَها كذباً ومَيْنَا

هكذا جاء فى الطبعتين : « وقدمت الأديم » وهو خطأ . والصواب « وقَدَّدَت » وقد ذكر دى غوية : أنها جاءت كذلك فى بعض النسخ ، ولكن الأستاذ قد تركها أيضًا .

٨ — (الفقرة ٧١٩) قال يزيد بن الطثرية :

يعجّل للقوم الشِّوَاء يَجُرُّهُ   بأقصى عصاه مُنْضَجاً أو مُرَمَّدَا
حلوفٌ : لقد أنضجتُ وهو مُلَهْوَجٌ   بنصفَيْن لو حَرَّكْتَه لتَقَصَّدَا

هكذا جاء فى الطبعتين وهو خطأ ، والصواب : « لتفصدا » بالفاء ، أى : أن هذا اللحم الملهوج لو حركته لتفصد منه الدم .

٩ — (الفقرة ٦١٣) من قصيدة لابن أحمر الباهلى :

فلا تَحْرِقا جلدى سواءٌ عليكما   أَدَاوَيْتُما العَصْرَيْن أم لا تُداويا

هكذا جاء فى الطبعتين « أم لا تداويا » وهو خطأ والصواب « أم لم تداويا » لأن « تداويا » فعل مضارع من الأفعال الخمسة محذوف النون ، وهى لا تحذف نونها إلا إذا سبقت بناصب أو جازم ، و « لا » النافية ليست بجازمة : وإنما الجازم هنا « لم » .

١٠ ـ (الفقرة ٦١٨) قال يزيد بن مفرغ فى عباد بن زياد :

سَبَقَ عبّادٌ وصَلّت لحيتهْ وكان خَرّازًا تَجُورُ قِرْبَتُهْ

هكذا فى الطبعتين « تجور قربته » وفى النسخ المخطوطة : « وكان خرازا تجود قربته » وكذلك جاء فى خزانة الأدب (٢ : ٢١٣) .

١١ ـ (الفقرة ٦١٨) « فأخذه عبيد الله بن زياد فحبسه وعذبه وسقاه التربد فى النبيذ ، وحمله على بعير وقرن به خنزيرة فأمشاه بطنه مشياً شديداً ـ فكان يسيل على الخنزيرة فتُصىء » والصواب « فأمشى بطنه . . . . فتَصِىء » بفتح التاء ، جاء فى اللسان ١ : ١٦٤ « صاءت العقرب تَصىء إذا صاحَتْ » .

١٢ ـ (الفقرة ٦٦٥) من قصيدة لحميد بن ثور الهلالى فى وصف ذئب وامرأة :

تَرَى ربةُ البَهْم الفِرَارَ عشيةً إذا ما عدا فى بَهْمِها وهو ضائع

رأته فشكّتْ وهو أكحل مائلٌ إلى الأرض مَثْنِيٌّ إليه الأكارِعُ

هكذا جاء فى الطبعتين « أكحل مائل » وهو خطأ . وصحة التحريف :

رأته فشكت وهو أطْحَلُ مائلٌ إلى الأرض مثنيّ إليه الأكارعُ

وكذلك جاء فى ديوان الشاعر ص ٣٧ ، وأمالى المرتضى ٤ ـ ١٢١ وحماسة ابن الشجرى ص ٢٠٧ وفى لسان العرب (١٣ : ٤٢٤) قال ابن سيدة : « الطحلة : لون بين الغبرة والبياض بسواد قليل كلون الرماد . ذئب أطحل وشاة طحلاء » .

قال الأخطل :

يشق سماحيق السلا عن جنينها أخو قفرة بادى السغابة أطحل

السماحيق : جلدة رقيقة تكون على جنين الناقة ، وأطحل : كدر اللون ، يعنى به الذئب .

١٣ ـ (الفقرة ٦٦٧) « . . . . . . ولعل الأثاب أن تكون تُسَمّى أفناؤه جَعْلاً ، كما تسمى أفناء النخل وقصاره جَعْلا » هكذا فى الطبعتين « أن تكون

تسمى أقناؤه جعلا » وهو خطأ . والصواب : « أن تكون أقناؤه تسمى جعلا كما تسمى أقناء النخل وقصاره جعلا » كما جاء فى المخطوطات . والقنو : العذق .

١٤ — (الفقرة ٧٨٧) :

لا ينقرون الأرض عند سؤالهم لتطلب العلات بالعِيدَانِ

ورواية الأصل والديوان « لاينكتون الأرض » وهو تعبير شائع فى الشعر .

١٥ — (الفقرة ٩٠٨) قال الأحوص :

ستُبْلَى لكم فى مُضْمَرِ القلب والحَشَا سريرةُ حبٍّ يومَ تُبْلَى السرائرُ

ورواية الأصل المخطوط (وخزانة الأدب ١ — ٣٣) : « ستبقى » .

وفى الأغانى : أن عمر بن عبد العزيز أنشد قول الأحوص :

ستبقى لكم فى مضمر القلب والحشا سريرة حب يوم تبلى السرائر

فقال : « إن الفاسق عنها يومئذ لمشغول » .

وقد أخطأ مصحح الجزء الرابع من طبعة الدار إذْ جعلها « ستبلى » وعلق عليها بقوله : كذا فى الشعر والشعراء ص ٣٣٠ طبع أوربا . وفى الأصول والخزانة « ستبقى لها » ولو نظر فى هامش الصفحة التى أشار إليها من طبعة الشعر والشعراء لوجد دى غوية يذكر أن الرواية فى بعض النسخ الخطية « ستبقى » .

١٦ — (الفقرة ٩٢٤) : « قال أبو سَوَّار الغَنَوِى : رأيت مَيِّتَةً وإذا معها بنون لها صغار ، فقلت : صفها لى ، فقال : مسنونة الوجه ، طويلة الخدّ » ، وأول الخبر محذوف . وهو كما جاء فى الأغانى (١٦ : ١١٥) « قال محمد بن سلام : قال أبو سوار الغنوى » .

١٧ — (الفقرة ٩٢٩) هذا البيت وشرحه :

من الفرَاش المقضى عاش فى رَنَقٍ رَخْفِ السَّحَايَاتِ ولّى غيرَ مطعوم

السحايات : بقية الماء ، « واحدتها سحاية » . لم يضبط دى غوية كلمة « السحايات » وضبطها الأستاذ بفتح السين وهو خطأ . وفيها مع ذلك تحريف

وصحتها « السُّحابات : بقية الماء . واحدتها سحابة » جاء فى القاموس : « السحبة بالضم كالسحابة : فضلة ماء الغدير » .

١٨ — (الفقرة ٩٣٥)« وأخذ ذو الرمة قوله :

إذا استهلَّتْ عليه عَيْبَةٌ أَرِجتْ مَرابِضُ العِينِ حتى يأْرَجَ الخَشَبُ

من معنى قول العجاج : « مَشْوَاهُ عَطَّارينَ بالعُطُورِ » وفى هذا النص تحريفان : الأول فى « عيبة » ، وصحتها كما فى ديوانه ص ٢٠ « غبية » ، وهى الدفعة من المطر . والثانى فى « مثواه عطارين » وصحتها كما فى ديوان العجاج المخطوط ص ٦٣ « مَثْوَاة عطارينَ » .

قال العجاج يصف ثوراً ص ٦٣ :

فبات فى مكْتَنَسٍ معمورِ مُسَّاقِطٍ كالهودج المَخْدُورِ
كأنَّ ريحَ جوفه المزبور فى الخشب تحت الهَدَبِ اليَخْضُورِ
مثواةُ عطَّارينَ بالعطـــور أهاضمها والمسكِ والكافورِ[1]

وإذا نظرنا إلى بيت ذى الرمة — الذى يقول ابن قتيبة إنه أخذ معناه من قول العجاج — لم نجد بينهما من الاشتراك ما يجعلنا نأخذ برأيه ، وأكبر الظن أنه قد أورد بيتين لذى الرمة سقط ثانيهما من الكتاب وهو :

كأنه بيت عطار يُضَمِّنه لطائمَ المسك يحويها وتُنتَهَبُ

١٩ — (الفقرة ٣٠٢) : « هو طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك ابن عباد بن صعصعة بن قيس بن ثعلبة » وعلق الأستاذ على هذا بقوله « عباد بن صعصعة هكذا أثبت هنا وفى معاهد التنصيص ، وهو خطأ ، صوابه ضبيعة كما أثبت كل من ذكر نسب طرفة ونسب أقربائه . فإن المرقش الأصغر عم طرفة ، واسمه ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك ، والمرقش الأكبر عم الأصغر ، واسمه

---

(١) المخدور : المستور . المزبور : المطوى . الهدب : الأطراف . اليخضور : الأخضر . مثواه : مقامة . الأهضام : ضرب من الطين .

عمرو بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على ابن بكر بن وائل . انظر المفضليتين ٤٥ ، ٥٥ وشرح القصائد العشر ٥٦ وجمهرة أشعار العرب ٨٣ والخزانة وغير ذلك » . وهذا جهاد فى غير عدو كما يقول الأزهريون ، أضنى الأستاذ فيه نفسه وأجهد فكره ، دون أن يأتى بأية فائدة تسوغ كتابة هذا التعليق الطويل . ولو رجع الأستاذ إلى المخطوطات لألفى فيها اسم « ضبيعة » صحيحاً غير محرف ولا مبدل . ولما أثبت حرفاً واحداً من تعليقه هذا . ومن الغريب أنى وجدت دى غوية قد ذكر فى هامش الكتاب اسم « ضبيعة » صحيحاً نقلاً عن بعض النسخ التى اعتمد عليها ! أفما كان فى هذا وحده غناء عن ذلك الجهاد ؟

١٩ — (الفقرة ٩٢٤) : « وكان ذو الرمة أحد عشاق العرب المشهورين بذلك ، وصاحبته مية بنت فلان بن طَلَبَة بن قيس بن عاصم بن سنان» ، وعلق الأستاذ على هذا بقوله : « هكذا أبهم المؤلف اسم أبيها ، لعله نسيه ، أو من أجل الاختلاف فيه ، ففى اللآلى : أنها بنت عاصم بن طلبة ، وفى ابن خلكان ابنة مقاتل بن طلبة » . ولو اطلع على الأصل المخطوط لعلم أن المؤلف لم يبهم اسم أبيها ففى ورقة ٧٨ : « مية بنت مقاتل بن طلبة بن قيس بن عاصم بن سلام » وكنت أعتقد أن الأستاذ لم يحكم بأن المؤلف أبهم اسم أبيها إلا بعد أن رأى أن النسخ التى اعتمد عليها دى غوية أجمعت كلها على أنها « بنت فلان » ولكنى عجبت العجب كله عند ما رأيت فى طبعة ليدن ص ٣٣٥ أن بعض النسخ فيها « بنت مقاتل » .

٢٠ — (الفقرة ٩٣٩) قال الراعى يصف ناقته :

واضعـــة خدَّها للزما م فالخدُّ منها له أصْعَرُ
ولا تُعْجِلُ المرءَ قبل البُرُو ك وهى بركبتها أبصَرُ

والصواب كما جاء فى المخطوطات :

ولا تعجِّل المرءَ قبل الركو ب وهى بركبتــه أبصر

٢١ — (الفقرة ٤٤٣) قال الأعشى :

كن كالسموأل إذْ طاف الهمامُ به فى جحفل كهزيع الليـــل جرَّار

ورواية الأصول المخطوطة والديوان : « فى جحفل كسواد الليل جرار » وهى الصواب ، لأن الهزيع هو القطعة من الليل ، والمراد وصف الجيش بالكثرة .

٢٢ — (الفقرة ٨٥) :

زوجك يا ذات الثنايا الغُرِّ   الرَّتلات والجبين الحرِّ

والصواب كما جاء فى المخطوطات : « ويحك يا ذات الثنايا الغر » .

٢٣ — (الفقرة ١٣٩) « هو امرؤ القيس بن حجر بن عمرو الكندى » هكذا ورد فى الطبعتين ، والصواب « . . . بن حجر بن الحارث بن عمرو الكندى » راجع (خزانة الأدب ١ : ٢٩٩) .

٢٤ — (الفقرة ٤٤٣) قال الأعشى :

خيِّره خُطَّتَىْ خسف فقال له   اِعْرِضهما هكذا أَسْمَعْهُمَا حَارِ

ورواية الديوان :

خيره خطتى خسف فقال له   مهما تقله فإنى سامع حار

وهناك رواية أخرى ذكرها دى غوية فى هامش الكتاب وهى « قل ما تشاء فإنى سامع حار » ولكن الأستاذ لم يشر إلى هذه ولا إلى تلك ، وارتضى الأولى التى لا يكاد اللسان يقيم نطقها .

* * *

أما الملاحظات التى تتعلق بالشرح والتعليقات ، وعدم الرجوع إلى المخطوطات ، والاعتماد على المصادر الثانوية فى تحقيق النصوص ، فإنى أجمل الكلام عليها وأكتفى ببعض النماذج منها . . . .

١ — (الفقرة ١٠٧) قال الشماخ :

لما رأتنا واقفى المطيات   قامتْ تَبَدَّى لى بأَصْلَتِيَّاتْ

غُرٍّ أضاء ظَلْمُها الثنيَّاتْ   خَوْدٌ من الظعائن الضَّمْرِيَّاتْ

ترك الأستاذ شرح الأصلتيات مع غرابتها ، ومعناها : الأسنان الجميلة المستوية البراقة ، وشرح الشطر الأخير بقوله « الخود : الفتاة الحسنة الشابة . الضمريات : من الضمور وهو الهزال ، فالضمر من الرجال المهضم البطن اللطيف الجسم والأنثى ضمرة » والصواب في شرح الضمريات ما قاله الشنقيطي في شرح الديوان « الضمريات صفة ظعائن ، أي : هن من بني ضمرة بن بكر بن عبد مناة » .

٢ — (الفقرة ٥٤٨) قال الشماخ :

تَخَامَصُ عن بَرْد الوشاح إذا مَشَتْ ... تَخَامُصَ حافي الرِّجْلِ في الأَمْعَزِ الوَجِي

وشرح الأستاذ البيت بقوله « تَخَامَصُ : تتخامص ، أي تتجافى عن المشي . الأمعز : الأرض الغليظة ذات الحجارة . الوجي : الحافي ، وهو هنا صفة للحافي » والذي في لسان العرب نقلا عن ابن السكيت : « الوجى أن يشتكي البعير باطن خفه » ويقول الأعشى في هذا المعنى :

غراء فرعاء مصقول عوارضُها ... تمشي الهوينا كما يمشي الوَجِي الوَجِلُ

وقد جاء بيت الشماخ صحيحًا في ديوانه : « تخامُصَ حافي الخيل في الأمعز الوجي » .

وذكر دي غوية أن بعض النسخ فيها « تخامص جافي الخيل » . ولها وجه ، جاء في لسان العرب : « جفا الشيء يجفو جفاءً : لم يلزم مكانه ، كالسرج يجفو عن الظهر ، وكالجنب يجفو عن الفراش » .

٣ — (الفقرة ٥٣٣) في ترجمة النمر بن تولب : « وهو القائل لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

إنا أتيناك وقد طال السَّفرْ ... نقود خيلا ضُمَّرًا فيها عَسَرْ

نطعمها الشحم إذا عزَّ الشَّجَرْ ... والخيلُ في إطعامها اللحمَ ضَرَرْ

الشحم : يعني اللبن » وعلق الأستاذ على هذا بقوله : « تفسير الشحم باللبن شيء نادر جدا لم أجده إلا للمؤلف » قلت قد ذكر دي غوية أن بعض النسخ فيها « نطعمها اللحم » وقد جاء في لسان العرب (١١ : ١٦٢) :

نُطعمها اللحم إذا عزَّ الشجر والخيل فى إطعامها اللحم ضرر

إنما يعنى أنهم يسقون الخيل الألبان إذا أجدبت الأرض فيقيمها مقامُ العلف ».

٤ — (الفقرة ٩١٩) فى ترجمة ذى الرمة : « وكان يومًا ينشد فى سوق الإبل شعره الذى يقول فيه . . . عَذَّبَتْهُنَّ صَيْدَحُ . وصيدح : اسم ناقته ، فجاء الفرزدق فوقف عليه . . . »

وعلق الأستاذ على ذلك بقوله : « لم أجد هذه الجملة فى القصيدة الحائية التى يظن أن تكون منها فى ديوان ذى الرمة ، ولكن البيت ثابت فى الأغانى » . أقول : بل هى منها كما فى ديوانه المطبوع فى أوربا ص ٨٧ ، وفى ديوانه المخطوط بدار الكتب ورقة ٢٠٣ . قال ذو الرمة :

إذا مات فوق الرحل أحييت روحه بذكراك والعِيسُ المراسيلُ جُنَّحُ

إذا ارْفَضَّ أطراف السياط وهُلِّلَتْ جُروم المطايا عَذَّبَتْهُنَّ صَيْدَحُ

وقد اعتمد الأستاذ على الديوان المطبوع فى بيروت سنة ١٣٥٣ ﻫ وما كان ينبغى له أن يعتمد عليه ، وقد ذكر ناشره فى مقدمته أنه حذف منه ما يتعلق بوصف الإبل والفيافى !

٥ — فى ترجمة مالك بن الريب : « وهو القائل فى الحبس :

أَتَلْحَقُ بالرَّيْبِ الرِّفاقُ ومـــالكٌ بمكةَ فى سجن يُعَنِّيه رَاقِبُهْ »

شرحه الأستاذ بقوله : « يعنيه : يحبسه حبسًا طويلاً » والصواب : يعنيه : يذيقه ألوان العذاب ، لأن الراقب — وهو ملاحظ السجن — لا يملك إطالة مدة الحبس أو تقصيرها ، وإنما يملك ذلك الأمير .

٦ — (الفقرة ٩٢٩) من شعر هشام أخى ذى الرمة :

حتى إذا أَمْعَرُوا صَفْقَىْ مَبَاءَتِهم وجَرَّدَ الخُطْبُ أَثْبَاجَ الجَرَاثِيمِ

وآبَ ذو المَحْضَرِ البادى إبابَتَهُ وقَوَّضَتْ نيَّةٌ أطنابَ تَخْيِيمِ

أَلْوَى الجِمَالُ هراميلُ العِفَاء بها وبالمناكب رَيْعٌ غيرُ مَجْلُومِ

شرح الأستاذ البيت الأول بقوله : « أمعروا : أكلوا . الصفقتان : الناحيتان . المباءة : منزل القوم حيث يتبوؤون . الخُطْب – بضم الخاء وسكون الطاء – جمع أخطب ، وهو الحمار تعلوه خضرة » . وهو خطأ ، لأن الشاعر لم يرد بالخُطْب الحمير ، وإنما أراد النوق التي كانت ترعى . جاء في لسان العرب « الخطب جمع خَطْبَاء ، وناقة بينة الخطب ، والخطب ، والخطبة : لون يضرب إلى الكدرة مُشْرَبٌ حمرة في صفرة ، كلون الحنظلة الخطباء قبل أن تيبس » . وشرح البيت الثاني بقوله : « آب : أي رجع . إبابته : أي رجوعه ، يقال : آب إلى وطنه نزع » والصواب أن يقال في تفسيرهما : آب إبابته : أي نزع نزوعه إلى وطنه .

وشرح البيت الثالث بقوله : « ألوى الجمال : ذهبن . هراميل العفاء بها : حال من الجماعة . الهراميل : جمع هرمول – بضم الهاء : قطعة من الشعر . العفاء : ما كثر من الوبر ، يريد متساقطة الوبر . الريع : الزيادة . غير مجلوم : غير مقطوع » وهذا شرح مضطرب لا يجلو معنى البيت . ولست أدري من أين أخذ الأستاذ أن الشاعر يريد أن يصف الإبل التي شبعت من المرعى بأنها متساقطة الشعر ، وكيف يوفق بين معنى شطري البيت ؟ أيجوز أن يقول الشاعر في صدر البيت : إن وبرها متساقط من المرعى ، ثم يقول في عجزه : إن وبرها كثير نام غير مقصوص أو مقطوع ؟ وفي البيت تحريف يبهم معناه ، فالشاعر لم يقل « ألوى الجمال » كما ذكر الناشران ، وإنما قال « آلُوا الجمال » جاء في لسان العرب (١١ – ٣٤) .

حتى إذا أمعروا صفقى مباءتهم وجرد الخطب أثباج الجراثيم

آلُوا الجمالَ هراميـــل العفاء بها على المناكب ريع غير مجلوم

آلُوا الجمال : أي ردوها ليرتحلوا عليها » .

٧ – (الفقرة ٩٢٩) من القصيدة نفسها :

واسْتَنَّ فوق الحَذَارَى القُلْقُلانُ كما شَكْلُ الشُّنُوف يُحَاكَى بالهَيَانِيمِ

الحذارى : جمع حذرية وهي الأرض الصلبة . والقلقلان : النبت » .

وشرح الأستاذ هذا النص بقوله : « استن : أسرع » . كما شكل « ما » زائدة ؛ أراد كشكل الشنوف . جمع شنف . وهو القرط الذى يلبس فى أعلى الأذن . الهيانم : جمع هينمة . وهى الصوت الخفى لا يفهم . والقلقلان كما فى اللسان : شجر أخضر ينهض على ساق . ومنابته الآكام دون الرياض ؛ وله حب كحب اللوبياء يؤكل ؛ والسائمة حريصة عليه » وهذا شرح قاموسى لا يوضح المعنى للقارئ . وإذا كانت « ما » زائدة كما قال الأستاذ فلماذا ضبط شكل بضم اللام والصواب « كما شكل » بكسر اللام . واستن القلقلان : اضطرب وتحرك. أراد عند ما يبس . وكان من الواجب على الأستاذ أن لا ينقل ما نقله فى تعريف القلقلان عن اللسان ، لأنه لا يفيد ولا يعين على اجتلاء التشبيه ، وأن ينقل بدله ما جاء فى اللسان (١٤ : ٨٣) : القلقلان . نبت ينبت فى الجلد وغلظ السهل . وله سنف أفيطح ينبت فى حبات كأنهن العدس فإذا يبس فانتفخ وهبت به الريح سمعت تقلقله كأنه جرس » . فهذا التعريف هو الذى يجلو معنى البيت ويفصح عن وجه الشبه الذى أراغ إليه الشاعر .

* * *

أما الملاحظات التى تتعلق بمراجعة الكتاب بالمخطوطات فكثيرة جدا . ولو رجع إليها الأستاذ لغير فى الكتاب وبدل ، وقدم وأخر ، وبتر ووصل ، وزاد ونقص ، ولظهر الكتاب فى صورة أخرى . وما أريد أن أذكر أمثلة لما ذكرت ، فقد طال الكلام ، وحسبى أن أذكر بعض المثل الموجزة فى أصلها :

١ — (الفقرة ١٧) : « فمن أحب أن يعرف ذلك ليستدل به على حلو الشعر ومره نظر فى ذلك الكتاب . وفى الأصل المخطوط « . . . يستدل به على علو الشعر وعظيم نفعه وضره نظر فى ذلك الكتاب » .

٢ — (الفقرة ١٨ — ١٩) : « تدبرت الشعر فوجدته أربعة أضرب : ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه ؛ كقول القائل فى بعض بنى أمية » وفى الأصل المخطوط «إنى تدبرت . . . . كقول الشاعر لبعض بنى أمية ، ويقال هو لكثير السهمى فى محمد بن على بن الحسن رضى الله عنهما » .

٣ — (الفقرة ٥٢) : « لأن النسيب قريب من النفوس لائط بالقلوب » وفى الأصل « . . . . قريب من النفوس ملائم لها . . . » .

٤ — (الفقرة ١٢١) : قال الشاعر :

* فهَبْهَا أمةً ذهبت ضياعاً *

وفى الأصل المخطوط « قال أبو عتيبة بن هبيرة الأسدى : فهبنا أمة هلكت » . وفى نسخة « أبو عقيبة » وفى أخرى « عقبة » .

٥ — (الفقرة ٢٨٨) « فقال — أى المتلمس — لطرفة : ادفع إليه صحيفتك يقرأها ، ففيها والله ما فى صحيفتى ، فقال طرفة : كلا لم يكن ليجترئ علىّ ، فقذف المتلمس بصحيفته » . وفى الأصل المخطوط « . . . لم يكن ليجترئ علىّ ، فإن بنى ثعلبة ليسوا كبنى ضبيعة ، فقذف المتلمس . . . » .

٦ — (الفقرة ٣٧٦) « فصف له كسرى ثمانية آلاف جارية صفين » وفى المخطوطة « فصف له كسرى عن يمينه ألف جارية » وقد ذكر دى غوية هذه الرواية ، ولكن الأستاذ لم يذكرها .

٧ — (الفقرة ٩٣٢) : وقال ظالم بن البراء :

ويوم من الجَوْزَاء أما سكونُه فَضِحٌ ، وأما ريحه فسَمُومُ

ورواية الأصل المخطوط « أما سكونه فصَمْدٌ » والصمد : « تأثير لفح الشمس فى الوجه » .

* * *

ولا ينبغى أن ينسينا حديث المآخذ والأخطاء شكر الأستاذ الجليل أحمد محمد شاكر على ما بذل فى نشر هذا الكتاب من جهد عنيف ، لا يدرك كنهه ولا يعرف قدرة إلا من زج بنفسه فى هذا المضمار . وحسبه أنه قدم للقراء طبعةً لا مثيل لها فيما بين أيديهم من طبعات . وإنا لنتمنى له النجاح واطرادَ التوفيق فى إخراج الجزء الثانى ، إن شاء الله تعالى .

السيد أحمد صقر

الشعر والشعراء

لابن قتيبة

الجزء الثانى

وأخيراً – وبعد ترقب وانتظار طال أمده حتى أربى على أربع سنين – أخرج القاضى الفاضل الشيخ « أحمد محمد شاكر » الجزء الثانى من كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة .

وقد سبق أن تناولتُ الجزء الأول بالنقد فى هذه المجلة (مجلة الكتاب) (يونية ٤٦ ص ٢٩٥ – ٣٠٩) وقد قرأه الشيخ إذ ذاك وأعجب به وسلم بما فيه[1] ، ووعدنى بنشره فى آخر الجزء الثانى لينتفع به قراء الكتاب فى تصحيح تلك الأخطاء، ولعل مشاغل الشيخ قد حالت بينه وبين الوفاء به[2] ، كما حالت بينه وبين إتمام تحقيق الكتاب ، فعهد فى إكماله إلى الأستاذ عبد السلام هارون ، وذلك من صفحة ٨٠٣ إلى آخر الكتاب .

وقد تصفحت هذا الجزء ، وألفيتُ فيه كسابقه كثيراً من الملاحظات ولكن ضيق نطاق المجلة يعوق عن ذكر أكثرها ، ولا يسمح إلا بإيراد أقلها . ومن ثم نكتفى بذكر النماذج التالية ، مرتبة وفق ترتيب صفحات الكتاب .

١ – (الفقرة ٩٧٨) « وكان الأقيشر صاحب شراب ، فأخذه الأعوان بالكوفة وقالوا : شارب خمر ، فقال : لست شارب خمر ولكنى أكلت سفرجلا ، وأنشأ يقول :

يقولون لى : إنكهْ شربتَ مُدامةً ... فقلت لهم : لا بل أكلت سفرجلا »

علق الشيخ على هذا البيت بقوله :

---

(١) أما التسليم بما فيه – بإطلاق – فإنه لم يكن . ولكنى وافقت عليه إجمالا ، مع احتفاظ كل منا برأيه فى مواضع النظر واختلاف الرأى . (أحمد محمد شاكر) .

(٢) ليست المشاغل وحدها هى التى تحول بينى وبين الوفاء . ولكنى كنت مسافراً عند تمام الكتاب . (أحمد محمد شاكر) .

« انكه : أصلها « إنك » فخفف « إن » المشددة وفى اللسان ١٦ / ١٧١ عن الليث : وللعرب لغتان فى إن المشددة : إحداهما التثقيل . والأخرى التخفيف . فأما من خفف فإنه يرفع بها ، إلا أن ناسًا من أهل الحجاز يخففون وينصبون . على توهم الثقيلة » وفيه « عن الفراء : لم نسمع العرب تخفف إن وتعملها إلا مع المكنى ، لأنه لا يتبين فيه إعراب ، فأما فى الظاهر فلا ، ولكن إذا خففوها رفعوا وهنا خففها مع الضمير ثم ألحق به هاء السكت » .

حسب الشيخ أن فعل الأمر الذى هو « إنْكَهْ » مكون من « إنَّ » والضمير وهاء السكت ، وذهب يتحمل العلل لإعمالها ، فنقل ما نقل عن اللسان . وليس الأمر كما حسب ، فإن « انْكَهْ » فعل أمر من نَكَه ينكه ، أى أخرج نفسه : جاء فى اللسان ١٧ / ٤٤٨ « ونكَه هو ينْكه ويَنْكَهُ : أخرج نفسه إلى أنفى ، ونكهته : شممتُ ريحه ، واستنكهتُ الرجل فنكه فى وجهى ينكه وينكَه نكهًا : إذا أمره بأن ينكَه ، ليعلم أشارب هو أم غير شارب ، قال ابن برى : شاهده قول الأقيشر :

يقولون لى إنْكَهْ شربتَ مدامةً فقلت لهم : لا بل أكلت سفرجلا »

٢ — (الفقرة ١٠٢٤) من شعر الطرماح « وقال يهجو بنى تميم :

أفخرًا تميماً إذْ فُتَيَّةُ خَبَّتِ ولؤماً إذا ما المَشْرَفِيَّةُ سُلَّتِ »

قال الشيخ فى شرحه لهذا البيت : « فتية بالتصغير وبالتكبير : يريد الحرب ، سماها بذلك كأنه علم لها ، أخذه من الحديث ، قال فى النهاية : وفى حديث البخارى : الحرب أول ما تكون فتية . هكذا جاء على التصغير : أى : شابة ، ورواه بعضهم فتية بالفتح » .

لم يقل الطرماح « فتية » لا بالتصغير ولا بالتكبير ، ولم يسم الحرب بذلك ، ولم يأخذه من هذا الحديث ، ولو قال ذلك وأخذه من الحديث لكان عازبًا عن الصواب ، وإنما قال « أفخراً تمياً إذا فِتْنَةٌ خبَتْ » كما جاء فى ديوانه ص ١٣١ ، وقال شارحه : يقول : « أتفخر فخراً تميميًّا يا فرزدقُ عند سكون الفتنة ، وتأتى باللؤم عند المسابقة[1] فتفر أنت وقومك ؟ » .

---

(١) لعل صوابه « عند المسايفة » . (أحمد محمد شاكر) .

٣ — (الفقرة ١٠٢٥) من شعر الكميت :

وكلُّ لؤمٍ أبانَ الدهرُ أثلتَهُ ولؤمُ ضبَّةَ لم يَنقص ولم يَبِدِ

والصواب « أباد » كما فى الديوان . وقد أشار المستشرق « دى غوية » إلى أنها كذلك فى بعض النسخ . وقد أهمل الشيخ الإشارة إلى هذه الرواية الصحيحة .

٤ — (الفقرة ١٠٨٠) « ودكين هو القائل :

إذا المرءُ لم يدْنسْ من اللؤم عرضُه فكل رداء يرتديه جميلُ

وإن هو لم يَضْرَعْ عن اللؤم نفسَه فليس إلى حسن الثناء سبيل »

قال الشيخ فى شرحه « أصل الضرع — بفتح الراء — الذل والتخشع ، يقال ضرع له وإليه : استكان وخشع . فالمراد هنا : إن لم يمنع نفسه عن اللؤم ويغلبها » . قلت : والصواب « إن هو لم يضرح عن اللؤم نفسه » ، جاء فى اللسان ٣٥٧/٣ « الضرح : التنحية ، وقد ضرحه : أى نحاه ودفعه » .

٥ — (الفقرة ١٢٣٦) من شعر المرار الفقعسى يرثى أخاه بدراً :

تذكرنى بدرًا زعازعُ حَجْرَةٍ إذا عَصَفَتْ إحدى عَشِيَّاتِها الغُبْرِ

لم يشرح الشيخ كلمة زعازع . ولم ينظر فى معناها ، ومن أجل ذلك شرح كلمة : « حجرة » شرحًا يجافى الصواب ، فقال : « حجرة — بفتح الحاء وسكون الجيم : بلد باليمن » . و « الزعازع » : الشدائد ، جاء فى اللسان ٤/١٠ « يقال : كيف أنت فى هذه الزعازع : إذا أصابته شدائد الدهر » . و « الحجرة » بالفتح كما فى اللسان ٥ /١٨٧ « السنة الشديدة المجدبة ، القليلة المطر ، قال زهير :

إذا السَّنة الشبهاء بالناس أجْحَفَتْ ونال كرام المال فى الحجرة الأَكْل

الحجرة : السنة الشديدة ، لأنها تحجر الناس فى البيوت » .

٦ — (الفقرة ١٢٧٥) من قصيدة الرحال فى هجاء زوجه :

فلا بارك الرحمنُ فى عَوْد أهلها عشيةَ زَفُّوها ولا فيك من بِكْر

شرح الشيخ البيت بقوله « يقول : يا عجوز أهلها ، يريد أنه تزوج اثنتين ثيبًا وبكراً » وليس فى هذا البيت ولا فى أبيات القصيدة كلها ما يشير إلى أن الشاعر تزوج اثنتين ثيبًا وبكراً ، ولا يعطى البيت أكثر من أن الشاعر يدعو على الفتاة البكر التى زفت إليه ، كما يدعو على « العَوْد » الذى حملها إليه ، والعَوْد : هو الجمل المسنّ وفيه بقية . وقد أكمل الدعاءَ فى البيت الذى يليه حيث يقول :

ولا باركَ الرحمنُ فى الرَّقْم فوقَه ولا باركَ الرحمنُ فى القُطُفِ الحُمْرِ

وواضح جدا أن الضمير فى قوله « فوقَه » يعود على العَوْد ، الذى هو الجمل .

٧ — (الفقرة ١٢٨٥) من قصيدة القطامى فى هجاء العجوز التى استضافها فأبت عليه :

إلى حَيْزَبُونٍ توقد النار بعدَ ما تَلَفَّعَتِ الظلماءُ من كل جانبِ

ضبط الشيخ همزة « الظلماء » بالضم ، والصواب فتحها ، كما فى ديوان الشاعر ص ٥٠ وأمالى ابن الشجرى ٢—٥٨ .

٨ — (الفقرة ١٢٨٥) من شعر القطامى :

سَرَى فى حَلِيك الليلِ حتى كأنما يُخَزِّمُ بالأَطْرَاف شَوْكُ العقارب

والصواب « فى جليد الليل » كما فى ديوانه ، وقال شارحه « يقول : أصاب أطرافه الجليد ، فكأن شوك العقارب تخزمت أطرافه » ، وفى اللسان ١٥—٦٦ : « وتخزم الشوكُ فى رجله : شكها ودخل فيها ، قال القطامى :

سَرَى فى جليد الليل حتى كأنما يُخَزِّمُ بالأطراف شوكُ العقارب

وكذلك روى الشطر الأول فى أمالى ابن الشجرى ، وفى بعض نسخ الشعر والشعراء ، كما ذكر دى غوية .

٩ — (الفقرة ١٢٨٥) يقول القطامى فى القصيدة نفسها :

فلما تنازعنـــا الحديثَ سألتُها من الحَيُّ؟ قالت: معشرٌ من مُحَارِب

من المشترين القِدَّ مما تَرَاهُمُ جياعاً ورِيفُ الناسِ ليس بناضبِ

والصواب « من المشتوين القد » جاء فى اللسان « . . . . وفى حديث عمر : كانوا يأكلون القدّ ، يريد جلد السخلة فى الجدب »

١٠ — (الفقرة ١٣٥٠) فى ترجمة العمانى « ودخل على الرشيد لينشده وعليه قلنسوة طويلة وخف ساذَج ، فقال له : إياك أن تنشدنى إلا وعليك عمامة عظيمة الكَوْر ، وخُفَّان دِ لِقْمان » . قال الشيخ فى تعليقه : « لا أدرى ما معنى هذا الوصف ؛ فإن الدلقم بكسر الدال ، وسكون اللام وفتح القاف : هى المرأة الهرمة والناقة التى تكسرت أسنانها » والصواب « وخفان دمالقان » أى أملسان[1] .

١١ — جاء فى هامش بعض نسخ الشعر والشعراء أن ابن ميادة أخذ معنى بيت له من قول بلال بن حمامة :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة بواد وحولى إذخر وجليل

وعلق عليه الشيخ بقوله هامش (الفقرة ١٣٨٦) ولست أدرى من بلال بن حمامة هذا » . ولعل بلال بن حمامة هو بلال بن أبى رباح مؤذن الرسول ، قال ابن هشام فى السيرة ١ /٣٣٩ وهو بلال بن أبى رباح وكان اسم أمه حمامة . وقال ابن حجر فى الإصابة: « هو بلال بن حمامة وهى أمه » . وقد روى ابن إسحق بسنده عن عائشة أنها قالت فى خبر طويل . . . . وكان بلال إذا تركته الحمى اضطجع بفناء البيت ؛ ثم رفع عقيرته فقال :

ألا ليت شعرى هل أَبيتنَّ ليلةً بِفَخٍّ وحولى إِذْخِرٌ وجَلِيلُ
وهل أَرِدَنْ يوماً مياهَ مجنَّــةٍ وهل يَبْدُوَنْ لى شامةٌ وطفيل

وشامة وطفيل : جبلان بمكة « راجع سيرة ابن هشام ٢ /٢٣٩ ، وكذلك جاء فى السيرة الحلبية ٢ /١١١ والروض ١ /٥٣ وشرح غريب السيرة للخشنى ١ /١٤٦ .

---

(١) من أين هذا الصواب والجزم به ، دون نقل عن مصدر معين ؟ ! أحمد محمد شاكر .

١٢ — (الفقرة ١٤٠٨) في ترجمة مالك بن أسماء « وكان أخوه عيينة هوى جارية لأخته هند ، فاستعان بأخيه على أخته ، وشكا إليه ما به ، فقال مالك :

أعُيَيْنَ هلاَّ إذْ شَغفت بها   كنت استعنتَ بفارع العقل »

هكذا ضبط الشيخ « شغفت » بفتح الشين ، والصواب ضمها ، جاء في اللسان ١١ : ٨١ « وشغف بالشيء على صيغة ما لم يسم فاعله : أولع به ، وشغف بالشيء شغفاً على صيغة الفاعل : قلق » ..

السيد أحمد صقر

صَدَى النقد

تعقيب على نقد

ودرس للمنقود قبل الناقد

أعتذر للأخ الأستاذ السيد صقر عن تأخير التحية له بمناسبة نقده إياى . وكلنا طالب علم ، وكلنا طالب حقيقة ، وكلنا رائد معرفة ؛ ونرجو أن يكون ذلك خالصًا لوجه الله وحده. وليس بعد الاعتراف اعتذار .

والأستاذ السيد أحمد صقر منى بمنزلة الأخ الأصغر ، نشأ معى ، وعرفته وعرفنى ، وتأدبنا بأدب واحد فى العلم والبحث ، وفى فقه المسائل ، والحرص على التقصى ما استطعنا .

فإذا ما نقد كتابى فإنما يقوم ببعض ما يجب عليه نحو أخ أقدم منه سنًّا ، ويراه هو أنه أكثر منه خبرة ، أو أوسع اطلاعاً . وما أدرى : أصحيح ما يراه ، أم هو حسن الظن فقط ؟ فإن له مدى مديداً فى الاطلاع والتقصى ، ونفذات صادقة فى الدقائق والمعضلات ، يندر أن توجد فى أنداده ، بل فى كثير من شيوخه وأستاذيه .

وقد نقد الكتاب الذى أخرجته بتحقيقى « الشعر والشعراء لابن قتيبة » فى مقالين بمجلة « الكتاب » الغراء فى عدد يونية سنة ١٩٤٦ بعد ظهور الجزء الأول ، ثم فى عدد ديسمبر سنة ١٩٥٠ بعد ظهور الجزء الثانى .

وما أحب أن أدير مناظرة أو جدالا حول المآخذ التى أخذها علىّ . فما زعمت قط وما زعم لى أحد أنى لا أخطئ ، وكلنا نخطئ ونصيب . ثم هو قد يكون أنفذ بصراً منى فى « الشعر » وما إليه بل هو كذلك فيما أعتقد . وليس وراء الجدال من فائدة ، إلا المراء ، وقد نهينا عنه أشد النهى .

وقد عتب علىّ الأستاذ السيد صقر أن لم أف بوعدى له بنشر نقده للجزء الأول فى آخر الجزء الثانى . وله العتبى فى ذلك ، وقد أشار هو إلى بعض عذرى :

أن مشاغلى حالت دون الوفاء بما وعدت ، وقد صدق . فإنى وعدته وحرصت على الوفاء بوعدى ، ثم أنسيته حين رجوت أخى الأستاذ عبد السلام هرون أن يتم الكتاب فى أواخر الجزء الثانى ، إذ اعتزمت السفر مع أهلى إلى الحج . فشغلنى ذلك عن كل شىء ، حتى أنسانى ما وعدته به .

ووعدٌ بوعد : فكما وعدت الأستاذ السيد صقر بنشر نقده الجزء الأول فى آخر الجزء الثانى ، وعدنى هو — بعد رجائى — أن يقابل النسخة المطبوعة بتحقيقى على النسخ المخطوطة التى أشار إليها فى مقاله الأول ، وعلى ما قد عساه يوجد من مخطوطات أخر من الكتاب ، ويثبت ما يجده من تصويب أو اختلاف ، تمهيداً لتحقيق الكتاب مرة أخرى ، لنخرجه فى الطبعة القادمة إن شاء الله متعاونين مشتركين . حتى نؤدى الأمانة حقها . ولعله حريص على الوفاء إن شاء الله[1] .

ولقد زعم كثير من إخواننا ، ووصل إلىّ ذلك : أنى ضقت بنقد الأستاذ السيد صقر فى المرتين . وما أظن الذى زعم ذلك أو توهمه يعرف شيئاً من خلقى . فما ضاق صدرى بشىء من نقد قط ، لأنَّ أوقسا ، والعلم أمانة .

بل إنى لأرى أن الضيق بالنقد والتسامى عليه ليس من أخلاق العلماء ، وليس من أخلاق المؤمنين . إنما هو الغرور العلمى ، والكبرياء الكاذبة . وحسبنا فى ذلك قول الله تعالى : (وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم) . وما قال أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب ، إذ ردّت عليه امرأة ، وهو على المنبر يخطب خير مجتمع ظهر على وجه الأرض ، قال كلمة صريحة بينة : « امرأة أصابت ورجل أخطأ » . لم تأخذه العزة بالإثم ، وتسامى على الكبرياء والغرور العلمى . وعمر هو عمر .

ثم ما هذه الفاشية المنكرة التى فشت بين المنتسبين للعلم ؟ سأتحدث عن نفسى مضطرا حتى لا أمَسّ غيرى :

أنا أرى أن من حقى أن أنقد من أشاء ، وأن أقسو فى النقد ما أشاء ، فمن ذا الذى يزعم لى ، أو يزعم لنفسه ، أن ينقد الناس ، وأن يقسو عليهم فى النقد ، ثم يرى من حقه عليهم أن لا ينقدوه ، وأن لا يتحدثوا عنه — إن أذن لهم فى الحديث —

---

(١) وهو إلى الآن لم يفعل . أحمد محمد شاكر .

إلا برفق ولين ومَلَق ونفاق ، مما يسمونه فى هذا العصر العجيب « مجاملة » ! !

لقد رجوت الأستاذ السيد صقر أن ينقد الجزء الأول من « الشعر والشعراء » حين صدوره ، وقرأت نقده قبل أن يطبع فى مجلة « الكتاب » الغراء ، ولم أجد فى هذا غضاضة علىّ قط . وإن كثيراً من إخوانى ليعرفون هذا الذى أقول ، وقد عجبوا منه فى حينه ، ولم أره موضعًا للعجب . ثم رجوته أن ينقد الجزء الثانى حين صدوره أيضًا . ولم أر فى نقده ما يمسنى من قريب أو من بعيد .

وهذا رأيى الذى رُبيت عليه واعتنقته طول حياتى : أن لى أن أنقد آراء الناس فى حدود ما أستطيع من علم ، وأن لهم أن ينقدوا آرائى فى حدود ما يستطيعون من علم .

وسأذكر بعض المُثل ، عسى أن يكون فيها عظة وعبرة :

يذكر الناس ما يدور كل عام مراراً من جدال حول إثبات أوائل الشهور العربية : أبالرؤية أم بالحساب . وكتب الناس فى هذا كثيراً ، وكتبت مراراً . وكان من رأيى التمسك بالرؤية وحدها ، وكان هذا رأى والدى الشيخ محمد شاكر رحمه الله ، وكتب فيه وشدد . ثم بدا لى غير ذلك ، فى حياة أبى . فنشرت رسالة صغيرة فى شهر ذى الحجة سنة ١٣٥٧ (فبراير سنة ١٩٣٩) ، اسمها « أوائل الشهور العربية » . وكان مما قلت فيها (ص ١٥) بالحرف الواحد : « لقد كان للأستاذ الأكبر الشيخ المراغى — منذ أكثر من عشر سنين ، حين كان رئيس المحكمة العليا الشرعية — رأى فى رد شهادة الشهود ، إذا كان الحساب يقطع بعدم إمكان الرؤية ، كالرأى الذى نقلته هنا عن تقى الدين السبكى . وأثار رأيه هذا جدالا شديداً ، وكان والدى وكنت أنا وبعض إخوانى ممن خالف الأستاذ الأكبر فى رأيه . ولكنى أصرح الآن بأنه كان على صواب ، وأزيد عليه وجوب إثبات الأهلة بالحساب ، فى كل الأحوال ، إلا لمن استعصى عليه العلم به » . فلم أجد غضاضة على والدى رحمه الله — فى علمه وفضله الذى يعرفه الجم الغفير من الناس — أن أعلن فى كتاب منشور خلاف رأيه ورأيى ، والردّ عليه وعلى نفسى .

بل أنا أخرج منذ بضع سنين ، كتاب (المسند) للإمام أحمد بن حنبل ، بتحقيقى وشرحى ، وقد أخرجت منه إلى الآن ٨ مجلدات[1] ، رأيت بعد إتمام المجلد

---

(١) صارت الآن ١٥ مجلداً ، وأسأل الله التوفيق لإتمامه . أحمد محمد شاكر .

الثانى منها أنه فاتنى شىء كثير ، من الشرح والتخريج ، ومن التحقيق والتعليل ، وأنه ندت عنى أخطاء علمية مهمة ، وأن مثل ذلك سيكون فى الأجزاء القادمة ، مهما أحرص على أن لا يكون . وأن الأمانة أن أبين كل شىء ما استطعت . فاستحدثت فى آخر الجزء الثالث ، ثم فى آخر كل جزء ظهر أو سيظهر إن شاء الله، بابًا فى « الاستدراك والتعقيب » ، رجوت فى أوله إخوانى من علماء الحديث فى أقطار الأرض أن يرسلوا لى كل ما يجدون من ملاحظة أو استدراك أو تعقيب أو بحث . وجعلت لهذه الاستدراكات أرقامًا متتابعة . وقد بلغ عدد الأحاديث التى نشرت فى المجلدات السبعة ٥٥٨٠ حديثًا ،وبلغ عدد الاستدراكات عليها ، التى نشرت فى آخر المجلد الثامن ١٧٨٩ استدراكًا ، كلها مما تعقبته على عملى ونقدته .

إن كثيراً من الناس تغرهم المناصب والرتب ، وتخدعهم الألقاب العلمية الضخمة . وما كان شىء من هذا ميزانًا صحيحًا للعلم . ولقد نقدت كثيراً من أمثال هؤلاء ، فتعاظموا واستكبروا ، فمنهم من أنف أن يرد على ، ومنهم من سلط بعض أذنابه يشتمنى ، فما عبأت بهذا ولا بهذا ، لا استكباراً ولا تعاظمًا ، ولكن لأنى طالب علم ورائد حقيقة ، ولكن لأنى لم أضع نفسى فى موازينهم قط .

ومثال آخر من أروع الأمثلة فى آداب المتقدمين من الأئمة :

هذا ابن حزم الإمام العظيم ، وكل من سمع به يعرف قسوة قلمه ، وبديع نقده ، وطريف تشنيعه إذا ما بدا له أن يشنع على خصم . بحث بحثًا فقهيًا فى (المحلى) ، ليس من مجال القول هنا أن نفصله . فذكر فيه (٦ : ٦٦ — ٧٤) مسئلة استدل فيها بعض العلماء بحديث رواه ابن وهب عن جرير بن حازم عن أبى إسحق عن عاصم بن ضمرة والحرث الأعور عن على . ثم رد صحة الحديث بأن جرير بن حازم قرن فى الإسناد بين عاصم بن ضمرة ، وهو ثقة ، وبين الحرث الأعور ، وهو كذاب ، وقال (ص ٧٠) : وكثير من الشيوخ يجوزعليهم مثل هذا ، وهو أن الحرث أسنده ، وعاصم لم يسنده ، فجمعهما جرير ، وأدخل حديث أحدهما فى الآخر » . وغلا ابن حزم غلوًّا شديداً بعد ذلك ، فقال : « هو حديث هالك . ولو أن جريراً أسنده عن عاصم وحده لأخذنا به » .

وابن حزم كان يؤلف قبل عصر المطبعة ، وكتابه فى يده ، فكان مستطيعاً إذا شاء أن يعرض عما كتبه كله فى هذه المسئلة الطويلة ، ويستأنف كتابتها على النحو الذى يريده بعد أن تغير اجتهاده وتغير رأيه . ولكنه أبى إلا أن يبقى ما كتب على ما كتب ، ثم يرد على نفسه ، على طريقته وبقوته ، فيقول فى آخر المسئلة (ص ٧٤) : « ثم استدركنا فرأينا أن حديث جرير بن حازم مسند صحيح لا يجوز خلافه ، وأن الاعتلال فيه بأن عاصم بن ضمرة أو أبا إسحق أو جريراً خلط إسناد الحرث بإرسال عاصم — هو الظن الباطل الذى لا يجوز . وما علينا من مشاركة الحرث لعاصم ، ولا لإرسال من أرسله ، ولا لشك زهير فيه شىء . وجرير ثقة ، فالأخذ بما أسنده لازم » .

وهذا الجزء من (المحلى) طبع منذ أكثر من عشرين سنه ، سنة (١٣٤٩ هجرية) بتحقيق . وقد كتبت فيه تعليقاً على صنيع ابن حزم هذا ما نصه : « لله در أبى محمد بن حزم ، رأى خطأه فسارع إلى تداركه ، وحكم بأنه الظن الباطل الذى لا يجوز . وهذا شأن المنصفين من أتباع السنة الكريمة وأنصار الحق ، وهم الهداة القادة . وقليل ما هم » .

وأظن فى هذا مقنعاً لمن أراد أن يقتنع أو يهتدى .

أحمد محمد شاكر



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . وصلى الله على محمد عبده ورسوله ، سيد ولد آدم ، خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

هذا الكتاب

من مصادر الأدب الأولى ، ومما أبقى إلنا حَدَثانُ الدهر من آثار أئمتنا الأقدمين . ألّفه إمام ثقة حجة من أوعية العلم . ترجم فيه « للمشهورين من الشعراء ، الذين يعرفهم جُلُّ أهل الأدب ، والذين يَقَعُ الاحتجاجُ بأشعارهم فى الغريب ، وفى النحو ، وفى كتاب الله عز وجل ، وحديثِ رسول الله صلى الله عليه وسلم » . وهذا الذى قصد إليه ، « فأما من خَفِىَ اسمُه ، وقلَّ ذكرُه وكَسَدَ شعرُه ، وكان لا يعرفه إلاّ بعضُ الخواصّ ، فما أقلَّ من ذكرتُ من هذه الطبقة . إذ كنتُ لا أعرف منهم إلا القليل ، ولا أعرفُ لذلك القليل أيضًا أخباراً » كما قال هو فى خطبة كتابه (ص ٣ — ٤) . وقدّم له بمقدمة تنطوى على أبواب فى : أقسام الشعر ، وعيوب الشعر ، والإقواء ، والإكفاء ، والعيب فى الإعراب ، وأوائل الشعراء .

وأول ميزة يراها القارئُ المتأمل فى الكتاب أن اختيارَ المؤلف لبعض شعر الشاعر اختيارُ عالم بالشعر عارف به فقيه فيه ، فهو يختار فيحسن الاختيار ، وينقد فيحسن النقد ويجيد ، ويوازن بين الشعراء فيقيم الوزن بالقسط ، لا يَحيد ولا يَميل .

وخيرُ ما ندلُّ به على منزلة هذا الكتاب من العلم ، وعلى فائدته للعلماء والمتأدبين ، أن نخرجه إليهم إخراجًا صحيحًا متقنًا ، وعلى ما أستطيع بجهدى القاصر ، بأنى رجل جلُّ اشتغالى بعلوم الحديث والقرآن ، إلّا أنى أرى أن الأدب والشعر هما أكبر عون فى فقه القرآن ، والسنة . وما أستطيع أن أزعم أنى أهل لمثل هذا العمل : إلا أن أبذل ما فى وسعى ، والتوفيق والعون من الله .

ولم يكن هذا الكتاب معروفاً على وجهه للعلماء والمتأدبين ، إلاّ قليلاً منهم . ذلك أن نسخه المخطوطة فى مصر نادرة ، فليس منها فى دار الكتب المصرية إلا نسختان ، إحداهما « مخطوطة بقلم معتاد ، بخط يحيى بن محمد بن لونيس بن القاضى المغربى الزواوى ، نقلها من نسخة مخطوطة محفوظة بالقسطنطينية المحروسة فى دار كتب راغب باشا ، وفرغ من كتابتها لثلاث ليال خاون من شهر رجب سنة ١٢٨٦ هـ بهامشها بعض تقييدات » ، والأخرى « بخط عيسى بن محمد بن سلمان ، فرغ من كتابتها ظهر يوم الاثنين الثالث من شهر جمادى الآخرة سنة ١٠٥٩ هـ . بها ترقيع وأكل أرضة وتلويث ، وبهامشها تقييدات » ، كما جاء وصفهما فى فهرس دار الكتب ، وهما برقمى (٥٥٠ ، ٤٢٤٧أدب) . ومخطوطاته الأخرى فى دمشق وبرلين وباريس وفينا وليدن . وطبع الكتاب فى ليدن سنة ١٨٧٥ م ، ثم طبع فيها مرة أخرى سنة ١٩٠٢ م . وهذه الطبعة قليلة نادرة ، والأولى أقل منها وأشد ندرة . ثم طبعه السيد محمد أمين الخانجى رحمه الله فى سنة ١٣٢٢ هـ (= ١٩٠٤ م) مع بعض تعليقات للسيد محمد بدر الدين النعسانى ، وهى نسخة مختصرة غير كاملة . ولقد كنتُ عجبتُ من ذلك حين وقعتْ إلىّ طبعة ليدن الثانية ، فسألت السيد الخانجىّ رحمه الله ، وهو الخبير بالكتب العارف بها ، فاعتذر لى بأنه طبعه عن نسخة دار الكتب المصرية ، وأنه لم يكن قد وصل إليه خبر عن طبعة ليدن . وفى معجم المطبوعات لسركيس (ص ٢١٢) أنه طبع أيضاً فى الآستانة سنة ١٣٢٢ هـ وفى مطبعة الفتوح الأدبية بمصر سنة ١٣٣٢ هـ (= ١٩١٤ م) ولم أر هاتين الطبعتين . ثم طبعه فى سنة ١٣٥٠ هـ (١٩٣٢ م) محمود أفندى توفيق بمطبعة المعاهد بمصر ، وصححه وعلق حواشيه صديقنا الأديب العلامة الأستاذ مصطفى السقا ، واعتذر فى مقدمته بأنه لم ير الطبعة الأوربية إلاّ حين كاد يفرغ من تصحيح الملزمة الثامنة عشرة من طبعته ، أى حين أتمّ نحو ثلاثة أرباع الكتاب ، وهذه الطبعة مختصرة غير كاملة ، مثلها مثل طبعة الخانجى ، لا تزيد عليها إلاّ قليلاً .

وقد وفق الله أخانا الأستاذ محمد أفندى الحلبى ، صاحب « دار إحياء الكتب العربية » بمصر ، لاختيار نشر هذا الكتاب ، فعهد إلىّ أن أحققه وأشرحه ،

فاعتزمت ذلك مستعيناً بالله متوكلاً عليه .

واعتمدت فى تحقيق الكتاب على طبعة ليدن سنة ١٩٠٢ وكانت عندى منذ عهد بعيد ، أقرؤها وأرجع إليها عند الحاجة . ولم أضن بها عن التمزيق بين يدى الطابعين ، إذ لم نجد منها نسخة أخرى نشتريها ، وكانت الحرب الأخيرة الفاجرة المدمرة دائرة ، فلم نستطع أن نطلب نسخة أخرى من أوربا . وقاسينا ما قاسينا حتى صرح لنا بهذا الورق الذى تراه ، والذى لم يكن لنا فى اختياره خيار .

ومطبوعة ليدن التى اعتمدناها حققها المستشرق « دى غوية » ، وكتب لها مقدمة جيدة ، وأثبت فى هوامشها اختلاف النسخ المخطوطة التى وقعت له واعتمد عليها فى طبعته ، وكَتَبَ كل ذلك باللغة اللاتينية ، ورمز للنسخ المخطوطة بحروف لاتينية أيضًا .

وقد تفضل الأديب الفاضل الأستاذ وهيب كامل ، المدرس بكلية الآداب بجامعةالقاهرة ، بترجمة المقدمة والاصطلاحات إلى اللغة العربية ، فأعانى عوناً كبيراً على هذا العمل الشاق ، يعجز لسانى عن وفائه حقه من الشكر .

والمستشرق « دى غوية » — كما يبدو لى من عمله فى الكتاب — من أواسط المستشرقين ، ليس من أعليائهم أمثال « ريط » الذى حقق كتاب الكامل للمبرد ، و « بيفان » الذى حقق نقائض جرير والفرزدق ، و « لَيَّال » الذى حقق شرح المفضليات لابن‌الأنبارى .ولا هو من‌ضعفائهم أمثال « ألورد » و « مرجليوث » ، ولكنه بين بين ، فإنه حقق الكتاب تحقيقاً لا بأس به ، ولكنه أخطأ فيه فى مواضع ليست بالقليلة ، نبهت إلى كثير منها فى مواضعها ، وأعرضت عن بعضها . ومن أعجب هذه الأغلاط : أن بعض الناس كتب بهامش إحدى نسخ الكتاب زيادةً نقلها عن « أبى على فى النوادر » : والظاهر أن بعض الناسخين أدخلها فى صلب الكتاب . فجاء مجهول آخر ، وكتب بهامش إحدى النسخ ما يفيد أن أبا علىّ هذا هو قطرب ، فرجح ذلك لدى « دى غوية » فأثبته فى فهارس الكتاب ؟ وفاته أن هذا خطأ واضح بل خلط ، على الرغم من أن « قطرباً » يكنى « أبا على » وأن له كتاباً اسمه « النوادر » . لسبب واحد يدرك للوهلة الأولى من البحث ، وهو أن نص الزيادة أوله : « قال أبو علىّ فى النوادر : قرأت هذه القصيدة على أبى بكر

ابن دريد » إلخ . وابن دريد ولد سنة ٢٢٣ وقطرب مات سنة ٢٠٦ ! ! فليس من المعقول أن يقرأ أحدهما على صاحبه ، وليس من المعقول أن يقرأها المتقدم على المتأخر قبل أن يولد !! (انظر ص ٣٢٧ من طبعة ليدن ، ص ٤٩٤ من طبعتنا هذه) . ولكنه على كل حال أخرج الكتاب إخراجاً جيداً يشكر عليه .

وقد وضع « دي غوية » للكتاب فهرسين للأعلام والأماكن فقط ، لم يخلوا من خطأ وقصور ، وإن أفادا الباحث فوائد جمة ، ويسَّرا له سبل البحث والاستدلال .

فرأيت أن أتدارك ذلك كله . فأحقق متن الكتاب تحقيقاً أقرب إلى الصواب ، بتخير أصح النسخ التي أشار إليها المستشرق ، ومراجعة نصوصها على ما أستطيع مراجعته من المصادر ، خصوصاً المصادر التي تنقل عن هذا الكتاب ، ودواوين الشعر التي يُسِّرَت لي . وأن أشرح غريبه شرحاً مقارباً ، تقريباً لهذا الأدب العالي . والشعر المتين الرصين ، إلى الطبقة المتعلمة المثقفة في الأمة العربية ، التي نهضت أعظم نهضة لإحياء دولة العرب ومجد العرب ، ومن حولها الذئاب تنهش وتشتجر . وجعلت عمدتي في شرح الغريب الديوان الأعظم « لسانَ العرب » ، وحرصت على أن أثبت نصوصه بحروفها ، في الأكثر الأغلب ، إذ هي نصوص الأئمة الأولين ، أمثال أبي عُبيدة ، وأبي عُبيد ، والأصمعي ، وأبي حنيفة ، من أساطين اللغة وحفظة البيان ، نقلها ابن منظور عن المؤلفين قبله : الأزهري ، والجوهري ، وابن سيدة ، وابن الأثير ، وابن بَرِّي ، وحرص على ألفاظهم ، فحرصت كما حرص . ولم أنصّ على ذلك في كل موضع ، اكتفاء بالإشارة إليه هنا ، إلا أن يقتضي البحث أو السياق أن أنص على مصدر النقل .

ولم أثبت كل الاختلاف بين النسخ المخطوطة التي كانت بين يديْ « دي غوية » إذ لم تكن بين يديّ ، ولم يكن من الميسور في هذه الظروف التي تنشر فيها الكتاب أن نحصل عليها . وعسى أن أستطيع بعد ظهور هذه الطبعة الحصول على مصورات فتغرافية منها ، فأحقق نصوصها عن عيان في طبعة قادمة ، إن شاء الله .

واجتهدت في تخريج ما في الكتاب من شعر وغيره ، على ما وسعه جهدي ، أي بيان أماكن وجوده في الكتب الأخرى ، على نحو اصطلاح المحدّثين في

« تخريج الأحاديث » وفى هذه فائدة كبيرة للباحث المتحقق . ولكنى لم أثبت اختلاف الروايات إلاّ قليلاً عند الضرورة القصوى ، فلو تتبعت ذلك والتزمته طال الأمر جداً ، والورق قليل والعقبات جمة .

ووضعت بالهامش أرقام صحف طبعة ليدن بالأرقام الإفرنجية ، وهى الأرقام العربية الأصلية ، أخذها الإفرنج عن عرب الأندلس والمغرب ، ولا تزال هى المستعملة عند أهل المغرب إلى الآن . وفى ذلك فائدتان : أولاهما ، أن نستطيع الإرشاد فى التعليقات إلى ما سيأتى من الكتاب ، بالإشارة إلى موضعه فى تلك الطبعة ، فيستطيع قارئ طبعتنا أن يصل إليه . وثانيتهما ، وهى أهمهما ، أن تلك الطبعة مكثت مرجع الأدباء والباحثين أكثر من أربعين سنة ، يشيرون إلى صحفها فى كتبهم وأبحاثهم وتعليقاتهم ، فلولا أن أثبتنا أرقام تلك الصحف ، لقد شققنا على القارئ والباحث ، إذ يريد أن يرجع إلى النص الذى يشار إليه فى هذا الكتاب ، ولا يجد طبعة ليدن ، أو يجدها ولا يرى أن يقتنيها . وصنعتُ له فى آخر الجزء الثانى فهارس جمة متقنة : للكتاب على أبوابه ، والأعلام عامة ، والأماكن ، وللقوافى ، ولأيام العرب ووقائعها ، والفهرس المهمّ العظيم ، فهرس الألفاظ المفسرة فى الكتاب ، فإنه معجم نفيس ، لا لما فيه من شرح الغريب ، فإنه فى متناول كثير من الناس ، بكثرة كتب المعاجم ، ولكن لدلالته على الاستعمالات ومواقع الكلام ومناحى البلاغة ، فإن فى نصوصه علماً جمّاً لا تجده فى « لسان العرب » وهو أوسع المعاجم .

وأتبعتُ ذلك بجريدة المراجع ، وهى أسماء الكتب التى رجعت إليها فى عملى ، لتعيين طبعاتها ، إذ أذكر صفحاتها فيما أسنده إليها ، ليستطيع القارئ أن يتوثق مما نقلتُ إن أراد ، ويتوسع فى البحث إن علَتْ به همتُه ، حتى لا يضلّ بين مختلف الطبعات . وفى هذه الجريدة قليل من الكتب ذكرها ابن قتيبة فى هذا الكتاب ، فأشرت إلى موضع ذكرها فيه .

وها هماذان مقدمة « دى غوية » ووصفه للمخطوطات التى طبع عنها الكتاب ، بترجمة الأستاذ وهيب كامل أثبتهما بنصهما .

المقدمة اللاتينية

التى كتبها المستشرق دى غوية
ترجمة الأستاذ وهيب كامل

ليس لدىّ من المادة ما يمكننى من التحدث بإسهاب عن العالم البعيد الشهرة أبى محمد بن قتيبة (المتوفى سنة ٢٧٦ أو قبلها ببضع سنوات) . أما كتابه « الشعر والشعراء » الذى أنشره الآن فقد اشتهر بين العلماء من مخطوطة فينا . وترجم نُلْدِكَة مقدمته إلى اللغة الألمانية سنة ١٨٦٤ ، ونشر « رِيتَرْهَوْزِن »[1] متنه مع ترجمة هولاندية فى سنة ١٨٧٥ . و « رِيتَرْهَوْزِن » هذا اعتمد فى ترجمته على المخطوطة التى كانت فى حوزة شيفر . والنص فى مخطوطة شيفر هذه يتفق مع مخطوطة فينا فى كل المواضع تقريبًا ، ويتفق كذلك مع النسخة التى أثبتَ بعضها سُوكِين ، وأثبتَ بعضها الآخر أحد الشرقيين فى دمشق ، معتمدين على المخطوطة التى كانت فى حوزة مصطفى أفندى السباعى . وقد أعطاها العالمان العظيمان بريم وسُوكِين هديةً إلى مكتبة لَيْدِن .

ونص هذه النسخة يختلف فى مواضع كثيرة مع مخطوطة فينا ، وهو فى الغالب أغزر منها مادةً بكثير . فمثلاً يذكر ابن خلكان موضعًا من كتاب « الشعر والشعراء » فلا نجده فى مخطوطة فينا ولكنا نجده قد ورد فى هذا النص .

وقد حمل هذا الاقتضاب نُلْدِكَة على الظن أن مخطوطة فينا تشتمل على مختصر لمؤلف ابن قتيبة . وقد أخذ ألورد بهذا الرأى وأثبته فى كتالوج برلين (الجزء السادس ص ٤٧٤ وما بعدها) وفى وصفه للمخطوطة ، التى تتفق مع نسختنا غاية الاتفاق .

ولكنى أخالفه فى هذا الرأى : ذلك بأنه يوجد فى مخطوطة فينا مسائل كثيرة لا توجد فى مخطوطة لَيْدِن (البرلينية) ، وهما حينما تتناولان مسألة بعينها ، تستعملان

---

[1] كتب اسمه فى فهرس دار الكتب المصرية (ج ٣ ص ٢٤٣ من الطبعة الجديدة) وفى معجم المطبوعات لسركيس (ص ٢١٢) « ريترسموزن » وهو خطأ .

عبارات مختلفة . ومخطوطة القاهرة — والإجماع على أنها تتفق فى الغالب الأعم مع مخطوطة ليدن — تختلف عن مخطوطة ليدن فى مواضع غير قليلة ، وفى هذه المواضع إما أن تتفق مع مخطوطة فينا ، وإما أن تأتى بعبارة جديدة ، كما حدث أحياناً .

ولذلك فالحقيقة فيما يبدو لى هى أن المؤلف أملى كتابه من كراسته فى فترات مختلفة ، فكان يستعمل فى كل مرة عبارات متغايرة ، ويضيف أحياناً عبارات من عنده ، ويهمل عبارات كان قد أملاها فى مرة سابقة . ونص بعض العناوين ، وخصوصاً فى الجزء الأول من الكتاب ، يختلف فى بعضها عن بعض فى مختلف المخطوطات ، إلى حد أنه ينبغى أن تنشر مستقلة . وذلك هو السبب عندى فى أنه لم يرد ذكر بعض الشعراء الممتازين ، فى حين أن شعراءَ أقلّ شأناً قد ظفروا من الكتاب بمكان يذكرون فيه .

ومن المعقول أن تكون روايات أخرى — بجانب الروايات التى وصلت إلينا — كانت موجودة فى وقت ما . وإنى لا أستطيع أن أصف محتويات إستنبول (من مكتبة راغب باشا) ولا مخطوطة بيروت ، اللتين وصفهما بروكلمان (١ : ١٢٢) . وإنى شديد الأسف لأنى لم أستطع أن أرجع إلى هاتين المخطوطتين ، ولا أن أقارن بينهما وبين مخطوطة القاهرة .

وللفرنسيين فى ذلك مثلٌ صائب : « الأحسن عدوّ الحسن » ولو أنى فرضت على نفسى أداء هذا الواجب لكان ظهور هذه الطبعة من الكتاب أمراً مشكوكاً فيه . فإذا كنت غير قادر على إخراج هذا الكتاب فى صورة مثالية بغير الرجوع إلى هاتين المخطوطتين ، فإنها الضرورة تضطرنى إلى ذلك .

ولقد استخرج ريترهوزن نسخةً من مخطوطة فينا ، وراجعت أنا النسخة والمخطوطة الواحدة على الأخرى ، وبعد ذلك راجع ريترهوزن مخطوطة شيفر كذلك . ووصف نلدكة مخطوطة فينا وأرسل إلىّ صورة منها ، فاستطعت — بالاعتماد على هذه الصورة — أن أصلح قليلاً من الأخطاء . والأصل فى هذه الطبعة هو نسخة ليدن ، لأن النصّ فيها جيد غالباً . ولقد قارنت بينها وبين برلين ، والنصّ فيها أقلّ جودة ، ولكنها كانت ، على أى حال ، مفيدة فى كثير من الأحيان ، وليس هناك نسخٌ من هذه المخطوطة . وبالرغم من أن الخطأ قد يتكرر فيهما وتسقط

قطعٌ منهما جميعاً إلا أنهما تنفقان إلى حدٍّ بعيد . أما مخطوطة القاهرة فقد تناولتها في الملاحظة على النص (ص ١) والقراءة المخالفة التى ترد فى أية مخطوطة أخرى منصوص عليها فى هامش هذه النسخة .

ويقتبس كتاب « خزانة الأدب » مواضع كثيرة من كتابنا (يعنى الشعر والشعراء) ، وكثيراً ما يكون ما يقتبسه متفقاً مع نص مخطوطة فينا . ومن ناحية أخرى ، نجد مؤلف الأغانى يعتمد على نسخة أطول ، ولكنها تتفق مع مخطوطة ليدن . ويحدث مرة أو مرتين أن تكون القطعة بعينها مقتبسة فى الخزانة وفى الأغانى . (انظر مثلاً ص ٣٩٠ ب) .

ولقد بذلت قصارى جهدى فى مراجعة كل المواضع التى اقتبسها المؤلفون المختلفون من هذا الكتاب ، ولكنى أخشى أن يكون قد فاتنى موضع أو موضعان . فليسامحنى القارئ .

ويذكر الفهرست (ص ٧٧ وما بعده) كتابنا هذا تحت عنوان « الشعر والشعراء » . ولكنه (أى الكتاب) يسمى « كتاب طبقات الشعراء » فى هامش مخطوطتى برلين وليدن ، وكذلك فى عنوان مخطوطة القاهرة .

ولقد لاحظ ألورد بحق أن الشعراء — ولو أنهم ليسوا مرتبين بدقة فى طبقات — مقسَّمين بحسب قدرة الشاعر الفنية ، أو بحسب القبائل أو أو إلخ إلخ . وإذن يكون عنوان « طبقات الشعراء » مناسباً للكتاب . ولكن إذا التفتنا إلى التصدير الذى يقول فيه المؤلف إنه ألَّف كتاباً فى الشعراء ، وإلى المقدمة التى يقول فيها إنه يبحث فى « طبقات الشعراء » ، ووضعنا إلى جانب هذا ما جاء فى كتاب المعارف (ص ٣١٩) حيث يسمى الكتاب « كتاب الشعراء » ، ونظرنا إلى « عيون الأخبار » حيث يسمى الكتاب « كتاب الشعر » ، وهذا العنوان من الجائز جداً أن يكون اختصاراً لعنوان « كتاب الشعر والشعراء » ، لرجحنا أن يكون المؤلف نفسه قد سمَّى كتابه كما جاء فى الفهرست . ويسمَّى الكتاب فى ملاحظة على « المحاسن » للجاحظ ص ١٨٤ « أخبار الشعراء » والعنوان فى مخطوطة بيروت « ديوان الشعر والشعراء » (انظر المجلة الآسيوية سنة ١٨٩٤ الجزء الثانى ص ٢٠٧ ملاحظة ٢) .

وكتابنا — على ما ورد فى مقدمة كتاب عيون الأخبار — واحدٌ من سلسلة

كتبها المؤلف على طريقة الطبقة الممتازة من الكتّاب . فبعد أن أخرج كتابه المشهور « أدب الكتاب » ، الذى علّم فيه الكتّاب فن الكتابة حقاً ، رأى أن هذا النحو من التعليم لا يكفى ، وأن الكتّاب تنقصهم معلومات متنوعة ، فأخرج أربعة كتب مختلفة الموضوعات ، مما كان قد وعاه فى ذهنه ثم ألّف كتابه الكبير « عيون الأخبار » .

والكتب الأربعة هى : « كتاب الشراب » ، و « كتاب المعارف » ويعرف فى طبعه وستنفلد « بالكتاب التاريخى » ، و « كتاب الشعر » وهو كتابنا هذا ، و « كتاب تأويل الرؤيا » ويسميه الفهرست « كتاب تعبير الرؤيا » . والفهرست يسمى « كتاب الشراب » « كتاب الأشربة » (ص ٧٨) . وهذا الكتاب الأخير مذكور فى كتابنا مرتين : الأولى فى (ص ٨٩) بالعنوان الأول « كتاب الشراب » والثانية فى (ص ٥٤) بالعنوان الثانى « كتاب الأشربة » . وعلى ذلك يكون كتابنا متأخراً عن كتاب الشراب . وحيث إن كتابنا مذكور فى « كتاب المعارف » ، فكتاب المعارف إذن أحدث منه . وفى كتابنا يرد ذكر «كتاب العرب » (ص ٦) وكتاب « العرب فى الشعر » (ص ٣٥) . وفى موضع متقدم من هامش مخطوطة ليدن ترد ملاحظة أن ابن عبد ربه قد ذكر « كتاب تفضيل العرب » لابن قتيبة . ويظهر أن بروكلمان (١ : ١٢٢) كان على صواب فيما ذهب إليه من أن الفهرست (ص ٧٨) يشير إلى هذا الكتاب بالذات بعنوان : « التسوية بين العرب والعجم » . فإذا التفتنا إلى ما يقوله المؤلف عن محتويات هذا الكتاب (ص ٦) بدا لنا أن الأرجح أن نحصر تفكيرنا فى كتاب « معانى الشعر الكبير » (الفهرست ص ٧٧) . فمن هذا الكتاب أو من كتاب « عيون الشعر » (الفهرست ص ٧٧) قد أخذ قول ابن قتيبة الذى أورده شارح الأخطل (ص ١٤٤) وفى نص كتابنا (ص ٣٠٥) وما بعدها .

وبحسب ما جاء فى المزهر للسيوطى (الجزء الثانى ٣٤٥) فإن ابن قتيبة قد اتّبع الأصمعىّ فى تفسير معنى كلمة « المُخَضْرَم » . ويظهر من « عيون الأخبار » أن كتاب « معانى الشعر » متقدم حتى على هذا الكتاب .

وكثيراً ما يذكر المؤلف فى كتابنا « كتاب غريب الحديث » انظر (ص ٤٤٣)

وهذا المؤلَّف متقدم فى التاريخ على كتاب « مختلف الحديث » لأنه مذكور فى مقدمته .

وقد بذلت مجهوداً كبيراً فى إصلاح الأصول ومراجعتها ، ولكن الأخطاء لم تفارقها أبداً . فهى إما من سهو منى أو من الطابع . فإذا سمح الوقت ، أعدتُ طبع هذا الكتاب وتوخَّيت الدقة فى قراءة الأصول ومراجعتها مرات عديدة .

وصف النسخ المخطوطة

الذى كتبه « دى غوية » بهامش (ص ٢) من طبعته

ترجمة الأستاذ وهيب كامل

أصل الطبعة نسخة ليدن المخطوطة التى صححها « بريم » و « سوكين » من مخطوطة دمشق ، وأعطياها هدية لمكتبة ليدن ، ورُمز لها بحرف ﻫ .

وتتفق معها مخطوطة برلين ، ولكن هذه المخطوطة نادرة الشكل ، كثيرة الخطأ . ورُمز لها بحرف ب .

مخطوطة القاهرة تتفق معهما كثيراً ، وقد اعتمدها « هرتمن » ؛ ورُمز لها بحرف ﻫ .

ولكن مخطوطة فينا ، ورُمز لها بحرف ف ، ومخطوطة باريس التى كانت فى حوزة « شفرى » سابقاً ، ورُمز لها بحرف س ، تخالفان المخطوطة السابقة كثيراً مخالفة شديدة .

ومؤلف كتاب الخزانة اعتمد هذه النسخة دائماً ، أى نسخة القاهرة . فأخذتُ ما فى نسختَىْ فينا وباريس ووضعت زياداتهما بين قوسين هكذا (   ) .

* * *

ومن البديهى الواضح أن « دى غوية » يريد بنسخة القاهرة النسخة (رقم ٥٥٠ أدب) ، إذ أنها هى التى كانت موجودة بدار الكتب حين طبع الكتاب ، وهى التى ذكرت وحدها فى الطبعة الأولى من الفهرس المطبوعة سنة ١٣٠٧ ﻫ (ج ٤ ص ٢٨٠) . وأما النسخة الثانية (رقم ٤٢٤٧ أدب) فإنها لم تكن دخلت الدارَ إذ ذاك .

وقد زدتُ أنا بعض زيادات فى متن الكتاب ، قليلةً ، عند الضرورة ، ووضعتها بين معكفين هكذا [ ] وأشرتُ فى الهامش إلى المصادر التى أخذتْ منهـــا .

ولستُ لأنسى فضل أخى الأستاذ العلامة المتقن، ابن خالى، السيد «عبد السلام محمد هرون » بما أعاننى من جِـدّه وعلمه ، فى كثير من مشكلات الكتاب ، وفى قراءة كثير من تجاربه .

وهذا المؤلفُ

ابن قُتَيْبَة

٢١٣ — ٢٧٦

[وقد كنت فى عنفوان الشباب ، وتطلب الآداب ، أحب أن أتعلق من كل علم بسبب ، وأن أضرب فيه بسهم] .
ابن قتيبة : تأويل مختلف الحديث ٧٤ .

علم من أعلام الإسلام ، وإمام حجة من أئمة العلم . وكان لأهل السنة مثل الجاحظ للمعتزلة ، فإنه خطيب أهل السنة ، كما أن الجاحظ خطيب المعتزلة . وقد ترجم له كثير من العلماء فى كتبهم ، بعضهم أطال وبعضهم أوجز . واستيعاب ترجمته شيء يطول ، وقد حققها أديبان معروفان ، وكاتبان مشهوران : السيد محب الدين الخطيب صاحب مجلة الفتح ، فى مقدمة كتاب « الميسر والقداح » الذى طبعه فى مطبعته « السلفية » فى سنة ١٣٤٢ ، والأستاذ أحمد زكى العدوى رئيس القسم الأدبى بدار الكتب المصرية ، فى أول الجزء الرابع من كتاب « عيون الأخبار » الذى طبعته دار الكتب فى سنة ١٣٤٩ ، وهى ترجمة حافلة وافية . فقد رأيت فيهما الكفاية ، إلا أنى لم أستسغ أن يخلو هذا الكتاب من ترجمة للمؤلف ، فرأيت أن أثبت هنا نص ترجمته من كتابين هما أقدم الكتب التى ترجمت له وأقربهما إلى عصره . وهما « الفهرست » لابن النديم ، الذى أُلِّف سنة ٣٧٧ ، و « تاريخ بغداد » للخطيب البغدادى الحافظ المتوفى سنة ٤٦٣ ، ثم أدل القارئَ على كل ما عرفته من مواضع ترجمة المؤلف فى الكتب المطبوعة ، ليرجع إليها إن شاء .

قال محمد بن إسحق المعروف بابن النديم ، فى كتاب « الفهرست » (ص ١١٥—١١٦ . من طبعة المكتبة التجارية بمصر سنة ١٣٤٨) : « ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الكوفى ، مولده بها ، وإنما سُمى الدِينَوَرِىَّ لأنه كان قاضىَ الدِينَوَر ، وكان ابن قتيبة يغلو فى البصريين ، إلا أنه خلط

المذهبين وحكى فى مذهبه عن الكوفيين[١] . وكان صادقًا فيما يرويه ، عالمًا باللغة والنحو وغريب القرآن ومعانيه والشعر والفقه ، كثيرَ التصنيف والتأليف ، وكتبه بالجبل مرغوب فيها ، ومولده فى مستهل رجب ، وتوفى سنة سبعين ومائتين .
وله من الكتب : ١ كتاب معانى الشعر الكبير ، ويحتوى على اثنى عشر كتابًا ، منها : كتاب الفرس ستة وأربعون بابًا ، كتاب الإبل ستة عشر بابًا ، كتاب الحرب عشرة أبواب ، كتاب العرور عشرون بابًا ، كتاب الديار عشرة أبواب ، كتاب الرياح أحد وثلاثون بابًا ، كتاب السباع والوحوش سبعة عشر بابًا ، كتاب الهوامّ أربعة عشر بابًا ، كتاب الأيمان والدواهى سبعة أبواب ، كتاب النساء والغزل باب واحد ، كتاب النسب واللبن ثمانية أبواب ، كتاب تصحيف العلماء باب واحد . ٢ كتاب عيون الشعر ، ويحتوى على عشرة كتب ، منها : كتاب المراتب ، كتاب القلائد ، كتاب المحاسن ، كتاب المشاهد كتاب الشواهد ، كتاب الجواهر ، كتاب المراكب . ٣ كتاب عيون الأخبار ، ويحتوى على عشرة كتب : كتاب السلطان ، كتاب الحرب ، كتاب السؤدد ، كتاب الطبائع ، كتاب العلم ، كتاب الزهد ، كتاب الإخوان ، كتاب الحوائج ، كتاب الطعام ، كتاب النساء . ٤ كتاب التفقيه ، هذا كتاب رأيت منه ثلاثة أجزاء نحو سمائة ورقة بخط برك ، وكانت تنقص على التقريب جزأين ، وسألت عن هذا الكتاب جماعة من أهل الخطّ فزعموا أنه موجود ، وهو أكبر من كُتب البندنيجى وأحسنُ من كُتبه . ٥ كتاب الحكاية والمحكى . ٦ كتاب أدب الكاتب . ٧ كتاب الشعر والشعراء . ٨ كتاب الخيل . ٩ كتاب جامع النحو . ١٠ كتاب مختلف الحديث . ١١ كتاب إعراب القرآن . ١٢ كتاب ديوان الكتاب . ١٣ كتاب فرائد الدر . ١٤ كتاب خلق الإنسان . ١٥ كتاب القراءات . ١٦ كتاب المراتب والمناقب من عيون الشعر . ١٧ كتاب التسوية بين العرب والعجم . ١٨ كتاب الأنواء . ١٩ كتاب المشكل . ٢٠ كتاب دلائل النبوة . ٢١ كتاب اختلاف تأويل الحديث . ٢٢ كتاب المعارف . ٢٣ كتاب جامع الفقه . ٢٤ كتاب

---

(١) يريد أنه كان من علماء العربية على مذهب البصريين . واختار آراء من مذهب الكوفيين .

إصلاح غلط أبى عُبيد فى غريب الحديث . ٢٥ كتاب المسائل والجوابات . ٢٦ كتاب العلم ، نحو خمسين ورقة . ٢٧ كتاب الميسر والقِداح . ٢٨ كتاب حكم الأمثال . ٢٩ كتاب الأشربة . ٣٠ كتاب جامع النحو الصغير . ٣١ كتاب الرد على المشبهة . ٣٢ كتاب آداب العِشرة . ٣٣ كتاب غريب الحديث » .

وقال الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن على الخطيب البغدادى فى « تاريخ بغداد » (ج ١٠ ص ١٧٠ — ١٧١) : « عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، أبو محمد الكاتب الدينورى ، وقيل المروزى . سكن بغداد ، وحدّث بها عن إسحق بن راهويه ، ومحمد بن زياد الزيادى ، وأبى الخطاب زياد بن يحيى الحسانى ، وأبى حاتم السجستانى . روَى عنه ابنُه أحمد ، وعُبيد الله بن عبد الرحمن السكرى ، وإبراهيم بن محمد بن أيوب الصائغ ، وعُبيد الله بن بُكير التميمى ، وعبد الله بن جعفر بن درستويه الفارسى . وكان ثقة ديّنًا فاضلاً . وهو صاحب التصانيف المشهورة ، والكتب المعروفة ، منها : غريبُ القرآن ، وغريب الحديث ، ومشكل القرآن ، ومشكل الحديث ، وأدب الكتاب ، وعيون الأخبار ، وكتاب المعارف ، وغير ذلك . سكنَ ابنُ قتيبة بغدادَ وروَى فيها كتبه إلى حين وفاته . وقيل إن أباه مروزى وأما هو فمولده بغداد ، وأقام بالدينور مدة فنُسب إليها . قرأتُ على الحسن بن أبى بكر عن أحمد بن كامل القاضى قال : ومات عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينورى فى ذى القعدة سنة سبعين ومائتين . أخبرنا محمد بن عبد الواحد حدثنا محمد بن العباس قال : قرئَ على ابن المنادى وأنا أسمع ، قال : ومات عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى صاحبُ التصانيف فجأة ، صاح صيحة سُمعتْ من بُعْد ، ثم أغمى عليه ومات . قال ابن المنادى : ثم إن أبا القاسم إبراهيم بن محمد بن أيوب بن بشير الصائغ أخبرنى أن ابن قتيبة أكل هريسة فأصابته حرارة ، ثم صاح صيحة شديدة ، ثم أغمى عليه إلى وقت صلاة الظهر ، ثم اضطرب ساعة ثم هدأ ، فما زال يتشهد إلى وقت السحر ، ثم مات ، وذلك أول ليلة من رجب سنة ست وسبعين » .

ومن الأخطاء العجيبة ما نقله الحافظ الذهبي فى ميزان الاعتدال عن الحاكم

أنه قال : « أجمعت الأمة على أن القُتَيْبِيّ كذّاب » ! فقال الحافظ الذهبي : « هذه مجازفة قبيحة ، وكلام مَن لم يَخَفِ الله » . ونقل السيوطي أن الذهبي قال أيضًا ردًّا على الحاكم : « ما علمتُ أن أحداً اتهم القُتَبِيّ في نقله ، مع أن الخطيب قد وثّقه ، وما أعلم أن الأمة أجمعت إلا على كذب الدّجال ومُسَيلمة » ! !

ومن ذلك أيضًا ما نقل الذهبي في الميزان : « رأيت في مرآة الزمان أن الدارقطنيّ قال : كان ابن قتيبة يميل إلى التشبيه . . . وقال البيهقي : كان يَرى رأيَ الكرّامية » . و « الكرّامية » أصحاب محمد بن كرّام ، وكان ممن يثبت الصفات إلاّ أنه ينتهي فيها إلى التجسيم والتشبيه ، تعالى الله عن ذلك . وهذه تهمة باطلة أيضًا ، ليس أدلّ على بطلانها من أن ابن قتيبة ردّ على المشبهة ردا قويًّا في كتاب « تأويل مختلف الحديث » (ص ٧ — ١٣ من طبعة مصر سنة ١٣٢٦) ومن أنه ألّف جزءاً خاصًّا في الردّ عليهم ، سماه « الاختلاف في اللفظ والردّ على الجهمية والمشبهة » وقد طبعتْه مكتبة القدسي في مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٤٩ . وقد شهد شيخ الإسلام ابن تيمية لابن قتيبة بأنه من أهل السنة وكفى بشهادته شهادةً ، ذكره في كتاب « تفسير سورة الإخلاص » في ثلاثة مواضع ، قال في (ص ١٠٤ — ١٠٥ من الطبعة المنيرية سنة ١٣٥٢) : « وهذا القول اختيار ابن قتيبة وغيره من أهل السنة ، وكان ابن قتيبة يميل إلى مذهب أحمد وإسحق » . وقال في (ص ١٢٠ — ١٢١) : « وهذا القول اختيار كثير من أهل السنة ، منهم ابن قتيبة وأبو سليمان الدمشقي وغيرهما . وابن قتيبة من المنتسبين إلى أحمد وإسحق ، والمنتصرين لمذاهب السنة المشهورة ، وله في ذلك مصنفات متعددة . قال فيه صاحب كتاب التحديث بمناقب أهل الحديث : وهو أحد أعلام الأئمة والعلماء والفضلاء ، أجودهم تصنيفًا وأحسنهم ترصيفًا ، له زهاء ثلاثمائة مصنف ، وكان يميل إلى مذهب أحمد وإسحق ، وكان معاصراً لإبراهيم الحربي ومحمد بن نصر المروزي . وكان أهل المغرب يعظمونه ويقولون : من استجاز الوقيعة في ابن قتيبة يتهم بالزندقة ، ويقولون : كل بيت ليس فيه شيء من تصنيفه لا خير فيه . قلت : ويقال : هو لأهل السنة مثل الجاحظ للمعتزلة ، فإنه خطيب السنة ، كما أن الجاحظ خطيب المعتزلة » . وقال أيضًا في الرد على أبي بكر بن الأنباري (ص ١٣٣ — ١٣٤) :

« وهو قصده بذلك الإنكار على ابن قتيبة . وليس هو أعلم بمعانى القرآن والحديث وأتبعَ للسنة من ابن قتيبة ، ولا أفقهَ فى ذلك ، وإن كان ابن الأنبارى من أحفظ الناس للغة ، ولكن باب فقه النصوص غير باب حفظ ألفاظ اللغة . وقد نقم هو وغيره على ابن قتيبة كونه ردّ على أبى عُبيد أشياءَ من تفسير غريب الحديث . وابنُ قتيبة قد اعتذر عن ذلك ، وسلك فى ذلك مسلك أمثاله من أهل العلم ، وهو وأمثاله يصيبون تارة ويخطؤون أخرى » .

وما بعد هذا الكلام كلامٌ .

وقد قال ابن قتيبة نفسُه فى كتاب « تأويل مختلف الحديث » (ص ٩٥ — ٩٦) : ولا أعلم أحداً من أهل العلم والأدب إلاّ وقد أسْقَط فى علمه ، كالأصمعى وأبى زيد وأبى عبيدة وسيبويه والأخفش والكسائى والفرّاء وأبى عمرو الشيبانى ، وكالأئمة من قرّاء القرآن ، والأئمة من المفسرين . وقد أخذ الناس على الشعراء فى الجاهلية والإسلام الخطأ فى المعانى وفى الإعراب وهم أهل اللغة ، وبهم يقع الاحتجاج » .

وأما تاريخ وفاته ، فأنت ترى أن ابن النديم زعم أنه فى سنة ٢٧٠ ، وهذا القول حكاه أيضًا الخطيب وغيره ، ونقل ابن خلكان قولاً آخر أنه سنة ٢٧١ . والصحيح الراجح أنه مات سنة ٢٧٦ ، إذ هو الذى نقله الخطيب عن أبى القاسم إبراهيم بن أيوب الصائغ ، وهو تلميذ ابن قتيبة ، وقد قصّ قصة وفاته مفصلة ، فهو أجدر أن تكون روايته أثبت من غيرها . وهذا هو الذى رجحه الحافظ ابن كثير ، إذ ترجم له فى وفيات سنتى ٢٧٠ ، ٢٧٦ وقال فى الأخيرة : « والصحيح أنه مات فى هذه السنة » . وكذلك رجحه ابن خلكان وغيره .

وهاك جريدة بمصادر ترجمة المؤلف من الكتب المطبوعة ، مرتبة على طبقات مؤلفيها ، الأقدم فالأقدم :

الفهرست لابن النديم	١١٥ — ١١٦
تاريخ بغداد للخطيب الحافظ	١٠ : ١٧٠ — ١٧١
الأنساب للسمعانى (مادة القتبى) فى الورقة	٤٤٣
نزهة الألباء فى طبقات الأدباء لأبى البركات بن الأنبارى	٢٧٢ — ٢٧٤

المنتظم لأبي الفرج بن الجوزي	٥ : ١٠٢
تاريخ ابن الأثير	٧ : ١٥٧
تهذيب الأسماء للنووي	٢ : ٢٨١
وفيات الأعيان لابن خلكان	١ : ٣١٤ — ٣١٥
تفسير سورة الإخلاص لشيخ الإسلام ابن تيمية	١٠٤ ، ١٢٠ — ١٢١ ، ١٣٣ - ١٣٤
تاريخ أبي الفداء	٢ : ٥٤
ميزان الاعتدال للحافظ الذهبي	٢ : ٧٧
تذكرة الحفاظ للحافظ الذهبي	٢ : ١٨٧
مرآة الجنان لليافعي	٢ : ١٩١ — ١٩٢
تاريخ ابن كثير	١١ : ٤٨ ، ٥٧
لسان الميزان للحافظ ابن حجر	٣ : ٣٥٧ — ٣٥٩
النجوم الزاهرة لابن تغري بردي	٣ : ٧٥ — ٧٦
بغية الوعاة للسيوطي	٢٩١
شذرات الذهب لابن العماد	٢ : ١٦٩ — ١٧٠

والحمد لله أولا وآخراً . وأسأله سبحانه التوفيق والعصمة والسداد .

كتب

أحمد محمد شاكر

عفا الله عنه بمنه

العباسية بالقاهرة

ضحوة الثلاثاء ٢٢ ربيع الآخر ١٣٦٥ هـ

٢٦ مارس ١٩٤٦ م



الشعر والشعراء

لابن قتيبة



رموز أصول الكتاب

م مخطوطة المدينة المنورة (مكتبة عارف حكمت)

ب مخطوطة برلين

د » دمشق

س » باريس

ف » فينا

هـ » القاهرة

ن » ليدن

ل مطبوعة ليدن



بسم الله الرحمن الرحيم
وبه عون الله وأمر

قال أبو محمَّد عبدُ الله بنُ مُسْلِم بن قُتَيْبَةَ :

١ ● هذا كتاب أَلَّفْتُه فى الشعراء[1] ، أخبرتُ فيه عن الشعراء وأزمانهم ، وأقدارهم ، وأحوالهم فى أشعارهم ، وقبائلهم ، وأسماء آبائهم ، ومَن كان يُعْرَف باللقب أو بالكنية منهم . وعمَّا يُستحسنُ من أخبار الرجل ويُستجادُ من شعره ، وما أَخَذَتْهُ العلماءُ عليهم من الغلط والخطاء[2] فى ألفاظهم أو معانيهم ، وما سَبَقَ إليه المتقدّمون فأخذه عنهم المتأخِّرون . وأخبرتُ (فيه) عن أقسام الشعر وطبقاته ، وعن الوجوه التى يُختار الشعرُ عليها ويُستحسن لها . إلى غير ذلك ممَّا قدَّمتُه فى هذا الجزء الأوَّل .

٢ ● قال أبو محمَّد : وكان أكثرُ قصدى للمشهورين من الشعراء ، الذين يعرفهم جُلُّ أهل الأدب ، والذين يَقَعُ الاحتجاجُ بأشعارهم فى الغريب وفى النحو ، وفى كتاب الله عزَّ وجلَّ ، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

3

٣ ● فأمَّا مَن خَفِيَ اسمُه ، وقلَّ ذكرُه ، وكَسَدَ شعرُه ، وكان لا يعرفه إلا بعضُ الخوَاصّ ، فما أَقَلَّ مَن ذكرتُ من هذه الطبقة . إذ كنتُ لا أعرفُ منهم إلَّا القليلَ ، ولا أعرفُ لذلك القليل أيضاً أخبارًا ، وإذْ كنت أعلمُ أنَّه لا حاجةَ بك إلى أن أُسَمِّيَ لك أسماءَ لا أَدُلُّ عليها بخبرٍ أو زمانٍ ، أو نسبٍ أو نادرةٍ ، أو بيتٍ يُستجادُ ، أو يُستغرب .

---

(١) ب « فى الشعر » .

(٢) « الخطاء » بالمد ، وفى هـ « الخطأ » وكلاهما صحيح .

٤ ● ولعلَّكَ تظنُّ – رحمك الله – أنَّه يجبُ على من ألَّفَ مثلَ كتابنا هذا ألّا يدَعَ شاعرًا قديماً ولا حديثاً إلّا ذكره ودلَّك عليه ، وتُقَدِّرُ أن يكون الشعراءُ بمنزلةِ رُواةِ الحديثِ والأخبارِ ، والملوكِ والأشرافِ ، الذين يَبْلُغُهم الإحصاءُ ، ويَجمعهم العددُ .

٥ ● والشعراءُ المعروفون بالشعر عندَ عشائرهم وقبائلهم[١] فى الجاهليَّة والإسلام ، أكثرُ من أن يُحِيطَ بهم مُحِيطٌ أو يقف من وراء عددِهم واقِفٌ ، ولو أنفدَ عُمْرَه فى التنقير عنهم ، واستفرغَ مجهودَه فى البحثِ والسؤالِ . ولا أحْسِبُ أحدًا من علمائنا استغرقَ[٢] شعرَ قبيلة حتّى لم يَفُتْه من تلك القبيلة[٣] شاعرٌ إلّا عَرَفَه ، ولا قصيدةٌ إلّا رَوَاها .

٦ ● حدثنا[٤] سَهْلُ بن محمَّد[٥] ، حدثنا الأَصْمَعِىُّ[٦] ، حدثنا كُرْدِينُ بنُ مِسْمَعٍ[٧] قال : جاء فِتْيَانٌ إلى أبى ضَمْضَمٍ بعدَ العِشَاءِ ، فقال (لهم) [٨] : ما جاء بكم يا خبثاء ؟ قالوا : جئناك نَتَحَدَّثُ ، قال : 4

---

(١) ب ه س « قبايلهم وعشايرهم » .

(٢) ب « استعرف » . ح « استفرغ » .

(٣) س « لم يفته منها » .

(٤) ب س « حدثنى » .

(٥) هو أبو حاتم سهل بن محمد السجستانى البصرى ، إمام فى غريب القرآن واللغة والشعر . أخذ عن أبى عبيدة والأصمعى وأبى زيد والأخفش ، وأخذ عنه المبرد وابن دريد . مات سنة ٢٥٥ .

(٦) هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعى ، أسد الشعر والغريب والمعانى ، كما وصفه المبرد . مات سنة ٢١٦ عن نحو ٨٨ سنة .

(٧) بحاشية د « قال ابن الجوزى فى الألقاب : كردين اسمه مسمع بن عبد الملك بن مسمع البصرى ، كان إخبارياً ، روى عنه أبو عبيدة معمر بن المثنى » . وفى شرح القاموس ٢ : ٤٨٥ « ابن كردين اسمه مسمع » ولم أجد فيما بين يدى من المصادر غير ذلك .

(٨) كل ما وضعناه بين هذين القوسين فهو زيادة من س ب تبعاً لصنيع مصحح ل .

كذبتم ، ولكنْ قلتُم[١] كَبِرَ الشَّيخُ فتَلَعَّبُه[٢] ،عسى أن نأخذَ عليه سقطةً !!
فأنشدهم لمائةِ شاعرٍ ، وقال مرّة أخرى : لثمانين [شاعرًا][٣] ، كلُّهم
اسمُه عَمْرو .

٧ ●قال الأَصْمَعِيُّ : فعددتُ أنا وخَلَفُ (الأَحمرُ)[٤] فلم نقدِرْ على ثلاثين[٥]

٨ ●فهذا ما حفظه أبو ضَمْضَم ، ولم يكن بأَرْوَى النّاسِ ، وما أقربَ
أن يكونَ مَن لا يعرفُه من المُسَمَّيْنَ بهذا الاسم أكثرَ ممَّن عرفه .

٩ ●هذا إلى مَن سَقَطَ شعرُهُ من شعراء القبائل ، ولم يحمله إلينا
العلماءُ والنَّقَلَةُ[٦].

١٠ ●أخبرنا[٧] أبو حاتم حدثنا الأَصْمَعِيُّ قال : كان ثلاثةُ إخوة من
بنى سَعْد لم يأتوا الأمصارَ ، فذَهَبَ[٨] رَجَزُهم ، يقال لهم مُنْذِرٌ ونُذَيْرٌ
ومُنْتَذِرٌ[٩] ، ويقال إنَّ قصيدةَ رُؤْبَةَ التى أوّلُها[١٠] :

* وقَاتِمِ الأَعْمَاقِ خَاوِى المُخْتَرَقْ * لِمُنْتَذِر

---

(١) ب س « بل قلتم » .

(٢) ن هـ س « كبر الشيخ وتبلغته السن » .

(٣) الزيادة من هـ .

(٤) هو خلف بن حيان الأحمر ، قال أبو عبيدة : « خلف الأحمر معلم الأصمعى ومعلم أهل البصرة » مات فى حدود سنة ١٨٠ .

(٥) ب س « على أكثر من ثلاثين » .

(٦) ب س « الرواة » .

(٧) د « حدثنا » ب س « حدثنى » هـ « قال حدثنا » .

(٨) ب س « ذهب » .

(٩) ب س « ومنيذر » .

(١٠) هى أرجوزة طويلة ، انظرها فى ديوان رؤبة فى (مجموع أشعار العرب) ٣ : ١٠٤ – ١٠٨ وفى أراجيز العرب ٢٢ – ٣٨ وانظر الخزانة ١ : ٣٨ – ٤٥ .

١١ ● قال أبو محمَّد : ولم أَعْرِضْ فى كتابى هذا لمن كان غَلَبَ[1] عليه غيرُ الشعر . فقد رأينا[2] بعضَ مَن أَلَّفَ فى هذا الفنِّ كتاباً يذكر فى الشعراء مَن لا يُعْرَفُ بالشعر ولم يَقُلْ منه إلَّا الشَّذَّ[3] اليسيرَ ، كابنِ شُبْرُمَةَ القاضى[4] ، وسُلَيْمانَ بنِ قَتةَ التَّيْمِىِّ المحدِّثِ[5]. ولو قَصَدْنا لذكر مثل هؤلاء[6] فى الشعر لذكرنا أكثرَ الناس ، لأنَّه قلَّ أحدٌ له أدنَى مُسْكة من أدب ، وله أدنىٰ حظٍّ من طَبْعٍ ، إلَّا وقد قال من الشعر شيئاً . ولاَحتجنا أن نذكُرَ صحابةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجِلَّةَ التابعين ، وقوماً كثيرًا من حَمَلَةِ العلم ، ومن الخلفاءِ والأشرافِ ، ونَجعلَهم فى طبقات الشعراء.

١٢ ● ولم أَسْلُكْ ، فيما ذكرتُه من شعر كلّ شاعر مختارًا له ، سبيلَ مَن قَلَّد ، أو استَحْسنَ باستحسانِ غيره . ولا نظرتُ إلى المتقدِّم منهم بعين الجلالة لتقدمه ، وإلى المتأَخِّر (منهم) بعين الاحتقار لتأَخُّره . بل نظرتُ بعين العدلِ على الفريقين ، وأعطيتُ كلاًّ حظَّه ، ووفَّرْتُ عليه حقَّه .

١٣ ● فإنى رأيتُ مِن علمائنا مَن يستجيدُ الشعرَ السخيفَ لتقدُّم قائله ،

---

(١) هـ ب ـ س « الأغلب » .

(٢) هـ ب س « رأيت » .

(٣) « الشذ » مصدر كالشذوذ ، و« الشاذ » الوصف ، وهنا وصف بالمصدر وهو جائز . وفى ب س « النبذ » .

(٤) هو عبد الله بن شبرمة القاضى الفقيه ، مات سنة ١٤٤ .

(٥) بحاشية ف « قال الشريف : ابن قتة هذا عدوى ، وهو أول من رثى أهل البيت » . وانظر بعض شعره فى تاريخ الطبرى ٨ : ٢٤٨ والأغانى ١٧ : ١٦٥ .

(٦) ف هـ س « أمثال هؤلاء » .

ويَضَعُهُ فى مُتَخَيَّرِه ، ويُرْذِلُ الشعرَ الرصينَ ، ولا عيبَ له عنده إلّا أنّه قيلَ فى زمانه ، أو أنّهُ رأى قائلَه .

١٤ ● ولم يَقصُرِ اللهُ العلمَ والشعرَ[1] والبلاغةَ على زمن دون زمن ، ولا خَصَّ به قوماً دونَ قومٍ ، بل جَعل ذلك مشتركاً مقسوماً بين عبادِه فى كلّ دهر ، وجَعل كلَّ قديمٍ حديثاً فى عصره ، وكلَّ شرفٍ خارجيّةً[2] فى أوّله ، فقد كان جَريرٌ والفرَزْدَقُ والأخْطَلُ وأمثالُهم يُعَدُّون مُحْدَثِينَ . وكان أبو عَمرِو ابنُ العَلاءِ يقول : لقد كَثُر هذا المحدَثُ وحَسُنَ حتّى لقد هممتُ بروايته .

6 ١٥ ● ثمّ صارَ هولاءِ قُدَماء عندنا ببُعْدِ العهدِ منهم ، وكذلك يكونُ من بعدهم لمَن بعدَنا ، كالخُرَيْميّ والعَتّابيّ والحسن بن هانئٍ وأشباهِهم . فكلُّ مَن أتىٰ بحسَنٍ من قول أو فعل ذكرناه (له) ، وأثنينا به عليه ، ولم يَضَعْهُ عندنا تأخُّرُ قائله أو فاعلِه ، ولا حداثةُ سِنّه . كما أنّ الرّدِىءَ إذا ورد علينا للمتقدِّم[3] أو الشريف لم يرفعه عندنا شرفُ صاحبه ولا تقدُّمُه .

١٦ ● وكان حقُّ هذا الكتاب أن أُودِعَه الأخبارَ عن جلالةِ قدر الشعر وعظمِ خطره ، وعَمَّنْ رفعه الله بالمديح ، وعمّن وَضَعَه بالهجاء وعمّا أودعَتْه العربُ من الأخبار النافعة ، والأنساب[4] الصحاح ، والحِكَم المضارِعَةِ لحِكَم الفلاسفة ، والعلومِ فى الخيل ، والنجومِ[5] وأنوائها والاهتداء بها ،

---

(١) ف ه س « الشعر والعلم » .

(٢) ف س « وكل شريف خارجياً » . والخارجى : الذى يخرج ويشرف بنفسه من غير أن يكون له قديم . ومنه الخارجية ، وهى خيل لا عرق لها فى الجودة ، فتخرج سوابق ، وهى مع ذلك جياد .

(٣) ف س « للمقدم » .

(٤) ف ه « والأسباب » .

(٥) ف ه س « وفى النجوم » .

والرياحِ وما كان منها مبشِّرًا أو جائلاً ، والبروقِ وما كان منها خُلَّباً أوْ صادقاً ، والسحابِ وما كان منها جهَاماً أو ماطرًا ، وعمَّا يبعث منه البخيلَ على السماحِ ، والجبانَ على اللقاء ، والدَّنِىَّ على السُّمُوِّ .

١٧ ● غير أنى رأيتُ ما ذكرتُ من ذلك فى كتاب العرب[١] كثيرًا كافياً ، فكرهتُ الإطالة بإعادته . فمَن أحبَّ أن يعرفَ ذلك ، ليستدلَّ به على حُلْو الشعرِ ومُرِّه . نَظَرَ فى ذلك الكتاب ، إن شاء اللهُ تعالىٰ .

أقسام الشعر

7

١٨ ● قال أبو محمَّد : تدبَّرْتُ الشعرَ فوجدتُه أربعة أَضْرُب .

١٩ ● ضربٌ منه حَسُنَ لفظه وجاد معناه ، كقول القائل فى بعض بنى أميَّةَ[٢] :

---

(١) هـ « فى أنساب العرب » . وبحاشية ه « لابن قتيبة كتاب فى تفضيل العرب . قاله ابن عبد ربه » . وكلام ابن عبد ربه فى العقد الفريد ٢ : ٨٨ ونقل عنه شيئاً . وفى شأنه كلام طويل للأستاذ أحمد زكى العدوى فى ترجمة ابن قتيبة فى أول الجزء الرابع من عيون الأخبار ٣٢ – ٣٣ . وقد وجد الشيخ جمال الدين القاسمى رحمه الله قطعة من أول هذا الكتاب ، فنشرها فى مجلة « المقتبس » ثم نشرها علامة الشأم الأستاذ محمد كرد على فى مجموعة « رسائل البلغاء » ٢٦٩ – ٢٩٥ ولكن كتب فى عنوانها أن ابن قتيبة من أهل القرن الخامس ، وهو خطأ ، فإنه من علماء القرن الثالث .

(٢) هذان البيتان للحزين الكنانى من أبيات يمدح بها عبد الله بن عبد الملك بن مروان . وزعم أبو تمام فى الحماسة أنهما له فى مدح زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب (٤ : ١٦٧ – ١٦٩ من شرح التبريزى) وزعم غيره أنهما من أبيات للفرزدق فى مدح زين العابدين . قال الأصبهانى فى الأغانى « وهو غلط من رواه فيها ، وليس هذان البيتان مما يمدح به مثل على بن الحسين عليهما السلام ، وله من الفضل المتعالم ما ليس لأحد » . وقال أيضاً : « والصحيح أنها للحزين فى عبد الله بن عبد الملك ، وقد غلط ابن عائشة فى إدخاله البيتين فى تلك الأبيات ، وأبيات الحزين مؤتلفة منتظمة المعانى ، متشابهة تنبئ عن نفسها » ثم ساق أبيات الحزين . انظر الأغانى ١٤ : ٧٤ – ٧٧ . والبيتان أيضاً ضمن أبياته فى المؤتلف ٨٨ – ٨٩ . وكذلك نسبهما المصعب الزبيرى فى نسب قريش (ص ١٦٤) للحزين الكنانى . والمصعب من أقدم المؤلفين ، وكتابه من المصادر الأولى المعتمدة .

فى كَفِّهِ خَيْزُرَانٌ رِيحُهُ عَبِقٌ   مِنْ كَفِّ أَرْوَعَ فى عِرْنِينِهِ شَمَمُ[١]
يُغْضِى حَيَاءً ويُغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ   فَمَا يُكَلَّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ[٢]

لم يُقل فى الهيبة شىءٌ أحسنُ منه .

٢٠ ● وكقولِ أَوْسِ بن حَجَر[٣] :

أَيَّتُهَا النَّفْسُ أَجْمِلِى جَزَعَا   إِنَّ الَّذِى تَحْذَرِينَ قَدْ وَقَعَا

لم يبتدئْ أحدٌ مرثيةً بأحسنَ من هذا .

٢١ ● وكقول أبى ذُؤَيْب[٤] :

وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَّبْتَهَا   وإِذَا تُرَدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ

٢٢ ● حدثنى[٥] الرِّيَاشِىُّ[٦] عن الأَصْمَعِىِّ ، قال : هذا أبدعُ[٧] بيت قاله العربُ .

٢٣ ● وكقول حُمَيْد بن ثَوْر[٨] :

أَرَى بَصَرِى قَدْ رَابَنِى بَعْدَ صِحَّةٍ   وحَسْبُكَ دَاءً أَنْ تَصِحَّ وتَسْلَمَا

ولم يُقَلْ فى الكِبَرِ شىءٌ أحسنُ منه .

---

(١) فى الحماسة « بكفه » وفيها وفى الأغانى « ريحها » . وفى رواية فى الأغانى « ريحه » .
(٢) س ف هـ « فلا يكلم » .
(٣) س ف « فإن ما تحذرين » . وهو صدر مرثية جيدة نادرة فى الأمالى ٣ : ٣٤ : ٣٥ ، وبعضها فى الأغانى ١٠ : ٧ – ٨ وانظر شرح ذيل الأمالى للراجكوتى ١٩ . وسيأتى البيت فى ترجمة أوس (١٠٢ ل) .
(٤) من مرثية أبى ذؤيب الهذلى أولاده ، وهو البيت ١٣ من المفضلية ١٢٦ بشرحنا مع الأستاذ عبد السلام هرون طبعة دار المعارف .
(٥) س ف هـ « قال وحدثنى » .
(٦) هو العباس بن الفرج الرياشى اللغوى النحوى ، قتله الزنج بالبصرة سنة ٢٥٧ .
(٧) س ف « أبرع » .
(٨) سيأتى فى ترجمته (٢٣٠ ل) .

٢٤ ● وكقول النّابغة[١] :

كِلِينِى لِهَمٍّ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبِ ولَيْلٍ أُقَاسِيهِ بَطِيءِ ٱلكَوَاكِبِ

لم يبتدئْ أحدٌ من المتقدّمين بأحسنَ منه ولا أغربَ .

8

٢٥ ● ومثلُ هذا (فى الشعر) كثيرٌ ، ليس للإطالة به فى هذا الموضعِ وجهٌ ، وستراه عند ذكرنا أخبارَ الشعراء .

٢٦ ● وضربٌ منه حَسُنَ لفظُه وحَلَا ، فإذا أنت فتَّشْتَه لم تَجِدْ هناك فائدة فى المعنى ، كقولِ القائلِ[٢] :

وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مِنًى كُلَّ حَاجَةٍ وَمَسَّحَ بِالأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحُ

وشُدَّتْ على حُدْبِ المَهَارِى رِحَالُنَا ولا يَنْظُرُ ٱلغَادِى ٱلذى هُوَ رَائحُ[٣]

أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ ٱلأَحَادِيثِ بَيْنَنَا وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ المَطِىِّ ٱلأَبَاطِحُ[٤]

٢٧ ● هذه الألفاظُ ، كمَا تَرَى ، أحسنُ شىءٍ مَخارِجَ ومَطَالِعَ ومَقَاطِعَ ،

---

(١) النابغة هو الذبيانى . والبيت مطلع قصيدة يمدح بها عمرو بن الحرث الأصغر الأعرج ، فى ديوانه ٢ — ٩ وهو من شواهد سيبويه ١ : ٣١٥ . وانظر ما يأتى فى القطعة رقم : ٢٥٤ .

(٢) هذه الأبيات فى ثمانية رواها الشريف المرتضى فى أماليه ٢ : ١١٠ — ١١١ ونسبها للمضرب ، وهو عقبة بن كعب بن زهير بن أبى سلمى . وسيأتى ذكر عقبة هذا فى الفقرة : ٢٠٨ . والأبيات الثلاثة التى هنا ذكرها عبد القادر الجرجانى فى أسرار البلاغة ١٥ مثالا للشعر الذى سما به المعنى ، وشرح ذلك على طريقته . والبيتان الأول والثالث ذكرهما ابن جنى فى الخصائص ١ : ٢٢٥ مثالا للشعر الرائق لفظه البسيط معناه ! ورواهما القالى فى ذيل الأمالى ١٦٦ وياقوت فى معجم البلدان ٨ : ١٥٩ ولم ينسبهما واحد من هؤلاء غير الشريف . وذكر الراجكوتى فى شرح الذيل ٧٧ أنه نسبها غير واحد لكثير عزة .

(٣) « المهارى » بكسر الراء وتخفيف الياء ، ويجوز تشديدها ، وهو الأصل ، لأنه جمع « مهرية » وهى الإبل المنسوبة إلى قبيلة « مهرة بن حيدان » . ويجوز أيضاً فى الجمع « مهارى » بفتح الراء . وفى بعض الروايات « على دهم المهارى » .

(٤) ب د « ومالت » . ف س « وشالت » وبحاشية ف « قال الشريف : الرواية الجيدة بالسين غير معجمة » . وقد شرحها عبد القادر بالسين المهملة .

وإنْ نظرتَ (إلى) ما تحتها من المعنى وجدتَه : ولما قَطَعنا[1] أيَّام مِنًى ، واستلمنا الأركانَ ، وعالينا إبلنا الأنضاءَ[2] ، ومضَى الناسُ لا ينتظر الغادِى الرائحَ ، ابتدأنا فى الحديثِ ، وسارت المطىُّ فى الأبطح .

٢٨ ●وهذا الصنف فى الشعر كثيرٌ .

٢٩ ●ونحوهُ قولُ المَعْلُوطِ[3] :

إنَّ الذين غَدَوْا بُلبِّكَ غادَرُوا ... وَشَلًا بِعَيْنِكَ مَا يَزَالُ مَعِينَا[4]

غيَّضْنَ مِنْ عَبَرَاتِهِنَّ وقُلْنَ لِى ... مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الْهَوَى ولَقِينَا

٣٠ ●ونحوُه قول جريرٍ[5] :

يا أُخْتَ نَاجِيَةَ ٱلسَّلَامُ عَلَيْكُمُ ... قَبْلَ ٱلرَّحِيلِ وقَبْلَ لَوْمِ ٱلعُذَّلِ[6]

لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ آخِرَ عَهْــدِكُمْ ... يَوْمُ الرَّحِيلِ فَعَلْتُ ما لم أَفْعَلِ[7]

9

---

(١) س ف « و لما قضينا » .

(٢) الأنضاء : جمع نضو ، وهو الدابة التى أهزلتها الأسفار وأذهبت لحمها .

(٣) س ف « قول جرير » . وبحاشية ف « قال الشريف : وتروى هذه الأبيات للمعلوط السعدى» والبيتان فى قصيدة لجرير يهجو بها الأخطل فى ديوانه ٥٧٧ — ٥٧٩ . والبيت الثانى فى ثلاثة أبيات للمعلوط بن بدل السعدى فى حماسة أبى تمام ٣ : ٣١٨ — ٣١٩ . وهما فى الأغانى ١٥ : ٦٥ — ٦٦ وروى فيه بإسناده عن ابن قتيبة« أن هذين البيتين للمعلوط وأن جريراً سرقهما منه وأدخلهما فى شعره».

(٤) الوشل ، بفتح الشين ، من الدمع يكون القليل والكثير . والبيت فى اللسان ١٤ : ٢٥١ والأغانى ٧ : ٥٩ ولفظه عندهما « ما يزال » كما هنا . وفى س ف « لا يزال » وهى توافق روايات الأغانى.

(٥) من قصيدة يجيب بها الفرزدق ، فى ديوانه ٤٤٢ — ٤٤٨ والنقائض ٢١١ — ٢٣١ . وهما فى الأغانى ٧ : ٣٩ .

(٦) فى الديوان والنقائض « يا أم ناجية » . وفيهما « قبل الرواح » وفى الأغانى « قبل الفراق » .

(٧) فى الأغانى « يوم الفراق » .

٣١ ●وقولُه[1] :

بَانَ ٱلخليطُ ولوْ طُوِّعْتُ ما بَانَا　　وقَطَّعُوا مِنْ حِبَالِ ٱلوَصْلِ أقْرَانَا

إنَّ ٱلعُيُونَ ٱلتى فى طَرْفِهَا مَرَضٌ　　قَتَلْنَنَا ثُمَّ لم يُحْيِينَ قَتْلاَنَا

يَصْرَعْنَ ذَا ٱللُّبِّ حتى لَا حَرَاكَ بِهِ　　وهُنَّ أضْعَفُ خَلْقِ ٱللهِ أرْكَانا

٣٢ ●وضربٌ منه جادمعناه وقصُرَت ألفاظُه[2] عنه ، كقول لَبِيدِبن رَبيعَةَ[3] :

ما عَاتَبَ ٱلمَرْءَ ٱلكَرِيمَ كَنَفْسِهِ　　والمَرْءُ يُصْلِحُهُ الجَلِيسُ ٱلصَّالِحُ[4]

هذا وإن كان جيِّدَ المعنَىٰ والسبكِ فإنَّهُ قليلُ الماءِ والرَّونق .

٣٣ ●وكقول النابغة (للنُّعمان) :

خَطَاطِيفُ حُجْنٌ فى حِبَالٍ مَتِينَـةٍ　　تَمُدُّ بِهَا أيْدٍ إلَيْكَ نَوَازِعُ[5]

٣٤ ●قال أبو محمَّد : رأيتُ علماءَنا يستجيدون معناه ، ولستُ أرَىٰ ألفاظَه جِيادًا ولا مُبَيِّنَةً لمعناه ، لأنَّهُ أراد : أنت فى قدْرتك علَّى كخطاطيفَ عُقْفٍ يُمَدُّ بها ، وأنا كدَلْوٍ تُمَدُّ بتلك الخطاطيف . وعلى أنى أيضاً لستُ أرىٰ المعنى جيِّدًا[6] .

٣٥ ●وكقول الفَرَزْدَق :

والشَّيْبُ يَنْهَضُ فى الشَّبَاب كأنَّه　　لَيْلٌ يَصِيحُ بجَانِبَيْهِ نَهَـارُ[7]

---

(١) من قصيدة يهجو الأخطل ، فى ديوانه ٥٩٣ — ٥٩٨ . وانظر الأغانى ٧ : ٣٥ — ٣٧ ، ٥٠ و ١٩ : ٣٧ .

(٢) س ف هـ « الألفاظ » .

(٣) سيأتى البيت (١٤٩ ل) .

(٤) هـ « ما عاتب الحر » .

(٥) الديوان ٥٥ . والحجن : جمع أحجن ، وهو المعوج . وسيأتى البيت (٨٠ ل) .

(٦) س ف هـ « حسناً » .

(٧) فى الأغانى ١٩ : ١٦ « ينهض فى السواد » .

٣٦ ●وضربٌ منه تأخَّر معناه وتأخَّر لفظُه ، كقول الأعشَى في امرأةٍ :

وفُوهــا كأَقَاحِيَّ غذَاهُ دَائمُ الهَطْلِ[1]

كما شِيبَ براحٍ بَا رِدٍ مِنْ عَسَلِ النَّحْلِ

٣٧ ●وكقوله[2] :

إنَّ مَحَلاًّ وإنَّ مُرْتَحَلا وإنَّ في ٱلسَّفْرِ ما مَضَى مَهلَا[3]

اسْتأْثَرَ ٱللهُ بِالوَفَاءِ وَبِالْ حَمْدِ وَوَلَّى المَلَامَةَ ٱلرَّجُلَا[4]

وَالأَرْضُ حَمَّالَةٌ لِمَا حَمَّلَ ٱللّـ ـهُ وَمَا إنْ تَرُدُّ ما فَعَلَا

يَوْماً تَرَاهَا كَشِبْهِ أَرْدِيَةِ ٱلْـ عَصْبِ ويَوْماً أَدِيمُهَا نَغِلَا[5]

وهذا الشعرُ منحولٌ ، ولا أعلمُ[6] فيه شيئاً يُستحسنُ إلَّا قوله :

يَا خَيْرَ مَنْ يَرْكَبُ ٱلمَطِيَّ ولَا يَشْرَبُ كَأْساً بِكَفِّ مَنْ بَخِلَا

يريدُ أنَّ كلَّ شَارِبٍ[7] يشربُ بكفِّه ، وهذا ليس ببخيل فيشرب بكفِّ مَنْ بَخِلَ . وهو معنًى لطيفٌ .

---

(١) « الأقاحى » جمع « أقحوان » قال الأزهرى : « هو القراص عند العرب ، وهو البابونج والبابونك عند الفرس » وله نور أبيض كأنه ثغر جارية حدثة السن . كما في اللسان .

(٢) البيت الأول والثانى ومعهما بيت آخر في الأغانى ٨ : ٨٢ . والأبيات مع غيرها في الخزانة ٤ : ٣٨١ — ٣٨٥ والأول في سيبويه ١ : ٢٨٤ . وهو في اللسان ١٣ : ١٧ غير منسوب . والثانى في معجم الشعراء للمرزبانى ٤٠١ والأغانى ١٠ : ١٣٦ .

(٣) قال الأعلم في شواهد سيبويه : « الشاهد فيه حذف خبر إن لعلم السامع ، والمعنى : إن لنا محلا في الدنيا ومرتحلا عنها إلى الآخرة . وأراد بالسفر من رحل من الدنيا ، فيقول : في رحيل من رحل ومضى مهل ، أى لا يرجع » .

(٤) س ف « يا استأثر » .

(٥) العصب : ضرب من برود اليمن . والنغل ، بفتح الغين : فساد الأديم في دباغه . والبيت في اللسان ١٤ : ١٩٤ وقال « واستشهد الأزهرى بهذا البيت على قوله نغل وجه الأرض : إذا تهشم من الجدوبة » .

(٦) س ف « لا أعرف » .

(٧) ف د « أن كل بخيل » وليس بجيد .

٣٨ ● وكقول الخَليل بن أحمد العَرُوضِيّ :

إنَّ الخَلِيطَ تَصَدَّعْ فَطِرْ بِدَائِكَ أَوْقَعْ
لَوْلَا جَوَارٍ حِسَانٌ حُورُ ٱلْمَدَامِعِ أَرْبَعْ
أُمُّ ٱلبَنِينَ وَأَسْمَاءُ وَٱلرَّبَابُ وبَوْزَعْ
لَقُلْتُ لِلرَّاحِلِ ٱرْحَلْ إِذَا بَدَا لَكَ أَوْ دَعْ

٣٩ ● وهذا الشعرُ بَيِّنُ التكلُّف رديءُ الصنعة . وكذلك أشعارُ العلماء ، ليس فيها شيءٌ جاءَ عن إسماحٍ وسهولة ، كشعر الأَصْمَعِيّ ، وشعر ابن المُقَفَّع ، وشعر الخليل ، خلا خَلَفٍ الأحمرِ ، فإنَّه (كان) أجودَهم طبعاً وأكثرَهم شعرًا . ولو لم يكن فى هذا الشعر إلا «أُمُّ ٱلْبَنِينَ» و «بَوْزَعْ» لَكَفَاهُ !

٤٠ ● فقد كان جريرٌ أنشدَ بعضَ خلفاءِ بنى أُميَّةَ قصيدتَه التى أوَّلُها :

بانَ الخَلِيطُ بِرَامَتَيْنِ فَوَدَّعُوا أَوَ كُلَّمَا جَدُّوا لِبَيْنٍ تَجْزَعُ
كَيْفَ ٱلعَزَاءُ ولم أَجِدْ مُذْ بِنْتُمُ قَلْباً يَقَرُّ ولا شَرَاباً يَنْقَعُ[1]

وهو يَتَحَفَّزُ ويَزْحَفُ من حُسنِ الشعرِ[2] ، حتَّى إذا بَلغ إلى قوله :

وتَقُولُ بَوْزَعُ قَدْ دَبَبْتَ عَلَى ٱلعَصَا هَلَّا هَزِئْتِ بِغَيْرِنَا يَا بَوْزَعُ !

قال له : أفسدتَ شعرَكَ بهذا الاسمِ ، وفَتَر .

٤١ ● قال أبو محمَّد : وقد يقدحُ فى الحَسَن قُبحُ اسمِه ، كما ينفعُ القبيحَ حُسْنُ اسمِه ، ويزيدُ فى مهانة الرجل فظاعةُ اسمه[3] ، وتُرَدُّ

---

(١) ينقع بالقاف . يقال « شرب حتى نقع » أى شفى غليله وروى . و « نقع الماء العطش » أذهبه وسكنه .

(٢) س ف « ويزحف إليها استحساناً لها » .

(٣) س ف « فظاظة اسمه » .

عدالةُ الرجل بكنيتِه [١] ولقبه . ولذلك قيل : اشفعُوا بالكُنَى ، فإنّها شبهةٌ .

٤٢ ●وتقدّم رجلان إلى شُرَيْحٍ ، فقال أحدهما : ادْعُ أبا الكُوَيفرِ ليشهدَ ، فتقدّم شيخٌ فردّه شُرَيْحٌ ولم يَسألْ عنه ، وقال : لو كنتَ عدلاً لم ترْضَ بها . وردّ آخرَ يُلقَّبُ « أبَا الذِّبّانِ » ولم يَسأل عنه .

٤٣ ●وسأل عُمَرُ رجلاً أراد أن يستعين به (على أمرٍ) عن اسمه واسم أبيه ، فقال: ظالمُ بنُ سَرّاق ، فقال : تظلمُ أنت ويسرقُ أبوكَ اولم يستعنْ به .

12 ٤٤ ●وسمع عمرُ بن عبد العزيز رجلًا يدعو رجلًا[٢] : يأَبَا العُمَرَيْنِ ، فقال : لو كان له عقلٌ كفاه أحدُهما !

٤٥ ●ومن هذا الضرب قولُ الأَعْشَى [٣] :

وقَدْ غَدَوْتُ إلى الحَانُوتِ يتْبَعُنِى   شَاوٍ مِشَلٌّ شَلُولٌ شُلْشُلٌ شَوِلُ

وهذه الألفاظُ الأربعةُ فى معنًى واحدٍ ، وكان قد يستغنى بأحدها عن جميعها[٤]. وماذا يزيدُ هذا البيت أنْ كان للأَعْشى أو يَنقُص ؟

٤٦ ● [و] [٥] قولُ أبى الأَسَدِ ، وهو من المتأخرين الأخفياء[٦] :

---

(١) س ف « بشاعة كنيته » .   (٢) س ف « ينادى آخر » .

(٣) البيت فى اللسان ١٣ : ٣٨٥ والخزانة ٣ : ٥٤٧ . وصدره فى اللسان ١٣ : ٣٩٩ . وهو من قصيدته التى ألحقها التبريزى بالمعلقات وشرحها فى شرح القصائد العشر ٢٧٢ — ٢٨٩ .

(٤) فى اللسان : « الشاوى الذى شوى ، والشلول الخفيف ، والمشل المطرد ، والشلشل الخفيف القليل ، وكذلك الشول ، والألفاظ متقاربة ، أريد بذكرها والجمع بينها المبالغة » .

(٥) واو العطف لم تثبت فى الأصول وإثباتها ضرورى فزدناها .

(٦) اسمه نباتة بن عبد الله الحمانى ، شاعر مطبوع متوسط الشعر ، من شعراء الدولة العباسية من أهل الدينور ، وكان طيباً مليح النوادر مداحاً خبيث الهجاء . قاله فى الأغانى ، وله ترجمة فيه ١٢ : ١٦٧ — ١٧١ والأبيات فيه ١٦٨ يمدح بها الفيض بن صالح وزير المهدى .

ولَائِمَة لَامَتْكَ يَا فَيْضُ فى النَّدَى ... فقُلْتُ لَها: لَنْ يَقْدَحَ اللَّوْمُ فى البَحْرِ
أَرَادَتْ لِتَثْنِى الفَيْضَ عن عَادَةِ النَّدَى ... ومَنْ ذَا الَّذِى يَثْنِى السَّحَابَ عَنِ القَطْرِ
مَوَاقِعُ جُودِ الفَيْضِ فى كُلِّ بَلْدَةٍ ... مَوَاقِعُ ماءِ المُزْنِ فى البَلَدِ القَفْرِ
كَأَنَّ وُفُودَ الفَيْضِ حِينَ تَحَمَّلُوا ... إلى الفَيْضِ وَافَوْا عِنْدَهُ لَيْلَةَ القَدْرِ

٤٧ ● وهو القائل[1]:

لَيْتَكَ آذَنْتَنِى بِوَاحِــدَاةٍ ... تَكُونُ لِى مِنْكَ سَائِرَ الأَبَدِ
تَحْلِفُ أَلَّا تَبَرَّنِى أَبَدًا ... فَإِنَّ فِيهَا بَرْدًا على كَبِدِى
إِنْ كَانَ رِزْقِى إِلَيْكَ فَارْمِ بِهِ ... فى نَاظِرَىْ حَيَّةٍ على رَصَدِ

٤٨ ● ومن هذا الضرب أيضاً قولُ المُرَقِّشِ[2]:

هَلْ بِالدِّيَارِ أَنْ تُجِيبَ صَمَمْ ... لَوْ أَنَّ حَيًّا نَاطِقاً كَلِمْ
يَأْبِى الشَّبَابُ الأَقْوَرِينَ وَلَا ... تَغْبِطْ أَخَاكَ أَنْ يُقَالَ حَكَمْ[3]

٤٩ ● والعجبُ عندى من الأَصْمَعِىِّ، إذْ[4] أدخله فى مُتَخيَّرِه[5]، وهو شعرٌ ليس بصحيحِ الوزنِ، ولا حَسَنِ الرَّوِىِّ، ولا مُتَخيَّرِ اللفظِ، ولا لطيف

13

---

(١) من أبيات فى الأغانى ١٢ : ١٦٨ يهجو بها أحمد بن أبى دؤاد، لأنه مدحه فلم يثبه ووعده بالثواب ومطله.

(٢) المرقش الأكبر شاعر جاهلى، ستأتى ترجمته ١٠٢ – ٢٠٥ ل وهذان البيتان هما الأول والأخير من المفضلية ٥٤ انظرها بشرحنا مع الأستاذ عبد السلام محمد هرون طبعة دار المعارف. وسيأتى بهما المؤلف مرة أخرى ٣٥ ل، وسيذكر البيت الأخير فى ترجمة المرقش.

(٣) «يأبى» ثابتة الضبط فى المواضع الثلاثة فى هذا الكتاب، وهى صحيحة على القياس مثل «أتى يأتى». وأما «أبى يأبى» مثل «سعى يسعى» فإنه سماعى. وفى رواية المفضليات «يأتى» بالتاء المثناة. الأقورين: الدواهى.

(٤) س ف «حين».

(٥) هذا الشعر فى المفضليات، ولم يذكر فى الأصمعيات. وقد استدللنا فى مقدمة شرحنا للمفضليات بقول ابن قتيبة هذا على تداخل الأصمعيات فى المفضليات.

المعنَى ، ولا أعلمُ[١] فيه شيئاً يُستحْسنُ إلّا قوله :

اَلنَّشرُ مِسْك والوُجُوهُ دَنَا   نِيرٌ وأَطْرَاف الأكُفِّ عَنَمْ

ويُستجادُ منه قولُه :

لَيْسَ على طُولِ الحيَاةِ نَدَمْ   ومنْ وَرَاء المَرْء مَا يُعْلَمْ[٢]

٥٠ ●وكان الناس يستجيدون للأعْشَى قولَه[٣] :

وكَأْسٍ شَرِبْتُ على لَذةٍ   وأُخْرَى تَدَاوَيْتُ منْهَا بهَا

حتى قال[٤] أبو نُوَاس :

دَعْ عَنْكَ لَوْمِى فَإنَّ اللَّوْمَ إغْرَاءُ   وَدَاوِنِى بِالّتِى كانَتْ هِىَ الدَّاءُ

فسلخه وزاد فيه معنًى آخرَ ، اجتمع له به الحُسْنُ فى صدره وعَجُزِه ، فللأعْشَى فضلُ السَّبْق إليه ، ولأبى نُوَاسٍ فضلُ الزيادة فيه[٥].

٥١ ●وقال الرشيد للمفضَّل الضبىِّ : اذكُرْ لى بيتاً جيِّدَ المعنى يحتاج إلى مقارعةِ الفكرِ فى استخراج[٦] خَبِيئِه ثمَّ دعْنى وإيَّاه . فقال له المُفَضَّلُ : أتَعَرفُ بيتاً أوَّله أعرابىٌّ فى شَمْلَتِه ، هابٌّ من نَوْمتِه ، كأنّما صَدَر عن ركبٍ جَرَى فى أجفانهم الوَسَنُ فركَد ، يستفزُّهم بعُنْجَهِيَّة[٧] البَدْو ،

(١) س ف هـ « ولا أعرف » .

(٢) « يعلم » ضبط فى هذا الكتاب بالبناء للمجهول ، وفى المفضليات بالبناء للفاعل ، فأثبتناهما معاً ، والمعنى واحد ، يريد أن أمام الإنسان عاقبة عمله ، أو أمامه الشيب والهرم والأمراض والعلل .

(٣) س ف « يستجيدون قول الأعشى » .

(٤) س ف « إلى أن قال » .

(٥) س ف « عليه » .

(٦) س ف « إلى مقارعة الأذهان فى إخراج » .

(٧) العنجهية : الكبر والعظمة ، أو الجفوة وخشونة المطعم وسائر الأمور ، أو الجهل والحمق . وضبطت هنا بفتح الجيم ، ونقل صاحب اللسان الفتح عن ابن سيده عن ابن الأعرابى ، والجادة ضم الجيم ، وهو الذى فى القاموس وغيره .

وتَعَجْرُفِ الشَّدْوِ ، وآخره مَدَنِيٌّ رقيقٌ ، قد غُذِّيَ بماءِ العَقِيق ؟

قال : لا أعرفه ، قال : هو بيتُ جَميل بن مَعْمَر :

* أَلَا أَيُّهَا الرَّكْبُ النِيَامُ أَلَا هُبُّـــوا[١] *

14

ثمَّ أدركَتْهُ رِقَّةُ المَشُوقِ[٢] فقال :

* أُسَائِلُكُمْ[٣] : هَلْ يَقْتُلُ الرَّجُلَ الحُبُّ ؟ *

قال : صدقتَ ، فهل تعرفُ أنت الآن بيتاً أَوَّلُه أَكْثَمُ بنُ صَيْفِيٍّ في إِصالة الرأى[٤] ونُبْلِ العِظَةِ ، وآخره إِبُقْرَاطُ في معرفته[٥] بالداء والدواء ؟ قال المُفَضَّلُ : قد هَوَّلْتَ عليَّ ، فليتَ شعرى بأَيِّ مهرٍ تُفتَرَعُ عروسُ هذا الخِدْرِ ؟ قال : بإصغائك وإنصافكَ[٦] ، وهو قولُ[٧] الحسَن بن هانئ :

دَعْ عنْكَ لَوْمِى فَإِنَّ اللَّوْمَ إِغْـــراءُ   ودَاوِنِى بِالَّتِى كانَتْ هِىَ الدَّاءُ

٥٢ ● قال أبو محمَّد : وسمعتُ بعضَ أهل الأدب يذكرُ[٨] أنَّ مُقَصِّدَ القصيدِ إنَّما ابتدأ فيها بذكرِ الديارِ والدِّمَنِ والآثارِ ، فبكَى وشَكَا ، وخاطبَ الرَّبْعَ ، واستوقَفَ الرفيقَ ، ليجعلَ ذلكَ سبباً لذكر أهلِهَا الظاعنينَ (عنها) ،

(١) في الأغاني ٧ : ٨٦ * ألا أيها النوام ويحكم هبوا * وذكر قصة أخرى نحو هذه بين الهيثم ابن عدى وصالح بن حسان .

(٢) س ف ه « الشوق » .

(٣) الأغانى « نسائلكم » .

(٤) « الأصالة » المعروف فيها فتح الهمزة لا غير ، ولكنها ضبطت هنا بالكسر فقط ، فأثبتناها ، وإن لم نجد ما يؤيد الكسر .

(٥) س ب « لمعرفته » .

(٦) س ب « بإنصافك وإنصاتك » .

(٧) س ب « وهو بيت » .

(٨) س ب « بعض أهل العلم يقول » .

إذْ كان نازلَةُ العَمَدِ[1] فى الحلول والظَّعْن على خلاف ما عليه نازلةُ المَدَرِ ، لانتقالِهم[2] عن ماءٍ إلى ماءٍ ، وانتجاعهم الكَلَأَ ، وتَتَبُّعِهِمْ مساقطَ الغَيْثِ حيثُ كَانَ . ثم وَصلَ ذٰلك بالنسيبِ ، فشكا شِدَّةَ الوَجْدِ وأَلَمَ الفِرَاقِ ، وفَرْطَ الصبابةِ[3] والشوقِ ، لِيمِيلَ نحوَه القلوبَ ، ويصرفَ إليه الوُجوهَ ، وليَسْتَدْعِيَ (به) إصغاءَ الأَسماعِ (إليه) ، لأَنَّ التشبيبَ[4] قريبٌ من النفوس ، لائِطٌ بالقلوبِ ، لما (قد) جعلَ اللهُ فى تركيبِ العبادِ من محبَّة الغَزَل ، وإلْفِ النساء ، فليس يكادُ أحدٌ يخلو من أن يكون متعلِّقاً منه بسببٍ ، وضارباً فيه بسهمٍ ، حلالٍ أو حرامٍ . فإذا (علم أنَّه قد) استوثق من الإصغاء إليه ، والاستماع له ، عَقَّب بإيجاب الحقوق ، فرَحَلَ فى شعره ، وشكَا النَّصَبَ والسَّهَرَ ، وسُرَى الليلِ وحرَّ الهجيرِ ، وإنضاء الراحلةِ والبعيرِ . فإذا عَلِمَ أنَّه (قد) أوجب على صاحبه حقَّ الرجاء ، وذِمَامةَ[5] التأميلِ ، وقَرَّرَ عنده ما ناله من المَكَارِهِ فى المسير ، بَدَأَ فى المديح ، فبعثه على المكافأة ، وهزَّه للسَّماحِ[6] ، وفضَّله على الأَشباهِ ، وصَغَّر فى قَدْرِه الجزيلَ .

٥٣ ● فالشاعرُ المُجِيدُ مَن سَلَكَ هذه الأَساليبَ ، وعدَّل بين هذه

---

(١) نازلة العمد : هم أصحاب الأبنية الرفيعة الذين يتنقلون بأبنيتهم ، وبنحو ذلك فسر الفراء قوله تعالى (إرم ذات العماد) « أنهم كانوا أهل عمد ينتقلون إلى الكلأ حيث كان ثم يرجعون إلى منازلهم » .

(٢) س ب «لانتجاعهم الكلأ وانتقالهم » .

(٣) س ب « فشكا شدة الشوق وألم الوجد والفراق ، وفرط الصبابة » .

(٤) س ب « لأن النسيب » .

(٥) الذمامة ، بفتح الذال وكسرها : الحق والحرمة . وفى س ب « وذمام » وهى بكسر الذال بمعنى الذمامة .

(٦) س ب « على السماح » .

الأقسام ، فلم يجعلْ واحدًا منها أغلبَ على الشعر ، ولم يُطِلْ فيُمِلَّ السامعين ، ولم يقطَعْ وبالنفوس ظَمَآءٌ إلى المزيد .

٥٤ ●فقد كان بعض الرُّجّازِ أتى نَصْرَ بنَ سَيَّارٍ والىَ خُرَاسَانَ لبنى أُميَّة[1] ، فمدحه بقصيدةٍ ، تشبيبُها مائةُ بيتٍ ، ومديحُها عشرةُ أبياتٍ ، فقال نَصْرٌ : واللهِ ما بَقَّيْتَ كلمةً عَذْبَةً ولا معنًى لطيفاً إلّا وقد شَغَلْتَه عن مديحى بتشبيبك ، فإن أردتَ مديحى فاقتصدْ فى النسيب ، فأتاه فأنشدَه :

هَلْ تَعْرِفُ الدَّارَ لأُمِّ الغَمْرِ دَعْ ذَا وحَبِّرْ مِدْحَةً فى نَصْرِ

فقال نصرٌ : لا ذاك[2] ولا هذا ولكنْ بَيْنَ الأمرين .

٥٥ ●وقيل لعَقِيل بن عُلَّفَة[3] : ما لك لا تُطِيلُ الهجاءَ ؟ فقال : يكفيكَ من القِلادَةِ ما أحاطَ بالعنق .

16

٥٦ ●وقيل لأبى المُهَوِّش الأَسَدى[4] : لِمَ لا تُطيل الهجاءَ ؟ فقال : لم أجِدْ المثلَ السائرَ إلّا بيتاً واحدًا .

٥٧ ●وليس لمتأخِّرِ الشعراء أنْ يَخرجَ عن مذهب المتقدّمين فى هذه الأقسام ، فيقفَ على منزلٍ عامر ، أو يبكىَ عند مُشَيَّدِ البنيان ، لأنَّ المتقدّمين وقفوا على المنزل الداثر ، والرسم العافِى . أو يرحلَ على حمارٍ أو بغلٍ ويصفَهما ، لأنَّ المتقدّمين رَحَلوا على الناقة والبعير . أو يَرِدَ على المياه

---

(١) ولى نصر بن سيار خراسان سنة ١٢٥ ولاه إياها الوليد بن يزيد بن عبد الملك .

(٢) س ب – ه « لا ذاك » .

(٣) هو عقيل بن علفة المرى . كان شاعراً شريفاً من غطفان . أخباره فى معجم الشعراء للمرزبانى ٣٠١ – ٣٠٢ والأغانى ١١ : ٨١ – ٨٩ .

(٤) « المهوش » بكسر الواو المشددة . وضبط فى ب فتح الواو . وأبو المهوش اسمه ربيعة بن وثاب . رجح صاحب الخزانة أنه شاعر إسلامى . وانظر الخزانة ٣ : ٨٦ : ١٤٢ والسمط ٨٦٣ .

العِذَابِ الجوارى ، لأَنَّ المتقدّمين وَرَدوا على الأَواجِنِ الطَّوَامِى . أَو يقطعَ إلى الممدوح منابتَ النرجسِ والآسِ والورد ، لأَنَّ المتقدّمين جَرَوْا على قطع منابت الشيح والحَنْوةِ والعَرَارَةِ[1] .

٥٨ ●قال خَلَفٌ الأَحمَرُ : قال لى شيخٌ من أَهل الكُوفَة : أَمَا عجبتَ من الشاعر قال :

* أَنْبَتَ قَيْصُوماً وجَثْجَاثَا *

فاحتُمِلَ له ، وقلتُ أنا :

* أَنْبَتَ إِجَّاصاً وتُفَّاحَا *

فلم يُحْتَمَلْ لى ؟

٥٩ ●وليس له أَن يقيسَ على اشتقاقهم ، فيُطْلِقَ ما لم يُطلقوا .

٦٠ ●قال الخليلُ (بنُ أحمد) : أَنشدنى رجلٌ :

* تَرَافعَ العِزُّ بِنَا فارْفَنْعَعا *

فقلتُ . ليس هذا شيئاً ، فقال : كيف جاز للعَجَّاجِ أن يقول :

* تَقَاعَسَ العِزُّ بِنَا فَاقْعَنْسَسَا[2] *

ولا يجوزُ لى ؟!

٦١ ● ومن الشعراء المتكَلِّفُ والمطبوعُ[3] :

---

(١) الحنوة ، بفتح الحاء : نبات سهلى طيب الريح ، وقال أبو حنيفة : الحنوة الريحانة . والعرارة ، بفتح العين : واحدة العرار ، وهو نبت طيب الريح أيضاً ، وقال ابن برى : هو النرجس البرى .

(٢) فى اللسان « تقاعس العز أى ثبت وامتنع ولم يطأطىء رأسه ، فاقعنسس أى فثبت معه » .

(٣) هذا الكلام كأنه منقول بنصه أو معناه فى البيان والتبيين للجاحظ ٢ : ٢١ و ٢ : ٢٥ .

٦٢ ● فالمتكلِّفُ هو الذى قوَّم شعرَه بالثِّقافِ ، ونقَّحه بطول التفتيش ، وأعادَ فيه النظرَ بعدَ النظرِ ، كزُهَيْرٍ والحُطَيْئَةِ . وكان الأَصْمَعِىُّ يقول : زُهَيْرٌ والحُطَيْئَةُ وأشباهُهما[1] (من الشعراء) عَبِيدُ الشعرِ ، لأنهم نقَّحُوه ولم يذهبوا فيه مذهبَ المطبوعين . وكان الحُطَيْئَةُ يقولُ : خيرُ الشعر الحَوْلِىُّ المُنَقَّح المُحَكَّكُ . وكان زُهَيْرٌ يسمِّى كُبْرَ قصائدِه الحوليَّات[2].

٦٣ ● وقال سُوَيْدُ بن كُراعٍ ، (يَذْكُرُ تنقيحَه شعرَه)[3] :

أَبِيتُ بِأَبْوَابِ القَوَافِى كَأَنَّمَا ... أُصَادِى بها[4] سِرْباً مِنَ الوَحْشِ نُزَّعَا

أُكَالِئُهَا حَتَّى أُعَرِّسَ بَعْدَ ما ... يكُونُ سُحَيْرًا أَوْ بُعَيْدُ فأَهْجَعا

إذَا خفْتُ أَنْ تُرْوَى علَىَّ رَدَدْتُهَا ... وَرَاءَ التَّرَاقِى خَشْيَةً أَنْ تَطَلَّعا

وَجَشَّمَنِى خَوفُ ابْنِ عَفَّانَ رَدَّهَا ... فَثَقَّفْتُهَا حَوْلًا جَرِيدًا ومَرْبَعا[5]

(وقَدْ كان فى نَفْسِى عليْها زِيَادَةٌ ... فَلَمْ أَرَ إِلَّا أَنْ أُطِيعَ وأَسْمَعا)

٦٤ ● وقال عَدِىُّ بنُ الرِّقَاعِ[6] :

وقَصِيدَةٍ قَدْ بِت أَجْمَعُ بَيْنَهَا ... حَتَّى أُقَوِّمَ مَيْلَهَا وسِنَادَها

نَظَرَ المُثَقِّفِ فى كُعُوبِ قَنَاتِهِ ... حَتَّى يُقِيمَ ثِقَافُهُ مُنَآدَها

٦٥ ● وللشعرِ دواعٍ تحث البطىء وتبعثُ المتكلِّفَ ، منها الطمعُ ، ومنها الشوقُ ، ومنها الشراب ، ومنها الطرب ، ومنها الغضب .

---

(١) س ب «وأمثالها» .

(٢) سيأتى نحو هذا ٦١ ل .

(٣) من أبيات ستأتى ترجمته ٤٠٣ ل . وانظرها مطولة فى الأغانى ١١ : ١٢٣ .

(٤) س ب ف د «به» .

(٥) حولا جريداً : أى تاماً .

(٦) من قصيدة سيأتى بعضها فى ترجمته ٣٩٢ – ٣٩٣ ل والبيتان فى الموشح ص : ١٣ .

٦٦ ●وقيل للحُطَيْئَة ، أَىُّ الناسِ أَشْعَرُ(١)؟ فأخرج لساناً دقيقاً كأنَّه لسانُ حيَّة ، فقال : هذا إذا طمع .

٦٧ ●وقال أحمد بن يوسف الكاتب لأبى يعقوبَ الخُرَيْمىّ : مدائحك لمحمَّد بن مَنْصُور بن زِيَاد ، يعنى كاتبَ البرامكةِ ، أشعرُ من مراثيك فيه وأجود ؟ فقال : كنَّا يومئذ نعملُ على الرجاء ، ونحن اليومَ نعملُ على الوفاء ، وبينهما بَوْنٌ بعيد(٢).

٦٨ ●وهذه عندى قصَّةُ الكُمَيْت فى مدحه بنى أُمَيَّة وآلِ أبى طالبٍ ، فإنَّه كان يتشيَّع وينحرفُ عن بنى أُمَيَّة بالرأى والهوىٰ ، وشعرُه فى بنى أُمَيَّة أجودُ منه فى الطالبيِّين ، ولا أرىٰ علة ذلك إلّا قوَّةَ أسباب الطمع وإيثار النفس لعاجل الدنيا على آجل الآخرة .

٦٩ ●وقيل لكُثَيِّرٍ : يأبا صَخْرٍ كيف تصنعُ(٣). إذا عَسُرَ عليك قولُ الشعر ؟ قال : أطُوف فى الرِّباع المخلية والرياض المعشبة ، فيسهلُ علىَّ أرصَنُه ، ويُسرعُ إلىَّ أحسنُه .

٧٠ ●ويقال أيضاً إنَّه لم يُسْتَدْعَ(٤) شاردُ الشعر بمثل الماء الجارى والشرَف العالى والمكان الخَضِرِ الخالى .

٧١ ●وقال الأَحْوَصُ(٥) :

وأَشْرَفْتُ فى نَشْزٍ مِنَ الأَرْضِ يَافِعٍ ... وقَدْ تَشْعَفُ الأَيْفَاعُ مَنْ كانَ مُقْصَدا

---

(١) س ب « من أشعر الناس » .

(٢) سيأتى ذلك مرة أخرى ، فى الفقرة : ١٥٧٩ .

(٣) س ب « كيف تصنع يابا صخر » .

(٤) س ب « ما استدعى » .

(٥) من أبيات ستأتى فى الفقرة : ٩٠٣ .

وإذا شعفَتْه الأيفاعُ مَرَتْهُ واستدرَّته .

٧٢ ● وقال عبدُ الملك بن مَرْوانَ لأَرْطاةَ بن سُهَيَّةَ : هل تقول الآنَ شعرًا ؟ فقال : (كيف أقول وأنا) ما أشرب ولا أطرب ولا أغضبُ ، وإنما يكونُ الشعر بواحدة من هذه[1].

٧٣ ● وقيل للشَّنْفَرَىٰ حين أُسِرَ : أَنْشِدْ ، فقال : الإنشادُ على حين المَسَرَّة[2] ، ثم قال :

19
فَلَا تَدْفِنُونِي إنَّ دَفْنِي مُحَرَّمٌ ... عليْكُمْ ولٰكِنْ خَامِرِي أُمَّ عَامِرِ[3]
إذَا حَمَلُوا رأسِي وفي الرأسِ أكثَرِي ... وغودِرَ عِنْدَ المُلْتَقَىٰ ثَمَّ سَائرِي[4]
هُنالِكَ لَا أَرْجُو حَيَاةً تَسُرُّنِي ... سَميرَ الليالِي مُبْسَلاً بالجَرَائرِ[5]

٧٤ ● وللشعر تاراتٌ[6] يبعد فيها قريبُه ، ويَستصعِبُ (فيها) رَيِّضُه . وكذلك الكلامُ المنثور في الرسائل والمقامات والجوابات ، فقد يتعذَّر على الكاتب الأديب وعلى البليغ الخطيب . ولا يُعْرَف لذلك سببٌ[7] ، إلّا أن

(١) ستأتى القصة مطولة فى ترجمته ٣٣٢ ل . انظر الأغانى ١١ : ١٣٤ — ١٣٥ .

(٢) س ب « على حال المسرة » . وهذه القصة مختصرة فى قصة مقتله ، وتجدها مفصلة فى الأنبارى ١٩٤ — ١٩٧ والأغانى ٢١ : ٨٧ — ٩٣ والخزانة ٢ : ١٦ — ١٨ . والأبيات فى الحماسة بشرح التبريزى ٢ : ٦٣ — ٦٥ .

(٣) بحاشية ب « قال الشريف : الرواية لا تدفنونى » . والذى فى المراجع التى أشرنا إليها « لاتقبرونى. إن قبرى » وفى سائر الروايات « أبشرى أم عامر » . قال التبريزى : « فى قوله ولكن أبشرى أم عامر وجهان ، أحدهما أبشرى أم عامر بأكل إذا تركت ولم أدفن ، والثانى اتركونى للّتى يقال لها أبشرى أم عامر . ويروى خامرى أم عامر » وأم عامر هى الضبع .

(٤) ب د هـ « إذا حملت » . وفى الخزانة والأغانى « إذا احتملت » . وفى الأنبارى والحماسة « إذا احتملوا » .

(٥) فى الأنبارى والحماسة واللسان ٧ : ٤٠٨ « سجيس الليالى » وهما بمعنى ، والمراد : أبداً . ومعنى « مبسلا بالجرائر » أنه أسلم إلى عدوه بما جنى عليهم ، المبسل : المسلم .

(٦) س ب « أوقات » .

(٧) س ب « ولا تعرف لذلك علة » .

يكونَ من عارض يعْترِضُ[١] على الغَريزةِ من سُوءِ غذاءٍ أو خاطِرِ غَمٍّ .

٧٥ ● وكان الفَرَزْدَقُ يقول : أنا أشعرُ تَميمٍ (عند تَميمٍ) ، وربما أتَتْ علىَّ ساعةٌ ونزعُ ضرس أسهلُ[٢] علىَّ من قولِ بيتٍ .

٧٦ ● وللشعر أوقاتٌ يُسْرِعُ فيها أتِيُّه ، ويَسْمَحُ (فيها) أبِيُّه . منها أوّلُ الليل قبل تَغَشِّى الكَرَى ، ومنها صدرُ النهار قبلَ الغَدَاء ، ومنها يومُ شرب الدواء ، ومنها الخلوةُ فى الحبسِ[٣] والمسيرِ .

٧٧ ● ولهذه العلل تختلفُ أشعارُ الشاعرِ ورسائلُ الكتاب .

٧٨ ● وقالوا فى شعر النابغة الجَعْدىّ : خِمَارٌ بِوَاف ومطْرَفٌ بآلاف[٤].

٧٩ ● ولا أرىٰ غيرَ الجَعْدىّ فى هذا الحكم إلّا كالجَعْدىّ ، ولا أحسبُ أحدًا من أهل التمييز والنظرِ[٥] ، نَظَر بعينِ العدل وتَركَ طريقَ التقليد ، يستطيعُ أن يُقَدِّمَ أحدًا من المتقدّمين المُكْثِرين على أحد إلّا بأنْ يَرى الجيِّدَ فى شعره أكثرَ من الجيِّدِ فى شعر غيره . 20

---

(١) س ب «يعرض» وبحاشية ب" « قال الشريف : يختار فى الشر عرض يعرض ، وفى الخير عرض يعرض » . وقد ضبط الفعل الماضى فيهما بفتح الراء ، وهو خطأ ، فإن الذى فى المصباح أن الفعل كله كله من باب « ضرب » ثم قال « وعرضت له بالسوء أعرض ، من باب تعب ، لغة » . ونص اللسان أيضاً على البابين أنهما لغتان .

(٢) س ب « أهون » .

(٣) س ب « فى المجلس » .

(٤) هذه الكلمة فى الأغانى : ١٣٧ عن الأصمعى قال : « ذكر الفرزدق نابغة بنى جعدة فقال : كان صاحب خلقان ، عنده مطرف بألف وخمار بواف ، يعنى درهماً » . وقال محمد بن سلام الجمحى فى طبقات الشعراء ٢٦ : « وكان الجعدى مختلف الشعر مغلباً ، فقال الفرزدق : مثله مثل صاحب الخلقان ترى عليه ثوب عصب وثوب خز وإلى جانبه سمل كساء » . وسيأتى نحو هذا فى الفقرة : ٤٩٨ .

(٥) س ب « من أهل المعرفة أو أهل التمييز » .

٨٠● ولله دَرُّ القائل : أشعرُ الناسِ مَن أنت فى شعره حتّى تفرُغ منه .

٨١● وقال العُتبىُّ : أنْشدَ مَرْوانُ بن أبى حَفْصَة لزُهَيْرٍ فقال : زُهَير أشعرُ الناس ، ثمَّ أنشدَ للأَعْشَىٰ فقال : (بل) هذا أشعرُ الناسِ ، ثمَّ أنشد لامْرِئِ القَيس فكأنَّما سَمع به غِنَاءً على شراب ، فقال : امرؤُ القيس والله أشعر الناسِ .

٨٢● وكلُّ علمٍ[1] محتاجٌ إلى السماع . وأحوجُه إلى ذلك علمُ الدين ، ثمَّ الشعرُ ، لما فيه من الألفاظِ الغريبة ، واللُّغاتِ المختلفة ، والكلامِ الوحشىِّ ، وأسماءِ الشجرِ والنباتِ والمواضعِ والمياهِ . فإنَّك لا تَفْصِلُ فى شعر الهُذَليِّين إذا أنت لم تسمعه بين «شَابَةَ» و «سَايَةَ» وهما موضعان[2] ، ولا تثق بمعرفتك فى حَزْمِ نُبَايعَ[3] ، وعُرْوَان الكَرَاثِ[4] ، وشَسَّىْ عَبقَرَ[5] ،

---

(١) س ب ﻫ « وكل العلم » .

(٢) « شابة » بالشين المعجمة والباء الموحدة الخفيفة ، قال ياقوت : « جبل بنجد ، وقيل بالحجاز فى ديار غطفان بين السليلة والربذة » . و « ساية » بالسين المهملة وبعد الألف ياء مثناه تحتية مفتوحة ، قال ياقوت : « اسم واد من حدود الحجاز » ثم نقل عن ابن جنى أنه « واد عظيم به أكثر من سبعين ميناً » .

(٣) « حزم نبايع » : جبل أو واد فى ديار هذيل .

(٤) « عروان » بضم العين : من أمنع جبال حجاز وأكثره صيداً وعسلا ، وهو من منازل هذيل ، كما فى صفة الجزيرة ١٧٣ ونقل ياقوت عن ابن دريد فتح العين . و « الكراث » بفتح الكاف والراء وآخره ثاء مثلثة : نبت ، قال ياقوت ٦ : ١٥٩ « وهو الهيلون » وذكر بيت ساعدة بن جؤية الهذلى :

* دفاق فعروان الكراث فضيمها *

ثم ذكر البيت مرة أخرى فى ٧ : ٢٢٦ وقال : « دفاق وعروان والكراث وضيم : أودية كلها فى بلاد هذيل . هكذا هو فى عدة مواضع من كتاب هذيل ، وهو غلط ، والصواب الكراب بالباء الموحدة » . وقد أخطأ فى ذلك فإن الموضع هو عروان ونسب للنبت الذى يكثر فيه ، والثاء المثلثة ثابتة فى المصادر الصحاح المتقنة . وذكر « الكراب » فى بيت آخر لتأبط شراً لا يجعل الموضعين واحداً .

(٥) الشس : الغليظ من كل شىء . « عبقر » ضبطها ياقوت كما هنا بسكون الباء وفتح القاف

وأسدِ حَلْيَةَ[١] ، وأسدِ تَرْجٍ[٢] ، ودُفَاقٍ[٣] ، وتُضَارُعَ[٤] ، وأشباه هذا لأنّه لا يلحق بالذكاء والفطنة ، كما يلحق مشتقُّ الغريبِ .

٨٣ ●وقُرِئَ يوماً على الأصمعيّ في شعر أبي ذُؤيب :

* بِأَسْفَلَ ذاتِ الدَّيْرِ أُفْرِدَ جَحْشُهَا *

فقال أعرابيٌّ حَضَرَ المجلسَ للقارئ : ضُلَّ ضَلَالُكَ (أيها القارئُ) ! إنّما هي «ذاتُ الدَّبْر» وهي ثَنِيَّةٌ عندنا[٥] ، فأخَذَ الأصمعيُّ بذلك فيما بعد . 27

٨٤ ●ومن ذا من الناسِ يأخذُ من دفتر شعر المُعَذَّل بن عبد الله في وصف الفَرس :

مِنَ السُّحِّ جَوّالًا كَأَنَّ غُـلَامَهُ يُصَرِّفُ سِبْدًا في العِنَان عَمَرَّدَا[٦]

إلّا قرأه «سِيدًا» يذهب إلى الذئب ، والشعراءُ (قد) تشبه الفرسَ

وتخفيف الراء ، وقال : « هي أرض كان يسكنها الجن ، يقال في المثل : كأنهم جن عبقر » . وقد جاء في بيت المرار بن منقذ « فشبي عبقر » (المفضليات ١٦ : ٥٣) بفتح الباء وضم القاف وتشديد الراء ، ولم يذكر الأنباري (١٥٣) خلافاً في ضبطه أو تغييراً ، ولكن زعم ياقوت أن الشاعر غيره من أجل الوزن . والظاهر عندي أن الموضع الذي ذكره المرار غير الموضع الذي تنسب إليه الجن .

(١) الظاهر من سياق الكلام هنا أن « أسد حلية » اسم موضع ، ولكن الذي في ياقوت وصفة جزيرة العرب أن اسم الموضع « حلية » قال ياقوت : « مأسدة بناحية اليمن » ونقل أقوالا أخر في تعيين موضعها ، فحلية هي الموضع ينسب إليها الأسد فيقال « أسد حلية » .

(٢) هذه كالتي قبلها . قال ياقوت : « ترج ، بالفتح ثم السكون وجيم : جبل بالحجاز كثير الأسد » .

(٣) دفاق ، بضم الدال وتخفيف الفاء وآخره قاف : موضع قرب مكة .

(٤) تضارع : قال ياقوت : « بضم الراء على تفاعل ، عن ابن حبيب ، ولا نظير له في الأبنية ، وقيل بكسر الراء : جبل بتهامة لبني كنانة » .

(٥) انظر معجم البلدان ٤ : ٣٢ .

(٦) البيت في اللسان ٤ : ١٨٧ وقال : « قوله من السح يريد من الخيل التي تسح الجرى ، أي تصب ، والعمرد الطويل » .

بالذنب ، وليست الروايةُ المسموعة (عنهم) إلّا «سِبْدًا» . قال أبو عُبَيْدَة :

المصحّفون لهذا الحرف كثير ، يروونه «سيدًا» (أى ذئباً) ، وإنّما هو «سبْدٌ» بالباء معجمة بواحدة ، يقال «فلانٌ سِبْدُ أَسْبَادٍ» أى داهيةُ دواه .

٨٥ •وكذلك قولُ الآخَر :

زَوْجُكِ يا ذاتَ الثَّنَايَا الغُرُّ ... الرَّتِلاَتِ والجَبِينِ الحُرّ

يرويه المصحِّفون والآخذون عن الدفاتر «الرَّبَلاَت» وما «الربلاتُ» من الثنايا والجبين ؟ اوهى أصول الفخذين ، يقال: «رجل أَرْبَلُ» إذا كان عظيمَ الرَّبلَتيْنِ ، (أى عظيمَ الفخذَيْن) ، وإنّما هى «الرَّتَلات» بالتاء ، يقال : «ثَغْرٌ رتِلٌ» إذا كان مُفَلَّجًا [١].

٨٦ •وليس كلُّ الشعر يُختار (ويُحْفَظ) على جودة اللفظ والمعنى ، ولكنّه قد يُخْتار ويُحْفَظ على أسبابٍ [٢] :

٨٧ •منها الإصابةُ فى التشبيه ، كقولِ القائِل فى وصف القمر :

بَدَأَنَ بنا وَابْنُ اللَّيَالِي كَأَنَّهُ ... حُسَامٌ جَلَتْ عَنْهُ القُيُونُ صَقِيلُ

فما زِلْتُ أُفْنِى كُلَّ يَوْمٍ شَبَابَهُ ... إلى أَنْ أَتَتْكَ العيسُ وهْوَ ضَئِيلُ

٨٨ •وكقولِ الآخَرَ فى مُغَنٍّ :

---

(١) وقد رواه صاحب اللسان على الخطأ أيضاً فى أبيات ٧ : ١٥ .

(٢) س ب «قد يختار على جهات وأسباب»

22

كَأَنَّ أَبَا الشُّمُوسِ إِذَا تَغَنَّى ... يُحَاكِى عَاطِساً فى عَيْنِ شَمْسِ(١)

يَلُوكُ بِلَحْيِهِ طَوْرًا وطَوْرًا ... كَأَنَّ بِلَحْيِهِ ضَرَبَانَ ضِرْسِ

وقد يُخَفَّفُ. ويُخْتَار على خفّة الرَّوِىِّ، كقول الشاعر(٢):

يا تَمْلِكُ يَا تَمْلِى ... صِلِينى وذَرِى عَذْلِى(٣)

ذَرِينى وسِلَاحِى ثُـ ... ـمَّ شُدِّى الكَفَّ بِالغَزْلِ(٤)

ونَبْلِى وفُقَاهَا كَـ ... ـعَرَاقِيبِ قَطاً طُحْلِ(٥)

ومِنِّى نَظْرَةٌ بَعْدِى ... ومِنِّى نَظْرَةٌ قَبْلِى(٦)

وثَوْبَاىَ جَدِيدَانِ ... وأُرْخِى شُرُكَ النَّعْلِ(٧)

وإِمَّا مُتُّ يا تَمْلِى ... فَكُونِى حُرَّةً مِثْلِى(٨)

وهذا الشعر ممّا اختاره الأَصْمَعِىُّ (بخفّة رَوِيّه).

---

(١) س ب هـ «كأن أبا السمى».

(٢) هذه الأبيات رواها أبو سعيد السيرافى فى كتاب أخبار النحويين البصريين طبعة معهد المباحث الشرقية بالجزائر سنة ١٩٣٦ ص ٢٩ قال: «وأنشد المازنى قال: أنشدنا الأصمعى عن أبى عمر لرجل من اليمن، وقد سماه غيره فقال امرؤ القيس بن عابس». ونقل ذلك صاحب اللسان ٢٠ : ٢٠ ولكنه أخطأ فجعل الرواية عن أبى عمرو بن العلاء عن الأصمعى، وأبو عمرو شيخ الأصمعى! ورواها صاحب اللسان أيضاً برواية أخرى ٧ : ٣٨٨ قال: «وأنشد أبو عمرو بن العلاء للفند الزمانى ويروى لامرىء القيس بن عابس الكندى». والأبيات فى اللسان مرة أخرى ٢ : ٨٤. وزادها أبياتاً ثلاثة فى آخرها.

(٣) س ب «أيا تملك» وهى رواية السيرافى واللسان.

(٤) رواية السيرافى واللسان «بالعزل».

(٥) «فقا النبل» فوقها، أو هى لغة فى «الفوق» على القلب. «طحل» من الطحلة، وهى لون بين الغبرة والبياض بسواد قليل كلون الرياد.

(٦) رواية السيرافى واللسان «خلفى» بدل «بعدى» وفسر صاحب اللسان البيت: «أى أفهم ما حضر وما غاب».

(٧) رواية السيرافى واللسان «فاما» و«فوقى».

(٨) هكذا نسب ابن قتيبة هذه الأبيات إلى اختيار الأصمعى، وهو يريد - والله أعلم - الأصمعيات وما تداخل منها فى المفضليات، وهذه الأبيات لم تذكر فى المفضليات ولا فى الأصمعيات اللتين بين أيدينا، وقد رجحنا لذلك فى مقدمة شرحنا المفضليات، أن للأصمعى اختياراً ذهب عنا، لم يثبت فى المفضليات ولا الأصمعيات.

٩٠ ●وكقولِ الآخَرِ [١] :

وَلَو أُرْسِلْتُ مِنْ حُبـ ـكِ مَبْهُوتاً مِنَ الصِّينْ [٢]
لَوَافَيْتُكِ قَبْلَ الصُّبـ ـحِ أوْ حِينَ تُصَلِّينْ [٣]

وكان يَتمثَّلُ بهذا كثيرًا ، وقال : المبهوتُ من الطيرِ الَّذى يُرْسَل من بُعْدٍ قبلَ أن يَدْرُجَ [٤].

٩١ ●وقد يُختار ويُحفَظ. لأنَّ قائلَه لم يَقُل غيره ، أو لأنَّ شعرَه قليلٌ عزيز ، كقول عبدِ الله بن أُبَىّ بن سَلُولِ المنافقِ [٥] :

23 مَتَىٰ ما يَكُنْ مَوْلَاكَ خَصْمَكَ لا تَزَلْ تَذِلُّ ، ويَعْلُوكَ الَّذِينَ تُصَارِعُ
وهلْ ينْهَضُ البَازِى بغَيْرِ جَنَاحِهِ وإنْ قُصَّ يَوْماً رِيشُهُ فَهْوَ وَاقِعُ

وقد يُختارُ ويُحفَظ. لأنَّه غريبٌ فى معناه ، كقول القائل فى الفتَىٰ :

لَيسَ الفَتَىٰ بفتًى لا يُسْتَضَاءُ بِهِ ولا يكُونُ له فى الأَرْضِ آثَارُ

٩٢ ●وكقول آخر فى مَجُوسىّ :

شهِدْتُ عَلَيْكَ بِطِيبِ المُشَاشِ وأنَّكَ بَحْرٌ جَـوَادٌ خِضَمّ
وأنَّكَ سَـيِّدُ أَهْلِ الجَحِيمِ إذَا مَا تَرَدَّيْتَ فِيمَنْ ظَلَمْ
(قَرِينٌ لِهَامَانَ فِى قَعْرِهَـا وفِرْعَوْنَ والمُكْتَنِى بالحَكَمْ) [٦]

٩٣ ●وقد يُختار ويُحفَظ. (أيضاً) لنبل قائله ، كقول المَهْدىّ :

---

(١) س ب « ومثله » .

(٢) س ب « من حبيك » .

(٣) س ب « عند الصبح » .

(٤) هذا التفسير للمبهوت لم يذكر فى المعاجم .

(٥) « سلول » امرأة من خزاعة ، وهى أم عبد الله أو جدته ، نسب إليها . والبيتان فى سيرة ابن هشام أيضاً ٤١٣ طبع أوروبة .

(٦) يريد أبا جهل بن هشام ، فإن أصل كنيته « أبو الحكم » .

تُفَّاحَةٌ مِنْ عِنْدِ تُفَّاحَةٍ جَاءَتْ فماذا صَنَعَتْ بالفُؤَادْ
واللهِ مـا أَدْرِى أَأَبْصَرْتُهـا يَقْظَانَ أَمْ أَبْصَرْتُهَا فِى الرُّقَادْ

٩٤ ●وكقول الرَّشِيدِ :

النَّفْسُ تَطْمَعُ والأَسْبَابُ عاجِـزَةٌ والنَّفْسُ تَهْلِكُ بَيْنَ اليَأْسِ والطَّمعِ

٩٥ ●وكقول المَأْمُونِ فى رسولٍ :

بعَثْتُكَ مُشْتَاقاً فَفُزْتَ بِنَظْـرَةٍ وأَغفَلْتَنِى حتَّى أَسَأْتُ بِكَ الظَّنَّا
ونَاجَيْتَ مَنْ أَهْوَىٰ وكُنْتَ مُقَرَّباً فَيَالَيْتَ شِعْرِى عَنْ دُنُوِّكَ ما أَغْنَى[1]
ورَدَّدْتَ طَرْفاً فى مَحَاسِنِ وجْهِهَا ومَتَّعْتَ باسْتماعِ نَغْمتِهَا أُذْنَا[2]
أَرَى أَثَرًا مِنْها بِعَيْنَيْكَ لَمْ يَكُنْ لقد سَرقَتْ عَيْنَاكَ مِنْ وجْهِهَا حُسْنَا[3]

٩٦ ●وكقولِ عبدِ الله بن طاهرٍ :

أَمِيلُ مَعَ الذِّمَامِ على ابْنِ عَمِّى وأَحْمِلُ لِلصَّدِيقِ على الشَّقِيقِ[4]
وإِنْ أَلْفَيْتَنِى مَلِكاً مُطَاعاً فإِنَّكَ واجِدِى عَبْدَ الصَّدِيقِ
أُفَرِّقُ بَيْنَ مَعْرُوفِى ومَنِّى وأَجْمَعُ بَيْنَ مَالِى والحُقُوقِ

وهذا الشعرُ شريفٌ بنفسِه وبصاحبِه .

٩٧ ●وكقوله :

مُدْمِنُ الإِغْضَاءِ مَوْصُولُ ومُدِيمُ العَتْبِ مَمْلُولُ

---

(١) س ب « فياويح نفسى » .
(٢) س ب « باستماع نغتها » ب د « باستمتاع نغتهما » .
(٣) س ب ه « بعينك » . س ب « من عينها حسناً » .
(٤) س ب « وآخذ للصديق من الشقيق » . ه « وأختار الصديق على الشقيق » .

وَمَدِينُ البِيضِ فى تَعَبٍ   وغَرِيمُ البِيضِ مَمْطُولُ
وأَخُو الوَجْهَيْنِ حَيْثُ وَهَى   بِهَوَاهُ فَهْوَ مَدْخُولُ

٩٨ ● وكقول إبراهيمَ بنِ العبّاسِ لابنِ الزَّيّاتِ [1] :

أَبَا جَعْفَرٍ عَرِّجْ عَلَى خُلَطَائِكَا   وأَقْصِرْ قَلِيلاً مِنْ مَدَى غُلَوَائِكا [2]
فإِنْ كُنْتَ قَدْ أُوتِيتَ فى اليَوْمِ رِفْعَةً   فإِنَّ رَجَائِى فى غَدٍ كَرَجَائِكا

٩٩ ● والمتكلَّفُ من الشعر وإنْ كان جيّدًا مُحْكَماً فليس به خفاءٌ على ذوى العلم ، لتبيُّنهم فيه ما نَزَل بصاحبه من طُول التفكُّر ، وشدّة العناء ، ورَشْح الجبين ، وكثرةِ الضرورات ، وحذفِ ما بالمعانى حاجةٌ إليه ، وزيادةِ ما بالمعانى غِنًى عنه . كقول الفَرَزْدَق فى عُمَر بن هُبَيْرة لبعض الخلفاء [3] :

أَوَلَّيْتَ العِرَاقَ ورَافِدَيْهِ   فَزَارِيًّا أَحَذَّ يَدِ القَمِيصِ

يريد : أولّيتَها خفيفَ اليدِ ، يعنى فى الخيانة ، فاضطرّته القافيةُ إلى ذكر القميص [4] ، (ورافداه : دِجْلةُ والفُرَاتُ) .

١٠٠ ● وكقول الآخَر :

25 مِنَ اللَّوَاتِى والتى واللَّاتِى   زَعَمْنَ أَنِّى كَبِرَتْ لِدَاتِى

---

(١) إبرهيم بن العباس الصولى ، كان صديقاً لمحمد بن عبد الملك الزيات ، ثم آذاه وقصده وصارت بينهما شحناء عظيمة لم يمكن تلافيها . فكان إبراهيم يهجوه . قاله صاحب الأغانى ٩ : ٢١ وذكر البيتين مع اختلاف فى الرواية .

(٢) فى الأغانى « أبا جعفر خف خفضة بعد رفعة » .

(٣) من أبيات فى ديوانه ٤٨٧ — ٤٨٨ والأغانى ١٩ : ١٧ يخاطب بها يزيد بن عبد الملك والبيت فى اللسان ٤ : ١٦٤ و ٥ : ١٥ . واللآلى ٨٦٢ مع آخر .

(٤) هذا التفسير يوافق تفسير الجوهرى قال فى اللسان : « وقد قيل فى الأحذ غير ما ذكره الجوهرى ، وهو أن الأحذ المقطوع ، يريد أنه قصير اليد عن نيل المعالى ، فجعله كالأحذ الذى لا شعر لذنبه — يعنى البعير الأحذ — ولا يجب لمن هذه صفته أن يولى العراق » .

١٠١ ● وكقول الفَرَزْدَقِ[١] :

وعَضُّ زَمَانٍ يا ابْنَ مَرْوانَ لم يَدَعْ ... مِنَ المَالِ إلّا مُسْحَتاً أوْ مُجَلَّفُ[٢]

فرَفَع آخرَ البيتِ ضرورةً ، وأتعب أهلَ الإعراب فى طلب العلّةِ[٣] ، فقالوا وأكثروا ، ولم يأتوا فيه بشىء يُرْضَى[٤]. ومَن ذا يخفىْ عليه من أهل النظر أنَّ كلَّ ما أتوا به من العلل احتيالٌ وتمويهٌ ؟! وقد سأل بعضهم الفَرَزْدَقَ عن رفعه إيّاه فشتمه وقال : علىَّ أن أقولَ وعليكم أن تَحتجُّوا !

١٠٢ ● (وقد أنكر عليه عبدُ الله بن إسحٰقَ الحَضْرَمِىُّ من قولِهِ[٥] :

مُسْتَقْبِلِين شَمَالَ الشَّأْمِ تَضْرِبُنَا ... بحَاصِبٍ مِن نَديفِ القُطْنِ مَنْثُورِ[٦]

على عَمَائمنا تُلْقِى ، وأرْحُلُنا ... على زَوَاحِفَ تُزْجَى مُخُّهَا رِيرُ

مرفوعٌ ، فقال : ألّا قلتَ : « على زَوَاحِفَ نُزْجِيهَا مَحَاسِيرِ ؟

فغضب وقال :

فلَوْ كانَ عَبْدُ اللهِ مَوْلًى هَجَوْتُهُ ... ولكِنَّ عبدَ اللهِ مَوْلَى مَوَالِيَا)[٧]

---

(١) من قصيدة طويلة فى ديوانه ٥٥١ — ٥٦٩ والنقائض ٥٤٨ — ٥٧٦ وجمهرة أشعار العرب ١٦٣ — ١٦٨ . والبيت فى اللسان ٢ : ٣٤٦ و ١٠ : ٣٧٥ . وسيأتى ٩٩ ل

(٢) هكذا رواية اللسان والجمهرة « مجلف » باللام ، وقال فى اللسان : « المسحت : المهلك ، والمجلف : الذى بقيت منه بقية » ورواية الديوان والنقائض « أو مجرف » بالراء ، ومعناهما متقارب .

(٣) س ب هـ « فى طلب الحيلة » .

(٤) س ب هـ « يرتضى » .

(٥) من قصيدة فى ديوانه ٢٦٢ — ٢٦٧ .

(٦) فى الديوان « كنديف القطن » .

(٧) رواية الديوان كهذا الذى طلبه عبد الله بن أبى إسحق ، وحكى شارحه نحو هذه القصة عن على ابن حمزة البصرى ، والقصة رواها محمد بن سلام الجمحى فى طبقات الشعراء ٧ — ٨ عن يونس بنحو رواية ابن قتيبة . وهذا البيت الأخير لم أجده فى الديوان ، وهو مشهور معروف ، وهو فى اللسان ٢٠ : ٢٩٠ وفسره بأن « عبد الله بن أبى إسحق مولى الحضرميين ، وهم حلفاء بنى عبد شمس بن عبد مناف ، والحليف عند العرب مولى ، وإنما قال مواليا ، فنصب ، لأنه رده إلى أصله للضرورة ، وإنما لم ينون لأنه جعله بمنزلة غير المعتل الذى لا ينصرف » .

وهذا كثير فى شعره على جودته .

١٠٣ ● وتتبيّنُ التكلُّفَ فى الشعر أيضاً بأن ترَى البيتَ فيه مقروناً بغير جارِه ، ومضموماً إلى غيرِ لِفْقه ، ولذلك قال عُمرُ بن لَجَإ لبعض الشعراء : أنا أشعرُ منك ، قال : وبِمَ ذلك ؟ فقال : لأنى أقول البيتَ وأخاه ، ولأنَّك تقول البيتَ وابنَ عمِّه .

26

١٠٤ ● وقال عبدُ بن سالم لرؤبَةَ : مُتْ يأبا الجَحَّافِ إذا شئتَ ! فقال روبةُ : وكيف ذلك ؟ قال : رأيتُ ابنَك عُقْبَةَ ينشدُ شعرًا له أعجبنى ، قال رؤبةُ : نَعَمْ ، ولكنْ ليس لشعره قِرانٌ . يريدُ أنَّه لا يقارِنُ البيتَ بشبهه[١] . وبعضُ أصحابنا يقول «قرآن» بالضمّ ، ولا أرىٰ الصحيحَ إلَّا الكسرَ وتركَ الهمزِ على ما بيَّنتُ .

١٠٥ ● والمطبوعُ من الشعراء مَن سَمَح بالشعر واقتدرَ على القوافى ، وأراكَ فى صدر بيته عَجُزَه ، وفى فاتحتِه قافيتَه ، وتبيَّنتَ على شعره رونقَ الطبع ووَشْىَ الغريزة ، وإذا امتُحِن لم يتلعثَمْ ولم يَتَزَحَّرْ[٢] .

١٠٦ ● وقال الرِّياشىُّ حدّثنى أبو العالية عن أبى عِمْران المَخْزُومى قال : أتيتُ مع أبى والياً على المدينة من قُرَيش ، وعنده ابنُ مُطَيْر[٣] ، وإذا مَطَرٌ جَوْدٌ ، فقال له الوالى ، صِفْهُ[٤] ، فقال : دعنى حتى أُشرِفَ وأنظرَ ،

---

(١) ستأتى هذه القصة مرة أخرى ، فى الفقرة : ١٠٤٨ .

(٢) من الزحير ، وهو إخراج الصوت أو النفس بأنين عند عمل أو شدة .

(٣) هو الحسين بن مطير الأسدى ، شاعر مقدم فى القصيد والرجز فصيح ، من مخضرمى الدولتين ؛ قد مدح بنى أمية وبنى العباس . له ترجمة فى الأغانى ١٤ : ١١٠ — ١١٤ وقد ذكر نحو هذه القصة وذكر فيها الأبيات ٦ ، ٧ ، ٤ ، ١٥ .

(٤) س ب « صف لى هذا المطر » .

فأشرفَ ونَظَر : ثمّ نزل فقال :

كَثُرَتْ لِكَثْرَةِ قَطْرِهِ أطْبَاؤُهُ ... فإذَا تَحلَّبَ فَاضَتِ الأَطْبَاءُ[١]

وكَجَوْفِ ضَرَّتِهِ التى فى جَوْفِهِ ... جَوْفُ السَّمَاءِ سِبَحْلَةٌ جَوْفَاءُ[٢]

ولَهُ رَبَابٌ هَيْدَبٌ ، لِرَفيفِهِ ... قَبلَ التَّبَعُّق دِيمَةٌ وطْفَاءُ[٣]

27

وكأنَّ بَارِقَهُ حَرِيقٌ ، يَلتَقِى ... رِيحٌ عليهِ وعَرْفَجٌ وألاءُ[٤]

وكَأنَّ رَيِّقَهُ ، ولَمَّا يَحْتَفِلْ ... وَدْقُ السَّماء ، عَجَاجَةٌ كَدْرَاءُ[٥]

مُسْتَضْحِكٌ بِلَوَامِعٍ ، مُسْتَعْبِرٌ ... بِمَدَامِعٍ لَمْ تَمْرِهَا الأَقْذَاءُ[٦]

فَلَهُ بِلاَ حُزْنٍ ولا بِمَسَرَّةٍ ... ضِحْكٌ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ وبُكَاءُ[٧]

حَيْرَانُ مُتَّبَعٌ صَبَاهُ تَقُودُهُ ... وجَنُوبُهُ كِنْفٌ لَهُ ووِعاءُ[٨]

ودَنَتْ لَهُ نَكْبَاؤُهُ حتَّى إذا ... مِنْ طُولِ مَا لَعِبَتْ بِهِ النَّكْبَاءُ[٩]

ذَابَ السَّحَابُ فَهُوَّ بَحْرٌ كُلُّهُ ... وعلى البُحُورِ مِنَ السَّحَابِ سَمَاءُ[١٠]

---

(١) الأطباء : جمع « طبى » بضم الطاء وكسرها مع سكون الباء ، وهو لذوات الحافر والسباع كالثدى للمرأة والضرع لغيرها . وقد استعار الكلمة هنا للمطر على التشبيه . والبيت فى اللسان ١٩ : ٣٢٧ ولكنه محرف هناك .

(٢) السبحل : الضخم العظيم .

(٣) الرباب : السحاب المتعلق الذى تراه كأنه دون السحاب . الهيدب : السحاب الذى يتدلى ويدنو مثل هدب القطيفة . الرفيف : التلألؤ والبريق . التبعق : مفاجأة المطر واندفاعه . الديمة : المطر الدائم فى سكون . الوطفاء : الديمة السح الحثيثة .

(٤) العرفج : ضرب من النبات سهل سريع الانقياد . الألاء : شجر حسن المنظر مر الطعم .

(٥) ريق المطر : أفضله ، أو أول شؤبوبه . الودق : المطر .

(٦) لم تمرها : لم تسيلها ، من قولهم « مريت الناقة » إذا مسحت ضرعها لتدر .

(٧) فى « الضحك » أربع لغات : فتح الضاد وكسرها ، مع سكون الحاء وكسرها .

(٨) الكنف ، بكسر الكاف وسكون النون : وعاء يكون فيه أداة الراعى ومتاعه ، أو الوعاء الذى يكنف ما جعل فيه ، أى يحفظه .

(٩) النكباء : الريح تكون بين ريحين من الرياح الأربع .

(١٠) تشديد الواو فى « هو » و« هى » لغة همدان .

ثَقُلَتْ كُلاَهُ فَنَهَّرَتْ أَصْلاَبَهُ وَتَبَعَّجَتْ مِنْ مَائِهِ الأَحْشَاءُ[١]

غَدَقٌ يُنَتِّجُ بالأَبَاطِحِ فُرَّقاً تَلِدُ السُّيُولَ وما لَهَا أَسْلاَءُ[٢]

غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ ، دوَالِحُ ضُمِّنَتْ حَمْلَ اللِّقَاحِ ، وكُلُّهَا عَذْرَاءُ[٣]

سُحْمٌ فَهُنَّ إِذَا كَظَمْنَ فَوَاحِمٌ سُودٌ ، وهُنَّ إِذَاضَحِكْنَ وِضَاءُ[٤]

لَوْ كانَ مِن لُجَجِ السَّوَاحِلِ مَاؤُهُ لم يَبْقَ مِن لُجَجِ السَّوَاحِلِ مَاءُ

قال أبو محمد : وهذا الشعرُ ، مع إسراعه فيه كما تَرَىٰ ، كثيرُ الوَشْيِ لطيفُ المعانى .

١٠٧ ● وكان الشَّماخ[٥] فى سفرٍ مع أصحابٍ له[٦] ، فنزل يَحْدُو بالقوم فقال :

لم يَبْقَ إلَّا مِنْطَقٌ وأَطْـرَافْ ورَيْطَتَانِ وقَمِيصٌ هَفْهَافْ[٧]

وشُعْبَتَا مَيْسٍ بَرَاهَا إِسْكَافْ يَا رُبَّ غَازٍ كارِهٍ للإِيجَافْ[٨]

أَغْدَرَ فى الحَىِّ بَرُودَ الأَصْيَافْ مُرْتَجَّةَ البُوصِ خَضِيبَ الأَطْرَافْ[٩]

28 ثم قُطع به هذا الروىُّ وتعذَّر عليه ، فتركه وسَمَحَ بغيره على إِثْرِه ، فقال :

---

(١) تبعجت : انشقت ، يقال « تبعج السحاب وانبعج بالمطر » : انفرج عن الودق والوبل الشديد .

(٢) الغدق : المطر الكثير . فرق : جمع فارق ، وهى السحابة المنفردة لا تخلف ، سميت بذلك تشبيهاً بالفارق من الإبل وهى التى تفارق إلفها فتنتج وحدها . الأسلاء : جمع سلى ، وهو الجلد الرقيق الذى يخرج فيه الولد من بطن أمه ملفوفاً فيه .

(٣) الدوالح : المثقلات بالماء .

(٤) سحم : سود .

(٥) هو الشماخ بن ضرار الغطفانى الصحابى .

(٦) س ب ف « مع أصحابه » .

(٧) الريطة : الملاءة إذا كانت قطعة واحدة .

(٨) الميس : شجر عظيم تعمل منه الرحال . والبيت فى اللسان غير منسوب ، شاهداً لهذا المعنى ٨ : ١٠٩ . الإيجاف : سرعة السير . وفى س ب « كاره الإيجاب » .

(٩) البوص ، بضم الباء ، والبوص ، بفتحها : العجيزة ، وامرأة بوصاء عظيمة العجز . والأبيات الثلاثة ستأتى ، فى الفقرة : ٥٥٠ .

لَمَّا رَأَتْنَا وَاقِفِى المَطِيَّاتْ ... قَامَتْ تَبَدَّى لِى بِأَصْلَتِيَّاتْ

غُرٌّ أَضَاءَ ظَلْمُهَا الثَّنِيَّاتْ ... خَوْدٌ مِنَ الظَّعَائِنِ الضَّمْرِيَّاتْ[1]

حَلَّالَةُ الأَوْدِيَةِ الغَوْرِيَّاتْ ... صَفِىُّ أَتْرَابٍ لَهَا حَيِيَّاتْ[2]

مِثْلِ الأَشَاءَاتِ أَوِ البَرْدِيَّاتْ ... أَوِ الغَمَامَاتِ أَوِ الوَدِيَّاتْ[3]

أَوْ كَظِبَاءِ السِّدْرِ العُبْرِيَّاتْ ... يَحْضُنَّ بِالقَيْظِ عَلَى رَكِيَّاتْ[4]

وَضَعْنَ أَنْمَاطاً عَلَى زِرْبِيَّاتْ ... ثُمَّ جَلَسْنَ بِرْكَةَ البُخْتِيَّاتْ[5]

مَنْ رَاكِبٌ يُهْدِى لَهَا التَّحِيَّاتْ ... أَرْوَعُ خَرَّاجٌ مِنَ الدَّاوِيَّاتْ

يَسْرِى إِذَا نَامَ بَنُو السَّرِيَّاتْ

١٠٨ ● قال أبو عُبَيْدَة: اجتمع ثلاثةٌ من بنى سَعْدٍ يُرَاجِزُون بنى جَعْدَةَ، فقيل لشيخٍ من بنى سَعْدٍ: ما عندك؟ قال: أَرْجُز بهم يوماً إلى الليل لا أُفْنَجُ[6]، وقيل لآخر: ما عندك؟ قال: أَرْجُز بهم يوماً إلى الليل ولا أَنْكَفُ[7]، وقيل للثالث: ما عندك؟ قال: أَرْجُز بهم يوماً إلى الليل ولا أُنْكِشُ[8]، فلما سمعتْ بنو جَعْدَة كلامَهمُ انصرفوا ولم يُرَاجِزُوهم.

١٠٩ ● والشعراءُ أيضاً فى الطبع مختلفون: منهم[9] مَن يَسْهُلُ عليه المديحُ

---

(١) الظلم، بفتح الظاء: الماء الذى يجرى ويظهر على الأسنان من صفاء اللون لا من الريق كالفرند حتى يتخيل لك فيه سواد من شدة البريق والصفاء. الخود: الفتاة الحسنة الشابة. الضمريات: من الضمور وهو الهزال، فالضمر من الرجال: المهضم البطن اللطيف الجسم، والأنثى ضمرة.

(٢) الصفى: المختار أو الخالص من كل شىء، يقال للذكر والأنثى، والجمع صفايا، قال سيبويه: «ولا يجمع بالألف والتاء لأن الهاء لم تدخله فى حد الإفراد».

(٣) الأشاء: صغار النخل، الواحدة «أشاءة» وجمعها هنا بالألف والتاء.

(٤) فى ١٧٩ ل ثلاثة أبيات زائدة. والسدر، بكسر ففتح: جمع سدرة، وهى شجرة النبق. والعبرى من السدر، بضم العين وسكون الباء: ما نبت على عبر النهر وعظم، نسبة نادرة، وعبر النهر

(٦) أفنج الرجل، بالبناء للفاعل، وأفنج، بالبناء للمفعول: أعيا وانبهر.

(٧) لا أنكف، بالباء للمجهول: لا أنقطع.

(٨) لا أنكش: لا آتى على ما عندى، يقال نكشت البئر أنكشها، بضم الكاف وكسرها: أى نزفتها ونزحتها. ويجوز أن يكون «لا أنكش» بالبناء للمجهول أيضاً، أى لا ينفد ما عندى كما تنكش البئر.

(٩) س ف ه «فنهم».

ويَعْسُر عليه[1] الهجاء . ومنهم من يَتَيَسَّرُ له[2] المراثى ويتعذَّرُ عليه الغَزَلُ .

وقيل للعَجّاجِ : إنك لا تحسنُ الهجاء ؟ فقال : إنَّ لنا أحلاماً تمنعنا من أن نَظْلِمَ ، وأحساباً تمنعنا من أن نُظْلَمَ ، وهل رأيتَ بانياً لا يُحْسِنُ أن يَهْدِمَ[3] ؟

١١١ ● وليس هذا كما ذكر العَجّاجُ ، ولا المثلُ الذى ضربه للهجاء 29 والمديح بشكل ، لأنَّ المديحَ بناءٌ والهجاءَ بناءٌ ، وليس كلُّ بانٍ بضربٍ بانياً بغيرِه[4] . ونحن نجدُ هذا بعينه فى أشعارهم كثيرًا . فهذا ذُو الرُّمَّة ، أحسنُ الناسِ تشبيهاً ، وأجودُهم تشبيباً ، وأوصفُهم لرَمْل وهاجرةٍ وفلاةٍ وماءٍ وقُرادٍ وحيَّةٍ ، فإذا صار إلى المديح والهجاء خانَه الطبعُ . وذاك أخَّرَه عن الفُحولِ ، فقالوا : فى شعرِه أبعارُ غِزْلانٍ ونُقَطُ عَروسٍ ! وكان الفَرَزْدَقُ زيرَ نساءٍ وصاحبَ غَزَلٍ ، وكان مع ذلك لا يُجيدُ التشبيبَ . وكان جَريرٌ عفيفاً عِزْهَاةً عن النساء[5] ، وهو مع ذلك أحسنُ الناسِ تشبيباً ، وكان الفَرَزْدَقُ يقول: ما أحوجَه مع عفَّتِه إلى صلابةِ شعرى، وما أحوجنى[6] إلى رقَّةِ شعره لِمَا تَرَوْنَ.

---

(١) س ف « ويتعذر عليه » .

(٢) انظر ما يأتى فى ترجمة العجاج ٣٧٥ ل .

(٣) س ب « من تسهل عليه » .

(٤) س ب « يصيراً بغيره » .

(٥) العزهاة ، بكسر العين : العازف عن اللهو والنساء ، لا يطرب للهو ويبعد عنه .

(٦) س ب « وأحوجنى » .

عيوب الشعر

الإقْوَاءُ والإكْفَاءُ [١]

١١٢ ●قال أبو محمدٍ : كان أبو عَمْرو بن العَلاء يَذكرُ أنَّ الإقواء : هو اختلافُ الإعراب فى القوافى ، وذلك أنْ تكونَ قافيةٌ مرفوعةً وأخرى مخفوضةً ، كقول النّابغةِ :

قالتْ بَنُو عامِرٍ : خَالُوا بَنِى أَسَدٍ ... يا بُؤْسَ للجَهْلِ ضَرَّارًا لِأَقْوَامِ [٢]

وقال فيها :

تَبْدُو كَوَاكِبُهُ والشَّمْسُ طَالِعَةٌ ... لَا النُّورُ نُورٌ ولا الإظْلَامُ إظْلَامُ [٣]

١١٣ ●وكان يقال إنَّ النابغةَ الذُّبْيَانىَّ وبِشْرَ بن أبى خازمٍ كانا يُقْوِيَانِ. فأما النابغة فدخل يَثْرِبَ فغُنِّىَ بشعره ففطِنَ فلم يَعُدْ للإقواء .

١١٤ ●وبعض الناس يسمّى هذا «الإكفاء» ويزعم أنَّ الإقواء نقصانُ حرف من فاصلة البيت ، كقول حجْلِ بن نَضْلَةَ [٤] ، وكان أَسَرَ بنتَ عمرو ابن كُلْثُومٍ وركب بها المَفَاوزَ ، واسمُها النَّوَارُ [٥] :

30

(١) انظر هذا البحث أيضاً مفصلا فى الموشح للمرزبانى ١٤ – ٢٦ .

(٢) الديوان ٧١ – ٧٢ . خالوا بنى أسد : تاركوهم ، خالاه : تاركه . والبيت فى اللسان ١٨ : ٢٦٢ . وسيأتى ٨١ .

(٣) انظر ما يأتى(٧٠ ، ٧٨ ، ٨١ ل ، ١٤٥ – ١٤٦ ل) .

(٤) حجل : بفتح الحاء وسكون الجيم ، كما ضبط فى الخزانة ، وهو شاعر جاهلى ، له الأصمعية ٤٣ .

(٥) انظر البيتين مشروحين فى الخزانة ٢ : ١٥٦ – ١٥٩ ونص على أنه لا ثالث لهما . ونسب الآمدى فى المؤتلف ٨٤ البيتين لشبيب بن جعل التغلبى ، وهو ابن النوار بنت عمرو بن كلثوم .

حَنَّتْ نَوَارُ ولاتَ هَنَّا حَنَّتِ   وبَدَا الَّذِى كانَتْ نَوَارُ أَجَنَّتِ
لمَّا رَأَتْ مَاءَ السَّلَا مَشْرُوباً   والفَرْثَ يُعْصَرُ فى الإِنَاءِ أَرَنَّتِ (١)

سُمِّىَ إقواءً لأنَّه نقص من عَروضه قوَّةٌ . (وكان يستوى البيتُ بأن تقول «مُتَشَرَّباً »). يقال «أَقْوَى فلانٌ الحَبْلَ» إذا جَعلَ إحدى قُوَاهُ أغلظَ من الأُخرى ، وهو حبلٌ قَوٍ .

مثل قولِ حُمَيْد :

إنِّى كبِرْتُ وإنَّ كُلَّ كَبِيرِ   مِمَّا يُظَنُّ بِهِ يَمَلُّ ويَفْتُرُ

وكقول الرَّبيع بن زِيَادٍ :

أَفَبَعْدَ مَقْتَلِ مَالِكِ بْنِ زُهَيْرِ   تَرْجُو النسَاءُ عَوَاقِبَ الأَطْهَارْ

ولو كان «بن زُهَيْرَةَ» لاستوى البيت .

* * *

١١٥ ● والسِّنَادُ : هو أن يختلفَ إردافُ القوافى ، كقولك «علَيْنا» فى قافيةٍ «وفينا» فى أخرى . كقول عَمْرو بن كُلْثُوم (٢) :

* أَلَا هُبِّى بِصَحْنِكِ فاصْبَحِينَا *   فالحاءُ مكسورة . وقال فى آخَرَ :

* تُصَفِّقُهَا الرِّيَاحُ إذَا جَرَيْنَا *   فالراءُ مفتوحةٌ ، وهى بمنزلة الحاء .

١١٦ ● وكقول القائل :   * كَأَنَّ عُيُونَهُنَّ عُيُونُ عِينِ *

ثم قال :   * وأَصْبَحَ رَأْسُهُ مِثْلَ اللُّجَيْنِ *

31

(١) أرنت : صاحت . وإنما صاحت وبكت لأنها أيقنت الهلاك فى تلك المفازة ، إذ لم يجدوا ماء إلا ما يعصر من فرث الإبل وما يخرج من السلا من بطونها . وهذا البيت فى اللسان ١٩ : ١٢٠ وفيه هناك خطأ من الناسخ أو الطابع .

(٢) فى معلقته المشهورة .

١١٧ ● والإيطَاءُ ؛ هو إعادةُ القافية مرَّتين ، وليس بعيبٍ عندهم كغيره .

* * *

الإجَازَةُ : اختلفوا فى الإجازة ، فقال بعضهم : هو أن تكونَ القوافى مقيَّدةً فتختلفُ الأردافُ ، كقول امْرِئِ القَيْس :

* لَا يَدَّعِي القَوْمُ أنِّى أفِرّْ * فكَسَرَ الرِدْفَ ، وقال فى بيتٍ آخَرَ :

* وكِنْدَةُ حَوْلِى جَميعاً صُبُرْ * فضَمَّ الرِّدْفَ ، وقال فى بيتٍ آخرَ :

* ألْحَقْتَ شَرًّا بِشَرّْ * ففَتَحَ الردْفَ .

١١٨ ● وقال الخليلُ بن أحمد : هو أن تكون قافيةٌ ميماً والأُخْرى نوناً ، كقول القائل :

يا رُبَّ جعْد منهمُ لَوْ تَدْرِينْ ... يضربُ ضَرْبَ السَّبِطِ المَقادِيمْ

أو طاءً والأُخرىٰ دَالًا ، كقول الآخَرِ :

تَاللهِ لَوْلَا شَيْخُنَا عَبَّادُ ... لَكَمَرُونا عِنْدَهَا أوْ كَادُوا[1]

فَرْشَطَ لَمَّا كُرِهَ الفِرْشَاطُ ... بفَيْشَةٍ كَأنَّهَا مِلْطَاطُ[2]

وهذا إنَّما يكون فى الحرفين يخرجان من مخرج واحدٍ أو مخرجين متقاربين .

١١٩ ● قال ابنُ الأعْرابىّ : الإجازةُ : مأخوذة من إجازة الحبلِ والوَتَرِ .

* * *

---

(١) ابن السيد ٤١٥ والبيت فى اللسان ٦ : ٤٦٨ وعجزه مغلوط ، وما هنا هو الصحيح . يقال « تكامر الرجلان : نظر أيهما أعظم كمرة ، وقد كامره فكمره : غلبه بعظم الكمرة » عن اللسان .

(٢) البيت فى اللسان ٩ : ٢٤٦ و ٢٦٧ . والفرشطة . أن تفرج رجليك قائماً أو قاعداً ، بمعنى الفرحجة والفرشحة . والملطاط : يد الرحى التى يطحن بها البزر .

١٢٠ ● وقد يُضْطَرُّ الشاعرُ فيسكِّنُ ما كان ينبغى (له) أن يحرّكه ، كقول لَبِيد[١] :

تَرَّاكُ أَمْكِنَةٍ إذَا لَمْ أَرْضَهَا أَوْ يَعْتَلِقْ بَعْضَ النُّفُوسِ حِمَامُهَا[٢]

يريد : أترك المكانَ الذى لا أرضاه إلى أن أموت ، لا أزال أفعلُ ذلك .

و «أوْ» هاهنا بمنزلة «حتى»[٣] . وكقول امْرئ القَيْس[٤] :

فاليوْمَ أَشْرَبْ غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ إِثْماً مِنَ اللهِ ولَا واغِلِ

ولولا أنَّ النحويِّين يذكرون هذا البيت ويحتجُّون به فى تسكين المتحرّك لاجتماع الحركات[٥] ، وأنَّ كثيراً من الرواة يروونه هكذا ، لظننته

* فاليَوْمَ أُسقَىٰ غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ *

١٢١ ● قال أبو محمد : وقد رأيتُ سِيبَوَيْهِ يذكر بيتاً يحتجُّ به فى نَسَق الاسمِ المنصوب على المخفوض ، على المعنى لا على اللفظِ ، وهو قولُ الشاعر[٦] :

---

(١) من معلقته . انظر شرح التبريزى ١٥٥ .

(٢) س ف ه «أو يرتبط» وهى الموافقة لرواية التبريزى .

(٣) قال التبريزى : «وقيل أن يرتبط فى موضع رفع إلا أنه أسكنه لأنه رد الفعل إلى أصله ، لأن الأصل فى الأفعال أن لا تعرب ، وإنما أعربت للمضارعة» إلخ .

(٤) من الأصمعية ٤٠ وسيأتى (٤٤ ل) .

(٥) هذا الإسكان لآخر الفعل المضارع هو على التخفيف . وانظر الضرائر ٢٢٥ ، ٢٧٠-٢٧٢ .

(٦) هو عقيبة بن هبيرة الأسدى ، شاعر جاهلى إسلامى ، . والبيت ذكره سيبويه ١ : ٣٤ مع بيت آخر منصوب القافية أيضاً . ثم ذكر عجز هذا البيت أيضاً غير منسوب ١ : ٣٥٢ ، ٤٤٨ . والأبيات مع بيت الشاهد فى الخزانة ١ : ٣٤٣ - ٣٤٥ مشروحة .

مُعَاوِىَ إِنَّنَا بَشَرٌ فأَسْجِحْ   فَلَسْنَا بالجبَالِ ولا الحَدِيدَا

قال : كأنَّه أراد : لَسْنَا الجِبَالَ ولا الحَدِيدَا ، فردَّ الحديد على المعنى قبل دخول الباء . وقد غلط على الشاعر ، لأنَّ هذا الشعرَ كلَّه مخفوض ،

قال الشاعر :

فهبْهَا أُمَّةً ذَهَبَتْ ضَيَاعاً   يَزِيدُ أَمِيرُهَا وأَبُو يَزِيدِ
أَكَلْتُمْ أَرْضَنَا وجَرَدْتُمُوهَا   فَهَلْ مِنْ قَائِمٍ أَوْ مِنْ حَصِيدِ[1]   33

١٢٢ ● ويحتجُّ أيضاً بقول الهُذَلِىّ فى كتابه ، وهو قوله :

يَبِيتُ على مَعارِىَ فَاخِرَاتٍ   بِهِنَّ مُلَوَّبٌ كَدَمِ العِبَاطِ

وليست هاهنا ضرورة فيحتاج الشاعر إلى أن يتركَ صرف « مَعَارٍ » ولو قال « يَبِيتُ على مَعَارٍ فَاخِرَاتٍ » كان الشعرُ موزونا والإعرابُ صحيحاً[2].

قال أبو محمد : وهكذا قرأتُه على أصحاب الأَصْمَعِىّ .

١٢٣ ● وكقوله فى بيت آخر[3] :

لِيُبْكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِخُصُومَةٍ   ومُخْتَبِطٌ مِمَّا تُطِيحُ الطَّوَائِحُ[4]

---

(١) جردتموها : قشرتموها ، كما يجرد اللحم من العظم .

(٢) البيت للمتنخل الهذلى ، وهو من شواهد سيبويه ٢ : ٥٨ واللسان ١٩ : ٢٧٥ وعندهما « أبيت على معارى واضحات » . و « والمعارى » جمع « معرى » وهى ههنا القرش . و « الملوب » الذى أجرى عليه الملاب وهو ضرب من الطيب ، وشبهه فى حمرته بدم العباط ، وهى التى نحرت لغير علة ، واحدها عبيط وعبيطة . وفى اللسان : « واختار معارى على معار لأنه آثر إتمام الوزن ، ولو قال معار لما كسر الوزن ، لأنه إنما كان يصير من مفاعلتن إلى مفاعلين ، وهو العصب » وقال أيضاً « ولكنه فر من الزحاف » .

(٣) البيت من شواهد سيبويه ١ : ١٤٥ ونسبه للحرث بن نهيك ، ثم أعاده مرة أخرى ١ : ١٨٣ غير منسوب . ونسبه الأعلم الشنتمرى للبيد . ونسبه الشنقيطى فى شواهد همع الهوامع ١ : ١٤٢ – ١٤٣ لضرار بن نهشل .

(٤) الضارع : الذليل الخاضع . المختبط : الطالب المعروف المحتاج . . تطيح : تذهب وتهلك.

وكان الأَصمعِيُّ ينكر هذا ويقول : ما اضطرّه إليه ؟ وإنّما الرواية :

* لِيَبْكِ يَزِيدَ ضَارِعٌ لِخُصُومَةٍ *

١٢٤ • وكذلك قولُ الفَرَّاء :

فَلَئِنْ قَوْمٌ أَصَابُوا عِزَّةً وأَصَبْنَا مِن زَمَانٍ رَنَقَا[1]
لَلَقَدْ كَانُوا لَدَى أَزْمَانِهِ لَصَنِيعِينَ لِبَأْسٍ وتُقَى

هو * فَلَقَدْ كانُوا * وهذا باطل .

١٢٥ • وكذلك قوله :

مَنْ كانَ لَا يَزْعُمُ أَنِّى شَاعِرٌ فَيَدْنُ مِنِّى تَنْهَهُ المَزَاجِرُ

إنّما هو * فلْيَدْنُ مِنى * وبه يصحُّ أيضاً وزنُ الشعرِ .

١٢٦ • وكذلك قولُه :

فَقُلْتُ ٱدْعِى وأَدْعُ فَإِنَّ أَنْدَى لِصَوْتٍ أَنْ يُنَادِىَ دَاعِيَانِ

إنما هو : * فَقُلْتُ ادْعِى وأَدْعُوَ إِنَّ أَنْدَى[2] *

34 (وكقول الفَرَزْدَقِ

رُحْتِ وفى رِجْلَيْكِ عُقَّالَةٌ وقدْ بَدَا هَنْكِ مِنَ المِئْزَرِ)[3]

* * *

قال الأعلم . « كان ينبغى أن يقول المطاوح لأنه جمع مطيحة ، فجمعه على حذف الزيادة ، كما قال عز وجل : وأرسلنا الرياح لواقح ، واحدتها ملقحة » .

(١) الرنق : الكدر .

(٢) البيت من شواهد سيبويه ١ : ٤٢٦ ونسبه للأعشى ، ونسبه الأعلم له أو للحطيئة . ورواية سيبويه كالتى اختارها ابن قتيبة . قال الأعلم : « الشاهد فى نصب وأدعو بإضمار أن حملا على معنى : ليكن منا أن تدعى وأدعو ، ويروى * وأدع فإن أندى * على معنى لتدع ولأدع على الأمر . وأندى : أبعد صوتاً ، والندى : بعد الصوت » .

(٣) البيت فى اللسان ٢٠ : ٢٤٤ والخزانة ٢ : ٢٧٩ .

١٢٧ ●وقد يُضطرُّ الشاعرُ فيَقْصُرُ الممدودَ ، وليس له أن يَمُدَّ المقصور . وقد يُضطرُّ فيصرفُ غيرَ المصروف ، وقبيحٌ ألَّا يصرفَ المصروف . وقد جاء فى الشعر ، كقول العَبَّاس بن مِرْدَاسٍ (السُّلَمِىّ) :

وما كانَ بَدْرٌ ولا حابِسٌ　　يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ فى مَجْمَعِ[1]

١٢٨ ●وأمَّا تركُ الهمز من المهموز فكثيرٌ واسعٌ ، لا عيبَ فيه على الشاعر. والذى لا يجوز أن يَهمزَ غيرَ المهموز .

* * *

١٢٩ ●وليس للمُحْدَثِ أن يتَّبع المتقدِّم فى استعمال وحشىِّ الكلام الذى لم يكثُر ، ككَثير من أبنية سِيبَوَيْهِ ، واستعمالِ اللغة القليلة فى العرب ، كإبدالهم الجيمَ من الياء ، كقول القائل * يَا رَبِّ إنْ كُنْتَ قَبِلْتَ حَجَّتِجْ * يريد «حَجَّتِى» وكقولهم «جمل بُخْتِجٌ» يريدون «بُخْتِىٌّ» و «عَلِجٌ» يريدون «عَلِىٌّ» .

١٣٠ ●وإبدالهم الياءَ من الحرف فى الكلمة المخفوضة ، كقول الشاعر :

لَهَا أَشَارِيرُ مِنْ لَحْمٍ تُتَمِّرُهُ　　مِنَ الثَّعالِى ووَخْزٌ مِنْ أَرانِيهَا[2]

---

(١) سيأتى ١٦٦ ، ٤٧٠ل

(٢) البيت فى اللسان ٦ : ٢٩٥ وذكره مع آخر قبله ١ : ٤١٨ ونسبه لأبى كاهل اليشكرى . و «الأشارير» جمع «إشرارة» وهى القديد المشرور ، أى المجعول على خصفة ليجف . وأصل الإشرارة : الخصفة التى يبسط عليها الأقط أو اللحم أو الثوب ليجف . و «تتمره» تقطعه . و «الثعالى» الثعالب . و «الوخز» شىء منه ليس بالكثير . وهذان الجمعان «ثعالى» و «أرانى» لثعلب وأرنب أجازهما البعض مطلقاً ، ولم يجزهما سيبويه إلا فى الشعر خاصة . والبيت ذكره أيضاً فى اللسان ١ : ٢٣١ ونسبه لرجل من يشكر تبعا لسيبويه .

يريد «مِنْ أَرَانِبِهَا» . وكقول الآخر : *ولِضَفَادِى جَمِّهِ نَقَانِقُ*
يريد «ضفادع[١]» .

١٣١ ●وكإبدالهم الواو من الألف ، كقولهم «أَفْعَوْ» و «حُبْلَو» (يريدون أَفْعَى وحُبْلَى) وقال ابنُ عباس : لَا بَأْسَ بِرَمْىِ الحِدَوْ (لِلْمُحْرِم[٢]

* * *

35

١٣٢ ●وأستَحِبُّ له أَلَّا يسلكَ فيما يقولُ الأَساليبَ التى لا تصحُّ فى الوزن ولا تحلو فى الأسماع ، كقول القائل :

قُلْ لِسُلَيْمَى إذَا لَاقَيْتَهَا ... هَلْ تَبْلُغِنَّ بَلْدَةً إلا بِزَادْ
قُلْ لِلصَّعَالِيكِ لا تَسْتَحْسِرُوا ... مِن ٱلْتِمَاسٍ وَسَيْرٍ فى البِلَادْ[٣]
فالغَزْوُ أَحْجَى على مَا خَيَّلَتْ ... مِن ٱضْطِجَاعٍ علىغَيْرِ وِسَادْ
لَوْ وصَلَ الغَيْثُ أَبْنَاءَ ٱمْرِئٍ ... كانَتْ لَهُ قُبَّةٌ سَحْقُ بِجَادْ[٤]
وبَــلْدَةٍ مُقْفِرٍ غِيطَانُها ... أَصْدَاؤُهَا مَغْرِبَ الشَّمْسِ تَنَادْ
قَطَعْتُها صَاحِبِى حُوشِيَّةٌ ... فى مِرْفَقَيْهَا عنِ الزَّوْرِ تَعَادْ[٥]

١٣٣ ●وكقولِ المُرَقِّش[٦] :

هَلْ بالدِّيارِ أَنْ تُجِيبَ صَمَمْ ... لَوْ أَنَّ حَيًّا نَاطِقاً كَلَّمْ

(١) وفى اللسان ١٠ : ٩٤ عن الأزهرى : « الضفدع جمعه ضفادع ، وربما قالوا ضفادى ، وأنشد بعضهم * ولضفادى جمه نقانق * أى لضفادع ، فجعل العين ياء ، كما قالوا أرانى وأرانب » . وانظر سيبويه ١ : ٣٤٤ .

(٢) فى النهاية ١ : ٣٥ : « فى حديث ابن عباس : لا بأس بقتل الأفعو ، أراد الأفعى ، فقلب ألفها فى الوقف واواً ، وهى لغة أهل الحجاز . . . ومنهم من يقلب الألف ياء فى الوقف ، وبعضهم يشدد الواو والياء » . وفى اللسان ١ : ٤٧ : « وروى عن ابن عباس أنه قال : لا بأس بقتل الحدو والأفعو للمحرم . كأنها لغة فى الحدأ » .

(٣) لا تستحسروا : لا تعيوا ولا تكلوا .

(٤) السحق : الثوب الخلق الذى انسحق وبلى . البجاد : كساء مخطط من أكسية الأعراب . وهذا من إضافة الصفة للموصوف .

(٥) حوشية : يريد ناقة حوشية ، والإبل الحوشية : الوحشية ، أو هى نوع من الإبل لا يكاد يدركها التعب . يريد أن هذه الناقة كانت صاحبته فى اجتياز القفر .

(٦) مضى البيتان ١٧ — ١٨ . وسيأتى البيت الثانى ١٠٤ ل .

يَأْبِى الشَّبَابُ الأَقْوَرِينَ ولَا   تَغْبِطْ أَخاكَ أَنْ يُقَالَ حَكَمْ

١٣٤ ● قال أبو محمد : وهذا يكثر ، وفيما ذكرتُ منه ما دلَّك على ما أردتُ من اختيارك أحسنَ الروىِّ ، وأسهلَ الألفاظِ ، وأبعدَها من التعقيد والاستكراه ، وأقربَها من إفهام العوامِّ . وكذلك أختارُ للخطيب إذا خَطب ، والكاتبِ إذا كَتب . فإنَّه يقال : أشيَرُ الشعرِ والكلامِ المُطْمِعُ ، يراد الذى يَطْمع فى مثله مَن سمعه ، وهو مكانَ النجم من يَدِ المتناول .

١٣٥ ● قال أبو محمد : وقد أودعتُ « كتابَ العرب » فى الشعر أشياءَ من هذا الفنِّ ومن غيره ، وستراها هناك مجموعةً كافيةً ، إن شاءَ اللهُ عزَّ وجلَّ .

١٣٦ • لم يكن لأوائل الشعراءِ إلَّا الأَبياتُ القليلة يقولها الرجلُ عند حدوثِ الحاجة . فمن قديم الشعر قولُ دُوَيْد بن نَهْد القُضَاعِيّ [1] :

اَليَوْمَ يُبْنَى لِدُوَيْدٍ بَيْتُهُ   لَوْ كان للدَّهْرِ بِلًى أَبْلَيْتُهُ

أَوْ كان قِرْنِي واحدًا كَفَيْتُهُ   يا رُبَّ نَهْبٍ صالِحٍ حَوَيْتُهُ

ورُبَّ عَبْلٍ خَشِنٍ لَوَيْتُهُ [2]

وقال الآخرُ :

أَلْقَى عَلَىَّ الدَّهْرُ رِجْلًا ويَدَا   والدَّهْرُ ما أَصْلَحَ يوْماً أَفْسَدَا [3]

يُصْلِحُهُ اليومَ ويُفْسِدُه غَدَا [4]

١٣٧ • وقال أَعْصُرُ [5] بن سعد بن قيس بن عَيْلانَ ، واسمه مُنَبِّه ابن سعد ، وهو أبو غَنِيٍّ وباهلةَ والطفَاوة [6] :

---

(١) « دويد » تصغير « دود » كما نص عليه ابن دريد فى الاشتقاق ٢٢١ وأثبته صاحب القاموس فى مادة « دود » . وثبت فى أصول هذا الكتاب « دريد » بالراء ، وهو خطأ . وهو دويد بن زيد بن نهد ، قال فى الاشتقاق : « وهو الذى طال عمره وله حديث » وفى أخبار المعمرين لأبى حاتم (ص ٢٠ طبعة مصر) أنه عاش ٤٥٦ سنة ، وفى القاموس أنه عاش ٤٥٠ سنة وأدرك الإسلام وهو لا يعقل . وفيهما أنه قال الشعر الآتى وهو محتضر . والأبيات فى القاموس كما هنا وزاد فى آخرها * ومعصم مخضب ثنيته * وذكرها أبو حاتم دون الزيادة بتغيير فى الترتيب .

(٢) العبل : الضخم الممتلىء . ورواية أبى حاتم والقاموس « غيل حسن » و « الغيل » بفتح الغين المعجمة : الساعد الريان الممتلىء . ولعله أجود أو أصح .

(٣) ب « ما أصلح شيئاً » .

(٤) نقل مصحح ل عن البكرى زيادة * ويسعد الموت إذا الموت عدا *

(٥) ويقال فيه « يعصر » أيضاً على بدل الياء من الهمزة . وسمى بذلك البيت الثانى هنا .

(٦) البيتان فى الأغانى ١٤ : ٨٥ والثانى فى اللسان ٦ : ٢٥٧ .

قالتْ عُمَيْرَةُ ما لِرَأْسِكَ بَعْدَ ما نَفِدَ الشَّبَابُ أَتَى بِلَوْنٍ مُنْكَرِ
أَعُمَيْرَ إِنَّ أَبَاكِ شَيَّبَ رَأْسَه مَرُّ اللَّيالِي وَاخْتِلَافُ الأَعْصُرِ

١٣٨ ● وقال الحرثُ بن كعب ، وكان قديماً :

أَكَلْتُ شَبَابِي فَأَفْنَيْتُهُ وَأَفْنَيْتُ بَعْدَ شُهُورٍ شُهُورَا
ثلاثةُ أَهْلِينَ صاحبْتُهم فبانُوا وأَصْبَحْتُ شَيْخاً كَبِيرَا
قَلِيلَ الطَّعَامِ عَسِيرَ القِيا مِ قد تَرَكَ القَيْدُ خَطْوِي قَصِيرَا
أَبِيتُ أُراعِي نُجُومَ السماء أُقَلِّبُ أَمْرِي بُطُوناً ظُهُورَا

37

١ ــ امرؤُ القيس بنُ حجر

١٣٩ ● هو امرؤُ القيس بن حُجْر بن عمرو الكِنْديُّ ، وهو من أهل نَجْد ، من الطبقة الأُولى . وهذه الديارُ التي وصفها في شعره كلُّها ديارُ بني أَسَد .

١٤٠ ● قال لَبِيدُ بن ربيعةَ : أشعرُ الناسِ ذو القُرُوح ، يعني امرأَ القيس.

١٤١ ● ومُلِّكَ حُجْرٌ على بني أسد ، فكان يأْخذ منهم شيئاً معلوماً ، فامتنعوا منه ، فسار إليهم فأَخذَ سَرَوَاتِهم فقتلهم بالعصيِّ ، فسُمُّوا « عَبِيدَ العَصَا » وأَسَر منهم طائفةً ، فيهم عَبِيدُ بن الأَبْرَصِ ، فقام بين يدي الملك فقال :

يا عَيْنِ ما فَابْكِي بَنِي أَسَدٍ هُمُ أَهلُ النَّدَامَهْ

(١) العنوان من ب . والترجمة الآتية هي نص ب س . ثم الترجمة التالية (٤٢ ل) هي النص الذي في ب د هـ .

(٢) الأبيات في ١٢ بيتاً في الأغاني ٨ : ٦٣ ونقلها عنه جامع ديوان عبيد ٧٧ ، ٧٨ .

أَهْلُ القِبَابِ الحُمْرِ والـ نَّعَمِ المُؤَبَّلِ والمُدَامَهْ[1]

مَهْلًا أَبَيْتَ اللَّعْنَ مَهْلًا إِنَّ فِيمَا قُلْتَ آمَهْ[2]

فِى كُلِّ وادٍ بَيْنَ يَثْـ ـرِبَ والقُصُورِ إلى اليَمَامَهْ[3]

تَطْرِيبُ عانٍ أَوْ صِيَا حُ مُحَرَّقٍ وزُقَاءُ هامَهْ[4]

أَنْتَ المَلِيكُ عليهِمُ وهُمُ العَبِيدُ إلى القِيَامَهْ[5]

فرحمهم الملكُ وعفا عنهم وردَّهم إلى بلادهم ، حتَّى إذا كانوا على مسيرة يوم من تِهامةَ ، تكهَّنَ كاهنُهم عَوْفُ بنُ رَبيعةَ الأسدىُّ ، فقال : يا عبادِ[6] قالوا : لَبَّيْكَ ربَّنا ! فقال : والغَلَّابُ غيرُ المغلَّبْ[7] ، فى الإبل كأنَّها الرَّبْرَبْ[8] ، لا يُقْلِقُ[9] رأسَه الصَّخَبْ ، هذا دمُه يَثْعَبْ ، وهو غدًا أوّلُ مَن يُسْلَبْ . قالوا : مَن هو ربَّنا ؟ قال : لولا تَجيشُ نَفْسٌ جايشةْ[10]

38

---

(١) فى الأغانى « المؤمل » وهو خطأ . والإبل المؤبلة : الكثيرة المجتمعة التى جعلت للقنية لا يمسها أحـد .

(٢) الآمة : العيب . والبيت فى اللسان ٤ (: ٣٠٤ .

(٣) هكذا فى الأصول والأغانى ، وفى ياقوت ٨ : ٤٩٧ « يترب » بسكون التاء المثناة وفتح الراء ، وقال : « قيل قرية باليمامة عند جبل وشم ، وقيل موضع فى بلاد بنى سعد بالسودة » وقال الهمدانى فى صفة الجزيرة ٨٧ : « يترب مدينة بحضرموت نزلتها كندة » .

(٤) هذا البيت فى ياقوت أيضاً .

(٥) البيت فى الخزانة ١ : ١٦٠ فى ترجمة امرئ القيس .

(٦) فى الأغانى والخزانة يا عبادى » .

(٧) فى الأغانى : « فقال : من الملك الأصهب ، الغلاب غير المغلب » .

(٨) الربرب : القطيع من بقر الوحش ، لا واحد له من لفظه .

(٩) ف س « لا يفلق » والأغانى « لا يملق » .

(١٠) جاشت النفس: فاظت ، وجاشت القدر : غلت . وجشأت النفس : ارتفعت ونهضت من حزن أو فزع . وهما متقاربا المعنى وكأنهما من المقلوب بتقديم حرف وتأخيره . وفى الأغانى « جاشيه » . وأثبت مصحح ل رواية الأغانى فى صلب الكتاب بدل رواية الأصلين . وهو تصرف غير جيد ، لأن المعنى مقارب ، فما فى الأصلين صحيح .

أَنْبَاتُكم أنّه حُجْر ضاحيةً . فركبتْ بنو أسد كلَّ صَعبٍ وذَلول ، فما أشرقَ لهم الضُّحىٰ حتّى انتهَوْا إلى حُجْر ، فوجدوه نائماً فذبحوه ، وشدُّوا على هَجائنه فاستاقوها .

١٤٢ •وكان امرؤُ القيس طَرده[1] أبوه لمّا صنَع فى الشعر بفاطمةَ ما صنَع ، وكان لها عاشقاً ، فطلبها زماناً فلم يَصِلْ إليها ، وكان يطلب منها غِرّةً ، حتّى كان منها يومَ الغدير بدَارةِ جُلْجُل ما كان ، فقال :

• قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَىٰ حَبِيبٍ ومَنْزِلِ[2] •

فلمّا بلغ ذلك حُجْرًا أباه دعا مولًى له يقال له ربيعة ، فقال له : اقتل امرأَ القيس وأتِنى بعينيه ، فذبح جُوْذَرًا فأتاه بعينيه ، فندم حُجْر على ذلك ، فقال : أبيتَ اللّعْنَ ! إنى لم أقتله ، قال : فأْتنى به ، فانطلق فإذا هو قد قال شعرًا فى رأس جبلٍ ، وهو قولُه[3] :

فلا تَتْرُكَنّى يا رَبيعَ لِهٰذِهِ ... وكُنْتُ أرانِى قبلَها بِكَ واثِقاً

فردّه إلى أبيه ، فنهاه عن قول الشعر ، ثم إنّه قال :

• ألَا انْعَمْ صَبَاحاً أيُّهَا الطَّلَلُ البَالِى •

فبلغ ذلك أباه فطرده ، فبلغه مقتلُ أبيه وهو بدَمُّون ، فقال :

تَطَاوَلَ اللّيْلُ عَلَيْنَا دَمُّونْ ... دَمُّونُ إنَّا مَعْشَرٌ يَمَانُونْ

وإنَّنَا لِأَهْلِنَا مُحِبُّونْ

ثم قال : ضيّعنى صغيرًا ، وحمّلنى دمَه كبيرًا ، لا صحوَ اليوم ،

---

(١) س ب « اطرده » .

(٢) هو صدر المعلقة المشهورة .

(٣) من أبيات فى ديوانه بشرح السندوبى ١٢٢ – ١٢٣ .

39 ولا سُكر غدًا ، اليومَ خمرٌ ، وغدًا أمرٌ ، ثم قال :

خَلِيلَىَّ ما فى اليوم مَصْحًى لشاربٍ ولا فى غَدٍ إذْ كان ما كان مَشْرَبُ

ثم آلى لا يأكلُ لحماً ولا يشرب خمرًا حتّى يثأر بأبيه ، فلمّا كان الليلُ لاح له برقٌ فقال :

أرقْتُ لبَرْق بلَيْل أهَلْ يُضىءُ سَنَاهُ بأعْلَى الجَبَلْ
بقَتْل بَنى أسَدٍ رَبَّهُمْ ألَا كُلُّ شَىْءٍ سِوَاهُ جَلَلْ

ثم استجاش بكرَ بنَ وائل[1] ، فسار إليهم وقد لَجَؤوا إلى كِنَانَةَ ، فأوقع بهم ، ونَجَتْ بنو كاهل من بنى أسد ، فقال :

يا لَهْفَ نَفْسِى إذْ خَطِئْنَ كاهِلَا القاتِلِينَ المَلِكَ الحُلاَحلا[2]
تَاللهِ لا يذهَبُ شَيْخِى باطلَا

١٤٣ ● وقد ذكر امرؤُ القيس فى شعره أنه ظفر بهم ، فتأبَّى عليه ذلك الشعراء ، قال عَبِيدٌ[3] :

ياذا المُخَوِّفُنَا بِقَتْـ ل أبيهِ إذْلالاً وحَيْنَا
أزَعَمْتَ أنَّكَ قَدْ قَتَلْـ تَ سرَاتَنَا كَذِباً ومَيْنَا

١٤٤ ● ولم يزل يَسيرُ فى العرب يطلبُ النصرَ ، حتّى خرج إلى قَيْصَر ،

---

(١) استجاشهم : أى طلب منهم جيشاً ، يريد أن يستعين بهم على بنى أسد قاتلى أبيه . والذين أجابوه إلى ثأره أولاهم بنو بكر وبنو تغلب ابنى وائل .

(٢) البيتان الأولان فى اللسان ١٣ : ١٨٤ الحلاحل ، بضم الحاء الأولى : السيد فى عشيرته الشجاع الركين فى مجلسه ، والجمع « حلاحل » بفتح الحاء الأولى .

(٣) هو عبيد بن الأبرص ، من قصيدة فى ديوانه ٢٧ — ٢٩ فى ٢٥ بيتاً وكذلك فى ابن الشجرى ٢ : ٣٩ والبيتان فى الخزانة ١ : ١٦١ وهما فيها أيضاً مع أبيات ١ : ٣٢٢ وسيأتيان مع ٥ أبيات ١٤٣ — ١٤٤ ل .

فدخل معه الحمَّام ، فإذا قيصرُ أقلفُ ، فقال[1] :

إنّى حَلَفْتُ يميناً غيرَ كاذبَةٍ أنّكَ أقْلَفُ إلّا ما جَنَى القَمَرُ
إذَا طَعَنْتَ به مالَتْ عِمَامَتُهُ كَمَا تَجَمَّعَ تَحْتَ الفَلْكَةِ الوَبَرُ

ونظرتْ إليه ابنةُ قيصرَ فعشقته ، فكان يأتيها وتأتيه ، وطَبِنَ[2] الطَّمّاحُ ابنُ قيسٍ الأَسَدِيُّ لهما ، وكان حُجْرٌ قتلَ أباه ، فوشَى به إلى الملك ، فخرج امرؤُ القيس متسرّعاً ، فبعثَ قيصرُ فى طلبه رسولًا ، فأدركه دونَ أنْقِرَةَ بيوم ، ومعه حُلَّةٌ مسمومة ، فلبسها فى يومٍ صائف ، فتناثر لحمُه وتفطّر جسدُه . وكان يحملُه جابرُ بن حُنَىٍّ التغلبىُّ ، فذلك قولُه : 40

فإمّا تَرَيْنِى فى رِحَالَةِ جابِرٍ على حَرَجٍ كالقَرِّ تَخْفِقُ أكفانِى[3]
فَيَارُبَّ مَكْرُوبٍ كَرَرْتُ وَرَاءَهُ وعانٍ فَكَكْتُ الغُلَّ عنه ففَدَّانِى[4]
إذَا المَرْءُ لم يَخْزُنْ عليه لِسَانَهُ فلَيْسَ على شَىْءٍ سِوَاهُ بِخَزّانِ

١٤٥ وقال حين حضرته الوفاةُ[5] :

وطَعْنَةٍ مُسْحَنْفِرَهْ[6] وجَفْنَةٍ مُثْعَنْجِرَهْ[7] تَبْقَى غدًا بأنْقِرَهْ

قال ابنُ الكلبىّ : هذا آخرُ شىءٍ تكلّم به ، ثم مات .

---

(١) الديوان ٩٣ وهما فى اللسان ١١ : ١٩٩ .
(٢) طبن الشىء وطبن له : فطن له .
(٣) أراد بالرحالة الخشب الذى يحمل عليه فى مرضه . الحرج : سرير يحمل عليه المريض أو الميت . القر ، بفتح القاف : الهودج . وأراد بالأكفان ثيابه التى عليه ، لأنه قدر أنها ثيابه التى يموت فيها فيكفن . والبيت فى اللسان ٣ : ٥٩ و ٦ : ٣٩٨ .
(٤) العانى : الأسير .
(٥) الأبيات فى المعرب للجواليقى ٢٦ واللسان ٥ : ١٧١ وستأتى أيضاً (٤٧ ل) .
(٦) مسحنفرة : واسعة .
(٧) مثعنجرة : سائلة منسكبة .

١٤٦ ● قال أبو عبد الله الجُمَحِيُّ : كان امرؤُ القيس ممّن يتعهّرُ في شعره[1] ، وذلك قولُه : * فمِثْلِكَ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُ ومُرْضِعٍ *

وقال : * سَمَوْتُ إِلَيْهَا بَعْدَ ما نامَ أَهْلُهَا *

١٤٧ ● وقد سَبق امرؤُ القيس إلى أشياءَ ابتدعها ، واستحسنها العربُ ، واتّبعتْه عليها الشعراءُ ، مِن استيقافِه صحبَه في الديار ، ورقّةِ النسيب وقربِ المأْخَذ .

١٤٨ ● ويُستجادُ من تشبيهه قولُه :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبـاً ويابِساً ... لَدَى وَكْرِهَا العُنَّابُ والحَشَفُ البالى

وقولُه :

كَأَنَّ عُيُونَ الوَحْشِ حَوْلَ قِبَابِنَـا ... وأَرْحُلِنَا الجَزْعُ الَّذِى لم يُثَقَّبِ[2]

وقولُه[3] :

كَأَنِّى غَدَاةَ البَيْنِ لَمَّا تَحَمَّلُوا ... لَدَى سَمُرَاتِ الحَىِّ ناقِفُ حَنْظَلِ

١٤٩ ● وقد أجاد في صفة الفرس :

41 مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُـدْبِرٍ مَعًا ... كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ

لَهُ أَيْطَلاَ ظَبْيٍ وساقَا نَعَامَةٍ ... وإِرْخَاءُ سِرْحَانٍ وتَقْرِيبُ تَتْفُلِ[4]

---

(١) الجمحى ١٤ .

(٢) الجزع : خرز فيه بياض وسواد ، تشبه به الأعين . وهو بفتح الجيم ، وحكى فيه كراع كسرها أيضاً . والبيت في اللسان ٩ : ٣٩٨ .

(٣، ٢) من المعلقة وسيأتى ٧٧ .

(٤) الأيطل : الخاصرة ، يريد أن خاصرتيه لضمورهما كخاصرتى الظبى . السرحان : الذئب ، وإرخاؤه : سرعته ، وليس دابة أحسن إرخاء من الذئب . التقريب : أن يرفع يديه معاً ويضعهما معاً . التتفل : ولد الثعلب ، وهو أحسن الدواب تقريباً ، وهو بتاءين مثناتين ، وكذلك أثبت في س ، وأثبت في ل « تنفل » بنون بدل التاء الثانية ، وهو خطأ . وسيأتى البيت (٥٥) ل .

١٥٠ ● وممّا يُعاب عليه من شعره قولُه :

إذَا ما الثُّرَيَّا فى السَّماءِ تَعَرَّضَتْ تَعَرُّضَ أثْنَاءِ الوِشَاحِ المُفَصَّلِ

وقالوا : الثريَّا لا تعرُّض لها ، وإنَّما أراه أراد الجَوْزاء ، فذكَر الثريَّا على الغلط ، كما قال الآخرُ * كأحمرِ عاد * وإنَّما هو كأحمرِ ثَمُودَ ، وهو عاقرُ الناقة[1].

١٥١ ● قال يُونُسُ النحويُّ : قَدِمَ علينا ذو الرُّمَّة من سفرٍ ، وكان أحسنَ الناس وصفاً للمطر ، فذكرنا له قول عَبِيدٍ وأَوْس وعَبْدِ بنى الحَسْحَاسِ فى المطر ، فاختارَ قولَ امرئ القيس[2] :

دِيمَةٌ هَطْلَاءُ فيهـا وَطَفٌ طَبَقُ الأَرْضِ تَحَرَّى وتَدُرْ[3]

١٥٢ ● أقبلَ قوم من اليمن يريدون النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، فضَلُّوا الطريقَ ومكثوا ثلاثاً لا يقدرون على الماء ، إذْ أقبل راكبٌ على بعيرٍ ، وأنشد بعضُ القوم[4] :

لمّا رَأَتْ أَنَّ الشَّرِيعَةَ هَمُّهـا وأَنَّ البَيَاضَ من فَرَائِصِهَا دامِى[5]

---

(١) الذى قال * كأحمر عاد * هو زهير فى معلقته ، وقد اعتذر عنه المبرد بأن ثمود يقال لها « عاد الأخيرة » وقوم هود هم « عاد الأولى » وانظر شرح ديوان زهير طبعة دار الكتب ٢٠ وشرح التبريزى على لقصائد العشر ١١٣ والخزانة ١ : ١٦٢ والأصمعية ٥٥ : ١٥ بشرحنا مع الأستاذ عبد السلام هرون.

(٢) الديوان ٨٩ — ٩٠ والبيت فى اللسان ١٤ : ٧٩ ، ٢٢٣ .

(٣) الديمة : المطر الدائم فى سكون . الهطلاء : الدائمة أيضاً فوق الديمة أو نحوها . الوطف : الغزارة مع الاسترخاء . طبق الأرض : غشاء لها ، تطبق الأرض وتعمها . تحرى : تتحرى أى تتوخى وتعمد . تدر : تصب الماء . والبيت فى اللسان ١٨ : ١٨٩ .

(٤) الديوان ١٨٢ .

(٥) الشريعة : مشرعة الماء ، وهى مورد الشاربة التى يشرعها الناس فيشربون منها ويستقون .

تَيَمَّمَتِ العَيْنَ التى عِنْدَ ضَارِجٍ يَفِيءُ عليها الظِّلُّ عَرْمَضُهَا طامِى[١]

فقال الراكب : مَن يقول هذا ؟ قالوا : امرؤ القيس ، فقال : والله ما كَذب ، هذا ضارجٌ عندكم ، وأشار إليه ، فمشَوْا على الرُّكَبِ ، فإذا ماءٌ غَدَقٌ ، وإذا عليه العَرْمَض والظلُّ يفئ عليه ، فشربوا وحَملوا ، ولولا ذلك لهلكوا[٢].

١٥٣● وممّا يُتَمثَّل به من شعره قولُه[٣] :

وَقَاهُمْ جَدُّهُمْ بِبَنِى أَبِيهِمْ وبالأَشْقَيْنَ ما كان العقابُ[٤]

وقوله :

صُبَّتْ عَلَيْهِ ولَمْ تَنْصَبَّ من كَثَبٍ

إنَّ الشَّقَاءَ على الاشْقَيْنَ مَصْبُوبُ[٥]

والعرب لا تسميها شريعة حتى يكون الماء عداً لا انقطاع له ويكون ظاهراً معيناً لا يسقى بالرشاء . الفرائص : جمع فريصة ، وهى لحمة عند نغض الكتف فى وسط الجنب عند منبض القلب ، وهما فريصتان ، ترتعدان عند الفزع .

(١) ضارج : جبل ، كما يفهم ذلك من كتاب صفة جزيرة العرب ص ١٧٨ س ٢ بمقارنته بشعر امرىء القيس فيه ص ٢٣٩ س ٦ ، ١٥ . وذهب صاحب اللسان وغيره إلى أنه موضع ببلاد عبس . العرمض ، بفتح العين والميم : الطحلب . قال فى اللسان ٣ : ١٣٩ : « همها : طلبها ، والضمير فى رأت للحمر ، يريد أن الحمر لما أرادت شريعة الماء خافت على أنفسها من الرماة وأن تدمى فرائصها من سهامهم عدلت إلى ضارج لعدم الرماة على العين التى فيه . . . وطامى : مرتفع » . والبيت الثانى فيه أيضاً ٩ : ٥٠ .

(٢) القصة فى اللسان ٣ : ١٣٩ نقلها عن ابن برى عن النحاس أنه « روى بإسناد ذكره » . ونقلها ياقوت فى البلدان ٥ : ٤٢١ – ٤٢٢ قال: « حدث إسحق بن إبراهيم الموصلى على أشياخه » . وسيذكرها المؤلف مرة أخرى مطولة ١٥ ل وسيأتى لنا بحث فيها إن شاء الله .

(٣) البيت من أبيات ثلاثة فى ديوانه ٥٠ – ٥١ وهى الأصمعية ٤١ وستأتى ٤٤ ل .

(٤) جدهم : حظهم . ببنى أبيهم : يريد بنى كنانة الذين حاربهم يحسبهم بنى أسد ، ثم كف عنهم حين تبين خطأه ، وأسد وكنانة أخوان ، هما ابنا خزيمة .

(٥) الكثب : القرب . وفى الديوان ٥٣ « وما تنصب من أمم » .

وقولُه :

وَقَدْ طَوَّفْتُ فى الآفَاقِ حَتَّى ... رَضِيتُ مِنَ الغَنِيمَةِ بالإِيابِ

١٥٤ ● وممَّا يُتَغَنَّى به من شعره : * قِفَا نَبْكِ من ذِكْرَى حَبِيبٍ ومَنْزِلِ[1]

قولُه :

تَقُولُ وقَدْ مالَ الغَبِيطُ بِنا مَعاً

عَقَرْتَ بَعِيرِى يا امْرَأَ القَيْسِ فانْزِلِ[2]

وقال أبو النَّجْم يصف قَيْنَةً :

تُغَنِّى ، فإِنَّ اليَوْمَ يَوْمٌ مِنَ الصِّبَى ،

بِبَعْضِ الَّذِى غَنَّى امْرُؤُ القَيْسِ أَو عَمْرُو

فظَلَّتْ تُغَنِّى بالغَبِيطِ ومَيْلِهِ

وتَرْفَعُ صَوْتاً فى أَوَاخِرِهِ كَسْرُ

وقولُه[3] :

كأَنَّ المُدَامَ وصَوْبَ الغَمامِ ... ورِيحَ الخُزَامَى ونَشْرَ القُطُرْ

يُعَلُّ به بَرْدُ أَنْيَابِها ... إِذا طَرَّبَ الطائِرُ المُسْتَحِرْ[4]

وكلُّ ما قيل فى هذا المعنَى فمنه أُخذ .

---

(١) يعنى المعلقة .

(٢) الغبيط : هودج يقبب بشجار ، يكون للحرائر .

(٣) من قصيدة فى ديوانه ٧٧ — ٨٣ .

(٤) صوب الغمام : ماء السحاب . الخزامى : قال أبو حنيفة : عشبة طويلة العيدان صغيرة الورق حمراء الزهرة طيبة الريح لها نور كنور البنفسج ، قال : ولم نجد من الزهر زهرة أطيب نفحة من نفحة الخزامى . القطر ، بضم الطاء وبسكونها : العود الذى يتبخر به . قال فى اللسان : « شبه ماء فيها فى طيبه عند السحر بالمدام وهى الخمر وصوب الغمام الذى يمزج به الخمر وريح الخزامى ونشر القطار وهو رائحة العود . والطائر المستحر وهو المصوت عند السحر » . والبيتان فيه ٦ : ١٤ ، ١٩ ، ٤ والبيت الأول فيه ٧ : ٦١ و ١٥ : ٦٦ .

١٥٥ ● واجتمعَ عند عبد الملك أشرافٌ من الناس والشعراء ، فسألهم عن أرقّ بيتٍ قالته العرب ، فاجتمعوا على بيت امرئ القيس :

وما ذَرَفَتْ عيْنَاكِ إلّا لِتَضْرِبِي بِسَهْمَيْكِ فى أعْشَارِ قَلْبٍ مُقَتَّلِ[1]

وقال[2] :

واللهُ أنْجَحُ ما طَلَبْتَ بِهِ والبِرُّ خَيْرُ حَقِيبَةِ الرَّحْلِ

وقال[3] :

مِنْ آلِ لَيْلَى وأيْنَ لَيْلَى وخَيْرُ ما رُمْتَ ما يُنَالُ

* * *

١٥٦ ●هو[4] امرؤ القيس بن حُجْر بن الحرث بن عَمْرو بن حُجْر آكِلِ المُرَارِ[5] بنِ معاوية بن ثَوْرٍ ، وهو كِنْدَةُ . وأمُّه فاطمةُ بنتُ ربيعةَ

---

(١) من المعلقة . الأعشار : أعشار الجزور ، تقسم فى الميسر إلى عشرة أنصباء ثم يجال عليها بالسهام ، وهذا مثل . قال ثعلب : أراد بقوله بسهميك هنا سهمى قداح الميسر ، وهما المعلى والرقيب ، فللمعلى سبعة أنصباء وللرقيب ثلاثة ، فإذا فاز الرجل بهما غلب على جزور الميسر كلها ، ولم يطمع غيره فى شيء منها ، وهى تقسم على عشرة أجزاء . فالمعنى أنها ضربت بسهامها على قلبه فخرج لها السهمان فغلبته على قلبه كله وفتنته فلكته » قال فى اللسان بعد ذلك : « وجعل أبو الهيثم السهم الذى له ثلاثة أنصباء الضريب ، وهو الذى سماه ثعلب الرقيب . وقال اللحيانى : بعض العرب يسميه الضريب وبعضهم يسميه الرقيب . قال : وهذا التفسير فى البيت هو الصحيح » ونقل عن الأزهرى أيضاً اختياره . وانظر اللسان ٦ : ٢٤٩ وشرح التبريزى ٢٣ — ٢٤ .

(٢) من قصيدة فى الديوان ١٤٦ — ١٤٩ .

(٣) من قصيدة فى الديوان ١٦١ — ١٦٣ .

(٤) ترجمة أخرى لامرىء القيس ، هى النص الثابت فى ب د هـ كما ذكر مصحح ل .

(٥) المرار ، بضم الميم وتخفيف الراء ، وفى د بتشديدها وهو خطأ ، والمرار : شجر مر ، قال فى اللسان : « قال أبو عبيد : أخبرنى ابن الكلبى أن حجراً إنما سمى آكل المرار أن ابنة كانت له سباها ملك من ملوك سليح يقال له ابن هبولة ، فقالت له ابنة حجر : كأنك بأبى قد جاء كأنه جمل آكل المرار ، يعنى كاشراً عن أنيابه ، فسمى بذلك . وقيل أنه كان فى نفر من أصحابه فى سفر فأصابهم الجوع ، فأما هو فأكل من المرار حتى شبع ونجا ، وأما أصحابه فلم يطيقوا ذلك حتى هلك أكثرهم ، ففضل عليهم بصبره على أكله المرار » .

ابن الحرث بن زُهير ، أختُ كُلَيْبٍ ومُهَلْهِلٍ ابنَىْ ربيعةَ التَّغْلبِيَّيْنِ . وكُلَيب هو الذى تقول فيه العرب : « أعزُّ من كُلَيبِ وائل » وبمقتله هاجتْ حربُ بكرٍ وتغلبَ[١] .

١٥٧ ● وكان قُبَاذُ ملكُ فارسَ مَلَّكَ الحرثَ بن عمرو جَدَّ امرئِ القيس على العرب ، ويقول أهلُ اليمن : أن تُبَّعاً الأخيرَ ملَّكه ، وكان الحرثُ ابنَ أختِه ، فلمّا هلكَ قباذُ وملَكَ أنوشِرْوانَ ملّك على الحِيرة المنذرَ بنَ ماءِ السماءِ ، وكانت عنده هِنْدُ بنتُ الحرث بن عمرو بن حُجْر ، فولدت له عمرَو بنَ المنذر وقابوسَ بن المنذر . وهند عمّةُ امرئِ القيس ، وابنُها عمرو هو مُحَرِّقٌ .

١٥٨ ●ثم ملّكت بنو أسَدٍ حُجْرًا عليها ، فساءت سيرتُه ، فجَمَّعَتْ له بنو أسد ، واستعان حُجْرٌ ببنى حنظلة بن مالك بن زيدِ مناةَ بن تميم ، فقال امرؤ القيس[٢] :

تميمُ بنُ مُرٍّ وأشياعُها ... وكِنْدَةُ حَوْلِى جَمِيعاً صُبُرْ

فبعثت بنو أسد إلى بنى حنظلة تستكِفُّها وتسألُها أن تخلّى بينها وبين كندة ، فاعتزلت بنو حنظلة ، والتقتْ كندةُ وأسدٌ ، فانهزمتْ كندةُ وقُتِل حُجْرٌ ، وغنمتْ بنو أسدٍ أموالهم . وفى ذلك يقول عَبيدُ بن الأبرصِ الأسدى :

هَلّا سَأَلْتَ جُمُوعَ كِنْـ ... ـدَةَ يَوْمَ وَلَّوْا هَارِبِينَا[٣]

وكان قاتلَ حُجْرٍ عِلْبَاءُ بنُ الحرث الأَسَدِىُّ ، وأفلتَ امرؤُ القيس يومئذٍ ،

(١) انظر مجمع الأمثال ١ : ٤٢٧ ، ٣٣٠ – ٣٣٢ وأيام العرب ١٤٢ وما بعدها .

(٢) من قصيدة فى الديوان ٧٧ – ٨٣ .

(٣) من قصيدة فى ديوانه ٢٧ – ٢٩ وقد سبقت الإشارة إليها (١٠٨) ومنها أبيات فى الخزانة ١ : ٣٢٢ ورواية الديوان والخزانة « يوم ولو أين أينا » .

وحلفَ لا يغَسلُ رأسه ولا يشرب خمرًا حتّى يدركَ ثأرَه ببنِى أسدٍ ، فأتَى ذا جَدَنٍ الحميرىَّ فاستمدَّه فأمدَّه ، وبلغَ الخبرُ بنى أسد فانتقلوا عن منازلهم ، فنزلوا على قومٍ من بنى كنانة بن خُزيمةَ ، والكنانيُّون لا يعلمون بمسير امرئ القيس إليهم ، فطرقهم فى جندٍ عظيمٍ ، فأغار على الكنانيِّين وقتَل منهم ، وهو يظنُّ أنهم بنو أسدٍ ،ثم تبيَّنَ أنهم ليسوا هم ، فقال [1] :

44

أَلَا يا لَهْفَ نَفْسِى إثْرَ قَوْمٍ هُمُ كانُوا الشِّفَاءَ فلم يُصَابُوا [2]

وَقَاهُمْ جَدُّهُمْ ببَنِى أبيهِمْ وبالأَشْقَيْنَ ما كانَ العِقَابُ

وأَفْلَتَهُنَّ عِلْبَــاءٌ جَرِيضاً ولَوْ أَدْرَكْنَهُ صَفِرَ الوِطَابُ [3]

ثم تَبعَ بنى أسدٍ فأدركهم وقَتَلَ فيهم قتلاً ذَريعاً ، وقال [4] :

قُولَا لِدُودَانَ : عَبِيدَ العَصَا ما غَرَّكُمْ بالأَسَدِ الباسلِ

قد قَرَّتِ العَيْنَانِ من وائلٍ ومن بنِى عَمْرٍو ومن كاهِلِ

نَطْعُنُهُمْ سُلْكَى ومَخْلُوجَةً كرَّكَ لأْمَيْنِ على نَابِلِ [5]

حَلَّتْ لِىَ الخَمْرُ وكنتُ امْرَءًا عَنْ شُرْبِهَا فى شُغُلٍ شاغِلِ

فاليَوْمَ أَشْرَبْ غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ إثْماً مِنَ اللهِ ولا واغِلِ [6]

---

(١) فى ديوانه ٥٠ — ٥١ وهى الأصمعية ٤١ . ومضى البيت الثانى منها (١١٢) .

(٢) أراد بالشفاء أنهم كانوا شفاء نفسه لو أصابهم ، إذ هم قتلة أبيه .

(٣) أفلتهن : يعنى الخيل التى كانت تطلبه فلم تدركه . الجرض والجريض : غصص الموت . يريد أفلتهن مجهوداً يكاد يقضى . صفر : خلا . الوطاب : جمع وطب وهو سقاء اللبن . يريد أنه مات فلم تملأ وطابه ، أو بقى جسمه صفراً من حياته كما يخلو الوطب من اللبن .

(٤) من قصيدة فى ديوانه ١٥١ — ١٥٢ والأبيات ٣ — ٥ من الأصمعية ٤٠ .

(٥) السلكى : الطعنة المستقيمة تلقاء الوجه . المخلوجة : غير المستقيمة . كرك لأمين . مثنى « لأم » يقال « سهم لأم » أى عليه ريش لؤام يلائم بعضه بعضاً . النابل : الرامى بالنبل . يريد : يذهب الطعن فيهم ويرجع كما ترد سهمين على رام رمى بهما .

(٦) مضى فى (٩٨) .

١٥٩ ● ثم إنَّ المنذرَ بنَ ماءِ السماء غزا كندةَ فأصاب منهم ، وأسر اثنى عشرَ فتًى من ملوكهم ، فأمر بهم فقُتلوا بمكان بين الحيرةِ والكوفة ، يقال له جَفْرُ الأملاك[1] ، وكان امرؤُ القيس يومئذٍ معهم ، فهرب حتى لجأ إلى سعد بن الضَّبَاب الإيادىّ ، سيّدِ إياد ، فأجاره .

١٦٠ ● وكان ابنُ الكَلْبِىّ يَذكر أن أمَّ سعدٍ كانت عند حُجْرٍ أبى امرئ القيس ، فتزوَّجها الضَّبَاب فولدت سعدًا على فراشه ، واستشهد على ذلك قولَ امرئِ القيس[2] :

يُفَكِّهُنا سَعْدٌ ويُنْعِمُ بالَنا ... ويَغْدُو عَلَيْنا بالجِفانِ وبالجُزُرْ
ونَعْرِفُ فيه من أَبِيهِ شَمَائِلاً ... ومن خالِهِ ومن يَزِيدَ ومن حُجُرْ

وهذا الشعر يدلُّ على أن العربَ كانت فى الجاهلية تَرَى الولَد للفراش[3]. 45

١٦١ ● ثم تحوَّل إلى جَبَلَىْ طَيِّء[4] ، فنَزل على قوم ، منهم عامرُ بنُ جُوَيْنٍ الطائىّ ، فقالت له ابنتُه : إن الرجلَ مأكولٌ فكُلْه ، فأتى عامرٌ أجأً وصاح : ألَا إنَّ عامرَ بنَ جُوَيْنٍ غَدَرَ ، فلم يجبه الصَّدَى ، ثم صاح : ألَا إنَّ عامرَ بن جُوَيْنٍ وَفَى ، فأجابه الصدى ، فقال : ما أحسنَ هذه وما أقبح تلك ! ثم خرج امرؤُ القيس من عنده ، فشيَّعَه ، فرأت ابنتُه ساقَيْهِ وهو مُدْبِرٌ ، وكانتا حَمْشَتَيْن[5] ، فقالت : ما رأيتُ كاليوم ساقَىْ وافٍ ، فقال : هما ساقَا غادرٍ أقبحُ .

---

(١) أصل « الجفر » البئر الواسعة القعر لم تطو ، أى لم تبن . وجفر الأملاك : فى أرض الحيرة ، سمى بذلك لقتل هؤلاء الفتيان عنده . وانظر ياقوت ٤ : ١٢٧ — ١٢٨ .

(٢) من قصيدة فى الديوان ٨٣ — ٨٦ .

(٣) هذا استنباط بعيد ، لا يدل عليه الشعر الذى استنبط منه .

(٤) هما أجأ وسلمى .

(٥) حمشتين : أى دقيقتين .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويقال إن صاحب هذا القول أبو حَنْبَلٍ بن مُرٍّ مُجيرُ الجَرَادِ .

ويقال إن ابنته لمّا أشارت عليه بأخذ ماله دعا بجَذَعة من غنمه ، فحلَبها فى قدح ثم شرب فروَىَ ، ثم استلقَى وقال : والله لا أغدِر ماأجزأتْنِى جَذَعة ، ثم قام فمشَى ، وكان أعورَ سُنَاطاً (١) قَصيرًا حَمْش الساقين ، فقالت ابنتُه : ما رأيتُ كاليوم ساقَىْ وافٍ ؟ فقال لابنته : يا بُنيَّةُ ، هما ساقا غادرٍ شرٌّ ، وقال :

لَقَدْ آلَيْتُ أَغْدِرُ فى جَدَاعٍ ... ولوْ مُنِّيتُ أُمّاتِ الرِّبَاعِ (٢)

لأَنَّ الغَدْرَ فى الأَقْوَامِ عارٌ ... وإنَّ الحُرَّ يَجْزَأُ بالكُرَاعِ

١٦٢ ● ولم يزل ينتقلُ من قوم إلى قوم بجبلىْ طَيِّءٍ ، ثم سَمَتْ به نفسُه إلى مَلِك الروم . فأتَى السموْألَ بنَ عادِيَاءَ اليهودىَّ ، مَلِكَ تَيْماءَ ، وهى مدينة بين الشأم والحجاز ، فاستودَعَه مائةَ درعٍ وسلاحاً كثيرا ، ثم سار ومعه عَمْرُو بن قَمِيئَةَ ، أحدُ بنى قيس بن ثعلبة ، وكان من خَدَم أبيه (٣) ، فبكَى ابنُ قميئةَ ، وقال له : غرَّرتَ بنا ، فأنشأ امرؤُ القيس يقول (٤) :

46 بكَى صاحبِى لَمَّا رَأَى الدَّرْبَ دُونَهُ
وأيْقَنَ أنَّا لاحِقَانِ بقَيْصَرَا

فقُلْتُ لَهُ : لا تَبْكِ عَيْنُكَ إنمَا
نُحَاوِلُ مُلْكاً أو نَمُوتَ فنُعْـذَرَا

(١) السناط ، بكسر السين وضمها : الذى لا لحية له .

(٢) الجداع : السنة الشديدة تذهب بكل شيء . وفى ل « جذاع » وهو خطأ . والبيت فى اللسان ١ : ٣٨ و ٩ : ٣٩١ و ١٤ : ٢٩٥ .

(٣) ستأتى ترجمة عمرو بن قميئة (٢٢٢ — ٢٢٣ ل) .

(٤) من قصيدة طويلة فى الديوان ٦٦ — ٧٦ .

وإنّى أذينٌ إنْ رَجَعْتُ مُمَلَّكاً
بِسَيْرٍ تَرَى منه الفُرَانِقَ أَزْوَرَا[١]

على ظَهْرِ عادِىٍّ تُحارِبُهُ القَطَا
إذا سافَهُ العَوْدُ الدِّيَافِىُّ جَرْجَرَا[٢]

١٦٣ •وبَلَغَ الحرْثَ بنَ أبى شَمِرٍ الغسّانىَّ ، وهو الحرْث الأكبرُ ، ما خلّفَ امرؤُ القيس عند السموأل ، فبعث إليه رجلًا من أهل بيته ، يقال له الحرْث بن مالكٍ[٣] ، وأمره أن يأْخذَ منه سلاحَ امرئِ القيس وودائعَه ، فلمّا انتهى إلى حصن السموأل أغلقه دونَه ، وكان للسموأل ابنٌ خارجَ الحصن يتصيّد ، فأخذه الحرْث ، وقال للسموأل : إنْ أنت دفعتَ إلىَّ السلاحَ وإلّا قتلتُه ، فأبى أن يدفعَ إليه ذلك ، وقال له اقتل : أسيرَك فإنى لا أدفعُ إليكَ شيئاً ، فقتلَه . وضربت العربُ المثلَ بالسموأل فى الوفاء . وقد ذكره الأعشى فى قصّة له قد ذكرتُها فى أخباره .

١٦٤ •وصار امرؤُ القيس إلى ملك الروم ، فأكرمه ونادمه ، واستمدّه

---

(١) الأذين : الزعيم والكفيل . وهذه رواية أبى عبيدة ، كما فى اللسان ١٦ : ١٤٧ والبيت فيه أيضاً ١٢ : ١٨٢ ورواية الديوان « وإنى زعيم » . الفرانق : سبع يصيح بين يدى الأسد كأنه ينذر الناس به ، ويقال إنه شبيه بابن آوى ، وانظر المعرب للجواليقى طبعة دار الكتب بتحقيقنا ٢٣٨ . أزور : مائل العنق .

(٢) العادى : الطريق القديم . ورواية الديوان واللسان ١١ : ٦٦ « على لا حب لا يهتدى بمناره » سافه : شمه . العود : الجمل المسن وفيه بقية . الديافى : نسبة إلى دياف ، وهى قرية بالشام تنسب إليها النجائب . يريد : إذا ساف الجمل تربة هذا الطريق جرجر جزعا من بعده وقلة مائه .

(٣) هكذا فى هذا الكتاب ، ولم أعرف « الحرث بن مالك » هذا . والذى فى الأغانى ١٩ : ٩٩ : « ونزل الحرث بن ظالم فى بعض غاراته بالأبلق ، ويقال بل الحرث بن أبى شمر الغسانى ، ويقال بل كان المنذر وجه بالحرث بن ظالم فى خيل وأمره بأخذ مال امرىء القيس من السموأل » إلخ . وانظر ما يأتى (١٣٩ – ١٤٠ ل) والأصمعيتين ٢٢ ، ٢٣ .

فوعده ذلك ، وفى هذه القصّة يقول[1] :

ونادَمْتُ قَيصَر فى مُلْكه فأَوْجَهَنى وركِبْتُ البَرِيدَا
إذَا ما آزْدَحَمْنا على سِكَّةٍ سَبَقْتُ الفُرَانِقَ سَبْقاً بَعيدَا

ثم بعثَ معه جيشاً فيهم أبناءُ ملوك الروم ، فلمّا فَصَل قيل لقيصر : إنّك أمددتَ بأبناء ملوك أرضك رجلًا من العرب ، وهم أهل غدر ، فإذا استمكن ممّا أراد وقَهر بهم عدوّه غزاك . فبعث إليه قيصرُ معرجلٍ من العرب كان معه يقال له الطِّمّاحُ[2] بحُلَّة منسوجةٍ بالذهب مسمومةٍ ، وكَتب إليه : إنى قد بعثتُ إليك بحلّتى التى كنتُ أَلبسها يومَ الزينة ، ليُعرف فضلُ 47 منزلتك عندى ، فإذا وصلتْ إليك فالبسها على اليُمْنِ والبركة ، واكتبْ إلىَّ من كلّ منزلٍ بخبرك . فلمّا وصلت إليه الحلّةُ اشتدَّ سروره بها ، ولبسها ، فأسرع فيه السمُّ وتنفّط جلدُه. والعربُ تدعوه ذا القروح لذلك ، ولقوله[3] :

وبُدِّلْتُ قَرْحاً دامِياً بَعْدَ صِحَّةٍ فَيَالَكَ نُعْمَى قَدْ تَحَوّلَ أَبْؤُسَا

وقال الفرزدقُ :

وَهَبَ القَصَائِدَ لِي النَّوَابغُ إذْ مَضَوْا وأَبُو يَزِيدَ وذُو القُرُوحِ وجَرْوَلُ[4]

قال أبو محمد : أبو يزيدَ هو المُخَبَّلُ السعدىُّ ، وذو القروح امرؤ القيس ، وجَرْوَل الحُطَيْئة .

١٦٥ ● ولما صار إلى مدينة بالروم تُدعى أَنْقِرَة ثُقِّلَ ، فأقام بها حتّى ماتَ ، وقُبر هناك ، وقال قبل موته[5] :

(١) من أربعة أبيات فى الديوان ٦٤ .
(٢) هو الطماح بن قيس الأسدى ، وقد مضى ذكره (١٠٩) .
(٣) من قصيدة فى الديوان ٩٧ – ٩٩ .
(٤) البيت فى الأغانى ١٢ : ٣٨ .
(٥) مضت برواية أخرى (١٠٩) .

رُبَّ خُطْبَةٍ مُسْحَنْفِرَهْ وطَعْنَــةٍ مُثْعَنْجِرَهْ
وجَعْبَــةٍ مُتَحَيِّرَهْ تُدْفَنُ غَدًا بأَنْقِرَهْ

ورأَى قبرًا لامرأة من بنات ملوك الروم هلكتْ بأَنقِرَةَ ، فسأل عن صاحبه فخبِّر بخبرها ، فقال[1] :

أجَارَتَنَا إنَّ المَزَارَ قَرِيبُ وإنى مُقِيمٌ ما أقامَ عَسِيبُ
أجَارَتَنَا إنَّا غَرِيبَانِ هٰهنا وكُلُّ غَرِيبٍ للغَرِيبِ نَسِيبُ

وعَسِيب : جبل هناك .

ولما بلغ السموألَ موتُ امرئِ القيس دَفَع ما خلَّف عنده من السلاح وغيره إلى عَصَبته .

١٦٦ ● وكان امرؤ القيس مِئناثاً لا ذَكَرَ له ، وغيورًا شديدَ الغَيْرة ، فإذا وُلدتْ له بنتٌ وأدها ، فلمّا رأى ذلك نساوه غيَّبن أولادهنَّ فى أحياء العرب ، وبلغه ذلك فتتبّعهنّ حتّى قتلهنّ .

48 ١٦٧ ● وكان امرؤ القيس جميلاً وَسِيماً ، ومع جماله وحسنه مُفَرَّكاً[2] لا تريده النساءُ إذا جَرّبْنَه . وقال لامرأة تزوّجها : ما يكرهُ النساءُ منّى ؟ قالت : يكرهْنَ منك أنَّك ثقيلُ الصدر ، خفيفُ العَجُز ، سريعُ الإراقة ، بطىءُ الإفاقة . وسأل أخرىٰ عن مثل ذلك فقالت : يكرهن منك أنّك إذا عَرِقْتَ فُحْتَ بريحِ كلبٍ! فقال: أنتِ صَدَقْتِنِى ، إنَّ أهلى أرضعونى بلبنِ كلبة . ولم تصبر عليه إلا امرأةٌ من كِنْدَةَ يقال لها هِند ، وكان أكثرُ ولده منها .

---

(١) من خمسة أبيات فى الديوان ٥٥ – ٥٦ .

(٢) المفرك : الذى لا يحظى عند النساء ويبغضنه . ووصف امرىء القيس بهذا ثابت فى اللسان أيضاً ١٢ : ٣٦٢ .

١٦٨ ● وكان يُعَدُّ من عُشّاق العرب والزُّناةِ . وكان يُشَبِّبُ بنساءٍ : منهنّ فاطمةُ بنت العُبَيد بن ثعلبةَ بن عامر العُذْريّة ، وهى التى يقول لها :

* أفاطِمَ مَهْلاً بَعْضَ هٰذَا التَّدلُّل[1] *

ويقول لها[2] :

لَا وأَبِيكِ ابْنَةَ العَامِرِ يّ لا يَدَّعى القومُ أنى أفِرّْ

ومنهنّ أمُّ الحٰرث الكلبيّةُ ، وهى التى يقول فيها[3] :

كَدَأْبِكَ مِنْ أُمِّ الحُوَيْرِثِ قَبْلَهَا وجارَتِها أُمِّ الرَّبَابِ بمَأْسَلِ

ومنهنّ عُنَيزةُ ، وهى صاحبةُ يوم دَارَةِ جُلْجُل[4].

١٦٩ ● قال محمّد بن سلّام : حدّثنى راويةٌ للفرزدق أنّه لم يَرَ رجلاً كان أروىٰ لأحاديث امرئ القيس وأشعاره من الفرزدق ، هو وأبو شَفْقَل[5] ، لأنّ امرأ القيس كان صحب عمّه شُرَحْبِيل قبلَ الكُلَابِ[6] ، حتّى قُتل شرحبيلُ بن الحٰرث ، وكان قاتلُه أخاه مَعْدِى كَرِبَ بن الحٰرث ، وكان شرحبيلُ بن الحٰرث مُسْتَرْضَعاً فى بنى دارمٍ رهطِ الفرزدق ، وكان امرؤ القيسُ رأىٰ من أبيه جَفْوَةً ، فلحق بعمّه ، فأقام فى بنى دارمٍ حيناً ،

---

(١) من المعلقة .

(٢) من قصيدة فى الديوان ٧٧ — ٨٣ .

(٣) من المعلقة . و « مأسل » : اسم ماء بعينه .

(٤) أشار إليه فى المعلقة أيضاً .

(٥) أبو شفقل : وصفه مصحح ل فى فهرسها بأنه « راوى امرىء القيس » وهو خطأ ، فنى اللسان والقاموس أنه راوية الفرزدق ، وفى اللسان أيضاً : « قال ابن خالويه : اسم راوية الفرزدق شفقل ، قال : ولا نظير لهذا الاسم » .

(٦) بضم الكاف ، وهو ماء للعرب ، كان به يومان مشهوران لهم ، يوم الكلاب الأول ويوم الكلاب الثانى . والإشارة هنا إلى الأول ، انظر أيام العرب ٤٦ — ٥٠ وما أشير إليه هناك من المصادر .

قال[١] : قال الفرزدق : أصابنا بالبصرة مطرٌ جَوْدٌ ، فلما أصبحتُ ركبتُ 49
بغلةً لى وصرتُ إلى المِرْبَدِ ، فإذا آثارُ دوابٍّ قد خرجت إلى ناحيه البريّة ،
فظننتُ أنهم قومٌ قد خرجوا إلى النزهة ، وهم خُلقاءُ أن يكون معهم سُفْرَة .
فاتّبعتُ آثارهم حتى انتهيتُ إلى بغالٍ عليها رحائلُ موقوفة على غدير ،
فأسرعتُ إلى الغدير فإذا نسوةٌ مستنقعاتٌ فى الماء ، فقلت : لم أرَ كاليوم
قطُّ. ولايومَ دارةِ جُلْجُلٍ ! وانصرفتُ مستحيياً ، فنادينني : ياصاحب البغلة
ارجعْ نَسْأَلْك عن شىء ، فانصرفتُ إليهنّ ، فقعدنَ إلى حُلُوقهنّ فى الماء ،
ثم قُلْنَ : بالله لَمَّا أخبرتَنا ماكان حديثُ يومِ دارة جُلْجُل ؟ قال : حدّثنى
جدّى ، وأنا يومئذ غلامٌ حافظٌ : أنّ امرأ القيس كان عاشقاً لابنة عمٍّ له
يقال لها عُنَيْزَة ، وأنّه طلبها زماناً فلم يَصِلْ إليها ، حتى كان يومُ الغَدير ،
وهو يومُ دارة جُلْجُل . وذلك أنّ الحَىَّ احتَملوا ، فتَقدّم الرجالُ وتَخلّف
النساءُ والخدمُ والثقل[٢] ، فلمّا رأى ذلك امرؤُ القيس تخلّف بعدَ ما سار
مع رَجّالة[٣] قومه غَلْوَةً[٤] ، فكمن فى غَيَابَة[٥] من الأرض حتّى مرّ به النساءُ
وفيهنّ عُنَيْزَة ، فلما وَرَدْنَ الغَدِيرَ قلن : لو نزلنا فاغتسلنا فى هذا الغدير
فذَهب عنّا بعضُ الكَلَال ، فنزلن فى الغدير ونَحَّيْنَ العَبِيد ، ثم تجرَّدْنَ

---

(١) قال : يعنى أبا شفقل راوية الفرزدق ، كما هو ظاهر من السياق . والقصة الآتية رواها صاحب الأغانى بنحوها ١٩ : ٢٦ — ٢٨ باسناده عن عبد الله بن زالان التميمى راوية الفرزدق ورواها صاحب الخزانة ٢ : ٦٨ — ٦٩ نقلا عن ابن الأنبارى فى شرح المعلقة . ولكن فيها « على ما حدث ابن وألان عن أبى سقنقل راوية أبى فراس همام بن غالب الفرزدق » وهذا الاسم « ابن زالان » أو « ابن وألان » يبدو لى أنه محرف ، وأظن أنه هو « أبو شفقل » هذه كنيته ، وذاك اسمه ونسبه .

(٢) الثقل ، بفتحتين : متاع المسافر وحشمه .

(٣) الرجالة : الذين ليس لهم ظهر يركبونه فى السفر .

(٤) الغلوة : قدر رمية بسهم ، والفرسخ التام خمس وعشرون غلوة .

(٥) الغيابة من الأرض : المنهبط منها ، وغيابة كل شىء قعره ، كالجب والوادى وغيرهما . وفى الأغانى « غابة » ولعله تحريف .

فوقعنَ فيه ، فأتاهُنّ امرؤ القيس وهنّ غوافلُ ، فأخذ ثيابهنّ فجَمعها وقَعد عليها ، وقال : والله لا أعطى جاريةً منكنّ ثوبها ولو ظلّت فى الغدير يومهَا حتّى تخرجَ متجرّدةً فتأخذَ ثوبها ! فأبَيْنَ ذلك عليه ، حتّى تعالى النهارُ ، وخَشِينَ أن يُقَصّرن عن المنزل الذى يردْنَه ، فخرجنَ جميعاً غيرَ عُنَيزةَ ، فناشدَتهُ اللهُ أن يَطرحَ إليها ثوبَها ، فأبى ، فخرجتْ ، فنظر إليها مقبلَةً ومدبرةً ، وأقبلن عليه فقلن له : إنّك قد عذّبتَنا وحَبستَنا وأجعتنا ! قال : فإن نحرتُ لكنّ ناقتى تأكلن منها ؟ قلن : نعم فخَرَطَ سيفَه فعَرْقَبَها ونَحرها ثم كشطها ، وجَمع الخدمُ حطباً كثيرًا فأجّجْنَ نارًا عظيمة ، فجعل يقطعُ لهنّ من أطايبها ويلقيه على الجمر ، ويأكلن ويأكلُ معهنّ ، ويشربُ من فضلة خمرٍ كانت معه ويغنّيهنّ ، وينبذُ إلى العَبيد من الكباب ، فلما أرادوا الرحيل قالت إحداهن : أنا أحملُ طِنْفِسَتَه ، وقالت الأُخرى : أنا أحمل رَحْلَه وأنساعَه ، فتقسّمْنَ متاعَ راحلته وزادَه ، وبقيت عُنَيْزة لم يُحمِّلها شيئاً ، فقال لها : يا ابنةَ الكرام ! لا بُدّ أن تحمليني معكِ فإنى لا أُطيقُ المشىَ ، فحملتهُ على غارب بعيرها ، وكان يَجْنَحُ إليها فيُدخلُ رأسَه فى خدْرها فيقبّلُها ، فإذا امتنعت مال حَدَجُها ، فتقول : عَقَرْتَ بعيرى فانزلْ ، ففى ذلك يقول[1] :

(50)

ويَوْمَ عَقَرْتُ لِلْعَذَارَىٰ مَطِيَّتِى ... فَيَاعَجَباً مِنْ رَحْلِهَا المُتَحَمَّلِ

يظَلُّ العَذَارَىٰ يَرْتَمِينَ بلَحْمِهَا ... وشَحْمٍ كَهُدَّابِ الدِّمَقْسِ المُفَتَّلِ[2]

ويَوْمَ دَخَلْتُ الخِدْرَ خِدْرَ عُنَيْزَةٍ ... فقالَتْ :لَكَ الوَيْلاتُ إنَّكَ مُرْجِلِي

---

(١) من المعلقة .

(٢) يرتمين : يرمى بعضهن بعضاً . الهداب : طرف الثوب ، وهو الهدب أيضاً . الدمقس : الحرير الأبيض . المفتل : المفتول .

تَقُولُ وقَدْ مال الغَبيطُ بنَا مَعاً : خقَرتَ بعيرِى ياامْرأَ القيْسِ فانْزِل
فقُلْتُ لها : سِيرِى وأَرْخِى زِمَامَهُ ولا تُبْعِدِينا من جَنَاكِ المُعَلَّلِ[١]

١٧٠● وكان امرؤُ القيس فى زمان أَنُو شِروانَ ملكِ العجم . لأنى وجدتُ الباعثَ فى طلب سلاحه الحٰرثَ بنَ أبى شَمِرٍ الغسَّانىَّ ، وهو الحٰرث الأكبر ، والحٰرث هو قاتلُ المنذر بن امرئ القيس الذى نَصبه أَنو شِروانُ بالحيرة . ووجدتُ بين أَوَّل ولاية أَنو شروان وبين مولد النبىِّ صلى الله عليه وسلم أربعين سنةً ، كأنَّه وُلد لثلاثٍ سنينَ خَلَتْ من ولاية هرمز بن كسرىٰ . 51 I

١٧١● ومما يشهد لهذا أنَّ عمرو بن المُسَبِّح الطائىَّ[٢] وفَد على النبىِّ صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فى وفود العرب ، وهو ابن مائة وخمسين سنةً ، وأسْلَمَ ، وعَمرو يومئذٍ أرْمَى العرب ، وهو الذى ذكره امرؤُ القيس فقال :

رُبَّ رامٍ من بَنِى ثُعَلٍ مُخرِجٍ كَفَّيْهِ من سُتَرِهْ[٣]

وله يقول الآخَرُ[٤] :

---

(١) جناها: ما اجتنى منها من القبل . المعلل : الذى علل بالطيب ، أى طيب مرة بعد مرة . ويروى « المعلل » اسم فاعل ، وهو الذى يعلله ويتشفى به .

(٢) انظر ابن سعد ١ / ٢ / ٥٩ — ٦٠ والمسبح : بضم الميم وفتح السين وتشديد الموحدة المكسورة ، كما ضبطه صاحب القاموس والحافظ فى الإصابة ٥ : ١٦ ونقل عن ابن دريد فى الاشتقاق أنه ضبطه بفتح الميم وكسر السين وبالياء التحتية ، ولم نجد هذا الضبط فى الاشتقاق ٢٣٢ بل وجدناه مرسوماً كما هنا من غير تقييد فى الضبط . وعمرو هذا فارس مشهور مات فى خلافة عثمان ، وله ترجمة أيضاً فى تاريخ الطبرى ١٣ : ٣٣ — ٣٤ وأخبار المعمرين لأبى حاتم ٧٧ — ٧٨ .

(٣) صدر قصيدة فى الديوان ٨٦ — ٨٧ . وهو أيضاً فى الطبرى والمعمرين والاشتقاق . بنو ثعل : من طيىء ، منهم عمرو بن المسبح . « مخرج » كذا فى ه وهو يوافق رواية الطبرى والاشتقاق . وفى سائر الأصول « متلج » أى مدخل ، وهى تنافى حرف « من » والذى فى الديوان « متلج كفيه فى قتره » والقتر : جمع قترة ، وهى بيت الصائد الذى يكمن فيه .

(٤) هو وبرة بن الجحدر المعنى من بنى دفش ، كما فى الطبرى .

نَعَب الغُرَابُ ولَيْتَهُ لم يَنْعَبِ بالبَيْنِ مِنْ سَلْمَى وأُمِّ الحَوْشَب
لَيْتَ الغُرَابَ رَمَى حَمَاطَةَ قَلْبِه عمْرُو بأَسْهُمِهِ الَّتِى لم تُلْغَب[1]

١٧٢ ● وقد ذَكره النبيُّ صلى الله عليه وسلم فقال: «هو قائد الشعراءِ إلى النار» وفى خبرٍ آخر: «معه لواءُ الشعراء إلى النار»

قال ابن الكلبيّ[2]: أَقبلَ قومٌ من اليمن يريدون النبيَّ صلى الله عليه وسلم، فضلُّوا ووَقَعوا على غير ماءٍ، فمكثوا ثلاثاً لا يقدرون على الماءِ، فجعل الرجلُ منهم يَسْتَذْرِى[3] بفَىءِ السَّمُرِ والطَّلْحِ، فبينَاهم كذلك أقبل راكبٌ على بعير، فأنشد بعضُ القوم بيتين من شعر امرئْ القيس: * لمَّا رأَت * البيتين، فقال الراكبُ: من يقول هذا الشعر؟ قال: امرؤُ القيس، قال: والله ما كَذَب، هذا ضارجٌ عندكم، وأشار لهم إليه، فأَتوه فإذا ماءٌ غَدَقٌ، وإذا عليه العَرْمَضُ والظِلُّ يَفِيءُ عليه، فشربوا منه وارْتَوَوْا، حتَّى بَلَغوا النبيَّ صلى الله عليه وسلم فأَخبَروه، وقالوا: أَحيانا بيتان من شعر امرىءِ القيس، فقال النبى صلى الله عليه وسلم: «ذاكَ رجلٌ مذكور فى الدنيا شريفٌ فيها، مَنْسىٌّ فى الآخرة خاملٌ فيها، يجىءُ يومَ القيٰمة معه لِوَاءُ الشعراءِ إلى النار[4]».

52

(١) حماطة القلب: سواده. لم تلغب: بالبناء للمجهول، يقال «ألغب السهم» أى جعل ريشه لغاباً، والسهم اللغاب، بضم اللام: الفاسد الذى لم يحسن عمله، وقيل اللغاب: ريش السهم إذا لم يعتدل. والبيت فى اللسان ٢: ٢٣٩ و ٩: ١٤٦ غير منسوب.

(٢) سبقت هذه القصة مختصرة (١١١، ١١٢) ورواية ابن الكلبى أشار إليها الحافظ فى الإصابة ٤: ٢٤٩ مختصرة نقلا عن البغوى والطبرانى وأبى زرعة أحمد بن الحسين الرازى فى كتاب الشعراء من طريق ابن هشام بن الكلبى من حديث عفيف بن معدى كرب الكندى.

(٣) الذرى: ماكنك من الريح الباردة من حائط أو شجر، يقال «تذرى» بالحائط وغيره من البرد والريح و «استذرى» كلاهما: اكتن.

(٤) هذه القصة نقلها المؤلف أيضاً فى عيون الأخبار ١: ١٤٣: ١٤٤ عن ابن الكلبى.

١٧٣ ●وذكره عمرُ بن الخطّاب رضى الله عنه فقال : سابِقُ الشعراءِ ، خَسَفَ لهم عَيْنَ الشِعر(١) .

ورواها صاحب الأغانى ٧ : ١٢٣ فى قصة أخرى بإسناده عن عبد الله بن جعفر ، ونقلها ياقوت فى البلدان ٥ : ٤٢١ — ٤٢٢ ثم قال : « هذا من أشهر الأخبار » . وهى مشهورة عند الإخباريين والأدباء ولكنها غير معروفة عند المحدثين ، وهم الحجة فيما ينسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأخبار ، فإنى لم أجد أحداً منهم رواها أو أشار إليها . إلا حديث « امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء إلى النار » فقد رواه أحمد فى المسند ٢ : ٢٢٨ من حديث أبى هريرة مرفوعاً إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو حديث ضعيف جداً ، ذكره ابن كثير فى التاريخ ٢ : ٢١٨ عن المسند ، وقال : « هذا منقطع ، وورد من وجه آخر عن أبى هريرة ، ولا يصح من غير هذا الوجه » . ورواه أيضاً البزار ، كما فى مجمع الزوائد ٨ : ١١٩ ومجمع الفوائد ٢ : ١٦٨ . وإسناده عند أحمد « ثنا هشيم ثنا أبو الجهم الواسطى عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة » وأبو الجهم هذا يذكر فى بعض كتب الرجال باسم « أبو الجهم الإيادى » وهو مجهول ، وضعفه أبو زرعة الرازى ، وقال ابن عدى : « شيخ مجهول لا يعرف له اسم ، وخبره منكر، ولا أعرف غيره ». وقال ابن عبد البر : « لا يصح حديثه» . وفيه علة أخرى أنه موقوف على أبى هريرة ، فقد رواه البخارى فى كتاب الكنى المطبوع فى حيدرآباد سنة ١٣٦٠ ص٢٠ برقم ١٥٤ قال : « أبو الجهم الإيادى ، قال مسدد : ناهشيم قال : ناشيخ يكنى أبا الجهم عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال : صاحب لواء الشعراء إلى النار امرؤ القيس ، لأنه أول من أحكم الشعر » . وفى مجمع الزوائد ١ : ١١٩ : « عن عفيف الكندى قال : بينا نحن عند النبى ، صلى الله عليه وسلم إذ أقبل وفد من اليمن فذكروا امرؤ القيس بن حجر الكندى ، وذكروا بيتين من شعره فيهما ذكر ضارج — ماء من مياه العرب — فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذاك رجل مذكور فى الدنيا منسى فى الآخرة يجىء يوم القيامة معه لواء الشعراء يقودهم إلى النار . رواه الطبرانى فى الكبير من طريق سعد بن فروة بن عفيف عن أبيه عن جده . ولم أر من ترجمهم » . وانظر تعجيل المنفعة ٤٧٢ — ٤٧٣ ولسان الميزان ٣ : ١٨١ و ٦ : ٣٥٩ والكنى والأسماء للدولابى ١ : ١٣٧ والمناوى على الجامع الصغير ٢ : ١٨٦ رقم ١٦٢٤ و ١٦٢٥ . ورواه الخطيب فى تاريخ بغداد ٩ : ٣٧ بإسناده عن أبى عفان المهزمى عبد الله ابن أحمد بن حرب الشاعر عن الأصمعى عن ابن عون عن محمد — يعنى ابن سيرين — عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم : « امرؤ القيس قائد الشعراء إلى النار » وهو خبر باطل ، كما قال الحافظ ابن حجر فى لسان الميزان ٣ : ٢٤٩ — ٢٥٠ و ٦ : ٤٤٩ .

(١) الكلمة فى الأغانى ٧ : ١٢٣ والنهاية ١ : ٢٩٤ واللسان ١٠ : ٤١٥ ولفظ النهاية : « وفى حديث عمر أن العباس سأله عن الشعراء فقال : امرؤ القيس سابقهم ، خسف لهم عين الشعر ، فافتقر عن معان عور أصح بصراً . أى أنبطها وأغزرها لهم ، من قولهم خسف البئر ، إذا حفرها فى حجارة فنبعت بماء كثير . يريد أنه ذلل لهم الطريق إليه ، وبصرهم بمعانيه ، وفنن أنواعه وقصده ، فاحتذى الشعراء على مثاله ، فاستعار العين لذلك » .

١٧٤ ●قال أبو عُبيدةَ مَعْمَرُ بن المثنَّى : يقولُ مَنْ فَضَّله : إنه أَوَّلُ من فَتَح الشعرَ واستوقَفَ ، وبكَى في الدِّمَنِ ، ووصفَ ما فيها . ثم قال : دَعْ ذَا رَغْبَةً عن المَنْسَبَة ، فتَبِعُوا أثرَه . وهو أوّل من شَبَّه الخيلَ بالعَصَا واللَّقْوة والسِّباع والظِّباءِ والطير ، فتبعه الشعراءُ على تشبيهها بهذه الأوصاف

١٧٥ ●قال ابنُ الكلبيّ(١) : أوّلُ من بكَى في الديار امرؤ القيس بنُ حارثة بن الحُمَام بن معاوية(٢) ، وإيّاه عَنَى امرؤُ القيس بقوله :

يا صاحِبَيَّ قِفَا النَّوَاعِجَ ساعَةً
نَبْكِي الدِّيَارَ كما بَكَى ابنُ حُمَامِ(٣)

وقال أبو عبيدة : هو ابنُ خِذَام ، وأنشد :

عُوجَا على الطَّلَلِ المُحِيــلِ لَعَلَّنَــا
نَبْكِي الدِّيارَ كما بَكَى ابنُ خِذَامِ(٤)

١٧٦ ●قال : وهو القائلُ(٥) :

كأَنِّي غَدَاةَ البَيْنِ يَوْمَ تَحَمَّلُوا   لَدَى سَمُرَاتِ الدَّارِ ناقِفُ حَنْظَلِ

---

(١) انظر جمهرة الأنساب لابن حزم ص ٤٢٥ — ٤٢٦

(٢) نسبه في المؤتلف للآمدى ١٠ هكذا « امرؤ القيس بن حمام بن مالك بن عبيدة بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد بن عبد الله بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة » ثم أعاده في ٩٢ وذكر « عبدة » بدل « عبيدة » وقال في شأنه : ص ١١ « والذى أدركه الرواة من شعره قليل جداً » وقال في ص ٩٢ : « درس شعره وذهب إلا اليسير » .

(٣) من المعلقة ، وفي رواية البيت خلاف كثير . النواعج والناعجات من الإبل : البيض الكريمة.

(٤) المحيل : الذى أتت عليه أحوال وغيرته . وقد اختلف في ابن حمام هذا ، فقيل أيضاً « ابن خدام » بالخاء المعجمة والدال المهملة ، وقيل غير ذلك . وانظر تفصيل القول فيه في الخزانة ٢ : ٢٣٤ — ٢٣٥ . والأستاذ السندوبى لم يجزم بأن ابن خدام هو ابن حمام ، لعله ظنهما اثنين ، فقد ترجم لابن حمام في أخبار المراقسة ٨٢ ولم يوضح في شرح الديوان ١٧٦ .

(٥) يريد أن أبا عبيدة يذهب إلى أن البيت الآتى ، وهو من المعلقة ، أصله لامرىء القيس بن خذام ، فأخذه امرؤ القيس بن حجر . وقد صرح بذلك صاحب الخزانة . ومضى البيت(٥٧) .

أراد أنّه بكى فى الدار عند تحمُّلهم ، فكأنّه ناقفُ حنظلٍ ، وناقفُ الحنظلة يَنْقُفُها بظُفره ، فإن صَوَّتتْ عَلم أنّها مدركةٌ فاجتناها ، فعينُه تَدْمَعُ لحدّة الحنظل وشدّة رائحته ، كما تدمع عيناً من يَدُوف الخردل ، فشَبَّه نفسَه حين بكى بناقف الحنظل .

١٧٧ ●فممّا أخذه الشعراءُ من شعر امرئ القيس[١] :

قال امرؤ القيس :

وُقُوفاً بها صَحْبِى عَلَىَّ مَطِيَّهُمْ يَقُولُونَ : لا تَهْلِكْ أَسًى وتَجَمَّلِ

53

أخذه طَرَفَةُ فقال :

وُقُوفاً بها صَحْبِى علىَّ مَطِيَّهُمْ يَقُولُونَ : لا تَهْلِكْ أَسًى وتَجَلَّدِ

١٧٨ ●وقال امرؤُ القيس يصف فرساً :

ويَخْطُو على صُمٍّ صِلَابٍ كَأَنَّها حِجَارَةُ غَيْلٍ وارِسَاتٌ بطُحْلُبِ[٢]

أخذه النابغةُ الجَعْدىُّ فقال :

كأنَّ حَوَامِيَــهُ[٣] مُدْبِرًا خُضِبْنَ وإنْ كان لم يُخْضَبِ

حِجَارَةُ غَيْــلٍ برَضْرَاضَةٍ كُسِينَ طِلَاءً مِنَ الطُّحْلُبِ

١٧٩ ●وقال امرؤُ القيس يصف الناقة :

---

(١) من المعلقة .

(٢) من قصيدة فى الديوان ٣١ – ٤١ . الصم الصلاب : حوافر الفرس ، شبهها بالصخور الصم . الغيل : الماء الجارى . الوارسات : المصفرات من الطحلب ، لونها كلون الورس . والبيت فى اللسان ٨ : ١٤١ وعجزه فيه ١٤ : ٢٥ محرفاً غير منسوب .

(٣) الحوامى : حروف الحوافر من عن يمين وشمال .

كَأَنَّ الحَصَى مِنْ خَلْفِها وأمامِهــا
إذا نَجَلَتْهُ رِجْلُها خَذْفُ أَعْسَرا[١]

أخذ الشَّماخُ فقال :

لهــا مِنْسَمٌ مِثْلُ المَحَارَةِ خِفُّــةٌ
كأَنَّ الحَصَىٰ من خَلْفِهِ حَذْفُ أَعْسَرَا[٢]

وقال امرؤ القيس يصف فرساً :

كُمَيْتٍ يَزِلُّ اللِّبْدُ عَنْ حالِ مَتْنِهِ كما زَلَّتِ الصَّفْوَاءُ بالمُتَنَزِّلِ[٣]

أخذه أوْسُ بن حَجَرٍ فقال :

يزِلُّ قُتُودُ الرَّحْلِ عن دَأَيَاتِها كما زَلَّ عن عَظْمِ الشَّجيجِ المَحَارِفُ[٤]

١٨١ ●وقال امرؤ القيس يصف فرساً :

سَلِيمِ الشَّظَا عَبْلِ الشَّوَىٰ شَنِجِ النَّسَا
له حَجَبَاتٌ مُشْرِفَاتٌ على الفالِ[٥]

---

(١) من قصيدة فى الديوان ٦٦ — ٧٦ . نجلته : رمته بمناسمها . الخذف : رمى الحصا بالأصابع . الأعسر : الذى يعمل بيسراه ، فإذا خذف بها فقلما أصاب . والبيت فى اللسان ١٠ : ٤٠٧ .

(٢) المحارة : الصدفة ، شبه بها منسم الناقة . وفى اللسان عن أبى العميثل الأعرابى : « المحارة منسم البعير » فهذا على التشبيه ، أخذوه كأنه معنى وضعى ، ولم يشيروا إلى أصل التشبيه وأنه استعمال شاعر كالشماخ .

(٣) من المعلقة . يزل اللبد عن وسط ظهره . الصفواء : الصخرة الملساء . والبيت فى اللسان ١٩ : ١٩٧ .

(٤) قتود : جمع قتد ، وهو خشب الرحل . الدأيات : فقار الكاهل فى مجتمع ما بين الكتفين من كاهل البعير . الشجيج : المشجوج . المحارف : جمع محراف ، وهو الميل الذى تسبر به الجراحات . وعجز البيت فى اللسان ١٠ : ٣٩٠ غير منسوب .

(٥) من قصيدة فى الديوان ١٣٨ — ١٥٦ . الشظى : عظم ملزق بالذراع . عبل الشوى : غليظ القوائم . النسا : قال الأصمعى : « عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ثم يمر بالعرقوب حتى يبلغ

فأخذه كعبُ بن زُهير[١] فقال :

سَلِيم الشظا عَبل الشَّوَىٰ شَنِج النَّسا
كأنَّ مَكانَ الرِّدْف من ظَهْرِه قَصْرُ

وأخذه النَّجاشيُّ فقال :

أمِينُ الشظا عارِى الشَوَىٰ شَنِجُ النَّسا
أقبُّ الحَشا مُسْتَذْرِعُ النَّدَفانِ[٢]

١٨٢ •وقال امرؤ القيس :

فلَأْياً بلَأْيٍ مّا حَمَلْنـا غُلَامَنا
على ظَهْرِ مَحْبُوكِ السَّرَاة مُحَنَّبِ[٣]

فأخذه زُهيرٌ فقال :

فَلَأْياً بلَأْيٍ مَا حَمَلْنا غُـلَامَنا
على ظَهْرِ مَحَبُوكٍ ظِمَاء مَفَاصِلُهْ[٤]

الحافر » والشنج : المتقبض ، وهو مدح له ، لأنه إذا تقبض نساه وشنج لم تسترخ رجلاه . الحجبات : رؤوس عظام الوركين . الفال : عرق في الفخذين يكون في خربة الورك ينحدر في الرجل ، وأصله « فائل » فأتى به على القلب ،أو هما لغتان فيه. والبيت في اللسان ١٤ : ٥٢ و ١٩ : ١٦٢ وعجزه فيه ١ : ٢٩١ .

(١) وأخذه أيضاً دريد بن الصمة في الأصمعية ٢٨ : ٢٥ .

(٢) الندفان : سرعة رجع اليدين . والبيت في الأغاني ١٢ : ٧٣ برواية أخرى مقاربة ومعه آخر سيأتي ١٧٩ ل .

(٣) من قصيدة في الديوان ٣١ — ٤١ . لأياً بلأى : أى جهداً بعد جهد حملنا غلامنا على الفرس . محبوك السراة: مجدول الظهر . محنب : من التحنيب ، وهو احديداب في وظيفي يدى الفرس ، وليس ذلك بالاعوجاج الشديد ، وهو مما يوصف صاحبه بالشدة . والبيت في اللسان ١ : ٣٢٤ ، وصدره فيه ٢٠ : ١٠٣ غير منسوب .

(٤) البيت من قصيدة في ديوانه بشرح ثعلب طبعة دار الكتب المصرية ١٣٣ . ظماء مفاصله : ليست برهلة ، وإذا كان المفصل ظمآن كان أيبس له .

١٨٣ ●وقال امرؤ القيس :

وعَنْسٍ كألْوَاحِ الإرانِ نَسَــأْتُها ... على لاحِبٍ كالبُرْدِ ذِى الحِبَرَاتِ[1]

أخذه طَرَفَةُ فقال :

أمُونٍ كألْوَاحِ الإرَانِ نَسَأْتُها ... على لاحِبٍ كأنّه ظَهْرُ بُرْجُدِ[2]

١٨٤ ●وقال امرؤ القيس يصف امرأةً :

نَظَرَتْ إليْكَ بعَيْنِ جــازِئَةٍ ... حَــوْراءَ حانِيَةٍ على طِفْلِ[3]

أخذه المسيَّبُ فقال :

نَظَرَتْ إليْكَ بعَيْنِ جازئَةٍ ... فى ظِــلِّ بارِدَةٍ مِنَ السِّدْرِ

١٨٥ ●وقال امرؤ القيس يصف الفَرَسَ :

يَجُمُّ على الساقَيْنِ بَعْدَ كَلَالِهِ ... جُمُومَ عُيُونِ الحِسْى بَعْدَ المَخِيضِ[4]

أخذه زيدُ الخيلِ فقال :

يَجُمُّ على الساقَيْنِ بَعْدَ كَلَالِهِ ... كما جَمَّ جَفْرٌ بالكُلَابِ نَقِيبُ[5]

---

(١) من قصيدة فى الديوان ٥٧ — ٥٩ . العنس : الناقة القوية ، شبهت بالصخرة لصلابتها . الإران : خشب صلب يشد بعضه إلى بعض . نسأتها : زجرتها وسقتها بالمنسأة ، وهى العصا . اللاحب : الطريق الواضح . البرد ذو الحبرات : من ثياب اليمن الموشاة . وصدر هذا البيت أخذه أيضاً شاعر آخر فى اللسان ١ : ١٦٤ .

(٢) ناقة أمون : أمينة وثيقة الخلق قد أمنت أن تكون ضعيفة ، وهى التى أمنت العثار والإعياء . البرجد : كساء مخطط ضخم . والبيت فى اللسان ١٦ : ١٥٣ .

(٣) من قصيدة فى الديوان ١٤٦ — ١٤٩ . جازئة : من « جزأ بالشىء » قنع واكتفى به ، كاجتزأ . وبقرة جازئة : مكتفية بالكلأ عن الماء .

(٤) من قصيدة فى الديوان ١٠٨ — ١١١ . يجم على الساقين : يستريح عليهما بعد تعبه ويذهب إعياؤه . الحسى : حفيرة قريبة القعر فى الرمل ينبط ماؤه بارداً عذباً . بعد المخيض : بعد أن مخض بالدلاء ، أى أكثر الناس النزع بها منه . والبيت فى اللسان ١٤ : ٣٧٢ .

(٥) نقيب : منقوب .

١٨٦ ●قال أبو عبيدةَ : هو أوَّلُ مَنْ قيَّد الأوابِدَ ، يعنى فى قوله فى وصف الفَرَس «قَيْدِ الأَوَابِدِ[1] » فتبعه الناسُ على ذلك .

١٨٧ ●وقال غيرُه : هو أوَّلُ من شبَّه الثغرَ فى لونه بشوك السَّيَالِ فقال :

مَنابِتُهُ مِثْلُ السُّدُوسِ ولَوْنُه ... كَشَوْكِ السَّيَالِ وَهْوَ عَذْبٌ يَفِيصُ[2]

فاتَّبعه الناسُ . وأوَّل من قال «فعادَى عِداءً » فاتَّبعه الناسُ[3] . وأوَّلُ مَن شبَّه الحمار «بمِقْلاء الوليد » ، وهو عُود القُلَة[4] . و «بِكَرٍ

(١) الأوابد : الوحوش . يريد أن هذا الفرس من سرعته يلحق الأوابد فيصير لها بمنزلة القيد . وهذا الوصف فى المعلقة ، وانظر الخزانة ١ : ٥٠٧ — ٥٠٨ .

(٢) فى الديوان ١٠٤ . السدوس ، بضم السين : النيلج الأسود ، الذى تسميه العامة « النيلة » . السيال : شجر سبط الأغصان عليه شوك أبيض ، أصوله أمثال ثنايا العذارى . يفيص : يقطر ويسيل ، وقيل يبرق . والبيت فى اللسان ٧ : ٤١٠ و ٨ : ٣٣٥ . وأخطأ الأستاذ حسن السندوبى فى شرح الديوان إذا تأول البيت على أنه وصف لشعر سلمى ، فإن البيت قبله صدره فى وصف شعرها ، وعجزه فى وصف ثغرها ، فهذا تتمة الوصف للثغر متصل به . وفى ب ه د « يفيض » وهو تصحيف .

(٣) البيت من المعلقة :

فعادى عداء بين ثور ونعجة ... دراكاً ولم ينضح بماء فيغسل

وهو فى اللسان ١٩ : ٢٦٧ . وذكر أيضاً ١٩ : ٢٦٦ بيتاً بهذا الصدر وعجزه بقافية بائية ، ونسبه لامرىء القيس ، ولم أجده فى قصيدته البائية فى ديوانه ، بل هو فى قصيدة علقمة الفحل ، التى أثبتها الأستاذ السندوبى للموازنة بينها وبين قصيدة امرىء القيس ، والبيت فيها ٤٧ . وكذلك هو مثبت فى ديوان علقمة الذى فى (مجموع خمسة دواوين من أشعار العرب) طبع المطبعة الوهبية سنة ١٢٩٣ ص ١٣٤ . ولكنى لم أجده فيها فى ديوانه المخطوط ولا ه فى منتهى الطلب المخطوط أيضاً . عادى : والى ، يقال « عادى بين صيدين وبين رجلين » إذ طعنهما طعنتين متواليتين .

(٤) المقلاء ، والقلة ، بضم القاف وفتح اللام مخففة : عودان يلعب بهما الصبيان ، فالمقلاء : العود الكبير الذى يضرب به ، والقلة : الخشبة الصغيرة التى تنصب ، وهى قدر ذراع . وهذا التشبيه فى بيت فى الديوان ١٠٧ واللسان ٢٠ : ٦١ .

الأَنْدَرِىّ » والكرُّ : الحبلُ[١] . وشبّه الطَّلَلَ « بوَحْى الزَّبُور فى العَسِيب[٢] » . والفَرَسَ « بتَيْس الحُلَّب[٣] » .

١٨٨ ● ومما انفرد به قولُه فى العُقَاب[٤] :

كأنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْباً ويابِساً
لَدَى وَكْرِها العُنَّابُ والحَشَفُ البَالِى[٥]

شبّه شيئين بشيئين فى بيت واحد ؛ وأحسَنَ التشبيهَ .

١٨٩ ● وقولُه :

له أَيْطَلَا ظَبْى وساقَا نَعَامَةٍ وإِرْخاءُ سِرْحان وتَقْرِيبُ تَتْفُلِ[٦]

وقد تَبعه الناسُ فى هذا الوصف وأخذوه ، ولم يجتمع لهم ما اجتَمع له فى بيت واحد . وكان أشدَّهم إخفاءً لسرقةِ القائلُ ، وهو المُعَذَّلُ :

له قُصْرَيَا رِئْمٍ وشدْقَا حَمَامَةٍ وسالِفَتَا هَيْقٍ من الرُّبْدِ أَرْبَدَا

١٩٠ ● ويُستجادُ من قوله[٧] :

---

(١) الأندرى : الحبل الغليظ . وهذا التشبيه لامرىء القيس لم أجده ؛ ولكن ذكر فى اللسان ٧ : ٥٤ فى شطر من شعر لبيد .

(٢) الزبور : الكتاب المزبور . العسيب : سعف النخل الذى جرد عنه خوصه . وهذه إشارة إلى مطلع قصيدة فى الديوان ١٨٦ .

(٣) فى بيت فى الديوان ٤١ واللسان ١ : ٣٢١ وقال : « شبه الفرس بالتيس الذى تحلب عليه صائك المطر من الشجر ، والصائك الذى تغير لونه وريحه » .

(٤) فى الديوان ١٤٦ .

(٥) من المعلقة . التتفل : بتاءين مثناتين . وفى ل بتاء مثناة ثم تاء مثلثة ، وهو خطأ . وقد مضى البيت ٥٧ .

(٦) القصرى : الضلع التى تلى الشاكلة بين الجنب والبطن . الرئم : الظبى الأبيض الخالص البياض السالفة : أعلى العنق . الهيق : الظليم ، وهو ذكر النعام . ظليم أربد ونعامة ربداء ورمداء : لونها كلون الرماد ، وقيل سوداء ، والجمع ربد .

(٧) فى الديوان ٣٣ .

فإنَّكَ لَمْ يَفْخَرْ عليكَ كفاخِرٍ ضَعِيفٍ ولم يغْلِبْكَ مِثْلُ مُغَلَّبِ

١٩١ ●ويعابُ من قوله :

فمثْلِكِ حُبْلَى قَدْ طرَقْتُ ومُرْضِعٍ فأَلْهَيْتُها عن ذى تَمَائِمَ مُحْوِلِ[١]
إذَا ما بَكَى مِنْ خَلْفِها انحَرَفَتْ له بِشِقٍّ وتَحْتِى شِقُّها لم يُحَوَّلِ

قال أبو محمد : وليس هذا عندى عيباً . لأن المرضِعَ والحبلَى لا تُريدانِ 56
الرجال ولا ترغبان فى النكاح . فإذا أصباهما وألهاهما كان لغيرهما أشدَّ
إصباءً وإلهاءً .

١٩٢ ●ويُعابُ من قوله[٢] :

أَغَرَّكِ مِنّى أَنَّ حُبَّكِ قاتِلِى وأَنَّكِ مَهْمَا تَأْمُرِى القَلْبَ يَفْعَلِ

وقالوا : إذا كان هذا لا يَغرُّ فما الذى يغرُّ ؟ إنما هذا كأسيرٍ قال لآسِرِه :
أغرَّكَ منى أنى فى يديك وفى إسارك وأنَّك ملكتَ سفكَ دمى !

قال أبو محمد : ولا أرى هذا عيباً ، ولا المثلَ المضروبَ له شكلاً ، لأنَّه
لم يرد بقوله «حبُّك قاتلى» القتلَ بعينه ، وإنما أراد به : أنَّه قد برَّحَ بى
فكأنَّه قد قتلنى . وهذا كما يقول القائل : قتلَتْنى المرأةُ بدَلِها وبعينها ،
وقتلنى فلانٌ بكلامه . فأراد : أغرَّكِ منِّى أن حبَّك قد برَّح بى وأنَّك مهما
تأمرى قلبَك به من هَجرى والسُّلُوّ عنى يُطِعْكِ ، أى فلا تغترّى بهذا ؛
فإنى أملكُ نفسى وأُصْبِرُها عنكِ وأصرفُ هوايَ .

١٩٣ ●ويُعاب عليه تصريحهُ بالزنا والدَّبيب إلى حُرَم الناس. والشعراءُ

---

(١) من المعلقة . التمائم : التعاويذ . محول : أتى عليه حول .
(٢) من المعلقة .

تتوقّى ذلك فى الشعر وإن فعلته . قال[1] :

سَمَوْتُ إليها بعْدَ ما نامَ أهْلُها
سُمُوَّ حَبَابِ المـاءِ حالًا على حالِ[2]

فقالت : سَبَاكَ الله إنَّكَ فاضحِى
أَلَسْتَ تَرَى السُّمَّارَ والناسَ أحْوالى[3]

فقُلْتُ : يَمِينَ اللهِ أبْرَحُ قاعِداً
ولَوْ قَطَعوا رَأسِى لَدَيْكِ وأوْصالِى

حَلَفْتُ لها باللهِ حَلْفَةَ فاجِرٍ :
لَنامُوا وما إنْ من حَدِيثٍ ولا صالِى[4]

فلمَّا تَنَازَعْنا الحَدِيثَ وأسْمَحَتْ
هَصَرْتُ بغُصْنٍ ذى شَمَارِيخَ مَيَّالِ

وصِرْنا إلى الحُسْنَى ورَقَّ كَلامُنا
ورُضْتُ ، فذَلَّتْ ، صَعْبَةً ، أىَّ إذْلالِ

فأَصْبَحْتُ مَعْشُوقاً ، وأصْبَحَ بَعْلُها
عَلَيْهِ القَتَامُ سَيِّئَ الظَّنِّ والبالِ[5]

---

(١) الديوان ١٤٠ — ١٤١ .

(٢) سموت : نهضت . حباب الماء : نفاخاته وفقاقيعه التى تطفو عليه .

(٣) أحوال : جمع حول ، وفى اللسان : « جعل كل جزء من الجرم المحيط بها حولا ، ذهب إلى المبالغة بذلك ، أى أنه لا مكان حولها إلا وهو مشغول بالسمار ، فلذلك أذهب فى تمدرها عليه » .

(٤) الصالى : المستدفىء بالنار .

(٥) القتام : الغبار ، يريد أن وجهه تغير واسود من الخزى .

٢ – زُهيرُ بنُ أبى سُلمَى[١]

57

١٩٤ ●هو زُهَير بن رَبيعةَ بن قُرْط . والناس يَنْسِبُونه إلى مُزَينةَ ، وإنّما نَسَبُه فى غَطَفَانَ[٢] ، وليس لهم بيتُ شعرٍ ينتمون فيه إلى مزينةَ إلّا بيتَ كَعْب بن زُهير ، وهو قولُه :

هُمُ الأَصْل مِنّى حَيْثُ كُنْتُ وإنّنى ... من المُزَنِيينَ المُصَفَّيْنَ بالكَرَمْ[٣]

١٩٥ ●ويقال إنّه لم يتّصل الشعرُ فى ولد أحدٍ من الفحول فى الجاهليّة ما اتّصل فى ولد زُهير : وفى الإسلام ما اتّصل فى ولد جَرير .

وكان زهير راويةَ أَوْس بن حَجَرٍ .

١٩٦ ●ويُرْوَى عن عمر بن الخطّاب أنه قال[٤] : أَنْشِدونى لأشعر شعرائِكم ، قيل : ومن هو ؟ قال : زُهير ، قيل : وبِمَ صار كذلك ؟ قال :

---

(١) هذا نص الترجمة التى فى س ب . وسيأتى بعد ترجمة أخرى له عن ب ﻫ د ٥٩ ل . و « سلمى » بضم السين ، وليس فى العرب « سلمى » بالضم والقصر غيره .

(٢) هكذا يقول ابن قتيبة فى هذا الموضع ، وسيذكر فى الترجمة الثانية الآتية أنه « من مزينة مضر » فلعله استدرك رأيه فرجع إلى ما أثبته علماء النسب . وقد أثبت ابن عبد البر فى الاستيعاب نسبه إلى مزينة ، ثم قال : « وكانت محلتهم فى بلاد غطفان فيظن الناس أنهم من غطفان ، أعنى زهيراً وبنيه ، وهو غلط » . قال فى الخزانة : « وكأن هذا رد لما قال ابن قتيبة فى كتاب الشعراء » . ثم نقل كلام المؤلف الذى هنا . وانظر ترجمة زهير ونسبه فى طبقات الشعراء الجمحى ٢٥ والأغانى ٩ : ١٣٩ – ١٥١ والاشتقاق ١١١ – ١١٢ والخزانة ١ : ٣٧٥ – ٣٧٧ وفى ترجمة ابنية كعب وبجير فى الاستيعاب ٢٢٦ – ٢٢٨ ، ٦٨ وأسد الغابة ٤ : ٢٤٠ و ١ : ١٦٤ والإصابة ٥ : ٣٠٢ – ٣٠٣ و ١ : ١٤٣ .

(٣) من قصيدة رائمة فى ترجمته فى الاستيعاب .

(٤) القصة مفصلة فى الأغانى ٩ : ١٤٠ .

كان لا يعاظِلُ بين القولِ[١] ، ولا يتّبع حُوشِيَّ الكلامِ[٢] . ولا يمدح الرجل إلّا بما هو فيه . وهو القائل[٣] :

إذَا ابْتَدَرَتْ قَيْسُ بنُ عَيْلَانَ غايَةً   مِنَ المَجْدِ مَنْ يَسْبِقْ إلَيْها يُسَوَّدِ
سَبَقْتَ إلَيْها كُلَّ طَلْقٍ مُبَرِّزٍ   سَبُوقٍ إلى الغاياتِ غَيْرِ مُخَلَّدِ

ويروى «غيرِ مبلدِ » ، و « المخلَّد » فى هذا الموضع : المُبْطِئُ[٤] :

فلَوْ كان حَمْدٌ يُخْلِدُ النّاسَ لم تَمُتْ   ولٰكِنَّ حَمْدَ المَرْءِ لَيْسَ بمُخْلِدِ

١٩٧ ● وكان قُدَامَةُ بنُ موسى عالماً بالشعر ، وكان يقدِّمُ زهيرًا ويستجيدُ قولَه[٥] :

قَدْ جَعَلَ المُبْتَغُونَ الخَيْرَ فى هَرِمٍ   والسّائِلُونَ إلى أبْوابِهِ طُرُقَا
مَنْ يَلْقَ يَوْماً على عِلّاتِهِ هَرِماً   يَلْقَ السَّماحَةَ فيهِ والنَّدَى خُلُقَا

١٩٨ ● قال عِكْرِمَةُ بن جَرِيرٍ : قلتُ لأبى : مَن أشعرُ الناسِ ؟ قال : أجاهليَّةٌ أم إسلاميَّةٌ ؟ قلتُ : جاهليَّةٌ ، قال : زُهير ، قلت : فالإسلام ؟ قال : الفَرَزْدَقُ ، قلت : فالأَخْطَلُ ؟ قال : الأخطل يُجيد نعتَ الملوكِ

58

---

(١) كل شيء ركب شيئاً فقد عاظله ، والمعنى : لم يحمل بعض الكلام على بعض ، ولم يتكلم بالرجيع من القول ولم يكرر اللفظ والمعنى . عن اللسان .

(٢) حوشى الكلام : وحشيه وغريبه . وانظر ما يأتى ٦١ ل .

(٣) من قصيدة يمدح بها هرم بن سنان المرى ، فى ديوانه ٢٣٤ ، ٢٣٦ طبعة دار الكتب المصرية .

(٤) رواية الأغانى « غير مزند » ورواية الديوان « غير مجلد » . وقال ثعلب فى شرحه : « يقال رجل طلق اليدين : معطاء . مبرز : سبق الناس إلى الكرم والخير . غير مجلد : ينتهى إلى الغاية من غير أن يضرب » . وتفسير ابن قتيبة « المخلد » بالخاء بأنه المبطىء لم يذكر فى المعاجم .

(٥) من قصيدة فى مدح هرم بن سنان فى الديوان ٤٩ ، ٥٣ وهما فى الأغانى ٩ : ١٤٤ فى أبيات ، وفى الخزانة ١ : ٣٧٦ .

ويُصيب صفةَ الخمر ، قلت له : فأَنت ؟ قال أنا نحرتُ الشِّعرَ نحرًا

١٩٩ ●قال عبدُ الملكِ لقومٍ من الشعراء : أىُّ بيتٍ أمْدَحُ ؟ فاتَّفقوا على بيت زهيرٍ[١] :

تَرَاهُ إذَا ما جِئْتَهُ مُتَهَلِّلاً ... كأنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِى أنْتَ سائِلُهْ

٢٠٠ ●قيل لخَلَفٍ الأَحمرِ : زهيرٌ أَشعرُ أَمِ ابنُه كعب ؟ قال : لولا أَبياتٌ لزهيرٍ أَكبرَها الناسُ لقلتُ إنَّ كعباً أَشعرُ منه ، يريدُ قولَه[٢] :

لِمَنِ الديارُ بقُنَّةِ الحَجْرِ ... أَقوَيْنَ من حِجَجٍ ومن دَهْرِ[٣]

ولأَنْتَ أَشْجَعُ من أُسَامَةَ إذْ ... دُعِيَ النزَالُ ولُجَّ فى الذُّعْرِ[٤]

ولأَنْتَ تَفْرِى ما خَلَقْتَ وبَعْ ... ضُ القَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لا يَفْرِى

لَوْ كُنْتَ من شىءٍ سِوَى بَشَرٍ ... كُنْتَ المُنَوِّرَ لَيْلَةَ البَدْرِ

٢٠١ ●وكان زهيرٌ يتأَلَّهُ ويتعفَّفُ فى شعره . ويدلُّ شعره على إيمانه بالبَعْثِ . وذلك قوله :

يُؤَخَّرْ فيُوَدَعْ فى كِتاب فيُدَّخَرْ ... لِيَوْمِ الحِسابِ أو يُعَجَّلْ فيُنْقَمِ[٥]

وشبَّه زهيرٌ امرأَةً فى الشعر بثلاثة أوصافٍ فى بيت واحد فقال[٦] :

---

(١) الديوان ١٤٢ .

(٢) الديوان ٨٦ ، ٨٩ ، ٩٤ ، ٩٥ ولبعض هذه القصيدة قصة فى الأغانى ٥ : ١٦٤ يزعمون فيها أن حماداً الرواية وضعها ، وهى قصة ظاهرة الصنعة . والبيت الرابع سيأتى ٤٨١ ل منسوباً للمسيب ابن علس ، وسنذكر الخلاف فيه .

(٣) القنة : الجبل الذى ليس بمنتشر . أقوين : خلون .

(٤) رواية الديوان « دعيت نزال » وهى الرواية المعروفة فى كتب اللغة والنحو .

(٥) من المعلقة ، الديوان ١٨ وفيه « فيوضع » بدل « فيودع » وهى رواية ثابتة بحاشية ب على أنها نسخة .

(٦) الديوان ٦١ — ٦٢ .

تَنَازَعَتِ المَهَا شَبَهاً ودُرُّ البُـ ... حُورِ وشاكَهَتْ فيها الظِّبَاءُ(١)

ثم قال ففسّر :

فأمّا ما فُوَيْقَ العِقْدِ منها ... فمِنْ أَدْماءَ مَرْتَعُهَا الخَلَاءُ(٢)

وأمّا المُقْلَتَانِ فمن مَهَاةٍ ... وللدُّرِّ المَلَاحَـةُ والصَّفاءُ

٢٠٢ •وقال بعضُ الرواة : لو أن زهيرًا نظر فى رساله عمرَ بن الخطّاب إلى أبى موسَىٰ الأشْعَرِىّ(٣) ما زاد على ما قال : 59

فإنَّ الحَقَّ مَقْطَعُهُ ثَلَاثٌ ... يَمِينٌ أَو نِفَارٌ أَو جِلَاءُ(٤)

يعنى يميناً أو منافرةً إلى حاكم يَقطع بالبيِّنات أو جِلاء ، وهو بيان وبرهانٌ يجلو به الحقُّ وتتَّضح الدعوىٰ .

٢٠٣ •ومما يُتمثَّل به من شعره :

وهَلْ يُنْبِتُ الخَطِّىَّ إلّا وَشِيجُهُ ... وتُغْرَسُ إلّا فى مَعَادِنِها النَّخْلُ(٥)

٢٠٤ •ويُسْتَحْسَنُ قولُه :

يَطْعَنُهُمْ ما ارْتَمَوْا حَتّى إذااطَّعَنُوا ... ضارَبَ حَتّى إذا ما ضارَبُوا اعْتَنَقَا(٦)

٢٠٥ •ويُسْتَحْسَنُ أيضاً قولُه :

---

(١) شاكهت ، وشاكلت وشابهت ، بمعنى واحد . قال ثعلب : « أراد : فيها شبه من البقر فى العيون ، ومن الدر فى الصفاء ، ومن الظباء بطول العنق » .

(٢) أدماء : يريد ظبية بيضاء .

(٣) هى رسالته المشهورة فى شأن القضاء . وانظر ما يأتى ٦٤ ل .

(٤) فى اللسان « الجلاء بالفتح والمد » وأتى بالبيت شاهداً عليه ١٨ : ١٦٣ . وقال الصغانى : « الرواية بالكسر لا غير ، من المجالاة » وهو فى اللسان أيضاً ٧ : ٨٤ و ١٠ : ١٥٥ وستأتى إشارة إليه ٩٩ . ورواية الديوان ٧٥ بالكسر أيضاً . ولكن تفسير ابن قتيبة بأنه « برهان يجلو به الحق » قد يؤيد الفتح.

(٥) الخطى : الرماح ، نسبة إلى الخط ، وهى جزيرة بالبحرين . الوشيج : القنا .

(٦) الديوان ٥٤ . وفى الأصل « إذا طعنوا » وصححناه من الديوان . وسيأتى ٦٤ ل على الصواب .

هُوَ الجَوَادُ الَّذِى يُعْطِيكَ نَائِلَهُ عَفْوًا ويُظْلَمُ أحْيَاناً فَيَنْظَلِمُ[١]

٢٠٦ ●قد سَبق زُهَيْرٌ إلى هذا المعنى ، لا ينازعُه فيه أحدٌ غيرُ كُثَيِّر ، فإنَّه قال يمدحُ عبدَ العزيز بن مروانَ[٢] :

رَأَيْتُ ابنَ لَيْلَى يَعْتَرِى صُلْبَ مالِهِ . مَسَائِلُ شَتَّى من غَنِىٍّ ومُضْرِم

مَسَائِلُ إنْ تُوجَدْ لديهِ تَجُدْ بِهـا يَدَاهُ ، وإنْ يُظْلَمْ بها يَتَظَلَّمِ

المُضْرِمُ : القليلُ المالِ .

* * *

٢٠٧ ●هو[٣] زُهَيرُ بنُ أبى سُلْمَى ، واسم أبى سُلْمَى ربيعةُ بن رِيَاحٍ المُزَنىُّ ، من مُزَيْنةِ مُضَرَ ، وكان زهيرٌ جاهليًّا لم يدركِ الإسلامَ ، وأدركه ابناه كعبٌ وبُجَيْرٌ . وأتَى بُجَيْرٌ النبيَّ صلى الله عليه وسلم فأسلمَ ، فكتب إليه كعبٌ[٤] :

ألَا أبْلِغَا عَنِّى بُجَيْرًا رِسَالَةً فهل لَّكَ فيما قُلْتَ بالخَيْفِ هَل لَّكَا

---

(١) الديوان ١٥٢ وسيأتى البيت ثانيا ٦٢ ل وفيه « فيظلم » وهى رواية الديوان ، قال ثعلب : « وسمعت أعرابياً ينشد فينظلم بالنون » . والبيت فى اللسان ١٥ : ٢٧٠ و ١٧ : ١٤٤ .

(٢) سيأتى البيتان أيضاً ٦٢ ل مع خلاف قليل فى الرواية .

(٣) نص ترجمة زهير من ب ه د . ويلاحظ أنه تحدث فيها أيضاً عن كعب بن زهير ، ساقهما فى ترجمة واحدة . وأما نص س ب الذى تقدم ، فإنه فصل ترجمة كعب وحدها ، وسيأتى نصها ٦٧ ل .

(٤) القصة مفصلة فى سيرة ابن هشام ٨٨٧ – ٨٩٣ طبعة أوربة . وهى أيضاً فى الأغانى ١٥ : ١٤٢ – ١٤٣ ، وفى مصادر ترجمة كعب وبجير التى أشرنا إليها آنفاً ، وفى أول شرح قصيدة « بانت سعاد » لجمال الدين بن هشام الأنصارى ، وهو شرح مشهور ، طبع فى ليبزج سنة ١٨٧١ ثم طبع فى مصر مراراً .

سُقِيتَ بكأسٍ عِنْدَ آلِ مُحَمَّدٍ فأنْهَلَكَ المأمُونُ منها وعَلَّكَا[١]
فخالَفْتَ أسْبَابَ الهُدَى وتَبِعْتَهُ على أيِّ شَيْءٍ وَيْبَ غَيْرِكَ دَلَّكَا[٢]

60 فبلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم شعرُه هذا ، فتوعَّده ونَذَرَ دمَه . فكتب بُجيرُ إلى كعبٍ يُخبره بأنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قَتَلَ رجلا ممَّن كان يهجوه ، وأنَّه لم يبقَ من الشعراءِ الذين كانوا يؤذونه إلا ابنُ الزِّبَعْرَى السهميُّ وهُبَيْرَةُ بنُ أبي وهبٍ المخزومي ، وقد هربا منه ، فإن كانت لك في نفسك حاجةٌ فاقْدَمْ عليه ، فانَّه لا يقتلُ أحدًا أتاه تائباً ، وإن أنت لم تفعلْ فانجُ بنفسك . فلمَّا ورد عليه الكتابُ ضاقتْ عليه الأرض برُحْبِها ، وأرجف به مَن كان بحضرته من عدوِّه . فقال قصيدتَه التي أوَّلُها :

* بانَتْ سُعادُ فقَلْبي اليَوْمَ مَتْبُولُ *

وفيها قال :

نُبِّئْتُ أنَّ رَسُولَ اللهِ أوْعَدَني والعَفْوُ عنْدَ رَسُولِ اللهِ مَأْمُولُ

ثم أتى رسولَ صلى الله عليه وسلم فوضع يده في يده وأنشده شعرَه ، فقبِل توبتَه وعفا عنه ، وكساه بُرْدًا ، فاشتراه منه معاويةُ بعشرين ألف درهم ، فهو عند الخلفاء إلى اليوم[٣].

٢٠٨ ● وكان لكعب ابنٌ يقال له عُقْبةُ بن كعب ، شاعر ، ولقبُه « المُضَرَّب[٤] » وذلك أنَّه شبَّبَ بامرأةٍ من بني أسد فقال :

---

(١) النهل ، بالتحريك : الشرب الأول . العلل : الشرب الثاني .

(٢) ويب : كلمة مثل ويل . والبيت في اللسان ٢ : ٢٠٥ .

(٣) انظر ما يأتي في ترجمة كعب ٦٧ — ٦٩ ل .

(٤) ضبط في ل بفتح الميم والراء وسكون الضاد بينهما ، وهو خطأ . والذي في تاج العروس ١ : ٣٥٠ أنه بوزن « محدث » و « معظم » وقال : « وبالوجهين ضبط في نسخة الصحاح في باب ل ب ب » .

ولا عَيْبَ فيها غَيْرَ أَنَّكَ واجدٌ ... مَلاقِيَهَا قد دُيِّثَتْ بِرُكُوبِ[1]

فضربه أخوها مائةَ ضربة بالسيف ، فلم يَمُتْ ، وأخذَ الديةَ ، فسُمِّىَ « المُضرَّب » . ووُلد لعقبةَ العَوَّامُ ، وهو شاعر [2] .

٢٠٩ ● فهولاء خمسةُ شعراء فى نَسَقٍ : العَوَّامُ بن عقبة بن كعب بن زُهير بن أبى سُلْمَىٰ ، وكان أبو سُلمىٰ أيضاً شاعرًا . وهو القائلُ فى خاله أسعَدَ المُرِّىِّ[3] وابنِه كعبِ بن أسعدَ ، وكان حَمَلَ أُمَّه وفارقَهما :

61

لَتُصْرَفَنْ إبِــلٌ مُحَبَّبَةٌ ... من عِنْد أَسْعَدَ وابْنِه كَعْبِ[4]

الآكِلينَ صَرِيحَ قَوْمِهِمَــا ... أَكْلَ الحُبَارَىٰ بُرْعُمَ الرُّطْبِ[5]

٢١٠ ● وقال عمرُ لابن عبّاس : أنشدنى لشاعرِ الشعراء ، الذى لم يعاظِلْ بين القوافى ، ولم يتبعْ وحشىَّ الكلامِ ، قال : من هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : زهير . فلم يزل يُنشده إلى أن بَرَقَ الصُّبْحُ[6] .

٢١١ ● وكان زهيرٌ أُستاذَ الحُطَيْئة . وسُئل عنه الحطيئةُ فقال : ما رأيتُ مثلَه فى تكفِّيه على أكناف القوافى [7] ، وأخذِه بأعنَّتها حيثُ شاء ، من

ونسخة الصحاح المطبوعة غير مضبوطة ، ولكنه ضبط فى اللسان ٢ : ٢٢٦ بكسر الراء فقط على وزن اسم الفاعل ، وقد اخترنا ضبطه بفتح الراء بوزن اسم المفعول ورجحناه ، لما تدل عليه القصة التى هنا . وقد مضت للمضرب أبيات ص ١١ وله شعر آخر فى الأغانى ٩ : ١٥١ . وانظر الخزانة ٤ : ١١ .

(١) الملاق : مأزم الفرج ومضايقه . ديثت لينت وذللت .

(٢) عوام بن عقبة له ذكر فى الأغانى ١٩ : ٦٧ فلعله هذا .

(٣) هو أسعد بن الغدير ، والغدير هو عمرو بن هلال بن بهم بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان . انظر ترجمة بشامة فى المفضلية ١٠ . وهذه القصة مفصلة فى الأغانى ٩ : ١٤٠ — ١٤١ .

(٤) محببه : رواية الأغانى « مجنبة » وفسرها فقال « مجنوة » . من قولهم « جنب الفرس » قاده إلى جنبه ، و « مجنبة » شدد للتكثير ، كما فى اللسان . وانظر ديوان زهير ص ٢ .

(٥) الحبارى : طائر . البرعم : كم ثمر الشجر والنور . والبيت فى اللسان ١٤ : ٣١٤ .

(٦) انظر ما مضى ٨٦ — ٨٧ .

(٧) أكناف ، بالنون والفاء ، كما فى ب د . وفى ل « أكتاق » بالتاء والقاف ، ولا معنى لها ، ولا تكون عربية . وفى شرح القاموس ٧ : ٥٩ « قال الليث : أهملت الكاف والقاف ووجوههما مع سائر الحروف . وقال أبو عبد الرحمن : تأليف القاف والكاف معقوم فى بناء العربية ، لقرب مخرجهما ، إلا أن تجيء كلمة من كلام العجم معربة » . وفى الجمهرة لابن دريد ٣ : ١٦٢ : « باب القاف والكاف مع باقى الحروف : مهمل » .

اختلاف معانيها ، امتداحاً وذمًّا . قيل له : ثم مَنْ ؟ قال : ما أدرى ، إلاَّ أن تَرانى مُسْلَنْطِحاً[١] واضعاً إحدىٰ رجلىَّ على الأُخرىٰ رافعاً عَقيرتى أغوى فى أثَرِ القوافى[٢] .

٢١٢ ● قال أبو عُبيدةَ : يقول مَن فضَّل زهيرًا على جميع الشعراء : إنَّه أمدحُ القومِ وأشدُّهم أَسْر شِعرٍ . قال : وسمعتُ أبا عمرو بنَ العلاء يقول[٣] : الفرزدقُ يُشَبَّه بزُهير وكان الأَصمعيُّ يقول : زهيرٌ والحُطيئةُ وأشباهُهما عَبيدُ الشعر ، لأنَّهم نقَّحوه ولم يذهبوا به مذهبَ المطبوعين .

قال وكان زهيرٌ يسمى كُبْرَ قصائده « الحَوليَّات[٤] » .

62

٢١٣ ● وكان جيِّدُ شعره فى هَرِمِ بن سنَانٍ المُرِّىّ . وقال عمر رضى الله عنه لبعض ولدِ هَرِمٍ : أنشدنى بعضَ ما قال فيكم زهيرٌ ، فأنشَدَه ، فقال: لقد كان يقولُ فيكم فيُحسنُ ، فقال : يا أمير المؤمنين إنَّا كنَّا نعطيه فنُجْزِلُ ! فقال عمر رضى الله عنه : ذَهبَ ما أعطيتموه وبقِىَ ما أعطاكم[٥].

٢١٤ ● وممَّا سَبَق إليه زهيرٌ فأُخذ منه قوله يمدح هَرِماً[٦] :

---

(١) اسلنطح : وقع على ظهره .

(٢) انظر ما يأتى ١٨٤ – ١٨٥ ل .

(٣) م « ثم قال : وأتيت أبا عمرو بن العلاء ، وكان يقول » .

(٤) مضى نحو هذا (ص ٧٨) وفى الخزانة ١ : ٣٧٦ – ٣٧٧ : « روى أن زهيراً كان ينظم القصيدة فى شهر ، وينقحها ويهذبها فى سنة ، وكانت تسمى قصائده حوليات زهير » .

(٥) الخزانة ١ : ٣٧٦ .

(٦) مضى البيت وبيتاً كثير بعده فى ٩٠ .

هُوَ الجَوَادُ الَّذِى يُعْطِيكَ نائلَهُ عَفْوًا ويُظْلَمُ أَحْيَانًا فيَظَّلِمُ

أى يُسأَل مالا يَقدر عليه فيتحمَّلُه . أخذَه كُثَيِّر ، فقال :

رَأَيْتُ ابنَ لَيْلَىٰ تَعتَرِى صُلْبَ مالِه مَسَائِلُ شَتَّىٰ من غَنِىٍّ ومُعْدِمِ [1]

مسائِلُ إنْ تُوجَدْ لَدَيْكَ تَجُدْ بهـا يَدَاكَ ، وإن تُظْلَمْ بها تَتَظَلَّمِ

٢١٥ ● وقال زهيرٌ[2] :

كما اسْتَغَاثَ بسَىْءٍ فَزُّ غَيْطَلَةٍ خافَ العُيُونَ فلم يُنْظَرْ به الحَشَكُ

السَّىْءُ : اللبن فى الضَّرع . والفَزُّ : وَلَدُ البقرةِ . والغَيطلةُ : البقرة . والحَشَكُ : الدِّرَّة . أخذه الطِّرِمَّاحُ فقال :

بَادَرَ السَّىْءَ ولم يَنْتَظِرْ نُبْهَ فِيقَاتِ العُيُونِ النِّيَام

نُبْه : تحرُّكُ العروق . الفِيقة : مثل الفُوَاقِ[3].

---

(١) «قال ابن الأثير فى المرصَّع: ابنُ ليلىٰ : المسمَّىٰ به كَثيرٌ ، ومن أشهر المسمَّيْن به عُمر بن عبد العزيز رضى الله عنه . قال كُثَيِّر :

يا أيها المُتَمَنِّى أن يكونَ فتًى مثلَ ابنِ ليلَىٰ لقد خَلَّىٰ لك السُّبُلاَ

اعدُدْ ثلاثَ خِلالٍ قد جُمِعْنَ له : هل سَبَّ من أحدٍ أو سُبَّ أو بَخِلاَ »

هذه الجملة ظاهر أنها حاشية على هذا البيت ، ولعلها مثبتة فى حواشى أحد الأصول. ولكن مصحح ل أثبتها فى صلب الكتاب بعد قوله « أخذه كثير » بين معكفين [ ] وهو تصرف غير جيد ، ووضع الشىء فى غير موضعه .

(٢) الديوان ١٧٧ واللسان ١٢ : ١٩٣ .

(٣) النبه : القيام والانتباه من النوم . الفواق : ما بين الحلبتين من الوقت . وهذا كله على المثل .

٢١٦ ●وقال زهيرٌ يصفُ ظبيةً أكلَ ولدَها السَّبُعُ[1] :

63 أضاعَتْ فلم تُغْفَرْ لها غَفَلَاتُها ... فلاقَتْ بَياناً عندَ آخِرِ مَعْهَدِ[2]
دَماً عندَ شِلْوٍ تَحْجُلُ الطَّيْرُ حَوْلَهُ ... وبَضْعَ لِحَامٍ فى إهابٍ مُقَدَّدِ[3]

وقال الجَعْدِىُّ[4] :

ولاقَتْ بَيَاناً عِنْدَ أوَّلِ مَعْهَد ... إهاباً ومَعْبُوطاً من الجَوْفِ أحْمَرَا

٢١٧ ●قال : وممَّا سَبَقَ إليه كعبُ بنُ زهير فأخذه الشعراءُ منه ، قال كعب بنُ زُهير يَذكر ذئباً وغراباً :

فلم يَجِدَا إلاَّ مُناخَ مَيطَّةٍ ... تَجَافَى بها زَوْرٌ نَبِيلٌ وكَلْكَلُ[5]
ومَضْرِبَهَا وَسْطَ الحَصَى بجِرانِها ... ومَثْنَى نَوَاجٍ لم يَخُنْهُنَّ مِفْصَلُ[6]
ومَوْضِعَ طُولِىٍّ وأحْنَاءِ قاتِرٍ ... يَئِطُ إذا ما شُدَّ بالنِّسْعِ مِنْ عَلُ[7]
وأتْلَعَ يُلْوَى[8] بالجَدِيلِ كأنَّهُ ... عَسِيبٌ سَقَاهُ من سُمَيْحَةَ جَدْوَلُ

---

(١) الديوان ٢٢٧ .

(٢) ثعلب : « فلاقت بياناً : استبانت . الجلد والدم هو الذى بين لها . عند آخر موضع عهدته فيــه » .

(٣) ثعلب : « دما : رد على بيان . شلو : بقية الجسد . وبضع : جمع بضعة . لحام : جمع لحم . إهاب : جلد ، والجمع أهب . ومقدد : مخرق ومشقق . تحجل الطير حوله : أكل الذئب ما أكل وبقى شىء تحجل الطير حوله » .

(٤) الجعدى : هو النابغة الجعدى . المعبوط : من العبط ، وهو النحر أو الشق .

(٥) الزور : أعلى الصدر . النبيل : الجسيم . الكلكل : الصدر .

(٦) جران البعير أو الناقة : مقدم العنق من المذبح إلى المنحر . النواجى : القوائم السراع .

(٧) قاتر : يقال رجل قاتر ، أى قلق لا يعقر ظهر البعير . وأحناؤه : كل عود معوج من عيدانه ، واحدها حنو ، بكسر الحاء وسكون النون . يئط : يصوت . النسع : سير يضفر على هيئة أعنة النعال تشد به الرحال .

(٨) الأتلع : العنق الطويل : الجديل : الزمام المجدول من أدم . سميحة ، بصيغة التصغير : عين ماء معروفة .

وسُمْرٌ ظِمَاءٌ وَاتَرَتْهُنَّ بَعْدَ ما مَضَتْ هَجْعَةٌ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ ذُبَّلُ[١]

سَفَى فَوْقَهُنَّ التُّرْبَ ضافٍ كأنَّهُ على الفَرْجِ والحاذَيْنِ قِنْوٌ مُذَلَّلُ[٢]

ومُضْطَمِرٌ من خاشِعِ الطَّرْفِ خائفٌ لما تَضَعُ الأَرْضُ القَوَاءُ وتَحْمِلُ[٣]

فأخذه ذو الرُّمَّةِ والطِّرِمَّاحُ ، فقال الطِّرِمَّاحُ :

أَطاف بها طِمْلٌ حَرِيصٌ فلم يَجِدْ بها غَيْرَ مُلْقَى الواسِطِ المُتَبَايِنِ[٤]

ومَخْفِقِ ذِى زِرَّيْنِ فى الأَرضِ مَتْنُهُ وفى الكَفِّ مَثْنَاهُ لَطيفُ الأَسَائِنِ[٥]

خَفِىٌّ كَمُجْتازِ الشُّجاعِ وذُبَّلٍ ثلاثٍ كَحَبَّاتِ الكَبَاثِ القَرَائِنِ[٦]

وضَبْثَةِ كَفٍّ باشَرَتْ بيَمِينِها صَعِيدًا كَفَاها فَقْدَ ماءِ المُصَافِنِ[٧]

ومُعْتَمَدٍ من صَدْرِ رِجْلٍ مُحَالَةٍ على عَجَلٍ من خائِفٍ غَيْرِ آمِنِ[٨]

مُقَلِّصَةٍ طارَتْ قَرِينَتُها بِهــا إلى سُلَّمٍ فى دَفِّ عَوْجَاءَ دافِنِ[٩]

---

(١) سمر ظماء : قوائم غير مترهلات . ذبل : ضامرات .

(٢) الضافى : الذيل الطويل الشعر . الحاذان : ما يقع عليه الذنب من الفخذين من ذا الجانب وذا الجانب . القنو : عذق النخلة .

(٣) مضطمر : ضامر . القواء : القفر ليس بها أحد .

(٤) الطمل : الذئب الأطلس الخفى الشخص . الواسط : واسط الرحل ، وهو ما بين القادمة والآخرة .

(٥) ذى زرين : أراد به الزمام . الأسائن : جمع أسينة ، وهى سير واحد من سيور تضفر جميعها فتجعل نسعا أو عنانا .

(٦) الشجاع : الحية الذكر . مجتازه : مكان اجتيازه . وبحاشية د : « الكباث : جنس من ثمر الأراك . والقراين : المقترنة » .

(٧) الضبثة : القبضة . المصافن : من قولهم « تصافن القوم الماء » وذلك إذا كانوا فى سفر ولا ماء معهم ولا شىء ، يقتسمونه على حصاة يلقونها فى الإناء يصب فيه من الماء بقدر ما يغمر الحصاة ، فيعطاه كل رجل منهم .

(٨) فى ل « رجل محالة » بالإضافة وفتح الميم ، ولم نجد له توجيهاً ، وأثبتنا ما فى الديوان ، فى اللسان « رجل مستحالة : إذا كان طرفا الساق منها معوجين » .

(٩) مقلصة : من قولهم « قلصت الإبل » استمرت فى مضيها . الدف : الجنب . العوجاء : الضامرة من الإبل . دافن : تغيب عن الإبل وتركب رأسها وحدها .

64 ومَوْضِعِ مَثْنَى رُكبَتَيْنِ وسَجْدَةٍ تَوَخَّى بها رُكْنَ الحَطِيمِ المُيَامِنِ

وقال ذو الرُّمَّة[١] :

إذَا اعتَسَّ[٢] فيها الذئبُ لم يَلْتَقِطْ بها
مِنَ الكَسْبِ إلا مِثْلَ مُلقَى المَشَاجِرِ

وبَيْنَهما[٣] مُلْقَى زِمَامٍ كأنَّهُ
مَخِيطُ شُجاعٍ آخِرَ اللَّيْلِ ثائِرِ

ومَغْنَى فتًى[٤] حَلَّتْ له فَوْقَ رَحْلِهِ
ثَمَانِيَةً جُرْدًا ، صَلاةُ المُسَافِرِ

سِوَى وَطْأَةٍ[٥] فى الأرْضِ من غير جَعْدَةٍ
ثَنَى أُخْتَها فى غَرْزِ عَوْجاءَ ضامِرِ

ومَوْضِعِ عِرْنِينٍ[٦] كَرِيمٍ وجَبْهَةٍ
إلى هَدَفٍ من مُسْرِعٍ غَيْرِ فاجِرِ

٢١٨ ●وقال كعب بن زهير :

---

(١) ديوانه ٢٩٢ .

(٢) اعتس : طاف ليلا طلباً للصيد ، وفى الأصل « اعتن » وصححناه من الديوان . المشاجر : جمع مشجرة ، وهى خشب الرحل .

(٣) بينهما : بين موضع الركبتين ، وقد حذف المؤلف بيتين قبل هذا البيت ، أولها * مناخ قرون الركبتين * يقول : بينهما زمام الناقة كأنه أثر مشى الحية .

(٤) مغنى فتى : موضع نومه ، وأراد بالفتى نفسه . وفى الأصل « ومقى » والتصحيح من الديوان . يقول : حلت له صلاة المسافر ثمانية أشهر جرداً ، أى كاملة .

(٥) سوى وطأة : يعنى نفسه عند نزوله . من غير جعدة : من رجل غيره كبيرة . وهذا يوافق ما فى ب هـ والديوان ، وفى ل تبعاً لسائر الأصول « من غير جعله » ولا معنى له .

(٦) العرنين : الأنف ، يريد موضع السجود . وشرح هذه الأبيات مقتبس من شرح ديوانه لثعلب .

لا يَشْتَكُونَ المَوْتَ إنْ نَزَلَتْ بِهِمْ   شَهْبَاءُ ذاتُ مَعاقِمٍ وأُوَارِ[١]

سمعه بعضُهم فقال :

رُبِيَتْ نَطَاةُ من الرَّسُولِ بِفَيْلَقٍ   شَهْبَاءَ ذاتِ مَعَاقِمٍ وأُوَارِ[٢]

٢١٩ ●ومما سَبَق إليه زهيرٌ فلم ينازَع فيه قولُه :

* فإنَّ الحَقَّ مَقْطَعُهُ * البيت[٣] . يريد أنَّ الحقوق إنما تصحُّ بواحدةٍ من هذه الثلاث : يمينٍ أو محاكمةٍ أو حجَّةٍ بيِّنةٍ واضحةٍ . وكان عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه إذا أُنْشِد هذا تعجَّب من معرفته بمقاطع الحقوق .

٢٢٠ ●ومن ذلك قولُه[٤] :

يَطْعُنُهُم ما ارْتَمَوْا حَتَّى إذَا اطَّعَنُوا   ضارَبَ حَتَّى إذَا ما ضارَبُوا اعْتَنَقَا

فجمعَ فى بيتٍ واحد صنوفَ القتال .

٢٢١ ●ومن ذلك قولُه[٥] :

اَلسِّتْرُ دُونَ الفاحشاتِ ولا   يَلْقاكَ دُونَ الخَيْرِ من سِتْرِ

٢٢٢ ●ومما يُستجادُ له[٦] :

---

(١) شهباء : يريد كتيبة شهباء ، لشهبة الحديد ، والشهبة : بياض يصدعه سواد خلاله . ذات معاقم : من قولهم « حرب عقام » بضم العين وفتحها ، و« عقيم» : شديدة لا يلوى فيها أحد على أحد ، يكثر فيها القتل . الأوار : لفح النار ووهجها .

(٢) نطاة : حصن بخيبر . والبيت فى سيرة ابن هشام ٧٦٧ من أبيات لابن لقيم العبسى قالها فى فتح خيبر . وهو أيضاً فى الحيوان ٢ : ٢٧٨ والإصابة ٦ : ٩ ولكنه محرف فيها .

(٣) مضى (٨٩) .

(٤) مضى فى (٩٠) .

(٥) الديوان ٩٥ .

(٦) الديوان ١٣٨ - ١٤٣ .

وذِى نِعْمَةٍ تَمَّمْتَها وشَكَرْتَها ... وخَصْمٍ يَكادُ يَغْلِبُ الحَقَّ باطِلُهْ

65 دَفَعْتَ بمَعْرُوفٍ منَ القَوْلِ صائِبٍ ... إذا ما أَضَلَّ الناطِقِينَ مَفاصِلُهْ

وذِى خَطَلٍ فى القَوْلِ يَحْسِبُ أَنَّهُ ... مُصِيبٌ فما يُلْمِمْ به فهو قائلُهْ

عَبَأْتَ له حِلْماً وأَكْرَمْتَ غَيْرَه ... وأَعْرَضْتَ عنه وهو بادٍ مَقَاتِلُهْ

وذِى نَسَبٍ ناءٍ بَعِيدٍ وَصَلْتَهُ ... بمالٍ ، وما يَدْرِى بأَنَّكَ واصِلُهْ[1]

وأَبْيَضَ فَيَّاضٍ يَدَاهُ غَمَامَةٌ ... على مُعْتَفِيهِ ما تُغِبُّ نَوَافِلُهْ[2]

غَدَوْتُ عَلَيْهِ غُدْوَةً فوَجَدْتُه ... قُعُودًا لَدَيْهِ بالصَّرِيمِ عَوَاذِلُهْ[3]

يُفَدِّينَهُ طَوْرًا وطَوْرًا يَلُمْنَهُ ... وأَعْيَا فما يَدْرِينَ أَيْنَ مَخاتِلُهْ

وأَعْرَضْنَ منه عن كَرِيمٍ مُرَزَّإٍ ... جَمُوعٍ على الأَمْرِ الذى هو فاعِلُهْ[4]

أَخِى ثِقَةٍ ما تُذْهِبُ الخَمْرُ مالَهُ ... ولكِنَّهُ قد يُذْهِبُ المالَ نائلُهْ[5]

تَرَاهُ إذا ما جِئْتَهُ مُتَهَلِّلاً ... كأَنَّكَ تُعْطِيهِ الذى أَنْتَ سائِلُهْ

٢٢٣ ●ومن ذلك قولُه ، ويقال إنّه لولده كعب[6] :

ولَيْسَ لِمَنْ لم يَرْكَبِ الهَوْلَ بُغْيَةٌ ... ولَيْسَ لرَحْلٍ حَطَّهُ اللهُ حامِلِ[7]

---

(١) قال الأعلم : « يعنى أنه وصل قوماً فوصلوا غيرهم من صلته ، فكان هو سبب ذلك الوصل وهم لا يعرفون ذلك . وإنما قال هذا إشارة إلى كثرة معروفه وسعة إفضاله » .

(٢) « غمامة » مرفوع ، كما فى الديوان . وفى الأصول هنا منصوب ، ولا توجيه له .

(٣) الصريم : الصبح ، أو جمع صريمة ، وهى القطعة من الرمل تنقطع من معظمه . والأول أجود ، قالوا : لأنه يسكر بالليل وإذا صحا من سكره لامته العواذل على إنفاق ماله .

(٤) مرزأ : يصاب منه الخير ويرزأ ماله . جموع على الأمر : ماض عليه مجمع الرأى .

(٥) سيأتى ١٤٨ .

(٦) هما ثابتان لزهير فى ديوانه ، ختام قصيدة قالها فى شأن سنان بن أبى حارثة المرى ٢٩٢—٣٠٠ .

(٧) ثعلب : « يقول : من لم يركب الهول فى مودة أخيه لم يدرك بغيته ، وليس لمن وضعه الله ارتفاع » .

إذا أَنْتَ لم تُعْرِضْ عنِ الجَهْلِ والخَنَا
أَصَبْتَ حَلِيماً أو أَصابكَ جاهِلُ

٢٢٤ ● ومن ذلك قولُه[١] :

وفيهمْ مَقاماتٌ حِسانٌ وُجُوهُهُمْ
وأَنْدِيَةٌ يَنْتابُهـا القَوْلُ والفِعْلُ[٢]

على مُكْثِرِيهِمْ رِزْقُ مَنْ يَعْتَرِيهِمُ
وعِنْدَ المُقِلِّينَ السَّماحَـةُ والبَذْلُ[٣]

سَعَىٰ بَعْدَهُمْ قَوْمٌ لِكَيْ يُدْرِكُوهُمُ
فلم يَبْلُغُوا ولم يُلِيمُوا ولم يَأْلُوا[٤]

66

٢٢٥ ● وأخذ العلماءُ عليه قولَه يذكر الضفادعَ :

يَخْرُجْنَ مِن شَرَباتٍ ماؤُها طَحِلٌ
على الجُذُوعِ يَخَفْنَ الغَمَّ والغَرَقَا[٥]

وقالوا : ليس خروج الضفادع من الماء مخافةَ الغمّ والغرق ، وإنما ذلك لِأَنَّهنَّ يَبِضْنَ فى الشطوط .

٢٢٦ ● وأُخذ عليه قولُه :

---

(١) الديوان ١١٣ - ١١٤ .

(٢) المقامات : المجالس ، وأراد أهلها . ينتابها القول والفعل : يقال فيها الجميل ويفعل . عن ثعلب .

(٣) يعتريهم : يطلب منهم .

(٤) يليموا : لم يأتوا ما يلامون عليه .

(٥) الديوان ٤٠ . الشربات : حياض تحفر فى أصول النخل من شق واحد فتملأ ماء ، واحدتها « شَربة » بفتحتين . الطحل : الكدر .

ثمَّ استمرّوا وقالوا : إنَّ مَشْرَبَكُمْ
ماءٌ بشَرْقِيِّ سَلْمَى فَيْدُ أورَكَكُ[1]

وقال الأصمعيُّ : سألتُ بجنبات فَيْدَ عن الرَّكَكِ ؟ فقالوا لى : ما هنا «رَكَك» ولكن «رَكٌّ» فعلمتُ أنَّ زهيرًا احتاج فضعَّفَ .

٢٢٧ ●وأُخذ على ابنه كعب قولُه فى وصف ناقة :

* ضَخمٌ مُقلَّدُها فَعْمٌ مُقَيَّدُها *

قال الأصمعى : هذا خطاء ، إنما توصف النجائبُ بدقَّة المَذْبَح .

٢٢٨ ●ومما يستجاد لكعب ابنِه قولُه يذكر رجلا قُتل من مُزَينةَ رهطِه :

لَقَدْ وَلَّى أَلِيَّتَهُ جُوَىٌّ مَعَاشِرَ غيرَ مَطْلولٍ أخُوها
فإنْ تَهْلِكْ جُوَىُّ فكُلُّ نَفْسٍ سَيَجْلِبُهَا لذلك جالِبُوها
وإنْ تَهْلِكْ جُوَىُّ فإنَّ حَوْلِي كَظَنِّكَ كان بَعْدَك مُوقِدُوها
وما ساءتْ ظُنُونُك يَوْمَ تُوُتِّيَ بأَرْماحٍ وَفَى لك مُشْرِعُوها
كأنَّك كُنْتَ تَعْلَمُ يَوْمَ بُزَّتْ ثِيَابُك ما سَيَلْقَى سالِبُوها
فما قُلْنا لهم : نَفْسٌ بنَفْسٍ أَقِيدُونا بها إن لم تَدُوها
ولكنَّا دَفَعْناها ظِماءً فرَوَّاها بذِكْرِك مُنْهِلُوها
ولو بَلَغَ القَتِيلَ فَعَالُ حَيٍّ لَسَرَّكَ من سُيُوفك مُنْتَضُوها

٢٢٩ ●ومن ذلك قولُه : 67

لَوْ كُنْتُ أَعْجَبُ مِنْ شىءٍ لأَعْجَبَنِى سَعْىُ الفَتَى وهو مَخْبُوٌّ لَهُ القَدَرُ
يَسْعَى الفَتَى لِأُمُورٍ لَيْسَ يُدْرِكُهَا والنَّفْسُ واحِدَةٌ والهَمُّ مُنْتَشِرُ

---

(١) الديوان ١٦٧ واللسان ١٢ : ٢١٨ وصفة جزيرة العرب ٢٢٣ ، ٢٣١ ومعجم البلدان ٤ : ٢٧٩ .

والمَرْءُ ما عاش مَمْدُودٌ له أَمَلٌ ... لا تَنْتَهِى العَيْنُ حَتَّى يَنْتَهِى الأَثَرُ

٢٣٠ ● وكعبٌ القائلُ[١] :

ومَنْ للقَوَافِى شَأْنِهَا مَنْ يَحُوكُهَا ... إذا ما تَوَى كَعْبٌ وفَوَّزَ جَرْوَلُ[٢]

يَقُولُ فلا يَعْيَا بشىءٍ يَقُولُهُ ... ومِنْ قائِلِها مَنْ يُسِىءُ ويَعْمَلُ

يُقَوِّمُها حَتَّى تَلِينَ مُتُونُهَـــا ... فيُقْصِرَ عنها كُلُّ ما يَتَمَثَّلُ

كَفَيْتُكَ لا تَلْقَى من الناس شاعِرًا ... تَنَخَّلَ منْهَا مِثْلَ ما أَتَنَخَّلُ[٣]

وسمعه الكُمَيتُ فقال فى قصيدة له :

وما ضَرَّهَا أَنَّ كَعْبًا تَوَى ... وفَوَّزَ مِنْ بعدِهِ جَرْوَلُ[٤]

---

(١) الأبيات فى الأغانى ٢ : ٤٤ و ١٥ : ١٤٠ — ١٤١ مع تغيير فى الترتيب ، وستأتى عدا الثانى(٦٩ ل) . وهى عدا الرابع فى الخزانة ١ : ٤١١ . والأولان فى اللسان ٧ : ٢٦٠ .

(٢) الإصابة ٢ : ٦٣ وشأنها : بدل من« القوافى » وهو واضح ، وكذلك أثبتت فى أصول الكتاب ، وفى اللسان « شأنها » وفسرها بقوله « أى جاء بها شائنة أى معيبة » وفى هذا تكلف . توى ، بالتاء المثناة : مات ، كما فى رواية اللسان ، وهذا الفعل أصله « توى » بوزن « بلى » ونقل فى اللسان ١٨ : ١١٤ عن أبى على الفارسى « أن طيئاً تقول توى » يعنى بوزن « رمى » ، وهى لغة طائية معروفة فى مثل هذا الوزن . ورواية اللسان فى مادة « ث و ى » ١٨ : ١٣٧ « ثوى » بالثاء المثلثة ، أى هلك ، وهى توافق رواية الأغانى . فوز : مات . جرول : اسم الحطيئة .

(٣) تنخل الشىء : تخيره واستقصى أفضله .

(٤) ب ﻫ « ثوى » بالمثلثة . والبيت فى اللسان ٧ : ٢٦٠ و ١٣ : ١١٤ سيأتى قبله بيتان آخران (٦٩ — ٧٠ ل) .

٣ — كعب بن زهير[١]

٢٣١ ●وكان كَعْبٌ فحلًا مُجيدًا ، وكان يحالفُه أبدًا إقْتَارٌ وسوءُ حال . وكان أخوه بُجَيْرٌ أسلم قبلَه ، وشهدَ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتحَ مكةَ ، وكان أخوه كعب أرسل إليه ينهاه عن الإسلام ، فبلغَ ذلك النبيَّ صلى الله عليه وسلم فتواعده ، فبعث إليه بُجير فحذَّره ، فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبدأ بأبى بكر ، فلما سلَّم النبيُّ صلى الله عليه وسلم 68 وسلم من صلاة الصُّبْح جاء به وهو متلثِّمٌ بعمامته ، فقال : يا رسول الله ، هذا رجل جاء يبايُعك على الإسلام ، فبسط النبيُّ صلى الله عليه وسلم يدَه ، فحَسَر كعب عن وجهه ، وقال : هذا مقام العائذِ بكَ يا رسول الله ، أنا كعبُ بنُ زهير ، فتجهَّمَتْهُ الأنصار وغلَّظَتْ له ، لذكره كان قبلَ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وأحَبَّتِ المهاجِرَةُ أن يُسْلِمَ ويؤْمِنَه النبيُّ صلى الله عليه وسلم ، فآمنَه واستنشده :

بانَتْ سُعَادُ فقَلْبِى اليومَ مَتْبُولُ ... مُتَيَّمٌ إثْرَهَا لم يُجزَ مَكْبُولُ[٢]
وما سُعادَ غَداةَ البَيْنِ إذ عَرَضَتْ ... إلَّا أغَنُّ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ[٣]
وما تَدُومُ على العَهْدِ الذى زَعَمَتْ ... كما تَلَوَّنُ فى أثْوَابِها الغُولُ
ولا تَمَسَّكُ بالوُدِّ الذى زَعَمَتْ ... إلَّا كما تُمْسِكُ الماءَ الغَرَابِيلُ
كانَتْ مَوَاعِيدُ عُرْقُوبٍ لها مَثَلًا ... وما مَوَاعِيدُه إلَّا الأبَاطِيلُ

---

(١) أشرنا إلى مصادر ترجمة كعب عند ترجمة أبيه (٨٦) . وانظر أيضاً ما مضى (٩٠) . والأغانى ١٥ : ١٤٢ — ١٤٣ .

(٢) مكبول : مقيد .

(٣) الأغن الذى فى صوته غنة .

نُبِّئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ أَوْعَدَنِى والعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ مَبْذُولُ
مَهْلًا هَدَاكَ الذى أَعْطَاكَ نافلَةَ الْ قُرْآنَ ، فيها مَوَاعِيظٌ وتَفْصِيلُ[1]
لا تأْخُذَنِّى بأَقْوَالِ الوُشاةِ ، ولم أُذْنِبْ ولَوْ كَثُرَتْ فِىَّ الأَقاوِيلُ

فلما بلغ قولَه :

إنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ به وصارمٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ مَسْلُولُ
فى عُصْبَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا : زُولُوا
زَالُوا ، فما زالَ أَنْكَاسٌ ولا كُشُفٌ يَوْمَ اللِّقَاءِ ولا سُودٌ مَعَازِيلُ[2]

فنظر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى من عنده من قريش ، كأَنَّهُ يُومِى إليهم أن يسمعوا ، حتى قال :

يَمْشُونَ مَشْىَ الجمال البُهْمِ يَعْصِمُهُمْ
ضَرْبٌ إذَا عَرَّدَ السُّودُ التَّنَابِيلُ[3]

يُعرِّض بالأنصار ، لغِلْظتهم كانت عليه ، فأنكرتْ قريشٌ عليه وقالوا : لم تمدحْنا إذْ هجوتَهم ، فقال :

69

مَنْ سَرَّهُ شَرَفُ الحَيَاةِ فلا يَزَلْ فى مِقْنَبٍ من صالِحِى الأَنْصَارِ[4]

---

(١) « القرآن » مضاف إلى « نافلة » كما هو ظاهر ، ويجوز نصبه مفعولا لـ « أعطاك » ويكون « نافلة » إما حالا تقدمت ، وإما مفعولا ، و « القرآن » بدل ، ويكون حذف التنوين حينئذ من « نافلة » لالتقاء الساكنين . انظر شرح « بانت سعاد » ١٨٤ .

(٢) الأنكاس : جمع نكس ، بكسر النون وسكون الكاف ، وهو الضعيف المهين . الكشف : جمع أكشف ، وهو من لا ترس معه فى الحرب . المعازيل : جمع معزال ، وهو الأعزل الذى لا سلاح معه .

(٣) عرد : فر وأعرض . التنابيل : القصار ، واحدهم تنبال ، بكسر التاء . وهذه القصيدة مشهورة معروفة ، شرحها العلماء وعنوا بها ، وانظر تفصيل قصة إسلام كعب والبردة فى سيرة ابن هشام ٨٨٧ — ٨٩٣ وسيرة ابن سيد الناس ٢ : ٢٠٨ — ٢١٥ وتاريخ ابن كثير ٤ : ٣٦٨ — ٣٧٤ وإمتاع الأسماع للمقريزى ١ : ٤٩٤ وشرح بانت سعاد لابن هشام ٣ — ٧ .

(٤) المقنب : جماعة الخيل والفرسان .

اَلباذِلينَ نُفُوسَهم لِنَبِيِّهِمْ يَوْمَ الهِيَاجِ وسَطْوَةِ الجَبَّارِ
يَتَطَهَّرُونَ ، كأَنَّهُ نُسُكٌ لهم ، بدِماءِ مَنْ عَلِقُوا مِنَ الكُفَّارِ

فكساه النبيُّ صلى الله عليه وسلم بُرْدَةً اشتراها معاويةُ بعدَ ذلك بعشرينَ ألف درهم ، وهي التي يَلبسها الخلفاءُ في العيدَيْن. زعم ذلك أبانُ بن عثمانَ بن عفّان .

٢٣٢ ●وقال الحُطَيْئَة لكعبٍ : قد علمتم روايتي لكم أهلَ البيتِ وانقطاعي إليكم ، فلو قلتَ شعرًا تَذكر فيه نفسَك ثم تذكرني بعدَك ، فإنَّ الناسَ أروى لأشعاركم ، فقال[1] :

فمَنْ للقوافي شَأْنِهَا مَنْ يَحُوكُها إذا ما مضَى كَعْبٌ وفَوَّزَ جَرْوَلُ
كَفَيْتُكَ لا تَلْقَى من الناس واحِدًا تَنَخَّلَ منها مِثْلَ ما يَتَنَخَّلُ
يُثَقِّفُهَا حتَّى تَلِينَ كُعُوبُهَا فيُقْصِرَ عنها من يُسِيءُ ويَعْمَلُ

فاعترضه مُزَرِّدٌ أخو الشَّمَّاخِ فقال[2] :

فلَسْتَ كحَسَّانَ الحُسَامِ ابنِ ثابتٍ ولَسْتَ كَشَمَّاخٍ ولا كالمُخَبَّلِ
فبأَسْتِكَ إنْ خَلَّفْتَنِي خَلْفَ شاعِرٍ من الناسِ لا أُكْفَى ولا أَتَنَخَّلُ[3]

وقال الكُمَيْت :

فدُونَكَ مُقْرَبَةً لا تُسَا طُ كَرْهاً بِسَوْطٍ ولا تُرْكَلُ[4]
مُهَذَّبَةً لا كَقَوْلِ الهُذا ءِ مِمَّنْ يُسِيءُ ومَنْ يَعْمَلُ 70
وما ضَرَّها أَنَّ كَعْباً ثَوَى وفَوَّزَ من بَعْدِهِ جَرْوَلُ

(١) مضت الأبيات مع بيت رابع (١٠٣) وأشرنا إلى مصادرها. وهي أيضاً في طبقات الجمحي ٢١ .
(٢) البيتان عند الجمحي في ٤ أبيات . وفي الأغاني ٢ : ٤٤ — ٤٥ في أبيات .
(٣) فيه إقواء .
(٤) المقربة من الخيل : التي تدنى وتقرب وتكرم ولا تترك أن ترود . الركل : ضرب الفرس بالرجل ليعدو . والبيت الثالث مضى (١٠٣) .

٣ ـ النابغة الذبيانى[١]

٢٣٣ • هو زِيادُ بن معاوية ، ويكنَى أبا أُمامةَ ، ويقال أبا ثُمامةَ . وأهلُ الحجاز يفضِّلون النابغةَ وزهيراً .

٢٣٤ • وقال شُعَيب بن صَخْرٍ : سمعتُ عيسى بن عُمر ينشدُ عامرَ بنَ عبدَ الملك المِسْمَعىَّ شعرَ النابغة ، فقلتُ : يا أبا عبد الله ، هذا والله الشعرُ ، لا قولُ الأعشى :

لَسْنـــا نُقاتِل بالعُصِــ ىِّ ولا نُرامِى بالحِجارَهْ[٢]

٢٣٥ • ويقال[٣] : كان النابغةُ أحسنَهم ديباجةَ شعرٍ ، وأكثرَهم رونقَ كلامٍ ، وأجزلَهم بيتاً ، كان شعرُه كلاَماً ليس فيه تكلُّف[٤] ، ونبغ بالشعر بعد ما احتَنَكَ ، وهَلَكَ قبل أن يُهْتَرَ .

٢٣٦ • قال : وكان يُقْوِى فى شعره ، فعيب ذلك عليه وأسمعوه فى غناءٍ[٥] :

أَمِنَ آلِ مَيَّةَ رائِحٌ أو مُغْتَدِ عَجْلانَ ذا زادٍ وغَيْرَ مُزَوَّدِ

---

(١) هذه الترجمة من س ب .

(٢) القصة نقلها ابن قتيبة عن الجمحى ، ولكنها فيه ١٦ محرفة .

(٣) وهذه أيضاً عن الجمحى ١٧ « وقال من احتج للنابغة : كان » الخ .

(٤) فى الجمحى زيادة : « والمنطق على المتكلم أوسع منه على الشاعر ، والشاعر يحتاج إلى البناء والعروض والقوافى ، والمتكلم المطلق يتخير الكلام » .

(٥) الديوان ٢٧ والأغانى ٩ : ١٥٦ ـ ١٥٧ وانظر ما مضى (٤٢) وحاشية ٢٥٩ ل وما سيأتى ٧٨ ، ٨١ ل) . الغداف : الغراب .

زَعَمَ البَوَارِحُ أنَّ رِحْلَتَنا غَدًا وبذاك خَبَّرَنا الغُدافُ الأَسْوَدُ

نَفطَنَ فلم يَعُدْ .

٢٣٧ ● قال الشَّعْبيُّ[1] : دخلتُ على عبد الملك وعنده رجل لا أعرفه ، فالتفتَ إليه عبدُ الملك فقال : مَن أشعرُ الناسِ ؟ فقال : أنا ، فأظلمَ ما بيني وبينه ، فقلت : مَن هذا يا أمير المؤمنين ؟ فتعجَّبَ عبدُ الملك من عجلتى ! فقال : هذا الأخطل ، فقلت : أشعر منه الذى يقول :

هٰذا غُلامٌ حَسَنٌ وَجْهُهُ مُسْتَقْبَلُ الخَيْرِ سَريعُ التَّمَامْ[2]
للحارثِ الأكبر والحارثِ ال أَصْغَرِ والأَعْرَجِ ، خَيْرِ الأنامْ
ثم لِهِنْدٍ ولهندٍ وقَدْ يَنْجَعُ فى الرَّوْضاتِ ماءُ الغَمامْ
سِتَّةُ آبائِهِمْ ما هُمُ هُمْ خَيْرُ مَن يَشْرَبُ صَفْوَ المُدامْ

فقال الأخطلُ : صدق يا أمير المؤمنين ، النابغةُ أشعرُ منِّى ، فقال لى عبد الملك : ما تقول فى النابغة ؟ قلتُ : قد فضَّله عمر بن الخطَّاب على الشعراءِ غيرَ مرَّةٍ ، خرج وببابه وفدُ غَطَفانَ فقال : أىُّ شعرائِكم الذى يقول :

أَتَيْتُكَ عارِياً خَلَقاً ثِيابى على خَوْفٍ تُظَنُّ بِىَ الظُّنُونُ[3]
فأَلْفَيْتُ الأَمانَةَ لم تَخُنْها كذٰلِكَ كان نُوحٌ لا يَخُونُ

قالوا : النابغة ، قال : فأىُّ شعرائكم الذى يقول :

---

(١) القصة رواها الأغانى مختصرة ومطولة ٩ : ١٦١ — ١٦٥ . ونقلها صاحب الخزانة ١ : ٢٨٨ عن ابن قتيبة .

(٢) البيت فى الخزانة أيضاً ١ : ٣٧١ .

(٣) سيأتى البيت (٩٤ ل) وقبله آخر . وفسر المؤلف هناك « العارى » بأنه من يأتى طالباً . والبيت فى اللسان ١٩ : ٢٧٢ .

حَلَفْتُ فلم أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيبَةً وليْسَ وراءَ اللهِ للمَرْءِ مَذْهَبُ

قالوا : النابغة ، قال : فأَيُّ شعرائِكم الذى يقول[1] :

فإنَّكَ كاللَّيْلِ الّذى هو مُدْرِكِى وإنْ خِلْتُ أَنَّ المُنْتَأَى عنك واسِعُ

ويروى « وازِعُ » ، قالوا : النابغة ، قال : هذا أشعر شعرائِكم .

٢٣٨ ● قال حسّانُ[2] : وفدتُ على النعمان بن المنذر فمدحتُه ، فأَجازنى وأكرمنى ، فإنّى لجالسٌ عنده ذاتَ يوم إذًا صوتٌ من خلفِ قُبَّته يقول :

أنامَ أَمْ يَسْمَعُ رَبُّ القُبَّــهْ يا أَوْهَبَ الناسِ لِعَنْسٍ صُلْبَهْ

ضَرَّابَة بالمِشْــفَرِ الأَذِبَّهْ ذاتِ نَجَاءٍ فى يَدَيْها جَذْبَهْ[3]

قال : أبو ثُمَامَة ! فدَخَل ، فأَنشده قصيدتَه التى على الباءِ والّتى على العين ، وكان يوم تَرِدُ فيه النَّعَمُ السُّود ، ولم يكن بأَرض العرب بعيرٌ أسودُ إلّا له ، فأَمر له منها بمائة بعير معها رِعاؤُها ومَظَالُّها وكلابُها ، فلم أَدْرِ على ما أَحْسِدُه ؟ على جودة شعره ، أم على جزيل عطيّته ؟ ! 72

٢٣٩ ●قال أبو عُبيدةَ عن الوليد بن رَوْحٍ قال : مكث النابغةُ زماناً لا يقول الشعرَ ، فأَمر يوماً بغسل ثيابه وعصَّب حاجبَيْه على عينيه ، فلمّا نظرَ إلى الناس قال :

أَلمَرْءُ يَأْمُلُ أَنْ يَعِيــ شَ ، وطُولُ عَيْشٍ مَّا يَضُرُّهْ

تَفْنَى بَشاشَتُهُ ، ويَبْـ قَى بَعْدَ حُلْوِ العَيْشِ مُرُّهْ

وتَخُونُهُ الأَيَّامُ حَـ تّى لا يَرَى شَيْئاً يَسُرُّهْ

---

(١) سيأتى البيت (٨٠ و ١٩٨ ل) .

(٢) ستأتى القصة مفصلة (٧٥ ل) وهى فى الأغانى ٩ : ١٦٩ .

(٣) الأذبة : جمع قلة لذباب ، كغراب وأغربة . والبيت فى اللسان ١ : ٤٦٨ . النجاء : السرعة فى السير .

كَمْ شامِتٍ بِىَ إنْ هَلَكْـ ـتُ ، وقائلٍ : لِلّهِ درُّهْ

٢٤٠ ●وممّا يُتَمثل به من شعره :

نُبِّئْتُ أنَّ أبا قابُوسَ أوْعَدَنى ولا قَرارَ على زَأرٍ من الأَسَد

تَمَثَّلَ به الحجّاجُ بن يوسف حين سَخِطَ عليه عبد الملك بنُ مروانَ [1].

٢٤١ ●وقولُه :

فَلَوْ كَفَّى اليَمِينُ بَغَتْكَ خَوْناً لَأَفْرَدْتُ اليَمِينَ منَ الشِّمال

أخذه المثقِّبُ العَبْدِىُّ فقال [2] :

ولَوْ أنِى تُخالِفُنى شِمالى بنَصْرٍ لم تصاحِبْهَا يَمينى

٢٤٢ ●وقولُه :

فحَمَّلْتَنى ذَنْبَ امْرِئٍ وتَرَكْتَهُ
كَذِى العُرِّ يُكْوَىٰ غيرُهُ وهْو رَاتِعُ[3]

أخذه الكُميتُ فقال :

ولا أكْوِى الصِّحَاحَ براتِعَاتٍ بِهنَّ العُرُّ قَبْلى ما كُوِينا[4]

---

(١) الخزانة ١ : ٢٨٨ .

(٢) المثقب : بكسر القاف المشددة ، كما رجحنا فى المفضلية ٢٨ . وضبطت فى ل كما تضبط فى كثير من الكتب ، وهو خطأ . والبيت من المفضلية ٧٦ : ٣ بخلاف فى الرواية ، وانظر الأنبارى ٥٧٥ . وسيأتى برواية أخرى أيضاً (٢٣٤ ل) . وقد أخطأ ابن قتيبة ، فالمثقب أقدم من النابغة .

(٣) العر ، بضم العين: قروح مثل القوباء تخرج بالإبل متفرقة فى مشافرها وقوائمها يسيل منها مثل الماء الأصفر ، فتكوى الصحاح لئلا تعديها المراض . والعر ، بالفتح : الجرب ، قال ابن دريد : من رواه بالفتح فقد غلط ، لأن الجرب لا يكوى منه . عن اللسان ٦ : ٢٣ . وهذه القطعة والتى قبلها فى الخزانة أيضاً ١ : ٢٨٨ .

(٤) انظر الخزانة ١ : ٤٣٣ – ٤٣٤ . ب دق « فاستبق » .

٢٤٣ • وقولُه :

واسْتَبْقِ وُدَّكَ للصَّدِيقِ ولا تكُنْ   قَتَباً يَعَضُّ بِغَارِبٍ مِلْحَاحا[١]

أخذه ابنُ ميَّادَةَ فقال :

ما إنْ أُلِحُّ على الإخْوانِ أسْأَلُهُمْ   كما يُلِحُّ بِعَضِّ الغاربِ القَتَبُ

٢٤٤ • ويقال إن النابغةَ هجا النعمانَ بقوله [٢] :

قَبَحَ اللهُ ثُمَّ ثَنَّى بلَعْنٍ   وارِثَ الصائِغِ الجَبَانَ الجَهُولَا[٣]

والصائغُ هو عطيَّةُ ، أبو سَلْمَى ، أمُّ النعمانَ .

٢٤٥ • وكانت العربُ تَضربُ أمثالاً على ألْسنةِ الهوامّ[٤] .

قال المفضَّل الضبِّيُّ : يقال امتنعت بلدةٌ على أهلها بسبب حيَّة غَلبت عليها ، فخرج أخوانِ يريدانها ، فوثبت على أحدهما فقتلته ، فتمكَّن لها أخوه فى السلاح ، فقالت : هل لك أن تُؤْمنني فأُعطيَك كلَّ يومٍ دينارًا ؟ فأجابها إلى ذلك حتَّى أثْرَى ، ثم ذَكر أخاه ، فقال : كيف يَهْنِئُنِى العيشُ بعدَ أخى ؟ ! فأخذ فأساً وصار إلى جُحْرها ، فتمكَّن لها ، فلمَّا خرجت ضربها على رأسها ، فأثَّر فيه ولم يُمْعِنْ ، ثم طلب الدينارَ حين فاتَه قتلُها ! فقالت : إنَّه ما دام هذا القبرُ بفِنائى وهذه الضربةُ برأسى فلستُ آمنُك

---

(١) القتب : إكاف البعير . الغارب : الكاهل من ذى الخف ، ما بين السنام والعنق .

(٢) سيأتى البيت مع بيتين آخرين(٧٦ ل) .

(٣) قبح ، بفتحتين وتخفيف الباء ، يقال « قبح الله فلانا قبحا وقبوحاً » أى أقصاه وباعده من كل خير ، كقوله تعالى(ويوم القيامة هم من المقبوحين) أى من المبعدين الملعونين . انظر اللسان وغيره . وضبط الحرف فيما سيأتى وفى الأغانى ١١ : ١٣ من طبعة دار الكتب « قبح » بالتشديد ، وهو خطأ .

(٤) القصة والأبيات مفصلة فى شرح الوزير أبى بكر لديوان النابغة ٤٧ — ٤٩ .

على نفسي ! فقال النابغةُ في ذلك [١] :

تَذَكَّرَ أنَّى يَجْعَلُ اللهُ فُرْصَةً ... فيُصْبِحَ ذا مالٍ ويَقْتُلَ واتِرَهْ

فلمّا وَقاها اللهُ ضَرْبَةَ فأسِهِ ... وللبِرِّ عَيْنٌ لا تُغَمِّضُ ناظِرَهْ

فقالَتْ : معاذَ اللهِ أُعْطِيكَ إنني ... رأيْتُكَ غَدّارًا يَمِينُكَ فاجِرَهْ

أبَى لِيَ قَبْرٌ لا يَزالُ مُقابِلِي ... وضَرْبَةُ فأسٍ فَوْقَ رَأسي فاقِرَهْ

٢٤٦ ● ومما أُخذ منه قولُه [٢] :

لَوْ أنَّها عَرَضَتْ لِأَشْمَطَ راهِبٍ ... عَبَدَ الإلٰهَ صَرُورَةٍ مُتَعَبِّدِ [٣]

لَرَنا لِبَهْجَتِها وحُسْنِ حَدِيثِها ... ولَخالَهُ رُشْدًا وإنْ لم يَرْشُدِ

أخذه ربيعةُ بن مَقْروم الضبّيُّ فقال [٤] :

74

لَوْ أنَّها عَرَضَتْ لِأَشْمَطَ راهِبٍ ... في رأسِ مُشْرِفَةِ الذُّرَى يَتَبَتَّلُ [٥]

لَرَنا لِبَهْجَتِها وحُسْنِ حَدِيثِها ... ولَهَمَّ من نامُوسِهِ يَتَنَزَّلُ [٦]

٢٤٧ ● ومما يُتمثَّلُ به أيضاً من شعره :

ومَنْ عَصاكَ فعاقِبْه مُعاقَبَةً ... تَنْهَى الظَّلُومَ ولا تَقْعُدْ على ضَمَدِ

---

(١) القصة مختصرة من « أمثال العرب » للمفضل الضبى ، وهى مفصلة هناك مع باقى القصيدة ٨٤ — ٨٥ .

(٢) الديوان ٣١ — ٣٢ .

(٣) الصرورة : الذى لم يأت النساء ، وقال ابن الأعرابى : الذى لم يبرح من مكانه ، يريد من صومعته . والبيت فى اللسان ٦ : ١٢٣ .

(٤) البيتان من قصيدة « من فاخر الشعر وجيده وحسنه » كما فى الأغانى ١٩ : ٩٢ — ٩٣ وقد روى معظمها . وقافيتها لام مكسورة ، ووقعت هنا فى ن ف س مضمومة اللام ، وهو خطأ فى النقل أو الرواية ، ووقع هذا الخطأ فى اللسان ٥ : ١٦٢ .

(٥) ب د هـ « عبد الإله صرورة متبتل » .

(٦) فى الأغانى « لصبا » بدل « لرنا » . وفى اللسان « لدنا » بالدال ، وهو غير جيد . فى الأغانى « من ناموسة يتنزل » . والناموس : بيت الراهب . ورواية اللسان والمعرب للجواليقى ٨٥ « من ناموره » والتامور والتامورة : صومعة الراهب .

وهو الذلّ والهوان . قال أوس بن حارثة : « المَنِيّه ، ولا الدنِيّه ، والنار ، ولا العار » .

٢٤٨ ●وقال النابغة فى العفّة ، وهو أحسنُ ما قيل فيه :

رِقاقُ النعالِ طَيِّبٌ حُجُزاتُهُمْ يُحَيَّوْنَ بالرَّيْحانِ يَوْمَ السَّباسِبِ[1]

أخذه عدىّ بن زيد فقال :

أَجْلَ أَنَّ اللهَ قد فَضَّلَكُمْ فَوْقَ مَن أَحْكَى بصُلْبٍ وإزارِ[2]

فالصُّلْب : الحَسَبُ ، والإزار : العفاف .

٢٤٩ ●وفى أمثالهم « أَصْدَقُ من قَطَاة[3] » قال النابغةُ :

تَدْعُو القَطَا وبها تُدْعَى إذَا نُسِبَتْ يا حُسْنَها حِينَ تَدْعُوها فتَنْتَسِبُ

وذلك لأنّها تَلفِظ باسمها ، أخذه أبو نُوَاسٍ فقال :

* أَصْدَقُ من قَوْلِ قَطاة قَطَا *

* * *

٢٥٠ ●هو[4] زيادُ بن معاوية بن ضِباب بن جابر بن يَربوع بن غَيْظ ابن مُرّةَ بن عَوْف بن سعد بن ذُبْيانَ بن بَغِيضِ بن رَيْثِ بن غَطَفَان بن

(١) الديوان ٩ واللسان ١ : ٤٤٣ و ٧ : ١٩٧ والخزانة ٤ : ١٤٧ . الحجزات : جمع حجزة ، وهى حيث يثنى طرف الإزار فى لوث الإزار ، كنى به عن الفروج ، يريد أنهم أعفاء الفروج . يوم السباسب : عيد للنصارى يسمونه يوم السعانين .

(٢) أجل : من أجل ، ربما حذفت العرب « من » . والبيت فى اللسان ١ : ٥١ و ٢ : ١٨ و ٥ : ٧٥ و ١٣ : ١٢ و ١٨ : ٢٠٨ .

(٣) مجمع الأمثال ١ : ٣٦١ .

(٤) هذا نص الترجمة فى ب هـ د .

سعد بن قيس بن عَيْلاَنَ . وسُمّىَ النابغةَ بقوله :

* فَقَدْ نَبَغَتْ لنا منهمْ شُؤُونُ[١] *

وكان شريفاً فغَضَّ منه الشعرُ . وكان مع النعمان بن المنذر ومع أبيه وجدّه ، وكانوا له مكرمين .

75 ٢٥١ ● قال ابنُ الكَلْبِيّ[٢] : قال حسّانُ بن ثابت : رحلتُ إلى النعمان ، فلقيتُ رجلا فقال : أين تريد ؟ فقلت : هذا الملكَ ، قال : فإنّك إذا جئتَه متروكٌ شهرًا ، ثم يَسأَلُ عنك رأسَ الشهر ، ثم أنت متروكٌ شهرًا آخر ، ثم عسى أن يأذنَ لك ، فإن أنت خلوتَ به وأعجبتَه فأنت مُصيبٌ منه ، وإن رأيتَ أبا أُمامةَ النابغةَ فاظْعَنْ ، فإنّه لا شيءَ لك . قال : فقدمتُ عليه ، ففعل بي ما قال ، ثم خلوتُ به وأصبتُ منه مالا كثيرًا ونادمتُه ، فبينا أنا معه في قُبّةٍ إذ جاءَ رجل يَرْجُزُ حولَ القبّة :

أَنِمْتَ أَمْ تَسْمَعُ رَبَّ القُبَّهْ   يا أَوْهَبَ الناسِ لعَنْسٍ صُلْبَهْ

ضَرَّابَةٍ بالمشْفَرِ الأَذِبَّـهْ   ذاتِ هِبَابٍ في يَدَيْها جُلْبَهْ[٣]

فقال النعمان : أبو أمامة ! فأذنوا له ، فدخل فحيّاه وشرب معه ، ووردت النَّعَمُ السُّود ، ولم يكن لأحدٍ من العرب بعيرٌ أسودُ يُعلم مكانُه ، ولا يَفْتَحِلُ أحد فحلا أسودَ ، فاستأذنه أن ينشده ، فأنشده كلمتَه التي يقول فيها :

---

(١) المصراع في الأغاني ٩ : ١٥٥ والبيت في اللسان ١٠ : ٣٣٦ ولكنه أخطأ خطأ عجيباً ، إذ حكى قولا أنه « سماه به زياد بن معاوية » لهذا البيت ! كأنه ظن أن زياد بن معاوية غير النابغة ، وهو هو .

(٢) مضت القصة مختصرة ١١٠ وانظر الأغاني ٩ : ١٦٩ .

(٣) الهباب ، بكسر الهاء : النشاط . الجلبة ، بالجيم : الجلدة التي تغشى التميمة . وفي ب د « خلبة » بضم الخاء ، وبحاشية د « يعني حبل الليف » .

فإنَّكَ شَمْسٌ والمُلُوكُ كَوَاكبٌ … إذا طَلَعَتْ لم يَبْدُ منهنَّ كَوْكَبُ

فدفع إليه مائةَ ناقةٍ من الإبل السود ، فيها رِعاؤها ، فما حسدتُ أحدًا حسَدِى النابغةَ ، لِمَا رأيتُ من جزيل عطيَّته ، وسمعتُ من فضل شعره .

٢٥٢ ●ثم إنَّ النعمانَ بُلِّغ عنه شيئاً ، فنَذَر دمَه ، فسار النابغةُ إلى ملوك غسّانَ . وقد اختلفوا فى السبب الذى بلَغه عنه ، فقال قوم : ذكروا أنَّه هجاه فقال :

76 مَلِكٌ يُلاعِبُ أُمَّه وقَطِينَه … رِخْوُ المَفاصِل أَيْرُهُ كالمِرْوَد(١)

٢٥٣ ●وهجاه أيضاً فقال قصيدةً فيها :

قَبَحَ اللهُ ثم ثَنَّى بلَعْنٍ … وارثَ الصائغ الجَبَانَ الجَهُولَا(٢)

مَنْ يَضُرُّ الأدْنَى ويَعْجَزُ عن ضَـ … ـرِّ الأقَاصِى ومَن يَخُونُ الخَلِيلَا(٣)

يَجْمَعُ الجَيْشَ ذا الأُلُوفِ ويَغْزُو … ثم لا يَرْزَأُ العَدُوَّ فَتِيلَا

ووارثُ الصائغ هو النعمان بن المنذر ، وكان الصائغ جدَّ النعمان بن المنذر ، وأمّه سَلْمَى بنته ، واسمه عطيَّة ، ومنزلُه فَدَكُ .

ويقال إن هذا الشعرَ والذى قبله لم يَقُلْه النابغة ، وإنما قاله على لسانه قومٌ حسدوه ، منهم عبدُ قَيْس بن خُفَافٍ التميمى(٤) ، ومنهم مُرَّة بن ربيعة

---

(١) البيت والأبيات الآتية فى الأغانى ٩ : ١٥٨ . وهو فى الأغانى أيضاً ٢١ : ١٣١ فى قصيدة للمتلمس يهجو بها عمرو بن هند .

(٢) مضى البيت ١١٢ وضبط « قبح » هنا فى ل بتشديد الباء ، وهو خطأ كما بينا هناك . الصائغ : أثبت هنا وفيما يأتى بعد الأبيات فى ل « الصانع » وهو مخالف لما مضى ولما فى الأغانى .

(٣) عجز : من بابى « ضرب وسمع » وضبط المضارع هنا فى ل بضم الجيم ، وليس له سند .

(٤) هو برجمى ، والبراجم من بنى تميم ، انظر الإنباه لابن عبد البر ٧٧ . وعبد قيس هذا شاعر مجيد ، لم نجد له ترجمة . وله المفضليتان ١١٦ ، ١١٧ وهما الأصمعيتان ٨٧ ، ٨٨ وهما من الأدب الرفيع السامى .

ابن قَرْثَعٍ السعدىُّ(١).

٢٥٤ ● ويقال : كان السببُ فى مفارقتِه إيّاه ومصيرِه إلى غَسّانَ أن النعمانَ قال له وعنده المتجردةُ امرأتُه : صفْهالى فى شعرك يا أبا أُمامةَ ! فقال قصيدتَه التى أوّلها : * أَمِنَ آلِ مَيَّةَ رائحٌ أو مُغْتَدِ *

وقد ذَكر فيها بطنَها وعُكَنَها(٢) ومَتْنَها وروادفَها وفرجَها فقال(٣) :

وإذا لَمَسْتَ لَمَسْتَ أَخْثَمَ جاثِماً مُتَحَيِّزًا بمكانِهِ مِلْءَ اليَدِ(٤)

وإذا طَعَنْتَ طَعَنْتَ فى مُسْتَهْدِفٍ رابِى المَجَسَّةِ بالعَبِيرِ مُقَرْمَدِ(٥)

وإذا نَزَعْتَ نَزَعْتَ عن مُسْتَحْصِفٍ نَزْعَ الحَزَوَّرِ بالرِّشاءِ المُحْصَدِ(٦)

وكان للنعمان نديمٌ يقال له المُنَخَّل اليَشْكُرىُّ(٧)، يُتَّهَم بالمتجرِّدة ، ويُظَنُّ بِوَلَدِ النعمانِ منها أَنَّهم منه ، وكان المنخَّلُ جميلاً ، وكان النعمانُ قصيرًا دَميماً أبرشَ ، فلما سمعَ المنخَّلُ هذا الشعرَ قال للنعمان : ما يستطيع أن يقول مثلَ هذا الشعر إلَّا من قد جَرَّب ! فوقَر ذلك فى نفسه ، وبلغ النابغةَ ذلك ، فخافه فهرب إلى غسّانَ ، فصار فيهم . وانقطع إلى عمرو بن الحرث الأصغر بن الحرث الأعرج بن الحرث الأكبر بن أبى شَمِر الغسّانى ، 77

(١) اختلفت الروايات فى هذا الاسم ، ولم نجد له ترجمة . فى النسخ « قرثع » وفى هـ « قريع » بالتصغير ، وفى الأغانى « مرة بن سعد بن قريع » و « مرة بن سعد القريعى » وفى الخزانة ١ : ٣٧١ « مرة بن ربيعة بن قريع » .

(٢) العكن : الأطواء فى البطن من السمن .

(٣) الديوان ٣٢ .

(٤) الأخثم ، بالخاء والثاء : الجهاز المرتفع الغليظ . والبيت فى اللسان ١٤ : ٣٥٠ و١٥ : ٥٥ .

(٥) مستهدف : عريض منتصب . مقرمد : مطلى . والبيت فى اللسان ١١ : ٢٦١ وعجزه فيه ٤ : ٣٥١ .

(٦) مستحصف : ضيق . الحزور : الغلام الذى قد شب وقوى . الرشاء : الحبل . المحصد : المحكم المفتول . وعجز البيت فى اللسان ٥ : ٢٦٠ .

(٧) سيأتى خبره (٢٣٨ — ٢٣٩ ل) وفيه إشارة إلى هذه القصة . وله الأصمعية ١٤ .

وإلى أخيه النعمان بن الحرث ، فأقام النابغةُ فيهم فامتدحهم ، فَغَمَّ ذلك النعمانَ ، وبلغه أن الذى قُذف به عنده باطل ، فبعثَ إليه : إنَّك صرتَ إلى قومٍ قتلوا جدى فأقمتَ فيهم تمدحهُم ، ولو كنتَ صِرْتَ إلى قومك لقد كان لك فيهم ممتنَعٌ وحِصْنٌ ، إن كنَّا أردنا بك ما ظننتَ ، وسأله أن يعودَ إليه . فقال شعرَه الذى يعتذر فيه ، وقَدِمَ عليه مع زَبَّانَ بن سَيَّار ومنظورِ بن سَيَّارٍ الفَزَارِيَّيْنِ ، و كان بينهما وبين النعمان دُخْلُلٌ[١] ، فضَرب لهما قبَّةً ، ولا يَشعرُ أن النابغةَ معهما ، ودسَّ النابغةُ أبياتاً من قصيدته : * يا دارَ مَيَّةَ بالعَلْيَاءِ فالسَّنَدِ *

وهى[٢] :

نُبِّئْتُ أنَّ أبا قابُوسَ أَوْعَدَنِى ... ولا قَرارَ على زَأرٍ منَ الأَسَدِ[٣]
مَهْلاً فِدَاءٌ لَّكَ الأقوامُ كُلُّهُمُ ... وما أُثَمِّرُ مِن مالٍ ومن وَلَدِ[٤]
فلا لَعَمْرُ الَّذِى مَسَّحْتُ كَعْبَتَه ... وما أُرِيقَ على الأنْصَابِ من جَسَدِ[٥]
ما إنْ بَدَأتُ بشىءٍ أنت تَكْرَهُهُ ... إذَنْ فلا رَفَعَتْ سَوْطِى إلىَّ يَدِى

فلمَّا سمع النعمانُ الشعرَ أقسم بالله إنَّه لشعر النابغة ، وسأل عنه ، فأُخبر أنَّه مع الفزاريَّيْنِ ، وكلَّماه فيه فأمَّنه . 78

٢٥٥ ● قال الأصمعىُّ : كان النابغةُ يُضرب له قبَّةٌ حمراءُ من أَدَمٍ بسوقِ

(١) أصل « الدخلل » بضم الدال وسكون الخاء مع ضم اللام وفتحها : المداخل المباطن وصاحب السر ، وأراد به هنا المودة الصافية .

(٢) الديوان ٢٦ ، ٢٤ ، ٢٥ .

(٣) « قابوس » لا ينصرف للعجمة والتعريف ، وضبط فى ل مصروفاً ، وهو لحن ويختل به الوزن . والبيت فى اللسان ٨ : ٤٩ .

(٤) قال الوزير أبو بكر بن عاصم : « فداء : يروى بالرفع والكسر والنصب » .

(٥) الجسد : الدم .

عُكاظ ، فتأتيه الشعراء فتَعْرِضُ عليه أشعارَها .

٢٥٦ ●وقال أبو عُبيدةَ : يقول مَن فضَّل النابغةَ على جميع الشعراء : هو أوضحُهم كلامًا ، وأقلُّهم سَقطًا وحَشْوًا ، وأجودُهم مقاطعَ ، وأحسنُهم مَطالِعَ ، ولشعره ديباجةٌ ، إن شئتَ قلتَ : ليس بشعرِ مؤلَّفٍ ، من تأنُّثِه ولِينه ، وإن شئتَ قلتَ : صخرةٌ لو رُدِيَتْ بها الجبال لأزالتْها[1]. قال : وسمعتُ أبا عمرو بن العلاء يقول : كان الأخطل يُشَبَّه بالنابغة .

قال : وكان يُقْوِى فى شعره ، فدخل يثربَ فغُنِّىَ بشعره ، ففَطن فلم يَعُدْ للإقواء[2] .

٢٥٧ ●وممّا سَبَقَ إليه النابغةُ فأُخذ منه قولُه فى المرأة : * لو أنَّها عرضت * البيتين . أخذه بعضُ شعراء ضَبَّة ، وأحسِبُه ربيعةَ بن مقرومٍ فقال :
*لَوْ أنها * البيتين[3] . وقال النابغةُ : *فاستَبْقِ وُدَّكَ * البيت . أخذه ابنُ مَيَّادَةَ فقال * ما إنْ أُلِحُّ * البيت[4] .

٢٥٨ ●وممّا أخذه العلماءُ عليه قولُه فى صفة الثَّور [5] :

تَحِيدُ عن أَسْتَنٍ سُودٍ أسافِلُهُ
مَشْىَ الإماءِ الغَوَادِى تَحْمِلُ الحُزَمَا[6]

قال الأصمعىُّ : وإنَّما تُوصف الإماءُ فى مثل هذا الموضع بالرَّواح لا

---

(١) يقال « رداه بالحجارة يرديه رديا » إذا رماه بها .

(٢) انظر ما مضى ٤٢ ، ١٠٨ وما سيأتى (٨١ ل) .

(٣) مضى هذا ١٦٢ .

(٤) وهذا أيضاً ١٦١ .

(٥) الديوان ٦٨ ونقل الوزير شارحه كلام الأصمعى مختصراً .

(٦) الأستن ، بوزن أحمر : شجر يفشو فى منابته ويكثر ، وإذا نظر الناظر إليه من بعد شبهه بشخوص الناس . والبيت فى اللسان ١٧ : ٦٤ .

بالغُدُوِّ ، لأنّهنّ يجئن بالحطب إذا رُحْنَ ، ومثلُه قولُ الأخنس التغلبيّ[١] :

يَظَلُّ بها رُبْدُ النعامِ كأنّها إماءٌ تَزَجَّى بالعَشِيِّ حَوَاطِبُ[٢]

وقال بعضُ من طلب له التخرُّج : إنّما أراد أنّ الإماء تغدو لحمل الحُزَمِ رَوَاحاً .

٢٥٩ ● وأخذوا عليه قولَه[٣] :

تَخُبُّ إلى النُّعمان حتّى تَنَالَهُ فِدًى لكَ من رَبٍّ طَرِيفِى وتَالِدِى
وكُنْتُ امْرَءًا لَا أمْدَحُ الدَّهْرَ سُوقَةً فلَسْتُ على خَيْرٍ أتاكَ بحاسِدِ

فامتنّ عليه بمدحه ، وجعله خيرًا سِيقَ إليه لا يحسُدُه عليه[٤].

٢٦٠ ● وأخذوا عليه قولَه[٥] :

إذا ما غَزَا بالجَيْشِ حَلَّقَ فَوْقَهُ عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِى بعَصائِبِ
جوانحَ قد أيْقَنَّ أنَّ قَبِيلَهُ إذا ما الْتَقَى الجَمْعَانِ أوَّلُ غالِبِ

جَعل الطير تعلم الغالبَ من المغلوب قبل التقاء الجمعين ، والطيرُ قد تتبع العساكر للقتلى ، ولكنّها لا تعلم أيُّها يَغلب[٦] .

---

(١) شاعر جاهلى قديم ، قبل الإسلام بدهر . ترجمنا له فى المفضلية ٤١ والبيت هو الثالث منها .

(٢) تزجى : تساق . وفى ل « تزجى » بفتح التاء بالبناء للفاعل ، أى تتزجى ، وهو غير جيد . وانظر الموشح ٤٣ — ٤٤ .

(٣) الديوان ٣٤ .

(٤) انظر الموشح ٤٤ .

(٥) الديوان ٤ .

(٦) اعتراض غير جيد ، وقد فسر الوزير أبو بكر البيت على وجهه ، قال : « يريد أنها اعتادت بمصاحبتهم أن تقع على قتلى من يعاديهم ، فهذا هو يقينها ، لا أنها تعلم الغيب . وبين هذا فى البيت بعده * لهن عليهم عادة قد عرفنها * » . وهذا المعنى أول من قاله الأفوه الأودى وتبعه الشعراء ، كما فى المعاهد ٥٤٠ — ٥٤٢ . وبيت الأفوه .

وتَرَى الطيرَ على آثارِنا رأْىَ عين ثقةً أنْ ستُمارُ

٢٦١ • وأخذوا عليه قولَه في وصف السيوف(١) :

يطيرُ فُضَاضاً حَوْلَها كُلُّ قَوْنَسٍ ويَتْبَعُها منهم فَرَاشُ الحَواجِبِ(٢)
تَقُدُّ السَّلُوقِيَّ المُضَاعَفَ نَسْجُهُ ويُوقِدْنَ بالصُّفَّاحِ نارَ الحُبَاحِبِ(٣)

وذَكر أنها تقدُّ الدروع التي ضُوعف نسجُها والفارسَ والفرسَ ، حتى تبلغَ الأرضَ فتنقدح النارُ بها من الحجارة .

٢٦٢ • وقال صالح بن حَسّان لجلسائه : أَعلمتم أنَّ النابغة كان مخنَّثاً ؟! قالوا : وكيف علمتَ ذلك ؟ قال : بقوله(٤) :

سَقَطَ النَّصيفُ ولم تُرِدْ إسْقاطَهُ فتَنَاوَلَتْهُ واتَّقَتْنَا باليَدِ

لا والله ما عَرف تلكَ الإشارةَ إلّا مُخَنَّثٌ(٥) !!

٢٦٣ • قالوا : وقد سَبَقَ في صفة الثور إلى معنًى لم يُحْسِنْ فيه ، وأحسن فيه غيرُه ، قال يَذْكُرُه(٦) :

80 من وَحْشِ وَجْرَةَ مَوْشِيٍّ أَكَارِعُهُ
طاوِي المَصِيرِ كسَيْفِ الصَّيْقَلِ الفَرِدِ(٧)

---

(١) الديوان ٥ ، ٧ .

(٢) الفضاض : ما انفض وتكسر . القونس : أعلى البيضة من الحديد . الفراش : العظم الرقيق في الرأس أو غيره . والبيت في اللسان ٩ : ٧١ وعجزه فيه ٨ : ٢١٩ .

(٣) السلوقي : الدرع ، منسوب إلى « سلوق » قرية باليمن تنسب إليها الدروع والكلاب . الصفاح : حجارة عراض . نار الحباحب : ما اقتدح من شرر النار في الهواء من تصادم الحجارة . والبيت في اللسان ١ : ٢٨٨ و ١٢ : ٢٩ والبلدان ٥ : ١١٥ . وعجزه في اللسان ٣ : ٣٤٥ .

(٤) الديوان ٣٠ .

(٥) الموشح ٤٢ — ٤٣ .

(٦) الديوان ١٨ ونقل شارحه بعض قول المؤلف .

(٧) وجرة : موضع بين مكة والبصرة كثير الوحش . موشى أكارعه : هو أبيض وفي قوائمه نقط سود . المصير : المعى ، جمعه مصران ، وجمع الجمع مصارين . الفرد ، بفتحتين وبضمتين وبفتح فضم أو فكسر : المنفرد . وفسر المؤلف الفرد ، بفتح فكسر ، بأنه المسلول من غمده ، ولم أجده في المعاجم .

أراد بالفَرِد : أنَّه مسلول من غمده . وأخذه الطِّرمّاحُ فأحسنَ ، قال يذكر الثور :

يَبْدُو وتُضمِرُهُ البلادُ كأنَّه   سَيْفٌ على شَرَف يُسَلُّ ويُغْمَدُ

وكان الأصمعيُّ يستحسنُ قولَ الطرمّاح .

٢٦٤ ● قالوا : وأفرط فى وصف العُنُقِ بالطُّولِ ، فقال يذكر امرأةً :

إذَا ارتَعَشَتْ خاف الجَبَانُ رِعاثَها   ومَن يَتَعَلَّقْ حَيْثُ عُلِّقَ يَفْرَق

والرِّعاثُ : القُرط . وقال غيرُه فأحسنَ :

على أنَّ حِجْلَيْهَا وإنْ قُلْتَ أوسِعَا   صَمُوتَانِ من مَلْءٍ وقِلَّةِ مَنْطِقِ[1]

٢٦٥ ● ومما سَبق إليه ولم يُنَازَعْه قولُه[2] :

فإنَّكَ كالَّليْلِ الذى هو مُدْرِكى   وإنْ خِلْتُ أنَّ المُنْتَأىٰ عنكَ واسِعُ

ثم قال :

خَطَاطِيفُ حُجْنٌ فى حِبَالٍ مَتِينَةٍ   تَمُدُّ بها أيْدٍ إليك نَوَازِعُ

قال أبو محمَّد : رأيتُ قوماً يستجيدونه . وهو عندى غيرُ جيِّدٍ فى المعنىٰ ولا التشبيهِ .

٢٦٦ ● وكان الأصمعيُّ يُكثر التعجُّبَ من قوله[3] :

وعَيَّرَتْنى بنو ذُبْيَانَ خَشْيَتَهُ   وهل علىَّ بأنْ أخْشَاكَ من عارِ

قال : ومما سَبق إليه ولم يُجَاذَبْهُ قولُه فى أول شعره :

* كِلِينِى لِهَمٍّ يا أُمَيْمَةَ ناصِبِ *

---

(١) الحجل ، بكسر الحاء وفتحها : الخلخال .

(٢) الديوان ٥٥ والبيتان مضيا ، الأول ١٥٩ والثانى ٦٨ .

(٣) الديوان ٤٤ .

٢٦٧ ● قالوا : وقايَس في شعره فأَحسنَ ، قال للنعمان حين فارقَه[١] :

وَلٰكِنَّنِي كُنْتُ امْرَأً لِيَ جانِبٌ   مِنَ الأَرضِ فيه مُسْتَمَازٌ ومَذْهَبُ[٢]

مُلُوكٌ وإِخْوَانٌ إِذَا ما لَقِيتُهُمْ   أُحَكَّمُ في أَمْوَالِهِم وأُقَرَّبُ

كفِعْلِكَ في قَوْمٍ أَرَاكَ اصْطَنَعْتَهُمْ   وَلَمْ تَرَهُمْ في شُكْرِ ذلك أَذْنَبُوا

يقول : اجعلْني كقومٍ صاروا إليك وكانوا مع غيرك ، فاصطنعتَهم وأحسنْتَ إليهم ، ولم تَرَهم مذنبين إذْ فارقوا من كانوا معه ، يقول : فأَنا مثلُهم ، صِرْتُ عنك إلى غيركَ ، فاصطنِعْ إلىَّ ، فلا تَرَني مذنباً إذْ لم تَرَ أولئك مذنبين[٣] .

٢٦٨ ● ومن جيِّدِ شعره قولُه :

ولَسْتَ بِمُسْتَبْقٍ أَخاً لا تَلُمُّهُ   على شَعَثٍ ، أَيُّ الرجالِ المُهَذَّبُ ؟

يقول : مَن لم تُصلحْه وتُقَوِّمْه من الناس فلستَ بمستبقيه ولا راغبٍ فيه[٤] .

٢٦٩ ● ويُسْتَجَادُ له قولُه في صفة المرأة[٥] :

نَظَرَت إِلَيْكَ بحاجةٍ لم تَقْضِها   نَظَرَ السَّقِيمِ إلى وُجُوه العُوَّدِ

يقول : نظرتْ إليكَ ولم تَقْدِر أن تكلِّمك ، كما ينظر المريضُ إلى وجوه عُوّاده ، ولا يقدرُ أن يُكلِّمهم .

---

(١) الديوان ١٣ .

(٢) استماز عن الشيء : تباعد منه وانفصل .

(٣) هذا النص نقله الوزير أبو بكر في شرح بيت النابغة .

(٤) الديوان ١٤ ونقل الشارح أيضاً كلام المؤلف هنا . وفي اللسان ٢ : ٤٦٦ « أي لا تحتمله على ما فيه من زلل ، فتلمه وتصلحه وتجمع ما تشعث من أمره » . وهذا المعنى أجود وأصح ، إذ يريد أن ينصح بالعفو عن خطأ الإخوان ، وأين الرجل الكامل ؟

(٥) الديوان ٣٠ .

٢٧٠ ●ويُستجادُ له قولُه :

تُكَلِّفُنى أنْ يَفْعَلَ الدَّهْرُ هَمَّهَا
وهَلْ وَجَدَتْ قَبْلى على الدَّهْرِ قادِرَا [١]

٢٧١ ●ومما أكفأ فيه قولُه فى قصيدةٍ مجرورةٍ ، أوَّلُها [٢] :

قالت بنو عامرٍ : خَالُوا بَنِى أَسَدٍ يا بُؤْسَ للجَهْلِ ضَرَّارًا لأقْوَامِ

وقال فيها :

تَبْدُو كَوَاكِبُهُ والشَّمْسُ طالِعَةٌ لا النُّورُ نُورٌ ولا الإظْلامُ إظلامُ

وقال فى قصيدته التى أوَّلُها : * أَمِنَ آلِ مَيَّةَ رائحٌ أو مُغْتَدِ *

* وبذاك خَبَّرَنا الغرابُ الأَسْوَدُ [٣] *

(١) همها : مرادها . يعنى هم نفسه ومرادها .
(٢) مضى البيتان ٩٥ .
(٣) ومضى هذان أيضاً ١٥٧ — ١٥٨ .

٥ — المسيب بن علس[١]

٢٧٢ ● هو من شعراءِ بَكْرِ بن وائلٍ المعدودين ، وخالُ الأَعْشَى . وهو القائلُ :

وَلَقَدْ بَلَوْتُ الفاعِلِينَ وفِعْلَهم ... فَلِذِى الرُّقَيْبَةِ ما لَهُ مِثْلُ[٢]

كَفَّاهُ مُخْلِفَــةٌ ومُتْلِفَةٌ ... وعَطــاؤُهُ مُتَخَرِّقٌ جَزْلُ[٣]

٢٧٣ ● ويُستحسن قولُه :

تَبِيتُ المُلوكُ على عَتْبِها ... وشَيْبانُ إنْ غَضِبَتْ تُعْتَبُ

وكالشُّهْدِ بالراحِ أَخْلَاقُهُمْ ... وأَحْلامُهُمْ منهما أَعْذَبُ[٤]

وكالمِسكِ تُرْبُ مَناماتِهِمْ ... ورَيَّا قُبُورِهِمُ أَطْيَبُ

* * *

٢٧٤ ● هو[٥] من جُمَاعة[٦] ، وهم من بنى ضُبَيْعَةَ بن ربيعةَ بن نِزَار ، ويكنَى أبا الفِضَّة ، وهو خالُ الأَعْشَى أَعْشَى قَيْسٍ ، وكان الأعشى راويتَه .

---

(١) ترجمنا له فى المفضلية ١١ وانظر الخزانة ١ : ٥٤٥ — ٥٤٦ والاشتقاق ١٩١ — ١٩٢ والأنبارى ٩١ — ٩٢ .

(٢) من قصيدة فى جمهرة أشعار العرب ١١١ وروايته «ولذى الرقيبة مالك فضل» وقال : «ذو الرقيبة : مالك بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة» .

(٣) تخرق فى الكرم : اتسع .

(٤) أعتبه : أعطاه العتبى ورجع إلى مسرته . الشهد ، بالضم والفتح : العسل .

(٥) هذه الترجمة زيادة فى ب ه د .

(٦) جماعة : بضم الجيم ، وأثبت فى ل « خماعة » بضم الخاء . وأشار فى الخزانة إلى القولين ، وحكى أن رواية الخاء رواية ابن السكيت . وقد حكى الروايتين الأنبارى فى شرح المفضليات وقال : « والذى قال يعقوب ليس بشىء ، لأن الثقات من رواة النسب رووه بالجيم » . واقتصر فى الاشتقاق على رواية الجيم ، وفسره بأنه من « التجمع » . وكذلك أثبته شرح القاموس عن الرشاطى ٥ : ٣٠٧ .

واسمه زُهير بن عَلَس ، وإنما لقِّب « المسيَّبَ » ببيتٍ قاله[1]. وهو جاهليٌّ لم يدرك الإسلام . وكان امتَدح بعضَ الأَعاجم ، فأَعطاه ، ثم أَتى عدوًّا له من الأَعاجم يَسأَلُه ، فسمَّه فماتَ ، ولا عَقِبَ له .

٢٧٥ ● وممّا سَبَق إليه فأُخذ منه قولُه يذكر ثغرَ المرأة :

وكأَنَّ طَعْمَ الزَّنْجَبِيلِ به إذْ ذُقْتَهُ وسُلافَةَ الخمْرِ
شَرِقاً بماءِ الذَّوْبِ أَسْلَمَهُ لِلْمُبْتَغيهِ مَعاقلُ الدَّبْرِ[2]

وقال الجعْدِيُّ[3] :

وكأَنَّ فاها باتَ مُغْتَبِقاً بَعْدَ الكَرَىٰ من طَيِّبِ الخَمْرِ
شَرِقاً بِماءِ الذَّوْبِ أَسْلَمَهُ بالطَّوْدِ أَيْمَنُ من قُرَىٰ النَّسْرِ

٢٧٦ ● وقال المسيَّبُ فى النَّحْل :

سُودُ الرُّؤُوسِ لصَوْتِها زَجَلٌ مَحْفُوفةٌ بمَسارِبٍ خُضْرِ[4]

وقال الجَعْدِيُّ :

قُرْعُ الرُّؤُوسِ لصَوْتِها زَجَلٌ فى النَّبْعِ والكَحْلاءِ والسِّدْرِ[5]

---

(١) البيت فى الاشتقاق ، ونقل عنه فى الخزانة ، وهو :

فإن سركم أن لا تؤوب لقاحكم غزاراً فقولوا للمسيب يلحق

وفى الأنبارى عن أبى فيد مؤرج قال : « إنما لقب زهير بن علس بالمسيب حين أوعد بنى عامر بن ذهل ، فقالت له بنو ضبيعة : قد سيبناك والقوم » . وهذا كله يدل على أنه « المسيب » بصيغة اسم المفعول ، وفى الخزانة أنه بصيغة اسم الفاعل ، وهو خطأ أو شذوذ .

(٢) شرقاً : مختلطاً ، وهو حال . وكذلك ثبت فى الأصول واللسان ١٢ : ٤٤ منصوباً ، وغيره مصحح ل إلى الرفع ، ظنه خبر « كأن » فى البيت الأول ! وخبرها « به » .
الدبر : النحل والزنابير .

(٣) هو النابغة الجعدى .

(٤) الزجل : رفع الصوت ، وخص به التطريب .

(٥) الكحلاء : نبت ترعاه النحل . والبيت فى اللسان ١٤ : ١٠٤ .

بَكَرَتْ تُبَغِّى الخَيْرَ فى شُبُلٍ مَخْرُوفَةٍ ومسارِبٍ خُضْرِ[١]

٢٧٧ ●وقال المسيَّبُ يذكر النحلَ :

بَكَرَتْ تَعَرَّضُ فى مَـراتِعِها فَوْقَ الهِضَابِ بمَعْقِلِ الوَبْرِ[٢]

وغَدَتْ لمَسْرَحِها ، وخالَفَها مُتَسَرْبِلٌ أَدَماً على الصَّدْرِ

فأصاب ما حَذِرَتْ ، ولو عَلِمَتْ حَدِبَتْ عليه بِضَيِّقٍ وَعْرِ

حَتَّى تَحَدَّرَ من عَوَازِبِهِ أُصُلاً بِسَبْعِ ضَوائِنٍ وُفْرِ[٣]

وقال الجَعْدِىُّ :

حَتَّى إذا عَقَلَتْ وخالَفَهَا مُتَسَرْبِلٌ أَدَماً على الصَّدْرِ[٤]

صدَعٌ أُسَيِّدُ من شَنُوءَةَ مَشَّاءٌ قَتَلْنَ أباه فى الدَّهْرِ[٥]

يَمْشِى بمِحْجَنِه وقِرْبَتِهِ مُتَلَطِّفًا كَتَلَطُّفِ الوَبْرِ

فأصابَ غِرَّتَها ولو شَعَرَتْ حَدِبَتْ عليه بضَيِّقٍ وَعْرِ

حتَّى تَحَدَّرَ من منازِلِها أُصُلاً بسَبْعٍ ضَوائِنٍ وُفْرِ

٢٧٨ ●ومما يُستجادُ له من شعره قولُه فى ذى الرُّقَيْبَةِ * ولقد شهدت * البيتين[٦] ، وقوله فى بنى شيبانَ * تبيت الملوك * الثلاثة الأبيات[٧] .

---

(١) مخروفة : مجنية ، يقال « خرف النخل يخرفه خرفاً » صرمه واجتناه .

(٢) الوبر : دويبة على قدر السنور ، غبراء أو بيضاء ، من دواب الصحراء ، حسنة العينين شديدة الحياء ، وهى طحلاء اللون لا ذنب لها ، تدجن فى البيوت .

(٣) ضوائن : جمع ضائنة ، وأصلها الشاة من الغنم ، وأراد به السقاء المتخذ من مسكها ، كما قالوا « الضِّئنى » للسقاء الذى يمخض به الرائب إذا كان ضخما من جلد الضأن . وصرف لضرورة الشعر ، وأثبت فى ل ، هنا وفى بيت الجعدى الآتى بالمنع من الصرف ، وبه يختل الوزن .

(٤) عقلت : صعدت فى الجبل وامتنعت .

(٥) الصدع ، بفتح الدال وسكونها : الرجل الشاب المستقيم القناة ، شبه بالصدع من الوعول ، وهو المدمج الشديد الخلق الشاب الصلب القوى . أسيد : تصغير أسود .

(٦) مضى ١٧٤ .

(٧) مضى أيضاً ١٧٤ .

84

٢٧٩ ● ومِمَّا سُبق إليه فأُخذ منه قولُه فى الناقة :

مَرِحَتْ يَداها للنَّجاءِ كأَنَّما ... تَكْرُو بِكَفَّىْ ماقِطٍ فى قاعِ[1]

تكرو : تلعَبُ بالكُرَة . والماقِطُ : الذى يَضرِب بالكُرَة الحائطَ ثم يأْخذُها .

أخذه الشماخُ فقال :

كأَنَّ أَوْبَ يَدَيْها حينَ عاوَدَها ... أَوْبُ المِراحِ وقد همُّوا بتَرْحالِ

مَقْطُ الكُرِينَ على مَكْنُوسَةٍ زَلَفٍ ... فى ظَهْرِ حَنَّانَةِ النِّيرَيْنِ مِغْوالِ[2]

٢٨٠ ● ويُستجاد له قولُه[3] :

لو كُنْتَ من شىءٍ سِوَى بَشَرٍ ... كنْتَ المُنَوِّرَ لَيْلَةَ البَدْرِ

٢٨١ ● ويُستجاد له قولُه فى المرأة :

تَامَتْ فُؤادَكَ إذْ له عَرَضَتْ ... حَسَنٌ برَأْىِ العَيْنِ ما تَمِقُ[4]

بانَتْ وصَدْعٌ فى الفُؤادِ بهـا ... صَدْعَ الزُّجاجَةِ لَيْسَ يَتَّفِقُ

٢٨٢ ● وأُخذ عليه قولُه فى الناقة :

وكأَنَّ غارِبَها رُباوَةُ مَخْرِمٍ ... وتَمُدُّ ثِنْىَ جَدِيلِها بشِراعِ[5]

---

(١) النجاء : السرعة . والبيت من المفضلية ١١ : ١٣ وهو فى اللسان ١٠ : ٨٣ و ٢٠ : ٨٣ .

(٢) الكرين ، بضم الكاف وكسرها : جمع كرة . زلف : ملساء كالمرآة .

(٣) البيت من قصيدة يمدح بها قيس بن معدى كرب الكندى ، ذكر بعضها فى الخزانة مشروحاً ١ : ٥٤٢ — ٥٤٥ ونقل أن أبا عبيدة وابن دريد نسباها للأعشى ، وأما الأصمعى فقد أثبتها للمسيب ابن علس . وأنا أرجح أن الأبيات الرائية الماضية من هذه القصيدة نفسها . وقد اضطرب ابن قتيبة فى هذا البيت ، فنسبه هنا للمسيب ، وذكره فيما مضى ٨٨ فى أبيات لزهير بن أبى سلمى .

(٤) تامت فؤادك : استعبده هواها وأذهب عقله . والذى أثبتنا هو ما فى ب وهو الصواب ، وفى ل تبعاً لبعض الأصول « تأمن » بضم النون ، وهو خطأ ويختل به الوزن . تمق : تحب ، والوامق : المحب .

(٥) الرباوة بتثليث الراء : ما من ارتفع الأرض وربا . المخرم ، بكسر الراء : منقطع أنف الجبل .

أراد : تَمُدُّ جديلَها بعُنق طويلة . والجَديل : الزمامُ . وأراد أن يشبّه العُنق بالدَّقَلِ[١] فشبَّهها بالشِّرَاع . قال ابنُ الأعرابىّ : لم يَعرفِ الشراعَ من الدقَل . وليس هذا عندى غلطاً ، والشراعُ يكونُ على الدقَل ، فسُمّى باسمه ، 85 والعربُ تسمّى الشىء باسمِ غيرِه إذا كان معه وبسببه ، يدلُّ على ذلك قولُ أبى النَّجْمِ :

كأنَّ أَهْدَامَ النَّسِيلِ المُنْسَلِ على يَدَيْها والشِّرَاعِ الأَطْوَلِ

أراد بقايا الوَبَر على يديها وعنقها ، فسمَّى العُنق شِراعاً[٢].

(١) الدقل : الخشبة التى يمد عليها الشراع فى وسط السفينة .
(٢) سيأتى (٨٧ — ٨٨ ، ٤١٠ ل) عن أبى عبيدة : أنهم اتفقوا على أن المسيب أحد ثلاثة هم أشعر المقلين فى الجاهلية .

٦ — المتلمس

٢٨٣ ● هو جَرير بن عبد المسيح ، من بنى ضُبَيعةَ ، وأخوالُه بنو يَشْكُرَ ، وكان ينادم عمرَو بن هندٍ ملكَ الحِيرة ، وهو الذى كان كَتَب له إلى عامل البَحْرين مع طَرَفَةَ بقتله ، وكان دَفَع كِتابَه إلى غلامٍ بالحِيرة ليقرأه ، فقال له : أنْتَ المُتَلَمِّسُ ؟ قال : نعم ، قال : فالنجاءَ ، فقد أمر بقتلك ، فنبذَ الصحيفةَ فى نهر الحيرة وقال [1] :

أَلْقَيْتُها بالثِّنْيِ من جَنْبِ كافِرٍ ... كذٰلِكَ أُقْنِى كلَّ قِطٍّ مُضَلَّلِ [2]
رَضِيتُ لها بالماءِ لمّا رَأَيْتُها ... يَجُولُ بها التَّيّارُ فى كلِّ جَدْوَلِ

وكان أشار على طرفةَ بالرجوع ، فأبَى عليه ، فهرب إلى الشأم ، فقال [3] :

مَنْ مُبْلِغُ الشُّعَراءِ عن أَخَوَيْهِمُ ... خَبَرًا ، فتَصْدُقَهُمْ بذاكَ الأَنْفُسُ
أَوْدَى الذى عَلِقَ الصَّحِيفةَ منهما ... ونَجَا ، حِذَارَ حِبائِهِ ، المُتَلَمِّسُ

---

(١) ستأتى الإشارة إلى القصة وشىء من التفصيل ٨٧ ، ٩١ ل وهى فى الأغانى ٢١ : ١٢٥ — ١٢٧ ومعجم البلدان ٧ : ٢٠٨ والخزانة ١ : ٤٤٦ و ٣ : ٧٣ ومجمع الأمثال ١ : ٣٥٠ — ٣٥٢ .

(٢) اللسان ٦ : ٤٦٣ و ٢٠ : ٦٥ والثنى : منعطف النهر . كافر : اسم علم لنهر الحيرة . أقنى : واضحة المعنى ، من الإقناء ، وهكذا رواية هذا الكتاب . ورواية معجم البلدان « أفنو » بالفاء ، ولا معنى لها . ورواية الأغانى ومجمع الأمثال ومختارات ابن الشجرى « أقنو » بالقاف ، وفسرها فى الأغانى : « قال أبو عمرو : أقنو : أحفظ ، وقال غيره : أقنو : أجزى ، يقال : لأقنونك قناوتك ، أى لأجزينك بفعلك » . ونحو هذا فى اللسان . وفى الأغانى : « القط : الصحيفة . فيقول : حفظى لهذا الكتاب أن أرمى به فى الماء » .

(٣) الأبيات فى الخزانة ٣ : ٧٣ . وهى فى الأغانى ٢١ : ١٢٧ مع آخرين ، والأولان فيه ١٢٦ دون الثالث مع ثلاثة أخر .

أَلْقِ الصَّحِيفَةَ ، لا أَبا لكَ ، إنَّه
يُخْشَى عليك من الحِباءِ النِّقْرِسُ[١]

٢٨٤ ● ومن جيِّد شعره قولُه [٢] :

86 وما كنتُ إلا مِثْلَ قاطِعِ كَفِّه ... بكَفٍّ له أُخرَى فأَصْبَحَ أَجْذَمَا
يَداه أَصابَتْ هذه حَتْفَ هذه ... فلم تَجِدِ الأُخرَى عليها مُقَدَّمَا
فلمّا استقادَ الكفُّ بالكَفِّ لم يَجِدْ ... له دَرَكًا في أن تَبِينَا فأَحْجَمَا
فأَطْرَقَ إطْرَاقَ الشُّجاعِ ولو رَأَى ... مَساغاً لِنَابَاهُ الشُّجاعُ لَصَمَّمَا[٣]
لِذِي الحِلْمِ قَبْلَ اليومِ ماتُقْرَعُ العَصَا ... وما عُلِّمَ الإنسانُ إلّا لِيَعْلَمَا[٤]

٢٨٥ ● ومن إفراطه قولُه [٥] :

---

(١) النقرس : داء معروف فى الرجلين ، وفسر فى اللسان هنا ٨ : ١٢٧ بالهلاك والداهية العظيمة .

(٢) الأبيات فى الأغانى ٢١ : ١٣٣ ، ١٣٧ . وهى من الأصمعية ٩٢ وهى ١٨ بيتاً عدا البيت الثانى ، وكلها فى مختارات ابن الشجرى ٩ فى ١٩ بيتاً . وذكر منها فى الخزانة ١٣ بيتاً ٤ : ٢١٤ — ٢١٦ ومنها ٦ أبيات فى لباب الآداب ٣٩٣ . وفى الأغانى عن أبى عبيدة : « لم يسبق المتلمس إلى قوله » فذكر هذه الأبيات الخمسة ، وفيه أيضاً عنه : « لم أسمع لأحد بمثل هذه الأبيات حكمة وأمثالا من أولها إلى آخرها ، وفيها من الأمثال السائرة ما يضرب مثلا للحكيم عند نسيانه » .

(٣) صمم : عض ونيب فلم يرسل ما عض . و « ناباه » أثبتت هكذا فى الأصول بالألف ، على لغة من يلزم المثنى الألف ، فغيره مصحح ل إلى اللغة المشهورة « لنابيه » . وفى اللسان ١٥ : ٢٣٩ « قال الأزهرى : هكذا أنشده الفراء لناباه على اللغة القديمة لبعض العرب » . وكذلك أنشده الطبرى فى تفسيره ١٦ : ١٣٦ شاهداً لهذه اللغة ، ونقل أنها لغة بلحرث بن كعب وخثعم وزبيد ومن وليهم من قبائل اليمن . وكذلك أنشده فى الخزانة ٣ : ٣٣٧ ولم ينسبه . والبيت أخذه عمرو بن شأس والد عرار ، فى قصيدته التى يقول فيها * أرادت عراراً بالهوان * فقال :

فأطرق إطراق الشجاع ولو يرى ... مساغاً لنابيه الشجاع لقد أزم

انظر معجم الشعراء للمرزبانى ٢١٣ . « الأزم » : شدة العض .

(٤) ذو الحلم : عامر بن الظرب العدوانى ، كما فى الأغانى . وانظر مجمع الأمثال ١ : ٣٢ — ٣٣ « إن العصا قرعت لذى الحلم » .

(٥) فى الأغانى ٢١ : ١٣٦ فى هذا البيت عن أبى على الحاتمى أنه « أشرد مثل قيل فى البغض ... حكى ذلك أبو عبيدة وزعم أنه أسير مثل فى البغض » .

أحارثُ إنَّا لو تُساطُ دِماؤنا تزايَلْنَ حتَّى لا يَمَسّ دَمٌ دَمَا[١]

يقول : إن دماءهم تَنماز من دماء غيرهم ، وهذا ما لا يكون .

٢٨٦ ● وسُمِّيَ المتلمّس بقوله :

وذاكَ أوانُ العِرْضِ جُنَّ ذُبابُهُ زَنَابِيرُهُ والأَزْرَقُ المُتَلَمِّسُ

العِرْض : الوادى . ويُرْوَى «حَيٌّ ذُبابُه[٢]» .

* * *

٢٨٧ ● هو[٣] المتلمِّس بن عبد العُزَّى ، ويقال : ابنُ عبد المسيح ، من بنى ضُبَيْعةَ بن ربيعةَ ، ثم من بنى دَوْفَنٍ ، وأخوالُه بنو يشكرَ ، واسمه جَرير ، وسُمِّيَ المتلمِّس بقوله :

فهذا أوانُ العِرْضِ حَيًّا ذُبابُه زنابيرُه والأَزْرَقُ المتلمِّسُ

٢٨٨ ● وكان ينادمُ عمرَو بن هندٍ ملكَ الحيرة هو وطَرَفَةُ بنُ العَبْدِ[٤] ، فهجَواه ، فكتَب لهما إلى عامله بالبَحْرَيْن كتابَيْن ، أوهمهما أنّه أمر لهما فيهما بجوائزَ ، وكتب إليه يأمره بقتلهما ! فخرجا حتَّى إذا كانا بالنَّجَف ، إذا هما بشيخ على يسارِ الطريق ، يُحْدِث ، ويأكُل من خبزٍ فى يده ،

87

(١) الحرث : هو « ابن قتادة بن التوأم ، الذى كان يناقض امرأ القيس بن حجر ويتعرض له » كما فى الاشتقاق ٢٠٦ . تساط : تخلط ، وفى بعض الروايات « تشاط » والمعنى واحد ، والروايتان ثابتتان فى اللسان ٩ : ٢١٢ . وستأتى رواية الشين المعجمة (٨٨ ل) .

(٢) الرواية الأولى توافق رواية الأغانى ٢١ : ١٢٠ واللسان ٨ : ٩٤ و ٩ : ٣٤ وقال : « يعنى الذباب الأخضر » . والرواية الثانية توافق رواية الاشتقاق ١٩٢ .

(٣) هذه الترجمة زيادة فى ب د هـ .

(٤) مضت القصة مختصرة ١٧٩ وأشرنا هناك إلى مصادر تفصيلها .

ويتناولُ القملَ من ثيابه فيَقْصَعُه ! فقال المتلمّس : ما رأيتُ كاليوم شيخاً أحمقَ ! فقال الشيخُ : وما رأيتَ من حُمْقِى ؟ أُخرِجُ خَبِيثاً ، وأُدْخِلُ طيّباً ، وأقتلُ عدوًّا ، أحمقُ منّى واللهِ مَن حاملٌ[1] حَتْفَه بيده ! ! فاستراب المتلمِّس بقوله ، وطلع عليهما غلامٌ من أهل الحيرة ، فقال له : المتلمّس : أتقرأُ يا غلام ؟ قال : نعم ، ففكّ صحيفتَه ودفَعها إليه ، فإذا فيها : أمّا بعدُ ، فإذا أتاك المتلمِّس فاقطعْ يديه ورجليه وادْفِنْه حيًّا ، فقال لطَرَفةَ : ادفعْ إليه صحيفتَك يقرأها ، ففيها واللهِ ما فى صحيفتى ، فقال طَرَفةُ : كَلَّا ، لم يكن ليجترئَ علىَّ ! فقَذَف المتلمِّس بصحيفته فى نهر الحِيرَة وقال : * قذفتُ بها * البيت[2] ، وأخذ نحوَ الشأم ، وأخذ طرفةُ نحوَ البَحْرين ، فضُرب المثلُ بصحيفةِ المتلمِّس .

٢٨٩ ● وحرّم عمرُو بن هندٍ على المتلمِّس حَبَّ العِراقِ ، فقال :

آلَيْتَ حَبَّ العِراقِ الدَّهْرَ آكُلُهُ
والحَبُّ يأكُلُه فى القَرْيَةِ السُّوسُ[3]

وأتى بُصْرَىٰ فهَلك بها . وكان له ابنٌ يقال له عبدُ المَدَان[4] ، أدركَ الإسلام ، وكان شاعرًا ، وهلَك ببُصْرَىٰ ولا عَقِبَ له .

٢٩٠ ● قال أبو عُبَيْدَة : واتّفَقوا على أن أشعر المُقِلِّين فى الجاهليّة ثلاثةٌ : المتلمّس ، والمسيَّبُ بن عَلَس ، وحُصَينُ بن الحُمَامِ المُرّىّ . 88

---

(١) ب « من حمل » وفى الأغانى « من يحمل » .

(٢) فيما مضى « ألقيتها بالثنى » إلخ .

(٣) القصة نقلها ابن الشجرى فى مختاراته عن ابن قتيبة ، جعلها تقدمة للقصيدة رقم ١٠ والبيت منها ، وهى عنده فى ١٨ بيتاً . وهى أيضاً فى جمهرة أشعار العرب ١١٣ – ١١٤ فى ١٤ بيتاً . آليت خطاب لعمرو بن هند ، وضبط فى ل بضم التاء ضمير المتكلم ، وهو خطأ .

(٤) كذا هنا ، وفى الأغانى ٢١ : ١٢٢ والسمط ٣٠٢ والإصابة ٥ : ١٠٠ « عبد المنان » .

٢٩١ ●وممّا يُعاب من شعره قولُه :

وقد أتَنَاسَى الهَمَّ عِنْدَ احتضارِهِ   بناجٍ عليه الصَّيْعَرِيَّةُ مُكْدَمِ[١]

والصَّيعريَّةُ سِمَةٌ للنُّوق لا للفُحُول ، فجعلها لفحلٍ . وسمعه طَرَفَةُ وهو صبيٌّ ينشدُ هذا ، فقال : «اسْتَنْوَقَ الجملَ» ! فضحك[٢] الناسُ وسارت مَثَلا . وأتاه المتلمّسُ فقال له : أخرِجْ لسانَك ، فأخرجه ، فقال : ويلٌ لهذا من هذا يريد : ويلٌ لرأسه من لسانه .

٢٩٢ ●ويعابُ قولُه : * أحارثُ إنّا لو تُشاط * البيت . وهذا من الكذب والإفراط[٣].

٢٩٣ ●ومثلُه قولُ رجل من بنى شيبانَ : كنتُ أسيرًا مع بنى عمٍّ لى ، وفينا جماعة من موالينا ، فى أيدى التغالبة ، فضربوا أعناقَ بنى عمّى وأعناقَ الموالى على وَهْدَةٍ من الأرض ، فكنتُ واللهِ أرىٰ دمَ العربىِّ يَنماز من دمِ المولى حتى أرىٰ بياضَ الأرضِ بينهما ، فإذا كان هجيناً قام فوقَه ولم يعتزلْ عنه ! !

٢٩٤ ●ويُتمثَّلُ من شعره بقوله[٤] :

---

(١) الصيعرية : اعتراض فى السير ، وهو من الصعر ، والصيعرية سمة فى عنق الناقة خاصة . المكدم : الغليظ أو الصلب . والقصة مفصلة فى الأغانى ٢١ : ١٣٢ وأشار إليها فى اللسان ٦ : ١٢٧ و ٩ : ٢٤١ .

(٢) «الجمل» بالنصب مفعول ، أى جعله كالناقة . ويؤيده تفسير الأغانى : «أى وصفت الجمل بوصف الناقة وخلطت» . وضبط فى اللسان بالرفع ، وفسره عن ابن سيده : «استنوق الجمل : صار كالناقة فى ذلها» .

(٣) هذا النص نقل فى الأغانى ٢١ : ١٣٦ عن المؤلف . وانظر ما مضى ١٣٣ .

(٤) نقل كلام المؤلف هنا فى الأغانى ٢١ : ١٣٦ ثم كرر البيتان الثانى والثالث فيه ١٣٧ ونقل عن أبى على الحاتمى أنه وصفها بأنهما «أشرد مثل قيل فى حفظ المال وتثميره» . وهما أيضاً فى حماسة البحترى ٢١٦ . والثالث فى عيون الأخبار ٣ : ١٩٥ .

وأَعْلَمُ عِلْمَ حَقٍّ غيرَ ظَنٍّ   وتَقْوَىٰ اللهِ من خَيْرِ العَتَادِ
لَحِفْظُ المالِ أَيْسَرُ مِنْ بُغَاهُ   وضَرْبٍ فى البِلادِ بغَيْرِ زَادِ
وإِصْلاحُ القَلِيلِ يَزِيدُ فيه   ولا يَبْقَىٰ الكثيرُ على الفَسَادِ

٧ ـ طرفة بن العبد[١]

٢٩٥ ● هو طَرَفَةُ بنُ العَبْدِ بن سفيانَ ، وهو أجودُهم طويلةً ، وهو القائلُ :
* لِخَوْلَةَ أطْلالٌ بِبُرْقَةِ ثَهْمَدِ[٢] * وله بعدَها شعرٌ حسن[٣] ، وليس عندَ الرُّواةِ من شعره وشعرِ عَبيد إلَّا القليلُ[٤].

٢٩٦ ● وكان فى حَسَبٍ من قومه ، جَرِيئاً على هجائهم وهجاء غيرهم . وكانت أختُه عند عبد عمرِو بنِ بِشْر بن مَرْثَدٍ ، وكان عبدُ عمرو سيِّدَ أهل زمانه[٥] ، فشكَت أختُ طرفةَ شيئاً من أمر زوجها إليه ، فقال :

ولا عَيْبَ فيه غَيْرَ أنَّ له غِنًى ... وأنَّ له كَشْحًا ، إذا قام ، أهْضَما[٦]

وأنَّ نساءَ الحَىِّ يَعْكُفْنَ حَوْلَهُ ... يَقُلْنَ : عَسِيبٌ من سَرَارَةِ مَلْهَمَا[٧]

---

(١) نص ترجمته من س ب . وقد نقل فى الخزانة كثيراً مما ذكر ابن قتيبة فى هذه الترجمة والترجمة الآتية . الخزانة ١ : ٤١٢ — ٤١٧ . وانظر ترجمته أيضاً فى معاهد التنصيص ١٦٤ — ١٦٦ .

(٢) هو صدر معلقته. البرقة : كل رابية فيها رمل وطين ، أو حجارة وطين يختلطان. ثهمد : اسم جبل.

(٣) انظر الجمحى ٣٠ .

(٤) فى الجمحى ١٠ « قال أبو عمرو بن العلاء : ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير . ومما يدل على ذهاب العلم وسقوطه قلة ما بقى بأيدى الرواة المصححين لطرفة وعبيد ، والذى صح لهما قصائد بقدر عشر ، وإن لم يكن لهما غيرهن فليس موضعهما حيث وضعا من الشهرة والتقدمة ، وإن كان ما يروى من الغثاء لهما فليسا يستحقان مكانهما على أفواه الرواة . ونرى أن غيرهما قد سقط من كلامه كلام كثير ، غير أن الذى نالهما من ذلك أكثر ، وكانا أقدم الفحول فلعل ذلك لذلك ، فلما قل كلامهما حمل عليهما حمل كثير » .

(٥) وكان ابن عم طرفة ، وكان سميناً بادناً ، وكان طرفة عدواً له . كما فى الخزانة .

(٦) رواية الديوان ٥ واللسان ١٦ : ٩٧ والخزانة « ولا خير فيه » . والهضم : خمص البطون ولطف الكشح . والكلام على الاستهزاء به ، لبدانته .

(٧) سرارة الوادى : أفضل موضع فيه . ملهم : قرية باليمامة موصوفة بكثرة النخل . والبيت فى اللسان ١٦ : ٤٢ .

فبلغ عمرَو بن هندٍ الشعرُ ، فخرج يتصيَّد ومعه عبد عمرٍو ، فأصاب حمارًا فعَقَرَه ، وقال لعبد عمرو : انزلْ إليه ، فنزل إليه فأَعْياه ، فضحك عمرو بن هندٍ وقال : لقد أبصركَ طرفةُ حين قال «ولا عيبَ» البيت ! وكان عمرُو بن هند شِرِّيرًا ، وكان طرفةُ قال له قبل ذلك :

لَيْتَ لنا مكانَ المَلْكِ عَمْرو ... رَغُوثاً حَوْلَ قُبَّتِنا تَخُورُ[1]

فقال عبدُ عمرٍو : أبيتَ اللعنَ ، الذى قال فيك أشدُّ مما قال فىَّ ، قال : وقد بَلَغ من أمره هذا ؟ قال : نعم ، فأرسلَ إليه ، وكتب له إلى عامله بالبحرين فقتله . وقد بيَّنتُ خبرَه فى «كتاب الشراب» . ويقال إنَّ الذى قتله المُعَلَّى بن حَنَش[2] العبدىُّ ، والذى تولَّى قتله بيده معاويةُ بن مُرَّةَ الأَيْفُلىُّ[3] ، حىّ من طَسْمٍ وجَديس .

٢٩٧ ● ومن جيِّد شعره قولُه[4] :

أَرَىٰ قَبْرَ نَحَّامٍ بَخِيلٍ بمالِهِ
كقَبْرِ غَوِىٍّ فى البَطَالَةِ مُفْسِدِ[5]

أَرَىٰ المَوْتَ يَعْتَامُ الكَرِيمَ ويَصْطَفِى
عَقِيلَةَ مالِ الفاحِشِ المُتَشَدِّدِ[6]

---

(١) من قصيدة فى الديوان ٦ — ٩ وذكر بعضها فى الخزانة . والبيت فى اللسان ٣ : ٤٥٨ وسيأتى مع آخر (٩١ ل) . الرغوث : المرضعة .

(٢) فى الخزانة «حش» ولم أجده فى موضع آخر .

(٣) فى الخزانة «الأنملى» بدون نقط ولا ضبط ، ولم أجده أيضاً .

(٤) الأبيات فى الديوان ٣١ وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٠٠ وفيه بيت زائد .

(٥) النحام : البخيل ، إذا طلبت إليه حاجة كثر سعاله . يريد أن البخيل والمسرف عند الموت سواء . والبيت فى اللسان ١٦ : ٤٩ .

(٦) يعتام : يختار . عقيلة المال : أكرمه وأنفسه . الفاحش : البخيل . والبيت فى اللسان ٨ : ٢١٦ و ١٥ : ٣٢٩ .

أَرَى الدَّهْرَ كَنْزًا ناقِصاً كُلَّ لَيْلَةٍ
وما تَنْقُصِ الأَيَّامُ والدَّهْرُ يَنْفَدِ
لَعَمْرُكَ إِنَّ المَوْتَ ما أَخْطأَ الفَتَى
لَكَالطِّوَلِ المُرْخَى وثِنْيَاهُ فى اليَدِ[١]

٢٩٨ ● وكان أبو طرفة مات وطرفةُ صغير ، فأَبَى أعمامُه أن يقسموا مالَه ، فقال[٢] :

٩٥

ما تَنْظُرُونَ بمالِ وَرْدَةَ فيكُمُ … صَغُرَ البَنُونَ ورَهْطُ وَرْدَةَ غُيَّبُ[٣]
قد يَبْعَثُ الأَمرَ العظيمَ صَغِيرُهُ … حتى تَظَلَّ له الدِّماءُ تَصَبَّبُ
والظُّلْمُ فَرَّقَ بين حَيَّيْ وائِلٍ … بَكْرٌ تُسَاقِيها المنايا تَغْلِبُ
والصِّدْقُ يَأْلَفُهُ الكَرِيمُ المُرْتَجَى … والكِذْبُ يَأْلَفُهُ الدَّنِىُّ الأَخْيَبُ

٢٩٩ ● ويُتمثَّلُ من شعره بقوله[٤] :

وتَرُدُّ عنك مَخيلَةَ الرَّجُلِ الـ … ـعِرِّيضِ مُوضِحَةٌ عنِ العَظْمِ[٥]
بِحُسامِ سيْفِكَ أو لِسانِكَ ، والْـ … كَلِمُ الأَصِيلُ كأَرْغَبِ الكَلْمِ

٣٠٠ ● وبقوله :

لنا يَومٌ وللكِرْوانِ يَوْمٌ … تَطِيرُ البائِسَاتِ ولا نَطيرُ[٦]

---

(١) الطول : الحبل الطويل جداً . ثنياه : طرفاه . والبيت فى اللسان ١٣ : ٤٣٨ و ١٨ : ١٣٢ .

(٢) كذا فى هذا الموضع والخزانة ، وسيأتى (٩٠ – ٩١ ل) أنه قال ذلك لأخواله فى مال أمه . والأبيات فى الديوان ٣٧ ، ٣٨ .

(٣) ب ه د « بحق وردة » . وهى توافق الديوان .

(٤) س « ومما يتمثل به من شعره » .

(٥) العريض : الذى يتعرض الناس بالشر .

(٦) تفسير القرطبى ٣ : ٣١٣ غير منسوب . البائسات : نصبها على الترحم ، وفاعل « تطير » ضمير الكروان ، والرفع على القطع ، وقد يكون على البدل من المضمر فى « تطير » . قاله الأعلم فيما نقله أحمد بن الأمين فى شرح الديوان . ٧ .

الكِرْوَان : جمعُ كَرَوَان ، مثلُ شِقْذَان وشَقَذَان ، وهى دويبةٌ [١] .

٣٠١ ●ويقال إن أوّلَ شعرٍ قاله طرفةُ أنّهُ خرج مع عمّه فى سفر ، فنصب فخًّا ، فلمّا أراد الرحيلَ قال :

يالَكِ من قُبَّرَةٍ بمَعْمَرِ … خَلَا لَكِ الجَوُّ فَبِيضِى واصْفِرِى
ونَقِّرى ما شِئْتِ أَنْ تُنَقِّرِى … قد رُفِعَ الفَخُّ فماذا تَحْذَرِى
لا بُدَّ يَوْماً أَنْ تُصَادِى فاصْبِرِى

* * *

٣٠٢ ●قال أبو محمد[٢] : هو طَرَفَةُ بن العبد بن سفيانَ بن سعدِ بن مالك بنِ عُبَاد بن صَعْصَعَة[٣] بن قيس بن ثعلبة . ويقال إنّ اسمَه عمرو ، وسُمِّىَ طرفةَ ببيت قالَه . وأُمّه وَرْدَةُ من رهطِ أبيه[٤] ، وفيها يقول لأخواله[٥]

91 وقد ظلموها حقَّها ⁕ ما تَنْظُرُونَ بحَقِّ ⁕ البيتَ .

٣٠٣ ●وكان أحدثَ الشعراء سنًّا وأقلَّهم عُمْرًا ، قُتل وهو ابنُ عشرينَ سنةٍ ، فيقالُ له «ابنُ العشرين »[٦]. وكان ينادمُ عمَرو بن هند ، فأشرفَتْ

---

(١) يريد الشقذان ، وأما الكروان فهو طائر معروف ، ويسمى أيضاً الحجل .

(٢) نص ترجمته فى ب هـ د . ولكن هـ ليس فيها « قال أبو محمد » .

(٣) « عباد بن صعصعة » هكذا أثبت هنا وفى معاهد التنصيص ، وهو خطأ ، صوابه « ضبيعة ». كما أثبت كل من ذكر نسب طرفة ونسب أقربائه . فإن المرقش الأصغر عم طرفة ، واسمه ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك ، والمرقش الأكبر عم الأصغر ، واسمه عمرو بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل . انظر المفضليتين ٤٥ ، ٥٥ وشرح القصائد العشر ٥٦ وجمهرة أشعار العرب ٨٣ والخزانة وغير ذلك من المصادر .

(٤) هى أخت المتلمس ، فهى من بنى ضبيعة بن ربيعة بن نزار ، وانظر ما مضى ١٣٣ فليست من رهط أبيه ، أبوه من بنى ضبيعة بن قيس بن ثعلبة .

(٥) مضى ١٨٧ أنه قال ذلك لأعمامه ، وما هنا هو الصحيح الذى يدل عليه الشعر .

(٦) هذا يوافق ما فى سمط اللآلى ٣١٩ ، والذى فى الخزانة ١ : ٤١٤ أنه قتل وهو ابن ست وعشرين سنة ، وفيها ٤١٦ شعر لأخته ترثيه أوله ⁕ عددنا له ستا وعشرين حجة ⁕ .

ذاتَ يومٍ أختَه ، فرأَى طرفةُ ظلَّها فى الجام الذى فى يده ، فقال :

أَلا يا بِأَبِى الظَّبْىُ ا لَّذى يَبْرُقُ شَنْفَاهُ[١]
ولوْلا المَلِكُ القاءِ دُ قد أَلْثَمَنِى فَاهُ

فحقَد ذلك عليه ، وكان قال أيضاً :

ولَيْتَ لنا مكانَ المَلْكِ عَمْرو رَغوثاً حَوْلَ قُبَّتِنا تَدُورُ[٢]
لعَمْرُكَ إنَّ قابوسَ بنَ هِنْدٍ لَيَخْلِطُ مُلْكَه نُوكٌ كَثِيرُ

وقابوسُ : هو أخو عمرو بن هند ، وكان فيه لِينٌ ، ويُسمَّى قَيْنَةَ العُرس . فكتب له عمرُو بن هند إلى الرَّبيع بن حَوْثَرَةَ عامِله على البَحْرَيْن كتاباً أوهمه فيه أنَّه أمر له بجائزةٍ ، وكَتب للمتلمِّسِ بمثل ذلك .

٣٠٤ ●قال أبو محمد : وأمَّا المتلمّس فقد ذكرتُ قصَّتَه[٣]. وأمَّا طَرفةُ فمضَى بالكتاب ، فأخذه الربيع فسقاه الخمر حتَّى أثمله ، ثم فَصَدَ أَكْحَلَه ، فقَبْرُه بالبحرين . وكان لطرفةَ أَخٌ يقال له مَعْبَدُ بن العبد ، فطَلب بديته ، فأخذها من الحَوَاثِر[٤].

٣٠٥ ●قال أبو عُبيدةَ : مرَّ لَبيدٌ بمجلسٍ لِنَهْدٍ بالكوفة ، وهو يتوكَّأُ على عَصاً ، فلمَّا جاوز أمروا فتًى منهم أن يَلحقَه فيسألَه : مَن أشعرُ العرب؟ ففعل ، فقال له لبيدٌ : المِلكُ الضِلِّيل ، يعنى أمرأَ القيس ، فرجعَ فأخبرهم ، قالوا : ألاَّ سألْتَه : ثم مَن ؟ فرجَع فسأله ، فقال : ابنُ العشرين ،

92

(١) الشنف ، بفتح الشين وسكون النون : الذى يلبس فى أعلى الأذن ، والذى فى أسفلها القرط ، وقيل : هما سواء .

(٢) مضى البيت ١٨٦ .

(٣) ص ١٧٩ ، ١٨١ .

(٤) فى هذا روايات أخر ، وانظر الأغانى ٢١ : ١٣٢ .

يعنى طرفة ، فلما رجع قالوا : ليتَك كنتَ سألتَه : ثم مَن ؟ فرجع فسأله ، فقال : صاحبُ المِحْجَن ، يعنى نفسَه[١].

٣٠٦ ● قال أبو عبيدةَ : طرفةُ أجودهم واحدةً ، ولا يُلحق بالبحور[٢] ، يعنى امرأ القيس وزهيرًا والنابغةَ ، ولكنّه يُوضع مع أصحابِه : الحرْث بن حِلِّزَةَ وعمرِو بن كلثوم وسُوَيدِ بنِ أبى كاهلٍ .

٣٠٧ ● وممّا سبق إليه طرفةُ فأُخذ منه قولُه يذكر السفينةَ :

يَشُقُّ حَبَابَ الماءِ حَيْزُومُها بها ... كَمَا قَسَمَ التُّرْبَ المُفَايِلُ باليَدِ[٣]

أخذه لبيدٌ فقال :

تَشُقُّ خَمَائِلَ الدَّهْنَا يَدَاهُ ... كما لَعِبَ المُقامِرُ بالفِيَالِ

وأخذه الطِّرِمّاحُ فقال :

وغَدَا تَشُقُّ يداه أوساطَ الرُّبا ... قَسْمَ الفِيَالِ تَشُقُّ أوسَطَه اليَدُ

٣٠٨ ● ومن ذلك قولُه :

ومَــكان زَعِــلٍ ظُلْمَانُه
كالمَخَاضِ الجُرْبِ فى اليوم الخَدِرْ[٤]

---

(١) الأغانى ١٤ : ٩٣

(٢) هذا نص ب د . وفى هـ « فلا » . ومصحح ل غيره فجعله « طرفة أجودهم ، وأجده لا يلحق بالبحور » تبع فى ذلك معاهد التنصيص ! وهو تصرف غير جيد . والنص هنا يوافق نص الجمحى ٣٠ « وطرفة أجودهم واحدة ، وهى قوله » فأشار إلى المعلقة . وقد قال فى أول الكلام : « الطبقة الرابعة ، وهم أربعة رهط فحول شعراء ، موضعهم مع الأوائل ، وإنما أخل بهم قلة شعرهم بأيدى الرواة » .

(٣) من المعلقة . حباب الماء : طرائقه ، وقيل معظمه . الحيزوم : الصدر . المفايل ، بالياء ، وفى ل « المفائل » بالهمزة ، وكذلك « الفيال » فى البيتين الآتيين كتب فيهما بالهمزة ، وهو خطأ . و « الفيال » بفتح الفاء وكسرها وتخفيف الياء : لعبة لفتيان الأعراب بالتراب ، يخبؤون الشىء فى التراب ثم يقسمونه بقسمين ، ثم يقول الخابئ لصاحبه : فى أى القسمين هو ؟ فإذا أخطأ قال له : فال رأيك . والبيت فى اللسان ١ : ٢٨٦ و ١٤ : ٥١ .

(٤) الزعل : النشيط . الظلمان : جمع ظليم ، وهو ذكر النعام . المخاض : الحوامل من النوق . الخدر : الشديد البرد .

قد تَبَطَّنْتُ وتحتى سُــرُح
تَتَّقِى الأَرضَ بمَلْثُومٍ مَعِرْ[١]

أخذه عدىٌّ بن زيد ولَبيد ، فقال عدىٌّ :

ومكانٍ زَعِــلٍ ظُلْمانُهُ كرِجالِ الحُبَشِ تَمْشِى بالعَمَدْ
قد تَبَطَّنْتُ وتَحْتِى جَسْرَةٌ عُبُرُ أَسْفَارٍ كمِخْراق وَحَدْ[٢]

93

وقال لبيدٌ :

ومــكانٍ زَعِــلٍ ظُلْمانُه كحَزِيقِ الحَبَشِيِّينَ الزُّجَلْ[٣]
قد تَبَطَّنْتُ وتحتى جَسْرَةٌ حَرَجٌ فى مِرْفَقَيْها كالفَتَلْ[٤]

٣٠٩ ●ومن ذلك قولُه[٥] :

فلَوْلا ثَلاثٌ هُنَّ من عِيشَةِ الفَتَى
وجَــدِّكَ لم أَحْفِلْ متى قام عُوَّدِى
فمنهنَّ سَــبْقِى العاذِلاتِ بشَرْبَةٍ
كُمَيْتٍ متى ما تُعْلَ بالماءِ تُزْبِدِ
وكَرِّى ، إذا نادَى المُضافُ ، مُحَنَّباً
كَسِيدِ الغَضَا ، نَبَّهْتَهُ ، المُتَوَرِّدِ[٦]

---

(١) تبطنت : صرت فى بطنه . سرح : يريد ناقة منسرحة فى مشيها ، أى سريعة . وفى الديوان ٦٦ « وتحتى جسرة » . بملثوم : أى بخف ملثوم ، وهو الذى جرحته الحجارة. المعر : الذى ذهب شعره .

(٢) الجسرة : الناقة الطويلة الضخمة . وحد : منفرد .

(٣) الحزيق : الجماعة من الناس . الزجل : جمع زجلة ، وهى الجماعة من الناس . والبيت فى اللسان ١١ : ٣٣١ بخلاف فى صدره ، وعجزه فيه ١٣ : ٣٢٢ .

(٤) الحرج : الناقة الجسيمة الطويلة على وجه الأرض . الفتل : تباعد ما بين المرفقين عن جنبى البعير . وعجز البيت فى اللسان ١٤ : ٢٩ .

(٥) من المعلقة .

(٦) كرى : عطفى . المضاف : الذى أحيط به ، يقال « أضفته إلى كذا » أى ألجأته ، =

وتَقْصِيرُ يَوْمِ الدَّجْنِ ، والدَّجْنُ مُعْجِبٌ ،
ببَهْكَنَةٍ تَحْتَ الخِبَاءِ المُعَمَّدِ[١]

أخذه عبدُ الله بن نَهيكِ بنِ إسَافٍ الأنصاريُّ فقال[٢] :

فلَوْلا ثَلاَثٌ هُنَّ من عِيشَةِ الفَتَى
وجَدِّكَ لم أَحْفِلْ متَى قام رَامِسُ

فمنهنَّ سَبْقِي العاذلاتِ بشَرْبَةٍ
كأَنَّ أخاها مَطْلِعَ الشَّمْسِ ناعسُ

ومنهنَّ تَجْرِيدُ الكَوَاعِبِ كالدُّمَى
إذَا ابْتُزَّ عن أَكْفالِهِنَّ المَلاَبِسُ

ومنهنَّ تَقْرِيطُ الجَوَادِ عِنَانَه
إذَا اسْتَبَقَ الشَّخْصَ الخَفِيَّ الفَوَارِسُ[٣]

٣١٠ ●ومما سَبق إليه قولُه[٤] :

سَتُبْدِي لك الأيَّامُ ما كنتَ جاهِلاً ويأْتِيكَ بالأخْبارِ مَن لَم تُزَوِّدِ

=ومنه المضاف فى الحرب . السيد : الذئب . الغضا : شجر . المتورد : الذى يطلب أن يرد الماء . والبيت فى اللسان ١ : ٣٢٤ و ١١ : ١١٤ .

(١) الدجن : إلباس الغيم الأرض ، وقيل : الندى والمطر الخفيف . يريد أنه يقصر يومه باللهو ، ويوم اللهو قصير . البهكنة : الجارية الخفيفة الروح الطيبة الرائحة المليحة الحلوة . المعمد : ذو العمد .

(٢) هو عبد الله بن أبى معقل بن نهيك بن إساف بن عدى الأنصارى ، شاعر مقل حجازى ، من شعراء الدولة الأموية . ترجم فى الأغانى ٢٠ : ١١٦ — ١١٨ والأبيات فيه .

(٣) التقريط : فعل الفارس ، وهو حمل الجواد على أشد الحضر ، وذلك أنه إذا اشتد حضره امتد العنان على أذنه فصار كالقرط ، ونسبته للجواد نفسه توسع .

(٤) من المعلقة .

وقال غيرُه :

ويأْتِيك بالأنبْاء من لم تَبعْ له بَتَاتاً ولم تَضْربْ له وقْتَ مَوْعِدِ[١]

٣١١ ● ومن جيد شعره :

أَلَا أَيُّها اللّاحِيَّ أَنْ أَحْضُرَ الوَغَى
وأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَّاتِ : هَلْ أنتَ مُخْلِدِى[٢]

فإنْ كنتَ لا تَسْتطِيعُ دفْعَ مَنِيَّتِى
فذَرْنِى أُبادِرْها بما مَلَكَتْ يَدِى

أَرَى قَبْرَ نَحَّامٍ بَخيلٍ بمالِه ... البيت
أَرَى الدَّهْرَ كنزًا . . . البيتين[٣]

٣١٢ ● ومن جيّد شعرِه :

ولا غَزْوَ إلَّا جارَتِى وسُؤالُها :
أَلَا هل لَّنا أَهْلٌ ؟ سُئِلْتِ كذلِكِ[٤]

دعا عليها بأَن تَغتربَ حتّى تُسألَ كما سألَتْه .

٣١٣ ● ومن حَسَن الدعاء قولُ النابغة الذبيانىّ :

---

(١) ب د « بالأخبار » « حق موعد » . وهذا البيت نسبه المؤلف لغير طرفة كما ترى ، ولكنه ثابت فى المعلقة بعد البيت السابق ، فى جمهرة أشعار العرب وشرح القصائد العشر وشرح الزوزنى على المعلقات وشرح ديوان طرفة . وذكر فى اللسان ٢ : ٣١٢ غير منسوب . البتات : الزاد ، وفسر فى الجمهرة بالسر .

(٢) من المعلقة . اللاحى : اللائم والعاذل .

(٣) مضـــيا : ١٨٦ .

(٤) لا غرو : لا عجب . والبيت فى الديوان ٥٥ واللسان ١٩ : ٣٥٨ .

أَغَيْرَكَ مَعْقِلاً أَبغِي وحِصْناً ... فأَعْيَتْنِي المَعاقِلُ والحُصُونُ
وجِئْتُكَ عارِياً خَلَقاً ثِيابِي ... على خَوْفٍ تُظَنُّ بِيَ الظُّنُونُ[1]

العارى : مِن « عَرَاكَ يَعْرُوكَ » إذا أتاك يطلبُ ما عندَكَ ، ونحوه العافى .

٣١٤ ● ومن جيِّد شعرِ طرفةَ :

وأَعْلَمُ عِلْماً لَيْسَ بالظَّنِّ أَنَّه ... إذا ذَلَّ مَوْلَى المَرْءِ فَهْوَ ذَلِيلُ
وإنَّ لِسَانَ المَرْءِ ، مالم تَكُنْ له ... حَصاةٌ ،على عَوْراتِهِ لَدَلِيلُ[2]
وإنَّ امْرَءًا لم يَعْفُ يَوْماً فُكاهَةً ... لِمَنْ لم يُرِدْ سُوءًا بها لَجَهُولُ

٣١٥ ● وقال وهو صبيٌّ :

كُلُّ خَلِيلٍ كنتُ خالَلْتُه ... لا تَرَكَ اللهُ له واضِحَهْ[3]
كلُّهُمُ أَرْوَغُ من ثَعْلَبٍ ... ما أَشْبَهَ الليلةَ بالبارِحَهْ

٣١٦● ومِمَّا يُعاب من شعره قولُه يمدح قوماً :

أُسُدُ غِيلٍ فإذا ما شَرِبُوا ... وَهَبُوا كُلَّ أَمُونٍ وطِمِرّْ[4]
ثُمَّ راحُوا عَبَقُ المِسْكِ بِهِم ... يَلْحَفُونَ الأَرضَ هُدَّابَ الأُزُرْ[5]

---

(١) مضى البيت وبعده آخر ١٥٨ .

(٢) الحصاة : العقل والرأى ، وفى اللسان : « يقول : إذا لم يكن مع اللسان عقل يحجزه عن بسطه فيما لا يجب دل اللسان على عيبه بما يلفظ به من عور الكلام » . وذكر البيت والذى قبله ونسبهما لكعب بن سعد الغنوى، ثم قال: « ونسبه الأزهرى لطرفة ». والأبيات الثلاثة فى ديوان طرفة ٥٢ فى قصيدة .

(٣) الواضحة : الأسنان التى تبدو عند الضحك ، صفة غالبة . والبيتان فى الديوان ٤٣ وهما فى اللسان ٣ : ٤٧٤ غير منسوبين .

(٤) القصيدة فى الفخر بنفسه وبقومه . الغيل : شجر كثير ملتف يستتر فيه كالأجمة . الطمر : الفرس الجواد المستفز للوثب والعدو . والبيت ملفق من بيتين فى الديوان ٦٧ ، ٦٨ .

(٥) عبق : تقرأ اسما وفعلا ، عبق الطيب ، من باب « فرح » علق ولصق . يلحفون الأرض : يغطونها ويلبسونها هداب أزرهم إذا جروها فى الأرض ، يقال « لحفه وألحفه » بمعنى . والبيت فى اللسان ١١ : ٢٢٥ و ١٢ : ١٠٤ .

ذكر أنّهم يُعطُون إذا سكروا ، ولم يَشْرِطْ لهم ذلك فى صحوِهم[١] كما 95
قال عَنْتَرَةُ[٢] :

وإذَا شَرِبْتُ فإنّنى مُسْتَهلِكٌ — مَالِى ، وعِرْضِى وافِرٌ لم يُكْلَمِ
وإذَا صحوْتُ فما أُقَصرُ عن نَدًى — وكما عَلِمْتِ شمائِلِى وتَكَرُّمِى

قالوا : والجيِّدُ قولُ زُهَيرٍ[٣] :

أخُو ثِقَةٍ لا تُتْلِفُ الخَمْرُ مـــالَهُ — ولكنّه قد يُتْلِفُ المالَ نائِلُهْ

وقال بعضُ المُحْدَثين :

فَتًى لا تَلُوكُ الخَمْرُ شَحْمَةَ مالِه — ولٰكِنْ عطايا عُوَّدٌ وبَوَادِى

٣١٧ ● وطَرَفةُ أوّلُ مَن ذكر الأُدْرَةَ فى شعره ، فقال :

فما ذَنْبُنـــا فى أنْ أداءتْ خُصاكُمُ
وأنْ كُنْتُمُ فى قَوْمِكم مَعْشَرًا أُدْرَا
إذَا جَلَسُوا خَيَّلْتَ تَحْتَ ثِيـــابِهِمْ
خَرَانِقَ تُوفِى بالضَّغِيبِ لها نَذْرَا[٤]

وذكرها النابغةُ الجعدىُّ فقال :

كَذِى داءٍ بإحْدَىٰ خُصْيَتَيْه — وأُخْرَىٰ لم تَوَجَّعْ من سَقَامِ
فضَمَّ ثيابَهُ من غيرِ بُرْءٍ — على شَعْرَاءَ تُنْقِضُ بالبِهَامِ[٥]

---

(١) ب د « ولم يشرط فى ذلك صحوهم » .
(٢) سيأتى البيتان ١٣٣ ل .
(٣) مضى البيت ١٥٠ .
(٤) الخرانق : جمع خرنق وهو ولد الأرنب ، يكون للذكر والأنثى . الضغيب : صوت الأرنب .
(٥) الشعراء ، بفتح الشين كما نص عليه شرح القاموس : الخصية الكثيرة الشعر ، وضبطت بالقلم فى اللسان بالكسر ، وهو خطأ . تنقض ، بالقاف من قولهم : أنقض بالدابة » أى صوت صوتاً =

٣١٨ ● وطرفةُ أوَّلَ مَن طَرَدَ الخَيالَ ، فقال :

فقُلْ لِخَيالِ الحَنْظَلِيَّةِ يَنقَلِبْ   إليها ، فإنِّى واصِلٌ حَبْلَ مَنْ وَصَلْ

وقال جَرِيرٌ :

طرَقَتْكَ صائِدَةُ القُلُوبِ ولَيْسَ ذَا

وَقْتَ الزِّيارَةِ فارْجِعِى بسَلامِ

قال الأصمعىُّ : قلتُ لشيخٍ مُسِنٍّ من المدنيِّين : أرأيتَ قول كُثَيِّرٍ :

قد أرُوعُ الخَليلَ بالصُّرْمِ مِنِّى   لم يَخَفْهُ ، وقِلَّةِ التَّكْلِيمِ

96 أىُّ شىءٍ هذا من السِّبَاب ؟ فقال : يا ابنَ أُمٍّ ، أىَّ شىءٍ يَصنعُ ؟ أحرقَتْه ! !

=بفمه يدعوها به . وفى ه « ينفض » وفى سائر الأصول « ينفض » بالفاء ثلاثى ، وهو خطأ . البهام ، بكسر الباء : جمع بهمة ، وهو الصغير من أولاد الغنم والبقر وغيرها ، الذكر والأنثى فيه سواء . قال فى اللسان : « على أدرة فيها إذا فشت خرج لها صوت كتصويت النقض بالبهم إذا دعاها » . والبيت فيه ٦ : ٧٩ بصدر آخر ولم ينسبه ، ورواه شرح القاموس ٣ : ٣٠٥ كرواية اللسان ونسبه للجعدى .

٨ – الحارث بن حلزة اليشكري [١]

٣١٩ ● هو من بنى يَشْكُرَ ، من بكر بن وائلٍ . وكان أبرصَ ، وهو القائل :

آذَنَتْنــا بِبَيْنِها أسماءُ رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ منه الثَّوَاءُ [٢]

ويقال إنَّه ارتجلَها بين يَدَىْ عمرو بن هندٍ ارتجالا ، فى شىءٍ كان بين بكر وتغلبَ بعدَ الصلح ، وكان يُنشده لِمن وراءِ السِّجْفِ ، للبرصِ الذى كان به ، فأمر برفع السِّجْف بينَه وبينَه [٣] ، استحساناً لها ، وكان الحٰرث متوكّئاً على عَنَزَةٍ ، فارتَزَّتْ فى جسده وهو لا يشعر [٤].

٣٢٠ ● وكان له ابنٌ يقال له : مذعور ، ولمذعور ابنٌ يقال له : شِهابُ بن مذعور ، وكان ناسباً ، وفيه يقول مِسْكينٌ الدارِمىُّ :

هَلُمَّ إلى ابن مَذْعورٍ شِهابٍ يُنَبِّئُ بالسَّفَالِ وبالمَعَالِى

٣٢١ ● قال الأصمعىُّ : قد أقوى الحٰرثُ بنُ حِلِّزَةَ فى قصيدته التى ارتجلها ، قال :

---

(١) ترجمنا له فى المفضلية ٢٥ . وانظر ترجمته فى الأغانى ٩ : ١٧١ – ١٧٤ والخزانة ١ : ١٥٨ ومعاهد التنصيص ١٣٨ – ١٣٩ .

(٢) هو صدر معلقته .

(٣) س ب «وكان ينشده من وراء سبعة ستور ، فأمر برفع الستور عنه» وهو يوافق نص الخزانة .

(٤) العنزة ، بفتح النون : عصا فى قدر نصف الرمح ، فيها سنان أو زج كزج الرمح ، يتوكأ عليها . وضبطت فى ل بسكون النون ، وهو خطأ . ارتزت : ثبتت فى جسده مثل رز السكين فى الحائط . وفى الخزانة : «وزعم الأصمعى أن الحرث قال قصيدته هذه وهو ابن مائة وخمس وثلاثين سنة» . وكذلك فى شرح القصائد العشر ٢٤٠ .

فمَلَكْنا بذلك الناسَ إذْ ما مَلَكَ المُنْذِرُ بنُ ماءِ السَّماءِ[١]

قال أبو محمد : ولن يضرَّ ذلك فى هذه القصيدة ، لأنَّه ارتجلها فكانت كالخُطبة[٢].

٣٢٢ ● وممَّا يُتمثَّل به من شعره[٣] :[م]

97 فعِشْ بِجَدٍّ لا يَضِرْ كَ النُّوكُ ما أُوتيتَ جَدَّا

والنُّوكُ خَيْرٌ فى ظِلَا لِ العَيْشِ ممَّنْ عاشَ كَدَّا

---

(١) فى الشرح ٢٥٤ والخزانة ٢ : ٢٢٨ « حتى » بدل « إذ ما ».

(٢) هذا الاعتذار نقل ابن الأنبارى مثله عن الأصمعى ، كما فى حاشية الشرح . وفى الخزانة : « وقيل هذا البيت منحول إليه ليس من القصيدة » وهو تكلف .

(٣) البيتان من أبيات فى الأغانى ، وهما فى معاهد التنصيص . والثانى فى الموشح ٢٣٣ .

٩ – لقيط بن معمر[١]

٣٢٣ ● هو لَقِيطُ بن مَعْمَرٍ ، من إيادٍ ، وكانت إيادٌ أكثرَ نِزَارٍ عدَدًا ، وأحسنَهم وجوهاً ، وأمدَّهم وأشدَّهم وأمنعَهم ، وكانوا لَقَاحاً لا يؤدُّون خَرْجاً[٢] ، وهم أوَّلُ مَعَدِّيٍّ خَرَج من تِهامةَ ، فنزلوا السَّوَادَ ، وغَلبوا على ما بين البَحْرَيْنِ إلى سِنْدَادَ والخَوَرْنَقِ ، وسِنْدَادُ نهرٌ كان بين الحِيرَةِ إلى الأُبُلَّة . وكانوا أغاروا على أموالٍ لأنوشروانَ فأخذوها ، فجهَّز إليهم الجيوشَ ، فهزموهم مرَّةً بعد مرَّة . ثم إنَّ إيادًا ارتحلوا حتَّى نزلوا الجزيرةَ ، فوجَّه إليهم كسرى بعد ذلك ستِّين ألفاً في السلاح[٣] ، وكان لقيطٌ متخلِّفاً عنهم بالحِيرَة ، فكَتَب إليهم[٤] :

سَلَامٌ فى الصَّحِيفَة من لَقِيطٍ ... إلَى مَن بالجزيرة من إيادِ
بأنَّ اللَّيْثَ كِسْرَىٰ قد أتَاكُمْ ... فلا يَشْغَلْكُمُ سَوْقُ النِّقَادِ[٥]
أتاكم مِنْهُمُ سِتُّونَ ألْفاً ... يَزُجُّون الكَتَائِبَ كالجَرَادِ[٦]

---

(١) الذى فى الأغانى ومختارات ابن الشجرى بخطه وجمهرة اللغة لابن دريد « يعمر » بفتح الياء والميم ، وكذلك هو فى ديوانه المخطوط بدار الكتب . وفى الاشتقاق لابن دريد ١٠٤ والمؤتلف ١٧٥ « معبد »

(٢) لقاح : بفتح اللام ، يقال « قوم لقاح وحى لقاح » لم يدينوا للملوك ولم يملكوا ولم يصبهم فى الجاهلية سباء . ب د « خراجاً » .

(٣) قصة مهلكهم فى الأغانى ٢٠ : ٢٣ — ٢٥ وشرح قصيدة ابن عبدون لابن بدرون ٤١ — ٤٢ وأشار إليها الأسود بن يعفر النهشلى فى أبيات قوية رائعة فى المفضلية ٤٤ : ٨ — ١٥ .

(٤) الذى فى الأغانى أنه كتب إليهم القصيدة العينية الآتية ، وأنه جعل البيتين الأولين من الدالية عنوان الكتاب .

(٥) النقاد ، بكسر النون : صغار الغنم ، أو هى جنس منها قصار الأرجل قباح الوجوه تكون بالبحرين ، الواحدة « نقدة » وتجمع أيضاً على « نقد » بفتح النون والقاف فيهما .

(٦) يزجون : يرمون .

على حَنَقٍ أَتَيْنَكُمْ ، فهٰذَا أَوَانُ هَلَاكِكُمْ كَهَلَاكِ عَادِ

فاستعدّت إيادٌ لمحاربة جنود كسرى ، ثم التقَوْا ، فاقتتلوا قتالا شديدًا ، أُصيبَ فيه من الفريقين ، ورجَعت عنهم الخيلُ ، ثم اختلفوا بعد ذلك ، فلحقتْ فرقةٌ بالشأم ، وفرقةٌ رجَعَت إلى السواد ، وأقامت فرقةٌ بالجزيرة .

٣٢٤ • وفى هذه القصّة يقول أيضاً لَقِيطٌ فى قصيدته :

• يا دارَ عَبْلَةَ من مُحْتَلِّهَا الجَرَعَا[1] •

يا لَهْفَ نَفْسِيَ إنْ كانت أُمُورُكُم
شَتَّى ، وأُبْرِمَ أَمْرُ الناس فاجْتَمَعَا

أَحْرَارُ فارِسَ أَبْنَاءُ المُلُوكِ لهم
من الجُمُوعِ جُمُوعٌ تَزْدَهِي القَلَعَا[2]

فهمْ سِرَاعٌ إليكم ، بَيْنَ مُلْتَقِطٍ
شَوْكاً ، وآخَرَ يَجْنِي الصَّابَ والسَّلَعَا[3]

هو الجَلَاءُ الَّذِي تَبْقَى مَذَلَّتُهُ
إنْ طارَ طائرُكم يوماً وإنْ وَقَعَا

قُومُوا قِيَاماً على أَمْشَاطِ أَرْجُلِكُمْ
ثم افْزَعُوا ، قد يَنَالُ الأَمْنَ مَنْ فَزِعَا[4]

---

(١) الجرع : الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل . وتتمة البيت * هاجت لى الهم والأحزان والوجعا * وهو صدر قصيدة عالية بليغة ، هى القصيدة الأولى فى مختارات ابن الشجرى ، وهى عنده فى ٥٥ بيتاً . وأرقام الأبيات التى هنا منها هى ١ ، ١٠ ، ١٤ ، ١٥ ، ٤٢ — ٤٥ ، ٤٨ ، ٤٩ وفى الأغانى منها ١٨ بيتاً .

(٢) تزدهى : تتهاون بها وتستخف . القلع ، بفتحتين : جمع قلعة ، بفتح اللام وسكونها ، وهى الحصن فى الجبل .

(٣) الصاب والسلع : شجران مران . كنى بذلك عن السلاح والعدة .

(٤) البيت فى الأساس ٢ : ٢٥٤ غير منسوب .

وَقَلِّدُوا أَمْرَكُمْ ، لِلَّهِ دَرُّكُمُ ،
رَحْبَ الذِّرَاعِ بِأَمْرِ الحربِ مُضْطَلِعا

لا مُتْرَفاً إنْ رَخاءُ العَيْشِ ساعَدَهُ
ولَا إذَا عَضَّ مَكْرُوهٌ به خَشَعَا

ما زال يَحْلُبُ دَرَّ الدَّهْرِ أَشْطُرَهُ
يَكونُ مُتَّبِعاً طَوْرًا ومُتَّبَعَـا

حَتَّى اسْتَمَرَّتْ على شَزْرٍ مَرِيرَتُه
مُسْتَحْكِمَ السنِّ ، لَا قَحْماً ولا ضَرَعَا[1]

---

(١) الشزر : فتل الحبل مما يلي اليسار ، وهو أشد لفتله . المريرة : من المرة ، وهى إحكام الفتل ، ثم أريد بها القوة ، يقال « استمرت مريرة الرجل » إذ قويت شكيمته . القحم : الشيخ الهم الكبير . الضرع ، بفتح الراء : الغمر الضعيف من الرجال .

١٠ – أوس بن حجر [١]

٣٢٥ ● هو[٢] أَوْسُ بن حَجَرِ بن عَتَّاب . قال أبو عمرو بن العَلَاء : كان أَوْسٌ فَحْلَ مُضَر ، حتّى نشأ النابغةُ وزُهير فأَخملاه . وقيل لعمرو بن مُعاذ ، وكان بصيرًا بالشعر : مَن أَشعرُ الناسِ ؟ فقال : أَوْسٌ ، قيل : ثم مَن ؟ قال : أبو ذُؤَيْب . وكان أَوس عاقلاً فى شعره ، كثيرَ الوصفِ لمكارم الأخلاق . وهو مِن أَوصفهم للحُمُرِ والسلاح ، ولا سيّما للقوس . وسَبَق إلى دقيق المعانى ، وإلى أمثالٍ كثيرة .

٣٢٦ ● وهو القائل :

وجاءتْ سُلَيْمٌ قَضُّها وقَضِيضُها ... بأَكْثَرِ ما كانوا عَدِيدًا وأَوْكَعُوا[٣]

أَوكعوا : اشتدُّوا ، يقال « استوكعتِ المَعِدَةُ وأَوْكَعَتْ » إذا اشتدَّت[٤] .

وفى أمثال العرب : أَسْمَحَتْ قَرُونَتُه . أى سَمَحت نفسُه[٥] ، قال أوس :

---

(١) العنوان فى ب « أخبار أوس بن حجر » .

(٢) هذا النص هو الذى فى س ف ، وقد أثبت فيهما بعد ترجمة زهير بن أبى سلمى . وستأتى الترجمة بنص ب هـ د . ولأوس ترجمة فى الأغانى ١٠ : ٥ – ٨ والخزانة ٢ : ٢٣٥ – ٢٣٦ ومعاهد التنصيص ٦١ – ٦٥ .

(٣) البيت فى اللسان ٩ : ٨٨ وروايته * وجاءت جحاش قضها بقضيضها وأما لفظ « وجاءت سليم قضها بقضيضها » فإنه ذكره صدر بيت آخر للشماخ بن ضرار ١٥ : ٣٤٢ * وضبطت « قضها » بالنصب . وفيه أنه اسم منصوب موضوع موضع المصدر ، كأنه قال : جاؤا انقضاضا ، وحكى عن سيبويه أن بعضهم يعربه ويجريه على ما قبله ، ونقل عن الأصمعى أنه قال : « لم أسمعهم ينشدون قضها إلا بالرفع » . ونص فى القاموس على جواز هذا وذاك . وأثبت فى ل بالرفع ، فأثبتنا الإعرابين ، وأصل القض : الحصى ، والقضيض : ما تكسر منه ودق ، أو هو جمع القض . والمراد : جاؤوا مجتمعين لم يدعوا وراءهم شيئاً .

(٤) فى شرح القاموس ٥ : ٧٩ « أوكعوا : سمنوا إبلهم وقووها ليغيروا علينا » .

(٥) مجمع الأمثال ١ : ٢٩٠ .

فلاقَى امْرَءًا من مَيْدَعانَ وأَسْمَحَتْ   قَرُونتُه باليَأْسِ منها فَعجَّلَا[1]

ويقال : «رجل مِخْلَطٌ مِزْيَلٌ» إذا كان وَلَّاجاً خَرَّاجاً ، قال أوس :

وإنْ قال لى : ماذا تَرَى ؟ يَسْتَشِيرُنِى
يَجِدْنِى ابنُ عَمِّى مِخْلَطَ الأَمْرِ مِزْيَلَا

٣٢٧ ● ومن جيِّد معانيه قولُه[2] :

وما أنا إلَّا مُسْتَعِدٌّ كما تَرَى   أخو شُرَكِىٍّ الوِرْدِ غَيْرُ مُعَتِّمِ

و «شُرَكِىُّ وِرْدٍ» ماءٌ فى إثْر ماءٍ ، وهو المتتابع ، يقول : أغشاهم بما يكرهون ، ومنه يقال «فلان يتورَّدُنا بِشَرٍّ» و «غيرُ مُعَتِّم» غيرُ مُحْتَبِس.

٣٢٨ ● وقولُه :

وإنْ هَزَّ أقْوَامٌ إلَىَّ وحَدَّدُوا   كَسَوْتُهُمُ من خَيْرِ بَزٍّ مُتَحَّمِ

«هَزَّ» من السَّيْرِ ، و «مُتَحَّم» من الأَتْحَمِىِّ ، وهو بُرْدٌ ، وهذا مَثَلٌ ضربه ، يقول : إنَّه يهجوهم بأَخْبَثِ هجاءٍ يَقْدر عليه . ومنه قولُ الآخر : 100

سأَكْسُوكما يا ابْنَىْ يَزيدَبنِ جُعْشُمٍ   رِداءَيْنِ من قِيرٍ ومن قَطِرَانِ

٣٢٩ ● وقال أوس :

تَرَكْتُ الخَبيثَ لم أُشارِكْ ولم أَدِقْ   ولكِنْ أَعَفَّ اللهُ مالى ومَطْعَمِى

«لم أَدِقْ» لم أَدْنُ ، ومنه قولُ ذى الرُّمَّة :

كانت إذا وَدَقَتْ أَمْثالُهُنَّ لَهُ   فَبَعْضُهُنَّ عنِ الأُلَّافِ مُنْشَعِبُ

---

(١) البيت فى اللسان ١٧ : ٢١٧ . ميدعان : اسم موضع .
(٢) البيت فى اللسان ١٢ : ٣٣٧ .

٣٣٠ ● وقال أوس :

فقَوْمِى وأَعْدَائِى يَظُنُّونَ أَنَّنِى مَتَى يُحْدِثُوا أَمْثَالَهَا أَتَكَلَّمِ

« يظُنُّون » يُوقنون ، وليس من ظنِّ الشكِّ ؛ قال الله جلَّ وعزَّ (وظَنُّوا أَلاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلاَّ إِلَيْهِ[1]) أى أيقنوا .

٣٣١ ● قال أوس يصف قَوْساً :

كَتُومٌ طِلَاعُ الكَفِّ ، لا دُونَ مِلْئِهَا
ولا عَجْسُهَا عن مَوْضِعِ الكَفِّ أَفْضَلاَ[2]

إِذَا ما تَعَاطَوْهَا سَمِعْتَ لِصَوْتِهَا ،
، إِذَا أَنْبَضُوا عنها ، نَئِيماً وأَزْمَلَا

« النئيم » صوتُ البوم ، « والأزمل » صوتُ الجنّ[3]. ثم وَصفَ النابلَ والنَّبْلَ فقال :

كَسَاهُنَّ من رِيشٍ يَمَانٍ ظَوَاهِرًا
سُخَاماً لُؤَاماً لَيِّنَ المَسِّ أَطْحَلَا[4]

يَخِرْنَ إذا أُنْفِزْنَ فى سَاقِطِ النَّدَى
وإِنْ كان يَوْماً ذا أَهاضِيبَ مُخْضِلَا[5]

---

(١) سورة التوبة ، الآية ١١٨ .

(٢) الكتوم : القوس التى لا صدع فيها ولا عيب ولا ترن إذا أنبضت . طلاع الكف ، بكسر الطاء : ملؤها . عجسها ، مثلثة العين : مقبضها الذى يقبضه الرامى منها ، وهو أجل موضع فيها وأغلظه . والبيت فى اللسان ١٠ : ١٠٥ — ١٠٦ و ١٥ : ٤١٠ .

(٣) تعاطوها : تناولوها ، عطا الشىء وعطا إليه عطواً : تناوله . أنبض القوس : جذب وترها لتصوت . والبيت فى اللسان ١٦ : ٤٤ . وفسر النئيم فيه بأنه الصوت الضعيف ، والأزمل بأنه الصوت أيضـاً .

(٤) السخام من الريش : اللين الحسن . الريش اللؤام : يلائم بعضه بعضاً ، وهو ما كان بطن القذة منه يلى ظهر الأخرى ، وهو أجود ما يكون .

(٥) يخرن : من الخوار وهو صوت الثور . أنفزن : من الإنفاز وهو إدارة السهم على الظفر

خُوَارَ المَطَـافِيلِ المُلَمَّعَةِ الشَّوَى
وأَطْـلاؤُهـا صادَفْنَ عِرْنانَ مُبْقِلَا[1]

ثم وصف السيفَ فقال :

كأَنَّ مَدَبَّ النَّمْلِ يتْبَـعُ الرُّبَى
ومَـدْرَجَ ذَرٍّ خافَ بَرْدًا فأَسْهَلَا

على صَفْحَتَيْهِ بَعْدَ حِينِ جِلَائِهِ
كَفَى بالذِى أَبْلَى وأَنْعَتَ مُنْصُلَا[2]

* * *

٣٣٢ ●هو[3] من تميمٍ ، أُسَيْدِىٌّ ، وهو شاعر تميمٍ . قال أبو عبيدة : حدَّثنى يونُس عن أبى عمرو بن العلاء قال : كان أَوْسٌ شاعرَ مُضَرَ ، حتَّى أسقطه النابغةُ وزهيرٌ ، فهو شاعرُ تميمٍ فى الجاهليَّة غيرَ مدافَعٍ . IOI

٣٣٣ ●وقال الأَصمعىُّ : قال أوس بن حَجَرٍ :

لَعَمْرُكَ إنَّا والأَحاليفَ هؤُلاَ[4] لَفِى حِقْبَةٍ أَظْفارُها لم تُقَلَّمِ

أَى نحن فى حرب ، فَأَخَذَ المعنى زُهيرٌ والنابغةُ ، قال زهير :

= ليعرف عوجه من قوامه . الأهاضيب : جلبات القطر بعد القطر . المخضل : من قولهم « أخضلتنا السماء » بلتنا بللا شديداً . والبيت فى اللسان ٧ : ٢٨٦ .

(١) المطافيل : ذوات الطفل ، معها طفلها . الشوى : جماعة الأطراف . أطلاؤها : أولادها . عرنان : واد واسع فى الأرض منخفض يوصف بكثرة الوحش . وهذا البيت والذى قبله فى اللسان ٥ : ٣٤٥ — ٣٤٦ مشروحين .

(٢) أنعت : حسن وجهه حتى ينعت . المنصل ، بضم الصاد وبفتحها : السيف ، ونقل فى اللسان عن ابن سيده أنه لا يعرف فى الكلام اسم على « مفعل » بضم أوله مع ضم ثالثه وفتحه إلا هذا وقولهم « منخل » بضم الخاء وفتحها .

(٣) من هنا يبدأ نص الترجمة فى ب هـ د .

(٤) هؤلاء : استعملها مقصورة ، وهو جائز ، والأفضل رسمها بالياء ، وبذلك رسمها الربيع فى رسالة الشافعى (ص ٥٦٣ بشرحنا) ولاستعمالها مقصورة شاهد آخر فى المعرب للجواليقى ٣٤٢ .

لَدَىٰ أَسَد شاكِى السِّلاحِ مُقَذَّف   له لِبَدٌ أظْفَــارُهُ لم تُقَلَّمِ

وقال النابغة :

وبنو قُعَيْنٍ لا مَحالَةَ أَنَّهُمْ   آتُوكَ غيرَ مُقَلَّمِى الأَظْفارِ

٣٣٤ ●وقال الأصمعىُّ : أوس بن حَجَر أشعرُ من زهيرٍ ، ولكنَّ النابغةَ طأطأ منه ، قال أوس :

تَرَىٰ الأَرْضَ منَّا بالفَضاء مَرِيضَةً   مُعَضلَةً مِنَّا بجَمْعٍ عَرَمْرَمِ[1]

وقال النابغة :

جَيْشٌ يَظَلُّ به الفَضاءُ مُعَضَّلاً   يَدَعُ الإِكامَ كأَنَّهُنَّ صَحارِى

فجاء بمعناه وزاد .

٣٣٥ ●وقالت الشعراءُ فى نِفَارِ الناقة وفزَعِها فأكثرتْ ، ولم تَعْدُ ذكرَ الهِرِّ المقرونِ بها وابنِ آوَىٰ ، وقال أوس بن حَجَر :

كأَنَّ هِرًّا جَنِيباً عِنْدَ غُرْضَتِها   والْتَفَّ دِيكٌ برجْلَيْها وخِنْزِيرُ[2]

قالوا : وجَمع ثلاثةَ ألفاظٍ أعجميَّةٍ فى بيت واحد ، فقال :

وقارَفَتْ وهى لم تَجْرَبْ وباعَ لها   منَ الفَصافِصِ بالنُّمِّىِّ سِفْسِيرُ[3]

---

(١) معضلة : من قولهم « عضلت الأرض بأهلها » بتشديد الضاد : إذا ضاقت بهم لكثرتهم . والبيت فى اللسان ١٣ : ٤٧٨ .

(٢) الغرضة . حزام الرحل .

(٣) قارفت ، بتقديم القاف : قاربت ، كما فسره ابن دريد واللسان ، قال ابن دريد : « أى قاربت أن تجرب » . وفى الأصول والمعاهد « فارقت » بتقديم الفاء ، وهو خطأ . والبيت فى جمهرة ابن دريد ١ : ١٥٥ و ٣ : ٣٧٤ ، ٥٠٢ والمعرب للجواليقى ١٨٥ ، ٢٤٠ ، ٣٣٠ واللسان ٦ : ٣٧ و ٨ : ٣٣٥ و ١١ : ١٨٧ — ١٨٨ ونسبوه فى الأكثر لأوس ، ونسبه بعضهم تارة للنابغة .

«الفَصَافِصُ» الرَّطْبَةُ ، وهى بالفارسيّة «إسْبَسْت[1]» ، «والنُّمِّىُّ» الفُلُوس بالروميّة ، «والسِفْسِيرُ» السِمْسَارُ .

٣٣٦ ●قال الأصمعىُّ : ولم أسمعْ قطُّ ابتداء مرثيةٍ أحسنَ من ابتداء مرثيته :

أَيَّتُها النَّفْسُ أَجْمِلِي جَزَعَا   إنَّ الَّذِى تَحْذَرِينَ قد وقَعَا[2]

٣٣٧ ●قال : وأحسنَ فى وصف السحاب[3] :

دانٍ مُسِفٌّ فُوَيْقَ الأَرْضِ هَيْدَبُهُ
يَكادُ يَدْفَعُهُ مَنْ قام بالرَّاحِ[4]

يَنْفِى الحَصَى عن جَدِيد الأَرْضِ مُبْتَرِكاً
كأَنَّه فاحِصٌ أو لاعِبٌ دَاحِ[5]

---

(١) رسمت فى ل «اسپست» بالباء الفارسية المكسورة ، وهذا تصرف من مصححها ، لعله ضبطه على اللفظ الفارسى ، ونقل عن ب د أنها رسمت فيها «اسبست» وعن ه «اسفست» . وقد ضبطت فى القاموس والمعيار بفتح الباء ، وفى اللسان «اسفست» بفتح الفاء ، وكتبت فى الجمهرة ٣ : ٥٠٠ بالفاء من غير ضبط . وانظر المعرب ٢٤٠ .

(٢) مضى البيت ٩ . وفى المعاهد أنه قالها فى فضالة بن كلدة يمدحه بها فى حياته ويرثيه بعد وفاته وفيها البيت المشهور السائر :

الألمعى الذى يظن بك الـ   ـظن كأن قد رأى وقد سمعا

(٣) الأول والثالث فى الأغانى وبينهما بيت آخر ، ونقل الخلاف فى نسبة الشعر لأوس ، أن الأصمعى يرويه له ووافقه بعض الكوفيين ، وأن غيرهم يرويه لعبيد بن الأبرص . والأول والثالث فى الحيوان ٦ : ١٣٢ بنسبة مختلف فيها لعبيد أو لأوس وهما من قصيدة فى ديوان عبيد ٧٥ — ٧٧ .

(٤) المسف : لذى قد أسف على الأرض ، أى دنا منها ، وهو هنا مخفوض فى أصول الكتاب ، وكذلك نقل مصححو اللسان عما كان بأيديهم من نسخ الصحاح ، وهو الصواب ، فإن قبله * من عارض كبياض الصبح لماح * الهيدب : ما تدلى من السحاب مثل هدب القطيفة ، يقول : يكاد القائم يمسكه براحته . يدفعه : ب د «يرفعه» . والبيت فى اللسان ٢ : ٢٧٨ و ١١ : ٥٤ مع الخلاف فى نسبته .

(٥) جديد الأرض : وجهها . مبتركا : مجتهداً معتمداً ملحاً . الداحى : الذى يدحو الحجر بيده ، أى يرمى به ويدفعه . والبيت فى اللسان ١٨ : ٢٧٦ باختلاف فى صدره مع الخلاف فى نسبته ، وليس فى ديوان عبيد .

فَمَنْ بنَجْـوَتهِ كمَنْ بعَقْوَتِه
والمُسْتَكِنُّ كمَنْ يَمْشِى بِقِرْوَاحِ[١]

٣٣٨ ● ويُستجاد له قولُه :

إذا ما عَلَوا قالوا : أبُونا وأمُّنـا وليس لهم عالِينَ أمٌّ ولا أبُ[٢]

٣٣٩ ● ويستجاد له قولُه [٣] :

وإنى رَأيْتُ الناسَ ، إلّا أقلَّهُمْ ،
خِفَـافَ العُهُودِ يُكْثِرُونَ التَّنَقُّلَا
بَنِى أمٍّ ذِى المـالِ الكَثيرِ يَرَوْنَهُ ،
وإنْ كان عَبْدًا ، سَيدَ الأمْرِ جَحْفَلَا[٤]
وهُمْ لمُقِلِّ المـالِ أولادُ عَـلَّةٍ
وإنْ كان مَحْضاً فى العُمُومَةِ مُخْوِلَا[٥]
وليس أخُـوكَ الدائمَ العَهْـدِ بالذى
يَسُوءُكَ إنْ وَلَّى ويُرْضِيك مُقبِلَا
ولَكِنْ أخُـوكَ النَاءِ ما كنتَ آمِناً
وصاحِبُك الأدْنَى إذَا الأمْرُ أعْضَلَا

---

(١) النجوة : ما ارتفع من الأرض . العقوة : الساحة وما حول الدار والمحلة . المستكن : المستتر . القرواح : أرض مستوية ظاهرة . والبيت فى اللسان ٢٠ : ١٧٨ ونسبه لعبيد فقط .

(٢) علوا : بابه « بلى » ، يقال « على » بكسر اللام ، فى المكارم والرفعة والشرف « يعلى — بفتحها — علاء » قاله فى اللسان .

(٣) الأبيات فى معاهد التنصيص .

(٤) الجحفل : السيد العظيم القدر . والبيت فى اللسان ١٣ : ١٠٨ .

(٥) أولاد علة أولاد ضرة . رجل معم مخول ، بصيغتى اسم الفاعل واسم المفعول : كريم الأعمام والأخوال . والبيت فى اللسان ١٣ : ٤٩٨ غير منسوب .

٣٤٠● ويستجادُ له قولُه في السيف: * كأَنَّ مَدَبَّ * البيت[1].
وهو أوصف الناس للقوس ، ثم تبعه الشَّماخُ .

(١) مضى ٢٠٥ .

١١ – المرقش الأكبر [١]

٣٤١ ●هو ربيعة بن سعد بن مالك ، ويقال : بل هو عمرو [٢] بن سعد بن مالك بن ضُبَيعةَ بن قيس بن ثعلبة . وسُمِّيَ « المُرَقِّش » بقوله :

اَلدارُ قَفْرٌ والرُّسومُ كما   رَقَّشَ فى ظَهْرِ الأَدِيمِ قَلَمْ [٣]

٣٤٢ ●وهو أحد عُشّاق العرب المشهورينَ بذلك ، وصاحبتُه أسْماءُ بنت عوف بن مالك بن ضُبَيعة بن قيس بن ثعلبة . وكان أبوها زَوَّجها رجلاً من مُرَاد ، والمرقِّش غائب ، فلمّا رجَع أُخْبِر بذلك ، فخرج يريدها ، ومعه عَسِيفٌ له من غُفَيْلَةَ ، فلما صار فى بعض الطريق مرِضَ ، حتّى ما يُحْمَل إلّا مَعْرُوضاً ، فتركَه الغُفَيلِيُّ هناك فى غارٍ ، وانصرفَ إلى أهله ، فخبَّرهم أنّه مات ، فأخذوه وضربوه حتّى أقرَّ ، فقتلوه . ويقال إن أسماء وقفتْ على أمره ، فبعثَت إليه فحُمِل إليها ، وقد أكلت السِّباعُ أنفَه ، فقال [٤] :

يا راكِباً إمّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ
أَنَسَ بنَ عمرٍو حَيْثُ كان وحَرْمَلَا [٥]

لِلّه دَرُّكُمَا ودَرُّ أَبِيكُما
إنْ أَفْلَتَ الغُفَلِيُّ حتّى يُقْتَلَا

---

(١) ترجمنا له فى أول المفضلية ٤٥ وانظر ترجمته وخبره أيضاً فى الأنبارى ٤٥٧ – ٤٦٠ ، ٤٨٤ والأغانى ٥ : ١٧٩ – ١٨٣ . وهذه الترجمة هى الثابتة فى س ف .

(٢) وهو الصحيح الذى رجحناه فى ترجمته .

(٣) رقش : زين وحسن ، أو كتب . الأديم : الجلد . والبيت من المفضلية ٥٤ وهو فى اللسان ٨ : ١٩٥ .

(٤) الأبيات من المفضلية ٤٥ .

(٥) فى المفضليات والأغانى « أنس بن سعد » وهو أصح ، فإن أنسا وحرملة هما ابنا سعد ، وهما أخوا المرقش . ورخم « حرملة » لغير النداء .

مَن مُبْلِغُ الفِتْيَانِ أَنَّ مُرَقِّشاً
أَضْحَىٰ على الأَصْحَابِ عِبْأً مُثْقِلا

ذَهَبَ السِّباعُ بأَنفِهِ فَتَرَكْنَهُ
يَنْهَشْنَ منه فى القِفارِ مُجَدَّلاَ

وكأنما تَرِدُ السِّباعُ بشِلْوِهِ
، إذْ غابَ جَمْعُ بنى ضُبَيْعَةَ ، مَنْهَلاَ[1]

ويقال : بل كَتب هذه الأَبياتَ على خَشَبِ الرَّحْلِ ، وكان يَكتب بالحِمْيرِيَّة ، فقرأها قومُه ، فلذلك ضربوا الغُفَيْلِيَّ حتى أَقرَّ .

٣٤٣ ● ومن جيِّد شعره قولُه[2] :

فهَلْ يَرْجِعَنْ لى لِمَّتى ، إنْ خَضَبْتُها ،
إلى عَهْدِها ، قَبْلَ المَماتِ ، خِضابُهَا

رأَتْ أُقْحُوانَ الشَّيْبِ فوقَ خَطِيطَةٍ
إذَا مُطِرَتْ لم يَسْتَكِنَّ صُؤَابُهَا[3]

فإنْ يُظْعِنِ الشَّيْبُ الشَّبابَ فقد تُرَىٰ
به لِمَّتى لم يُرْمَ عنها غُرابُهَا

٣٤٤ ● وقولُه[4] :

وَدوِيَّةٍ غَبْرَاءَ قد طال عهدُها تَهَالَكُ فيها الوِرْدُ والمَرْءُ ناعسُ[5]

---

(١) المنهل : الماء المورود . جعل تكالب السباع على أشلائه شبيهاً بورودها الماء .

(٢) هى المفضلية ٥٣ .

(٣) الخطيطة : أرض لم تمطر بين أرضين مطورتين ، شبه بها رأسه ، لأنه لا شعر فيها ، كالخطيطة لا نبت فيها . الصؤاب : بيض القمل .

(٤) هى الأبيات ٦ ، ٧ ، ٩ ، ١٧ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ من المفضلية ٤٧ .

(٥) الدوية : القفر . الورد : أراد بها الإبل .

قَطَعْتُ إلى مَعْرُوفِها مُنْـكَراتِها   بعَيْهَمَةٍ تَنْسَلُّ والـلَّيْـلُ دامِسُ[١]

وتَسْمَعُ تَزْقاءً منَ البُومِ حَوْلَها   كما ضُرِبَتْ بَعْدَ الهُدُوِّ النَّوَاقِسُ

وأعْرَضَ أعْلَامٌ كأَنَّ رُؤُوسَها   رُؤُوسُ رجالٍ فى خَلِيجٍ تَغامَسُ

ولمَّا أضَأْنا اللَّيْلَ عند شِوائِنا   عَرَانا عليها أطْلَسُ اللَّوْنِ بائِسُ[٢]

نَبَذْتُ إليه حُزَّةً من شِوائِنا   حَياءً ، وما فُحْشِى على مَنْ أجالِسُ

فآبَ بها جَذْلانَ - يَنْفُضُ رَأْسَه   كما آبَ بالنَّهْبِ الكَمِىُّ المُخالِسُ[٣]

٣٤٥ ● ومما سُبق إليه قولُه :

يَأْبِى الشَّبَابُ الأَقْوَرِينَ ولا   تَغْبِطْ أخاكَ أنْ يُقَالَ حَكَمْ[٤]

أخذه عمرو بن قَمِيئَةَ فقال[٥] :

لا تَغْبِطِ المَرْءَ أنْ يقالَ له :   أضْحَى فلانٌ لِسِنِّه حَكَمَا

إنْ سَرَّه طُولُ عُمْرِهِ فلَقَدْ   أضْحَى على الوَجْهِ طُولُ ما سَلِمَا

* * *

٣٤٦ ● هو[٦] عمرو بن سعد بن مالك بن عُبَاد بن ضُبيعة . وسُمِّىَ   105

---

(١) صدر هذا البيت أخذه كثير من الشعراء ، منهم ضابىء بن الحرث البرجمى فى الأصمعية ٦٣ : ١٥ وشاعر مبهم فى اللسان ٧ : ١٥ . العيهمة : الناقة القوية الماضية ، وكذلك العيهامة ، وهى رواية المفضليات .

(٢) أطلس اللون : عنى به الذئب ، هو أغبر إلى سواد .

(٣) المخالس ، بالخاء المعجمة : الشجاع الحذر . ورواية المفضليات « المحالس » بالمهملة ، وهو الشديد الذى لا يبرح مكانه فى الحرب .

(٤) من المفضلية ٥٤ وقد سبق ٧٢ ، ١٠٣ .

(٥) هو جاهلى قديم ، ستأتى ترجمته ٢٢٢ – ٢٢٣ ل . والبيتان فى الأنبارى ٤٩٣ غير منسوبين . وهما أيضاً مع آخرين فى معجم الشعراء للمرزبانى ٢٠١ .

(٦) نص الترجمة فى ب د ه . ولكن فى ه « عمرو بن سفيان بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة » . وفى ب « بن أبى سعد » .

« المرَقَّش » بقوله : * كما رقَّش * البيت . وأكل السبعُ أنفَه فقال :

* مَن مُبْلِغٌ الفتيان * البيتين[١].

٣٤٧ ● قال أبو محمد : وهو يُعَدُّ من العُشَّاق ، وصاحبتُه ابنةُ عمه أسماءُ بنت عوف بن مالك . وعوفٌ هو الحُسَامُ[٢].

٣٤٨ ● ويُستحسن له قولُه[٣] :

اَلنَّشْرُ مِسْكٌ والوُجوهُ دَنا نِيرٌ وأَطْرافُ الأَكُفِّ عَنَمْ
ليس على طُولِ الحَياةِ نَدَمْ ومن وَراءِ المَرْءِ ما يَعْلَمْ[٤]

٣٤٩ ● ومما سَبق إليه فأُخذَ منه قولُه : * يأبى الشبابُ * البيت .
أخذه الكُميتُ فقال : * لا تغبط * البيتين[٥] .

(١) مضى ذلك كله ٢١٠ — ٢١١ .

(٢) أخشى أن يكون ابن قتيبة وهم ، فإن عوف بن مالك يدعى « البرك » بضم الباء وفتح الراء ، من أجل قوله فى يوم قضة * أنا البرك * انظر الاشتقاق ٢١٤ — ٢١٥ ومعجم الشعراء للمرزبانى ٢٧٦ وشرح القاموس ٧ : ١٠٩ . وأما أخوه « عمرو بن مالك » فإنه يلقب « الخشام » بوزن « حسام » ولكن بالمعجمتين ، وسمى بذلك لعظم أنفه ، وهو الذى أسر المهلهل فى بعض الغارات بين بكر وتغلب . انظر الاشتقاق ٢١٤ والمفضلية ٥٨ مع ترجمة المرقش فى المفضلية ٤٥ .

(٣) مضيا ٧٣ وهما أيضاً مع ثالث فى معجم الشعراء للمرزبانى ٢٠١ وهما من المفضلية ٥٤ .

(٤) اللسان ١٥ : ٢٢٣ .

(٥) مضى ذلك قريباً . وما فى هذه النسخ هنا من نسبة هذا الشعر الأخير للكميت خطأ ، فإنه شعر عمرو بن قميئة ، كما مضى .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١٢ – المرقش الأصغر[١]

٣٥٠ ● يقال إنَّه أخو الأكبر ، ويقال : إنَّه ابنُ أخيه . واختلفوا فى اسمه : فقال بعضهم : هو عمرو بن حَرْمَلَة ، وقال آخرون : هو ربيعةُ بن سفيان[٢] . وهو من بنى سعد بن مالك بن ضُبيعةَ ، وأحدُ عُشَّاق العرب المشهورين ، وصاحبتُه فاطمةُ بنت المنذر ، وكانت لها خادمةٌ تجمعُ بينهما ، يقال لها هند بنت عَجْلَانَ ، فلذلك ذَكرها فى شعره .

٣٥١ ● وكان للمرقِّش ابنُ عمٍّ يقال له : جَنَابُ بن عوف بن مالك[٣] ، لا يُؤْثِرُ عليه أحدًا ، وكان لا يكتمه شيئاً من أمره ، فألحَّ عليه أن يَخْلُفه ليلةً عند صاحبته ، فامتنع عليه زماناً ، ثم إنَّه أجابه إلى ذلك ، فعلَّمه كيف يصنعُ إذَا دخل عليها ، فلمّا دنا منها أنكرتْ عليه مَسَّه ، فنَحَّته عنها ، وقالت : لعن اللهُ سرًّا عند المُعَيْدِىّ ، وجاءت الوليدةُ فأخرجتْه ، فأتى المرقَّش فأخبره ، فعضَّ على إبهامه فقطعها أسفاً ، وهام على وجهه حياءً ، فذلك قولُه[٤] :

106

أَلَا يا اسْلَمِى لا صُرْمَ فى اليوم فاطِمَا
ولا أَبَدًا ما دام وَصْلُكِ دائمـاً

---

(١) نص ترجمته فى س ف .

(٢) الأرجح أن اسمه « ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك » . والمرقش الأكبر عم المرقش الأصغر ، والأصغر عم طرفة بن العبد . وكان الأصغر أشعر المرقشين وأطولهما عمراً . له ترجمة فى المفضليتين ٥٥ ، ٥٦ وحديثه فى شرح الأنبارى ٤٩٨ – ٤٩٩ والأغانى ٥ : ١٨٣ – ١٨٥ .

(٣) خطأ ، صوابه « عمرو بن جناب بن عوف بن مالك » .

(٤) هى الأبيات ١ ، ٢ ، ٦ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٤ ، من المفضلية ٥٦ .

رمتْكَ ابنةُ البَكْرِىّ عن فَرْعِ ضَالَةٍ

وهُــنَّ بنا خُوصٌ يُخَلْنَ نَعَائِمَا[1]

صَحَا قلْبُــهُ عنها خَلَا أَنَّ رُوعَه

إذا ذُكِرَتْ دارَتْ به الأَرْضُ قائِمَا[2]

أفاطمَ لو أَنَّ النســاءَ ببَلْدَةٍ

وأنتِ بأُخْرَىٰ لَاتَّبَعْتُكِ هائِمَــا

مَتَى ما يَشَأْ ذُو الوُدِّ يَصْرِمْ خَلِيلَهُ

ويَغْضَبْ عليــه لا محالةَ ظالِمَا

وآلَىٰ جَنَــابٌ حَلْفَــةً فأَطَعْتَه

فنَفْسَكَ وَلِّ اللَّوْمَ إنْ كنتَ نادِمَا[3]

أَمِنْ حُلُمٍ أَصْبَحْتَ تَمْكُثُ واجمــاً

وقد تَعْتَرِى الأَحلامُ مَنْ كان نائِمَا[4]

٣٥٢ ● ومما سَبق إليه قولُه :

ومَن يَلْقَ خَيْرًا يَحْمَدِ الناسُ أمــرَهُ   ومن يَغْوِ لايَعْدَمْ علىالغَىِّ لَائِمَا[5]

أخذه القُطامىُّ فقال[6] :

والناسُ مَنْ يَلْقَ خَيْرًا قائلون له   ما يَشْتَهِى ، ولِأُمِّ المُخْطِىءِ الهَبَل

---

(١) الضال : سدر الجبل ، وأراد بفرعها القوس ، كأنها رمته عنه ، الخوص : الإبل الغائرة العيون . النعائم : النعام . الهد : الإسراع فى القطع ، يريد أن الإبل أسرعت السير . وفى المفضليات والأغانى « وهن » ، يريد : هن فى ضمرهن وجهدهن يحسبن نعاماً . وكانت فى ل « وهن » أيضاً ، ولكن مصححها أثبت فى جدول التصحيح تصويبها « وهد » فأثبتنا ذلك .

(٢) الروع ، بضم الراء: القلب ، وهوموضع الروع ، بفتحها ، أى الفزع . وسيأتى البيت١٩٦ .

(٣) جناب : يريد عمرو بن جناب ، سماه باسم أبيه ، وهو شىء نادر فى العربية ، ولكن له شواهد . نادما : فى المفضليات والبلدان ٨ : ٤١٩ « لائما » .

(٤) فى المفضليات « تنكت » بدل « تمكث » من النكت فى الأرض كما يفعل المهموم .

(٥) هو البيت ٢٢ من المفضلية ٥٦ . وهو فى اللسان ١٩ : ٣٧٧ . الغى : الضلال والخيبة .

(٦) ستأتى ترجمته ٤٥٣ – ٤٥٦ ل وسيأتى البيت مع آخر هناك .

٣٥٣ ● هو[1] عمرو بن سفيان بن سعد بن مالك ، ابنُ أخى المرقِّش الأكبر ، ويقال هو ابنُ حَرْمَلَة ، وهو يُعَدُّ من العُشّاق ، وصاحبتُه بنتُ عَجْلَانَ ، أَمةٌ كانت لبنت عمرو بن هِنْد ، وفيها يقولُ[2] :

يا بنتَ عَجْلَانَ ما أَصْبَرَنى   على خُطُوبٍ كنحْتٍ بالقَدُومْ

107

٣٥٤ ● ومما سَبق إليه فأُخذ منه قولُه * ومَنْ يلْقَ خيرًا * البيت ، أخذه القُطامىُّ فقال * والناسُ مَن يَلْقَ * البيت .

٣٥٥ ● ويُعاب عليه قولُه فى المرأة :

صَحَا قلبُه عنها على أنَّ ذِكْرَةً
إذَا خَطَرَتْ دارتْ به الأَرضُ قائِمَا[3]

قالوا : كيف يَصْحُو مَنْ إذا ذُكِرَتْ له دارتْ به الأَرضُ[4] ؟!

٣٥٦ ● قالوا : وكان عضَّ سبَّابتَه فقطَعها من حُبِّها ، وقال :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ المَرْءَ يَجْذِمُ كَفَّهُ
ويَجْشَمُ من هَوْلِ الأُمورِ المَجاشِمَا[5]

---

(١) نص الترجمة فى ب د ه .

(٢) فى هذا شىء من الخطأ ، وانظر ما أشرنا إليه من المراجع آنفا . والبيت من المفضلية ٥٧ .

(٣) مضى البيت ٢١٥ . الذكرة ، بكسر الذال ، كالذكر والذكرى : نقيض النسيان ، ولم يذكر فى المعاجم إلا فى المعيار ، ولها شاهد آخر فى شعر أعشى باهلة ، فى الأصمعية ٢٤ : ٢٩ . وأثبت فى ل « ذكره » جعله « ذكر » مضافاً للضمير ، وهو غير جيد .

(٤) الناقد يقيس بالشبر والذراع ! والشاعر يصور فيبالغ فى ثبات حبه ، فيثبت صحوه عنها قولا ، وينفيه عملا وفعلا . وقد أوفى فى هذا على الغاية : يدعى السلو والذكرة تصرعه .

(٥) هو البيت ٢٣ من المفضلية ٥٦ .

٣٥٧ ● وكان هَرب من المنذرِ وأَتى الشأْمَ ؛ فقال[1] :

أَبْلغِ المُنْذِرَ المُنَقِّبَ عَنِّى غَيْرَ مُسْتَعْتِبٍ ولا مُسْتَعِينِ

لاتَ هَنَّا ولَيْتَنِى طَرَفَ الزُّ جِّ وأَهْلِى بالشأْمِ ذاتِ القُرُونِ[2]

---

(١) البيتان من المفضلية ٤٨ وهى منسوبة هناك للمرقش الأكبر . وهما فى البلدان ٤ : ٣٧٨ للمرقش ، ولم يذكر أيهما هو .

(٢) لات هنا : ليس هذا وقت إرادتك إياى . الزج : موضع . والبيت فى اللسان ١٧ : ٢١٢ .

١٣ ـ علقمة بن عبدة[١]

٣٥٨ ● هو من بنى تميم ، جاهلىٌّ . وهو الذى يقال له علقمةُ الفَحْلُ ، وسُمِّىَ بذلك لأنَّه احتكم مع امرئ القيس إلى امرأته أُمِّ جُنْدَب لتَحكمَ بينهما ، فقالت : قولا شعرًا تصفان فيه الخيلَ على رَوِىٍّ واحد وقافية واحدة ، فقال امرو القيس :

خَلِيلَىَّ مُرَّا بِى على أُمِّ جُنْدُبِ   لنَقْضِىَ حاجاتِ الفُؤادِ المُعَذَّبِ

وقال علقمةُ[٢] :

ذَهَبْتَ مِنَ الهِجْرَانِ فى كُلِّ مَذْهَبِ
ولم يَكُ حَقًّا كُلُّ هٰذا التَّجَنُّبِ

108 ثم أنشداها جميعاً ، فقالت لامرئ القيس : علقمةُ أشعرُ منك ، قال : وكيف ذاك ؟ قالت : لأنَّك قلتَ :

فللسَّوْطِ أُلْهُوبٌ وللساق دِرَّةٌ   وللزَّجْرِ منه وَقْعُ أَخْرَجَ مُهْذِبِ

---

(١) الترجمة الثابتة فى س ف . و « عبدة » بفتح الباء . وقد ترجمنا لعلقمة فى أول المفضلية ١١٩ وأخباره فى الأنبارى ٧٦٢ – ٧٦٥ والأغانى ٧ : ١٢١ – ١٢٢ و ٢١ : ١١١ – ١١٣ والموشح ٢٨ – ٣٠ وطبقات الجمحى ٣٠ ، ٣١ والخزانة ١ : ٥٦٥ – ٥٦٦ .

(٢) القصيدة معروفة لعلقمة ، وفى الأنبارى رواية غريبة عن أحمد بن عبيد : «كان ابن الجصاص وحماد يرويان * ذهبت من الهجران * لامرىء القيس ، ورواها المفضل لعلقمة » .

(٣) الأخرج : ذكر النعام ، والخرج ، بفتحتين : بياض فى سواد ، وبه سمى . مهذب : من الإهذاب ، وهو الإسراع فى الطيران والعدو والكلام . والبيت فى اللسان ٢ : ٢٤١ وعجزه فيه ٢ : ٢٨١ .

فجَهَدت فَرَسَك بسوطك ، ومَرَيْتَه بساقك[1] ، وقال علقمةُ :

فأَدْرَكَهُنَّ ثانِيــاً من عِنانِهِ يَمُرُّ كمَرِّ الرائحِ المُتَحَلِّبِ[2]

فأدركَ طريدتَه وهو ثانٍ من عِنَانِ فرسه ، لم يضربه بسوط ، ولا مَرَاه بساقٍ ، ولا زَجَرَه ، قال : ما هو بأَشعرَ منّي ولكنّك له وامقٌ[3]! فطلَّقها فخَلَفَ عليها علقمةُ ، فسُمِّيَ بذلك « الفَحْلَ » . ويقال : بل كان في قومه رجل يقال له علقمةُ الخَصِيُّ ، ففرَّقوا بينهما بهذا الاسم .

٣٥٩ • ومن جيِّدِ قوله[4] :

فإنْ تَسْأَلُوني بالنِّساءِ فإنَّني بَصِيرٌ بأَدْواءِ النِّسَاءِ طَبِيبُ
إذَا شاب رأْسُ المَرْءِ أو قَلَّ مالُه فليس له في وُدِّهِنَّ نَصِيبُ
يُرِدْنَ ثَرَاءَ المالِ حَيْثُ عَلِمْنَهُ وشَرْخُ الشَّبَابِ عِنْدَهُنَّ عَجِيبُ[5]

* * *

٣٦٠ • هو[6] تميميٌّ ، من ربيعةَ الجُوعِ[7] ، وهو الذى يقال له الفَحْلُ ،

---

(١) مريته : يقال « مريت الفرس » إذا استخرجت ما عنده من الجرى بسوط أو غيره .

(٢) الرائح : السحاب . المتحلب : المتساقط المتتابع .

(٣) وامق : أى محبة . وفرق أبو رياش بين الوماق ، بكسر الواو ، والعشق ، فقال : « الوماق : محبة لغير ريبة ، والعشق : محبة لريبة » .

(٤) هى الأبيات ٨ — ١٠ من المفضلية ١١٩ .

(٥) سيأتى ٣٤١ ل .

(٦) وهذه الترجمة الثابتة فى ب د هـ .

(٧) الربائع من بنى تميم أربعة : ربيعة الكبرى ، وهو ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، وهو ربيعة الجوع . وربيعة الوسطى ، وهو ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة . وربيعة الصغرى ، وهو ربيعة بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة . والرابعة ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة . وقد يخطىء النسابون فى النسب إليهم ، كما أخطأ ابن دريد فى الاشتقاق ١٣٣ فجعل علقمة من ربيعة الصغرى بنى مالك بن حنظلة ، وهو من ربيعة الكبرى . وانظر المفضلية ١١٩ والنقائض ١٨٦ ، ٦٩٩ والأنبارى ٧٧٢ .

وكان ينازعُ امرأ القيس الشعرَ ، فقال كلٌّ واحدٍ منهما لصاحبه : أنا أشعرُ منك ، فقال علقمةُ : قد حكَّمت امرأتَك أمَّ جُنْدُبٍ بينى وبينَك ، فقال : قد رضيتُ . فقالت أمُّ جُنْدُب : قُولَا شعرًا تَصِفَانِ فيه الخيلَ على روىٍّ واحد وقافيةٍ واحدة ، فقال امرو القيس قصيدتَه التى أوَّلُها

خَلِيلَىَّ مُرَّا بى على أمِّ جُنْـدُبٍ نُقَضِّ لُبَانَاتِ الفُؤَادِ المُعَذَّبِ[1]

109 وقال علقمةُ قصيدتَه التى أوَّلُها * ذَهَبْتَ من الهجْرانِ فى غَيْرِ مَذْهَبِ * البيت . ثم أنشداها جميعاً ، فقالت لامرئ القيس : علقمةُ أشعرُ منكَ قال : وكيف ؟ قالت : لأنَّك قلتَ * فلِلسَّوطِ أُلهوبٌ * البيت ، فجَهَدتَّ فرسَك بسوطِك وزجرِك ، فأتعبتَه بساقِك ، وقال عَلقمةُ :

فوَلَّى على آثارِهِنَّ بحاصِبٍ وغَيْبَةِ شُؤْبُوبٍ منَ الشَّد مُلْهَبِ[2]

* فأَدْرَكَهُنَّ ثانياً * البيت ، فأدركَ طريدتَه وهو ثانٍ من عِنانه ، لم يضربه بسوطه ، ولم يَمْرِه بساقِه ، ولم يَزْجُرْه ، فقال لها : ما هو بأشعرَ منّى ولكنَّكِ له عاشقٌ ! فطلَّقها وخَلَفَ عليها علقمةُ ، فسمّى « الفَحْلَ » لذلك .

٣٦١ ● ويقال إنه قيل له « الفحلُ » لأنَّ فى رهطه رجلاً يقال له علقمةُ الخصىُّ . وهو علقمةُ بن سَهْلٍ ، أحدُ بنى ربيعةَ بن مالك بن زيد مناةَ بن تميم ، ويُكْنَى أبا الوَضّاح ، وكان بعُمَانَ[3] . وسببُ خِصائِه أنَّه

(١) ب د « نقضى » .

(٢) الحاصب : الريح الشديدة تحمل التراب والحصباء . الشؤبوب : الدفعة من العدو والجرى . الشد : العدو . وفى هذا البيت خلاف ، يثبته بعض الرواة فى قصيدة امرىء القيس ، ورواية الأغانى تثبته لعلقمة .

(٣) فى المؤتلف ١٥٢ « وكان له إسلام وقدر » وكذلك فى الخزانة ١ : ٥٦٥ . ويفهم من

أسرَ باليمن فهَرب ، فظُفِرَ به ، ثم هرب مرّةً أُخرىٰ ، فأُخذَ فخُصِيَ ، فهرب ثالثةً ، وأخذ جَمَلَيْن يقال لهما عَوْهَجٌ وداعِرٌ ، فصارًا بعُمانَ ، فمنها العَوْهَجيّة والداعِريّة ، وكان شهدَ على قُدَامةَ بن مظعون ، وكان عاملَ عُمَرَ على البحرين ، بشربِ الخمر ، فحدّه عُمر[1].

٣٦٢ ● وهو القائل[2] :

يقول رجالٌ من صَديق وحاسِدٍ أَرَاكَ أَبا الوَضّاحِ أَصْبَحْتَ ثاويَا

فلا يَعْدَمِ البانُونَ بَيْتاً يُكِنُّهم ولا يَعْدَمِ الميراثَ مِنّى المَوَاليَا

وجَفَّتْ عُيُونُ الباكياتِ وأَقْبَلُوا إلى ما لِهِمْ ، قد بِنْتُ عنه ، وماليَا

حِرَاصاً على ما كُنْتُ أَجْمَعُ قَبْلَهم هَنِيئاً لهم جَمْعِى وما كُنْتُ وانِيَا

١١٥

٣٦٣ ● وكان لعلقمةَ بن عَبَدَة أخٌ يقال له شَأْس بن عَبَدَةَ ، أسره الحٰرثُ بن أبي شَمِرٍ الغَسّانىُّ مع سبعين رجلا من بنى تميم ، فأتاه علقمةُ ومدحه بقصيدة أوّلُها[3] :

طَحَا بك قَلْبٌ فى الحِسان طَرُوبُ بُعَيْدَ الشَّبابِ عَصْرَ حانَ مَشِيبُ[4]

إلى الحٰرثِ الوَهّابِ أَعْمَلْتُ ناقتى لِكَلْكَلِها والقُصْرَيَيْنِ وَجيب

فلما بلغ هذا البيتَ :

وفى كلِّ حَىٍّ قد خَبَطْتَ بنِعْمَةٍ فحُقَّ لشَأْس من نَدَاكَ ذَنُوبُ[5]

=ترجمته أنه لم يعاصر علقمة الفحل ، فلا يستقيم أن يلقب علقمة بن عبدة بلقب «الفحل» مقابلا لعلقمة الخصى ، إلا أن يكون اللقب استحدث بعد ، وهو بعيد .

(١) فى الاشتقاق ١٣٤ : « وهو أحد من شهد على قدامة بن مظعون بشرب الخمر عند عمر ، وقال له : أتقبل شهادة خصى ؟ ! فقال عمر : أما شهادتك فنعم » .

(٢) الأبيات فى المؤتلف والخزانة . وانظر الحيوان للجاحظ ١ : ١٢٠ — ١٢١ .

(٣) هى المفضلية ١١٩ والبيتان هما ١ ، ١٣ منها .

(٤) طحا بك : اتسع بك وذهب كل مذهب .

(٥) خبطت : يقال « خبطه بخير » أعطاه من غير معرفة بينهما . ورواه سيبويه ٢ : ٤٢٣

فقال الحٰرثُ : نَعَمْ وأَذْنِبَةٌ . وإنما أراد علقمةُ بقوله :

* وفى كلّ حىّ قد خَبَطْتَ بنعمة *

أنّ النابغةَ كان شَفَع فى أسارىٰ بنى أَسَدٍ فأطلقَهم ، وكانوا نيّفاً وثمانين ، ثم سأله علقمةُ أن يُطلقَ أسارىٰ بنى تميم ففعل . ويقال إن شأساً هو ابنُ أخى علقمةَ .

٣٦٤ ● ويستجاد له من هذا الشعر :

* فإن تَسْألُونى بالنساء * الثلاثةَ الأبياتِ[1].

« خبط » شاهدا على قلب التاء طاء وإدغامها فى الطاء ، ثم قال : « وأعرب اللغتين وأجودهما أن لا تقلبها طاء ، لأن هذه التاء علامة الإضمار ، وإنما تجىء لمعنى » . الذنوب : الدلو ، أراد حظا ونصيباً والبيت هو ٤٢ من المفضلية . وهو فى اللسان ٩ : ١٥٢ . وانظر الأنبارى ٧٨٦ والسمط ٤٣٣ .

(١) مفضت ٢١٩ .

١٤ ـ الأَفوه الأَودى[١]

٣٦٥ ● هو صَلَاءَةُ بن عمرو ، من مَذْحِج ، ويكنَى أبا ربيعةَ ، وهو القائل[٢] :

لَا يَصْلُحُ القَوْمُ فَوْضَى لَا سَرَاةَ لَهُمْ
ولا سَرَاةَ إِذَا جُهَّالُهُمْ سَادُوا
تُهْدَى الأُمُورُ بِأَهْلِ الرَّأْيِ مَا صَلَحَتْ
فَإِنْ تَوَلَّتْ فَبِالأَشْرَارِ تَنْقَادُ

١١١

٣٦٦ ● ومن جيِّدِ شعره قوله[٣] :

إِنَّمَا نِعْمَةُ قَوْمٍ مُتْعَةٌ   وحَيَاةُ المَرْءِ ثَوْبٌ مُسْتَعَارُ
حَتَمَ الدَّهْرُ عَلَيْنَا أَنَّهُ   ظَلَفٌ ما نالَ مِنَّا وجُبَارُ

ظَلَفٌ :باطلٌ[٤] . وجُبَارٌ :هَدَرٌ . وهذه القصيدةُ من جيِّدِ شعر العرب ، أوَّلُها :

إِنْ تَرَىْ رأْسِيَ فيه نَزَعٌ   وشَوَايَ خَلَّةٌ فيها دُوَارُ[٥]

---

(١) هذه الترجمة من س ف . ولم يترجم فى ب هـ د . وله ترجمة فى الأغانى ١١ : ٤١ – ٤٣ والمعاهد ٥٤٧ – ٥٤٨ والسمط ٣٦٥ ، ٨٤٤ .

(٢) البيتان فى لباب الآداب ٤٠ والمعاهد ، وهما من قصيدة فى الأمالى ٢ : ٢٢٤ – ٢٢٥ .

(٣) جمعنا أبياتاً من هذه القصيدة فى لباب الآداب ٣٧٣ – ٣٧٤ وأشرنا فى تعليقنا عليه إلى مصادرها . ومنها أبيات فى المعاهد ٥٤٠ – ٥٤١ .

(٤) بالظاء المعجمة ، ورواية ابن السكيت ٢٧٥ واللسان ١١ : ١٢٧ بالطاء المهملة ، وهما بمعنى ، وأشار اللسان إلى رواية المعجمة .

(٥) النزع : انحسار مقدم الرأس عن جانبى الجبهة . الشوى : جماعة الأطراف ، وأراد به هنا الرأس . ورواية اللباب « وشواق » . والشواة : جلدة الرأس . خلة : مهزولة قليلة اللحم .

٣٦٧ ● وهو القائلُ :

والمَرْءُ ما يُصْلِحُ له لَيْلة بالسَّعْدِ تُفْسِدُهُ لَيالِي النُّحُوسْ
والخَيْرُ لا يأْتى ابتْغِاءٌ به والشَّرُّ لا يُفْنِيهِ ضَرْحُ الشَّمُوس[1]

---

(١) الضرح : التنحية والدفع . الشموس : هو من الدواب الذى إذا نخس جمح ولم يستقر . والبيت الأول فى حماسة البحترى ٢١٥ مغلوطاً . والبيتان فى المعاهد ٥٤٨ . وهما من قصيدة من عزيز الشعر ونادره ، منها أبيات فى السمط ٣٦٤ – ٣٦٥ واللسان ٧ : ٣٥٢ ، ٤٠٣ .

١٥ ـ عدى بن زيد العبادى[١]

٣٦٨● هو عَدِىُّ بن زيد بن حمَّاد[٢] بن أيُّوبَ ، من زيد مَنَاةَ بن تميم . وكان يسكنُ بالحِيرة ، ويدخلُ الأَرياف ، فثَقُلَ لسانُه ، واحتُمِل عنه شىءٌ كثيرٌ جدًّا ، وعلماؤنا لا يَرَوْنَ شعرَه حُجَّةً .

٣٦٩● وله أربعُ قصائدَ غُرَرٍ ، إحداهنَّ :

أَرَوَاحٌ مُوَدِّعٌ أم بُكُورُ ... لكَ ؟ فاعْمِدْ لأَىِّ حالٍ تَصِيرُ

وفيها يقول[٣] :

أيُّهـــا الشامِتُ المُعَيِّرُ بالدَّهْـ ... ـرِ أأَنْتَ المُبَرَّأُ المَوْفُورُ

أم لَدَيْكَ العَهْدُ الوَثِيقُ منَ الْـ ... أَيَّامِ أم أَنْتَ جاهِلٌ مَغْرُورُ

مَنْ رَأَيْتَ المَنُونَ خَلَّدْنَ أم مَّنْـ ... ذا عليه مِنْ أَنْ يُضَامَ خَفِيرُ

أَيْنَ كِسْرَى كِسْرَى المُلُوكِ أَبُوسا ... سانَ أَمْ أَينَ قَبْلَهُ سابورُ[٤]

وبنو الأَصْفَرِ الكِرامُ مُلُوكُ الْـ ... رُّومِ لم يَبْقَ منهمُ مَذْكورُ

وأَخُو الحَضْرِ إذْ بناه وإذْ دِجْـ ... لَةُ تُجْبَى إليه والخابورُ[٥]

---

(١) هذا نص الترجمة فى س ف . وله ترجمة فى الأغانى ٢ : ١٧ – ٤٠ والخزانة ١ : ١٨٣ – ١٨٦ وبلوغ الأرب ٢ : ٢٦٢ – ٢٦٥ والمعاهد ١٣٩ – ١٤٥ وشعراء الجاهلية ٤٣٩ – ٤٧٤ .

(٢) اختلفت النسخ هنا وفى الأغانى فى هذا الاسم اختلافاً شديداً ، أشار إليه مصحح الأغانى طبعة دار الكتب ٢ : ٩٧ . وستأتى الإشارة إليه فى الترجمة التالية .

(٣) فى حماسة البحترى ٨٦ – ٨٧ هذه الأبيات وغيرها . والأبيات الثلاثة الأول فيه ١٠٣ – ١٠٤ والأربعة الأول فى المرزبانى ٢٤٩ .

(٤) البيت فى المعرب ٢٠ ، ١٩٤ ، ٢٨٢ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٩١ واللسان ٨ : ٨١ .

(٥) الحضر ، بفتح الحاء وسكون الضاد : مدينة بإزاء تكريت ، بينها وبين الموصل والفرات ، كانت مبنية بالحجارة المهندمة ، بيوتها وسقوفها وأبوابها . الخابور : نهر كبير بين رأس عين والفرات ، من أرض الجزيرة . وهذا البيت والبيتان بعده فى البلدان ٣ : ٢٩٢ .

شــادَهُ مَرْمَرًا وجَلَّلَهُ كِلْـ   ـساً فلِلطَّيْرِ فى ذُرَاه وُكُورُ

وتَبَيَّنْ رَبُّ الخَوَرْنَقِ إذْ أَشْـ   ـرَفَ يَوْماً ، وللهُدَى تَفْكِيرُ[1]

سَرَّه حالُه وكَثْرَةُ ما يَمْـ   ـلِكُ والبَحْرُ مُعْرِضاً والسَّدِيرُ[2]

فارْعَوَى قَلْبُهُ فقال : وما غِبْـ   ـطَةُ حَيٍّ إلى المَماتِ يَصِيرُ

ثُمَّ بَعْدَ الفَلَاحِ والمُلْكِ والإ   مَّةِ وارَتْهُمُ هناكَ القُبورُ[3]

ثُمَّ أَضْحَوْا كأَنَّهم وَرَقٌ جَـ   ـفَّ فأَلْوَتْ به الصَّبَا والدَّبُورُ

٣٧٠ • والثانيةُ[4] :

أَتَعْرِفُ رَسْمَ الدارِ من أُمِّ مَعْبَدِ   نَعَمْ ، فرَمَاكَ الشَّوْقُ قَبْلَ التَّجَلُّدِ

وفيها يقول :

أعاذِلَ ما يُدْرِيكِ أَنَّ مَنِيَّتِى   إلى ساعةٍ فى اليوم أو فى ضُحَى الغَدِ

ذَرِينى فإنى إنما لِىَ ما مَضَى   أمامِىَ مِن مالى إذا خَفَّ عُوَّدِى

وحُمَّتْ لِميقاتٍ إلىَّ مَنِيَّتِى   وغُودِرْتُ قد وُسِّدْتُ أو لم أُوَسَّدِ

وللوارثِ الباقى منَ المالِ ، فاتْرُكِى   عِتابِى ، فإنى مُصْلِحٌ غيرُ مُفْسِدِ

٣٧١ • والثالثةُ :

لم أَرَ مِثْلَ الفِتْيانِ فى غَبَنِ الْـ   ـأَيَّامِ يَنْسَوْنَ ما عَوَاقِبُهـا[5]

---

(١) الخورنق : قصر كان بظهر الحيرة . والبيت فى المعرب ١٢٦ واللسان ١١ : ٣٦٦ وهو والأربعة بعده فى تاريخ الطبرى ٢ : ٧٤ والبلدان ٣ : ٤٨٤ — ٤٨٥ .

(٢) السدير : نهر ، وقيل قصر . والبيت فى المعرب ١٨٨ والبلدان ٣ : ٥٤ واللسان ٦ : ٣٠ .

(٣) الإمة بكسر الهمزة : غضارة العيش والنعمة . والبيت فى اللسان ١٤ : ٢٨٨ وهو والذى يليه فى المرزبانى ٢٤٩ — ٢٥٠ .

(٤) القصيدة ٤٢ بيتاً فى جمهرة أشعار العرب ١٠٢ — ١٠٤

(٥) المزهر ٢ : ٢٨٦ والغبن ، بسكون الباء وفتحها : النسيان أو ضعف الرأى . وفى الأغانى مع هذا البيت ثلاثة أبيات .

٣٧٢ ●والرابعةُ :

طال ليْلِي أُراقِبُ التَّنْويرَا ... أَرْقُبُ اللَّيْلَ بالصَّباحِ بَصيرَا

٣٧٣ ●وهو القائل فى قصَّة الزَّبَّاء وجَذِيمةَ وقَصِيرٍ الطالبِ بالثأرِ :

دَعا بالبَقَّـــة الأُمَراءَ يوماً ... جَذِيمةُ عَصْرَ يَنْجُوهُمْ ثُبِينَا[1]

فطاوَعَ أَمرَهم وعَصَىٰ قَصِيرًا ... وكان يقول ، لو تَبِعَ ، اليَقِينَا ... 113

ودَسَّتْ فى صَحِيفَتِها إليــه ... لِيَمْلِكَ بُضْعَها ولأَنْ تَدِينَا

فأَرْدَتْه ، ورُغْبُ النَّفْسِ يُرْدِى ... ويُبْدِى للفَتَىٰ الحَيْنَ المُبِينَا

وخَبَّرَتِ العَصَا الأَنْباءُ عنه ... ولم أَرَ مِثْلَ فارسِها هَجِينَا[2]

وقَدَّمَتِ الأَدِيمَ لِرَاهشَيْه ... وأَلْفَىٰ قَوْلَها كَذِباً ومَيْنَا[3]

ومِنْ حَذَرِ المَلاومِ والمَخــازِى ... وهُنَّ المُنْدِياتُ لِمَنْ مَنِيْنَــا[4]

أَطَفَّ لأَنْفِهِ المُوسَىٰ قَصِيرٌ ... لِيَجْدَعَهُ ، وكان به ضَنِينَا[5]

فأَهْواهُ لِمَارِنِهِ فأَضــحَىٰ ... طِلابَ الوِتْرِ ، مجْدُوعا مَشِينَا

وصادَفَتِ امْرَءًا لم تَخْشَ منه ... غَوائِلَه ، وما أَمِنَتْ أَمِينَا

فلمّا ارْتَدَّ منها ارْتَدَّ صُلْباً ... يَجُرُّ المالَ والصَّدْرَ الضَّغِينَا

---

(١) بقة : موضع أو حصن قريب من الحيرة ، كان ينزله جذيمة الأبرش . ينجوهم : يناجيهم ويسارهم ، نجوته نجواً : ساررته . الثبون ، بضم الثاء وكسرها : جمع ثبة ، بالضم ، وهى العصبة من الفرسان . والأبيات فى المعاهد . وقصة الزباء مشهورة ، مفصلة فى الأمثال ١ : ٧٨ ، ٢٠٥ — ٢٠٨ والمعاهد وغيرهما . والبيت والذى بعده مع آخرين فى البلدان ٢ : ٢٥٣ وحماسة البحترى ١٧٢ .

(٢) العصا : فرس جذيمة ، وهى بنت العصية ، فرس لإياد ، لا تجارى . والبيت فى الخيل لابن الكلبى ٣٢ .

(٣) الراهشان : عرقان فى باطن الذراعين .

(٤) المنديات : المخزيات التى يعرق لها الوجه ويندى . وكذلك كانت فى الأصول ، ثم غيرها مصحح ل جعلها « المندبات » بالموحدة ، تبعاً للمعاهد . وهو خطأ ولا معنى له . منيناً ، بالبناء للفاعل ، أى أصبنه . وضبطت فى ل بالبناء للمجهول ، وهو خطأ .

(٥) أطف لأنفه الموسى : قربه منه . وصدر البيت فى اللسان ١١ : ١٢٥ محرفاً غير منسوب .

أَتَتْها العيسُ تَحْمِلُ ما دَهاها   وقَنَّعَ فى المُسُوحِ الدَّارِعِينَا

ودَسَّ لها على الأَنْفاقِ عَمْرًا   بِشِكَّتِهِ ، وما خَشِيَتْ كَمِينَا

فجلَّلَها قديمَ الأَثْرِ عضْباً   يَصُكُّ به الحواجبَ والجبينَا[1]

فأضْحَتْ من خَزائِنِها كأن لم   تَكُنْ زَبَّاءُ حامِلَةً جنِينَا

وأبْرَزَها الحَوادِثُ والمَنايَا   وأَىُّ مُعَمَّرٍ لا يَبْتَلِينَا

إذا أَمْهَلْنَ ذا جَدٍّ عَظِيمٍ   عَطَفْنَ له ولو فَرَّطْنَ حِينَا

ولم أجِدِ الفَتَى يَلْهُو بشىءٍ   ولو أَثْرَى ولو وَلَدَ البَنِينَا

* * *

١١٤

٣٧٤ ● هو[2] عَدِىُّ بن زيد بن حِمَاز[3] بن زيد بن أَيُّوب بن محروف[4] ابن عامر بن عُصَيَّةَ[5] بن امرئ القيس بن زيدِ مناةَ بن تميمٍ . وأوَّلُ مَن نزل الحِيرة منهم أيُّوبُ ، بسبب دمٍ أصابه ، وكان منزلُه اليمامة . وكان حِماز أوَّلَ من تعلم الكتابةَ من بنى أَيُّوبَ ، وكَتب للنعمان الأكبر .

٣٧٥ ● وكان عدىٌّ تَرْجُمانَ أَبَرْوَازَ ملكِ فارسَ وكاتِبَه بالعربيَّة ، فلما قُتل عمرو بن هندٍ وَصَفَ له عدىُّ بن زيدٍ النعمانَ بنَ المنذر بن امرئ القيس ، وأشار عليه بتوليته العربَ ، واحتال فى ذلك حتى ولَّاه من بين إخوته ، وكان أدمَّهم وأقبحَهم . ثم بلغ النعمانَ عن عدىّ شىءٌ فخافه ،

---

(١) الأثر ، بسكون الثاء : فرند السيف ورونقه .

(٢) هذا نص الترجمة فى ب هـ د .

(٣) ب د « حماد » ف س « جماد » بالجيم وتشديد الميم . وقد أشرنا فى الترجمة الأولى ٢٢٥ إلى الخلاف فى هذا الاسم .

(٤) ب د « محروب » .

(٥) ب د « عصبة » بفتح العين والصاد والباء الموحدة .

فاحتال حتى وقَع فى يده ، فحبسه ، فقال فى الحبس أشعارًا وبعث بها إليه ، فمنها قولُه :

أَلَا مَن مُّبْلِغُ النُّعْمانِ عَنِّى عَلانِيَةً ، وما يُغْنِى السِّرَارُ

بأَنَّ المَرْءَ لم يُخْلَقْ حَدِيدًا ولا هَضْباً تَوَقَّلَهُ الوِبَارُ[1]

ولٰكِنْ كالشهابِ سَنَاهُ يَخْبُو وحادِى المَوْتِ عنه ما يَحَارُ

فهَلْ من خالِدٍ إمَّا هَلَكْنا وهل بِالمَوْت، يالَلنَّاس! عَارُ[2]

ومنها قولُه :

أَبْلِغِ النُّعْمانَ عنِّى مَأْلُكاً أَننى قد طال حَبْسِى وانْتِظَارِى[3]

لو بغَيْرِ الماءِ حَلْقِى شَرِقٌ كُنْتُ كالغَصَّانِ بالماءِ اعْتِصارِى[4]

فلم يَزل فى حبسه حتّى مات ، ويقال إنه قتله .

115

٣٧٦ ● وكان له ابنٌ يقال له زيدُ بن عدىّ ، فتوصَّل إلى أَبَرْوَازَ حتّى حلَّ محلَّ أبيه ، وذكر زيدٌ لأَبرواز نساءَ آلِ المنذرِ ، ونَعَتَهُنَّ له بالجَمال ، فكتب أبرواز إلى النعمان يأْمره أن يزوّجه أُختَه أو ابنتَه ! فلمّا قرأ النعمانُ الكتابَ قال للرسول : فأَين المَلِكُ عن مَهَا السَّوادِ ؟ فرجَع الرسولُ فأَخبره بما قال ، وحرَّف زيدٌ القولَ عنده ، وقال : فأَين هو عن بَقَرِ العراق[5] ؟

---

(١) الوبار ، بكسر الواو : جمع وبر ، وهى دويبة ، سبق وصفها ١٧٦ وقد ضبط الجمع هنا فى ل وفى شعراء الجاهلية ٤٥٦ بفتح الواو ، وهو خطأ . والأبيات فى الأغانى أيضاً .

(٢) المرزبانى ٢٥٠ .

(٣) المألك ، بضم اللام : الرسالة . وضبط فى ل بفتحها ، ولا وجه له ، والرواية بالضم لاغير. والبيت فى اللسان ١٢ : ٢٧٢ والخزانة ٣ : ٥٩٧ .

(٤) المرزبانى ٢٤٩ . الاعتصار : أن يغص الإنسان بالطعام فيعتصر بالماء ، وهو أن يشربه قليلا قليلا ، وأصل الاعتصار : الالتجاء . والبيت فى اللسان ٦ : ٢٥٦ و ٨ : ٣٢٨ والخزانة مشروحا ٣ : ٥٩٤ — ٥٩٦ . وهما من أبيات فى الأغانى والمعاهد وشعراء الجاهلية ٤٥٣ — ٤٥٤ .

(٥) المهاة : جمع مهاة ، وهى بقرة الوحش ، تشبه بها المرأة ، فتطلق عليها مجازاً . فنقل الواشى الكلام إلى الحقيقة اللفظية ليصل إلى ما يريد .

فطلبه أبرواز . وهَرب النعمانُ منه حيناً ، ثم بَدَا له أن يأتِيَه ، فأتاه بالمدائنِ ، فصفَّ له كسرىٰ ثمانيةَ آلافِ جاريةٍ صَفَّينِ ، فلمّا صار بينهما قُلْنَ له : أمَا فينا للمَلك غنًى عن بَقرِ العراق ؟ ! وعَلِمَ النعمانُ أنَّه غيرُ ناجٍ منه ، وأمر به كسرىٰ فحُبس فى ساباطِ المدائنِ ، ثم أُلقِيَ تحت أرجل الفيَلَة ، فتَوَطَّأَتْه حتّى مات .

٣٧٧ ●وذكر أبو عُبيدةَ عن أبى عمرو بن العَلاءِ قال : كان عدىٌّ بن زيد فى الشعراءِ بمنزلة سُهَيلٍ فى النجوم ، يعارِضُها ولا يَجْرِى مَجاريها[١]. قال : والعرب لا تَروِى شعرَه ، لأنَّ ألفاظه ليست بنجديَّةٍ ، وكان نصرانيًّا من عِبَادِ الحِيرة[٢] ، قد قرأ الكُتب .

٣٧٨ ●قال الأصمعىُّ : كان عدىٌّ لا يُحْسِنُ أن ينعَتَ الخيلَ ، وأخذ عليه قولُه فى صفةِ الفَرس * فارِهاً مُتَتَايِعاً[٣] * وقال : لا يقال للفرس « فاره » إنما يقال له « جواد » و « عتيق » ويقال للكَوْدنِ والبغل والحمار « فاره » . ووَصف الخمرَ بالخُضْرةِ ، ولم يُعْلَم أحدٌ وصفَها بذلك ، قال :

والمَشْرفُ الهِنْدىُّ نُسْقَىٰ به أخْضرَ مَطْمُوثاً بماءِ الخَرِيضْ[٤]

116

٣٧٩ ●وهوأوَّل من شبَّه أباريقَ الخمر بالظِّبَاء ، قال يَذكر بيتَ الخَمّار :

---

(١) نسب هذا القول فى الخزانة ١ : ١٨٤ إلى أبى عبيدة والأصمعى .

(٢) قال ابن دريد فى جمهرة اللغة ١ : ٢٤٥ : « العباد : قوم من قبائل شتى من العرب ، اجتمعوا على النصرانية ، فأنفوا أن يتسموا بالعبيد . فقالوا : نحن العباد » .

(٣) فى أكثر الأصول « متابعاً » والذى أثبتنا هو ما فى هـ لموافقته نص البيت الذى يشير إليه ، وهو فى اللسان ١٧ : ٤١٧ ونسب هذا النقد لأبى حاتم الأصمعى . ولكن فى هـ بالباء الموحدة ، وصوابه بالياء المثناة التحتية ، من التتايع ، وهو التهافت والإسراع .

(٤) المطموث : الممسوس ، يريد الممزوج . الخريض : شبه حوض واسع ينبثق فيه الماء من النهر ثم يعود إليه : يريد أنه صاف بارد . والبيت مروى بروايات أخر فى اللسان ٨ : ٢٨٩ .

بَيْتِ جُلُوفٍ بارِدٍ ظِلُّهُ فيه ظِباءٌ ودَوَاخِيلُ خُوصْ[١]

فقال بعدَه : * كأنَّ إبْرِيقَهُمْ ظَبْيٌ على شَرَفٍ[٢] *

٣٨٠ ●ويُستجادُ له قولُه :

قد يُدْرِكُ المُبْطِئُ مِن حَظِّـه والخَيْرُ قد يَسْبِقُ جَهْدَ الحَرِيصْ[٣]

٣٨١ ●ويُستجاد له قولُه في وصف السُّقَاةِ :

والرَّبْرب المَكْفُوف أرْدانُه يَمْشِي رُوَيْدًا كمَشْي الرَّهِيصْ[٤]

ثم قال بعدَ أن وصف الخمرَ والنَّدَامَى :

ذٰلِكَ خَيْرٌ من فُيُوجٍ على البا بِ وقَيْدَيْنِ وغُلٍّ قَرُوصْ[٥]

أو مُرْتَقًى نِيق على مَرْكَبٍ أَذْفَرَ عَوْدٍ ذى إكَافٍ قَمُوصْ[٦]

لا يُحْسِنُ المَشْىَ ولا يَقْبَلُ الرِّدْ فَ ولا يُعْطَى به قُلْبُ خُوصْ[٧]

ومن نُسُورٍ حَوْلَ مَوْتَى يُمَزِّقْـ نَ لُحُوماً من طَرِىِّ الفَرِيصْ[٨]

---

(١) الجلوف : جمع جلف ، بكسر الجيم ، وهو الدن . الدواخيل : جمع دوخلة ، بتشديد اللام وتخفيفها ، وهى سفيفة من خوص يوضع فيها التمر والرطب . والبيت فى اللسان ١٠ : ٣٧٦ و ١٩ : ٢٤٨ .

(٢) يريد : قال قائل بعده . وهذا صدر بيت لعلقمة بن عبدة فى المفضلية ١٢٠ : ٤٤ .

(٣) المرزبانى ٢٥٠ .

(٤) الربرب : القطيع من بقر الوحش ، أو من الظباء ولا واحد له . الرهيص : الدابة يشدخ باطن حافرها بحجر أو نحوه فأدواه .

(٥) الفيوج : الذين يدخلون السجن ويخرجون يحرسون ، واحدهم فيج .

(٦) النيق : أرفع موضع فى الجبل . الأذفر : المنتن الرائحة . العود : يريد حماراً أو بغلا مسناً وفيه بقية . الإكاف من المراكب : شبه الرحال والأقتاب .

(٧) القلب ، بضم القاف : أجود خوص النخلة وأشده بياضاً ، وهو هنة رخصة بيضاء تمسخ فتؤكل .

(٨) الفريص : جمع فريصة ، وهى اللحم الذى بين الكتف والصدر .

قالوا : وهذان لا يتقاربان ، وكيف يجعل هذا خيرًا من هذا ؟

٣٨٢ ● ومما سَبق إليه فأُخذ منه قوله لأخيه يحذِّره أن يدخل أرضَ النعمانِ :

فلا تُلْفَيَنَّ كأُمِّ الغُلَا م إلَّا تَجِدْ عارِساً تعْتَرِمْ

أخذه ابنُ مُقْبلٍ فقال :

لا أُلْفَيَنَّ وإيَّاكُمْ كعَارِمَةٍ إلَّا تَجِدْ عارماً فى الناس تَعْتَرِمِ

قال أبو محمد : معناه : إن لم تَجِدْ من يَرْضَعُها رَضَعَتْ ثدىَ نفسها ، يقال «عَرَمَ الصبىُّ أُمَّه» إذا رَضَعها ، ويقال : إن لم تجدْ من يُخادشُها ويقاتلُها، خَدَشَتْ وجهَ نفسها وادَّعَته على بَرِىٍّ[١] .

٣٨٣ ● وهو ممن أقرَّ على نفسه بالزنا ، فقال :

بَناتِ كِرَامٍ لم يُرَبْنَ بِضُرَّةٍ دُمًى شَرِقَاتٍ بالعَبِيرِ رَوَادِعَا[٢]

لَهَوْتُ لَهُنَّ بين سِرٍّ ورَشْدَةٍ ولم آلُ عن عَهْدِ الأَحِبَّةِ خادِعَا

يُسَارِقْنَ مِ الأَسْتَارِ طَرْفاً مُفَتَّرًا ويُبْرِزْنَ من فَتْقِ الخُدُورِ الأَصابِعَا

٣٨٤ ● ويُنْسَبُ إلى الكذب بقوله :

رُبَّ نارٍ بِتُّ أَرْمُقُهــا تَقْضَم الهِنْدِىَّ والغارَا[٣]

يريدُ بالهندىِّ العُودَ .

---

(١) قال ابن الأعرابى : إنما يقال هذا للمتكلف ما ليس من شأنه . وقال الأزهرى : معناه لا تكن كمن يهجو نفسه إذا لم يجد من يهجوه . قاله فى اللسان . وبيت عدى فيه ١٥ : ٢٨٩ غير منسوب .

(٢) بنات : منصوب بما قبله ، وهو :

* وأصبى ظباء فى الدمقس خواضعا *

ويجوز رفعه على الابتداء . « بضرة » بفتح الضاد وضمها ، عن الأغانى ٢ : ٣٨ .

(٣) البيت فى الأغانى ٢ : ٣٧ اللسان ٤ : ٤٥٠ ونسبه لعدى بن الرقاع خطأ ، و ٦ : ٣٤٠ و ١٥ : ٣٨٨ على الصواب .

قال أبو محمد : وليس هذا عندى كذباً ، لأنّه لم يُرد أنّه يُوقدها بالعُود ، وإنّما أراد أنّها تُوقَدُ بالغار ، وهو شجر ، وتُلقَى قطَعُ العودِ على ذلك للطِّيب . وهو مثلُ قول الحرث بن حلِّزَة :

أَوْقَدَتْهَا بَيْنَ العَقِيقِ فشَرْخَيْنِ بِعُودٍ كما يَلُوحُ الضِّيَاءُ[1]

أراد أنّهَا أوقدتْها وأَلْقَتْ عليها عُودَ البَخُور[2].

---

(١) من المعلقة ، والذى فيها « فشخصين » وقال التبريزى فى الشرح ٢٤٢ « شخصان : أكمة لها شعبتان » ونحوه فى البلدان أو أنه « موضع » . ولم يذكر « شرخان » فى البلدان ولا فى صفة الجزيرة ولكن فى اللسان « شرخ ، بفتح الشين وسكون الراء : موضع بالحجاز » فالظاهر أنه هذا ، وهو المناسب للعقيق ، وتثنية مثل هذا كثير فى الشعر .

(٢) ولعدى شعر فى اللسان ١٢ : ٨١٥ .

١٦ - عمرو بن كلثوم (١)

٣٨٥ ● هو من بنى تَغْلِبَ ، من بنى عَتَّابٍ ، جاهلىٌّ (قديمٌ) . وهو قاتلُ عمرو بن هند ملِكِ الحِيرة ، وكان سببُ ذلك أنَّ عمرو بن هند قال ذاتَ يوم لنُدَمائِه : هل تعلمونَ [أنَّ] (٢) أحدًا من العرب تأْنَفُ أُمُّه من خدمةِ أُمِّى ؟ فقالوا : نعم ، عَمْرُو بن كُلْثُوم (٣) ، قال : ولِمَ (ذلك) ؟ قالوا : لأَنَّ أباها مُهَلْهِلُ بن ربيعةَ ، وعمَّها كُلَيبُ وائل أعزُّ العرب ، وبعلَها كلثومُ بن مالك بن عَتَّاب أفرسُ العرب ، وابنَها عمرُو بن كلثومٍ سيدُ مَن هو منه ، فأرسل عمرو بن هند إلى عمرو بن كلثوم يَستزيرُه ويسأَله أن يُزيرَ أُمَّه أُمَّه ، فأقبل عمرو بن كلثوم من الجَزيرة إلى الحِيرة فى جماعة من بنى تغلبَ ، وأقبلتْ ليلىٰ بنتُ مُهَلْهِلٍ فى ظَعْنٍ من بنى تغلبَ ، وأمر عمرَو بن هند برُواقِه فضُرِب فيما بين الحِيرة والفُرات ، وأرسل إلى وُجوه مملكته فحضَروا ، وأتاه عمرو بن كلثوم فى وجوه بنى تغلبَ ، فدخل عمرو بن كلثوم على عمرو بن هند فى رُوَاقة ، ودخلتْ ليلىٰ (بنتُ مهلهلٍ أُمُّ عمرو بن كلثوم) على هندٍ فى قبَّةٍ فى جانب الرُّواق ، وهندٌ أُمُّ عمرو ابن هند عمَّةُ امرئُ القيس الشاعر ، وليلىٰ بنت مهلهل أُمُّ عمرو بن كلثوم (هى) بنتُ أخى فاطمةَ بنت ربيعة أُمِّ امرئ القيس ، وقد كان أمرَ عمرُو ابن هند أُمَّه أن تُنَحِّىَ الخَدَمَ إذا دعا بالطُّرَفِ ، وتَستخدِمَ ليلىٰ ، فدعا عمرو بن هند بمائدة فنَصَبَها ، فأكلوا ، ثم دعا بالطُّرَف ، فقالت هند :

118

(١) له ترجمة فى الأغانى ٩ : ١٧٥ - ١٧٨ والخزانة ١ : ٥١٧ - ٥٢١ وشواهد المغنى ٤٤ - ٤٥ .

(٢) الزيادة من ب د .

(٣) ف س « قالوا لا نعلمها إلا ليلى أم عمرو بن كلثوم » .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يا ليلى ناولينى ذلك الطَّبَقَ ! فقالت ليلى : لتَقُمْ صاحبةُ الحاجةِ إلى حاجتها ، فأعادتْ عليها وألَحَّتْ ، فصاحتْ ليلى : وَاذُلَّاهْ ! يا لَتَغْلِبَ ! فسمعها عمرُو بن كلثوم فثارَ الدمُ فى وجهه ، ونَظَر إلى عمرو بن هند ، فَعَرَفَ الشرَّ فى وجهه ، فقام إلى سيفٍ لعمرو بن هند معلَّقٍ بالرُّواق ، [و[1]] ليس هناكَ سيفٌ غيرُه ، فضرَب به رأسَ عمرو بن هند حتى قتَله ، ونادى فى بنى تغلبَ ، فانتهبوا جميعَ ما فى الرُّواق ، وسَاقُوا نَجَائِبَهُ ، وساروا نحوَ الجزيرة ، ففى ذلك يقولُ عمرو بن كلثوم[2] : 119

بأىِّ مَشِيَّةٍ عَمْرَو بنَ هِنْـــدٍ تُطِيعُ بنا الوُشاةَ وتَزْدَرِينَـــا !
تَهَـــدَّدْنا وأَوْعِدْنا رُوَيْدًا مَتَى كُنَّا لأُمِّكَ مُقْتَـــوِينَا[3] !

وقال الفَرَزْدَقُ (لجرير) :

ما ضَرَّ تَغْلِبَ وائِلٍ أَهَجَوْتَها أم بُلْتَ حَيْثُ تَنَاطَحَ البَحْرَان
قَوْمٌ هُمُ قَتَلُوا ابنَ هِنْدٍ عَنْوَةً عمرًا ، وهُمْ قَسَطُوا على النُّعْمان

وقال أُفْنُونُ التَّغْلِبىُّ :

لَعَمْرُكَ ما عَمْرُو بنَ هِنْد إِذَا دَعَـــا لِيُخْدِمَ أُمِّى أُمَّهُ بِمُوَفَّقِ[4]

---

(١) الزيادة من هـ س ف والخزانة .

(٢) من المعلقة ، شرح التبريزى ٢٢٥ ، ٢٢٦ .

(٣) المقتوون : الخدم ، الواحد « مقتوى » و « مقتى » وأصله من القتو والمقتى ، وهو الخدمة ، خدمة الملوك خاصة . وانظر شرح التبريزى والزوزنى والقاموس . ورواه فى اللسان ٢٠ : ٧٥ « مقتوينا » بضم الميم ، جعله من « الاقتواء » وقال : « أى متى اقتوتنا أمك فاشترتنا » . وانظر الخزانة ٣ : ٣٢٦ — ٣٢٩ .

(٤) هكذا رواه المؤلف هنا وفيما يأتى (٢٤٩ ل) ويحتاج إلى تأول ، لأن أم عمرو بن كلثوم غير أم أفنون . ورواية النقائض ٨٨٦ والحيوان ٣ : ١٣٥ وتاريخ ابن الأثير ١ : ٢٢٦ * لتخدم ليلى أمه بموفق * وهى الأصح .

٣٨٦ ● ويقال إن أخاه مُرَّة بنَ كلثوم هو قاتلُ المنذرِ بن النعمان بن المنذر ، وفى ذلك يقولُ الأَخْطَلُ :

أَبَنِى كُلَيْبٍ إنَّ عَمَّىَّ اللَّـذَا قَتَلاَ المُلُوكَ وفَكَّكَا الأَغْلاَلاَ

يعنى بعميه عمرًا ومُرةَ ابنَىْ كلثومٍ .

120

٣٨٧ ● وعمرو بن كلثوم هو القائل[1] :

أَلَا هُبِّى بِصَحْنِكِ فاصْبَحِينَا

وكان قام بها خطيباً فيما كان بينه وبين عمرو بن هند ، وهى من جيِّد شعر العرب القديم ، وإحدى السَّبْعِ .

٣٨٨ ● ولشغفِ تَغْلِبَ بها وكثرةِ روايتهم لها قال بعضُ الشعراء[2] :

أَلْهَى بَنِى تَغْلِبٍ عَنْ كلِّ مَكْرُمَةٍ
قَصِيدَةٌ قالهـا عمرُو بن كُلْثُومِ

يُفاخِـرُونَ بهـا مُذْ كان أوَّلُهُمْ
يالَلرِّجـالِ لِفَخْرٍ غَيْرِ مَسْئُومِ

٣٨٩ ● وابنُه عَبَّاد[3] بن عمرو بن كلثوم هو قاتلُ بِشر بن عَمرو بن عُدَسٍ.
ولعمرو بن كلثوم عَقِبٌ ، منهم العَتَّابىُّ الشاعرُ المشهور[4] ، واسمه كلثومُ بنُ عمرو ، ويكنى أبا عمرٍو ، وكان كاتباً مُجيدًا فى الرسائل ، وشاعرًا مُجيدًا[5].

(١) هى معلقته المشهورة .

(٢) فى الأغانى ٩ : ١٧٦ أنه بعض شعراء بكر بن وائل .

(٣) هذا هو الموافق لرواية الأغانى عن المؤلف ، وفى س هـ ف « عتاب » وهو يوافق رواية الخزانة ١ : ٥٢٠ عن المؤلف أيضاً .

(٤) سيأتى ذكر موت عمرو بن كلثوم فى أسر يزيد بن عمرو الحنفى ٢٢٤ – ٢٢٥ ل .

(٥) ستأتى ترجمته (٥٤٩ ل) .

١٧ ــ أَبو دؤاد الإِيادى[1]

٣٩١ ● قال أبو محمد : اختلفوا فى اسمه ، فقال بعضهم : هو جاريةُ ابن الحَجَّاج ، وقال الأَصمعىُّ : هو حَنْظَلَةُ بن الشَّرْقِىّ[2] ، وكان فى عصر كَعْب بن مَامَةَ الإيَادِىّ ، الذى آثرَ بنصيبه من الماء رفيقَه النَّمَرِىَّ فمات عطشاً ، فضُرب به المثلُ فى الجُود[3] ، وبلغه عنه شىءٌ فقال[4] :

وأَتَانى تَقْحِيمُ كَعْب إلى المنْ ... طِقِ إنَّ النَّكِيثَةَ الإِقْحَامُ

(فى نظامٍ ما كُنْتُ فيه فلا يَحْ ... زُنْكَ قَوْلٌ ، لكُلِّ حَسْناء ذَامُ 121

ولَقَد رابنى ابْنُ عَمِّىَ كَعْبٌ ... إنَّه قد يَرُومُ ما لا يُرَامُ

غَيْرُ ذَنْبٍ بنى كنانَة منِّى ... إنْ أُفَارِقْ فإنَّنى مجْذَامُ)

٣٩٢ ● وكان بعضُ الملوك أخافَه ، فصار إلى بعض ملوك اليمن فأَجاره فأَحسن إليه ، فضُرب المثلُ بجار أبى دُؤَاد ، قال طَرَفَةُ :

إنى كَفَــانِىَ منْ هَمٍّ هَمَمْتُ به
جارٌ كجارِ الحُذَاقِىِّ الَّذِى انْتَصَفَا

والحُذَاقِىُّ هو أَبو دُؤَاد ، وحُذاقُ قبيلةٌ من إياد .

---

(١) ترجمته فى الأغانى ١٥ : ٩١ – ٩٦ والخزانة ٤ : ١٩٠ – ١٩١ وشواهد المغنى ١٢٤ وشواهد العينى ٢ : ٢٦١ .

(٢) هذا قول شاذ جداً ، وأخشى أن يكون غلطاً فى الرواية على الأصمعى ، فإن « حنظلة بن الشرق » هو « أبو الطمحان القينى » وسيأتى ترجمته (٢٢٩ – ٢٣٠ ل) . وفى الأصمعية ٦٥ « وقال أبو دؤاد الإيادى واسمه جارية بن الحجاج » فهذا قول الأصمعى كما ترى ، لا كما روى ابن قتيبة .

(٣) سيأتى ذكرها أيضاً فى شعر للأسود بن يعفر (١٣٤ – ١٣٥ ل) وانظر قصة كعب بن مامة فى مجمع الأمثال ١ : ١٦٢ ، ٢٩٣ وأمثال العرب للضبى ٦١ – ٦٢ .

(٤) من الأصمعية ٦٥ .

٣٩٣ ●ويقال إنّما أجاره الحرث بن همّام بن مرّة بن ذُهْلِ بن شَيبان ، وذلك أن قُبَاذَ سَرَّحَ جيشاً إلى إياد ، فيهم الحرث بن همّام ، فاستجار به قومٌ من إياد فيهم أبو دُوَاد ، فأجارهم .

٣٩٤ ●وكان أبو عُبيدةَ يذكر أن جار أبي دُوَاد هو كعب بن مامَةَ ، وأنشد لقيس بن زُهَير (بن جَذِيمةَ) فى ربيعةَ بن قُرْط :

أُحاوِلُ ما أُحاوِلُ ثم آوِى إلى جار كجار أبى دُوَادِ[1]

٣٩٥ ●وهو أحدُ نُعَّاتِ الخيلِ المجيدين . قال الأصمعىُّ : هم ثلاثة ، أبو دؤادٍ فى الجاهليّة ، وطُفَيْلٌ[2] ، والنابغةُ الجعدىُّ .

٣٩٦ ●قال : والعربُ لا تَروى شعرَ أبى دُوَاد وعدىّ بن زيد ، (وذلك) لأنَّ ألفاظَهما ليست بنَجْديّة .

٣٩٧ ●وقيل للحُطيئة مَن أشعرُ الناس ؟ فقال : الذى يقول[3] :

122

لا أَعُدُّ الإِقْتَارَ عُدْماً ولٰكِنْ
فَقْدُ مَنْ قَدْ رُزِئْتُهُ الإِعْدَامُ

مِن رجالٍ من الأقارِبِ فَادُوا
من حُذَاق ، هُمُ الرُّؤُوسُ الكِرَامُ[4]

فيهم لِلْمُلاينِينَ أَنَاةٌ
وعُرَامٌ إذا يُرَادُ العُرَامُ

(١) فى هذا خلاف كثير ، وانظر مجمع الأمثال ١ : ١٤٣ والأغانى فى ترجمة أبى دؤاد . وهذا البيت من قصيدة لقيس هذا فى الأغانى ١٦ : ٢٨ – ٢٩ .

(٢) هو طفيل بن كعب الغنوى ، ستأتى ترجمته (٢٧٥ – ٢٧٦ ل) .

(٣) من الأصمعية ٦٥ أيضاً وانظر ما يأتى ١٨٤ ل .

(٤) فادوا : ماتوا .

فعَلَى إثرِهِمْ تَسَاقَطُ نَفْسِى
حَسَرَاتٍ ، وذِكْرُهُمْ لى سَقَامُ

وهذه القصيدةُ أجودُ شعره . ويستجادُ منها قولُه فى صفة إبله :

إبلِى الإبْلُ لا يُحَوِّزُها الرَّا عُونَ ، مَجُّ النَّدَى عليها المُدَامُ
سَمِنَتْ فاسْتَحَشَّ أكْرُعُهَا ، لا الـ نِّىُّ نِىٌّ ولا السَّنامُ سَنَامُ[1]
فإذا أقْبَلَتْ تَقُولُ : إكامٌ مُشرفَاتٌ ، بَيْنَ الإكامِ إكامُ
وإذا أعْرَضتْ تَقُولُ : قُصُورٌ من سَمَاهِيجَ فَوْقَها آطَامُ[2]
وإذا ما فَجِئْتَهَا بَطْنَ غَيْثٍ قُلْتَ : نَخْلٌ قدحانَ منها صِرَامُ[3]
فَهْىَ كالبَيْضِ فى الأدَاحِىِّ ، مايُو هَبُ منها لمُسْتَتِمٍّ عِصَامُ[4]

ومما يُتمثَّلُ به من شعره قولُه :

أكُلَّ امْرِئٍ تَحْسِبِينَ امْرَءًا ونَارًا تَحَرَّقُ باللَّيْلِ نَارَا[5]

٣٩٩● وقولُه :

ألمــاءُ يَجْرِى ولا نِظامَ لَهُ لو وَجَدَ الماءُ مَخْرَقاً خَرَقَهْ

---

(١) استحش : استدق . النى : الشحم . وإنما تستدق أكرعها فى رأى العين ، ليس أن العظام تستدق بسمنها .

(٢) سماهيج : جزيرة بين عمان والبحرين .

(٣) ف س « بطن غيب » وهو الموافق للأصمعى . والغيب : ما اطمأن من الأرض .

(٤) الأدحى : الموضع الذى تبيض فيه النعامة . المستتم : الذى يطلب الصوف والوبر ليتم نسج كسائه . العصام : خيط القربة . يريد أن هذه الإبل لا يوهب من وبرها شىء ، لأنها قد سمنت وألقت أوبارها ، أو لعزتها على أهلها . والبيت فى اللسان ١٤ : ٢٣٥ والأساس ١ : ٥٦ .

(٥) من الأصمعية ٦٦ وهو فى الخزانة ٤ : ١٩١ وشواهد العينى ٣ : ٤٤٦ . وفى س ه ف « ونار » بالجر ، وهو الموافق لرواية الأصمعية والخزانة والعينى ، وهو شاهد للعطف على معمولى عاملين ، بتقدير « كل » و « تحسبين » وفى العينى : « ويروى ونارًا بالنصب ، قال النحاس : ومن لم يعطف على عاملين رواه ونارًا بالنصب » .

٤٠٠ • ومما سَبق إليه فأُخذ منه قولُه :

تَرَىٰ جارَنــا آمِناً وَسْطَنا يَرُوحُ بعَقْدٍ وَثِيقِ السَّبَبْ
إذَا مــا عَقَدْنا له ذِمَّــةً شَدَدْنا العِنَاجَ وعَقْدَ الكَرَبْ[1]

أخذه الحُطيئةُ فقال :

قومٌ إذا عَقَدُوا عَقْدًا لجارِهِمُ شَدُّوا العِنَاجَ وشَدوا فَوْقَهُ الكَرَبَا[2]

---

(١) العناج : عروة فى أسفل الدلو من باطن ، تشد بوثاق إلى أعلى الكرب ، فإذا انقطع الحبل أمسك العناج الدلو أن يقع فى البئر . الكرب : حبل يشد على عراقى الدلو ، ثم يثنى ثم يثلث ، ليكون هو الذى يلى الماء ، فلا يعفن الحبل الكبير . وفى اللسان : « وهذه أمثال ضربها لإيفائهم بالعهد » .

(٢) البيت فى اللسان ٢ : ٢٠٩ و ٣ : ١٥٤ .

١٨ – حاتم بن عبد الله الطائى[1]

٤٠١ ● هو حاتمُ بن عبد الله بن سعد بن الحَشْرَجِ ، من طَيِّءٍ ، وأمّه عِنَبَةُ بنت عَفِيفٍ ، من طَيِّءٍ .

٤٠٢ ● وكان جوادًا شاعرًا جيِّدَ الشعر ، وكان حيثُ ما نَزل عُرِف منزله . وكان ظَفِرًا[2] ، إذا قاتَل غَلب ، وإذا غَنِمَ أَنهب ، وإذا سُئل وَهَب ، وإذا ضَرب بالقِداح سَبَق ، وإذ أَسَرَ أطلق .

٤٠٣ ● ومَرَّ فى سفره على عَنَزَةَ ، وفيهم أسيرٌ ، فاستغاث به الأسير ، ولم يَحْضُره فِكاكُه ، فاشتراه من العَنَزِيِّينَ ، وأقام مكانَه فى القِدِّ حتّى أَدَّى فداءه[3] . وقَسَم مالَه بِضْعَ عشرةَ مرّةً . وكان أقسم بالله لا يقتلُ واحدَ أُمِّه .

٤٠٤ ● قال أبو عُبيدة : أجوادُ العرب ثلاثةٌ : كعبُ بن مَامةَ ، وحاتِمُ طيءٍ ، (وكلاهما ضُرب به المثل) ، وهَرِمُ بن سِنَانٍ صاحبُ زُهَير .

٤٠٥ ● وكانت لحاتمٍ قُدورٌ عظام بِفِنَائِه ، لا تنزل عَن الأَثَافِىّ[4] . وإذا أهلَّ رجبٌ نَحَر كلَّ يوم وأطعَم . 124

٤٠٦ ● وكان أبوه جعله فى إبل له وهو غلام ، فمرَّ به عَبِيدُ بن الأبرص وبِشْرُ بن أبى خازم والنابغةُ الذُّبيانىُّ ، وهم يريدون النعمانَ ، فنحَر لهم

---

(١) ترجمته وأخباره فى الأغانى ١٦ : ٩٢ – ١٠٥ ومجمع الأمثال ١ : ١٦١ – ١٦٢ واللآلى ٦٠٦ – ٦٠٧ وشواهد المغنى ٧٥ والخزانة ١ : ٤٩١ – ٤٩٥ و ٢ : ١٦٢ – ١٦٦ وبلوغ الأرب ١ : ٧٢ – ٨١ وشعراء الجاهلية ٩٨ – ١٣٤ وفى مقدمة ديوانه المطبوع بلندن سنة ١٨٧٢ .

(٢) الظفر : صفة مشبهة من الظفر .

(٣) القصة أيضاً فى فضل العطاء لأبى هلال العسكرى ٣٢ – ٣٣ .

(٤) الأثافى : الحجارة التى تنصب وتجعل القدر عليها .

ثلاثةً من إبله[1] ، وهو لا يعرفُهم ، ثم سألهم عن أسمائهم ، فتسمَّوا (له) ، ففرَّق فيهم الإبل كلَّها ، وبلَغ أباه ما فَعل ، فأتاه فقال له : ما فعلتِ الإبلُ ؟ فقال : يا أبَهْ ، طوَّقتُكَ مَجْدَ الدهرِ طَوْقَ الحَمامةِ ، وأخبَره بما صنَع ، فقال له أبوه : [إذًا] [2] لا أساكِنُك أبدًا ولا أُووِيك ، قال حاتم : إذًا لا أبالى ، فاعتزَلَه .

٤٠٧ ●وكانت أمُّه عِنَبَةُ لا تُليقُ سيئاً سخاءً وَجُودًا ، وكان إخوتُها يمنعونها من ذلك فتأبَىٰ (عليهم) ، وكانت مُوسرةً ، فحبَسوها فى بيتٍ سنةً يرزقُونها قُوتاً[3] ، لعلَّها تَكُفُّ عمَّا كانت عليه إذَا ذاقت طعمَ البُؤْسِ وَعرفَتْ فضلَ الغِنىٰ ، ثم أخرجوها ودفعوا إليها صِرْمَةً من مالِها[4] ، فأتتْها امرأةٌ من هَوَازِنَ فسألَتْها ، فقالت (لها) : دونَكِ الصرمةُ ، فقَدْ ، والله ، مَسَّنى منَ الجوع ما آليتُ معه ألَّا أمنعَ الدهرَ سائلا شيئاً ! ثم أنشأَتْ تقولُ :

لَعَمْرِى لَقِدْمًا عَضَّنى الجُوعُ عَضَّةً فآلَيْتُ ألَّا أمْنَعَ الدَّهْرَ جائعًا

فقُولا لهٰـذا اللَّائِمى الآنَ أعْفِنِى
وإنْ أنْتَ لم تَفْعَل فعَضَّ الأَصابِعَا

ولَا ما تَرَوْنَ اليَوْمَ إلَّا طَبِيعَةً
فكَيْفَ بتَرْكِى ، يا ابنَ أُمِّ ، الطَّبائِعَا

125

٤٠٨ ●قال عَدِىُّ بنُ حاتم : كان حاتم رجلاً طويلَ الصمت ، وكان يقول : إذا كان الشيءُ يكفيكَه التَّركُ فاتركه .

٤٠٩ ●وقالت النَّوَارُ امرأتُه[5] : أصابَتْنا سَنَةٌ اقشعرَّتْ لها الأرْضُ ،

---

(١) س ف « فنحر لكل رجل منهم بعيراً » .
(٢) الزيادة من س ف .
(٣) أى بقدر ما يمسك الرمق من المطعم .
(٤) الصرمة ، بكسر الصاد : القطعة من الإبل ما بين العشرين إلى الثلاثين .
(٥) القصة فى الأغانى ١٦ : ١٠٤ — ١٠٥ عن امرأته ماوية . وهى مختصرة فى فضل العطاء ٥٢ .

واغبرَّ أُفُقُ السماءِ ، وراحت الإبلُ حُدْباً حَدَابِيرَ[١] ، وضنَّت المَرَاضِعُ عن أولادها فما تَبِضُّ بقطرة ، وجَلفَتِ السنةُ المالَ[٢] ، وأيْقنَّا أنّه الهلاكُ ، فوالله إنِّي لَفِي ليلة صِنَّبْرٍ بَعِيدَة ما بينَ الطَّرَفَيْن[٣] ، إذْ تَضَاغَى أُصَيْبِيَتُنَا[٤] من الجوع ، عبدُ الله وعَدِيٌّ وسَفَّانَةُ ، فقام حاتم إلى الصبيَّيْن ، وقمتُ إلى الصبيَّة ، فوالله ما سَكنُوا إلّا بعد هَدْأَةٍ من الليل ، ثم ناموا ونمتُ أنا معه ، وأقبل يُعَلِّلُني بالحديث ، فعرفتُ ما يريد ، فتناومتُ ، فلمّا تَهوَّرتِ النجومُ إذَا[٥] شيءٌ قد رَفَعَ كِسْرَ البيتِ[٦] ، فقال : مَن هذا ؟ فوَلَّى ثم عاد ، فقال : مَن هذا ؟ فولَّى ثم عاد في آخر الليل ، فقال : مَن هذا ؟ فقالتْ : جارتُك فلانةُ ، أتيتُك مِن عند أُصَيْبِيَة يَتَعَاوَوْنَ عُوَاءَ الذئاب من الجوع ، فما وجدتُ مُعَوَّلا إلّا عليكَ أبا عديّ ، فقال : والله لأُشبعنَّهم ، فقلتُ : مِن أين ؟ قال : لا عليكِ ، فقال : أَعْجِليهم فقد أشبعكِ اللهُ وإيَّاهم ، فأقبلت المرأةُ تحملُ ابْنَينِ ويمشي جانبيْها أربعةٌ ، كأنَّها نعامة حولَها رِئَالُها ، فقام إلى فرسه فوَجَأَ لَبَّتَه بمُدْيَتِه ، فَخَرَّ ، ثم كَشَطه ، ودَفَع المديةَ إلى المرأةِ فقال : شَأْنَكِ (الآنَ) ، فاجتمعنا على اللحم ، فقال : سَوْأَةً ! أتأْكلون دُونَ الصِّرْمِ ؟![٧] ثم جَعَل يأْتيهم بيتاً بيتاً ويقول ؛ هُبُّوا 126

(١) الحدب : جمع حدباء ، وهي التي بدت حراقفها وعظم ظهرها . الحدابير : جمع حدبار وحدبير ، بكسر الحاء فيهما ، وهي العجفاء الضامرة التي قد يبس لحمها من الهزال .

(٢) جلفت : أصل الجلف : القشر ، فكأن السنة قشرت المال ، والجالفة : السنة التي تذهب بأموال الناس .

(٣) الصنبر : الباردة ، وليل الشتاء طويل ، ويزيده الجوع طولا .

(٤) نص في اللسان على أنه « قد جاء في الشعر أصيبية ، كأنه تصغير أصبية » . وقد جاء هنا في النثر أيضاً .

(٥) تهورت النجوم : ذهب أكثرها .

(٦) كسر البيت : أسفل الشقة التي تلي الأرض من الخباء من حيث يكسر جانباه من عن يمين ويسار .

(٧) الصرم ، بالكسر : الأبيات المجتمعة المنقطعة من الناس .

أيُّها القومُ ، عليكم بالنار ، فاجتمعوا ، والْتَفَعَ بثوبه ناحيةً ينظرُ إلينا ؛ لَا واللهِ ما ذاق منه مُزْعةً[1] ، وإنه لأَحْوَجُ إليه مِنّا ، فأَصبحنا وما على الأَرض من الفَرس ، إلَّا عظمٌ أو حافر ، (فعذَلْتُه على ذلك) ، فأَنشأَ حاتمٌ يقولُ :

مَهْــلاً نَوَارُ أَقِلِّى اللَّوْمَ والعَذَلَا
ولا تَقُولِى لِشىءٍ فاتَ : ما فَعَلَا

ولا تَقُــولِى لمالٍ كُنْتُ مُهْلِكَهُ :
مهْلا ، وإن كُنْتُ أُعْطِى الجِنَّ والخَبَلَا[2]

يَرَىٰ البَخِيلُ سَبيلَ المالِ واحِــدَةً
إنَّ الجَوَادَ يَرَىٰ فى ماله سُبُلَا

لا تَعْذِلِينىَ فى مــالٍ وَصَلْتُ به
رِحْمــاً ، وخَيْرُ سَبيلِ المالِ ما وَصَلَا[3]

٤١٠ ● وأَتىٰ حاتمٌ مَاوِيَّةَ بنتَ عَفْزَرٍ يخطُبُها ، فوجدَ عندها النابغةَ الذُّبيانىَّ ورجلاً من النَّبِيتِ يَخطُبانِها ، فقالت لهم : انقلِبوا إلى رحالكم ، وليقُل كلُّ رجلٍ منكم شعرًا يَذكر فيه فَعَالَه ومَنْصِبَه ، فإنى متزوِّجةٌ أكرَمَكم وأشعرَكم ، فانطلَقوا ، ونَحر كلُّ رجل منهم جَزُورًا ، ولبست ماويَّةُ ثياباً لِأَمَةٍ لها واتَّبعتْهم ، فأَتَتِ النَّبيتِىَّ فاستطعمتْه ،فأَطعمها ذَنَبَ جَزُورِه ، فأَخذتْه ، وأَتَتِ النابغةَ فأَطعمها مثلَ ذلك ، فأَخذتْه ، وأَتتْ حاتماً وقد نَصب قُدورَه ،

---

(١) المزعة : القطعة من اللحم ونحوه . وفى س ف « مضغة » .

(٢) الخبل ، بفتحتين : الجن ، أو ضرب من الجن يقال لهم الخابل . والبيت فى اللسان ١٣ : ٢٠٩ .

(٣) الرحم ، بكسر الراء وسكون الحاء ، والرحم ، بفتح فكسر : القرابة .

فاستطعمتْه ، فقال : انتظرى حتَّى تَبْلُغَ القِدْرُ إناهَا[١] ، فانتظرتْ حتى بَلَغَتْ ، فأطعمها أعظُماً من العَجُز وقطعةً من السَّنامِ وقطعةً من الحَارِكِ[٢] ، 127 ثم انصرفتْ ، وأهدى إليها النابغةُ والنَّبِيتىُّ ظَهْرَىْ جَزُورَيْهِما ، وأهدى إليها حاتم مثلَ ما أهدى إلى امرأةٍ من جاراتِه ، وصبَّحوها ، فاستنشدتْهم ، فأنشدَها النَّبِيتىُّ :

هَلَّا سَأَلْتِ ، هَداكِ اللهُ ، ما حَسَبِى ... عِنْدَ الشِّتَاءِ إِذَا ما هَبَّتِ الرِّيحُ

ورَدَّ جازِرُهُمْ حَرْفاً مُصَرَّمَــةً ... فى الرَّأسِ منها وفى الأَنْقَاءِ تَمْلِيحُ[٣]

إِذَا اللِّقاحُ غَدَتْ مُلْقًى أَصِرَّتُهَا ... ولَا كَرِيمَ مِنَ الوِلْدَان مَصْبُوحُ[٤]

ثم استنشدتِ النابغةَ فأنشدَها :

هَلَّا سَأَلْتِ بنى ذُبْيَانَ ما حَسَبِى ... إِذَا الدُّخَانُ تَغَشَّى الأَشْمَطَ البَرَمَــا[٥]

وهَبَّتِ الريحُ من تِلْقاءِ ذى أُرُلٍ ... تُزْجِى مَعَ الصُّبْحِ مِنْ صُرَّادِها صِرَمَا[٦]

---

(١) إنى الشىء : بلوغه منتهاه وإدراكه ، مقصور ، يكتب بالياء .

(٢) الحارك : أعلى الكاهل .

(٣) الحرف من الإبل : النجيبة الماضية التى أنضتها الأسفار . المصرمة : المقطوعة الطبيين فلا يخرج اللبن ، وذلك أقوى لها . الأنقاء : جمع نقى ، وهى من العظام ذوات المخ . التمليح : السمن . يقول : لا شحم لها إلا فى عينها وسلاماها ، وأول ما يبدأ السمن فى اللسان والكرش ، وآخر ما يبقى فى السلامى والعين . والبيت فى اللسان ٣ : ٤٤٢ وهو الذى بعده فيه ٦ : ١٢١ ولم ينسبهما .

(٤) الأصرة : جمع صرار ، بكسر الصاد وتخفيف الراء ، وهو ما يشد به ضرع الناقة . مصبوح : يقال « صبحه يصبحه صبحاً » : سقاه الصبوح ، بفتح الصاد ، وهو اللبن يشرب بالغداة فما دون القائلة .

(٥) الأشمط : الذى خالط سواد شعره بياض . البرم : اللئيم ، وأصله الذى لا يدخل مع القوم فى الميسر .

(٦) أرل : جبل بأرض غطفان . الصراد : سحاب بارد ندى ليس فيه ماء . الصرم : القطع من السحاب . والبيت فى البلدان ١ : ١٩٥ واللسان ١٣ : ١٣ و ١٥ : ٢٣٠ .

إِنِّى أُتَمِّمُ أَيْسَارِى وَأَمْنَحُهُمْ

مَثْنَى الأَيَادِى وَأَكْسُو الجفْنَةَ الأُدُمَا[1]

ثم استنشدتْ حاتماً فأَنشدَها[2] :

أَمَاوِىَّ إِنَّ المالَ غادٍ ورائِحٌ

ويَبْقَى من المالِ الأَحادِيثُ والذِّكْرُ

أَمَاوِىَّ إِنِّى لا أَقُولُ لسائِلٍ

إِذَا جاءَ يَوْماً : حَلَّ فى مالِنا نَذْرُ

أَماوِىَّ إِمَّا مانِعٌ فمُبَيِّنٌ

وإِمَّا عَطاءٌ لا يُنَهْنِهُهُ الزَّجْرُ

128 أَماوِىَّ ما يُغْنِى الثَّرَاءُ عنِ الفَتَى

إِذا حَشْرَجَتْ يَوْماً وضاقَ بها الصَّدْرُ[3]

أَماوِىَّ إِنْ يُصْبِحْ صَدَاىَ بِقَفْرَةٍ

من الأَرضِ لا ماءٌ لَدَىَّ ولا خَمْرُ[4]

تَرَىْ أَنَّ ما أَنْفَقْتُ لم يَكُ ضَرَّنِى

وأَنَّ يَدِى مِمَّا بَخِلْتُ به صِفْرُ

---

(١) مثنى الأيادى : الأنصباء التى كانت تفضل من جزور الميسر ، فكان الرجل الجواد يشتريها فيطعمها الأبرام ؛ وهم الذين لا ييسرون . والبيت فى اللسان ١٨ : ١٣٠ و ١٤ : ٣٣٧ . والميسر والقداح ١١٠ ، ١٥٢ .

(٢) من قصيدة فى الديوان ٣٩ — ٤٠ والأغانى ١٦ : ١٠١ والخزانة ٢ : ١٦٣ — ١٦٤ البيت الثانى والأخير فى اللسان ٦ : ٢٢٢ .

(٣) البيت واللذان بعده فى لباب الآداب ١٢٥ .

(٤) صداى : بدنى وجثتى . وصدر البيت يشبه صدر بيت للنمر بن تولب فى اللسان ١٩ : ١٨٦ و ٢٠ : ١٧١ غير منسوب . بل أخذ المنى كله ، وانظر الكامل ٣٢٥ والخزانة ٢ : ١٦٤ .

وقد عَلِمَ الأَقْوَامُ لَوْ أَنَّ حـاتِماً
أَرَادَ ثَرَاءَ المـالِ كان له وَفْـرُ

فلمّا فَرغ من إنشاده دعتْ ماويَّةُ بالغَدَاءِ فقُدِّمَ إلى كلّ رجلٍ ما كان أطعمها ، فنكّس النَّبِيتيُّ والنابغةُ رؤوسهما ، فلمّا رأىٰ حاتم ذلك رَمَىٰ بالذى قُدِّم إليهما ، وأطعمهما ممّا قُدِّم إليه ، فتسلّلا لِوَاذًا ، فتزوّجتْ حاتماً . (وفيها يقول[1] :

وإنى لَمِزْجَاءُ المَطِيِّ على الوَجَىٰ
وما أنا من خُلاَّنِكِ ابْنَةَ عفْزَرَا[2]

فـلا تَسْأَلِينى واسْأَلِى : أىُّ فارسٍ ؟
إذَا الخيْلُ جالَتْ فى قَنًا قد تَكَسَّرَا

وإنى لَوَهّـابٌ قُطُوعِى وناقتِى
إذَا ما انْتَشَيْتُ ، والكُمَيْتَ المُصَدَّرَا

وإنى كَأشْلاَءِ اللِّجَـامِ ، ولَن تَرَىٰ
أخَا الحَرْبِ إلّا ساهِمَ الوَجْهِ أغْبَرَا[3]

أَخُو الحَرْبِ إنْ عَضَّتْ به الحَرْبُ عَضَّها
وإنْ شَمَّرَتْ يَوْماً به الحَرْبُ شَمَّرَا)

وكانتْ من بناتِ ملوكِ اليمن . ويقال إن عَدِىَّ بن حاتم منها ، ويقال:

---

(١) من قصيدة فى الديوان ١٤ — ١٥ والأغانى ٩٩ — ١٠٠ وشعراء الجاهلية ١٠٧ — ١٠٨ ولكن البيتين الأخيرين ذكرهما البحترى فى حماسته ٣٣ لزيد الخيل الطائى ، ولعله وهم من البحترى .

(٢) الإزجاء : السوق ، ورجل « مزجاء للمطى » كثير الإزجاء لها ، يزجيها ويرسلها . الوجى : الحفى ، وهو أن يشتكى البعير باطن خفه ، والفرس باطن حافره . وصدر البيت جاء فى اللسان ١٩ : ٧٤ صدر بيت آخر غير منسوب .

(٣) أشلاء اللجام : حدائده بلا سيور .

بل عديٌّ وعبدُ الله وسَفَّانةُ من النَّوَارِ . وعَقِبُ حاتمٍ من وَلَدِ عبد الله ، وليس لعديّ عَقِبٌ من الذكور .

٤١١ ● ومما سَبَق إليه (فأُخذ منه) قولُه :

إذا كان بَعْضُ المـــال رَبًّا لأَهْلِهِ
فإنِى بحَمــدِ اللهِ مالى مُعَبَّدُ[1]

أخذه حُطَائِطُ بن يَعْفُرَ[2] فقال :

129 ذَرِينِى أَكُنْ للمالِ رَبًّا ، ولا يَكُنْ
لِىَ المالُ رَبًّا ، تَحْمَدِى غِبَّه غَدَا
أَرِينِى جَوَادًا ماتَ هَزْلًا ، لَعَلَّنِى
أَرَى ما تَرَيْنَ ، أو بَخِيلًا مُخَلَّدَا[3]

---

(١) من قصيدة فى الديوان ١٧ — ١٨ وشعراء الجاهلية ١١٢ — ١١٣ . والمعبد ههنا : المهان المذلل ، ويأتى أيضاً بمعنى المكرم المعظم ، كأنه يعبد ، وله شاهد آخر من شعر حاتم فى اللسان ٤ : ٢٦٣ والأضداد لابن السكيت ٢٠٩ .

(٢) هو أخو الأسود بن يعفر ، وسيأتى ذكره فى ترجمة الأسود ١٣٤ — ١٣٥ ل .

(٣) سيأتى البيت ١٣٥ ل منسوباً لحطائط ، ولكنه ثابت فى قصيدة لحاتم فى الديوان ٢٦ وشعراء الجاهلية ١٢٠ . والخلاف فيه قديم ، فقد رواه صاحب الأمالى ٢ : ٧٩ عن ابن السكيت عن أبى الصقر غير منسوب ، وهو فى كتاب "القلب والإبدال لابن السكيت (فى الكنز اللغوى) ٢٣ منسوب لحطائط ، وجزم بذلك أيضاً البكرى فى اللآلى ٧١٤ — ٧١٥ ، وكذلك فى الخزانة ١ : ١٩٥ — ١٩٦ وحكى العينى ١ : ٣٦٩ : ٣٧٠ الخلاف فيه ، وذكر فى الحماسة فى أبيات لحطائط ٤ : ٢٥٢ — ٢٥٤ وكذلك البيتان فى الأغانى ١١ : ١٣٢ من أبيات منسوبة لحطائط . وفى اللسان ١٦ — ١٧٦ : «قال ابن برى : وقال حطائط بن يعفر ، ويقال هو لدريد ... وقال الجوهرى : أنشده أبو زيد لحاتم ، قال : وهو الصحيح ، قال : وقد وجدته فى شعر معن بن أوس المزنى» . فهذا خلاف قوى . والبيت جيد ، فلعل بعضهم أخذ من بعض .

٤١٢● ويُستحسنُ له قولُه :

أَلا أَبْلِغَا وَهْمَ بن عَمْرو رِسالةً فإنَّكَ أَنْتَ المَرْءُ بالخَيْرِ أَجْدَرُ[1]
رَأَيْتُكَ أَدْنَى مِن أُناسٍ قَرَابَةً وغَيْرَكَ منهم كُنْتُ أَحْبُو وأَنْصُرُ
إِذَا ما أَتَى يَوْمٌ يُفَرِّقُ بَيْنَنَا بمَوْتٍ ، فكُنْ أَنْتَ الَّذِى يَتَأَخَّرُ[2]

٤١٣● ومن شعره :

فإنَّك إِنْ أَعْطَيْتَ بَطْنَكَ سُؤْلَهُ وفَرْجَكَ ، نَالَا مُنْتَهَى الذَّمِّ أَجْمَعَا

٤١٤● وتَذْكُرُ طَيِّءٌ[3] أن رجلا يُعْرَفُ بأَبِي خَيْبَرِيٍّ مرَّ بقبر حاتمٍ ، فنزَل به ، وبات يناديه : يا أَبا عدىٍّ اَقْرِ أَضيافَك ! فلمَّا كان فى السَّحَر وثَبَ أَبو خيبرىّ يَصيحُ : وَاراحِلَتَاهْ ! فقال له أَصحابُه : ما شأْنُك ؟ فقال : خرج واللهِ حاتمٌ بالسيف حتى عقَر ناقتى وأنا أنظر إليه ، فنظروا إلى راحلته فإذا هى لا تَنْبعثُ ، فقالوا : قد واللهِ قَرَاكَ ، فنَحروها وظلُّوا يأْكلون من لحمها ، ثم أَرْدَفوه وانطلَقوا ، فبينَاهم كذلك فى مسيرهم ، طَلَع عليهم عدىُّ ابن حاتم ومعه جملٌ أسودُ قد قَرَنَه ببعيره ، فقال : إن حاتماً جاءنى فى المنام فذكر لى شَتْمَك إيّاه ، وأنّه قَرَاكَ وأَصحابَك راحلَتَكَ ، وقد قال فى ذلك أَبياتاً ، وردَّدها علىَّ حتى حفظتُها :

أَبَا خَيْبَرِيٍّ وأَنْتَ امْرُؤٌ حَسُودُ العَشِيرَةِ لَوَّامُهَا
فماذا أَرَدْتَ إلى رِمَّةٍ بِدَاوِيَّةٍ صَخِبٍ هامُهَا
تُبَغِّي أَذَاها وإِعْسارَهـا وحَوْلَكَ عَوْفٌ وأَنْعَامُهَا

وأمرنى بدَفع جملٍ مكانَها إليكَ ، فخُذْهُ ، فأَخَذَه .

---

(١) وهم بن عمرو : ابن عم لحاتم ، والأبيات فى قصة فى الأغانى ١٦ : ٩٥ — ٩٧ والديوان ١١ — ١٣ وشعراء الجاهلية ١٠١ — ١٠٣ .

(٢) رواية المصادر الأخر « فكن يا وهم ذو يتأخر » وهو شاهد « ذو » بمعنى « الذى » فى لغة طيء .

(٣) القصة فى الأغانى ١٦ : ٩٧ — ٩٨ واللآلى ٦٠٦ — ٦٠٧ والخزانة ١ : ٤٩٤ — ٤٩٥ .

١٩ ـ عنترة بن شداد (العبسى)[1]

٤١٥ ● هو عَنْتَرَةُ بن عمرو بن شَدَّاد بن عمرو بن قُرَاد بن مَخزوم ابن عوف بن مالك بن غالب بن قُطيعةَ بن عبس بن بَغِيض .

٤١٦ ● وقال ابنُ الكلبيّ : شدّادٌ جدُّه أبو أبيه ، غَلبَ على اسم أبيه فنُسب إليه ، وإنّما هو عنترةُ بن عمرو بن شدّاد . وقال غيرُه : شدّاد عمُّه ، وكان عنترةُ نشأ فى حِجْرِه[2] ، فنُسب إليه دونَ أبيه .

٤١٧ ● وإنّما ادّعاه أبوه بعدَ الكِبَر ، وذلك أنّه كان لأَمةٍ سوداءَ يقال لها زَبيبةُ ، وكانت العربُ فى الجاهليّة إذا كان للرجل منهم ولدٌ من أمة استعبده ، وكان لعنترة إخوةٌ من أمّه عَبيدٌ ، وكان سببُ ادّعاء أبى عنترةَ إياه أن بعضَ أحياء العرب أغاروا على قوم من (بنى) عَبْس ، فأصابوا منهم ، فتبعهم العبسيُّون ، فلحقوهم فقاتلوهم عمّا معهم ، وعنترةُ فيهم ، فقال له أبوه : كُرَّ ياعنترةُ ! فقال عنترةُ : العَبْدُ لا يُحْسِنُ الكَرَّ ، إنّما يُحْسِنُ الحِلاَبَ والصَّرَّ[3] فقال : كُرَّ وأنت حُرٌّ ، فكَرَّ وهو يقول :

كُلُّ امْرِئٍ يَحْمِى حِرَهْ أَسْــوَدَهُ وأَحْمَرَهْ ١٣١

والوارِدَاتِ مِشْفَرَهْ[4]

---

(١) ترجمته فى الأغانى ٧ : ١٤١ – ١٤٥ والخزانة ١ : ٥٩ – ٦٢ .

(٢) هذا النص موافق لما فى الأغانى ، وفى س ب « شداد عمه تكفله بعد موت أبيه » وهو يوافق ما فى الخزانة .

(٣) الصر : شد الضرع برباط ، وفى النهاية : « من عادة العرب أن تصر ضروع الحلوبات إذا أرسلوها إلى المرعى سارحة ، ويسمون ذلك الرباط الصرار ، فإذا راحت عشياً حلت تلك الأصرة وحلبت » .

(٤) الأبيات فى الديوان ٧٨ واللسان ٣ : ٢٥٧ .

وقاتَل يومئذ فأَبْلَى ، واستنقذَ ما كان بأَيدى عدوّهم (من الغنيمة) ، فادَّعاه أَبوه بعد ذلك ، وأَلْحَقَ به نَسَبَه .

٤١٨ ●وهو أحدُ أَغْرِبَةِ العرب[1] ، وهم ثلاثة : عنترةُ ، وأُمُّه زَبيبةُ ، سوداءُ ، وخُفَافُ بن عُمَيرٍ الشَّريدىُّ ، من بنى سُلَيم ، وأُمُّه نُدْبَة ، وإليها يُنْسَب ، وكانتْ سوداءَ ، والسُّلَيكُ بن عُمَيرٍ السعدىُّ ، وأُمه سُلَكَةُ ، وإليها يُنْسَب ، وكانت سوداءَ .

٤١٩ ●وكان عنترةُ مِن أَشدِّ أَهلِ زمانِه وأَجودِهم بما ملكتْ يَدُه . وكان لا يقول من الشعر إلَّا البيتين والثلاثة ، حتّى سابَّهُ رجلٌ من بنى عبس ، فذَكر سوادَه وسوادَ أُمّه وإخوتِه ، وعيَّره بذلك ، وبأَنَّه لا يقول الشعر ، فقال له عنترةُ : واللهِ إنَّ الناسَ لَيترافَدُون بالطُّعْمَةِ[2] ، فما حَضَرْتَ مَرْفَدَ الناسِ أَنتَ ولا أَبوكَ ولا جدُّكَ قطُّ ، وإنَّ الناس لَيُدْعَوْن فى الغارات فيُعْرَفون بتَسْوِيمِهم ، فما رأَيناكَ فى خيلٍ مغيرة فى أَوائل الناس قطُّ ، وإنَّ اللَّبْسَ لَيكونُ بيننا ، فما حضرتَ أنت ولا أَبوكَ ولا جدُّكَ خُطَّةَ فَيْصَلٍ[3] ، وإنَّما أَنت فَقْعٌ نَبَتَ بقَرْقَرٍ[4] ، وإنى لأَحْتَضِرُ البَأْسَ ، وأُوفى المَغْنَمَ ، وأَعِفُّ عن المسأَلَةِ ، وأَجُودُ بما ملكتْ (يدى) ، وأَفْصِلُ الخُطَّةَ الصَّمْعَاءَ[5] ، وأما

(١) أغربة العرب : سودانهم ، شبهوا بالأغربة فى لونهم . وتجد بيانهم فى اللسان ٢ : ١٣٨ وستأتى الإشارة إليهم ١٩٦ ل و ٢١٤ ل .

(٢) يترافدون : يتعاونون ، والرفد : العطاء والصلة . الطعمة ، بضم الطاء : المأكلة والدعوة إلى الطعام .

(٣) فى اللسان : « الفصل : القضاء بين الحق والباطل ، واسم ذلك القضاء الذى يفصل بينهما فيصل » .

(٤) الفقع ، بالفتح والكسر : الرخو من الكمأة ، وهو أردؤها . القرقر : الأرض المطمئنة اللينة . وهذا مثل ، يقال « أذل من فقع بقرقر » لأن الدواب تنجله بأرجلها ولا أصول له ولا أغصان . انظر مجمع الأمثال ١ : ٢٤٩ واللسان ١٠ : ١٢٦ .

(٥) الصمعاء : الماضية .

الشعرُ فستَعلمُ . فكان أوَّلُ ما قال قصيدةً :

* هَلْ غادَرَ الشُّعَراءُ من مُتَرَدَّمِ[١] *

وهى أجودُ شعرِه ، وكانوا يسمُّونها « المُذْهَبَة »[٢].

٤٢٠ ● وكان عنترةُ قد شَهِد حربَ داحِس (والغبراءِ) ، فحَسُن فيها بلاؤه ، وحُمدتْ مَشاهدُه[٣] .

٤٢١ ● قال أبو عبيدة : إنَّ عنترةَ بعد ما تأوَّتْ[٤] عبسٌ إلى غَطَفانَ بعدَ يوم جَبَلَةَ[٥] ، وحَملت الدماءَ ، احتاجَ ، وكان صاحبَ غاراتٍ ، فكَبِرَ فعَجَزَ عنها ، وكان له بَكْرٌ على رجلٍ من غَطَفانَ ، فخَرج قِبَلَهُ يتَجَازَاهُ ، فهاجتْ رائحةٌ من صَيِّفٍ[٦] ، وهبَّت نافحةٌ[٧] ، وهو بين شَرْجٍ وناظِرَةَ[٨] ، فأصابت الشيخَ فهَرَأَتْه ، فوجدوه ميّتاً بينهما[٩].

٤٢٢ ● قال أبو عبيدةَ : وهو قَتَل ضَمْضَماً المُرِّىَّ ، أبا حُصَينِ بن

---

(١) هى المعلقة المشهورة . مترَدم : من قولهم « ردمت الثوب وردمته ، بالتضعيف : أصلحته » ، أى : هل أبقى الشعراء لأحد معنى إلا وقد سبقونا إليه ، فلم يدعو مقالا لقائل .

(٢) كانت المعلقات أيضاً تسمى أيضاً « المذهبات » من الإذهاب أو التذهيب . بمعنى التمويه والتطلية بالذهب . انظر الخزانة ١ : ٦١ .

(٣) داحس والغبراء : اسما فرسين لقيس بن زهير بن جذيمة العبسى ، وكانت الحرب بسببهما بين عبس وذبيان أربعين سنة . انظر اللسان ٧ : ٣٧٩ – ٣٨٠ وأيام العرب ٢٤٦ . وما أشير إليه هناك من المصادر .

(٤) تأوت : عادت ، « أوى » و « تأوى » بمعنى .

(٥) يوم شعب جبلة : من أعظم أيام العرب ، كان قبل الإسلام بسبع وخمسين سنة فيما قيل .

(٦) الصيف ، بتشديد الياء المكسورة : المطر الذى يجىء فى الصيف .

(٧) الريح النافحة : الباردة .

(٨) شرج وناظرة : ماءان لعبس .

(٩) فى موته خلاف . قال ابن دريد فى الاشتقاق ١٧٠ « تقتله طىء فيما تزعم العرب وعامة العلماء ، وكان أبو عبيدة ينكر ذلك ويقول : مات برداً وكان قد أسن » . وانظر المؤتلف ٩٩ والأغانى والخزانة .

ضَمْضَمٍ وهَرِمِ بن ضَمْضَمٍ ، فى حرب داحسٍ والغبراء ، وفى ذلك يقولُ :

ولَقَدْ خَشِيتُ بأَنْ أَموتَ ولم تَدُرْ للحَرْبِ دائِرَةٌ علَى ابْنَى ضَمْضَمِ
الشاتِمَىْ عِرْضِى ولم أَشْتُمْهُما والناذِرَيْنِ إِذَا لَمَ ٱلْقَهُما دَمِى
إِنْ يَفْعَلَا فلقدْ تَرَكْتُ آباهما جَزَرَ السباعِ وكُلِّ نَسْرٍ قَشْعَمِ[1]

٤٢٣ ● وممّا سَبَقَ إليه ولم يُنَازَعْ فيه قولُه :

133

وخَلَا الذُّبابُ بهـا فليس ببارِحٍ
غَرِدًا كفِعْلِ الشارِبِ المُتَرَنِّمِ[2]
هَزِجـاً يَحُكُّ ذِرَاعَـهُ بذِرَاعِهِ
فِعْلَ المُكِبِّ على الزِّنادِ الأَجْذَمِ

وهذا من أحسن التشبيه .

٤٢٤ ● (وقولُه[3] :

وإِذَا شَرِبْتُ فإِنَّنِى مُسْتَهْلِكٌ مالى ، وعِرْضِى وافِرٌ لم يُكْلَمِ
وإِذَا صَحَوْتُ فما أُقَصِّرُ عن نَدًى وكما عَلِمْتِ شَمَائِلِى وتَكَرُّمِى)

٤٢٥ ●ومن ذلك قولُه[4] :

إِنِّى آمْرُؤٌ مِنْ خَيْرِ عَبْسٍ مَنْصِباً
شَطْرِى ، وأَحْمِى سائِرِى بالمُنْصُلِ

---

(١) جزر السباع : اللحم الذى تأكله ، يريد أنه تركه قطعا . القشعم : الضخم المسن . وهذه الأبيات آخر المعلقة .

(٢) بها : يعنى بروضة يسوق الأبيات فى وصفها ، وهما من المعلقة .

(٣) هما من المعلقة أيضاً ، وقد مضيا ١٩٥ .

(٤) من أبيات فى ديوانه ٩٩ — ١٠١ والأغانى .

وإذا الكَتِيبَــةُ أَحْجَمَتْ وتلاحَظَتْ
أُلْفِيتُ خَيْرًا من مُعَمٍّ مُخْوَلِ

يقولُ : النصفُ من نسبي فى خير عبسٍ ، وأحمى النصفَ الاخرَ ، وهو نسبه فى السودان ، بالسيف ، فأُشرِّفُه أيضاً .

٤٢٦ ●ومِن حَسَنِ شعره قولُه[1] :

بَكَرَتْ تُخَوِّفُنى الحُتُــوفَ كأنَّنى
أَصْبَحْتُ عَنْ عَرَضِ الحُتُوفِ بِمَعْزِلِ

فأَجَبْتُهــــا : إنَّ المَنِيَّــةَ مَنْهَلٌ
لا بُدَّ أَنْ أُسْقَى بذاكِ المَنْهَلِ

فاقْنَىْ حَياءَكِ ، لا أَبالَكِ ، واعْلَمِى
أنى امْرُؤٌ سَأَمُوتُ إن لَّم أُقْتَلِ[2]

إنَّ المَنِيَّــةَ لَوْ تُمَثَّلُ مُثِّلَتْ
مِثْلِي إذَا نَزَلُوا بضَنْكِ المَــنْزِلِ

٤٢٧ ●ومن إفراطه قولُه[3] :

وأنَا المَنِيَّةُ فى المَواطِنِ كُلِّها   والطَّعْنُ مِنى سابِقُ الآجال

وفى هذه يَفْخَر بأَخواله من السودان ، يقولُ :

134

إنى لَتُعْرَفُ فى الحُرُوبِ مَوَاطِنى
فى آلِ عَبْسٍ مَشْهَدِى وفَعَالِى

منهم أَبِى حَقًّا ، فهُمْ لى والِدٌ ،
والأُمُّ من حامٍ ، فهُمْ أخوالى

---

(١) من القصيدة السابقة .

(٢) اقنى حياءك : الزميه . والبيت والذى قبله فى اللسان ٢٠ : ٦٤ .

(٣) من قصيدة فى الديوان ١٠٩ باختلاف فى الرواية .

٢٠ – الأسود بن يعفر[١]

٤٢٨ * جاهلىٌّ . هو من بنى حارثة بن سَلْمَى بن جَنْدَل بن نَهْشَل بن دَارِم ، ويكنَّى أبا الجَرَّاح ، وكان أعمى[٢] ، ولذلك قال[٣] :

وَمِنَ الحَوَادِثِ لا أبا لَكِ أنَّنى ضُرِبَتْ علىَّ الأرضُ بالأَسْدَادِ

لا أهْتَدِى فيهـا لِمَدْفَعِ تَلْعَةٍ بَيْنَ العُذَيْبِ وبَيْنَ أرْضِ مُرَادِ[٤]

وفيها يقول :

مـاذَا أُؤَمِّلُ بعـد آلِ مُحَـرِّقٍ

تَرَكُوا منـازِلَهم ، وبَعْدَ إيَادِ

أهْلِ الخَـوَرْنَقِ والسَّدِيرِ وبارِقٍ

والقَصْرِ ذى الشُّرُفَاتِ من سَنْدَادِ[٥]

---

(١) يعفر : بفتح الياء وضم الفاء ، ممنوع من الصرف . وبضمهما ، فيصرف لزوال علة وزن الفعل . وحكى الأنبارى ٨٤٦ عن أبى عكرمة أنه يقال أيضاً بفتح الياء وكسر الفاء وأنه أكثر . وللأسود المفضليتان ٤٤ ، ١٢٥ وله ترجمة فى الجمحى ٣٢ – ٣٤ والأغانى ١٢٨ – ١٣٣ والخزانة ١ : ١٩٣ – ١٩٦ . والاشتقاق ١٤٩ . وهو شاعر جاهلى مقدم فصيح فحل ، كان ينادم النعمان ابن المنذر ، ولما أسن كف بصره . وكان يكثر التنقل فى العرب يجاورهم فيذم ويحمد .

(٢) ولذلك عدوه من العشى ، هو أعشى بنى نهشل .

(٣) من المفضلية ٤٤ قال فيها الجمحى : « له واحدة طويلة رائعة لاحقة بأول الشعر ، لو كان شفعها بمثلها قدمناه على أهل مرتبته » . وهى معدودة من مختار أشعار العرب وحكمها ، مفضلة مأثورة وقد وعد الرشيد من ينشده إياها عشرة آلاف درهم جائزة .

(٤) العذيب : ماء بينه وبين القادسية أربعة أميال . والذى فى المفضليات وغيرها من المصادر « العراق » بدل « العذيب » .

(٥) سنداد : نهر أسفل من الحيرة ، بينها وبين البصرة . وفى الأنبارى : « الرواية بكسر السين إلا أن أحمد أنشدنيه بالفتح ، وسألت ثعلبا عنها فلم يعرف غير الكسر » . وهذه الأبيات فى البلدان ٥ : ١٥ .

نَزَلُوا بِأَنْقِرَةٍ يَسِيلُ عليهِمُ ماءُ الفُراتِ يَجِيءُ من أَطْوَادِ
أَرْضٌ تَخَيَّرَها لِطِيبِ مَقِيلِها كَعْبُ بنُ مَامَةَ وابنُ أُمِّ دُوَادِ[1]
135 جرَتِ الرِّيَاحُ على مَحَلِّ دِيَارِهِمْ فكأَنَّما كانوا على مِيعَادِ
(فأَرَى النَّعِيمَ وكُلَّ ما يُلْهَى به يَوْماً يَصيرُ إلى بِلًى ونَفَادِ)

٤٢٩ ● وسمع علىٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه رجلاً يتمثّل بالبيت الأخير ، فقال :

﴿ كم تَرَكُوا من جنَّات وعُيُون﴾[2] .

٤٣٠ ● وكان له أخٌ يقال له حُطَائِطٌ ، وهو القائل :

أرِينى جَوَادًا مات هَزْلا لَعَلَّنى أَرَى ما تَرَيْنَ أو بَخِيلا مُخَلَّدَا[3]

ولا عَقِبَ للأسود ولا لأخيه حُطَائط[4] .

٤٣١ ● وكان الأسودُ ممَّن يهجو قومَه ، قال[5] :

أَحَقًّا بَنِى أَبْنَاء سَلْمَى بن جَنْدَل وَعِيدُكُمُ إيَّاىَ وَسْطَ المَجالِسِ

---

(١) ابن أم دواد : هو أبو دواد الإيادى . وقد مضت ترجمته وفيها ذكر كعب بن مامة ٢٣٧ .
(٢) الآية ٢٥ من سورة الدخان .
(٣) مضى البيت والخلاف فى نسبته ، له أو لحاتم ٢٤٨ .
(٤) فى الأغانى ١١ : ١٣٣ أن الأسود كان له ابن يدعى « الجراح » كان شاعراً أيضاً ، وأنه كان فى صباه ضئيلا ضعيفاً ، فالظاهر أن عقبه انقرض بموت الجراح .
(٥) فى أبيات أربعة فى الأغانى والخزانة .

٢١ ـ الأعشى ميمون بن قيس[1]

٤٣٢ ● هو من سعد بن ضُبيعةَ بن قيس . وكان أعمى ، ويكنى أبا بَصِير. وكان أبوه قيس يُدْعى «قَتِيلَ الجُوع » . وذلك أنه كان فى جبل فدخل غارًا فوقعت صخرة من ذلك الجبل ، فسدَّت فَمَ الغارِ ، فمات فيه جوعاً .

٤٣٣ ● وكان جاهليًّا قديماً ، وأدركَ الإسلامَ فى آخر عمره ؛ ورَحل إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ليُسْلِمَ ، فقيل له : إنّه يحرّم الخمرَ والزنا ، فقال : أتمتَّعُ منهما سنةً ثم أُسْلِمُ ! فمات قبلَ ذلك بقرية باليمامة . وقالوا : إنّ خُروجَهُ يريد النبيَّ صلى الله عليه وسلم فى صلح الحُدَيْبِيَة ، فسأله أبو سفيانَ بنُ حربٍ عن وجهه الذى يريد ؟ فقال : أريد محمدًا ، [فقال أبو سفيان] : إنه يُحرِّم عليكَ الخمر والزنا والقِمارَ ، فقال : أمّا الزنا فقد تَركَنى ولم أتركه ، وأما الخمر فقد قَضَيْت منها وَطَرًا ، وأما القِمار فلعلِّى أُصِيبُ منه خَلَفاً . قال : فهل لَّك إلى خيرٍ ؟ قال وما هو ؟ قال : بيننا وبينه هُدْنةٌ ، فترجعُ عامَكَ هذا وتأْخُذُ مائةَ ناقةٍ حمراء ، فإنْ ظَهرَ (بعدَ ذلك) أتيتَه ، وإن ظَفرْنَا به كنتَ قد أصبتَ عِوَضاً من رِحْلَتِك . فقال : لا أبالى ، فانطَلَقَ به أبو سفيانَ إلى منزله . وجَمع إليه أصحابَه . وقال : يا معشرَ قريش ! هذا أعشَىٰ قيس . وقد علمتم شعرَه . ولَئِنْ وصَل إلى محمد لَيُضَرِّبَنَّ عليكمُ العربَ (قاطبةً) بشعره . فجَمعوا له مائةَ ناقة (حمراء) . فانصرف . فلمّا صار بناحيةِ اليمامة ألقاه بعيرُه فقتله .

136

---

(١) ترجمته فى الأغانى ٨ : ٧٤ — ٨٣ والمرزبانى ٤٠١ — ٤٠٢ والمؤتلف ١٢ واللآلى ٨٣ والخزانة ١ : ٨٣ — ٨٦ وشعراء الجاهلية ٣٥٧ — ٣٩٩ .

٤٣٤ ● ويسمَّى «صنَّاجةَ العرب» لأنه أوَّلُ من ذَكَرَ الصَّنْج فى شعره فقال:

ومُسْتَجِيبٍ لصَوْت الصَّنْج تَسْمَعُه إذَا تُرَجِّعُ فيه القَيْنَةُ الفُضُلُ[1]

شَبَّه العُود بالصَّنْج .

٤٣٥ ● وكان الأعشى يَفِدُ على ملوك فارِسَ ، ولذلك كَثُرت الفارسيَّةُ فى شعره ، كقوله :

فلأَشْرَبَنَّ ثَمـانياً وثَمانِياً وثَمانَ عَشْرَةَ واثْنَتَيْنِ وأَرْبَعَا

(مِن قَهْوَة باتَتْ بفارِسَ صَفْوَةً تَدَعُ الفَتَى مَلِكاً يَمِيلُ مُصَرَّعَا)

بالجُلَّسـانِ وطَيبٍ أَرْدَانُهُ بالوَن يَضْرِبُ لى يَكُرُّ الإِصْبَعَا[2]

والناىَ نَرْمٍ وبَرْبَطٍ ذِى بُحَّةٍ والصَّنْجُ يَبْكِى شَجْوَهُ أَنْ يُوضَعا[3]

٤٣٦ ● وسمعه كسرى يوماً ينشد ، فقال : مَن هذا ؟ فقالوا : آشْرُوذ كُوِيَنْدتازِى ، أى مُغَنِّى العرب ، فأَنشدَ :

أَرِقْتُ وما هذا السُّهادُ المُـؤَرِّقُ ومـا بِىَ من سُقْمٍ وما بِىَ مَعْشَقُ[4]

فقال كسرى : فسروا لنا ما قال ! فقالوا : ذَكر أنه سَهِرَ من غير سُقْمٍ ولا عِشْق ! فقال كسرى : إن كان سَهِر من غير سقم ولا عشق فهو لِصٌّ ! !

---

(١) من قصيدته التى ألحقها التبريزى بالمعلقات وشرحها . وهو فى اللسان ٣ : ١٣٥ و ١٤ : ٤١ والخزانة ٢ : ٢٨٨ . وفيهما أيضاً أن الأعشى سمى « صناجة العرب » لجودة شعره . وهذا أقرب مما قال ابن قتيبة .

(٢) الجلسان : الورد الأبيض ، أو قبة ينثر عليها الورد والريحان . الون : المعزف أو العود . والبيت فى المعرب ١٠٥ ، ٣٤٤ .

(٣) الناى نرم والبربط والصنج : من آلات الملاهى . والبيت فى المعرب ٧٢ ، ٢١٤ ، ٣٤٠ .

(٤) البيت فى الخزانة مع أبيات ١ : ٥٥١ — ٥٥٢ ونقل القصة عن ابن قتيبة .

٤٣٧ ● وكان يفدُ أيضاً على ملوك الحِيرة ، ويمدح الأسودَ بنَ المنذر ، أخا النعمانِ ، وفيه يقول فى قصيدته :

* ما بُكَاءُ الكَبيرِ بالأطْلالِ[1] *

أنْتَ خَيْرٌ من ألفِ ألفٍ مِنَ النَّا ... سِ إذ ما كَبَتْ وُجُوهُ الرِّجالِ[2]

٤٣٨ ●وقال (له) النعمانُ بن المنذر : لعلَّك تستعينُ على شعركَ هذا ؟ 138
فقال له الأعشىٰ : احبِسْنى فى بيت حتَّى أقولَ ، فحبسه (فى بيتٍ) ، فقال قصيدتَه التى أوَّلها[3] :

أأزْمعْتَ من آلِ لَيْلَىٰ ابتِكارَا ... (وشَطَّتْ على ذى هَوًى أنْ تُزَارَا)

وفيها يقول :

وقَيَّدَنِى الشِّعْرُ فى بَيْتِهِ ... كما قَيَّدَ الآسِرَاتُ الحِمَارَا

٤٣٩ ● قال حمَّادٌ الراويةُ : حدَّثنى سِمَاكٌ عن عُبَيْد راوية الأعشىٰ عن الأعشىٰ ، قال : قدمتُ على النعمان فأنشدتُه :

إلَيْكَ ،أبَيْتَ اللَّعْنَ ،كان كَلالُهَا ... أ تَرَوحُ مع اللَّيْلِ التَّمامِ وتغْتَدِى[4]

حتَّى أتيتُ على آخرها ، فخَرج إلى ظهر النَّجَفِ ، فرأيتُه قد اغْتَمَّ

---

(١) صدر قصيدة عالية رائعة ٩٧ بيتاً ، جعلها صاحب جمهرة أشعار العرب معلقة الأعشى ٥٦ – ٦٣ . وهى غير اللامية التى ألحقها التبريزى بالمعلقات تبعا لأبى جعفر النحاس .

(٢) كبت : سقطت .

(٣) هكذا قال ابن قتيبة ، وفى الخزانة أن الذى قال له ذلك قيس بن معدى كرب الكندى ، ورد ما قال ابن قتيبة بأن القصيدة فى مدح قيس ، وفيها * إلى المرء قيس نطيل السرى * انظر الخزانة ١ : ٥٧٥ – ٥٧٨ فقد ذكر أبياتاً منها وشرحها .

(٤) الليل التمام ، على النعت ، وليل التمام ، على الإضافة ، كلاهما بكسر التاء لا غير : أطول ما يكون من ليالى الشتاء . وفى ل بفتح التاء ، والصواب ما قلنا .

بنباتِه ، من بين أحمرَ وأصفرَ وأخضرَ . وإذا فيه من هذه الشقائقِ شيءٌ لم أرَ مثلَه ، فقال : ما أحسنَ هذه الشقائق ! احْمُوها ، فَحَمَوْهَا ، فسُمِّيَ « شقائِقَ النعمانِ » بذلك .

٤٤٠ ● قال : وحدّثنى الرِّيَاشِىُّ عن مؤرِّجٍ عن شُعْبَةَ عن سِمَاك عن عُبَيْدٍ راويةِ الأعشَى ، قال : قلتُ للأعشى : ماذا أردتَ بقولك :

وَمُـــدامَةٍ مِمّا تُعَتِّقُ بابِلٌ   كَدَمِ الذَّبيحِ ، سَلَبْتُها جِرْيَالَهَا[1]

قال : شربتُها حمراءَ وبُلْتُها بيضاءَ . والجريالُ : اللَّوْنُ .

٤٤١ ● وكان عُبَيْدٌ هذا يَصحبُ الأعشَى ويَرْوِى شعرَه ، وكان عالماً بالإبل ، وله يقولُ الأعشَى فى ذكر الناقة :

[لم تُعَطَّفْ على حُوَارٍ] ولم يَقْـــ   طَعْ عُبَيْدٌ عُرُوقَهَا من خُمَالِ[2]   189

٤٤٢ ● ولمّا قال الأعشَى فى عَلْقَمَة بن عُلَاثَةَ[3] :

عَلْقَمَ ما أنْتَ إلى عامِرٍ   (الناقِضِ الأوْتَارِ والواتِرِ)

نَذَرَ علقمةُ دَمَه ، فخرج الأعشَى يريد وجهاً ، فأخطأ به دَليلُه ، فألقاه فى ديار بنى عامر بن صَعْصَعَة ، فأخذه رهطُ علقمةَ فأتوه به ، فقال :

أعَلْقَمَ قـــد صَيَّرَتْنِى الأمورُ   إليْكَ وما أنْتَ لى مُنْقِصُ
فهَبْ لى ذُنُوبِى فَدَتْكَ النُّفُـــوسُ   ولا زِلْتَ تَنْمِى ولا تَنْقُصُ

---

(١) البيت فى المعرب ١٠٣ ونقل القصة أيضاً ، وأخطأ فى اسم راوية الأعشى . والبيت كذلك فى اللسان ١٣ : ١١٤ .

(٢) الزيادة أثبتها مصحح ل نقلا عن اللسان . الحوار : ولد الناقة . الخمال : داء يأخذ فى مفاصل الإنسان وقوائم الخيل والشاء والإبل ، تظلع منه ، ويداوى بقطع العرق ، ولا يبرح حتى يقطع منه عرق أو يهلك . قاله فى اللسان ، والبيت فيه ١٣ : ٢٣٦ وأخطأ فيه فزعم أن « عبيداً » بيطار !

(٣) انظر تفصيل ذلك فى الخزانة ١ : ٨٨ – ٨٩ و ٢ : ٤١ – ٤٤ .

فى أبيات ، فعفا عنه ، فقال الأعشى يَنقضُ ما قال أوّلا :

عَلْقَمَ يا خَيْرَ بنى عامرٍ للضَّيْفِ والصاحِبِ والزائِرِ
والضَّاحِكَ السِّنِّ على هَمِّهِ والغافِرَ العَثْرَةِ للعـاثِرِ

٤٤٣ ● قال أبو عُبيدةَ : أسر رجلٌ من كَلْب الأعشىٰ ، فكَتَمَه نفسَه ، وحَبَسَه ، واجتمَع عند الكلبى شَرْبٌ فيهم شُرَيْحُ بن عمرو الكلبى[1] ، فعرَف الأعشىٰ ، فقال (للكلبيّ) : مَن هذا ؟ فقال : خَشَاشٌ التقطتُه ! قال : ما تَرْجُو به ولا فداءَ له ؟ خَلِّ عنه ، فخلىٰ عنه ، فأطعمه شُرَيْحٌ وسقاه ، فلمّا أخذ منه الشرابُ سمعه يترنَّمُ بهِجَاء الكلبيّ ، فأرادَ استرجاعَه ، فقال الأعشى[2] :

شُرَيْحُ لا تَتْرُكَنِّى بَعْدَ ما عَلِقَتْ
حِبالُكَ اليَوْمَ بَعْدَ القِدِّ أظْفَارِى[3]
كُنْ كالسَّمَوْأَلِ إذْ طافَ الهُمَامُ به
فى جَحْفَلٍ كهَزِيعِ اللَّيْـلِ جَرَّارِ
بالأبْلَقِ الفَرْدِ من تَيْمَاءَ مَنْزِلُهُ
حِصْنٌ حَصِينٌ وجارٌ غَيْرُ غَدَّارِ
خَـيَّرَهُ خُطَّتَىْ خَسْفٍ فقال له :
اعْرِضْهُمَا هـكذَا أسْمَعْهُمَا حَارِ[4]

140

---

(١) الذى فى الأغانى والبلدان أن الكلبى أسره ثم جاء ونزل بشريح بن السموأل بن عادياء الغسانى صاحب تيماء بحصنه الذى يقال له الأبلق .

(٢) من قصيدة مشهورة ، تختلف روايتها بالزيادة والنقص والتقديم والتأخير ، فى الأغانى ٨ : ٧٩ ومجمع الأمثال ٢ : ٢٧٦ — ٢٧٧ والبلدان ١ : ٨٦ — ٨٩ وشعراء الجاهلية ٣٦١ — ٣٦٢ .

(٣) القد ، بكسر القاف : سير يقد من جلد غير مدبوغ .

(٤) الخسف الإذلال وتحميل الإنسان ما يكره . حار : ترخيم حارث . والبيت فى اللسان ١٠ : =

فقال : ثُكلٌ وغَدْرٌ أنت بَيْنَهُمَا
فاخْـتَرْ . وما فيهما حَظٌ لمُخْتَار

فشَكَّ غَيْرَ طَوِيلٍ ثم قال له :
اُقْتُلْ أَسِيرَكَ إنى مانِعٌ جَـارِى

وسَوْفَ يُعْقِبُنِيهِ إنْ ظَفِرْتَ به
رَبٌّ كَرِيمٌ وبِيضٌ ذاتُ أَطْهَارِ

فاخْتَارَ أدراعَه أن لّا يُسَبَّ بها ولم يَكُنْ عَهْدُهُ فيها بخَتَّارِ[1]

قال أبو محمَّد : ذُكِرَ وفاءُ السَّمَوْأَلِ بن عَادِيَاء فى ما خلَّفَ عندَه امرؤُا القيس وأنه بَذَل ابنَه دون أمانتِه حتى قُتل[2].

وفى الأعشىٰ يقولُ أبو كَلْبَةَ ، وفى الأَصَمّ بن مَعْبَد ، من ولد الحرٰث

٤١٥ . وبعد هذا البيت فى ه الأبيات الآتية :

فقال مُعْتَذِرًا إذْ قامَ يذْبحُـه : أَشْرِفْ سَمَوْأَلُ فانظُرْ فى الدَّمِ الجَارى
فشَكَّ أوداجَه والصدرُ فى مَضَضٍ عليـه مُحْتَسِباً كالكَىِّ بالنَّارِ

واختار أدراعَه . البيتَ .

والصبرُ منه على ما كان من خُلُقٍ وزَنْدُه فى الوفاءِ الثاقبُ الوارِى .
إنَّ له خَلَفاً إنْ كنْتَ قاتِلَهُ وإنْ قتلتَ كريماً غيرَ غَوَّار
مالاً كثيرًا وعِرْضاً غيرَ دَنِس وإخْـوَةً مِثْلَهُ لَيْسُوا بِأَشْرَارِ
جَرَوْا علَى أدَب مِنِّى بِلا نزَقٍ ولَا إذَا شَمَّرَتْ حَرْبٌ بأَغْمَـارِ

وسوف يعقبنيه . البيت .

(١) ختار : مبالغة من الختر ، وهو أسوأ الغدر وأقبحه .

(٢) مضى ١١٨-١١٩ . وفى س ف « يذكره وفاء السموأل بن عادياء حين أودعه امرؤ القيس أدراعه وكراعه » .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ابن عُبَادٍ . الذى قامَ بحربِ بَكْرٍ[١] :

قُبِّحْتُمَا شاعِرَىْ حَىٍّ ذَوِى حَسَب وحُزَّ أَنْفَاكُمَا حَزًّا بمنْشَارِ
أَعْنِى الأَصَمَّ وأَعْشَانَا إذَا ابْتَـدَرَا أَلَّا اسْتَعَانَا على سَمْعٍ وإبْصَارِ

٤٤٥ ● قال أبو عُبيدةَ : الأَعشىٰ هو رابعُ الشعراءِ المتقدّمين[٢] . وهو يُقَدَّم على طَرَفَةَ . لأنّه أكثرُ عَدَدِ طِوالٍ جيادٍ . وأوصفُ للخَيْلِ والحُمر . وأمدحُ وأَهْجَىٰ ، فأما طَرَفَةُ فإنّما يُوضَع مع الحرْث بن حِلِّزَةَ . وعمرِو بن كُلْثُومٍ ، وسُوَيد بن أبى كاهل فى الإسلام .

٤٤٦ ● وممّا سَبَقَ إليه فأُخذ منه قولُه :

كأَنَّ نَعامَ الدَّوِّ بَاضَ عليهمُ إذَا رِيعَ يَوْماً للصَّرِيخِ المُنَدَّدِ[٣]

وقال سَلاَمةُ بن جَنْدَل . وهو جاهلىٌّ :

كأَنَّ نَعامَ الدَّوِّ باضَ عليهِمُ بِنَهْىِ القِذَافِ أو بِنَهْىِ مُخَفَّقِ[٤]

وقال زَيْدُ الخَيْلِ ، وهو جاهلىٌّ :

كأَنَّ نَعامَ الدَّوِّ باضَ عليهمُ وأَعْيُنُهم تَحْتَ الحَدِيدِ خَوَازِرُ[٥]

---

(١) أبو كلبة : هو أحد بنى قيس ثعلبة . والأصم : اسمه « بكير » . وهذه القصة متعلقة بيوم ذى قار ، فقد مدح الأعشى والأصم بنى شيبان خاصة ، فأنبهما أبو كلبة لذلك وهجاهما . والبيتان فى النقائض ٦٤ ومعهما آخران . وفى الأغانى ٢٠ : ١٣٩ أبيات من قصيدة أبى كلبة ليس فيها اللذان هنا ، وفيه أيضاً بيتان للأعشى يجيب أبا كلبة .

(٢) س « الممدودين » . هـ « المقدمين » .

(٣) الدو : الفلاة الواسعة . المندد ، بصيغة اسم المفعول : المبالغ فى النداء ، بصيغة المفعول أيضاً ، والتنديد : رفع الصوت .

(٤) من الأصمعية ٤٢ وصدره هناك * كأن النعام باض فوق رؤوسهم * النهى ، بفتح النون وكسرها : الموضع له حاجز ينهى الماء أن يفيض ، أو هو الغدير . القذاف ومخفق : موضعان .

(٥) خوازر : من الخزر ، وهو ضيق العين ، وقد يتصنعه الناظر ليحدد النظر . وزيد الخيل مخضرم ، جاهلى إسلامى .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٤٤٧ ● ويُعابُ الأعشى بقوله[١] :

وقد غَدَوْتُ إلى الحانُوت يَتْبَعُنى شاوٍ مِشَلٌّ شَلُولٌ شُلْشُلٌ شَوِلُ

وهذه الألفاظُ الأربعة فى معنًى واحد .

٤٤٨ ● ويُعابُ بقوله فى مَلِكِ الحِيرَة :

ويَأْمُرُ لليَحْمُومِ كُلَّ عَشِيَّةٍ بقَتٍّ وتَعْلِيقٍ ، فقد كاد يَسْنَقُ[٢]

واليحمومُ : فَرَسٌ . وقالوا : هذا مما لا يُمْدَح به رجلٌ من خِسَاسِ الجُنُود ، لأنَّه ليس مِن أحدٍ له فرسٌ إلاَّ وهو يَعْلِفُهُ قَتًّا ويُقْضِمُه شعيرًا ! ! (وهذا مديحٌ كالهجاء) !

٤٤٩ ● قال أبو محمَّد : ولستُ أرى هذا عيباً ، لأنَّ الملوكَ تُعِدُّ فرساً على 142 أقرب الأبوابِ من مَجَالسها بسرجِه ولجامِه ، خوفاً من عدوٍّ يَفْجَؤُها ، أو أمر يَنْزِلُ ، أو حاجةٍ تَعْرِضُ لقلبِ الملك فيريدُ البِدَارَ إليها فلا يَحتاجُ إلى أن يَتَلَوَّمَ[٣] على إسراج فرسِه وإلجامِه ، وإذا كان واقفاً غُدَّىَ وعُشِّىَ . فوضع الأعشى هذا المعنى ، ودلَّ به على مُلْكِه وعلى حَزْمِه .

٤٥٠ ● ويُستحسن له قولُه فى الخمر :

تُرِيكَ القَذَى مِن دُونها وهى دُونَه إذَا ذاقَها مَنْ ذاقَها يَتَمَطَّقُ[٤]

---

(١) مضى ٧١ .

(٢) اليحموم : فرس النعمان بن المنذر ، سمى بذلك لشدة سواده . القت : نوع من العلف . يسنق : يبشم من الشبع والتخمة . والبيت فى الخيل لابن الكلبى ٣١ واللسان ٢ : ٢٧٦ و ١٢ : ٣١ و ١٥ : ٤٧ وهو فى أبيات فى البلدان ٥ : ٢ .

(٣) يتلوم : يتمكث وينتظر .

(٤) التمطق : إلصاق اللسان بالغار الأعلى فيسمع له صوت ، وذلك عند استطابة الشىء . والبيت فى الخزانة ١ : ٥٥٢ وكذلك بيت الأخطل .

يُريد : أنَّها من صفائِها تُرِيكَ القذاةَ عاليةً عليها والقذاةُ فى أسفلها . فأخذ الأخْطَلُ المعنىٰ فقال :

ولَقَدْ تُباكِرُنى على لَــذَّاتِها صَهْباءُ عالِيَةُ القَذَىٰ خُرْطُومُ[1]

٤٥١ ● ولم تَختلف الرواةُ فى ألفاظ. بيتٍ اختلافَها فى بيت له ، (وهو) :

إنى لَعَمْرُ الَّذى حَطَّتْ مَنَاسِمُهــا تُخْدَىٰ وسِيقَ إليها الباقِرُ العثَلُ[2]

رواه بعضُهم «خَطَّتْ» يريد : خَطَّت الترابَ ، ورواه بعضُهم «حَطَّتْ» أى اعتَمَدَتْ فى السَّيْر[3] ، وروى بعضُهم «تُخْدَى» ، وبعضُهم «تَخْدِى»[4] وروَىٰ بعضُهم «الباقرُ العَثَلُ» وهى الكثيرة ، ورواه آخرُ «الباقرُ الغُيُلُ» وهى السِّمَانُ[5] ، ورواه آخَرُ «وجَدَّ عليها النَّافِرُ العَجِلُ» يريد النُّفَّارَ من مِنًى .

(١) الخرطوم : الخمر السريعة الإسكار .

(٢) من القصيدة الملحقة بالمعلقات ، شرح التبريزى ٢٨٦ – ٢٨٧ . وهو فى اللسان ٩ : ١٤٤ و ١٣ : ٤٥٠ و ١٤ : ٢٧ . وهو فى الخزانة ٤ : ١٣٣ – ١٣٥ مشروحاً شرحاً وافياً ، جاء فيه بنص ما قال أبو القاسم على بن حمزة البصرى فى كتاب التنبيهات على أغلاط الرواة ، وبنص ما قال العسكرى فى كتاب التصحيف .

(٣) فى اللسان : « حطت فى سيرها وانحطت ، أى اعتمدت ، يقال ذلك للنجيبة السريعة » . وفى شرح التبريزى : « حطت : قيل معناه أسرعت . قال الأصمعى : لا معنى لحطت ههنا ، وإنما يقال حطت إذا اعتمدت فى زمامها ، قال : والرواية خطت ، أى سفت التراب بمناسمها ، والمناسم : أطراف أخفافها » .

(٤) تخدى : تسير سيراً سديداً فيه اضطراب لشدته .

(٥) الباقر : البقر ، كلاهما اسم جنس واسم جمع . العثل ، بفتح الثاء وكسرها : الكثير من كل شىء . وفسره التبريزى بالجماعة . الغيل ، بضمتين : جمع غيول ، بفتح الغين ، وهو المنفرد من كل شىء . فالغيل : الكثيرة ، والغيل السمان أيضاً ، كما ذكر المؤلف وكما فى اللسان . وفيه أيضاً : « ويروى العيل ، فى البيت ، بعين غير معجمة ، يريد الجماعة » .

٤٥٢ ● وهو ممّن أقرّ بالمَلَكَيْنِ الكاتِبَيْنِ فى شعره . قال يمدح النعمانَ :

فــلا تَحْسَبَنِّى كافِرًا لكَ نِعْمَةً
على شاهِدِى يا شاهِدَ اللهِ فاشْهَدِ[1]

قولُه «على شاهدى» يريد على لسانى . «يا شاهدَ الله» يريدُ المَلَكَ الموكَّلَ به . وكان هذا من إيمان العرب بالمَلَكَيْنِ بَقِيَّةٌ من دِين إسمٰعيل صلى الله عليه وسلم .

٤٥٣ ● ويُستحسنُ قولُه فى سكران :

فراحَ مَكِيثاً كأنَّ الدَّبَا يَدِبُّ على كُلِّ عَظْمٍ دَبِيبَا[2]

٤٥٤ ● قال : وأحسَنُ ما قيلَ فى الرياض قولُه :

ما رَوْضَةٌ من رِياضِ الحزْنِ مُعْشِبَةٌ
خَضْرَاءُ جَادَ عليها مُسْبِلٌ هَطِلُ
يُضاحِكُ الشَّمْسَ منها كَوْكَبٌ شَرِقٌ
مُــوزَّرٌ بَعَمِيمِ النَّبْتِ مُكْتَهِــلُ[3]
(يَوْماً بأَطْيَبَ منها نَشْرَ رائحةٍ
ولا بأَحْسَنَ منها إذْ دَنَا الأُصُلُ)[4]

(١) البيت فى اللسان ٤ : ٢٣٠ .

(٢) المكيث : المقيم الثابت . الدبا : الجراد قبل أن يطير . س ف «على كل عضو» .

(٣) يضاحك الشمس : يدور معها ، ومضاحكته إياها حسن له ونضرة . الكوكب : النور ههنا ، يشبه بكوكب السماء . الشرق : الريان الممتلىء ماء . المؤزر : الذى صار النبات كالإزار له . العميم : النبت الكثيف الحسن . مكتهل : تم طوله وظهر نوره . والبيت فى اللسان ٢ : ٢١٦ و ١٢ : ٤٥ و ١٤ : ١٢٢ وعجزه فيه ١٥ : ٣٢٠ .

(٤) النشر : الريح الطيبة . الأصل : جمع أصيل ، وهو العشى .

٢٢ – عبيد بن الأبرص (الأسدى)(١)

٤٥٥ ● هو عَبِيدُ بن الأَبْرَصِ بن عوف بن جُشَم بن عامر بن مالك بن زُهير بن مالك بن الحرث بن سعد بن ثعلبة بن دُودَان بن أسد . وكان عَبيدٌ شاعرًا جاهليًّا قديماً من المُعَمَّرِينَ ، وشَهِدَ مقتلَ حُجْرٍ أبى امرئ القيس ، وهو القائل لامرئ القيس(٢) :

يا ذَا المُخَوِّفُنَا بقتْـ … ـلِ أبيهِ إذْلاًا وحَيْنَا
أَزَعَمْتَ أَنَّكَ قد قَتَلْـ … ـتَ سَرَاتَنا كَذِباً ومَيْنَا
هَلَّا على حُجْرِ بْنِ أُ … مِّ قَطَامِ تَبْكِى لا عَلَيْنَا
إنّا إذَا عضَّ الثِقا … فُ بِرَأْسِ صَعْدَتِنَا لَوَيْنَا(٣)
نَحْمِى حَقِيقَتَنَا وبَعْـ … ـضُ القَوْمِ يَسقُطُ بَيْنَ بَيْنَا
هَلَّا سَأَلْتَ جُمُوعَ كِنْـ … ـدَةَ يَوْمَ وَلَوْا : أَيْنَ أَيْنَا
أَيَّامَ نَضْرِبُ هامَهُمْ … بِبَوَاتِرٍ حتَّى انْحَنَيْنَا

144

٤٥٦ ● وقَتَله النعمانُ بن المنذر يومَ بُوسِه(٤). ويقال إنَّهُ لَقِيَه يومئذ

(١) « عبيد » بفتح العين وكسر الباء . ووقع مضبوطاً فى مواضع فى اللسان وفرائد اللآل وشعراء الجاهلية بضم العين ، وهو خطأ . وترجمته وخبر مقتله فى مقدمة ديوانه ١ – ٤ والأغانى ١٩ : ٨٤– ٨٩ والأمالى ٣ : ١٩٥ – ١٩٦ وأمثال العسكرى ٩٣ ومختارات ابن الشجرى ٢ : ٣٢ – ٣٥ والخزانة ١ : ٣٢١ – ٣٢٤ و ٤ : ١٦٤ – ١٦٥ والبلدان ٦ : ٢٨٢ – ٢٨٦ والاقتضاب ٣٤٨ وشعراء الجاهلية ٥٩٦ – ٦١٥ .

(٢) مضى البيتان الأولان ١٠٨ والقصيدة أيضاً فى مختارات ابن الشجرى ٢ : ٣٩ – ٤٠ ومنتهى الطلب ١ : ١٢٤ – ١٢٦ .

(٣) الثقاف : خشبة تسوى بها الرماح . الصعدة : القناة المستوية تنبت كذلك لا تحتاج إلى تثقيف .

(٤) وهم المؤلف وتبعه غيره ، أو هو تبع غيره . والصحيح أن صاحب الغريين ، والذى كان له يوما نعم وبؤس ، والذى قتل عبيد بن الأبرص ، هو المنذر بن ماء السماء ، وهو المنذر الأكبر اللخمى ، =

وله أكثرُ من ثلاثمائةِ سنة ، فلما رآه النعمانُ قال : هلّا كان هذا لغيرك يا عَبِيد ! أنشِدْنى فربما أعجبنى شِعرُكَ ! فقال له عَبِيد: حالَ الجَرِيضُ دُونَ القَرِيض[١] ، قال : أنشِدْنى * أقْفرَ من أهْلِهِ مَلْحُوبُ * فأنشده عَبِيدٌ :

أقْفَرَ من أهْلِهِ عَبِيدُ فاليَوْمَ لا يُبْدِى ولا يُعِيدُ[٢]

فسأله : أىَّ قِتْلَةٍ تَختارُ ؟ قال عَبِيدٌ : اسْقِنِى من الرّاحِ حتَّى أثْمَل ، ثم افْصِدْنِى الأَكْحَلَ ، ففعل ذلك به ، ولَطَّخَ بدمه الغَرِيَّيْنِ .

قال أبو محمَّد : الغَرِيَّانِ طِرْبَالَانِ[٣] كان يُلَطخهما بدماءِ القتلى يوم بؤسِه . (وكان بنَاهما على نَدِيمَيْن له ، وهما خالدُ بن نَضْلة الفَقْعَسِى ، وعمرو بن مسعود) وهو موضعٌ معروف بالكوفة ، يقال له الغَرِيّانِ[٤] .

٤٥٧ ● وأجودُ شعرِه قصيدتُه التى يقولُ فيها : * أقْفَرَ من أهْلِها مَلْحُوبُ[٥] * وهى إحدى السَّبعِ[٦] ، وفيها يقول :

وهو جد النعمان بن المنذر ، على ذلك أكثر الروايات وأصحها فى المراجع التى أشرنا إليها ، وقد حقق ذلك أيضاً صاحب الخزانة ، وفصل قصة الغريين ٤ : ٥٠٩ — ٥١١ .

(١) الجريض : غصص الموت . القريض : الشعر .

(٢) البيت فى اللسان ٦ : ٤٢٢ والأساس ١ : ٢٥ .

(٣) الطربال : كل بناء عال .

(٤) سميا « غريين » إما لحسنهما ، وكل بناء حسن غرى ، وإما لأنه كان يغريهما بدم من يقتله فى يوم بؤسه .

(٥) البيت فى اللسان ١ : ٣٧٩ و ٢ : ١٧٦ ، ٢٣٤ ووصفه بأنه « الشعر الذى كسر بعضه » يعنى أن عبيداً لم يقم وزنه كله ، وهذا صحيح . ملحوب : موضع . والبيت أيضاً فى البلدان ٨ : ١٤٨ . والرواية هنا « من أهلها » شاذة .

(٦) هكذا قال المؤلف ، وهو يريد — والله أعلم — أنها إحدى المعلقات . ولم يذكر أحد أنها منها غيره ، وإنما ألحقها التبريزى بها فذكرها آخر القصائد العشر التى شرح . وأدخلها صاحب جمهرة أشعار العرب فى المجمهرات التى ذكرها بعد المعلقات ١٠٠ — ١٠٢ والموضع جدير بالتحقيق . وهى أيضاً فى الديوان ٥ — ١١ ومنتهى الطلب ١ : ١٣١ — ١٣٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكُلُّ ذى نِعْمَـةٍ مخلُوسُها وكُلُّ ذى أَمَلٍ مكْذُوبُ

وكُلُّ ذِى إبِلٍ مَوْرُوثُهـا وكُلُّ ذى سَلَب مَسْلُوبُ 145

وكُلُّ ذى غَيْبَة يَؤُوبُ وغائبُ المَوْت لا يؤوبُ[1]

افْلَحْ بما شئْتَ ، فقد يُبْلَغ بالـ ضَّعْفِ ، وقديُخْدَعُ الأَرِيب[2]

مَنْ يَسْأَلِ الناسَ يحرِمُـوهُ وسائِلُ اللهِ لا يَخِيبُ[3]

(واللهُ لَيْسَ له شَريكٌ عَلَّامُ ما أخفَتِ القُلُوبُ)

لا يَعِظُ الناسَ مَن لم يَعِظْهُ الـ دَّهْرُ ولا يَنْفَعُ التَّلْبِيبُ

(والمَرْءُ ما عاشَ فى تكْذِيبِ طُولُ الحَيَاةِ له تَعْذِيبُ)

ساعِفْ بأَرْضٍ إذَا كُنْتَ بها ولا تَقُلْ : إنَّنى غَرِيبُ[4]

قد يُوصَلُ النازِحُ النَّائِى ،وقدْ يُقْطَعُ ذو السُّهْمَةِ القَرِيبُ[5]

(أعَاقِرٌ مِثْلُ ذاتِ وُلْدٍ أمْ غانِمٌ مِثْلُ مَن يَخِيبُ)

٤٥٨ ● وممَّا يتمثَّلُ به من شعْرِه قولُه .

لأَعْرِفَنَّكَ بَعْدَ اليَوْمِ تَنْدُبُنى وفى حَيَاتِىَ ما زَوَّدْتَنى زَادى[6]

---

(١) اللسان ١ : ٢١٣ .

(٢) افلح : أمر من الثلاثى ، وفى أكثر الروايات « أفلح » من الرباعى . « فقد » كذا فى سائر الروايات وفى أصول الكتاب ، ولكن مصحح ل أثبتها « قد » بحذف الفاء ، فلم نتابعه . والبيت فى اللسان ٣ : ٣٨١ وسيأتى ١٨٤ ل .

(٣) سيأتى ١٨٣ ل .

(٤) فى الديوان وغيره « ساعد » بدل « ساعف » . والمساعفة : المساعدة والمواتاة والقرب فى حسن مصافاة ومعاونة . والبيت والذى بعده فى حماسة البحترى ١٧٣ – ١٧٤ .

(٥) السهمة ، بضم السين : القرابة . والبيت فى اللسان ١٥ : ٢٠١ .

(٦) من قصيدة فى الديوان ٦٩ – ٧١ والأغانى ١٩ : ٨٩ ومنها أبيات فى جمهرة أشعار العرب ١٧ والخزانة ٤ : ٥٠٢ – ٥٠٥ وشواهد المغنى ١٦٩ . وقال الجمحى فى طبقات الشعراء ٣١ : « وعبيد ابن الأبرص قديم عظيم الذكر عظيم الشهرة ، وشعره مضطرب ذاهب ، لا أعرف له إلا قوله * أقفر من أهله ملحوب * ولا أدرى ما بعد ذلك » . وانظر ما نقلناه عنه فى ترجمة طرفة ١٨٥ .

٢٣ – بشر بن أبي خازم [1]

٤٥٩ ● هو من بنى أسد ، جاهلىٌّ قديمٌ ، شَهِدَ حرب أسد وطيِّئٍ ، وشهد هو وابنه نَوْفَلُ بْن بشرٍ الحِلْفَ بينهما .

٤٦٠ ● قال أبو عمرو بن العَلاء : فَحْلَانِ من الشعراء كانا يُقْوِيَانِ ، النابغةُ وبِشْرُ بنُ أبي خازمٍ ، فأمّا النابغةُ فدخل يَثْرِبَ فغُنِّىَ بشعره ففَطِنَ فلم يَعُدْ للإقواء [2] ، وأمّا بشر (بن أبي خازم) فقال له أخوه سَوَادَة : إنّكَ تُقْوِى ، قال : وما الإقواءُ ؟ قال : قولُك [3] :

146

أَلَمْ تَرَ أَنَّ طُولَ الدَّهْرِ يُسْلِي ... ويُنْسِى مِثْلَ ما نُسِيَتْ جُذَامُ

ثم قلتَ :

وكانوا قَوْمَنَا فبَغَوْا عَلَيْنا ... فسُقْنَاهُم إلى البَلَدِ الشَّآمِ

فلم يَعُدْ للإقواء .

٤٦١ ● ويُعاب من شعره قولُه فى وصف فرس :

على كُلِّ ذى مَيْعَةٍ سابحٍ ... يُقَطِّعُ ذو أَبْهَرَيْهِ الحِزامَا [4]

الأَبْهَرُ : عِرْقٌ مُكْتَنِفٌ للصُّلْبِ . وأراد بقوله «ذو أَبْهَرَيْهِ» جنبَيْه ، فجعل الأَبْهَرَ اثنين ، وهو واحد ، وكان الصوابُ أن يقول «ذو أَبْهَرِه»

---

(١) ترجمنا له فى المفضلية ٩٦ وترجمته فى الخزانة ٢ : ٢٦١ – ٢٦٤ ومختارات ابن الشجرى ٢ : ١٩ – ٣٣ وفيها كثير من شعره . وله قصائد فى منتهى الطلب ١ : ١٥٠ – ١٦١ .

(٢) انظر ما مضى ٩٥ ، ١٥٧ ، ١٦٨ ، ١٧٣ .

(٣) البيتان ٢٣ ، ٢٤ من المفضلية ٩٧ وانظر الموشح ٥٩ .

(٤) من قصيدة فى ابن الشجرى ٢٣ .

والمعنى : أنّه إذا انحطَّ قطعَ حِزامَه لانتفاخ جَنْبَيْه . قال الآخر :

* وللفُؤادِ وَجيبٌ تَحْتَ أَبْهَرِهِ(١) *

وقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم :

«ما زالت أُكْلَةُ خَيْبَرَ تُعادُّنى(٢) فهذا أَوانُ قَطَعَتْ أَبْهَرِى»(٣) .

٤٦٢ ● وقال فى سفينةٍ :

أُجَالِدُ صَفَّهُمْ ولَقَدْ أَرانى ... على زَوْرَاءَ تَسْجُدُ للرِّيَاحِ

إذا رَكِبَتْ بصاحِبِها خَلِيجاً ... تَذَكَّرَ ما لَدَيْهِ من جُنَاحِ

ونَحْنُ على جوانِبِهَا قُعُودٌ ... نَغُضُّ الطَّرْفَ كالإبلِ القِمَاحِ(٤)

وهى الرافعةُ الرؤوس ، والغضُّ : الذلُّ فى الطَّرْفِ .

٤٦٣ ● وكان بشر فى أوّل أمره يهجو أَوْسَ بنَ حارثةَ بنِ لأمٍ (الطائىّ) . 147 فأَسَرَتْه بنو نَبْهانَ من طيِّء ، فركب أوسٌ إليهم فاستوهبه (منهم) ، وكان قد نَذَر ليحرقنَّه إنْ قَدَر عليه ، فوهبوه له ، فقالت له أُمُّه سُعْدَى : قَبَح الله رأيَك ! أَكْرِمِ الرجلَ وَخَلِّ عنه ، فإنّه لا يمحو ما قال غيرُ لسانه ، ففعَل ، فجعل بِشْرٌ مكان كلّ قصيدةِ هجاءٍ قصيدةَ مدحٍ .

---

(١) تمامه * لدم الغلام وراء الغيب بالحجر * ونسبه فى اللسان ٥ : ١٥٠ لابن مقبل .

(٢) تعادنى : تراجعنى ويعاودنى ألم سمها فى أوقات معلومة .

(٣) الحديث نقله السيوطى فى الجامع الصغير بقريب من هذا اللفظ برقم ٧٩١٥ ج ٥ ص ٤٤٨ من شرح المناوى ، ونسبه لابن السنى وأبى نعيم فى الطب عن أبى هريرة ورمز له بعلامة أنه حديث حسن ، وتعقبه المناوى ، بأن فى إسناده سعيد بن محمد الوراق ضعفه النسائى والدارقطنى وغيرهما ، ووثقه ابن حبان والحاكم . والحديث معناه صحيح ، فقد رواه البخارى فى صحيحه ٥ : ٩ من حديث عائشة : «كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول فى مرضه الذى مات فيه : يا عائشة ، ما أزال أجد ألم الطعام الذى أكلت بخيبر ، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهرى من ذلك السم» .

(٤) الأبيات فى ابن الشجرى . والبيت فى اللسان ٣ : ٤٠١ .

٢٤ ـ سلامة بن جندل[١]

٤٦٤ ● هو من بنى عامر بن عُبيد بن الحرث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيدِ مَنَاةَ بن تميمٍ ، جاهلىٌّ قديم ، وهو من فرسان تميم المعدودين . وأخوه أحمرُ بن جَنْدَلٍ من الشعراء والفرسان . وكان عمرو بن كُلْثومٍ أغار على حىّ من بنى سعد بن زيد مناةَ ، فأصاب منهم ، وكان فيمن أصاب أحمرُ بن جَنْدَلٍ .

٤٦٥ ● وكان سَلَامَةُ بن جَنْدَلٍ أحدَ مَن يصف الخيلَ فيُحْسِنُ . وأجودُ شعرِه قصيدتُه التى أوّلُها[٢] :

أَوْدَى الشَّبَابُ حَمِيدًا ذو التَّعَاجِيبِ
وَلَّى وذلك شَأْوٌ غيرُ مَطْلُوبِ

(أَوْدَى الشَّبَابُ الذى مَجْدٌ عَوَاقِبُهُ
فيــه تَلَذُّ ولا لَذَّاتَ للشِّيبِ[٣])

وَلَّى حَثِيثًا وهذا الشَّيْبُ يتبعُهُ
لَوْ كان يُدْرِكُهُ ، رَكْضُ اليَعَاقِيبِ[٤]

---

(١) ترجمنا له فى المفضلية ٢٢ . وله ترجمة فى الخزانة ٢ : ٨٥ – ٨٦ وشواهد العينى ٢ : ٣٢٦ والسمط ٤٩ ، ٤٥٣ وشعراء الجاهلية ٤٨٦ – ٤٩١ .

(٢) هى المفضلية ٢٢ وقد خرجناها هناك ، وهى ٣٩ بيتاً .

(٣) الخزانة ٢ : ٨٥ – ٨٦ « تلذ » بالخطاب ، ورواية المفضلية « نلذ » بالنون ، والمعنى عليهما صحيح . « لذات » بفتح التاء وكسرها ، والبيت شاهد على أن اسم « لا » إذا كان جمع مؤنث سالم يجوز فيه الوجهان : البناء على الفتح ، والبناء على الكسر ، والفتح أشهر . انظر الخزانة والعينى .

(٤) اليعاقيب : جمع يعقوب ، وهو ذكر الحجل . «ركض» بالنصب كرواية أبى عمرو فى شرح الأنبارى . ورواية غيره بالرفع . وفى س ب وحاشية د «يطلبه» بدل « يتبعه» وهو الموافق لرواية المفضليات والخزانة .

٤٤٦ ● وهو القائل[1] :

تَقُولُ ابنَتِى إنَّ انْطِلاَقَكَ واحِداً إلى الرَّوْعِ يَوْماً تارِكِى لا أبَالِيَا
ذَرِينى مِنَ الإشْفاقِ أو قَدِّمى لنا مِنَ الحَدَثانِ والمَنِيَّةِ وَاقِيَا
سَتَتْلَفُ نَفْسِى أو سأَجْمَعُ هَجْمَةً تَرَى ساقِيَيْها يَأْلَمانِ التَراقِيَا[2]

(١) الأبيات فى ديوانه ٢١ . والبيت الأول كاد يأخذه مالك بن الريب بلفظه فى قصيدته المشهورة ، الأمالى ٢ : ١٣٦ .

(٢) ب د « أو ستجمع » الهجمة : القطعة الضخمة من الإبل ، ما بين الثلاثين أو الأربعين إلى المائة .

٢٥ – لبيد بن ربيعة [١]

٤٦٧ ● هو لَبِيدُ بن رَبيعةَ بن مالك[٢] بن جعفر بن كِلَاب العامرىُّ . وكان يقال لأبيه «رَبِيعُ المُقْتِرِينَ» لسخائه . وقَتلتْه بنو أَسَدٍ فى حرب بينهم وبين قومه . (ويقال قَتَلَه مُنْقِذُ بن طَرِيف الأَسَدِىُّ[٣] . ويقال قَتَلَه صامتُ بن الأَفْقَمِ ، من بنى الصَّيْداء ، يقال ضَربَه خالدُ بن نَضْلةَ وتمَّ عليه هذا . وأدركَ بثأره عامرُ بن مالك بن جعفر بن كِلَاب أخوه ، وذلك أنه قَتَل قاتلَه) .

٤٦٨ ● ويُكْنَى لَبيدٌ أبا عَقِيلٍ . وكان من شعراء الجاهليَّة وفرسانِهم .

وكان الحرثُ بن أبى شَمِرٍ الغسّانِىُّ ، وهو الأَعْرَجُ ، وجَّه إلى المُنذِر ابن ماء السماء مائةَ فارسٍ وأمَّره عليهم . فصاروا إلى عسكر المنذر ، وأظهروا أنَّهم أتَوْه داخلينَ فى طاعته ، فلما تمكَّنوا منه قتلوه وركبوا خيلهم ، فقُتل أكثرُهم ، ونَجا لَبِيدٌ ، حتَّى أتىٰ ملكَ غَسَّانَ فأخبره الخبر ، فحَمل الغسّانيُّون على عسكر المنذر فهزموهم ، وهو يومُ حَلِيمةَ . وكانت حليمةُ بنتَ ملكٍ

---

(١) ترجمته فى التاريخ الكبير للبخارى ٤ : ٢٤٩ وطبقات ابن سعد ٦ : ٢٠ والاستيعاب ٢٣٥ – ٢٣٧ وأسد الغابة ٤ : ٢٦٠ – ٢٦٣ والإصابة ٦ : ٤ – ٥ والمعمرين ٦٠ – ٦٣ والأغانى ١٤ : ٩٠ – ٩٨ والخزانة ١ : ٣٣٤ – ٣٣٩ .

(٢) فى الاستيعاب ، وتبعه أسد الغابة والإصابة والخزانة « بن ربيعة بن عامر بن مالك » . وزيادة « عامر » فى النسب خطأ ، عامر بن مالك عم لبيد لا جده ، وهو ملاعب الأسنة ، أخو ربيعة ابن مالك . وسيأتى ذكره .

(٣) طريف : بالطاء المهملة ، وفى ل بالمعجمة ، وهو خطأ . فإن منقذاً هذا هو الجميح الأسدى الشاعر ، واسمه « منقذ بن الطماح بن قيس بن طريف » نسب هنا إلى جده الأعلى ، ترجمنا له فى المفضلية ٤ . وكان مقتل ربيعة فى « يوم ذى علق » وقد قال فيه الجميح المفضلية ٧ وانظر الأنبارى ٤٥ – ٤٨ وابن الأثير ١ : ٢٦٩ – ٢٧٠ .

غَسّان ، وكانت طَيَّبتْ هؤلاء الفتيانَ حين توجَّهوا ، وألبستْهم الأكفانَ والدُّروعَ وبرانسَ الإضْريج[١].

٤٦٩ ● وأدرك لبيدٌ الإسلامَ ، وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفد بنى كلاب ، فأسلموا ورجَعوا إلى بلادهم . ثم قَدِمَ لبيدٌ الكوفةَ وبنوه ، فرجع بنوه إلى البادية (بعدَ ذلك) ، فأقام لبيد إلى أن مات بها ، فدُفن فى صحراء بنى جعفر بن كِلَاب . ويقال إنَّ وفاتَه كانتْ فى أوّل خلافة معاوية ، وأنه مات وهو ابنُ مائةٍ وسبع وخمسين سنةً .

149

٤٧٠ ● ولم يَقُلْ فى الإسلام إلا بيتاً واحدًا . واختُلفَ فى البيت ، قال أبو اليَقْظان : هو :

الحَمْدُ لِلّهِ إذْ لم يأْتِنى أجَلِى
حتّى كَسَانى مِنَ الإسلامِ سِرْبالَا[٢]

وقال غيرُه : بل هو قولُه :

ما عاتَبَ المَرْءَ الكَرِيمَ كنَفسِه والمَرْءُ يُصْلِحُهُ الجَلِيسُ الصالِحُ[٣]

٤٧١ ● وقال له عمرُ بن الخطّاب رضى الله عنه : أنشِدْنى (من شعرك) ، فقرأ سورةَ البقرة ، وقال : ما كنتُ لأقول شعرًا بعدَ إذْ علّمنى الله (سورةَ)

---

(١) الإضريج ، بالجيم : الخز الأحمر . ويوم حليمة يوم مشهور من أيام العرب ، قال فيه علقمة الفحل المفضلية ١١٩ وانظر خبر الوقعة فى ابن الأثير ١ : ٢٢٣ — ٢٢٦ والأمثال ٢ : ١٨٩ وأيام العرب ٥٤ — ٥٩ .

(٢) رجح ابن عبد البر فى الاستيعاب ٢٣٥ أن البيت لقردة بن نفاثة السلولى ، ثم ذكره ثالث أبيات ثلاثة فى ترجمة قردة ٥٥١ . وذكره أبو حاتم فى المعمرين ٦٦ مع آخر ، ثم قال : « ويزعمون أن البيت الأول للبيد » وذكره المرزبانى فى معجم الشعراء ٣٣٩ ثالث أبيات ثلاثة ونسبها لقردة ثم قال : « هذا البيت الأخير يروى للبيد بن ربيعة » . و « قردة » بفتح القاف والراء .

(٣) هـ « ما عاتب الحر » . والبيت مضى ٦٨ .

البقرةِ وآلَ عمرانَ ، فزاده عمرُ فى عطائه خمسَ مائةِ (درهمٍ) ، وكان ألفَيْنِ . فلمّا كان فى زمن معاوية قال له معاويةُ : هذان الفَوْدَان[1] فما بالُ العِلاَوة ؟ يعنى بالفَوْدَيْنِ الألفَيْن ، وبالعلاوة الخمسَ مائة ، وأراد أن يحطَّه إيّاها ، فقال : أموتُ الآنَ وتبقَى لك العِلاَوةُ والفَوْدَانِ ! فرقَّ له (معاويةُ) وترك عطاءَهُ على حاله ، فمات بعدَ ذلك بيسيرٍ .

٤٧٢ ● وكان لبيدٌ آلَى فى الجاهليّة ألاَّ تَهُبَّ الصَّبَا إلاَّ أطعَم الناسَ حتَّى تَسكُنَ ، وألزَمه نفسَه فى إسلامه ، فخَطَب الوليدُ بن عقبةَ الناسَ بالكوفة يومَ صَباً ، وقال : إن أخاكم لبيدًا آلَى ألاَّ تَهُبَّ له الصَّبَا إلاَّ أطعم الناسَ حتَّى تَسْكُنَ ، وهذا اليومُ من أيّامه ، فأَعِينُوه وأنا أوَّلُ من أعانه . ونزل فبعث إليه بمائة بَكْرَةٍ ، وكَتَب إليه : 150

أَرَى الجَزَّارَ يَشْحَذُ شَفْرَتَيْه ... إذَا هَبَّتْ رِياحُ أَبِى عَقِيل
أَشَمُّ الأَنْفِ أَصْيَدُ عامِرِيٌّ ... طَوِيلُ الباعِ كالسَّيْفِ الصَّقِيلِ[2]
وَفَى ابْنُ الجَعْفَرِيِّ بِحَلْفَتَيْهِ ... على العِــلاَّتِ والمالِ القَلِيلِ[3]
بِنَحْرِ الكُومِ إذْ سَحَبَتْ عليه ... ذُيُولَ صَباً تَجَاوَبُ بالأَصِيلِ[4]

فلما أتاه الشعرُ قال لابنتِه : أَجيبيه فقد رأيتِنى وما أَعْيَا بجوابِ شاعر ، فقالت :

إذَا هَبَّتْ رِياحُ أَبِى عَقِيلٍ ... دَعَوْنا عند هَبَّتِها الوَلِيدَا

---

(١) الفودان : العدلان ، كل واحد منهما فود ، وكل منهما نصف حمل يكون على أحد جنبى البعير .

(٢) عامرى : لأنه من بنى جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

(٣) على العلات : على كل حال ، فى عسره ويسره . ف س « والمال الجزيل » .

(٤) الكوم : جمع أكوم أو كوماء ، والأكوم البعير الضخم السنام . تجاوب : تتجاوب ، وضبطت فى ل بضم الواو وتنوين الباء ، جعلها مصدراً ! وهو خطأ يختل به الوزن .

أَشَمِّ الأَنْفِ أَصْيَدَ عَبْشَمِيًّا ... أَعانَ على مُرُوءَتِهِ لَبِيدَا[1]

بِأَمْثالِ الهِضَابِ كأَنَّ رَكْباً ... عليها من بنى حَامٍ قُعُودَا

أَبا وَهْبٍ جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا ... نَحَرْناها وأَطْعَمْنا الثَّرِيدَا

فعُدْ إِنَّ الكَرِيمَ له مَعَادٌ ... وظَنِّى يا ابنَ أَرْوَى أَنْ تَعُودا[2]

فقال لها لبيدٌ أحسنتِ لولا أنَّكِ اسْتَطْعَمْتِيهِ ، (قالت : إنه مَلِكٌ وليس بِسُوقَةٍ . ولا بأْسَ باستطعامِ الملوكِ) .

٤٧٣ ● ومُلاعِبُ الأَسِنَّةِ هو عَمُّ لبيدٍ . واسمه عامرُ بن مالك ، وسُمِّىَ مُلاَعِبَ الأَسنَّةِ لقولِ أَوْسِ بن حَجَرٍ :

ولاعَبَ أَطْرَافَ الأَسِنَّةِ عامِرٌ ... فراحَ له حَظُّ الكَتِيبَةِ أَجْمَعُ

151

٤٧٤ ● وكان ملاعبُ الأَسنَّة أخذ أربعين مِرْبَاعاً فى الجاهليَّة ، ولمَّا كَبِرَ عامِرٌ وأُهْتِرَ تَنازعَ عامرُ بن الطُّفَيْلِ وعَلْقَمة بن عُلاَثَةَ الجعفريَّانِ فى الرئاسة ، حتَّى تَنَافَرَا إلى هَرِمِ بن قُطْبَة بن سيَّارٍ الفَزَارِىّ[3] .

٤٧٥ ● وأَرْبَدُ بن قَيْسٍ الذى أَتَى النبىَّ صلى الله عليه وسلم غادرًا هو

---

(١) عبشمى : لأنه من بنى عبد شمس بن عبد مناف .

(٢) هكذا ضبطت فى ل «فعد إن» فعل أمر من العود . وضبطت فى الكامل للمبرد فى طبعة أوروبة وطبعات مصر « فعدان » بكسر العين وتشديد الدال المفتوحة ورفع النون . والعدان : الزمان والعهد ، وعدان الشباب والملك : أولهما وأفضلهما ، وهو « فعلان » من « العد » أو « فعلال » من « العدن » بمعنى الإقامة . والأظهر عندى الأخير ، ومنه « المعدن » وهو مكان كل شىء يكون فيه أصله ومبدؤه ، ومنه « معادن العرب » . وأنا أرجح ما ثبت فى نسخ الكامل لدقة التصحيح والتوثق فى الطبعة الأوربية منه ، ولما فى المعنى من البلاغة العالية بالإشارة إلى السؤال تلميحاً لا تصريحاً ، إذ تقول له : إن الكريم له معاد إلى مبدئه ومعدنه وأصله ، أى أن ذلك يرجع به إلى طبيعته فى الكرم والجود . انظر الكامل بتحقيقنا ٧٨٢ وشرح المرصفى ٦ : ١٩٦ . وليس معى الأصول المخطوطة من هذا الكتاب « الشعر والشعراء » التى أخذ عنها مصحح ل حتى أثق من أنه أثبت الضبط عنها ، ولكنى أثبت الكلمة كما أثبتها ، احتياطاً .

(٣) خبر هذه المنافرة مفصل فى الأغانى ١٥ : ٥٠ — ٥٦ وستأتى الإشارة إليها ١٩٢ ل .

أخو لبيدٍ لأمّه . وكان قَدِمَ عليه مع عامر بن الطُّفَيْل ، فدعا الله عليه ، فأصابتْه بعدَ منصرفه صاعقةٌ فأحرقتْه ، ففيه قال لبيدٌ :

أَخْشَى على أَرْبَدَ الحُتُوفَ ولا أَرْهَبُ نَوْءَ السِّمَاكِ والأَسَدِ
فَجَّعَنِى الرَّعْدُ والصَّوَاعِقُ بالْ فَارِسِ الكَرِيهَةِ النَّجُدِ[1]

٤٧٦ ● ويقال فيه نَزَلتْ (ويُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ)[2]

وفيه يقولُ ، وهو من جيّد شعره[3] :

بَلِينَا وما تَبْلَى النُّجُومُ الطَّوَالِعُ وتَبْقَى الجِبَالُ بَعْدَنا والمَصَانِعُ[4]
وقد كُنْتُ فى أَكْنَافِ جارِ مَضَنَّةٍ ففارَقَنى جارٌ بأَرْبَدَ نافِعُ[5]
فَلَا جَزِعٌ إنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا فَكُلُّ فَتًى يَوْماً به الدَّهْرُ فاجِعُ
(وما النَّاسُ إلَّا كالدِّيارِ وأَهْلُها بها يَوْمَ حَلُّوهَا وغَدْوًا بَلَاقِعُ)[6]
وما المَرْءُ إلَّا كالشِّهَابِ وضَوْئِهِ يَحُورُ رَمَادًا بَعْدَ إذْ هُوَ ساطِعُ[7]
وما البِرُّ إلَّا مُضْمَرَاتٌ منَ التُّقَى وما المالُ إلَّا مُعْمَرَاتٌ وَدَائِعُ

---

(١) النجد ، بفتح النون وضم الجيم : الشجاع الماضى فيما يعجز عنه غيره ، ويجوز أيضاً كسر الجيم وإسكانها . والبيتان من قصيدة فى سيرة ابن هشام ٩٤٠ — ٩٤١ .

(٢) من الآية ١٣ من سورة الرعد . وانظر تفسير الطبرى ١٣ : ٨٠ — ٨١ ، ٨٤ — ٨٥ وتفسير البحر ٥ : ٣٧٥ والدر المنثور ٤ : ٤٩ وكلهم ذكر القصة والبيتين ، وكذلك الأغانى ١٥ : ١٣٠ — ١٣٤ .

(٣) أكثرها فى الأغانى ١٤ : ٩٥ — ٩٦ و ١٥ : ١٣٣ — ١٣٤ وعنده بيت لم يذكر هنا .

(٤) المصانع : الأبنية أو الحصون ، أو القرى ، واحدها « مصنع » و « مصنعة » .

(٥) جار مضنة . بفتح الضاد وكسرها : يضن به ويتنافس عليه .

(٦) غدواً : غداً ؛ الغد أصله « الغدو » حذفت منه الواو بلا عوض ؛ فيأتى تاماً وناقصاً . والبيت فى اللسان ١٩ : ٣٥٢ .

(٧) يحور : يرجع ويتغير . وكل شىء تغير من حال إلى حال فقد حار . والبيت فى اللسان ٥ : ٢٩٦ .

152

(وما المالُ والأهلُونَ إلاَّ وَدَائــعٌ   ولا بُدَّ يَوْماً أنْ تُرَدَّ الوَدَائِعُ)[1]

وما الناسُ إلاَّ عاملان . فعامِلٌ   يُتَبِّرُ ما يَبْنِى ، وآخَرُ رافِعُ

فمنهم سَعِيدٌ آخِذٌ بِنَصِيبِه   ومنهم شَقِىٌّ بالمَعِيشَةِ قانِعُ

أَلَيْسَ وَرَائِى ، إنْ تَرَاخَتْ مَنِيَّتِى ،   لُزُومُ العَصَا تُحْنَى عليها الأَصَابِعُ

أُخَبِّرُ أَخْبَارَ القُرُونِ الَّتِى مَضَتْ   أَدِبُّ كأنِّى كُلَّمَا قُمْتُ راكِعُ[2]

فأَصْبَحْتُ مِثْلَ السَّيْفِ أَخْلَقَ جَفْنَهُ   تَقَادُمُ عَهْدِ القَيْنِ والنَّصْلُ قاطِعُ

فلا تَبْعَدَنْ ، إنَّ المَنِيَّةَ مَوْعِدٌ   علينا ، فَدَانٍ للطُّلُوعِ وطالِعُ

أَعَاذِلَ ما يُدْرِيكِ ، إلاَّ تَظَنِّياً ،   إذَا رَحَلَ السُّفَّارُ مَنْ هُوَ رَاجِعُ[3]

أَتَجْزَعُ ممّا أَحْدَثَ الدَّهْــرُ لِلفَتَى   وأَىُّ كَرِيمٍ لم تُصِبْه القَوَارِعُ

لَعَمْرُكَ ماتَدْرِى الضَّوَارِبُ بالحَصَى   ولا زاجِرَاتُ الطَّيْرِ ما اللهُ صانِعُ

٤٧٧ ● ومما يستجادُ له قولُه أيضاً :

أَلَا كُلُّ شىءٍ ، ماخَلَا اللهَ ، باطِلُ   وكُلُّ نعيمٍ ، لا مَحالَةَ ، زائِلُ

إذَا المَرْءُ أَسْرَى لَيْلَةً ظَنَّ أنَّه   قَضَى عَمَلًا ، والمَرْءُ ما عاشَ آمِلُ

حَبَــائِلُهُ مَبْثُوثَةٌ بِسَبِيلِه   ويَفْنَى إذَا ما أَخْطَأَتْهُ الحَبَائِلُ

فَقُولَا له ، إنْ كان يَقْسِمُ أَمْــرَهُ :   أَلَمَّا يَعِظْكَ الدَّهْرُ ؟ أُمُّكَ هابِلُ

153

فإنْ أنتَ لَم تَصْدُقْكَ نَفْسُكَ فانتَسِبْ   لَعلَّكَ تَهْدِيكَ القُرُونُ الأَوَائِلُ

فإن لم تَجِدْ مِنْ دُونِ عَدْنانَ والِدًا   ودُونَ مَعَدٍّ فلْتَزَعْكَ العَوَاذِلُ

وكُلُّ امْرِئٍ يَوْماً سَيَعْلَمُ سَعْيَهُ   إذَا كُشِفَتْ عندَ الإِلهِ المَحاصِلُ[4]

---

(١) البيت والذى قبله فى اللسان ٦ : ٢٨١ .

(٢) البيت والذى قبله فى المعمرين ٦١ .

(٣) تظنيا : أصله « تظننا » قال أبو عبيدة : « تظنيت من ظننت . وأصله تظننت . فكثرت النونات فقلبت إحداها ياء ، كما قالوا : قصيت أظفارى ؛ والأصل قصصت » .

(٤) البيت فى اللسان ١٣ : ١٦٢ .

وهذا البيتُ الآخِرِ يدلُّ على أنه قِيل فى الإسلام ، وهو شبيه بقول الله تبارك وتعالى (وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ[١]) أو كان لبيدٌ قبل إسلامه يؤمن بالبعث والحساب ، ولعلَّ البيتَ منحولٌ[٢] .

٤٧٨ ● وممّا يُستجاد له قولُهُ :

فاقْطَعْ لُبَانَةَ مَنْ تَعَرَّضَ وَصْلُهُ ولَخَيْرُ واصِلِ خُلَّةٍ صَرَّامُها[٣]

يقول : اقطعْ لُبَانَتَكَ ممّن لم يَستقِمْ (لك) وصلُه . فإنَّ أحسنَ الناس وَصْلاً أحسنُهم وَضْعاً للقطيعةِ فى موضعها .

٤٧٩ ● ويُستجادُ له قولُه :

وأَكْذِبِ النَّفْسَ إذَا حَـدَّثْتَها إنَّ صِدْقَ النَّفْسِ يُزْرِى بالأَمَلْ

(يقول) : أكْذِبِ النفسَ أنْ تَعِدَها الخبرَ وتُمَنِّيها إيّاه ، وإذا صَدَقْتَها فقال لها مصيرُكِ إلى الهلكة والزوال أَزْرَى ذلك بأَملِه . ثم قال :

غَيْرَ أنْ لا تَكْذِبَنْها فى التُّقَى وَاْخزُهـا بالبِرِّ لِلهِ الأَجَلّْ

قوله «اخْزُها» : سُسْها[٤] .

٤٨٠ ● وممّا يُعاب له من هذه القصيدة :

---

(١) الآية ١٠ من سورة العاديات .

(٢) أما انتحال البيت فلا دليل عليه . وقد استدل ابن عبد البر بالبيت على أن الشعر قاله بعد إسلامه ، وتعقبه الحافظ فى الإصابة بالقصة المشهورة فى السيرة لعثمان بن مظعون مع لبيد لما أنشد قريشا هذه القصيدة بعينها . والصحيح ما رجحه الحافظ : دلالة البيت على أنه كان يؤمن بالبعث مثل غيره من عقلاء الجاهلية ، كقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل .

(٣) اللبانة : الحاجة من غير فاقة ، ولكن من همه . تعرض وصله : دخله فساد ، أو تعوج وزاغ ولم يستقم ، كما يتعرض الرجل فى عروض الجبل يميناً وشمالا . الخلة : الصداقة المختصة التى ليس فيها خلل . والبيت من المعلقة شرح التبريزى ١٣٤ ، وهو فى اللسان ٩ : ٣١ و ١٥ : ٢٢٧ .

(٤) البيتان فى اللسان ١٨ : ٢٤٧ .

ومَقامٍ ضيِّقٍ فَـرَّجْتُهُ بمَقَامِى ولسـانِى وجَدَلْ
لَوْ يقُومُ الفِيلُ أَوْ فَيَّالُهُ زَلَّ عن مِثْلِ مَقَامِى وزَحَلْ[١]

154

وقالوا : ليسَ للفَيَّال من الخَطابة والبَيان ، ولا من القُوَّةِ ، ما يجعله مَثَلا لنفسه ! وإنما ذَهَبَ إلى أنَّ الفيلَ أقوىٰ البهائم ، فظنَّ أن فَيَّالَه أقوىٰ الناس ! قال أبو محمد : وأنا أُراه أراد بقوله : * لو يقوم الفيلُ أو فيَّالُه * مع فَيَّالِه ، فأقام « أو » مُقام الواو .

٤٨١ ● ومما سَبق إليه فأُخذ منه قولُه :

كَعَقْرِ الهاجِرِىِّ إذَا بَنَاهُ بأَشْباهٍ حُذِينَ على مِثَالِ[٢]

أخذه الطِّرِمَّاحُ فقال :

حَرَجاً كمِجْدَلِ هاجِرِىٍّ لَزَّهُ بِذَوَاتِ طَبْخٍ أطيمَةٍ لا تَخْمُدُ[٣]
قُدِرَتْ على مُثُلٍ فهُنَّ تَوَائِمٌ شَتَّى يُلاَئِمُ بَيْنَهُنَّ القَرْمَدُ[٤]

(ذواتُ طبخٍ : يعنى الآجُرَّ . أطيمةٍ : يعنى أَتُّونٍ[٥]) .

٤٨٢ ● ومن ذلك قولُه وذَكَر نُوقاً :

---

(١) زحل : زل عن مكانه . والبيت فى اللسان ١٣ : ٣٢٢ .

(٢) هو فى وصف ناقته . العقر : القصر الذى يكون معتمداً لأهل القرية . الهاجرى : البناء . والبيت فى اللسان ٦ : ٢٧٦ و ٧ : ١١٧ والبلدان ٦ : ١٩٤ .

(٣) الحرج : الجسيم الطويل من الإبل ، وقد أثبت هنا وفى اللسان «حرجاً» بالنصب ، وفى الديوان والمعرب بالرفع ، وهو الصواب المناسب لما قبله . المجدل : القصر المشرف ، لوثاقة بنائه . لزه : شده وألصقه .

(٤) القرمد : خزف يطبخ ، أو هو كل ما طلى به للزينة كالجص والزعفران . والبيتان فى المعرب ٢٥٦ واللسان ٤ : ٣٥٢ .

(٥) الأتون : الموقد . وهو بفتح الهمزة وتشديد التاء المضمومة ، والعامة تخففه ، كما فى اللسان . وضبط فى ل بمد الألف وتخفيف التاء ، وهو خطأ .

لها حَجَلٌ قد قَرَّعَتْ من رُءُوسِهِ لها فَوْقَه ممَّا تَحَلَّبُ واشِلُ(١)

أخذه النابغةُ الجعديُّ فقال :

لها حَجَلٌ قُرْعُ الرُّؤوسِ تَحَلَّبَتْ على هامَةٍ بالصَّيْفِ حتَّى تَمَوَّرَا(٢)

يعنى بالحَجَل أولادَها الصغارَ .

٤٨٣ * قال أبو محمّد : قال لى شيخٌ من أصحاب اللغةِ : اجتمعت الرواةُ على خطإٍ فى بيتِ لبيدٍ ، وهو قولُه :

من كُلِّ مَحْفُوفٍ يُظِلُّ عِصِيَّهُ زَوْجٌ عليهِ كِلَّةٌ وقِرَامُهَا

I55 وقال : المحفوفُ : الهَوْدَجُ ، والزَّوْجُ : النَّمَطُ ، فكيف يُظِلّ النمطُ ، وهو أسفلُ ، العِصِيَّ ، وهى فَوقُ ؟ وإنَّما كان ينبغى أن يَرْوُوه « من كلّ محفوف يُظِلُّ عِصِيَّه زَوْجاً » ثم يرجع إلى المحفوف فيقول « عليه كِلَّةٌ وقِرَامُها(٣) » قال أبو محمّد : ولاَ أرىٰ هذا إلاَّ غلطاً منه ، ولم تكن الرواةُ لتجتمعَ على هذه الرواية إلاَّ بأَخْذٍ عن العرب ، وأراهم كانوا يُلْقُونَ أيضاً النمطَ فوق

---

(١) الحجل : طائر ، وأراد به هنا صغار الإبل وأولادها . قرعت الحلوبة رأس فصيلها : إذا كانت كثيرة اللبن فإذا رضع الفصيل خلفاً قطر اللبن من الخلف الآخر على رأسه فقرع رأسه . واشل : يقطر منه الماء ، والوشل ، بفتح الشين : الماء القليل يتحلب من جبل أو صخرة يقطر منه قليلا قليلا ، لا يتصل قطره . وفى اللسان أنه « يصف الإبل بكثرة اللبن وأن رءوس أولادها صارت قرعاً ، أى صلعاً ، لكثرة ما يسيل عليها من لبنها وتتحلب أمهاتها عليها » . والبيت فيه ١٠ : ١٣٥ و ١٣ : ١٥٢ وكذلك بيت الجعدى الآتى .

(٢) تمور : تحرك وجاء وذهب كما تتكفأ النخلة .

(٣) المحفوف : أراد به الهودج قد حف بالثياب . النمط : ظهارة الفراش ، قال أبو منصور : « والنمط عند العرب والزوج : ضروب الثياب المصبغة ، ولا يكادون يقولون نمط ولا زوج إلا لما كان ذا لون من حمرة أو خضرة أو صفرة ، فأما البياض فلا يقال نمط » . الكلة ، بكسر الكاف : الستر الرقيق يخاط كالبيت يتوقى به من البعوض . القرام ، بكسر القاف : الستر . والبيت من المعلقة شرح التبريزى ١٣١ ، وهو فى اللسان ٣ : ١١٨ و ١٤ : ١١٦ و ١٥ : ٣٧٤ .

الأعواد ويُلقونَه داخلَه ، وأحْسِبُنى قد رأيتُ هذا بعينه فى البادية .

٤٨٤ ● ومما سَبق إليه فأُخذ منه قولُه :

مِنَ المُسْبِلِينَ الرَّيْطَ لَذٌّ كأنَّما ... تَشرَّبَ ضاحِى جِلْدِهِ لَوْنَ مُذْهَبِ[1]

أخذه الأخطلُ فقال :

لَذٌّ تَقَبَّلَهُ النَّعِيمُ كأنَّما ... مُسِحَتْ ترائِبُهُ بماءِ مُذْهَبِ[2]

٤٨٥ ● وقولُه يَذكر قوماً ماتُوا :

وإنَّا وإخْواناً لَنَا قد تتابَعُوا ... لَكَالْمُغْتَدِى والرائِحِ المُتَهَجِّرِ

أخذه المُحْدَثُ فقال[3] :

سَبَقُونا إلى الرَّحِيـ ... ـلِ وإنَّا لَبِالأَثَرْ

٤٨٦ ● ويُستجادُ له قولُه فى النعمان ، يصفُ نَظَرَه وشِرَّتَه[4] :

وانْتَضَلْنَا وابنُ سَلْمَىٰ قاعِدٌ ... كعَتِيقِ الطَّيْرِ يُغْضِى ويُجَلْ[5]

والهَبَانِيقُ قِيَامٌ ، مَعَهُمْ ... كُلُّ مَحْجُومٍ إذَا صُبَّ هَمَلْ[6]

---

(١) الريط : جمع ريطة ، وهى الملاءة إذا كانت قطعة واحدة كلها نسج واحد . لذ : من اللذة ، يقال « رجل لذ » أى ملتذ .

(٢) هـ تقابله ب د تقيله ف س يقبله ، وكلها خطأ . تقبله النعيم : بدا عليه واستبان فيه . والبيت فى الديوان ٢٧ واللسان ١٤ : ٥٦ . وسيأتى فى أبيات ٣١١ ل .

(٣) هو أبو نواس . والبيت فى ديوانه ١٩٥ .

(٤) الشرة ، بكسر الشين : النشاط .

(٥) عتيق الطير : البازى . ابن سلمى : هو النعمان بن المنذر . يغضى : أثبتت فى ل « يغض » بدون الياء ، وهو خطأ لا وجه له . يجل : أصله « يجلى » ، يقال « جلى ببصره تجلية » إذا رمى به ، كما ينظر الصقر إلى الصيد . والبيت فى اللسان ١٢ : ١٠٦ و ١٨ : ١٦٤ .

(٦) الهبانيق : الوصفاء ، واحدهم « هبنق وهبنوق » بضم الهاء والنون فيهما . محجوم : فى اللسان « ملثوم » ، والمراد إبريق الخمر شد عليه اللثام ، أو وضع عليه الحجام ، وأصله ما يجعل فى فم البعير لئلا يعض . والبيت فى اللسان ١٢ : ٢٤٣ .

(تَحْسِرُ الدِّيباجَ عن أَذْرُعِهِمْ عِنْدَ ذِى تاجٍ إذَا قال فَعَلْ)[١]

فَتَوَلَّوْا فاتِرًا مَشْيُهُمُ كَرَوَايَا الطِّبْعِ هَمَّتْ بالوَحَلْ[٢]

156

٤٨٧● ولَبِيدٌ أَوَّلُ مَن شبَّه الأَبارِيقَ بالبَطِّ ، فأُخِذَ ذلك منه ، قال يذكر الخمرَ :

تُضَمَّنُ بَيْضاً كالإِوَزِّ ظُرُوفُها

إذَا أَتْأَقُوا أَعْناقَها والحَواصِلَا[٣]

فأَخَذَه بعضُ الضَّبِّيِّينَ[٤] فقال :

ويَوْمٍ كظِلِّ الرُّمْحِ قَصَّرَ طُولَهُ دَمُ الزِّقِّ عَنّاواصْطِفَاقُ المَزَاهِرِ

كأَنَّ أَبَارِيقَ الشَّمُولِ عَشِيَّةً إوَزٌّ بأَعْلَى الطَّفِّ عُوجُ المَنَاقِرِ[٥]

وقال أبو الهِنْدِىّ[٦] :

سَيُغْنِى أَبا الهِنْدِىِّ عن وَطْبِ سالِمٍ

أَبارِيقُ لم يَعْلَقْ بها وَضَرُ الزُّبْدِ[٧]

---

(١) تحسر : يعنى الهبانيق ، يكشفون عن أذرعهم .

(٢) الروايا من الإبل الحوامل للماء ، واحدتها راوية . الطبع ، بكسر الطاء : النهر وجمعه أطباع ، قال الأزهرى « سمى النهر طبعاً لأن الناس ابتدأوا حفره ، وهو بمعنى المفعول » يريد أنه خاص بالأنهار التى يشقها الناس . همت بالوحل : قال الأزهرى : « لأن الروايا إذا وقرت المزايد مملوءة ماء ثم خاضت أنهاراً فيها وحل عسر عليها المشى فيها والخروج منها ، وربما ارتطمت فيها ارتطاماً إذا كثر فيها الوحل » . والبيت فى اللسان ١٠ : ١٠٢ و ١٩ : ٦٤ .

(٣) أتأقوا : ملؤوا . الحواصل : جمع حوصلة ، وحوصلة الحوض : مستقر الماء فى أقصاه ، استعملها لمستقر الخمر فى الإبريق .

(٤) س ف « أخذه ابن الطثرية » . وستأتى ترجمته ٢٥٥ — ٢٥٦ ل .

(٥) الطف : الشاطىء .

(٦) ستأتى ترجمته ٤٢٩ — ٤٣٠ ل والبيتان هناك .

(٧) الوطب : سقاء اللبن خاصة . الوضر : الدرن والدسم .

مُقَــدَّمَةٌ قَزًّا كَأَنَّ رِقَابَهَا رِقابُ بَنَاتِ الماءِ تَفْزَعُ للرَّعْدِ[1]

٤٨٨ ● وقال لبيدٌ :

حتَّى إذا أَلْقَتْ يَدًا فى كافِرٍ وأَجَنَّ عَوْرَاتِ الثُّغُورِ ظَلاَمُها[2]

وقال ثعلبةُ بن صُعَيْرٍ :

فَتَذَكَّرَا ثَقَلاً رَثِيدًا بَعْدَما أَلْقَتْ ذُكاءُ يَمينَهَا فى كافِرٍ[3]

يعنى الليلَ .

---

(١) المقدم : الإبريق الذى على فه فدام ، وهو خرقة من قز أو غيره ، وعدى « مقدمه » إلى مفعولين لأن المعنى ملبسة أو مكسوة . والبيتان فى اللسان ٧ : ١٤٧ والثانى فيه مغلوطاً فى الرواية ١٥ : ٣٤٨ .

(٢) من المعلقة ١٦٠ شرح . ألقت : يعنى الشمس ، أضمرها ولم يجر لها ذكر . الكافر : الليل ، لأنه يغطى بظلمته كل شىء . قال الأصمعى : « أى تهيأت للمغيب ، كما تقول : وضع فلان يده فى الدنيا ، ووضع يده فى إنفاق ماله ، إذا ابتدأ » . والبيت فى اللسان ٦ : ٤٦٣ .

(٣) فتذكرا : يعنى النعامة والظليم فى الأبيات قبله . الثقل ، بفتحتين : المتاع وكل شىء مصون ، وأراد به بيض النعامة . الرثيد : المنضود بعضه فوق بعض . ذكاء : اسم للشمس . والبيت فى اللسان ٦ : ٤٦٣ . وهو من المفضلية ٢٤ . وقد أخطأ ابن قتيبة هنا جدا ، فإن ثعلبة جاهلى قديم ، ترجمنا له فى المفضلية . وقال الأصمعى : « سرق هذا المعنى لبيد مِن ثعلبة بن صعير ، وثعلبة أكبر من جد لبيد » . انظر الأنبارى ٢٥٧ — ٢٥٨ .

٢٦ – زيد الخيل[١]

٤٨٩ ● هو زَيْدُ الخَيْلِ بنُ مُهَلْهِلٍ ، من طَيِّئٍ . جاهلىٌّ ، وأدرك الإسلامَ ، ووفد على النبىِّ صلى الله عليه وسلم فى وفد طَيِّئٍ وأسلم ، وسمّاه « زيدَ الخَيْرِ » وقال له : « ما وُصِفَ لى أَحَدٌ فى الجاهليه فرأيتُه فى الإسلامِ إلّا رأيتُه دُونَ الصِّفةِ لَيْسَكَ » يريدُ : غَيْرَكَ . وقَطَعَ له أَرَضِينَ ، وكانت المدينةُ وَبِئَةً ، فلما خَرج من عند النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إن يَنْجُ زَيْدٌ من أمِّ مِلْدَمٍ[٢] » . فلما بَلَغَ بلدَه مات[٣] .

157

٤٩٠ ● وكان يُكْنَى أَبا مُكْنِفٍ ، وكان له ابنانِ ، يقال لهما مُكْنِفٌ وحُرَيْثٌ ، أسلمَا وصحبَا النبىَّ صلى الله عليه وسلم وشهدَا قِتَالَ الرِّدَّةِ مع خالد ابن الوليد . وحمّادٌ الراويةُ مَوْلَى مُكْنِفٍ .

٤٩١ ● (وحُرَيثٌ هو الذى يقول يَرثى أوسَ بنَ خالدٍ ، وقُتِلَ فى حربٍ :

أَلَا بَكَرَ النَّاعِى بأَوْسِ بن خالِدِ
أَخِى الشَّتْوَةِ الغَبْرَاء والزَّمَنِ المَحْلِ[٤]

فـلا تَجْزَعِى يا أُمَّ أَوْسٍ فإنّه
تُصيبُ المَنايَا كلَّ حافٍ وذى نَعْلِ

---

(١) له ترجمة فى الاستيعاب ١٩٩ وأسد الغابة ٢ : ٢٤١ – ٢٤٢ والإصابة ٣ : ٣٤ – ٣٥ والأغانى ١٦ : ٤٦ – ٥٦ والخزانة ٢ : ٤٤٦ – ٤٤٨ واللآلى ٦٠ .

(٢) أم ملدم : كنية الحمى .

(٣) انظر طبقات ابن سعد ج ١ ق ٢ ص ٥٩ – ٦٠ وسيرة ابن هشام ٩٤٦ – ٩٤٧ وسيرة ابن سيد الناس ٢ : ٢٣٦ – ٢٣٧ .

(٤) الشتوة : الشتاء ، وقيل : الشتاء جمع شتوة . المحل : الجدب والشدة . والأبيات فى الأغانى ١٦ : ٥٦ والحماسة ٢ : ٣٢٤ – ٣٢٥ .

فإنْ تَقْتُلُوا بالغَــدْرِ أَوْساً فإنّني
تَرَكْتُ أبا سُفيانَ مُلْتَزِمَ الرَّحْلِ[١]
قَتَلْنــا بقَتْلانَا مِنَ القَوْمِ عُصْبَةً
كِراماً ، ولم نأْكُلْ بهم حَشَفَ النَّخْلِ
ولَوْلَا الأَسَىٰ ما عِشْتُ فى الناس ساعَةً
ولٰكِنْ إِذَا ما شِئْتُ ساعَدَنى مِثْلِى)

٤٩٢ ● وكان زيدُ الخيلِ أخذفرساً لكَعْببن زُهَير ، فقال كعبُبنزُهير[٢] :

لقَدْ نال زَيْدُ الخَيْلِ مالَ أَخيكُمُ فأَصْبَحَ زَيْدٌ بعْدَ فَقْرٍ قد اقْتَنَىٰ

فأَجابه زيدُ الخيل :

168

أَفى كلِّ عامٍ مَأْتَمٌ تَبْعَثُــونَهُ على مِحْمَرٍ عَوْدٍ أُثِيبَ وما رُضَى[٣]
تَقُولُ : أَرَىٰ زَيْدًا وقد كان مُضْرِماً أَراهُ لَعَمْرِى قد تَمَوَّلَ واقْتَنَىٰ

---

(١) ملتزم الرحل : أى ملتزم السرج ، قتله على ظهر فرسه فانكب على السرج ومات . وأبو سفيان هذا رجل من قريش أرسله عمر يستقرئ أهل البادية ، فمن لم يقرأ شيئاً من القرآن عاقبه ، فاستقرأ أوساً ، وهو ابن عم لزيد الخيل ، فلم يقرأ فضربه فمات ، فأقبل حريث فشد عليه فقتله وقتل ناساً من أصحابه ، ثم هرب إلى الشام .

(٢) القصة مفصلة فى ذيل الأمالى ٣ : ٢٣ — ٢٤ وذيل اللآلى ١٣ — ١٤ وشواهد المغنى ١٦٥ — ١٦٦ والخزانة ٤ : ١٤٨ — ١٥٢ وعندهم أبيات زيد ، وفى الخزانة أبيات كعب أيضاً ، وأبيات زيد رواها كذلك أبو زيد فى النوادر ٨٠ — ٨١ وهى ٨ أبيات فى بعض الروايات و ٩ فى بعضها الآخر .

(٣) المأتم : مجتمع الرجال أو النساء فى حزن أو فرح ، ثم خص به اجتماع النساء للموت ، والمراد هنا الحزن . تبعثونه : تهيجونه وتحركونه ، وفى ب د « تجمعونه » وهو موافق لرواية النوادر . المحمر ، بكسر الميم الأولى وسكون الحاء وفتح الميم الثانية : الفرس اللئيم يشبه الحمار فى جريه من بطئه . العود : المسن . أثيب ؛ جعل لنا ثواباً أى جزاء . رضى : فعل مبنى للمجهول من الرضا ، على لغة طيئ ، يكرهون مجيء الياء المتحركة بعد الكسرة فيفتحون ما قبلها لتنقلب إلى الألف لخفتها ، وسيأتى فى البيت الرابع « بقيت » و « بقا » بفتح القاف فيهما ، على هذه اللغة . وستأتى إشارة أخرى إلى هذه اللغة ٢٢٧ ل . والبيت فى اللسان ١٤ : ٢٦٩ .

وذاكَ عَطاءُ اللهِ فى كلِّ غارَةٍ ... مُشَمِّرَةٍ يَوْماً إذَا قَلَّصَ الخُصَى[1]

فلَوْلَا زُهَيْرٌ أنْ أُكَدِّرَ نِعْمَةً ... لَقاذَعْتُ كَعْباً ما بَقَيْتُ وما بَقَا[2].

٤٩٣ ● ومِن خبيث الهجاء قولُ زيد الخيل :

فَخَيْبَةُ مَن يُغِيرُ على غَنِيٍّ ... وباهِلَةَ بن أَعْصُرَ والرِّكابِ

وأَدَّى الغُنْمَ مَنْ أَدَّى قُشَيْرًا ... ومَنْ كانَتْ له أَسْرَى كِلَابِ

---

(١) مشمرة : من التشمير وهو الجد والاجتهاد ، وأصله تشمير الإزار . قلص : فى الخزانة أنه يروى « بتخفيف اللام وتشديدها ، بمعنى انضمت وانزوت ، وتقلص الأنثيين يكون عند الرعب والفزع » .

(٢) قاذعت : من القذع ، وهو الخنى والفحش .

٢٧ ـ النابغة الجعدى[1]

٤٩٤ ● هو عبدُ الله بن قيس[2] ، من جَعْدَةَ بن كعب بن ربيعة . وإخوةُ جعدةَ عُقَيلٌ وقُشَيرٌ والحَرِيشُ . وكان يُكْنَى أبا لَيْلَى ، وهو جاهلىٌّ ، وأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وأنشَدَه :

أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ إِذْ جاءَ بالهُدَى ... ويَتْلُو كتاباً كالمَجَرَّةِ نَيِّرَا

بَلَغْنا السَّماءَ مَجْدُنا وجُـدُودُنا ... وإنَّا لنَرْجُو فَوْقَ ذلك مَظْهَرا[3]

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : «إلى أينَ أبا ليلى ؟ » فقال : إلى الجنَّة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن شاءَ اللهُ » وأنشدَه :

159

ولا خَيْرَ فى حِلْمٍ إذَا لم تَكُنْ له ... بَوَادِرُ تَحْمِى صَفْوَهُ أَنْ يُكَدَّرا

(ولا خَيْرَ فى جَهْلٍ إذَا لم يكن له ... حَلِيمٌ إذَا ما أَوْرَدَ الأَمْرَ أَصْدَرا)

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : «لا يَفْضُضِ اللهُ فاكَ » قال : فبَقِيَ عُمْرَه لم تَنْقَضَّ له سِنٌّ[4] .

---

(١) ترجمته فى الاستيعاب ٣٢٠ — ٢٣٥ وأسد الغابة ٥ : ٢ — ٤ والروض الأنف ١ : ٥٣ وتاريخ إصبهان ١ : ٧٣ — ٧٤ والإصابة ٦ : ٢١٨ — ٢٢١ والمعمرين لأبى حاتم ٦٤ — ٦٦ والجمحى ٢٦ — ٢٨ والأغانى ٤ : ١٢٧ — ١٣٩ والخزانة ١ : ٥٠٩ — ٥١٥ والمؤتلف ١٩١ والمرزبانى فى المعجم ٣٢١ وفى الموشح ٦٤ — ٦٧ واللآلى ٢٤٧ .

(٢) فى اسمه خلاف كثير ، ورجح بعضهم أن اسمه « قيس بن عبد الله » قال صاحب الأغانى : « وهذا وهم ممن قال إن اسمه قيس . وليس يشك فى أنه كان له أخ اسمه وحوح بن قيس ، وهو الذى قتله بنو أسد » .

(٣) البيت فى اللسان ٦ : ٢٠٢ . والبيتان من قصيدة طويلة ٧٦ بيتاً فى جمهرة أشعار العرب ١٤٥ — ١٤٨ . وانظر تاريخ الطبرى ١٣ : ٥٠ .

(٤) فى تخريج هذا الحديث كلام طويل ، فصله الحافظ فى الإصابة وانظره أيضاً فى تاريخ ابن كثير ٦ : ١٦٨ .

٤٩٥ ● وكان مُعَمَّرًا ، ونادَمَ المُنْذرَ أبا النعمانِ بن المنذر ، وفى ذلك يقول :

تَذَكَّرْتُ والذِّكْرَى تَهِيجُ على الفَتَى
ومِن حـاجَةِ المَحْزُونِ أن يَتَذَكَّرَا

نَدَامایَ عِنْدَ المُنْـذِرِ بن مُحَرِّقٍ
أَرَى اليَوْمَ منهم ظاهِرَ الأَرْضِ مُقْفِرَا

٤٩٦ ● ويقال إنه كان أقدمَ من النابغة الذُّبْيانيّ ، لأنّ الذُّبيانيَّ نادَمَ النعمانَ وهذا نَادَمَ أباه[1]. ونَسَبَ المنذرَ إلى مُحَرِّق وهو جَدُّه .

٤٩٧ ● وعُمِّرَ حتى وَرَدَ على ابنِ الزُّبير ورَوَى له الحديثَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أَنَا والنَّبِيُّونَ فُرَّاطُ لِقَاصِفِينَ[2]» وحتى نازَعَ الأَخْطَلَ الشعرَ ، فغَلبه الأخطلُ ، فهو من مُغَلَّبِى مُضَرَ[3]. ومات بإِصْبَهانَ وهو ابنُ مائتين وعشرين سنة[4] .

---

(١) قال هذا أيضاً الجمحى وأبو حاتم وغيرهما .

(٢) الفراط : المتقدمون ، جمع فارط . القاصفون : المزدحمون . قال ابن الأثير : « هم الذين يزدحمون حتى يقصف بعضهم بعضاً ، من القصف ، الكسر والدفع الشديد لفرط الزحام ، يريد أنهم يتقدمون الأمم إلى الجنة وهم على إثرهم بداراً متدافعين ومزدحمين » . وفى الحديث قصة ، خرجه الحافظ فى الإصابة من طرق وهو فى مجمع الزوائد ١٠ : ٢٥ .

(٣) قال الجمحى : « وإذا قالت العرب مغلباً فهو مغلوب ، وإذا قالوا غلب فهو غالب . وغلبت عليه ليلى الأخيلية وأوس بن مغراء القريعى ، وغلب عليه من لم يكن إليه ولا قريباً منه ، عقال بن خالد العقيلى ، وكان مفحماً ، بكلام لا بشعر . وهجاه سوار بن أوفى القشيرى وفاخره ، وهجاه الأخطل بأخرة » وسوار بن أوفى سيأتى ٤٤١ أنه زوج ليلى الأخيلية .

(٤) فى ب د هـ « مائة وعشرين سنة » وفى س ف « عشرين ومائة سنة » . وكلها خطأ ، صوابه ما أثبتنا ، لأن كلام ابن قتيبة منقول فى الأغانى والاستيعاب والإصابة والخزانة ، وكلهم نقل عنه أن الجعدى عاش « مائتين وعشرين سنة » فأثبتنا الصواب الذى نقله العلماء عنه وفى الروض الأنف : « عاش مائتين وأربعين سنة أكثرها فى الجاهلية » قال صاحب الأغانى بعد أن نقل كلام ابن قتيبة : « وما ذاك بمنكر ، =

٤٩٨ ● وكان العلماءُ يقولون فى شعره : خمارٌ بِوَافٍ ، ومُطْرَفٌ بآلاف يريدون أنَّ فى شعره تفاوُتًا ، فبعضُه جِدٌّ مُبَرِّزٌ ، وبعضُه ردىٌّ ساقطٌ.[١] .

٤٩٩ ● وممَّا سَبق إليه فأُخذ منه قولُه فى صفه الفرس :

كأَنَّ مَقَطَّ شَرَاسِيفِهِ ... إلى طَرَفِ القُنْبِ فالمَنْقَبِ[٢]

لُطِمْنَ بتُرْسٍ شَدِيدِ الصِّقَا ... لِ من خَشَبِ الجَوْزِ لم يُثْقَبِ[٣]

أخذه ابنُ مُقْبِلٍ فقال[٤] :

كأنَّ ما بين جَنْبَيْهِ ومَنْقَبِهِ ... من جَوْزِهِ ومَنَاطِ القُنْبِ ، مَلْطُومُ

بتُرْسِ أعْجَمَ ، لم تَنْخَرْ مَنَاقِبُهُ ... ممَّا تَخَيَّرُ فى آطَامِهَا الرُّومُ

٥٠٠ ● وقال الجَعْدىُّ :

أرَأَيْتَ إنْ بَكَرَتْ بلَيْلٍ هَامَتِى ... وخَرَجْتُ منها بالِياً أوْصَالِى

هل تَخْمِشَنْ إبِلِى علَىَّ وُجُوهَهَا ... أو تَضْرِبَنَّ نُحُورَهَا بِمَآلِ

وقال الآخر[٥] :

أرَأَيتَ إنْ بَكَرَتْ بلَيْلٍ هامَتِى ... وخَرَجْتُ منهـا بالِياً أثْوَابِى

= لأنه قال لعمر رضى الله عنه أنه أفنى ثلاثة أقرون كل قرن ستون سنة ، فهذه مائة وثمانون . ثم عمر بعده فكث بعد قتل عمر خلافة عثمان وعلى ومعاوية ويزيد ، وقدم على عبد الله بن الزبير بمكة وقد دعا لنفسه ، فاستماحه ومدحه ، وبين عبد الله بن الزبير وبين عمر نحو مما ذكر ابن قتيبة . بل لا أشك أنه قد بلغ هذه السن » .

(١) انظر ما مضى ٨١ .

(٢) الشراسيف : جمع شرسوف ، وهو رأس الضلع مما يلى البطن . ومقطها : منقطعها ، من « القط » وهو القطع . القنب : جراب تضيب الدابة . المنقب : السرة : أو هو قدامها حيث ينقب البطن .

(٣) لطم الشىء بالشىء : ألصقه به . والبيتان فى اللسان ٢ : ٢٦٣ و ٧ : ١٩٥ و ٩ : ٢٥٥ والأساس ٢ : ٢٢٦ والبيت الثانى فى اللسان ١٢ : ٧٢ والرواية فيها كلها « بترس شديد الصفاق » بكسر الصاد . قال فى اللسان : « قال الأصمعى فى كتاب الفرس : الصفاق الجلد الأسفل الذى تحت الجلد الذى عليه الشعر ، وأنشد للجعدى . . . . يقول : ذلك الموضع منه كأنه ترس ، وهو شديد الصفاق » .

(٤) البيتان فى الأساس ٢ : ٢٢٦ .

(٥) س ف « أخذه الآخر فقال » والبيت الأول فى اللسان ١٩ : ٢٧٥ ونسبه لضمرة بن ضمرة .

هَلْ تَخْمشَنْ إبلِى علَىَّ وُجُوهَهــا   أو تَعْصِبَنَّ رُؤُوسَها بِسِلَابِ

161 ٥٠١ ● ويُستحسنُ له قولُه فى نساءٍ سُبِينَ :

دَعَتْنــا النِّساءُ إذْ عَرَفْنَ وُجُوهَنَا
دُعَاءَ نِسَاءٍ لم يُفارَقْنَ عن قِلَىً

(حَنِينَ الهِجانِ الأُدْمِ نادَىٰ بِوِرْدِها
سُــقَاةٌ يَمُدُّونَ المَوَاتِحَ بالدِّلَا(١)

فقُلْنــا لهم : خَلُّوا طَرِيقَ نسائِنا
فقالوا لنا : كلاَّ ، فقُلْنا لهم : بَلَى(٢)

فنَحْنُ غضَابٌ من مكانِ نِسَائِنَا
ويَسْفَعُنا حَــرٌّ مِنَ النارِ يُصْطَلَىٰ

تفُــورُ عَلَيْنا قِدْرُهم فنُــدِيمُها
ونَفْثُؤُها عَنَّــا إذَا حَمْيُها غَلَا)(٣)

فلم أَرَ يوماً كان أكْثَرَ باكِيــاً
ووَجْهًا تُرَىٰ فِيه الكَآبَةَ مُجْتَــلَىٰ

ومُفْتَصَــلا عن ثَدْىِ أُمٍّ تُحِبُّهُ
عَزِيزٌ عليها أن تُفَــارِقَ مُفْتَلَىٰ(٤)

---

(١) الهجان من الإبل : البيض الكرام . المواتح : جمع ماتح ، والمتح : جذبك رشاء الدلو تمد بيد وتأخذ بيد على رأس البئر ، فأراد بالمواتح هنا الأرشية ، وهى الحبال .

(٢) « بلى » رسمت فى ل « بلا » بالألف ، ورسمها بالياء أجود .

(٣) نفثؤها : نسكن غليانها بماء أو نحوه . والبيت فى الأساس غير منسوب ٢ : ١٢٣ ، ١٤٣ وفى اللسان ١ : ١١٥ للجعدى وذكر أنه فى التهذيب منسوب للكميت .

(٤) المفتصل : المفطوم ، وكذلك المفتلى ، فلا الصبى وأفلاه وافتلاه : عزله عن الرضاع وفصله . « يفارق » كذا فى ب وفى هـ « تفارق » فأثبتناها . وأثبت فى ل « يفارقن » وهو خطأ واضح .

وأَشْمطَ عُرْياناً يُشَدُّ كِتافُه
يُلَامُ على جَهْدِ القِتالِ وما ٱئْتَلَى[١]

٥٠٢ ● وقال لامرأتِهِ حين خَرَج غازياً :

باتَتْ تُذَكِّرُنى باللهِ قاعِدَةً
والدَّمْعُ ينْهَلُّ من شَأْنَيْهِمَا سَبَلَا[٢]
يا ٱبْنَةَ عَمِّى كِتَابُ اللهِ أَخْرَجَنى
كُرْهاً ، وهل أَمْنَعَنَّ اللهَ مـا فَعَلَا[٣]
فإنْ رَجَعْتُ فَرَبُّ الناسِ يَرْجِعُنى
وإنْ لَحِقْتُ بِرَبِّى فابْتَغِى بَدَلَا
ما كُنْتُ أَعْرَجَ أَوْ أَعْمَى فَيَعْذِرَنى
أو ضارِعاً مِنْ ضَنًى لم يَسْتَطِعْ حِوَلَا[٤]

٥٠٣ ● وقال يرثى رجلا[٥] :

فَتًى كَمُلَتْ خيْرَاتُهُ غَيْرَ أَنَّهُ جَوَادٌ فما يُبْقِى منَ المال باقِيا
فَتًى تَمَّ فيه ما يَسُرُّ صَدِيقَهُ على أَنَّ فيه ما يَسُوءُ الأَعادِيَا
يُدِرُّ العرُوقَ بالسِّنَانِ ويَشْترِى منَ المَجْدِ مايَبْقَى وإنْ كان غالِيَا

٥٠٤ ● وقال :

---

(١) ائتلى : قصر وأبطأ .

(٢) أسبل المطر والدمع : إذا هطلا ، والاسم السبل ، بفتحتين .

(٣) اللسان ٢ : ١٩٣ وفى د « كهراً » بدل « كرها » والكهر : القهر .

(٤) الضارع : النحيف الضاوى الجسم . الضنى : المرض .

(٥) يرثى أخاه « وحوحاً » وخبره فى الأغانى ١٤ : ١٣٦ . وهى من أبيات فى الحماسة ٣ : ٨٢ – ٨٣ والأولان فيها ٣ : ١٩ ونقلها فى الخزانة ٢ : ١٢ – ١٣ . والبيت الثالث ذكر فى الخزانة ولم يذكر فى الحماسة .

162 ولوْ أنَّ قوْمِي لم تَخُنِّي جُدُودُهم ... وأحْلامُهُمْ أصْبَحْتَ للفَتْقِ آسِيَا
ولَكِنَّ قَوْمِي أصْبَحُوا مِثْلَ خَيْبَرٍ ... بِهـا دَاؤُهَا ولا تضُرُّ الأعادِيَا

٥٠٥ ● وقال يذكر سِنَّهُ[1] :

ومنْ يحْرِصْ على كِبَرِي فإنِّي ... مِنَ الشبَّانِ أزْمَانَ الخُنَانِ[2]
مضَتْ مَائةٌ لِعَامٍ وُلِدْتُ فيه ... وعَشْرٌ بَعْدَ ذاكَ وحِجَّتَانِ[3]

٥٠٦ ● وهو القائلُ :

الحمـدُ للهِ لا شرِيكَ لَهُ ... مَنْ لم يَقُلْها فنَفْسَه ظَلَمَا
المُولِجِ اللَّيْلَ فى النَّهَارِ وفى اللَّ ... يْلِ نَهَارًا يُفَرِّجُ الظُّلَمَا
الخافِضِ الرَّافِعِ السَّماءَ على الْ ... أَرْضِ ولم يَبْنِ تَحْتَهَا دِعَمَـا[4]
الخالِقِ البارِئِ المُصوِّرِ فى الْ ... أَرْحامِ مـاءً حَتَّى يَصِير دَمَا
منْ نُطْفَةٍ قَدَّهـا مُقدِّرُها ... يَخْلُقُ منها الأَبْشَارَ والنَّسَمَا
ثمَّ عِظاماً أقامَهـا عَصَبٌ ... ثُمَّتَ لَحْماً كَسَاهُ فالْتَـأَما
ثُمَّ كَسَا الرِّيشَ والعَقَائِقَ أبـ ... شارًا وجِـلْدًا تَخَالُهُ أَدَمَا[5]
والصَّوْتَ واللوْنَ والمَعَايِشَ والْ ... أَخْلَاقَ شَتَّى ، وفرَّقَ الكَلِمَا
ثُمَّتَ لا بُدَّ أنْ سَيجْمَعُكُمْ ... واللهِ ، جَهْرًا ، شَهَادَةً قَسمَا

---

(١) البيتان مع ثالث فى الجمحى والأغانى ، والثانى فى الأغانى مع آخر قبله .

(٢) الخنان : داء يأخذ الإبل فى مناخرها وتموت منه ، كان ذلك أيام المنذر بن ماء السماء ، فجعلوه تاريخاً لهم . والبيت فى جمهرة اللغة ١ : ٧١ واللسان ١٦ : ٣٠١ .

(٣) نسبه الشنقيطى فى شواهد همع الهوامع ١ : ١٨٩ للنمر بن تولب وهو خطأ .

(٤) الدعم ، بكسر الدال وفتح العين : جمع دعمة ، كسدرة وسدر ، وبضمتين : جمع دعام ، ككتاب وكتب ، وهى الخشب المنصوبة للتعريش .

(٥) س ف :

ثم كسا الرأس والعواتق وال ... أبشار جلداً تخاله أدما

فائْتَمِروا الآنَ ما بَدَا لَكُمُ ... واعْتَصِموا إنْ وجَدْتُمْ عِصَما

فى هذه الأرْضِ والسّماء ، ولا ... عِصْمَةَ منه إلّا لِمَنْ رَحِمَا(١) 163

يا أيُّها الناسُ هَلْ تَرَوْنَ إلى ... فَارِسَ بادَتْ وخَدُّها رَغِما

أمْسَوْا عَبِيدًا يَرْعَوْنَ شَاءَكُمُ ... كأنَّمــا كان مُلْكُهُمْ حُلُمَا

أوْ سَبَأَ الحاضِرِينَ مَأْرِبَ إذْ ... يَبْنُونَ من دُونِ سَيْلِهِ العرِمَا(٢)

فمُزِّقُــوا فى البِلَادِ واعْتَرَفُوا الـ ... هُونَ وذاقُوا البأْساءَ والعَدَمَــا(٣)

وبُدِّلُــوا السِّدْرَ والأَرَاكَ به الْـ ... خَمْطَ وأَضْحَى البُنْيَانُ مُنْهَدِمَا

٥٠٧ ● وقال أيضاً :

لَبِسْتُ أُنَاساً فأَفْنَيْتُهُمْ ... وأَفْنَيْتُ بَعْدَ أُناسٍ أُناسَا(٤)

ثَلَاثَةَ أَهْلِينَ أَفْنَيْتُهُمْ ... وكان الإلٰهُ هُوَ المُسْتآسَا(٥)

وعِشْتُ بعَيْشَيْنِ ، إنَّ المَنُونَ ... تَلَقَّى المَعَايِشَ فيها خِسَاسَا

فحِيناً أُصــادِفُ غِرَّاتِهَا ... وحِيناً أُصادِفُ منها شِماسَا(٦)

نَشَأْتُ غُلَاماً أُقَاسِي الحُرُوبَ ... ويلْقَى المُقاسُونَ مِنِّي مِرَاسَا(٧)

وحُمْرٍ من الطَّعْنِ غُلْبِ الرِّقا ... بِ كالأُسْدِ يَفْتَرِسُونَ افْتِرَاسَا(٨)

---

(١) س ف « إلا لمن عصما ».

(٢) البيت فى الكامل ١٠٣٣ .

(٣) اعترفوا الهون : عرفوه ، عرفه واعترفه بمعنى .

(٤) البيت فى اللسان ٨ : ٨٧ .

(٥) المستآس : المستعاض ، والأوس : العوض والعطية ، يقال « استآسه » أى طلب إليه العوض . والبيت الذى قبله فى اللسان ٧ : ٣١٤ . وفى الأغانى أنه أنشد عمر هذا البيت ، فقال له عمر : كم لبثت مع كل أهل ؟ قال : ستين سنة .

(٦) غراتها ، بكسر الغين : جمع غرة ، وهى الغفلة . وضبطت فى ل بضم الغين ، وهو خطأ .

(٧) المراس : شدة العلاج .

(٨) غلب الرقاب : جمع أغلب ، وهو الغليظ الرقبة ، وقد يوصف بذلك العنق نفسه ، فيقال عنق أغلب ، وهم يصفون أبداً السادة بغلظ الرقبة وطولها .

شَهِدْتُهُم لَا أُرجِّى الحَيَا ةَ حتَّى تَساقَوْا بسُمْرٍ كِيَاسا[١]

وشُعْثٍ يُطابِقْنَ بالدَّارِعِينَ طِبَاقَ الكِلَابِ يَطَأْنَ الهَرَاسَا[٢]

فلمَّا دنَوْنَا لِجَرْسِ النُّبُوحِ ولا نُبْصِرُ الحَىَّ إلاَّ الْتِماسَا[٣]

أضاءتْ لنا النارُ وَجْهاً أغَ رَّ مُلْتَبِساً بالفُؤَادِ الْتِباسَا

يُضِىءُ كَضَوْءِ سِرَاجِ السَّلِيـ طِ لم يَجْعَلِ اللهُ فيه نُحاسَا[٤]

بآنِسَةٍ غيْرِ أُنْسِ القِرَافِ وتَخْلِطُ بالأُنْسِ منها شِمَاسَا[٥]

إذَا ما الضَّجِيعُ ثَنَى جِيدَهـا تَثَنَّتْ عليه فكانت لِبَاسَا[٦]

164

(١) ب د « بسم » بدل « بسمر » . الكياس : جمع كأس ، كما فى الخزانة وحاشية د ، وأصله « كئاس » بالهمزة ، وحكى أبو حنيفة « كياس » بتسهيلها كما فى البيت . وهذا والأبيات قبله فى الخزانة ١ : ٥١٢ — ٥١٣ . .

(٢) فى اللسان « وخيل » بدل « وشعث » . يطابقن : المطابقة أن تضع أرجلها مواضع أيديها وتقدم أيديها حتى تبصر مواقعها ، يريد أنها لا تريد الهرب ، فهى تتثبت فى مشيها كما تمشى الكلاب فى الهراس متقية له . الهراس ، بفتح الهاء : شوك كأنه حسك . والبيت فى اللسان ٨ : ١٣٤ و ١٢ : ٨٠.

(٣) الجرس ، بكسر الجيم وفتحها : الصوت . النبوح : صوت الكلب ، كالنبح والنبيح والنباح .

(٤) السليط : الزيت . النحاس ، بكسر النون وضمها : الدخان . والبيت فى اللسان ٨ : ١١٢ و ٩ : ١٩٣ والكامل ٣٢٤ وهو والذى قبله فى الخزانة ٢ : ٣٨٧ .

(٥) الآنسة : الجارية الطيبة الحديث . القراف : المقارفة والمخالطة ، ولا تكون المقارفة إلا فى الأشياء الدنية . والبيت فى اللسان ٧ : ٣١٢ .

(٦) ب س ه « تداعت وكانت عليه لباساً » . والبيت فى اللسان ٨ : ٨٧ . وفيه أيضاً ٨ : ١١٣ بيت آخر يظهر أنه من هذه القصيدة .

٢٨ ـ مهلهل (بن ربيعة)[١]

٥٠٨ ● هو عَدِىُّ بن رَبِيعةَ[٢] ، أخو كُلَيبِ وائِلٍ الذى هاجتْ بمقتله حربُ بَكْرٍ وتَغْلِبَ . وسُمِّى مُهَلْهِلاً لأَنَّه هَلْهَلَ الشعرَ ، أى أَرَقَّه[٣] . وكان فيه خُنْثٌ . ويقال إنّه أوّلُ من قَصَّد القصائدَ ، وفيه يقولُ الفَرَزْدَقُ :

* ومُهَلْهِلُ الشُّعَراءِ ذاكَ الأَوَّلُ[٤] *

٥٠٩ ● وهو خالُ امرئِ القيس ، وجدُّ عمرو بن كلثوم ، أبو أُمّه لَيْلَى . وهو أحدُ الشعراءِ الكَذَبَةِ ، لقوله :

ولوْلَا الرِّيحُ أُسْمِعَ أَهْلُ حَجْرٍ ... صَلِيلَ البَيْضِ تُقْرَعُ بالذُّكُورِ[٥]

٥١٠ ● وأحدُ البُغَاةِ ، لقوله :

قلْ لِبَنِى حِصْنٍ يَرُدُّونَهُ ... أو يَصْبِرُوا للصَّيْلَمِ الخَنْفَقِيقِ[٦]

---

(١) ترجمته وأخباره فى الاشتقاق ٢٠٤ والمرزبانى ٢٤٨ واللآلى ٢٦ – ٢٧ و ١١١ – ١١٢ والأغانى ٤ : ١٣٩ – ١٥١ والخزانة ١ : ٣٠٠ – ٣٠٤ . وأخبار المراقسة للسندوبى ٩ – ٧٧ .

(٢) هكذا ذهب ابن قتيبة إلى أن اسمه « عدى » تبعاً للجمحى ١٣ ورجح المرزبانى وغيره أن اسمه « امرؤ القيس بن ربيعة » .

(٣) قال الجمحى : « وإنما سمى مهلهلا لهلهلة شعره ، كهلهلة الثوب ، وهو اضطرابه واختلافه » وقال ابن دريد فى الاشتقاق : « واشتقاق مهلهل من قولهم ثوب هلهال ، إذا كان رقيقاً . وذكر الأصمعى أنه إنما سمى مهلهلا لأنه كان يهلهل الشعر ، أى يرققه ولا يحكمه » . وفى اللسان ١٤ : ٢٣١ : « سمى بذلك لرداءة شعره ، وقيل لأنه أول من أرق الشعر » . وفى الأغانى ٤ : ١٤٨ : « وإنما لقب مهلهلا لطيب شعره ورقته . وكان أحد من غنى من العرب فى شعره » .

(٤) عجز بيت من قصيدة فى ديوانه ٧٢٠ .

(٥) حجر ، بفتح الحاء : مدينة باليمامة . الذكور : أراد أجود السيوف وأيبسها وأشدها . والبيت من الأصمعية ٥٣ وهو فى البلدان ٤ : ١٩٨ والعمدة ٢ : ٥٩ والمرزبانى ٣٣١ والأغانى ٤ : ١٤٦

(٦) البيت من قصيدة فى جمهرة أشعار العرب ١١٦ ولم يذكر فيها البيت التالى ، وفيها « لبنى ذهل » بدل « لبنى حصن » . الصيلم : الداهية . وكذلك الخنفقيق .

مَنْ شاءَ دَلَّى النَّفسَ فى هُوَّةٍ ضَنْكٍ ، ولٰكِنْ مَنْ له بالمَضِيقِ

165 أَمَرهم أن يَردُّوا كُليباً وقد قُتِلَ ، وأعلمهم أنَّه لا يرْضَى بشىءٍ غيرِ ذلك.

وكان مهلهلٌ القائمَ بالحربِ ورئيسَ تَغْلِب ، فلمَّا كان يومُ قِضَةَ[1] ، وهو آخرُ أيّامهم ، وكان على تغلبَ ، أَسَرَ الحٰرِثُ بن عُبادٍ مهلهلا وهو لا يعرفُه ، فقال له الحٰرِثُ : تَدُلُّنِى على عَدِىّ بن ربيعةَ المهلهل وأنتَ آمِنٌ ؟ فقال له المهلهلُ : إنْ دللتُك على عدى فأنا آمنٌ ولى دمِى ؟ قال الحٰرِث : نعم ، قال : فأنا عدى ! فجزَّ ناصيتَه وخلاَّه ، وقال : لم أعرف . وفى ذلك يقول الحٰرِثُ بن عُبَادٍ :

لَهْفَ نَفْسِى على عَدِىٍّ ولم أَعْـ رِفْ عَدِيًّا إذْ أَمْكَنَتْنِى اليدَانِ
(طُلَّ مَنْ طُلَّ فى الحُرُوبِ ولم يُطْـ لَلْ قَتِيلٌ أَباتُهُ ابْنَ أَبَانِ[2]

ثم خرج مهلهلٌ فلَحِقَ باليمن ، فنزل فى جَنْبٍ ، (حىٌّ من اليمن[3]) ، فخَطبَ إليه رجل منهم ابنتَه ، فقال : إنى طريدٌ غريبٌ فيكم ، ومتى أنكحتُكم قال الناسُ اعْتَسَرُوه ، فأكرهوه حتَّى زَوَّجها . وكان المهرُ أَدَماً ، فقال :

---

(١) قضة : بكسر القاف وفتح الضاد المعجمة مخففة ، وضبطت فى ل هنا وفيما سيأتى بتشديدها ، قلد فيها ما نقل ياقوت واللسان عن ابن دريد ، وهو فى الجمهرة ١ : ١٠٥ و ٢ : ٧٨ و ٣ : ١٠٠ ، ولكنه خطأ أو شاذ . وهى عقبة بعارض اليمامة ، كانت بها وقعة بكر وتغلب العظمى — وانظر البلدان ٧ : ١١٧ — ١١٨ .

(٢) أباء القاتل بالقتيل : قتله به . والبيتان فى القصة ومعهما ثالث فى الأغانى : ١٤٤ — ١٤٥ .

(٣) فى اللسان : « جنب : بطن من العرب ، ليس بأب ولا حى ، ولكنه لقب . أو هو حى من اليمن » . وفى ياقوت ٣ : ١٤٥ أنها قبيلة ، « وهى منبه ، والحرث ، والعلى ، وسنحان ، وشمران ، وهفان . يقال لهؤلاء الستة جنب ، وهم بنو يزيد بن حرب بن علة بن جلد بن مالك بن أدد . وإنما سموا جنباً لأنهم جانبوا أخاهم صداء وحالفوا سعد العشيرة ، وحالفت صداء بنى الحرث بن كعب » . وفى الكامل للمبرد ٨١٥ : « وجنب حى من أحيائهم وضيع » . وانظر جمهرة الأنساب لابن حزم ص ٣٨٨ .

أنكَحَها فَقدُها الأَراقِمَ فى جَنْبٍ ، وكان الحِبَاءُ من أَدَمِ[١]
لوْ بأَبَانَيْنِ جـاءَ يَخْطُبُهَا رُمِّلَ ما أنْفُ خاطبٍ بدَمِ[٢]

ثم انحدَر ، فلقِيَه عوفُ بن مالك بن ضُبيعةَ بن قيس بن ثعلبةَ ، وهو أبو أسْماءَ صاحبةِ المُرَقِّشِ الأكبر[٣] ، فأسره فمات فى إساره . 166

(وكانت أيامُ بكرٍ وتغلبَ خمسةَ أيامٍ مشاهيرَ[٤] : أوَّلها يومُ عُنيزةَ ، وتكافَؤوا فيه ، والثانى يومُ وَارِدَاتٍ ، وكان لتغلبَ على بكرٍ ، والثالثُ يومُ الحِنْوِ ، وكان لبكرٍ على تغلبَ ، والرابعُ يومُ القُصَيْبَاتِ ، وكان لتغلبَ على بكرٍ ، وقَتلوهم قتلاً ذريعاً ، والخامسُ يومُ قِضَةَ ، وهو آخرُ أيامهم ، وكان لبكرٍ ، وفيه أُسِرَ مهلهلُ بن ربيعَة) .

---

(١) الأراقم : هم جشم ومالك والحرث ومعاوية وثعلبة وعمرو ، بنو بكر بن حبيب بن غنم بن تغلب . الحباء ، بكسر الحاء المهملة : أراد به المهر ، يريد أنهم لم يكونوا أرباب نعم فيمهروها الإبل ، وجعلهم دباغين للأدم وهو الجلد . ونقل السيوطى فى المزهر ٢ : ٣٦٦ عن الزركشى أن ابن دريد صحف هذا الحرف ، فرواه « الخباء » بالخاء المعجمة وإنما هو بالمهملة . والبيت فى اللسان ١ : ٢٧٥ و ١٨ : ١٧٧ والخزانة ١ : ٣٠٤ والبيتان فى اللسان ١٦ : ١٤٢ والكامل ٨١٦ وعيون الأخبار ٣ : ٩١ والأغانى ٤ : ١٤٥ والبلدان ١ : ٧٢ وابن الأثير ١ : ٢٢١ ونسبهما المرزبانى ٢٧٥ لأبى حنش عصم بن النعمان فارس العصا ، أنه قال الأبيات فى شأن مهلهل .

(٢) أبانان : جبلان ، أبان الأبيض وأبان الأسود ، وقيل هما أبان ومتالع ، غلب أحدهما ، كما قالوا العمران والقمران . وفى اللسان فى هذا بحث نفيس ١٦ : ١٤١ — ١٤٢ . رمل بالدم : لطخ به . و « ما » زائدة .

(٣) وهو عم المرقش كما مضى فى ترجمته ٢١٣ .

(٤) وهى التى تسمى « حرب البسوس » وانظر تفصيلها فى أيام العرب ١٤٢ — ١٦٨ وابن الأثير ١ : ٢١٤ — ٢٢٢ والعقد ١ : ٩٣ — ٩٧ .

٢٩ ـ (العباس بن مرداس)[١]

٥١٣ ● مِرْدَاس : الحصاةُ التى يرْمَى بها فى البئر ليَظهَرَ هل فيها ماءٌ أوْلا .

٥١٤ ● يروى : أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم أعطى المؤلَّفةَ قلوبُهم يومَ حُنَينٍ ، فأعطى أبا سفيانَ بن حربٍ مائةً من الإبل ، وأعطى صَفْوانَ بن أميَّةَ مائةً من الإبل ، وأعطى العباسَ بن مرداسٍ دونَ المائةِ ، فقام بين يَدَىْ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فقال :

أتَجْعَلُ نَهْبِى ونَهْبَ العُبَيْـ ـدِ بينَ عُيَيْنَةَ والأَقْرَعِ[٢]
وما كان بَدْرٌ ولا حـابِسٌ يَفُوقانِ مِرْداسَ فى مَجْمَعِ[٣]
وما كُنْتُ دُونَ امْرِئٍ منهما ومَنْ تَضعِ اليَوْمَ لاَ يُرْفَعِ

فأتَمَّ له النبيُّ صلى الله عليه وسلم مائةً) .

---

(١) هو السلمى ، بضم السين وفتح اللام . وترجمته فى كتب الصحابة ، والأغانى ١٣ : ٦٢ - ٧٠ والخزانة ١ : ٧١ - ٧٤ والطبرى ٣ : ١٣٦ - ١٣٧ والمرزبانى ٢٦٢ - ٢٦٣ واللآلى ٣٢ - ٣٣ . وستأتى له ترجمة أخرى مطولة ٤٦٧ - ٤٧٠ ل .

(٢) العبيد ، بالتصغير : اسم فرس العباس ، وكان يدعى « فارس العبيد » . والبيت فى اللسان ٤ : ٢٦٧ .

(٣) مضى البيت ٤٨ وسيأتى مع الذى قبله فى أبيات أخر ٤٧٠ ل وهو أيضاً فى اللسان ٧ : ٤٠٠ ومنع صرف « مرداس » لضرورة الشعر .

٣٠ - أبو زبيد الطائى[1]

٥١٥ ● هو المنذرُ بن حرْمَلَةَ[2] ، (من طَيِّئ) . وكان جاهليًّا قديماً ، وأدركَ الإسلامَ ، إلا أنه لم يُسْلِم ، ومات نصرانيًّا[3] ، وكان من المعمَّرين ، يقال إنه عاش مائةً وخمسين سنةً . وكان نديمَ الوليد بن عُقْبَة ، وذُكِر لعثمانَ أنَّ الوليدَ يَشرب الخمرَ وينادمُ أبا زُبيْدٍ ، فعزله عن الكوفة وحدَّه (فى الخمر) . ففى ذلك يقول أبو زُبَيْدٍ :

مَنْ يَرَى العِيرَ لابْنِ أَرْوَى على ظَهْـ ... ـرِ المُرَوَّى حُدَاتُهُنَّ عِجَالُ[4]

وابنُ أروى هو الوليدُ ، وأَرْوَى أُمُّه وأمُّ عثمانَ بن عفَّانَ ، وفيها يقول :

قَوْلُهُمْ شُربُكَ الحَرَامُ وقد كا ... نَ شَرَابٌ سِوَى الحَرَامِ حَلَالُ

٥١٦ ● وكان أبو زُبيدٍ فى بنى تغلبَ ، وهم أخوالُه ، وكان له غلام يرعَى (عليه) إبله ، فغزَتْ بَهْراءُ ، وهم من قُضَاعةَ ، بنى تغلبَ ، فمرُّوا بغلامه ، فدَفَع إليهم إبلَ أبى زُبيدٍ ، وانطَلق معهم ليدُلَّهم على عورة القوم

(١) ترجمته فى الجمحى ١٣٢ - ١٣٤ والمعمرين ٨٦ والإصابة ٢ : ٦٠ والأغانى ١١ : ٢٣ - ٣٠ والاشتقاق ٢٣١ والاقتضاب ٢٩٩ - ٣٠٠ واللآلى ١١٨ - ١١٩ والخزانة ٢ : ١٥٥ - ١٥٦ .

(٢) هكذا قال المؤلف تبعاً لأبى حاتم فى المعمرين ، والراجح أن اسمه « حرملة بن المنذر » رجحه صاحب الأغانى وسار عليه كل من ترجم له .

(٣) حكى الطبرى فى التاريخ فى حوادث سنة ٣٠ أنه أسلم فى آخر إمارة الوليد بن عقبة الثانية ، وحسن إسلامه ٣ : ٦٠ وقال أبو عبيد البكرى فى اللآلى : « وزعم الطبرى أنه مات مسلماً ، واحتج فى ذلك برثائه لعثمان ولعلى ، ولأن الوليد بن عقبة أوصى أن يدفن معه وكان نديمه » وقال الحافظ فى الإصابة : « ولا دلالة له فى شىء من ذلك على إسلامه » . وهو تعقب غير جيد ، أن لم يطلع الحافظ على ما فى الطبرى ، فإنه صرح بما نقلنا عنه ، وهو كاف فى ذلك .

(٤) المروى : هكذا فى الأصول ، ورواية الأغانى ٤ : ١٧٩ ، ١٨٠ « المرورى » وفسرها قال : « المرورى : جمع مروراة ، وهى الصحراء » .

ويقاتل معهم ، فهُزمتْ بهراءُ وقُتل الغلامُ ، فقال أبو زُبيدٍ فى ذلك[١] :

قد كُنْتَ فى مَنظَرٍ ومُسْتَمَعٍ عن نَصْرِ بَهراءَ غيْرِ ذى فَرَسِ
تَسْعىٰ إلى فِتْيةِ الأَراقِمِ واسْـ ـتعجلْتَ قَبْلَ الجُمَانِ والغَبَسِ[٢]
لا تِرَةٌ عِنْدَهُمْ فَتَطْلُبَها ولا هُمُ نُهْزَةٌ لمُخْتَلِسِ
إمَّا تُقارِنْ بك الرِّمَاحُ فلا أَبْكِيكَ إلا لِلدَّلْوِ والمَرَسِ[٣]

168 ٥١٧ ● ولما صار الوليدُ بن عُقْبَةَ إلى الرَّقَّةِ واعتزلَ عليًّا ومعاويةَ سار أبو زُبيدٍ إليه ،فكان يُنادمه ،وكان يُحْمَلُ فى كلِّ يوم أَحَدٍ إلى البِيعَةِ ،فيَحضُر مع النصارىٰ ويَشربُ ، فبينَا هو فى يوم أحدٍ يشربُ والنصارىٰ حوله ، رَفَع راسَه إلى السماء فنَظَر ، ثم رَمَىٰ بالكأْسِ عن يده وقال :

إذا جُعِلَ المَرْءُ الذى كان حازِماً يُحَلُّ به حَلَّ الحُوارِ ويُحْمَلُ[٤]
فلَيْسَ له فى العَيْشِ خَيْرٌ يُرِيدُهُ وتَكْفِينُه ميْتاً أعَفُّ وأَجمَلُ

وماتَ ، فدُفِنَ على البَلِيخِ[٥] ، وهناك أيضاً قبرُ الوليد بن عُقْبة .

٥١٨ ● ولم يَصِفْ أحدٌ من الشعراء الأَسدَ وَصْفَه . قال شُعْبَةُ ؛ قلتُ للطِّرِمَّاح: ما شأْنُ أبى زُبيدٍ وشأْنُ الأَسدِ ؟ قال : إنه لَقِيَه أسدٌ بالنَّجَفِ فسلَّحَه[٦] :

٥١٩ ● وهو القائلُ للوليد بن عقبةَ[٧] :

---

(١) الأبيات من قصيده فى الأغانى ١١ : ٢٦ .

(٢) يفهم من الفهرس الإفرنجى أن الجمان والغبس ناقتان لأبى زبيد ؟

(٣) المرس : الحبل .

(٤) الحوار : ولد الناقة . والبيتان فى الأغانى ١١ : ٢٧ والمعمرين .

(٥) البليخ : نهر بالرقة .

(٦) قصته مع عثمان فى وصف الأسد فى الجمحى ، وهى مشهورة .

(٧) من القصيدة التى أولها « من يرى العير » وقد مضى البيت ، وهى فى الأغانى ٤ : ١٧٩ — ١٨٠ ومنها أبيات فى نسب قريش للمصعب ص ١٣٤ .

مَنْ يخُنْكَ الصَّفاء أو يَتَبَدَّلْ ... أو يَزُلْ مِثْلَ ما تَزُولُ الظِّلَالُ

فاعْلَمَنْ أننى أخوكَ أخو العَهْـ ... ـدِ حَيَاتى حتَّى تَزُولُ الجِبَالُ

لَيْسَ بُخْلٌ عليكَ منِّى بمالٍ ... أَبَدًا ما أَقَلَّ سيْفاً حِمَالُ[1]

فلَكَ النَّصرُ باللِّسانِ وبالكَـ ... ـفِّ إذَا كان لليَدَيْنِ مَصَالُ[2]

كلُّ شىءٍ يَحْتالُ فيه الرِّجال ... غَيْرَ أنْ لَيْسَ للمنَايَا احْتِيالُ

196

٥٢٠ ● ومن جيِّد شعره [3] :

إنَّ طُولَ الحَياةِ غَيْرُ سُعُودِ ... وضَلَالٌ تَأْميلُ نَيْلِ الخُلُود

عُلِّلَ المَرْءُ بالرَّجَاء ويُضْحِى ... غَرضاً للمنُونِ نَصْبَ العُود

كلَّ يومٍ تَرْمِيهِ منها برِشْقٍ ... فمُصِيبٌ ، أوصافَ غيرَ بَعِيدِ[4]

كلُّ مَيْتٍ قد اغْتَفَرْتُ فلا أوْ ... جَعَ من والِدٍ ومن مَوْلُود

غيرَ أنَّ الجُلَاحَ هَدَّ جَنَاحِى ... يَوْمَ فارَقْتُهُ بأَعْلَى الصَّعِيدِ[5]

وعلى هذه القصيدةِ احتذى ابنُ مَناذِر مرثيتَه عبدَ المجيد (بنَ عبدالوهاب) الثقفىَّ[6] .

---

(١) حمالة السيف : علاقته ، وجمعها حمائل ؛ فلعل الحمال أيضاً جمع حمالة ، أو يكون استعمله مفرداً بدون الهاء .

(٢) المصال : مصدر ميمى لم ينص عليه فى المعاجم ؛ يقال « صال على قرنه صولا وصيالاً ومصالة » أى سطا .

(٣) من قصيدة طويلة فى جمهرة أشعار العرب ١٣٨ — ١٤١ فى ٥٨ بيتاً . ومنها أبيات فى شواهد العينى ٤ : ٢٢٢ .

(٤) صاف : عدل ، يقال « صاف السهم عن الهدف يصيف صيفا » إذا أخطأ . والبيت فى اللسان ١١ : ١٠٥ والخزانة ٣ : ٣٢٢ .

(٥) الجلاح : بضم الجيم وتخفيف اللام ، وهو الموافق لما فى الجمهرة . وفى ب د هـ « اللجاج » وفى الخزانة واللآلى والعينى « اللجلاج » . والصواب ما أثبتنا .

(٦) ابن مناذر : ستأتى ترجمته ٥٥٣ — ٥٥٥ ل . ومرثيته لعبد المجيد الثقفى طويلة « من حلو المراثى وحسن التأبين » كما قال المبرد فى الكامل ، واختار منها أبياتاً كثيرة ١٢٢٥ — ١٢٢٨ .

٥٢١ • ومن جيّد شعره :

إنمـــا مُتُّ والفُؤادُ عَمِيدٌ يَوْمَ بانَتْ بوُدِّها خَنْسَاءُ(١)

وفيها يقول :

لَيْتَ شِعْرِى وأَيْنَ مِنّى «لَيْتٌ» إنَّ «لَيْتاً» وإنَّ «لوًّا» عَنَاءُ

أَىُّ ساعٍ سَعَى لِيَقْطَعَ شِرْبِى حِينَ لاحَتْ للصابِحِ الجوْزَاءُ(٢)

واسْتَظَلَّ العُصْفُورُ كَرْهاً مَعَ الضَّـ ـبِّ وأَوْفَى فى عُودِهِ الحِـرْباءُ

(ونَفَى الجُنْدَبُ الحَصَى بِكُرَاعَيْـ ـهِ وأَذْكَتْ نِيرانَهـــا المَعْزَاءُ(٣)

٥٢٢ • ويستجادُ من تشبيهه فى الأسد قولُه يَصِفُه :

إذا واجَه الأَقْرانَ كان مَجَنَّهُ

جَبِينٌ كَتَطْبَاقِ الرَّحَا اجْتابَ مَمْطَرَا)

---

(١) العميد : المريض . والبيت من قصيدة ذكر بعضها فى الخزانة ٣ : ٢٨٢ – ٢٨٤ والأغانى ٤ : ١٨١ – ١٨٢ .

(٢) البيت والذى بعده فى الحيوان ٦ : ١٢٤ وهو والبيتان بعده ومعها رابع فيه ٥ : ٢٣١ – ٢٣٢ شربى : الشرب ، بكسر الشين : النصيب من الماء . الصابح : الذى يسق الإبل فى أول النهار ، والإبل مصبوحة . وانظر أيضاً الأغانى ٤ : ١٨١ والخزانة ٣ : ٢٨٣ والأزمنة والأمكنة ٢ : ٢٦٦ .

(٣) البيت فى اللسان ١٠ : ١٨٢ الجندب : الجراد الصغير ، وكراعاه : رجلاه . المعزاء : الأرض الغليظة ذات الحجارة .

٣١ ـ حسان بن ثابت [الأنصاري] [1]

٥٢٣ ● هو حسَّانُ بن ثابتٍ بن المنذر الأَنصاريّ ، ويُكنَى أبا الوليد وأبا الحُسَام . وأُمّه الفُرَيْعَةُ من الخَزْرَج . وهو جاهليٌّ إسلاميٌّ متقدِّمُ الإسلام ، إلاَّ أنَّه لم يَشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم مَشْهَدًا ، لأنَّه كان جباناً . وكانت له ناصيةٌ يُسْدِلُها بين عينيه [2] ، وكان يَضربُ بلسانه روْثَةَ أنفِه ، من طُوله [3] ، ويقولُ : ما يسرُّنى به مِقْوَلُ أحد من العرب ، واللهِ لو وضعتُه على شَعَرٍ لحَلَقَه ، أو على صخر لفَلَقَه . وعاش فى الجاهليَّة ستّين سنةً وفى الإسلام ستّين سنةً ، ومات فى خلافة معاويةَ ، وعَمِىَ فى آخر عمره .

٥٢٤ ● قال الأَصْمَعِىُّ : الشعرُ نَكِدٌ بابُه الشرُّ ، فإذا دَخَلَ فى الخير ضَعُفَ ، هذا حسَّان (بن ثابتٍ) فحلٌ من فحول الجاهليَّة ، فلمَّا جاء الإسلام سَقَط شِعْرُه . وقال مرَّة أُخرى : شِعرُ حسَّانَ فى الجاهليَّة من أجود الشعر ، فقُطِعَ مَتْنُه فى الإسلام ، لحال النبيّ صلى الله عليه وسلم .

٥٢٥ ● وكان حسَّانُ يَفِدُ على ملوكِ غَسَّانَ بالشام ، وكان يمدحهم . ومن جيّد شعره قولُه فيهم :

أَوْلاَدُ جَفْنَةَ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمُ قَبْرِ ابْنِ مارِيَةَ الكَرِيم المُفْضِلِ [4]

---

(١) الزيادة من ب . وترجمته فى كتب الصحابة والخزانة ١ : ١٠٨ – ١١١ والأغانى ٤ : ٢ – ١٧ والجمحى ٥٢ – ٥٣ واللآلى ١٧١ – ١٧٢ .

(٢) الناصية : قصاص الشعر فى مقدم الرأس .

(٣) روثة الأنف : طرفه من مقدمه ، وهى الأرنبة .

(٤) مارية : هى بنت الأرقم بن عمرو بن ثعلبة بن جفنة . والبيت فى اللسان ٢٠ : ١٤٧ .

يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ البَرِيصَ عليهِمُ ... بَرَدَى يُصَفَّقُ بالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ[1]

171 يُغْشَوْنَ حَتَّى ما تَهِرُّ كِلاَبُهُمْ ... لا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ المُقْبِلِ

وابنُ ماريةَ هو الحرث الأعرجُ بن أبى شمرٍ الغسَّانىّ . وكان أثيرًا عندهم ، ولذلك يقولُ :

قَدْ أَرَانى هُنَاكَ حَق مَكِينٍ ... عِنْدَ ذِى التَّاجِ مَقْعَدِى ومَكَانِى

٥٢٦ ● ولمَّا سار جَبَلَةُ بنُ الأَيْهَم إلى بلاد الروم وَرَدَ على ملك الروم رسولُ معاوية ، فسأله جَبَلَةُ عن حسَّانٍ ، فقال له : شيخٌ كبيرٌ قد عَمِىَ ، فدَفَع إليه ألفَ دينار ، وقال : ادفعْها إلى حسَّانَ . قال : فلمَّا قدمتُ المدينةَ ودخلتُ مسجدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيتُ فيه حسَّانَ بنَ ثابتٍ ، فقلتُ له : صديقُك جَبَلَةُ يقرأُ عليك السلامَ ، قال : فهاتِ ما معكَ ، فقلتُ : يا أبا الوليد كيفَ علمتَ ؟ قال : ما جاءتنى منه رسالةٌ قطُّ إلَّا ومعها شىءٌ . هذا فى بعض الروايات .

٥٢٧ ● قال : وحدَّثنى ابنُ أخى الأَصمعىّ عن الأَصمعىّ عن أهل المدينة قال : بَعَثَ الغَسَّانِىُّ إلى حسَّانَ بخمس مائة دينارٍ وكُسًى ، وقال للرسول : إنْ وجدتَه قد مات فابْسُطْ هذه الثيابَ على قبره واشْتَرِ بهذه الدنانير إبلاً فانحرْها على قبره ، فجاء فوجده حيًّا فأخبره ، فقال : لَوَدِدْتُ أنك وجدتَنى ميِّتاً ! !

٥٢٨ ● قال بعضُ أهل المدينة : ما ذَكرتُ بيتَ حسّانٍ إلَّا عُدْتُ فى الفتوَّة ، (وهو قولُه) :

(١) البريص : موضع بدمشق ، ورجح ياقوت أنه اسم الغوطة بأجمعها . بردى : أعظم نهر بدمشق . والبيت فى المعرب ٥٩ وهو والذى قبله فى البلدان ٢ : ١٥٩ .

أَهْوَىٰ حَدِيثَ النَّدْمانِ فى فَلَقِ الصُّـ بْحِ وصَوْتَ المُغَرِّدِ الفَرِدِ[1] 172

٥٢٩ ● ووُلد لحسَّانَ عبدُ الرحمٰن ، من أختِ مارية أمِّ إبراهيمَ بن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت تُسمَّى سِيرِينَ . وكان عبدُ الرحمٰن ابنُ حسَّانَ شاعرًا . وكان له ابنٌ يقال له سعيدُ بن عبد الرحمٰن .

٥٣٠ ● وكانت لحسَّانَ بنتٌ شاعرةٌ ، وأرِقَ حسَّانُ ذاتَ ليلةٍ فعنَّ له الشعرُ فقال :

مَتَارِيكُ أذْنابِ الأمُورِ إذا اعْتَرَتْ أخَذْنا الفُرُوعَ وَاجْتَثَثْنَا أُصُولَهَا

ثم أَجْبَلَ فلم يَجِدْ شيئاً[2] ، فقالت له بنتُه : كأنَّك قد أجْبَلْتَ يا أبَهْ ؟ !

قال : أجَلْ ، قالت : فهل لَكَ أن أُجيزَ عنكَ ؟ قال : وهل عِنْدَكِ ذلكِ؟

قالت : نعم ، قال : فافْعَلِي ، فقالتْ :

مَقَاوِيلُ بالمعروفِ خُرْسٌ عَنِ الخَنَا كِرامٌ يُعَاطُونَ العَشِيرَةَ سُولَهَا

فَحَمِيَ الشيخُ فقال :

وقافِيَةٍ مِثْلِ السِّنَانِ رُزِئْتُهـــا تَنَاوَلْتُ من جَوِّ السماءِ نُزُولَهَا

فقالتْ :

يرَاها الَّذى لا يُنْطَقُ الشِعْرُ عِنْدَهُ ويَعْجِزُ عن أمْثَالِها أنْ يَقُولَهَا

فقال حسَّانُ : لا أقولُ بيتَ شعرٍ وأنتِ حيَّة ، قالت : أوَ أُؤَمِّنُكَ ؟ قال : وتَفْعَلِينَ ؟ قالت : نعم ، لا أقولُ بيتَ شعرٍ ما دمتَ حيًّا .

٥٣١ ● وانقَرَضَ وَلَدُ حسَّانَ فلم يَبْقَ له عَقِبٌ . وقال حسَّان أو ابنُه 173

---

(١) الندمان : النديم .

(٢) أجبل : انقطع ، من قولهم «أجبل الحافر» إذا أفضى إلى الجبل أو الصخر الذى لا يحيك فيه المعول .

عبد الرحمن : قلتُ شعرًا لم أَقُلْ مثلَه ، (وهو) :

وإنَّ امْرَءًا أَمْسَى وأَصْبَحَ سالمًا مِنَ النَّاسِ إلَّا ما جَنَى لَسَعِيدُ[1]

٥٣٢ ● والناسُ يقولون : * فشَرُّكُمَا لِخَيْرِكُمَا الفِدَاءُ * وهو عَجُزُ بيتٍ لحسّانَ ، قال :

أَتَهْجُوهُ ولَسْتَ له بِنِـدٍّ فشَرُّكما لِخَيْرِكُمَا الفِدَاءُ

---

(١) البيت لحسان . وقال ابنه عبد الرحمن بعده بيتاً آخر ، ثم قال ابن ابنه سعيد بن عبد الرحمن ثالثاً . انظر ديوان حسان ١٤١ – ٤٢١ .

٣٢ ـ النمر بن تولب [1]

٥٣٣ ● هو من عُكْلٍ . وكان شاعرًا جوادًا ، ويسمَّى الكَيِّسَ ، لحُسْنِ شعره وهو جاهليٌّ ، وأدرك الإسلامَ فأسلم ، وهو القائلُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

إنَّا أتَيْناكَ وقَدْ طال السَّفَرْ ... (نَقُودُ خَيْلا ضُمَّرًا فيها عَسَرْ)[2]

نُطْعِمُهَا الشَّحْمَ إذا عَزَّ الشَّجَرْ ... (والخيلُ في إطْعَامِها اللَّحْمَ ضررْ)[3]

٥٣٤ ● الشحم : يعني اللَّبَنَ

وعاشَ إلى أن خَرِف وأُهْتِرَ وأُلْقِيَ على لسانِه : اِصْبَحُوا الراكبَ ، فأَلْقَى رجلٌ على لسانه : افْعَلُوا بالراكب[4] ! فجعل يقولها ، وكان له ابنٌ يقال له ربيعةُ ، وهاجَر إلى الكوفة .

---

(١) النمر : يضبط في كثير من الكتب بفتح النون وكسر الميم ، وبذلك ضبط في ل ، وكذلك ضبطه صاحب القاموس ، وحكى أنه يقال فيه أيضاً سكون الميم مع فتح النون وكسرها . ونحن نرجح ضبطه بفتح النون وسكون الميم ، فقد نص عليه أبو حاتم قال : « النمر بن تولب ، بفتح النون وتسكين الميم ولا يقال النمر » نقله عنه ابن دريد في الاشتقاق ١١٣ والجمهرة ٢ : ٤١٦ وكذلك نقله عنه الأخفش في زياداته على الكامل للمبرد ١٨٥ . وترجمة النمر في كتب الصحابة وطبقات ابن سعد ج ٧ ق ١ ص ٢٦ والأغاني ١٩ : ١٥٧ — ١٦٢ والمعمرين ٦٣ والجمحي ٣٦ — ٣٨ واللآلي ٢٨٤ — ٢٨٥ والخزانة ١ : ١٥٢ — ١٥٦ .

(٢) من رجز في الأغاني ١٩ : ١٥٩ .

(٣) تفسير الشحم باللبن شيء نادر جداً ، لم أجده إلا للمؤلف ثم وجدت في اللسان ١١ : ١٦٢ « نعلفها اللحم » وقال : « إنما يعني أنهم يسقون الخيل الألبان إذا أجدبت الأرض فيقيمها مقام العلف » .

(٤) هكذا في نسخ الكتاب ، والذي نقله صاحب الخزانة عنه لفظ أوضح من هذا في الفحش ، فلعل الناسخ كنى عنه بكلمة « افعلوا » .

٥٣٥ ● وذَكَرَ الأَصمعيُّ عن حمّاد بن ربيعة بن النَّمْرِ[1] أنه قال : أظرفُ الناسِ النَّمرُ في قوله :

174 أهِيمُ بدَعْدٍ ما حَيِيتُ فإنْ أَمُتْ
أُوَصِّ بدَعْـدٍ مَنْ يَهِيمُ بها بَعْدِي

والناسُ يَروون البيتَ لنُصَيْبٍ[2] .

٥٣٦ ● وممّا يُتَمَثَّلُ به من شعره قوله :

ومَتَى تُصِبْكَ خَصَاصَةٌ فارْجُ الغِنَى
وإلى الَّذِي يُعْطِي الرَّغائِبَ ، فارْغَبِ

لا تَغْضَبَنَّ على امْرِئٍ في مالِهِ
وعلى كَرَائِمِ صُلْبِ مالِكَ فاغْضَبِ

٥٣٧ ● وقولُه :

إذَا كُنْتَ في سَعْدٍ ، وأُمُّكَ مِنْهُمُ ،
غَرِيباً فلا يَغْرُرْكَ خالُكَ من سَعْدِ

فإنَّ ابْنَ أُخْتِ القَوْمِ مُصْغًى إنَاؤُهُ
إذا لم يُزاحِمْ خالَهُ بِأَبٍ جَلْدِ

٥٣٨ ● ومن جيِّدِ التشبيه قولُه في إعْراضِ المرأةِ :

فصَدَّتْ كأَنَّ الشَّمْسَ تَحْتَ قِنَاعِهــا
بَدَا حاجِبٌ منها وضَنَّتْ بحاجِبِ

---

(١) في الأغاني ١٩ : ١٦٢ « حماد بن الأخطل بن النمر » وهو خطأ أو شذوذ ، فإن كل الروايات تذكر أن ابن النمر اسمه « ربيعة » وفي موضع آخر من الأغاني ١٦٠ « حماد بن ربيعة » على الصواب .

(٢) في الأغاني ١٩ : ١٦٠ « والناس يروون هذا البيت لنصيب وهو خطأ » . وسيأتي في ترجمة نصيب منسوباً له ٢٤٣ – ٢٤٤ ل .

أَخَذَهُ المُحْدَثُ فقال[1] :

يا قَمَرًا للنِّصْفِ من شَهْرِه　　أَبْدَى ضِيَاءً لِثَمَانٍ بَقِينَ

٥٣٩ ● ومِمَّا يُعابُ عليه قولُه فى وصف سيفٍ :

تَظَلُّ تَحْفِرُ عنه إنْ ضَرَبْتَ به　　بَعْدَ الذِّرَاعَيْنِ والسَّاقَيْنِ والهادِى

ذَكَرَ أنَّه قَطَعَ ذلك كلَّه ثم رَسَبَ فى الأَرض ، حتَّى احتاجَ إلى أن يَحْفِرَ عنه ! وهذا من الإفراط والكذب[2] .

---

(١) يريد أبا نواس ، وسيأتى منسوباً إليه فى ترجمته ٩١٥ ل .

(٢) وللنمر شعر فى الخزانة ٢ : ١٦٤ وأشرنا إليه فى هامش ص ٤٣٦ ؛ .

٣٣ ـ تأبط شرا[١]

٥٤٠ ● هو ثابتُ بن عَمْسَل[٢]. وقال الأصمعى : كان ابنُ طَرَفَةَ الهُذَلىُّ ، وهو أعلمُهم بتأبَّطَ شَرًّا وأمرِه ، يقول : هو ثابتُ بن جابرٍ ، وأنشد :

175 وَيْلُ اُمِّ طِرْفٍ قَتَلوا بِرَخْمـانْ بثابِتِ بن جابِرِ بن سُفْيانْ[٣]

٥٤١ ● وهو من فَهْمٍ ، وفَهْمٌ وعَدْوانُ أخوان .

وكان شاعرًا بئيساً ، يغزو على رِجْليه (وحدَه) ، وكانت أُمُّه تُؤَخِّذ بولَه إذا غزا[٤] ، فأخَّذت بولَه وقد قُتل بحَىٍّ ، فعرفتْ أنَّه قد قُتل وهُذَيْلٌ تَدَّعى قتلَه . وقد قال فى شعره[٥] :

* أَسَافَ وأَفْنَى ما لَدَيْهِ ابنُ عَمْسَلِ[٦] * يعنى نفسَه ، ولعلَّه لقبٌ .

٥٤٢ ● ومن جيِّد شعره قولُه :[٧]

يا مَن لِعَذَّالَةٍ خَذَّالَةٍ نَشِبٍ خَرَّقْتِ بِاللَّوْمِ جِلْدِى أىَّ تَخْراقِ[٨]

---

(١) ترجمنا له فى أول المفضلية الأولى ، وترجمته وأخباره فى الأنبارى ١ – ٢ و ١٩٥ – ١٩٦ والأغانى ١٨ : ٢٠٩–٢١٨ والاشتقاق ١٦٢–١٦٣ والخزانة ١ : ٦٦–٦٧ واللآلى ١٥٨–١٥٩ .

(٢) هكذا فى الأصول ، وفى هـ « عميسل » والذى فى سائر المصادر « عميثل » ، والشعر الآتى يرجح ما هنا .

(٣) رخمان ، بفتح الراء وسكون الخاء المعجمة : موضع فى ديار هذيل . والبيت فى شرح القاموس ١ : ١٠١ وأيضاً معه آخر فى البلدان ٤ : ٢٤٢ .

(٤) تؤخذ : من التأخيذ ، والأخذة ، بضم الهمزة : رقية تأخذ العين ونحوها كالسحر ، أو خرزة يؤخذ بها النساء الرجال .

(٥) له شعر آخر فى البلدان ٤ : ٢٣١ .

(٦) أساف الرجل : هلك ماله ، فهو مسيف ، وقد ساف المال نفسه يسوف : إذا هلك .

(٧) من المفضلية الأولى .

(٨) نشب : أى نشب فى لائمته لا يفارقها .

تَقُولُ : أَهْلَكْتَ مالاً لَوْ ضَنِنْتَ بِهِ ... مِنْ ثَوْبِ عِزٍّ ومن بَزٍّ وأَعْــلاقِ
(سَدِّدْ خِلاَلَكَ من مالٍ تُجَمِّعُهُ ... حتَّى تُلاَقِيَ ما كُلُّ امرِيءٍ لاَقِ)
عاذِلَتَا إِنَّ بَعْضَ اللَّوْمِ مَعْنَفَةٌ ... وهَلْ مَتاعٌ وإِنْ بَقَّيْتُه باقِ
إِنِّى زَعِيمٌ لَئِنْ لم تَتْرُكِى عَذَلِى ... أَنْ يَسأَلَ الحَىُّ عَنِّى أَهْلَ آفاقِ
أَنْ يَسأَلَ الحَىُّ عَنِّى أَهْلَ مَعْرِفَةٍ ... فَــلا يُخَبِّرُهُمْ عن ثابتٍ لاقِ[1] 176
لَتَقْرَعِنَّ علىَّ السِّنَّ مِنْ نَدَمٍ ... إِذا تَذَكَّرْتِ يَوْماً بَعْضَ أَخْلاَقِى

٥٤٣ ● وذكر فى شعره أنه لَقِىَ الغُولَ فقتلها ، وجعل يصفُها :

تَقُــولُ سُلَيْمَى لجاراتِها ... أَرَىٰ ثابتاً يَفَناً حَوْقَلاَ[2]
لها الوَيْلُ ، ما وَجَدَتْ ثابتاً ... أَلَفَّ اليَدَيْنِ ولا زُمَّلاَ[3]
ولا رَعِشَ الساقِ عِنْدَ الجراءِ ... إِذا بادَرَ الحَمْلَةَ الهَيْضَلاَ[4]
يَغُــوثُ الجِيَادَ بِتَمْرِيبِهِ ... ويَكْسُو هوادِيَها القَسْطَلاَ[5]
وأَدْهَمَ قد جُبْتُ جِلْبابَهُ ... كما اجْتابَتِ الكاعِبُ الخَيْعَلاَ[6]
إِلَى أَنْ حَدَا الصُّبْحُ أَثْناءَهُ ... ومَزَّقَ جِلْبَابَهُ الأَلْيَــلاَ[7]

---

(١) « معرفة » بحاشية د : « معزبة ، بخط الحرانى بالباء » . فتكون من العزوب ، بالزاى ، وهو الغياب والبعد . وفى الأنبارى ١٩ أن الرواية الأخرى « مغربة » بفتح الميم والراء وسكون الغين ، وفسره بأنه « يبعد فلا يسئل عنه أحد من قومه ولا يسئل عنه إلا الغرباء فلا يعرفونه لشدة تباعده » .

(٢) اليفن ، بفتح الفاء : الشيخ الفانى . الحوقل : الشيخ إذا فتر عن النكاح .

(٣) الزمل : الضعيف الجبان الرذل .

(٤) الجراء : المجاراة . الهيضل : الجيش الكثير . والبيت فى اللسان ١٤ : ٢٢٣ منسوباً لحاجز السروى .

(٥) القسطل ، بالسين والصاد : الغبار الساطع .

(٦) إعجاز القرآن للباقلانى ص ٥٨ — ٥٩ والخيعل : الفرو ، أو قميص لا كمى له . والبيت فى اللسان ١٣ : ٢٢٣ ونسبه لحاجز السروى أيضاً . اجتابته : لبسته ، يقال « اجتبت القميص والظلام » أى دخلت فيهما .

(٧) ليل أليل : شديد الظلمة .

على شَيْمِ نارٍ تَنَوَّرْتُهـا ... فبِتُّ لها مُدبِرًا مُقْبِلَا[1]

فأَصْبَحْتُ والغُولُ لى جارَةٌ ... فيا جارَتَا أَنْتِ ما أَهْوَلَا

وطالَبْتُها بُضْعَها فالْتَوَتْ ... بوَجْهٍ تَهَوَّلَ فاسْتَغْوَلَا[2]

(فقُلْتُ لها : يا انْظُرِى كَىْ تَرَىْ ... فولَّتْ فكُنْتُ لهـا أَغْوَلَا

فطارَ بقِحْفِ ابْنَةِ الجِنِّ ذُو ... سَفَاسِقَ قد أَخْلَقَ المِحْمَلَا[3]

إذا كَلَّ أَمْهَيْتُهُ بالصَّفَا ... فحَدَّ ولم أَرِهِ صَيْقَلَا[4])

عَظاءَةَ قَفْرٍ لهـا حُلَّتَا ... نِ من وَرَقِ الطَّلْحِ لم تُغْزَلَا[5]

177 فمَنْ سالَ أَيْنَ ثَوَتْ جـارَتِى ... فإِنَّ لها باللِّوَى مَنْزِلَا

وكُنْتُ إذا ما هَمَمْتُ اعْتَزَمْتُ ... وأَحْرِ إذا قُلْتُ أَنْ أَفْعَـلَا

---

(١) الشيم : النظر إلى النار ، شام السحاب والبرق شيماً : نظر إليه أين يقصد وأين يمطر ، وقيل هو النظر إليهما من بعيد . وهذا البيت والبيتان بعده والبيت الذى أوله « عظاءة قفر » فى الفصول والغايات ٣٨٨ .

(٢) هذا البيت والذى قبله والذى قبل الأخير فى الأغانى ١٨ : ٢١٠ .

(٣) القحف ، بكسر القاف : العظم فوق الدماغ وما انفلق من الجمجمة فبان ، ولا يدعى قحفاً حتى يبين أو ينكسر منه شىء . ذو سفاسق : هو السيف ، وهى طرائقه التى يقال لها الفرند ، الواحدة « سفسقة » بكسر السينين . (٤) أمهيته : أحددته ورققته ، يقال « أمهى الحديدة » : سقاها الماء وأحدها .

(٥) العظاءة : دويبة معروفة على خلقة سام أبرص ، أعيظم منها شيئاً .

٣٤ ، ٣٥ – مزرد والشماخ (١)

٥٤٤ ● هما ابْنَا ضِرَار

ويقال إنَّما سُمِّىَ مُزَرِّدًا(٢) لقوله فى زُبْدَةِ الزِّقِّ :

فجاءَتْ بِهَا صَفْرَاءَ ذاتَ أَسِرَّةٍ
تَكَادُ عليها رَبَّةُ النِّحْيِ تَكْمَدُ(٣)

فقُلْتُ : تَزَرَّدْها عُبَيْدُ فإنَّنى
لِدُرْدِ الشُّيُوخِ فى السِّنِينَ مُزَرِّدُ(٤)

٥٤٥ ● وهو القائلُ لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم :

تَعَلَّمْ رَسُولَ اللهِ أَنَّا كَأَنَّنَا أَفَأْنَا بِأَنْمارٍ ثَعَالِبَ ذى غِسْلِ(٥)
تَعَلَّمْ رَسُولَ اللهِ لم أَرَ مِثْلَهُمْ أَجَرَّ على الأَدْنَى وأَحْرَمَ لِلفَضْلِ

يعنى أَنْمارَ بنَ بَغِيضٍ ، وهم رهطه ، فهو أَحدُ مَن هَجَا قومَه ، وهو ممَّن

---

(١) ترجمتهما فى كتب الصحابة والاشتقاق ١٧٤ . وترجمة مزرد فى المزربانى ٤٩٦ – ٤٩٧ والمؤتلف ١٩٠ واللآلى ٨٣ والخزانة ٢ : ١١٧ . وترجمة الشماخ فى الجمحى ٢١ والأغانى ٨ : ٩٧ – ١٠٤ والمؤتلف ١٣٨ واللآلى ٥٨ – ٥٩ والخزانة ١ : ٥٢٦ .

(٢) واسمه « يزيد » ومزرد لقب .

(٣) النحى : الزق الذى يجعل فيه السمن خاصة . تكمد : يتغير لونها ويذهب صفاؤه .

(٤) تزردها : ازدردها وابتلعها . الدرد : جمع « أدرد » وهو الذى ليس فى فمه سن . والبيت فى الاشتقاق ١٧٤ والإصابة ٦ : ٨٥ والخزانة ٢ : ١١٧ ، وهو والذى قبله فى المؤتلف ١٩٠ . وهى أربعة أبيات فى الأنبارى ١٢٧ .

(٥) تعلم : أعلم . ذو غسل ، بكسر الغين وسكون السين : موضع يدعى « ذات غسل » . والبيت نسبه فى الأغانى ٨ : ٩٨ للشماخ ، ولكن ذكر الحافظ فى الإصابة ٦ : ٨٥ البيتين ونسبهما لمزرد ، وقبل ذلك ذكرها ٣ : ٢١٠ ونسبهما للشماخ . وجزم ابن عبد البر فى الاستيعاب وابن الأثير فى أسد الغابة بأنهما لمزرد .

يهجو الأضيافَ ويَمُنُّ عليهم بما قَرَاهم به[١] .

178 ٥٤٦ ● وأمُّه وأمُّ الشَّمَّاخ من ولد الخُرْشُبِ ، وفاطمةُ بنتُ الخُرْشُبِ هى أمُّ ربيع بن زياد وإخوته العَبْسِيِّينَ ، الذين يقالُ لهم الكَمَلَةُ[٢] ، واسمها مُعَاذَةُ بنتُ خَلَفٍ[٣] ، وتكنى أمَّ أوس .

٥٤٧ ● ويقال إن اسمَ الشمَّاخِ مَعْقِلُ بنُ ضِرَار . (وهو من أوصفِ الشعراء للقَوس والحُمُر[٤] ، قال يصف القوسَ :

وذَاقَ فأعْطَتْـهُ مِنَ اللِّين جانِباً
كَفَى ، ولَهَا أنْ يُغْرِقَ السَّهْمَ حَاجِزُ[٥]

إذَا أنْبَضَ الرَّامُونَ عنها تَرَنَّمَتْ
تَرَنُّمَ ثَكْلَى أوْجَعَتْهَا الجَنَائِزُ[٦]

---

(١) وهم صاحب الخزانة هنا وهما عجيبا ١ : ٥٢٦ ، فنقل هذا الوصف الذى وصف به مزرد ، فجله وصفا للشماخ !

(٢) بنات الخرشب يقال « إنهن أنجب نساء العرب » كما فى الأغانى ٨ : ٩٨ . و « الخرشب » لقب ، واسمه عمرو بن نصر بن حارثة بن طريف بن أنمار بن بغيض بن ريث بن غطفان . والكملة الأربعة أبناء فاطمة بنت الخرشب هم : عمارة الوهاب والربيع وأنس وقيس ، أبناء زياد العبسى وفاطمة هى أخت سلمة بن الخرشب وله المفضليتان ٥ ، ٦ .

(٣) فى الأغانى ٨ : ٩٨ « معاذة بنت بجير بن خالد بن إياس » وفى الإصابة ٣ : ٢١٠ « معاذة بنت بجير بن خلف » .

(٤) فى الخزانة ١ : ٥٢٦ « يروى أن الوليد بن عبد الملك أنشد شيئاً من شعره فى وصف الحمير ، فقال : ما أوصفه لها ، إنى لأحسب أن أحد أبويه كان حماراً » ! !

(٥) ذاق : الذوق معروف ، وأراد به هنا أنه خبرها ، يقال « ذق هذه القوس » أى انزع فيها لتخبر لينها من شدتها . أن يغرق السهم : الإغراق فى النزع : أن يأتى النزع على الرصاف كله وينتهى إلى كبد القوس ، وربما قطع يد الرامى . حاجز : يريد أن لها حاجزا يمنع من الإغراق ، أى فيها لين وشدة . والبيت فى اللسان ١١ : ٤٠١ والحيوان ٥ : ٢٩ .

(٦) أنبض : الإنباض أن تمد الوتر ثم ترسله فتسمع له صوتاً . والبيت فى اللسان ٧ : ١٨٩ . والبيتان من قصيدة فى ديوانه ٤٩ ، وهذه القصيدة سيأتى ٤١٦ ل قول الأصمعى فيها : « ما قيلت قصيدة على الزاى أجود من قصيدة الشماخ فى صفة القوس ، ولوطالت قصيدة المتنخل كانت أجود » .

٥٤٨ ● ومما سَبَقَ إليه فأُخذ منه قولُه :

تَخَامَصُ عن بَرْدِ الوِشَاحِ إذا مَشَتْ
تَخَامُصَ حافِى الرِّجْلِ ، فى الأَمْعَزِ ، الوَجِى[١]

أخذه ذُو الرُّمَّةِ فقال يصفُ إبلاً :

تَشْكُو الوَجَى وتَجَافَى عن سَفَائِفِها
تَجَافِىَ البِيضِ عَنْ بَرْدِ الدَّمالِيجِ[٢]

٥٤٩ ●وهو أوصفُ الشعراء للقوس ، وكذلك أَوْسُ بن حَجَرٍ فى وصف القوس .

٥٥٠ ● والشَّماخُ أوصفُ الشعراء للحَمِير ، وأَرْجَزُ الناسِ على بديهةٍ ، نزل فى سفرٍ كان فيه فرَجَزَ وحَدَا بالقوم فقال[٣] :

لم يَبْقَ إلاَّ مِنْطَقٌ وأَطْـرَافْ ورَيْطَتَانِ وقَميصٌ هَفْهَافْ
وشُعْبَتَا مَيْسٍ بَرَاها إسْكافْ يا رُبَّ غازٍ كارِهٍ لِلإِيجَـافْ
أَغْدَرَ فى الحَىِّ بَرُودَ الأَصْيافْ مُرْتَجَّةَ البُوصِ خَضِيبَ الأَطْرَافْ

179

ثم تَرك هذا الرَّوِىَّ وأخذ فى روىٍّ آخرَ فقال :

لَمَّا رَأَتْنا واقِفِى المَطِيَّـاتْ قامَتْ تَبَدَّى لى بأَصْلَتِيَّاتْ
غُرٌّ أضاءَ ظَلْمُها الثَّنِيَّاتْ خَوْدٌ من الظَّعائِنِ الضَّمْرِيَّاتْ

---

(١) تخامص : تتخامص ، أى تتجافى عن المشى . الأمعز : الأرض الحزنة الغليظة ذات الحجارة . الوجى : الحافى ، وهو هنا صفة للحافى . يريد أن هذه المرأة يؤذيها الودع الذى فى وشاحها ببرده ، فتتجافى عنه فى مشيها . والبيت من قصيدة فى ديوانه ٧ واللسان ٨ : ٢٩٧ .

(٢) السفائف : جمع سفيفة ، وهى بطان عريض يشد به الرحل . الدماليج : جمع دملج ودملوج ، بضم الدال فيهما ، وهو المعضد ، يعنى كالسوار يلبس فى العضد .

(٣) مضت القصة ٩٢ — ٩٣ وهى مطولة فى الديوان ٩٨ — ١١٧ وفيها حداء للشماخ ولغيره ، تباروا فيه .

حَلاَّلَةُ الأَوْدِيَةِ الغَوْرِيَّاتْ صَفِيٌّ أَتْرابٍ لها حَيِيَّاتْ

مِثْلِ الأَشاءاتِ أَوِ البَرْدِيَّاتْ أَوِ الغَماماتِ أَوِ الوَدِيَّاتْ

أَوْ كَظِباءِ السِّدَرِ العُبْرِيَّاتْ يَحْضُنَّ بالقَيْظِ على رَكِيَّاتْ

مِنَ الكُلَى فى خُسُفٍ رَوِيَّاتْ[1] وضَعْنَ أَنْماطاً على زُرْبِيَّاتْ

ثُمَّ جَلَسْنَ بِرْكَةَ البُخْتِيَّـاتْ مَنْ راكِبٌ يُهْدِى لنا التَّحِيَّاتْ

أَرْوَعُ خَرَّاجٌ مِنَ الداوِيَّاتْ جَوَّابُ لَيْلٍ مِنْجَرُ العَشِيَّاتْ[2]

يَبِيتُ بَيْنَ الشُّعَبِ الحارِيَّاتْ[3] يَسْرِى إذا نام بَنُو السَّرِيَّاتْ

٥٥١ ● ومِمَّا يُتمثَّلُ به من شعره قولُه فى رجزٍ آخرَ حَدَا به[4] :

لَيْسَ بما لَيْسَ به باسٌ باسْ ولا يَضُرُّ البَرَّ ما قالَ النَّاسْ

٥٥٢ ● وكان الشمّاخُ جاهليًّا إسلاميًّا . وقال الحطيئةُ : أَبْلِغوا الشمَّاخَ أنّه أشعرُ غَطَفانَ .

٥٥٣ ●وكان (الشمّاخ) خرج يريد المدينةَ فصحبَ عَرَابةَ بن أَوْسٍ الأنصارىَّ ، فسأَله عرابةُ عمَّا يريد بالمدينة ، فقال : أردتُ أن أَمْتارَ لأَهلى ، وكان معه بعيرانِ ، فأَنزله وأَكرمه وأَوقر له بَعِيرَيْهِ تَمْرًا وبُرًّا ،فقال فيه :

---

(١) لم يمض هذا البيت . الخسف ، بضمتين : جمع خسوف وخسيف ، بفتح الخاء فيهما ، وهى البئر حفرت فى حجارة فلم ينقطع لها مادة لكثرة مائها .

(٢) ولم يمض هذا أيضاً . منجر العشيات : من قولهم « نجر الإبل ينجرها نجراً » ساقها سوقاً شديداً . والبيت فى اللسان ٧ : ٤٧ .

(٣) وكذلك لم يمض هذا . الشعب : ما بين قرنى الرحل . الحاريات : نسبة إلى الحيرة على غير قياس ، ، وهى أنماط نطوع تعمل بالحيرة تزين بها الرحال . وهذا البيت والذى بعده فى اللسان ٥ : ٣٠٦ .

(٤) هو من المباراة فى الرجز ، التى أشرنا آنفاً أنها فى الديوان ، وهو أيضاً فى اللآلى ٥٩ .

رَأَيْت عَرابَةَ الأَوْسِيَّ يَسْمُو إلى الخَيْراتِ مُنْقَطِعَ القَرِين
إذا ما رَايَةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاها عَرَابَةُ باليَمِينِ[1]

٥٥٤ ● وأخوهما جَزْءُ بن ضِرَارٍ ، وهو القائلُ فى عمرَ بن الخطّاب رضى الله عنه :

عليكَ سَلامٌ من أَمِيرٍ وبارَكَتْ يَدُ اللهِ فى ذاكَ الأَدِيمِ المُمَزَّقِ[2]

---

(١) هو عرابة بن أوس بن قيظى الأوسى ، صحابى ابن صحابى، شهد مع رسول الله غزوة الخندق، ولم يشهد أحداً ، كانت سنه إذ ذاك أربع عشرة سنة وخمسة أشهر ، فلم يأذن له رسول الله أن يشهدها لذلك . والبيتان من قصيدة فى الديوان ٩٦ – ٩٧ وهما فى ابن سعد ج ٤ ق ٢ ص ٨٤ والإصابة ٣ : ٢١١ والبيت الأخير فيها ٤ : ٢٣٤ وهما فى أبيات فى الكامل ١١٣ ، ٦٤٥ .

(٢) جزء هذا شاعر مخضرم ، وله ترجمة فى الإصابة وفيها البيت ١ : ٢٧٣ ، والبيت أيضاً فى الاشتقاق ١٧٤ ، وفيه « من إمام » وهو يوافق ما فى س ت . وهو فى أبيات فى الأغانى ٨ : ٩٨ ، ٩٩ وانظر طبقات ابن سعد ج ٣ ق ١ ص ٢٤١ ، ٢٧٢ .

٣٦ – ربيعة بن مقروم[١]

٥٥٥ ● هو من ضَبَّةَ ، جاهلىٌّ إسلامىٌّ ، وشهد القادِسِيَّةَ وجَلُولاَءَ. وهو من شعراءِ مُضَرَ المعدودين . وكانت عبدُ القيس أَسَرَتْه ثم مَنَّتْ عليه بعد دَهْرٍ ، وهو القائلُ[٢] :

وواردَةٍ كأنّها عُصَبُ القَطَا ... تُثِيرُ عَجَاجاً بالسَّنَابِكِ أَصْهَبا[٣]

وَزَعْتُ بِمِثْلِ السِّيدِ نَهْدٍ مُقَلِّصٍ ... جَهِيزٍ إذَا عِطفَاهُ ماءً تَحَلَّبَا[٤]

ومَرْ بَأَةٍ أَوْفَيْتُ جُنْحَ أَصِيلَةٍ ... عليها كما أَوْفَى القُطَامىُّ مَرْقَبا[٥]

رَبِيئَةَ جَيْشٍ أو رَبِيئَةَ مِقْنَبٍ ... إذَا لم يَقُدْ وَغْلٌ منَ القَوْمِ مِقْنَبَا[٦]

فلمّا انْجَلَى عَنّى الظَّلامُ رَفَعْتُها ... يُشَبِّهُها الرَّائى سَرَاحِينَ لُغَّبا

٥٥٦ ● وهو القائل :

نَصِلُ السُّيُوفَ إذَا قَصُرْنَ بِخَطْوِنَا ... قُدُماً ونُلْحِقُها إذَا لم تَلْحَقِ[٧]

أخذه من قيس بن الخَطِيم ، أو أخذه قيسٌ منه . قال قيس :

---

(١) ترجمنا له فى المفضلية ٣٨ وله أيضاً المفضليات ٣٩ ، ٤٣ ، ١١٣ . وله ترجمة فى الاشتقاق ١٢٣ والإصابة ٢ : ٢٢٠ والأغانى ١٩ : ٩٠ – ٩٣ ومضى له شعر ١١٣ – ١١٤ .

(٢) هى الأبيات ٨ ، ٩ ، ١٥ – ١٧ من المفضلية ١١٣ .

(٣) الواردة : قطع من الخيل ، شبهها فى سرعتها بجماعات القطا .

(٤) وزعت : كففت . السيد : الذئب ، شبه به فرسه . جهيز : خفيف سريع العدو .

(٥) المربأة : الجبل يربأ عليه الطليعة . أوفيت : علوت . الأصيلة : العشية ، وجنحها : ميلها وتوليها عند الغروب . القطامى : الصقر .

(٦) المقنب : أقل من الجيش .

(٧) هكذا نسب البيت لربيعة بن مقروم ، والصحيح أنه من قصيدة لكعب بن مالك الأنصارى ، فى سيرة ابن هشام ٧٠٥ ، ٧٠٦ والخزانة ٣ : ٢٢ . وكذلك نسبه المرزبانى ٣٤٢ لكعب بن مالك .

إذا قَصُرَتْ أسيافُنا كان وَصْلُها
خُطَانا إلى أعــدائِنا فنُضَارِبِ[1]

(١) « فنضارب » بكسر الباء ، وضبط فى ل بضمها ، وهو خطأ ، فقد نص فى الخزانة على الكسر للروى ، وأن البيت من قصيدة مجرورة ، وأنه من شواهد سيبويه على أن « إذا » جازمة للشرط والجزاء فى ضرورة الشعر . وهذا المعنى أخذه هذان الشاعران وغيرهم من قول الأخنس بن شهاب التغلبى الجاهلى القديم :

وإن قصرت أسيافنا كان وصلهـا خطانا إلى القوم الذين نضارب

وهذا من قصيدة مرفوعة . وكل هؤلاء سرقوا المعنى ، بل اللفظ أحياناً من الأخنس ، وفى الخزانة : « وهذا هو الصحيح ، لأنه قاله قبل أن يخلق هؤلاء بدهر » . وانظر الخزانة ٣ : ٢٤ ، ١٦٤ — ١٦٩ والكامل ١٠١ .

٣٧ ـ الحطيئة (١)

٥٥٧ ● هو جَرْوَلُ بن أَوْسٍ ، من بنى قُطَيْعَةَ بن عَبْسٍ ، ولُقِّب الحطيئةَ لقِصَره وقُرْبِهِ من الأرض(٢). ويكنَى أَبا مُلَيْكَةَ ، وكان راويةَ زُهَيْرٍ. وهو جاهلىٌّ إسلامىٌّ ، ولا أُراه أَسلمَ إلاَّ بعدَ وفاةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، 181 لأنّى لم أَسمع له بذكر فيمن وفَد عليه من وفود العرب، إلاَّ أَنّى وجدتُه يقول فى أَوّل خلافة أَبى بكر رضى الله عنه حين ارتدَّتِ العربُ(٣) :

أَطَعْنا رَسُولَ اللهِ إذْ كان حاضِرًا فيا لَهْفَتَى ما بالُ دِينِ أَبى بَكْرِ
أَيُورِثُها بكْرًا إذا مات بَعْدَهُ فتلِكْ ، وبَيْتِ اللهِ ، قاصِمَةُ الظَّهْرِ

وقد يجوز أَن يكون أَراد بقوله «أَطعنا رسول الله» قومَه أَو العرب ، وكيف ما كان فإنَّه كان رقيقَ الإسلام ، لئيمَ الطبع(٤) .

٥٥٨ ● ومن المشهور عنه أَنَّه قيل له حين حضَرتْه الوفاةُ : أَوْصِ يا أَبا مُلَيكةَ ، فقال : مالى للذكور (من ولدى) دونَ الإناث ، فقالوا : إنَّ الله لم يأمر بهذا ، فقال : لكنّى آمُرُ به ! ثم قال : ويلٌ للشِّعْر من الرُّواة

---

(١) ترجمته فى أول ديوانه صنعة أبى الحسن السكرى ، وفى الاشتقاق ١٧٠ والأغانى ٢ : ٤١ ـ ٥٩ و ١٦ : ٣٨ ـ ٤٠ واللآلى ٨٠ والخزانة ١ : ٤٠٨ ـ ٤١٢ والإصابة ٢ : ٦٣ ـ ٦٤ والجمحى ٢١ ـ ٢٦ .

(٢) زاد فى الاشتقاق : «تشبيهاً بالقملة الصغيرة ، يقال لها حطأة» .

(٣) البيتان فى الأغانى والخزانة وغيرهما ، وهما فى تاريخ الطبرى ٣ : ٢٢٣ فى سبعة أبيات منسوبة للخطيل بن أوس أخى الحطيئة .

(٤) فى الأغانى ٢ : ٤١ : «هو من فحول الشعراء ومتقدميهم وفصحائهم فى جميع فنون الشعر ، من المديح والهجاء والفخر والنسيب ، مجيد فى ذلك أجمع ، وكان ذا شر وسفه ، ونسبه متدافع بين قبائل العرب ، وكان ينتمى إلى كل واحدة منها إذا غضب على الآخرين» . وفيه أيضاً ٢ : ٤٣ ـ ٤٤ عن الأصمعى : «كان الحطيئة جشعاً سؤولا ملحفاً ، دنىء النفس ، كثير الشر قليل الخير ، بخيلا ، قبيح المنظر رث الهيئة ، مغموز النسب فاسد الدين ، وما تشاء أن تقول فى شعر شاعر من عيب إلا وجدته ، وقلما تجد ذلك فى شعره» . وفيه ٤٤ عن محمد بن سلام وأبى عبيدة قالا : «كان الحطيئة متين الشعر شرود القافية ، وكان دنىء النفس ، وما تشاء أن تطعن فى شعر شاعر إلا وجدت فيه مطعناً ، وما أقل ما تجد ذلك فى شعره» .

السَّوْء ، وقيل له : أَوْصِ للمساكين بشيءٍ ، فقال : أُوصيهم بالمسألةِ ما عاشُوا ، فإنَّها تجارةٌ لن تَبُورَ ! وقيل له : أَعتِق عبدك يَسارًا ، فقال : اشْهدُو أنه عبدٌ مابَقِيَ (عبسيٌّ) ! وقيل له :فلان اليتيمُ ما تُوصى له (بشيءٍ)؟ فقال أُوصى بأَن تأْكلوا مالَه وتنيكوا أُمّه ! قالوا : فليس إلاّ هذا ؟ ! قال : احملونِى على حمارٍ ، فإنّه لم يَمُتْ عليه كريمٌ ، لعلّى أنجو ! ثم تَمثَّلَ :

لِكُلِّ جَدِيدٍ لَذَّةٌ غَيْرَ أَنَّنِى ... رَأَيْتُ جَدِيدَ المَوْتِ غَيْرَ لَذِيذِ[1]

(له خَبْطَةٌ فى الخَلْقِ لَيستْ بِسُكّرٍ ... ولا طَعْمَ راحٍ يُشْتَهَى ونَبِيذِ)

٥٥٩ ● ومات مكانَه

182

وكان هَجَا أُمَّه وأَباه ونفسَه ، فقال فى أُمّه :

تَنَحَّىْ فاقْعُدِى مِنِّى بَعِيدًا ... أَراحَ اللهُ مِنْكِ العالَمِينَا

أَلَمْ أُوضِح لَكِ البَغْضاءَ مِنِى ... ولكِنْ لا إخالُكِ تَعْقِلينَا

أَغِرْبالاً إذَا اسْتُودِعْتِ سِرًّا ... وكانُوناً على المُتَحَدِّثِينَا[2]

جَزاكِ اللهُ شَرًّا مِنْ عَجُوزٍ ... ولَقَّاكِ العُقُوقَ مِنَ البَنِينَا[3]

(حَيَاتُكِ ما عَلِمْتُ حَيَاةُ سَوْءٍ ... ومَوْتُكِ قد يَسُرُّ الصَّالِحِينَا)

وقال لأَبيه :

لحَاكَ اللهُ ثم لحَاكَ حقًّا ... أَباً ولحَاكَ من عَمٍّ وخالِ

---

(١) فى الأغانى ٢ : ٥٧ أنهم لما ألحوا عليه فى الإيصاء بما ينفعه قال : « أبلغوا أهل ضابئ أنه شاعر حيث يقول » فذكر هذا البيت ، يريد ضابئ بن الحرث البرجمى . وكذلك فى الخزانة ١ : ٤١١ .

(٢) الكانون : الثقيل الذى يجلس حتى يتحصى الأخبار والأحاديث لينقلها . والبيت فى اللسان ١٧ : ٢٤٣ .

(٣) القصيدة مذكورة فى الأغانى ٢ : ٤٣ عدا هذا البيت ، فإنه ذكر فيه مطلع قصيدة أخرى أربعة أبيات مكسورة النون ، والبيت فى ديوانه فى القصيدتين ٦١ . وهو فى اللسان ١٧ : ١٨ مكسور النون مع آخر .

فنعِمْ الشَّيْخُ أنتَ لَدَى المَخَازِى … وبِئْسَ الشَّيْخُ أنتَ لَدَى المَعَالِى

جَمَعْتَ اللُّؤْمَ ، لا حَيَّاكَ رَبِّى ، … وأَبْوابَ السَّفَاهَةِ والضَّلَالِ

وقال لنفسه :

أبَتْ شَفَتَاىَ اليَوْمَ إلاَّ تَكَلُّمًا … بِسُوءٍ ، فما أدْرِى لِمَنْ أنا قائِلُهْ[1]

أرَى لِىَ وَجْهاً شَوَّهَ اللهُ خَلْقَــهُ … فقُبِّحَ من وَجْهٍ وقُبِّحَ حامِلُهْ

٥٦٠ ● وقال عبدُ الرحمٰن بن أبى بَكْرة : رأيتُ الحُطيئةَ بذات عِرْق[2] ، فقلتُ له : يا أبا مُلَيكة ، أىُّ الناسِ أشْعَرُ ؟ فأخرج لساناً دقيقاً كأنَّه لسانُ حيَّة ، فقال : هذا إذا طَمِعَ .

٥٦١ ● ودخَل على عُتَيْبةَ بن النَّهَّاس العِجْلىّ فى عَبَاءة ، فلم يعرفْه عُتيبةُ ، ولم يُسَلِّم عليه ، فقال : أعْطِنى ، فقال له عتيبةُ : ما أنا فى عملٍ فأُعْطِيَكَ من غُدَدِه[3] ، وما فى مالى فَضْلٌ عن قومى . فانصرَفَ الحطيئةُ ، فقال له رجل من قومه : عَرَّضْتَنا للشرِّ ، هذا الحطيئةُ ! قال : رُدُّوه ، فردُّوه ، فقال له عُتَيبةُ : إنَّك لم تُسَلِّمْ تسليمَ أهل الإسلام ، ولا استأنستَ استئناسَ الجارِ ، ولا رَحَّبتَ ترحيبَ ابنِ العمِّ ، وكَتمتَنا نفسَك كأنَّك كنتَ مُعْتَلاًّ ! قال : هو ذاك ، قال : اجلسْ فلك عندنا ما تُحبُّ ، (فجلس) ، ثم سألَه · مَن أشعرُ العربِ ؟ فقال : الذى يقول :

183

ومَنْ يَجْعَلِ المَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرضِهِ … يَفِرْهُ ومَنْ لا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمِ[4]

يعنى زُهَيْرًا[5] ، قال : ثُم مَنْ ؟ قال : الذى يقول :

---

(١) « بسوء » هو ما فى ب د وهو الموافق للخزانة ١ : ٤١٠ ، وفى س هـ ب والأغانى ٢ : ٤٤ « بشر » .

(٢) ذات عرق : الحد بين نجد وتهامة ، وهى مهل أهل العراق .

(٣) غدده ، بالغين المعجمة : يريد من خيره وفضله ، وأصل الغدة السلعة يركبها الشحم . وفى الأغانى ٢ : ٤٥ « من عدده » بالعين المهملة ، وما هنا أجود ، وهو الموافق للخزانة ١ : ٤١٠ .

(٤) يفره : يجعله وافراً .

(٥) فى الأغانى : « فقال له عتبة : إن هذا من مقدمات أفاعيك » .

مَنْ يَسْأَلِ النّاسَ يَحْرِمُوهُ وَسَائِلُ اللهِ لا يَخِيبُ[١]

يعنى عبيدًا ، قال : ثمَّ من ؟ قال : أنا ، قال عُتَيبةُ لغلامه : اذهبْ به إلى السُّوق فلا يُشِيرَنَّ إلى شيءٍ ولا يَسُومَنَّ به إلاَّ اشتريتَه له ، فانطلقَ به الغلامُ ، فعَرَضَ عليه اليُمْنَةَ والخزَّ وبياضَ مصرَ والمَرْوِىَّ ، فلم يُرِدْ ذلك ، وأشار إلى الأكسيةِ والكرابيسِ الغِلاظِ والعَبَاءِ ، فاشترى له منها بمائتى درهمٍ ، واشترى له قُطُفاً ، وأوقَرَ له راحلةً من تمرٍ وراحلةً من بُرٍّ ، ثم قال له : حَسْبُكَ ، فقال له الغلامُ : إنَّهُ قد أمرنى أن أَبْسُطَ يَدِى لكَ بالنفقة ولا أجعلَ لكَ علَّةً ، فقال : لا حاجة لقومِى فى أن تكونَ لهذا عليهم يَدٌ أعظمُ من هذه ، فانصرفَ الغلامُ إلى عُتيبةَ فأخبره بذلك ، وقال الحطيئةُ : 184

سُئِلْتَ فلم تَبْخَلْ ولم تُعْطِ طائلاً
فَسِيَّانِ لا ذَمٌّ عليكَ ولا حَمْدُ
وأَنْتَ امْرُؤٌ لا الجُودُ منك سَجِيَّةٌ
فتُعْطِى ، وقد يُعْدِى على النَّائِلِ الوَجْدُ[٢]

٥٦٢ ● وأتى الحطيئةُ مجلسَ سعيد بن العاصى ، وهو على المدينة يُعَشِّى الناسَ ، فلمّا فرغَ (الناسُ من طعامهم) وخفَّ مَن عندَه ، نَظَر فإذا رجلٌ قاعدٌ على البساط قبيحُ الوجه كبيرُ السنِّ سَيِّئُ الهيئةِ ، وجاءَ الشُّرَطُ ليقيموه ، فقال سعيدٌ : دَعُوه ، وخاضُوا فى أحاديث العرب وأشعارِهم ، وهم لا يعرفونه ، فقال لهم الحطيئةُ : ما أصبتم جَيِّدَ الشعر ، قال له سعيد : وعندَك مِن ذلك عِلْمٌ ؟ قال : نعم ، قال : فمن أشعرُ الناسِ ؟ قال : الذى يقول :

---

(١) مضى البيت فى أبيات ٢٦٩ .
(٢) انظر الديوان ٩٠ – ٩١ .

لا أَعُدُّ الإقْتَارَ عُدْماً ولٰكِنْ فَقْدُ مَنْ قد رُزِئْتُهُ الإعْدَامُ[١]

يعنى أبا دُؤادٍ قال: ثم مَنْ ؟ قال : الذى يقول :

أَفْلِحْ بما شِئْتَ فقد يُبْلَغُ بالـ ضَّعْفِ وقَدْ يُخْدَعُ الأَرِيبُ[٢]

185 قال : ثم مَنْ ؟ قال ؛ فحَسْبُك واللهِ بى عندَ رغبةٍ أو رهبةٍ ، إذا رفعتُ إحدى رِجلَىَّ على الأُخرى ثم عَوَيْتُ عُواءَ الفَصِيل فى إثرِ القوافى[٣] ، قال : ومَن أنت ؟ قال : أنا الحطيئةُ ، فرحَّبَ به سعيدٌ ، وقال له : قد أسأْتَ فى كِتْمانك إيّانا نفسَك منذُ الليلة ، وقد علمتَ شَوْقَنا إليك وإلى حديثك ، (ومحبَّتَنا لك ، وأكرمه وأحسنَ إليه ، فقال[٤] :

لَعمْرِى لَقَدْ أَضْحَى على الأَمْرِ سائِسٌ بَصِيرٌ بما ضَرَّ العَدُوَّ أَرِيبُ

سَعِيدٌ ، فلا يَغْرُرْكَ خِفَّةُ لَحْمِـهِ تَخَدَّدَ عنه اللَّحْمُ فَهْوَ صَلِيبُ[٥]

إذَا غِبْتَ عَنَّا غاب عَنَّا رَبِيعُنا ونُسْقَى الغَمامَ الغُرَّ حِينَ تَؤُوبُ

فنِعْمَ الفَتَى تَعْشُو إلى ضَوْءِ نارِهِ إذَا الرِّيحُ هَبَّتْ والمَكانُ جَدِيبُ)

٥٦٣ ● ومَرَّ الحطيئةُ بالنَّضّاحِ بن أَشْيَمَ الكلبىِّ ومعه بناتُه ، فقال له النضّاحُ : إنَّ لنا جِدَةً ولكَ علينا كرامةً ، فمُرْنا بما تُحبُّ نَأْتِه ، (وانْهَنا عمّا شئتَ تكرهُه نَجتنبْه) ، فقال :أَوَرِيَتْ زِبلكَ نادى[٦] ، أنا أغْيرُ الناسِ قلباً ، وأَشْعَرُ النا ِس لساناً ، فانْهَ بَنِيكَ أن يُسْمِعوا بناتى الغِنَاءَ : فإنَّ الغِنَاءَ رُقْيةُ الزِّنا ، وكان للنضّاحِ سبعةُ بنينَ ، فقال له : لا تَسمع غناءَ رجلٍ منهم ما كنتَ عندنا ، ونَهَى بنيه أن يَمُرُّوا ببابه ، فأقام عنده سنةً ، فلمّا

(١) البيت من الأصمعية ٦٥ وقد مضى فى أبيات ٢٣٨ .

(٢) هو لعبيد بن الأبرص ، وقد مضى فى أبيات ٢٦٩ . والثابت هنا « أفلح » أمر من الرباعى وهناك « افلح » أمر من الثلاثى .

(٣) انظر ما مضى ١٤٣، ١٤٤ والأغانى ٢ : ٤٥ و ١٦ : ٣٨ — ٤٠ .

(٤) من قصيدة فى ديوانه ٤٢ — ٤٣ .

(٥) تخدد اللحم : هزل ونقص ، والمتخدد : المهزول .

(٦) ورت الزناد : إذا خرجت نارها ، ووريت : إذا صارت وارية ، وهذا مثل ، يريد أنه أنجح فى أمره وأدرك ما طلب ، وقالوا « هو أورام زنداً » يضرب مثلا للنجاح والظفر .

أراد أن يرحلَ قال للنضَّاحِ : زَوِّجْ بعضَ بنيكَ بعضَ بناتى ، فقال النضَّاح لابنه كعب ذلك ، فقال كَعْبٌ : لو عَرَضها (علىَّ) بِشِسْع نَعْلٍ ما أردتُها ! (قال : ولِمَ ، قال : أكرهُ لسانَه) . وكان فى وَلَدِ النضّاحِ الغِناءُ ، منهم زِمامُ بن خِطَام بن النضّاح ، كان أجودَ الناسِ غناءً بَدَوِيًّا ، وفيه يقولُ الصِّمَّةُ القُشَيْرِىُّ :

دَعَوْتُ زِماماً للهَوَىٰ فأجابنِى ... وأىُّ فَتًى لِلَّهْوِ بَعْدَ زِمَامِ[1]

186

٥٦٤ ● وكان الحطيئةُ جاور الزِّبْرِقانَ بن بَدْرٍ ، فلم يَحْمَدْ جِوَارَه ، فتحوَّل عنه إلى بَغيضٍ ، فأكرمَ جُواره ، فقال يهجو الزبرقانَ ويمدح بغيضاً[2] :

ما كان ذَنْبُ بَغِيضٍ أنْ رَأى رَجُلاً ... ذَا حاجَة عاشَ فى مُسْتَوْعَرٍ شَاسِ

جــارًا لِقَوْمٍ أطالُوا هُونَ مَنْزِلِه ... وغــادَرُوهُ مُقيماً بينَ أرْمَــاسِ[3]

مَلُّوا قِــرَاهُ وهَرَّتْهُ كِلابُهُمُ ... وجَــرَّحُــوهُ بـأنْيــابٍ وأضْرَاسِ

---

(١) س ب « مثل زمام » . والصمة هو ابن عبد الله بن الطفيل بن قرة بن هبيرة القشيرى ، شاعر إسلامى بدوى مقل ، من شعراء الدولة الأموية . له ترجمة فى الأغانى ٥ : ١٢٤ — ١٢٧ والمؤتلف ١٤٤ — ١٤٥ وجده قرة بن هبيرة صحابى مترجم فى الإصابة ٥ : ٢٣٨ — ٢٤٠ .

(٢) هو بغيض بن عامر بن شماس بن لأى بن أنف الناقة ، كان من رؤساء بنى تميم فى الجاهلية وأدرك الإسلام ، ولم يرد فى شيء من الطرق أنه وفد على النبى صلى الله عليه وسلم . انظر ترجمته فى الإصابة ١ : ١٨٠ — ١٨١ وفيها إشارة إلى هذه القصة ، وهى مفصلة فى الأغانى ٢ : ٤٩ — ٥٣ . والأبيات من قصيدة فى الديوان ٥٢ — ٥٥ .

(٣) شاس : يقال « مكان شأس وشأز » خشن من الحجارة ، أو غليظ ، وتسهل الهمزة ، مثل « كاس » فى « كأس » .

دَعِ المَكَارِمَ لا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَا
وَاقْعُدْ فإنَّكَ أنْتَ الطَّاعِمُ الكَاسِى

فاستَعْدَى عليه الزبرقانُ عمرَ بن الخطاب رضى الله عنه ، وأنشده آخرَ الأبياتِ[١] ، فقال له عمرُ : ما أعلمُه هجاكَ ، أمَا تَرْضَى أن تكونَ طاعماً كاسياً ؟! (قال : إنَّه لا يكونُ فى الهجاءِ أشدُّ من هذا) ، ثم أرسل إلى حسَّانَ بن ثابتٍ ، فسأله عن ذلك ، فقال : لم يَهْجُه ولكن سَلَحَ عليه ! فحبسَه عمرُ ، وقال : يا خبيثُ لأَشْغَلَنَّكَ عن أعراض المسلمين ، فقال وهو محبوسٌ[٢] :

ماذا أرَدْتَ لأفْرَاخٍ بذِى مَرَخٍ حُمْرِ الحَوَاصِل لاماءٌ ولا شَجَرُ[٣]
ألْقَيْتَ كاسِبَهُم فى قَعْرِ مُظْلِمَةٍ فاغْفِرْ عليكَ سَلاَمُ اللهِ يا عُمَرُ

فرقَّ له عمرُ وخلَّى سبيلَه ، وأخذ عليه ألَّا يهجوَ أحدًا من المسلمين .

٥٦٥ ● وممّا سَبق إليه فأُخذ منه قولُه :

187 عَوَازِبُ لم تَسْمَعْ نُبُوحَ مُقامَةٍ ولم تُحْتَلَبْ إلاَّ نَهارًا ضَجُورُها[٤]

أخذه ابنُ مُقْبِلٍ فقال :

عَوَازِبُ لم تَسْمَعْ نُبُوحَ مُقَامَةٍ ولم تَرَ نارًا تِمَّ حَوْلٍ مُجَرَّمِ[٥]

---

(١) قال أبو عمرو بن العلاء : « لم تقل العرب بيتاً قط أصدق من قول الحطيئة :
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس
وهو من هذه القصيدة .

(٢) البيتان فى الأغانى فى أبيات . وهما أيضاً فى الإصابة ٢ : ٦٣ وهما فى الديوان ٨٠ — ٨١ ومعهما آخران .

(٣) ذو مرخ : موضع . والبيت فى البلدان ٨ : ٢٠ .

(٤) عوازب : يصف إبلا عازبة مخصبة . النبوح : النباح . الضجور : الناقة التى ترغو عند الحلب . يريد أن هذه الإبل بعيدة فى مرعاها لا تقرب الحضر فتسمع أصوات أهله ، وأنها غزار لا تعتم ، فإنما تحلب نهاراً .

(٥) سيأتى ٢٧٦ ل منسوباً لطفيل الغنوى وأن الحطيئة أخذه منه والحول المجرم : التام المكمل .

٣٧ ـ النجاشي الحارثي (١)

٥٦٦ ● هو قَيْس بن عَمرو بن مالك ، من بنى الحْرث بن كعب ، وكان فاسقاً رقيقَ الإسلام .

٥٦٧ ● وخرج فى شهر رمضانَ على فرسٍ له بالكوفة يريد الكُنَاسَةِ(٢) ، فمر بأَبى سَمَّالٍ الأَسَدِىِّ(٣) فوقف عليه(٤) ، فقال : هل لك فى رؤوس حُمْلاَنٍ فى كِرْشٍ فى تنوُّرٍ من أوّل الليل إلى آخره ، قد أيْنَعَتْ وتَهرَّأَتْ ؟ ! فقال له : (ويحك) ، أفى شهر رمضان (تقول هذا) ؟ ! قال : ما شهرُ رمضانَ وشوّالٌ إلاَّ واحدًا ! قال : فما تَسقينى عليها ؟ قال : شراباً كالوَرْسِ ، يُطَيِّبُ النَّفْس ، ويَجْرِى فى العِرْق ، ويُكْثِرُ الطَّرْق(٥) ، ويَشُدُّ العظام ، ويُسهِّل لِلفَدْم الكلام ، فَثَنَىٰ رجلَه فنزل ، فأكلاَ وشربَا ، فلمّا أخذ فيهما الشراب

---

(١) ترجمته فى الإصابة ٦ : ٢٦٣ – ٢٦٤ والاشتقاق ٢٣٩ واللآلى ٨٩٠ – ٨٩١ والخزانة ٤ : ٣٦٨ ، وله شعر فى تاريخ الطبرى ٤ : ٢٦٤ .

(٢) الكناسة ، بضم الكاف : محلة بالكوفة .

(٣) له ذكر وشعر فى نسب قريش لمصعب الزبيرى ص ٩

(٤) اسمه « سمعان بن هبيرة بن مساحق » له ترجمة فى الإصابة ٣ : ١٦٩ – ١٧٠ والمؤتلف ١٣٧ والمعمرين ٥٠ – ٥١ . و « سمال » بفتح السين المهملة وتشديد الميم وآخره لام . وفى الخزانة « بأبى سماك العدوى » وهو الموافق لما فى س ف ، وهو خطأ ، فإن « أبا السمال العدوى » باللام أيضاً لا بالكاف ، وهو رجل من الأعراب مقرئ تروى عنه حروف من القراءات ، كما فى شرح القاموس ٧ : ٣٨١ والمشتبه ٢٧٣ وطبقات القراء ١ : ٢٦١٤ وهو غير هذا الأسدى الشاعر . وأخطأ الذهبى فى المشتبه إذ جعل أبا السمال الأسدى الشاعر غير أبى السمال صاحب هذه القصة ، وهو هو ، كما فى سائر الروايات . وفى الأغانى ٧ : ٢١ قصة فيها ذكر « أبى بجير بن سماك الأسدى » و « ابن النجاشى » ظن مصحح ل أن لها علاقة بما هنا ، وهو وهم ، فهما شخصان آخران .

(٥) أصل « الطرق » للإبل ، يقال « طرق الفحل الناقة » أى قما عليها وضربها ، فاستعاره للإنسان ، قال فى اللسان : « وقد يجوز أن يكون الطرق وضعاً فى الإنسان ، فلا يكون مستعاراً » .

تفاخرًا ، فَعَلَتْ أصواتُهما ، فسَمع ذلك جارٌ لهما ، فأتَى علىَّ بن أبى طالب رضى الله عنه فأخبره ، فبعث فى طَلَبهما ، فأمَّا أبو سَمَّال فشَقَّ الخُصَّ ونَفَذَ إلى جيرانه فهرب ، فأُخِذ النجاشىُّ ، فأُتِىَ به علىُّ بنُ أبى طالب فقال له : ويحكَ ، وِلْدَ انُنا صِيَامٌ وأنت مفطرٌ ؟ ! فضربه ثمانين سوطًا وزاده عشرين (سوطًا) ، فقال له : ما هذه العِلَاوَة يا أبا الحَسن ؟ فقال : (هذه) لجُرْأتك على الله فى شهر رمضان ، ثم وَقَفَه للناس لِيَرَوْه فى تُبَّانٍ ، فهَجَا أهلَ الكوفة فقال[1] :

188

إذَا سَقَى اللهُ قَرْمًا صَوْبَ غادِيَةٍ ... فلا سَقَى اللهُ أهْلَ الكُوفَةِ المَطَرَا

ألتَّارِكِينَ على طُهْرٍ نِسَاءَهُمُ ... والناكِحِينَ بِشَطَّىْ دِجْلَةَ البَقَرَا

(والسارِقِينَ إذَا ما جَنَّ لَيْلُهُمُ ... والطالِبِينَ إذَا ما أصْبَحُوا السُّوَرَا)

وقال :

ضَرَبُونِى ثُمَّ قالوا قَدَرٌ ... قَدَرَ اللهُ لَهُمْ شَرَّ القَدَرْ

٥٦٨ ● وكان هَجَا بَنِى العَجْلَانِ ، فاستعدَوْا عليه عمرَ بن الخطَّاب رضى الله عنه ، فقال : ما قال فيكم ؟ فأنشدوه[2] :

إذَا اللهُ عادَى أهْلَ لُؤْمٍ ورِقَّةٍ ... فعادَى بَنِى العَجْلانِ رَهْطَ ابنِ مُقْبِلِ[3]

---

(١) الأبيات ومعها رابع فى البلدان ٧ : ٢٩٩ ، والبيتان الأولان فى الخزانة ٤ : ٣٦٨ .

(٢) القصة أشير إليها فى حماسة ابن الشجرى ١٣١ — ١٣٢ والعمدة ١ : ٣٧ — ٣٨ والإصابة ١ : ١٩٥و٦ : ٢٦٤ والخزانة ١ : ١١٣ وذكرت الأبيات مع بعض اختلاف فى رواياتهم .

(٣) سيأتى البيت ٢٧٦ل وابن مقبل : هو تميم بن أبى بن مقبل ، ستأتى ترجمته ٢٧٦ — ٢٧٨ل وقال الجمحى ٣٤ : « تميم بن أبى بن مقبل شاعر خنذيذ ، مغلب عليه النجاشى ، ولم يكن إليه فى الشعر ، وقد قهره فى الهجاء ، فقال * إذا الله عادى أهل لؤم ودقة * . هكذا بالدال ، وهى هنا بالراء يريد أن أحسابهم رقيقة ضعيفة ، وبالدال : أنها دقيقة خسيسة ، كأنه ينظر إلى قول عمرو بن الأهتم فى المفضلية ٢٣ : ٢٣ * وبعض الوالدين دقيق * .

فقال عمر : إنَّما دَعَا ، فإنْ كان مظلومًا استُجيبَ له ، وإنْ كان ظالمًا لم يُسْتَجَبْ له ، قالوا : وقد قال أيضًا :

قُبَيِّلَةٌ لا يَغْدِرُون بِذِمَّةٍ ... ولا يَظْلِمُونَ الناسَ حَبَّةَ خَرْدَلِ

فقال عمر : ليتَ آلَ الخطّابِ هكذا ! قالوا : وقد قال أيضًا :

ولا يَرِدُونَ الماءَ إلّا عَشِيَّةً ... إذَا صَدَرَ الوُرَّادُ عن كُلِّ مَنْهَلِ[1]

فقال عمر : ذلك أقلُّ لِلِّكَاكِ[2] ! قالوا : وقد قال أيضًا :

تَعَافُ الكِلَابُ الضارِيَاتُ لُحُومَهُمْ ... وتَأْكُلُ مِنْ كَعْبٍ وعَوْفٍ ونَهْشَلِ

فقال عمر : أجَنَّ القومُ موتاهم فلم يُضيِّعوهم ! قالوا : وقد قال :

وما سُمِّيَ العَجْلَانَ إلا لِقِيلِهِمْ ... خُذِ القَعْبَ وَاحْلُبْ أَيُّهَا العَبْدُ وَاعْجَلِ[3]

فقال عمر : خيرُ القومِ خادمُهم (وكلُّنا عَبِيدُ الله) !! ثم بَعث إلى حسّانَ والحُطَيئةِ ، وكان محبوسًا عنده ، فسألهما ، فقال حسّان مثلَ قوله فى شعر الحطيئة ، فهَدَّد (عمرُ) النجاشيَّ وقال له : إنْ عدتَ قطعتُ لسانَك .

٥٦٩ ● وهو القائلُ فى معاوية :

ونَجَّى ابنَ حَرْبٍ سابِحٌ ذو عُلَالَةٍ ... أَجَشُّ هَزِيمٌ والرِّماحُ دَوَانِى[4]

(١) البيت فى اللآلى ٧٨٩ غير منسوب .

(٢) اللكاك ، بكسر اللام : الزحام . وفى العمدة « للسكاك » بالسين ، وهو تحريف .

(٣) القعب : القدح الضخم الغليظ الجافى .

(٤) العلالة : بقية جرى الفرس ، يريد أنه يحفظ من قوته فى العدو ، جرياً بعد جرى مثل علل الماء . الأجش : الغليظ الصوت فى صهيلة ، وهو مما يحمد فى الخيل . الهزيم من الخيل : الشديد الصوت . والبيت فى اللسان ٨ : ١٦١ و ١٦ : ٩٢ والجمهرة ١ : ٥٢ وهو فى الأغانى ١٢ : ٧٣ مع بيت آخر له مضى ٨٠ وهو فى الاشتقاق ١٧٩ غير منسوب .

فلمّا بلغ الشعرُ معاويةَ رفع ثُنْدُوَتَيْهِ[1] وقال : لقد علم الناسُ أن الخيل لا تَجرى بمثلى ، فكيف قال هذا ؟ !

ومن جيّد شعره قولُه لمعاوية [2] :

يا أيُّهَا المَلِكُ المُبْدِى عَدَاوَتَهُ	رَوِّئْ لِنَفْسِكَ أَىَّ الأَمْرِ تَأْتَمِرُ
وما شَعَرْتُ بما أَضْمَرْتَ من حَنَقٍ	حتَّى أَتَتْنِى به الأَخْبَارُ والنُّذُرُ[3]
فإنْ نَفِسْتَ على الأَقْوَامِ مَجْدَهُمُ	فَابْسُطْ يَدَيْكَ فإنَّ الخَيْرَ يُبْتَدَرُ
وأَعْلَمْ بِأَنَّ عَلِيَّ الخَيْرِ من نَفَرٍ	شُمِّ العَرَانِينِ لا يَعْلُوهُمُ بَشَرُ
نِعْمَ الفَتَى أنتَ ، إلَّا أنَّ بَيْنَكُمَا	كَمَا تَفَاضَلَ ضَوْءُ الشَّمْسِ والقَمَرُ[4]
وما إخالُكَ إلَّا لَسْتَ مُنْتَهِيًا	حتَّى يَمَسَّكَ من أَظْفَارِهِ ظُفُرُ
إنى امْرُؤٌ قَلَّ ما أُثْنِى على أَحَدٍ	حتى أَرَى بَعْضَ ما يَأْتِى وما يَذَرُ[5]
لا تَمْدَحَنَّ امْرَأً حتَّى تُجَرِّبَهُ	ولا تَذُمَّنَّ مَنْ لَمْ يَبْلُهُ الخَبَرُ

190

٥٧١ ● وهَجَا قُرَيْشًا ــ لعنه الله ــ فقال[6] :

إنَّ قُرَيْشًا والإمامَةَ كالَّذِى	وَفَى طَرَفَاهُ بعدَ أنْ كان أَجْدَعَا
وحُقَّ لِمَنْ كانَتْ سَخِينَةُ قَوْمَهُ	إذا ذُكِرَ الأَقْوَامُ أَنْ يَتَقَنَّعَا[7]

---

(١) الثندؤة : فى اللسان : « قال ابن السكيت : هى اللحم الذى حول الثدى ، إذا ضممت أولها همزت ، فتكون فعللة ، فإذا فتحته لم تهمز ، فتكون فعلوة ، مثل ترقوة وعرقوة » . وفيه أيضاً عن أبى عبيدة أن رؤبة كان يهمزها وأن العرب لا تهمزها .

(٢) من قصيدة فى كتاب وقعة صفين ٤٢٤ . والأبيات فى الخزانة ٤ : ٣٦٨ .

(٣) شعر : بابه « نصر » و « كرم » ، وضبط فى ل بكسر العين ، وهو خطأ .

(٤) فى الخزانة « نعم الفتى هو » وما هنا أجود فى المعنى والسياق .

(٥) قلما : رسمت هنا « قل ما » وفى همع الهوامع ٢ : ٢٣٧ : « جرى ابن درستويه والزنجانى على على عدم وصل قلما ، والأصح الوصل » وانظر المطالع النصرية ٥٢ .

(٦) البيتان فى اللآلى ٨٦٤ .

(٧) سخينة : لقب كانت تلقب به قريش لأكلهم السخينة ، وهى حساء من دقيق . وفى الروض الأنف ٢ : ٢٠٥ : « كان هذا الاسم مما سميت به قريش قديماً ، ذكروا أن قصيا كان إذا ذبحت ذبيحة أو نحرت نحيرة بمكة أتى بعجزها فصنع منه خزيرة ، وهو لحم يطبخ ببر ، فيطعمه الناس ، فسميت قريش بها سخينة » . وانظر الخزانة ٣ : ١٤٢ ــ ١٤٣ .

وقال :

سَخِينَةُ حَيٌّ يَعْرِفُ النَّاسُ لُؤْمَهَا ... قَدِيمًا ، ولم تُعْرَفْ بِمَجْدٍ ولا كَرَمْ

فيا ضَيْعَةَ الدُّنْيَا وضَيْعَةَ أَهْلِها ... إذا وَلِيَ المُلْكَ التَّنَابِلَةُ القَزَمْ[1]

وعَهْدِي بهم في الناس ناسٌ ، ومالَهُمْ ... مِنَ الحَظِّ إلَّا رِعْيَةُ الشَّاءِ والنَّعَمْ

٥٧٢ ● (وكان للنجاشي أَخٌ يقال له حُدَيْج ، وله يقول ابنُ مُقْبِل :

أَبْلِغْ حُدَيْجًا بأَنِّي قد كرِهْتُ له ... بُعْدَ المَقَالَةِ يَهْدِيها فتَأْتِينا)

---

(١) التنابلة : جمع « تنبل » و « تنبال » و « تنبالة » بكسر التاء في الثلاثة ، وهو الرجل القصير . وهذا الجمع لم يذكر في المعاجم ، والذي في اللسان أن جمعها « تنابيل » . القزم ، بفتح القاف والزاي : اللئام الأدنياء صغار الجثة الذين لا غناء عندهم ، الواحد والجمع والمذكر والمؤنث في ذلك سواء ، لأنه في الأصل مصدر .. وأثبت في ل « القذم » بضم القاف وفتح الذال المعجمة ، وهو تحريف ، فلا يوجد هذا الضبط ، والموجود « القذم » بضم القاف والذال ، ولكنه بمعنى الأسخياء ، فلايناسب الهجو . ويحتمل أيضاً أن تكون صحتها « الفدم » بضم الفاء والدال ، جمع « فدم » بفتح فسكون ، وهو من الناس العيي عن الحجة والكلام مع ثقل ورخاوة وقلة فهم ، أو هو الغليظ السمين الأحمق الجافي .

٣٩ – عامر بن الطفيل [1]

٥٧٣ ● هو عامرُ بن الطُّفَيْلِ بن مالك بن جعفر بن كِلَابِ العامِرِىُّ . وهو ابنُ عمّ لَبِيدِ الشاعر . وكان فارسَ قَيْسٍ ، وكان أعوَر عَقِيمًا لا يُولَد له ، ولم يُعْقِبْ . وهو القائلُ [2] :

لَبِئْسَ الفَتَىٰ إنْ كُنْتَ أعْوَرَ عاقِرًا جَبَانًا ، فما عُذْرِى لَدَىٰ كُلِّ مَحْضَرِ

لَعَمْرِى ، وما عَمْرِى علىَّ بِهَيْنٍ ، لَقَدْ شانَ حُرَّ الوَجْهِ طَعْنَةُ مُسْهِرِ [3]

وكان له فرس يقال له المَزْنُوقُ ، وله يقول [4] :

وقد علِمَ المَزْنُوقُ أنّى أكُرُّهُ على جَمْعِهِمْ كَرَّ المَنِيحِ المُشَهَّرِ

إذَا ٱزْوَرَّ من وَقْعِ السِّلَاحِ زَجَرْتُهُ وقُلْتُ لَهُ : ٱرْبَعْ مُقْبِلا غَيْرَ مُدْبِرِ

٥٧٤ ● وأبوه فارسُ قُرْزُلٍ ، قال بعضُ الشعراء لعامرٍ :

فإنَّكَ يا عامِ ابنَ فارِسِ قُرْزُلٍ عَنِ القَصْدِ إذْ يَمَّمْتَ ثَهْلانَ جائِرُ [5]

ومن جيِّد الشعر قولُه [6] :

---

(١) ترجمنا له فى أول المفضلية ١٠٦ وبينا هناك مصادر ترجمته وأخباره . وانظر اللآلى ٢٩٧ – ٢٩٨ ، ٨١٦ .

(٢) هما البيتان ٨ ، ٧ من المفضلية ١٠٦ وهى فى الديوان ١١٦ – ١٢٠

(٣) هو مسهر بن يزيد بن عبد يغوث الحارثى ، وهو الذى غدر بعامر بن الطفيل وطعنه بالرمح فى وجهه ، ففلق وجنته وشق عينه ، وهو فارس مشهور ، له خبر فى الأغانى ٩ : ١٨ مع دريد بن الصمة .

(٤) هما البيتان ٢ ، ٣ من المفضلية ١٠٦ .

(٥) البيت لسلمة بن الخرشب فى المفضلية ٥ : ١٥ وعجزه فيها * معيد على قيل الخنا والهواجر * وهو أيضاً فى الخيل لابن الأعرابى ٧٥ ، ورواه صاحب اللسان غير منسوب ٧ : ١١٤ و ٢٠ : ١٢٤ . ثهلان : جبل بنجد .

(٦) البيتان ليسا فى الديوان ، وألحقهما به مصححه نقلا عن هذا الكتاب ١٥٩ .

وما الأَرْضُ إلّا قَيْسُ عَيْلَانَ أَهْلُها ... لَهُمْ ساحَتَاها سَهْلُها وحُزُومُهَا(١)

وقد نال آفاقَ السَّمواتِ مَجْدُنا ... لنا الصَّحْوُ من آفاقِها وغُيُومُهَا

وله (٢) :

ونَسْتَلِبُ الأَقْرانَ والجُرْدُ كُلَّحٌ ... على الهَوْلِ يَعْسِفْنَ الوَشِيجَ المُقَوَّمَا(٣)

ونَحْنُ صَبَحْنَا حَىَّ أَسْماءَ غارَةً ... أَبالَ الحَبَالَى غِبُّ وَقْعَتِنا دَمَا

192 وكان عامرٌ أَتَى النبىَّ(٤) صلى الله عليه وسلم فقال له : تَجعلُ لى نصفَ ثِمار المدينة وتجعلنى وَلِىَّ الأمرِ من بعدِك وأُسْلِمُ ؟ ! فقال النبىُّ صلى الله عليه وسلم : « اللهمَّ اكْفِنِى عامرًا وَاهْدِ بنى عامر » فانصرفَ وهو يقول : لَأَمْلأَنَّها عليكَ خيلا جُرْدًا ، ورجالا مُرْدًا ، ولأَرْبِطَنَّ بكلِّ نخلةٍ فرسًا ، فطُعِنَ فى طريقه ، فمات وهو يقول : غُدَّةٌ كغُدَّةِ البعير ، وموتٌ فى بَيْتِ سَلُولِيَّةٍ !!

٥٧٨ ● ويُكنَى أَبا علىّ ، وهو الذى نافرَ عَلْقَمَة بنَ عُلَاثَةَ إلى هَرِم بن قُطْبَة الفَزَارِىّ ، حين أُهْتِرَ عمُّه عامرُ بن مالكٍ مُلاعِبُ الأَسِنَّة(٥) . ولعلقمةَ يقول الأَعْشَى(٦) :

إنْ تَسُدِ الحُوصَ فلم تَعْدُهُمْ ... وعامِرٌ سادَ بنى عامِرِ

---

(١) الحزوم : جمع « حزم » وهو الغليظ من الأرض أو المرتفع ، وهو أغلظ وأرفع من الحزن ، وفى اللسان : « وزعم يعقوب أن ميم حزم بدل من نون حزن » .

(٢) هما من قصيدة فى الديوان ١٤٢ مع اختلاف فى الرواية ، ويشبههما بيتان آخران فيه ١٢١ - ١٢٢ .

(٣) الجرد : الخيل القصيرة الشعر ، وهو من علامات العتق والكرم . كلح : من الكلوح ، وهو بدو الأسنان عند العبوس . يعسفن : من العسف ، وهو ركوب الأمر بلا تدبير ولا روية ، يريد أنهن يلقين بأنفسهن على الرماح المتشابكة فى الحرب . الوشيج : الرماح ، وأصله الشجر الذى تؤخذ منه الرماح .

(٤) خبر مجيئه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ابن سعد ١ / ٢ / ٥١ - ٥٢

(٥) انظر ما مضى ٢٧٧ واللسان ٨ : ٢٨٤ .

(٦) البيت من أبيات فى الأغانى ١٥ : ٥٠ .

« والحُوص » : ولد الأَحْوَص بن مالك بن جعفر بن كلاب[1] ، ويقال لهم « الأَحْوَصُ » أيضًا .

٥٧٩ ● ومن جيّد شعره قوله[2] :

فإنّي وإن كُنْتُ ابنَ فارسِ عامرٍ وسَيِّدِها المَشْهُورِ في كُلِّ مَوْكبِ

فما سَوَّدَتْني عامِرٌ عن وِرَاثَةٍ أَبَى اللهُ أنْ أَسْمُو بِأُمٍّ ولا أَبِ

ولكِنَّني أَحْمِي حِمَاها ، وأَتَّقِي أَذَاها ، وأَرْمِي مَنْ رماها بمَنْكِبِ

---

(١) هذا وهم من ابن قتيبة ، زاد في نسبه « مالك » . وصحته « الأحوص بن جعفر بن كلاب » فهو عم الطفيل لا أخوه ، وابنه « عوف بن الأحوص » له المفضليات ٣٥ ، ٣٦ ، ١٠٨ وانظر الأنباري ٣٤١ والاشتقاق ١٨٠ .

(٢) الأبيات من قصيدة في الديوان ٩٢ – ٩٣ وهي في الكامل ١٤٠ والخزانة ٣ : ٥٢٧ – ٥٢٨ والعيني ١ : ٢٤٢ – ٢٤٤ .

٤٠ ، ٤١ ــ مالك ومتمم ابنا نويرة

٥٨٠ ● هما من ثَعْلَبَةَ بن يَرْبُوع .

وكان مالكٌ فارسَ ذى الخِمَارِ ، وذو الخِمَار فَرَسُه . (وفيه يقول :

متَى أَغْلُ يَومًا ذا الخِمَارِ وشِكَّتِى حُسامٌ وصَدْقٌ مارِنٌ وشَلِيلُ)[١] 193

وقتلَه خالدُ بن الوليد فى الردَّة وتزوَّج ، امرأتَه وقَتَل من قومه مَقْتَلَةً عظيمةً ، ولهذا السببِ كان سُخطُ عمرَ بن الخطَّابِ على خالد بن الوليد[٢] .
ولمالكٍ عَقِبٌ .

٥٨١ ● ودخل مُتَمِّمٌ على عمر بن الخطَّاب رضى الله عنه[٣] فقال له عمر : ما أرى فى أصحابك مثلَك ! قال : يا أمير المؤمنين ، أمَا واللهِ إنِّى مع ذلك لأركبُ الجَمَلَ الثَّفَالَ[٤] ، وأَعْتَقِلُ الرُّمحَ الشَّطُونَ[٥] ، وألبسُ الشَّمْلَةَ الفَلُوتَ[٦] ، ولقد أَسَرتْنِى بنو تَغْلِبَ فى الجاهليَّة ، بلغَ ذلك أخى مالكًا ،

---

(١) الشكة ، بكسر الشين : السلاح . الصدق ، بفتح الصاد : وصف للرمح ، وهو المستوى الجامع للأوصاف المحمودة . المارن : وصف آخر له ، وهو الصلب اللين . الشليل : الغلالة التى تلبس فوق الدرع ، وقيل : الدرع الصغيرة القصيرة تكون تحت الكبيرة .

(٢) قتله خالد بن الوليد وتسرى امرأته ولم يتزوجها ، بل أخذها هى وابنها رقيقاً ، ومكثت عنده إلى أن جاء أخوه متمم ، فرد عليه عمر المرأة وابنها . وقد حققنا هذه الوقعة المهمة فى مقال رددنا به على الدكتور محمد باشا هيكل ، نشرناه فى مجلة المقتطف فى عدد شهر أغسطس ١٩٤٥ ، وفى مجلة الهدى النبوى فى العدد ٨ من السنة ٩ شهر شعبان ١٣٦٤ .

(٣) نقلها صاحب الأغانى ١٤ : ٦٨ عن ابن قتيبة .

(٤) الثفال ، بفتح الثاء المثلثة : البطىء الثقيل الذى لا ينبعث إلا كرها .

(٥) الشطون ، بفتح الشين المعجمة : الطويل الأعوج .

(٦) الشملة الفلوت ، بفتح الفاء : التى لا ينضم طرفاها لصغرها ، فهى تفلت من يده إذا شتمل بها .

فجاءَ لِيَفْدِيَنى ، فلمّا رآه القوم أعجبهم جَمالهُ ، وحَدَّثهم فأعجبهم حديثُه ، فأطلقونى له بغير فداءٍ .

٥٨٢ ● قال أبومحمَّد : ولمّا استُشهِد زيدُ بن الخطّاب يوم مُسَيْلمةَ ودخل متممٌ على عمر بن الخطّاب فقال له : أنْشِدنى بعضَ ما قلتَ فى أخيك ، فأنشده شعرَه الذى يقول فيه[1] :

وكُنّا كنَدْمانَىْ جَذِيمَةَ حِقْبَةً ... مِنَ الدَّهْرِ حتَّى قِيلَ لَنْ يَتَصَدَّعَا

فَلَمَّا تَفرَّقْنَا كأنّى ومالِكًا ... لِطُولِ اجْتِمَاعٍ لم نَبِتْ لَيْلَةً مَعَا

فقال له عمر : يا متمّمُ ، لو كنتُ أقول الشعرَ لسرَّنى أن أقولَ فى زيد ابن الخطّاب مثلَ ما قلتَ فى أخيك ، قال متمّم : يا أمير المؤمنين ، لو قُتل أخى قتلة أخيك ماقلت فيه شعرًا أبدًا[2] ، فقال عمر : يا متمم ، ما عزانى أحدٌ فى أخى بأحْسَنَ ممّا عزَّيْتَنِى به .

٥٨٣ ● (وهذه القصيدةُ من أحسنِ ما قال ، وفيها يقول[3] :

أَبَى الصَّبْرَ آياتٌ أَرَاها وأنَّنى ... أَرَى كُلَّ حَبْلٍ دُونَ حَبْلِكَ أَقْطَعَا

وأنّى متى ما أَدْعُ بِاسْمِكَ لا تُجِبْ ... وكُنْتَ جَدِيرًا أَنْ تُجِيبَ وتَسْمَعَا

فما شارِفٌ عَيْسَاءُ رِيعتْ فرَجَّعَتْ ... حَنِينًافأبْكَى شَجْوُهَا البَرْكَ أَجْمَعَا

ولا وَجْدُ أَظْآرٍ ثَلاثٍ رَوائِمٍ ... رَأَيْنَ مَجَرًّا من حُوَارٍ ومَصْرَعَا

يُذَكِّرْنَ ذا البَثِّ القَدِيمِ بِدائِهِ ... إِذَا حَنَّتِ الأُولَى سَجَعْنَ لها مَعَا

بأَوْجَدَ مِنِّى يَوْمَ قام لمالِكٍ ... مُنَادٍ فَصِيحٌ بالفِرَاقِ فأَسْمَعَا

---

(١) من المفضلية ٦٧ .

(٢) يريد أن زيد بن الخطاب قتل يوم اليمامة شهيداً ، وأن مالك بن نويرة قتل على الردة ، فهو أشد أسى عليه .

(٣) من المفضلية ٦٧ أيضاً .

٥٨٤ ● وكان لمتمم ابنان : إبرٰهيم وداوود ، وكانا شاعرَيْن خطيبَيْن . ودخل إبرٰهيم على عبد الملك بن مَرْوانَ ، فقال له : إنك لشنَّخْفٌ ، فقال : يا أميرالمؤمنين ، إنى من قوم شِنَّخْفِينَ ، (والشِّنَّخْفُ : الجسيمُ من الرجال)[١] قال : وأراكَ أحمرَ قَرِفًا[٢] ، قال : الحُسْنُ أحمرُ يا أمير المؤمنين .

٥٨٥ ● وممَّا سَبق إليه مالكٌ وأخذه الناسُ منه قولُه :

جَزَيْنَا بَنِى شَيْبَانَ أَمْسِ بِقَرْضِهِمْ   وعُدْنا بِمِثْلِ البَدْءِ ، والعَوْدُ أَحْمَدُ

فقال الناس : العَوْدُ أَحْمَدُ[٣] . وقال بعضُ المُحْدَثين :

وأَحْسَنَ فيما كان بَيْنِى وبَيْنَهُ   فإنْ عاد بالإحْسان فالعَوْدُ أَحْمَدُ

195

٥٨٦ ● وكان صُرَدُ بنُ جَمْرَةَ[٤] الذى شَرب مَنِىَّ عبدِ أبى سُوَاج الضبِّىِّ[٥] عَمِّ مالكٍ ومتمِّم ابنَىْ نُوَيْرَةَ ، وكان صُرَدُ يَخْتَلِفُ إلى امرأةِ أبى سُوَاجٍ ، فقال لها يومًا : أُرِيدُ أن تَقُدِّى لى سَيْرًا مِنَ آسْتِ أبى سُواج ! فقالتْ : أفعلُ ، وعَمَدَتْ إلى نَعْجَة فذبحتها وقَدَّتْ من باطنِ إلْيتها سَيْرًا ودفعته إليه ، فجعله صُرَدُ فى نعله ، وكان يقولُ إذا رأى أبا سُواج :

بِتُّ بِذِى بِلِّيَّانْ[٦]   وفى نَعْلِى شِرَاكانْ
قُدَّا مِنَ آسْتِ إنْسَانْ

---

(١) فى اللسان : « الشنخف : الطويل ، والجمع شنخفون ، ولا يكسر » . وانظر الفائق للزمخشرى ١ : ٣٣٥ فقد نقل هذا الخبر .

(٢) القرف ، بكسر الراء : الشديد الحمرة .

(٣) انظر مجمع الأمثال ١ : ٤٢٠ والبيت هناك .

(٤) القصة مفصلة فى الأغانى ٧ : ١٧٢ – ١٧٣ وأشير إليها فى الاشتقاق ١٢١ .

(٥) أبو سواج : اسمه « عباد بن خلف » وهو فارس « بذوة » ، سابق عليها مالك بن نويرة على فرسه « القطيب » فسبقه « بذوة » فقال أبو سواج فى ذلك شعراً . انظر الخيل لابن الأعرابى ٦١ .

(٦) يريد أنه بات بمكان لا يعرف بعيداً عن أهله ، انظر اللسان ١٨ : ٩٤

فلمَّا أكثر عَلِمَ أبو سُوَاج أنَّه يُعَرِّضُ به ، فطرح ثوبَه وقال لمن حَضَر : أَنشُدُكم بالله ! هل تَرَوْنَ بأْسًا ؟ قالوا : لا ، ثم أمر أبو سواج عبدًا له أن يواقعَ أمةً له (كان) زوَّجه إياها ، وأن يُفْرِغَ من مَنِيِّهِ في عُسٍّ ، ففعل ، فقال لامرأته : والله لَتَسْقِيَنَّهُ صُرَدَ أو لأَقتلنَّكِ ، فبعثَتْ إلى صُرَدَ فأقام عندها ، فلمَّا استسقى حلَبَتْ له على لك المَنِيّ فشربه ، فمات . فتميم تُعَيَّرُ بشرب المنِيّ ، وقد أكثر الشعراءُ في ذلك[1] ، قال الشاعر :

أَتَحْلِفُ لا تَذُوقُ لنا طَعَامًا ... وتَشْرَبُ مَنِي عَبْدِ أَبي سُوَاجِ[2]

شَرِبْتَ رَثِيَّةً فحَبِلْتَ عنها ... فما لك راحَةٌ دُونَ النِّتَاجِ[3]

196 ٥٨٧ ● (ومالكٌ هو القائلُ :

سَأُهْدِي مِدْحَةً لِبَنِي عَدِيٍّ ... أَخُصُّ بها عَدِيَّ بَنِي جَنَابِ

تُراثَ الأَحْوَصِ الخَيْرِ ابنِ عَمْرٍو ... ولا أَعْنِي الأَحاوِصَ من كِلَابِ

أَتَيْنَا حَيَّ خَيْرٍ بنى مَعَدٍّ ... هُمُ أَهْلُ المَرَابِعِ والقِبَابِ

شُرَيْحٌ والفَرَافِصَةُ بنُ عَمْرٍو ... وإِخْوَتُهُ الأَصَاغِرُ لِلرَّبَابِ)[4]

---

(١) لم يذكر الشعر الآتي في الأغاني ، ولكنه قال : « وإياه عنى الأخطل بقوله : * ويشرب قومك العجب العجيبا * » . وفي اللسان ٢٠ : ١٦٣ أن الأخطل قال أيضاً يهجو جريراً :

منى العبد عبد أبي سواج ... أحق من المدامة أن تعيبا

(٢) البيت في اللسان ٢٠ : ١٦٣ أتى به شاهداً على أن « المنى » جاء مخففاً في الشعر ، ونسبة لرشيد بن رميض ، بالتصغير فيهما ، وهو عنزى له رجز في الأغاني ١٤ : ٤٤ والآلى ٧٢٩ وشعر فيه ٧٥٣ ، ٨٦٢ .

(٣) الرثية : تخفيف « الرثيئة » وهي اللبن الحامض يحلب عليه فيختثر . س ه ف « فحبلت منها » .

(٤) الفرافصة ، بفتح الفاء الأولى ، وهو ابن الأحوص بن عمرو من بني عدى بن جناب . وهو أبو نائلة زوج عثمان .

٤٢ ـ خفاف بن ندبة[1]

٥٨٨ ● هو خُفَاف بن عُمَيْر بن الحرْث بن الشَّريد السُّلَمِىُّ . وأُمُّه نَدْبَةُ[2] سوداءُ ، (وإليها يُنْسَبُ) ، وهو من أغربةِ العرب[3] ، وهو ابنُ عمِّ خَنْساء بنت عمرو بن الشريد الشاعرة ،هو القائلُ[4] :

كِلَانَا يُسَوِّدُهُ قَوْمُهُ ... على ذٰلِكَ النَّسَبِ المُظْلِمِ

يعنى السودانَ . ويُكْنَى أبا خُرَاشَة ، وأَسْلَمَ وبقَىَ إلى زمن عمر ، وله يقول عبّاسُ بنِ مِرْدَاسٍ السُّلَمىُّ ، وكان يُهاجِيه :

أَبَا خرَاشَةَ إِمَّا كُنْتَ ذَا نَفَرٍ ... فإنَّ قَوْمِىَ لم تأْكُلْهُمُ الضَّبُعُ[5]

٥٨٩ ● وخُفَافٌ هو قاتل مالك بن حِمَار ، سيِّد بنى شَمْخٍ بن فَزَارَةَ ، وفى ذلك يقول[6] :

إِنْ تَكُ خَيْلِى قد أُصِيبَ صَمِيمُهَا ... فعَمْدًا على عَيْنِى تَيَمَّمْتُ مَالِكَا

---

(١) ترجمته فى كتب الصحابة ، والأغانى ١٦ : ١٣٤ — ١٣٩ والاشتقاق ١٧٢ ، ١٨٨ والخزانة ٢ : ٤٧٠ — ٤٧٥ . وفى اللآلى ٣٩ أنه أتاه الشعر من قبل خاله تأبط شراً . ولم أجد ما يؤيد أن ندبه أخت تأبط شرا ، وأظنه قولا شاذاً .

(٢) ندبه : بفتح النون وضمها .

(٣) انظر ما مضى ٢٥١ وما سيأتى ٢١٤ ل .

(٤) البيت فى الخزانة ٢ : ٤٧٣ .

(٥) البيت شاهد معروف ، و «إما» رويت بفتح الهمزة وبكسرها . وانظر كلام الخزانة فيه ٢ : ٨٠ — ٨٢ . الضبع : السنة المجدبة . والبيت فى الاشتقاق ١٩٠ واللسان ١٠ : ٨٦ وذكر فيه ٨ : ١٨٣ غير منسوب وذكر بعده بيتان . وستأتى أخبار عن المهاجاة بين خفاف والعباس فى ترجمة العباس ٤٦٧ ، ٤٦٩ ل .

(٦) هما من أبيات فى الأغانى والخزانة وغيرها ، وهما مع ثالث فى الكامل ٩٦٣ ، ١٢٢١ ، والبيت الأول فى اللسان ٤ : ٢٩٥ والثانى فى الاشتقاق ١٨٨ .

أَقُولُ له والرُّمْحُ يَأْطِرُ مَتْنَهُ : تَأَمَّلْ خُفَافًا إِنَّنِى أَنَا ذٰلِكَا[١]

١97 ٥٩٠ ● وشهد خُفَافٌ مع النبىّ صلى الله عليه وسلم فتحَ مكّةَ ومعه لواءُ بنى سُلَيم . (ومما يُسْأَلُ عنه من شعرٍ قولُه :

فلم يَكُ طِبُّهُمْ جُبْنًا ولٰكِنْ رَمَيْنَاهُمْ بثالِثَةِ الأَثَافِى)[٢]

---

(١) يأطر : يثنى ويعطف . متنه : المتنان مكتنفاً الصلب من العصب واللحم . والمراد أن الرمح يعطف ظهر مالك ويثنيه من قوته .

(٢) الطب : الطوية والشهوة والإرادة ، أو العادة والشأن ، يقال « ما ذاك بطبى » أى بدهر وعادتى وشأنى . الأثافى : جمع أثفية ، بتشديد الياء ، وقد تخفف فى الجمع ، والأثفية هى الحجارة التى تنصب وتجعل القدر عليها ، وفى أمثالهم « رماه الله بثالثة الأثافى » يعنى الجبل ، لأنه يجعل صخرتان إلى جانبه وينصب عليه عليه وعليهما القدر ، فعناه رماه الله بما لا يقوم له . وفى الخزانة ٢ : ١٢٢ : « يقول : كانوا شجعاناً ليس فيهم جبن ، ولكن رميناهم بداهية عظيمة مثل الجبل » والبيت فيها بروايتين ، ورواه اللسان ١٨ : ١٢٣ برواية مخالفة جداً . وضبطت « طبهم » فى ل بفتح الطاء ، و « جبن » بالرفع ، وهو خطأ .

٤٣ ـ خنساء بنت عمرو[1]

٥٩١ ● هى تُمَاضِرُ بنتُ عمرو بن الشَّرِيد ، وكان دُرَيدُ بن الصِّمَّةِ خَطبها ، وذلك أنَّه رآها تَهْنَأُ إبلاً لها[2] فهَوِيَها ، فردَّتْه وقالت : أتُرانى تاركةً بَنى عمِّى كأنَّهم عَوالِى الرِّماحِ ، ومُرْتَثَّةً شيخَ بنى جُشَم[3] ؟ ! ففى ذلك يقول دُرَيد[4] :

حَيُّوا تُمَاضِرَ وارْبَعُوا صَحْبِى ... وقِفُوا فإنَّ وُقُوفَكُمْ حَسْبِى

أَخُنَاسُ قد هامَ الفُؤَادُ بِكُمْ ... وأَصابَهُ تَبْلٌ مِنَ الحُبِّ[5]

ما إنْ رَأَيْتُ ولا سَمِعْتُ به ... كالْيَوم ِ هانِئَ أَيْنُقٍ جُرْبِ

مُتَبَذِّلاً تَبْدُو مَحَاسِنُهُ ... يَضَعُ الهِنَاءَ مَوَاضِعَ النُّقْبِ[6]

---

(١) ترجمتها مفصلة فى أول ديوانها طبعة الآباء اليسوعيين ١٨٩٦ وكتب الصحابة والأغانى ١٣ : ١٢٩ — ١٤٠ والخزانة ١ : ٢٠٧ — ٢١١ .

(٢) تهنأ إبلا : تطليها بالهناء ، بكسر الهاء ، وهو ضرب من القطران .

(٣) مرتثة : من « الرث » وهو الخلق الخسيس البالى من كل شىء ، تقول : ثوب رث ، وتقول : ارتثوا رثة القوم ، أى جمعوها أو اشتروها ، والرثة بكسر الراء كالرث ، وتطلق أيضاً على خشارة الناس وضعفائهم ، شبهوا بالمتاع الردىء . قال فى اللسان : « أرادت أنه مذ أسن وقرب من الموت وضعف فهو بمنزلة من حمل من المعركة وقد أثبتته الجراح » فجعله من قولهم « ارتث فلان » بالبناء للمفعول ، فهو « مرتث » وهو الصريع الذى يثخن فى الحرب ويحمل حيا ثم يموت ، وهو معنى لا بأس به ، والأول أجود وأقوى . وستأتى ترجمة دريد ٤٧٠ — ٤٧٣ ل .

(٤) الأبيات فى الأغانى ٩ : ١٠ و ١٣ : ١٣٠ .

(٥) تبله الحب وأتبله : أسقمه وأفسده ، أو ذهب بعقله .

(٦) النقب ، بضم النون : القطع المتفرقة من الجرب ، الواحدة نقبة ، وقيل : هى أول ما يبدأ من الجرب . والبيت فى اللسان ٢ : ٢٦٣ .

فخَطبها رَوَاحَةُ بن عبد العُزَّى السُّلَمِىُّ ، فولدتْ له عبدَ الله ، وهو أبو شَجَرَة[1] ، ثم خلف عليها مِرْدَاس بنُ أبى عامر السُّلَمىُّ ، فولدت له زَيْدًا ومعاوية وعمْرًا .

٥٩٢ ● وهى جاهلِيَّة ، كانت تقول الشعر فى زمن النابغة الذُّبيانىّ ، وكان النابغةُ تُضْرَبُ له قبَّةٌ حمراءُ من أدَم بسوقِ عُكَاظ ، وتأتيه الشعراءُ فتَعرِضُ عليه أشعارَها ، فأنشدَه الأعشى أبو بَصير ، ثم أنشده حسَّانُ بن ثابت ، ثم الشعراءُ ، ثم جاءت الخنساءُ السُّلَمِيَّةُ فأنشدته ، فقال لها النابغةُ : والله لولا أنَّ أبا بصير أنشدنى (آنفًا) لقلتُ إنَّك أشعرُ الجنِّ والإنس ، فقال حسَّانُ : والله لأنا أشعرُ منكَ ومن أبيكَ ومن جدِّكَ ! فقَبض النابغةُ على يده ، ثم قال : يَابْنَ أخى ، إنكَ لا تُحْسِنُ أن تقولَ مثلَ قولى :

فإنَّكَ كاللَّيْلِ الَّذِى هو مُدْرِكِى ... وإنْ خِلْتُ أنَّ المُنْتَأَى عَنْكَ واسِعُ[2]

ثم قال للخَنْساء : أنشديه ، فأنْشدته ، فقال : والله ما رأيتُ ذاتَ مثانة أشعرَ منكِ[3] ! فقالت له الخنساءُ : والله ولاذا خُصْيَيْنِ ! !

٥٩٣ ● وكان أخوها صَخْرُ بن عمرو شريفًا فى بنى سُلَيم ، وخرج فى غَزَاة فقاتل فيها قتالا شديدًا ، وأصابه جُرْح رَغِيبٌ[4] ، فمرض (من ذلك) فطال مرضُه ، وعاده قومُه ، فكانوا إذَا سألوا امرأتَه سَلْمَى عنه قالت : لا هو

---

(١) سماه الحافظ فى الإصابة ٥ : ٥ « عمرو بن عبد العزى بن عبد الله بن رواحة » وذكره فى الكنى أيضاً ٧ : ٩٧ – ٩٨ ونقل خلافاً فى اسمه . وله خبر وشعر حين ارتد عن الإسلام ، فى الطبرى ٣ : ٢٣٥ – ٢٣٦ وقال : « ثم إن أبا شجرة أسلم ودخل فيما دخل فيه الناس » ثم ذكر قصه له مع عمر . وانظر الكامل ٣٤١ – ٣٤٣ .

(٢) مضى البيت ١١٠ ، ١٢٣ .

(٣) أراد بالمثانة هنا : موضع الولد من الأنثى ، وهو أحد معانيها ، بل هو الصحيح عند بعضهم .

(٤) الرغيب : الواسع .

حيٌّ فيُرْجَى ، ولا ميِّتٌ فيُنْسَى ، وصخرٌ يسمعُ كلامَها ، فشقَّ عليه ، وإذا قالوا لأُمّه : كيف صَخْرٌ اليومَ ؟ قالت أصبحَ صالحًا بنعمة الله ، فلمّا أفاق من عِلّته بعضَ الإفاقة ،عَمَدَ إلى امرأته سَلْمَى فعلَّقها بعمود الفُسطاطِ حتّى ماتتْ ، وقال (غيرُه : بل قال : ناولوني سيفي لأنظرَ كيفَ قوّتي وأراد قتلَها ، وناوَلُوه فلم يُطِقِ السيفَ ، ففي ذلك يقول : * أَهُمُّ بأَمْرِ الحَزْمِ * البيت . وأوّلُ الشعرِ)[1] :

199

أَرَى أُمَّ صَخْرٍ ما تَمَلُّ عِيَادتي ... ومَلّتْ سُلَيْمَى مَضْجَعِي ومَكانِي

وما كُنْتُ أَخْشَى أَن أَكُونَ جِنَازَةً ... عليكِ ، ومَنْ يَغْتَرُّ بالحَدَثَانِ[2]

فأَيُّ امْرِئٍ ساوَى بأُمٍّ حَلِيلَةً ... فلا عاشَ إلّا في أَذًى وهَوَانِ[3]

أَهُمُّ بأَمْرِ الحَزْمِ لو أَسْتَطِيعُهُ ... وقد حِيلَ بَيْنَ العَيْرِ والنَّزَوَانِ[4]

لَعَمْرِي لَقَدْ أَنْبَهْتِ مَنْ كان نائمًا ... وأَسْمَعْتِ مَنْ كانَتْ له أُذُنَانِ

ولَلْمَوْتُ خَيْرٌ من حَيَاةٍ كأَنَّها ... مَحِلَّةُ يَعْسُوبٍ برأْسِ سِنَانِ[5]

ثم نُكِسَ بعد ذلك من طعنته فمات ، فكانتْ أختُه خنساء تَرثيه ، (ولم تَزَلْ تَبكيه حتّى عَمِيَتْ) .

٥٩٤ ● ودخلت خنساءُ على أُمّ المؤمنين عائشةَ ، وعليها صِدَارٌ[6] لها من شَعْر

---

(١) من الأصمعية ٤٧ وليس فيها البيت الأخير ، وفيها بيتان آخران ، والأبيات في الخزانة ١ : ٢٠٩ .

(٢) الجنازة ، بكسر الجيم ، وفتحها غير فصيح ، وهي السرير الذي يحمل عليه الميت ، وإذا ثقل على القوم أمر أو اغتموا به فهو جنازة عليهم . والبيت في اللسان ٧ : ١٨٩ .

(٣) أذى : رسمت في ل « أذا » بالألف .

(٤) العير : الحمار . النزوان : الوثب . وفي اللسان أن هذا المثل أول من قاله صخر . والبيت فيه ٢٠ : ١٩١ .

(٥) اليعسوب : أمير النحل وذكرها ، ثم كثر ذلك حتى سموا كل رئيس يعسوباً . والبيت في اللسان غير منسوب ٢ : ٩٠ باختلاف في صدره ، وقال : « معناه أن الرئيس إذا قتل جعل رأسه على سنان ، يعني أن العيش إذا كان هكذا فهو الموت » .

(٦) الصدار ، بكسر الصاد : ثوب رأسه كالمقنعة ، وأسفله يغشى الصدر والمنكبين ، تلبسه المرأة ، وكانت المرأة الثكلى إذا فقدت حميمها فأحدت عليه لبست صداراً من صوف . قاله في اللسان .

فقالت لها عائشة رضى الله عنها : يا خَنْساءُ إنَّ هذا لقبيحٌ ، قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فما لَبِسْتُ هذا[١] ، قالت : إنَّ له قصَّةً ، قالت : فأخبريني ، قالت : زوَّجني أبي رجلا ، وكان سيِّدًا معطاءً ، فذهب مالُه ، فقال لي[٢] : إلى مَنْ يا خنساءُ ؟ قلتُ : إلى أخي صخرٍ ، فأتيناه ، فقَسَم مالَه شطرين ، فأعطانا خيرَهما ، فجعل زوجي أيضًا يُعطي ويَحْمِلُ ، حتّى نَفِدَ مالُه ، فقال : إلى مَن ؟ فقلت : إلى أخي صَخْرٍ ، (فأتيناه) ، فقَسَم ماله شطرَيْن ، فأعطانا خيرهما ، فقالت امرأتُه : أمَا تَرْضَى أن تعطيهَا النصف حتّى تعطيَها أفضلَ النَّصِيبَيْن ؟ ! فأنشأ يقول[٣] :

200

والله لا أَمْنَحُها شِرارَهَا ... ولو هَلَكْتُ مَزَّقَتْ خِمَارَهَا

وجَعَلَتْ من شَعَرٍ صِدَارَهَا

فذلك الذي دعاني إلى أن لَبِسْتُ هذا حين هَلَك[٤] .

٥٩٥ ● وكانت تقف بالمَوْسِمِ فتَسَوَّمُ هَوْدَجَهَا بِسُومَةٍ[٥] ، وتُعَاظِمُ العربَ بمصيبتها بأبيها عَمرو بن الشَّريد وأخَوَيْها صخرٍ ومعاوية ابْنَيْ[٦] عمرو ، وتُنشدهم فتُبكي الناسَ .

---

(١) س ف « فقالت لها : ما هذا ؟ فوالله لقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ألبس عليه صداراً » .

(٢) س ف « زوجني أبي سيداً من سادات قومي متلافاً معطاء ، فأنفد ماله وقال لي » .

(٣) س ف « فقلت : إلى أخي صخر ، فقاسمنا ماله ، وأعطانا خير النصفين ، فأقبل زوجي يعطي ويهب ويحمل ، حتى أنفده ، ثم قال : إلى أين يا خنساء ؟ قلت : إلى أخي صخر ، فأتيناه ، وقاسمنا ماله ، وأعطانا خير النصفين ، إلى الثالثة ، فقالت له امرأته : أما ترضى أن تقاسمهم مالك حتى تعطيهم خير النصفين ؟ ! فقال » .

(٤) أشار الحافظ إلى هذه القصة في الإصابة ٨ : ٦٧ — ٦٨ : بصيغة التمريض بقوله يقال الخ ، فيظهر أنه لم يجد لها تخريجاً برواية لها إسناد .

(٥) السومة : العلامة ، كالسيمة والسيماء والسيمياء ، وسوم الفرس : جعل عليه السيمة ، ومنه الخيل المسومة .

(٦) في ل « بن » والظاهر أنه خطأ ، وما أثبتنا أجود وأصح .

٥٩٦ ● وكان أبوها يأخذ بيدَى ابنَيْه صخرٍ ومعاوية ويقول : أنا أبو خَيْرَىْ مُضَر ، فتعترفُ له العربُ بذلك . ثم قالت الخنساءُ بعد ذلك : كنتُ أبكِي لصخرٍ من القتلِ ، فأنا أبكِي له اليومَ من النار .

٥٩٧ ● وممّا سَبقَتْ إليه قولُها[1] :

أَشَمُّ أَبْلَجُ تَأْتَمُّ الهُدَاةُ به كأَنَّهُ عَلَمٌ فى رأسِه نَارُ 201

(وفيها تقول :

مِثْلَ الرُّدَيْنِىّ لم تَكْبَرْ شَبِيبَتُهُ كأَنَّه تحتَ طَىِّ الثَّوْب إُسْوَارُ[2]

لم تَرَهُ جارَةٌ يَمْشِى بساحَتِها لرِيبَةٍ حِينَ يُخْلِى بَيْتَه الجارُ

فما عَجُولٌ لَدَىٰ بَوٍّ تُطِيفُ به قد ساعَدَتْها على التَّحْنانِ أَظْآرُ[3]

أَوْدَىٰ به الدَّهْرُ عنها فَهْىَ مُرْزِمَةٌ لها حَنِينَانِ إِصْغارٌ وإِكْبَارُ[4]

تَرْتَعُ ما غَفَلَتْ حتَّى إذا ذَكَرَتْ فإنما هِىَ إِقْبالٌ وإِدْبارُ[5]

يَوْمًا بأَوْجَعَ منى يومَ فارَقَنِى صَخْرٌ ، وللدَّهْرِ إِحْلاءٌ وإِمْرارُ)

---

(١) من قصيدة مشهورة ، فى الديوان ٧٣ — ٨٥ .

(٢) الأسوار ، بضم الهمزة وكسرها : لغة فى السوار . أخبرت أنه لطيف كأنه أسوار ، أى قليل اللحم كأنه أسوار من ذهب أو فضة فى حسنه وضمره .

(٣) العجول من النساء والإبل : الواله التى فقدت ولدها الثكلى ، لعجلتها فى جيئتها وذهابها جزعاً . والبيت فى الديوان يعجز الذى بعده ، وفى اللسان ١٣ : ٤٥٤ بنحوه .

(٤) مرزمة : من الإرزام ، وهو ضرب من حنين الناقة على ولدها حين ترأمه ، بصوت تخرجه من حلقها لا تفتح به فاها .

(٥) أخبرت أنها قلقة تقبل وتدبر من شدة ما بها ، إذا ذكرت فقد ولدها . والبيت فى اللسان ١٩ : ١٣٥ .

٤٤ ـ المساور بن هند[١]

٥٩٨ ● (وكنيتهُ أبو الصَّمْعَاء). هو المُسَاوِرُ بن هند بن قيس بن زُهَير بن جَذِيمةَ العَبْسى. وقيسُ بن زهيرٍ جدُّ المُسَاوِرِ هو صاحبُ الحرب بين عبس وفَزَارةَ، وهى حربُ دَاحِسٍ والغَبْراءِ[٢]. وكان المُسَاوِرُ يُهاجِي المَرَّارَ الفَقْعَسِي[٣] ويهجو بنى أسدٍ، قال الشاعر[٤]:

شَقِيَت بَنُو أَسَدٍ بِشِعْرِ مُسَاوِرٍ ... إنَّ الشَّقِيَّ بكُلِّ حَبْلٍ يُخْنَقُ

٥٩٩ ● وهو القائلُ للمَرَّارِ[٥]:

ما سَرَّنى أنَّ أُمى من بنى أَسَدٍ ... وأنَّ ربىَ يُنْجِينِى مِنَ النارِ

وأنَّهم زَوَّجُونِى من بَنَاتِهِمُ ... وأنَّ لِى كلَّ يَوْمٍ أَلْفَ دِينارِ

202 فقال له المَرَّارُ:

لَسْتَ إلى الأُمِّ من عبْسٍ ومن أَسَدٍ ... وإنما أَنْتَ دِينَارُ بن دِينَارِ

---

(١) ترجمته فى الإصابة ٦ : ١٧١ - ١٧٢ والخزانة ٤ : ٥٧٣ - ٥٧٤ وله شعر فى الإصابة والتبريزى على الحماسة ١ : ٣١٣ . وهو شاعر فارس إسلامى شريف، مخضرم أدرك النبى ولم يجتمع به . وفى الإصابة : « ذكر الأصمعى ما يدل على أن له إدراكا ، فحكى عن أبى طفيلة، قال : وكان نحو أبى عمرو بن العلاء فى السن ، قال : حدثنى من رأى مساور بن هند أنه ولد فى حرب داحس ، قبل الإسلام بخمسين عاماً » . وهذه العبارة نقلها صاحب الخزانة عن الإصابة فأخطأ النقل ، جعلها عن أبى عمرو بن العلاء نفسه . وفى الإصابة عن المرزبانى : « كان أعور ، وهو من المتقدمين فى الإسلام ، وهو وأبوه وجده أشراف من بنى عبس ، شعراء فرسان » .

(٢) سبقت الإشارة إلى هذه الحرب ٢٥٢ .

(٣) هو المرار بن سعيد الفقعسى ، ستأتى ترجمته ٤٤٠ - ٤٤١ ل .

(٤) البيت فى الخزانة أيضاً غير منسوب ، ونسبه فى الأغانى ٩ : ١٥١ - ١٥٢ للمرار .

(٥) البيتان فى الأغانى ٩ : ١٥٢ وهما وبيتا المرار الآتيان فى عيون الأخبار ٤ : ١٣ والخزانة .

وإنْ تَكُنْ أَنْتَ من عَبْسٍ وأُمِّهِمِ ... فَأُمُّ عَبْسِكُمُ من جارَةِ الجَارِ[1]

٦٠٠ ● وقال له الحجَّاجُ : لِمَ تقولُ الشعرَ بعد الكِبَرِ ؟ قال : أُسْقَى به الماءَ ، وأُرْعَى به الكلأ ، وتُقْضَى لى به الحاجةُ ، فإنْ كَفَيْتَنِى ذلك تَركتُه. وعُمِّرَ طويلا[2].

٦٠١ ● وهو القائلُ :

بَلِيتُ وعِلْمِى فى البِلادِ مَكانَهُ ... وأفنَى شَبَابِى الدَّهْرُ وهْوَ جَدِيدُ

وأدْرَكَنى يومٌ إذَا قُلْتُ : قد مَضَى ... يَعُودُ لَنا أو مِثْلُهُ فَيَعُودُ

وأصْبَحْتُ مِثْلَ السَّيْفِ أَخْلَقَ جَفْنَهُ ... تَقَادُمُ عَهْدِ القَيْنِ وهْوَ جَدِيدُ

أَلَمْ تَعْلَمُوا يا عَبْسُ لو تَشْكُرُونَنى ... إذَا ٱلْتَفَّتِ الذُّوَّادُ كَيْفَ أَذُودُ[3]

أَلَمْ تَعلَمُوا أَنِّى ضَحُوكٌ إليكمُ ... وعِنْدَ شَدِيدَاتِ الأُمُورِ شَدِيدُ

وهَلَكَ المُسَاوِرُ بعُمَانَ.

---

(١) قال المؤلف فى عيون الأخبار ٤ : ١٣ : «دينار بن دينار : عبد بن عبد . وجارة الجار : الاست ، والجار : الفرج» . وتفسير الدينار بهذا لم يذكر فى المعاجم ، وهو مجاز فيما يظهر .

(٢) فى الخزانة : «وهو من المعمرين ، ولم يذكره أبو حاتم السجستانى فى المعمرين» .

(٣) ب د «إذا التقت الذواد» .

٤٥ ـ ضابئُ بن الحرث البرجي(١)

٦٠٢ ● هو ضَابئُ بنُ الحرْث بن أَرْطَاةَ ، من بنى غَالب بن حنظلةَ ، ن البَرَاجِمِ . وكان استعارَ كلبًا من بعضِ بنى جَرْوَلِ بن نَهْشَلٍ ، فطال مكثُه عنده ، فطلبوه فامتَنَعَ عليهم ، فعَرَضوا له فأَخذوه منه ، فَغَضِب ورَمَى أُمَّهم بالكَلْبِ ، واسمُ الكلب قُرْحَانُ ، فقال(٢) :

203

تَجَشَّمَ دُونى وَفْدُ قُرْحانَ شُقَّةً ... تَظَلُّ بها الوَجْناءُ وهْىَ حَسِيرُ

فأَرْدَفْتُهُمْ كَلْبًا فراحُوا كأَنما ... حَبَاهُمْ بتاجِ الهُرْمُزَانِ أَمِيرُ

وقَلَّدْتُهُمْ ما لو رَمَيتُ مُتَالِعًا ... به ، وهو مُغْبَرٌّ ، لكادَ يَطِيرُ(٣)

فيا راكِبًا إمَّا عَرَضْتَ فبَلِّغَنْ ... ثُمَامَةَ عَنِّى ، والأُمُورُ تَدُورُ(٤)

فأُمَّكُمْ لا تَتْرُكُوها وكَلْبَكُمْ ... فإنَّ عُقُوقَ الوالِدَاتِ كبيرُ

فإنَّكَ كَلْبٌ قد ضَرِيتَ بما تَرَى ... سَمِيعٌ بما فَوْقَ الفِرَاشِ خَبِيرُ

إذا عَثَّنَتْ من آخِرِ اللَّيْلِ دُخْنَةً ... يَبِيتُ لها فَوْقَ الفِرَاشِ هَرِيرُ(٥)

فاستَعْدَوْا عليه عثمانَ بن عفَّانَ ، فحبَسه ، (وقال : والله لو أَنَّ

---

(١) ترجمته فى المخضرمين من الإصابة ٣ : ٢٧٦ والخزانة ٤ : ٨٠ – ٨١ ومعاهد التنصيص ٨٨ – ٩٠ والاشتقاق ١٣٤ .

(٢) أشار الطبرى أيضاً إلى القصة فى تاريخه ٥ : ١٣٧ – ١٣٨ وذكر من القصيدة ٣ أبيات . وانظر الكامل ٣٤٠ – ٣٤١ .

(٣) متالع : جبل بنجد .

(٤) فيا راكباً : بالتنوين على النداء ، وكان الأصمعى ينشده بلا تنوين ، قال أبو عبيدة : « أراد فياراكباه ، للندبة ، فحذف الهاء » . عرضت : أتيت العروض ، بفتح العين ، وهى مكة والمدينة وما حولهما ، وقيل واليمن أيضاً . وهذا الصدر * فياراكبا إما عرضت فبلغن * تداوله الشعراء ، فهو صدر بيت لعبد يغوث بن وقاص الحارثى فى المفضلية ٣٠ ولمالك بن الريب التميمى فى الخزانة ١ : ٣١٣ ولدريد بن الصمة فى الأصمعية ٢٩ ولكعب بن زهير فى الخزانة ٤ : ١٥١ ولمخارق بن شهاب فى الحيوان ٦ : ٣٦٩ ، فصار كالمثل ، وأقدمهم فيها نعلم عبد يغوث . وانظر صدور أبيات أخرى أشرنا إليها فى مقدمة المفضلية ٣٠ لعبد يغوث .

(٥) عثنت : دخنت ، يقال للرجل إذا استوقد بحطب ردىء ذى دخان « لا تعثن علينا » .

رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حيٌّ لأَحْسِبَنَّه نَزَلَ فيك قرآنٌ ، وما رأيتُ أحدًا رمىٰ قومًا بكلبٍ قَبْلَك . ومثلُ هذا قول زُهَيرٍ ، ورمى قومًا بفحلِ إبلٍ حَبَسُوه عليه ، فقال[1] :

وَلَوْلا عَسْبُهُ لَرَدَدْتُمُوهُ ... وشَرٌّ مَنِيحَةٍ أَيْرٌ مُعَارُ[2]
إذا طَمَحَتْ نِسَاؤُكُمُ إليه ... أَشَظَّ كأنَّه مَسَدٌ مُغَارُ[3]

٦٠٣ ● وكان أراد أن يَفْتِكَ بعثمانَ بن عفّان ، فقال في الحبس :

هَمَمْتُ ولم أَفْعَلْ وكِدْتُ وليتَنِي ... تَرَكْتُ على عثمانَ تَبْكِي حَلَائِلُهْ[4]

٦٠٤ ● ولم يَزَلْ في حبس عثمانَ إلى أنْ مات .

ومن شعره في الحبس (قولُه)[5] :

وَمَنْ يَكُ أَمْسَىٰ بالمَدينةِ رَحْلُهُ ... فإنِّي وقَيَّارًا بها لَغَرِيبُ[6] 204
وما عاجِلاتُ الطَّيْرِ تُدْنِي من الفَتَىٰ ... رَشَادًا ، ولا عن رَيْثِهِنَّ يَخِيبُ[7]
ورُبَّ أُمورٍ لا تَضِيرُكَ ضَيْرَةً ... ولِلْقَلْبِ من مَخْشَاتِهِنَّ وَجِيبُ[8]

---

(١) هكذا قال ابن قتيبة هنا ، وهو وهم . فالذى فى ديوان زهير ٣٠٠ — ٣٠١ أنه قال ذلك فى راعى إبل له يقال له يسار ، أخذه الحرث بن ورقاء الصيداوى ، وفى اللسان ٢ : ٨٧ — ٨٨ « فى عبد له يدعى يساراً أسره قوم فهجاهم » .

(٢) عسبه : نكاحه . وأصل « العسب » طرق الفحل ، أى ضرابه ، وقد يستعار للناس . ومن ذا وهم ابن قتيبة ، لم يتأوله على الاستعارة . منيحة : عارية . والبيت فى اللسان ٢ : ٨٨ .

(٣) فى الديوان « إذا جمحت » وفى اللسان ٩ : ٣٢٥ « جنحت » . أشظ : أنعظ أى قام . المسد : الحبل . المغار : المفتول ، أغرت الحبل : فتلته .

(٤) من أبيات فى الطبرى والكامل وغيرهما ، وهو فى اللسان ٦ : ٤٣٩ .

(٥) هى الأصمعية ٦٤ إلا بيتاً واحداً ، والأبيات فى اللسان ٦ : ٤٣٨ والعينى ٢ : ٣١٨ — ٣٢١ وشواهد المغنى ٢٩٣ — ٢٩٤ . والخزانة ٤ : ٣٢٣ — ٣٢٨ . والأربعة الأول فى الكامل ٢٧٦ — ٢٧٩ وكلهم شرحها .

(٦) قيار : اسم فرسه ، وقيل : جمله . وقد روى « قيار » منصوباً ومرفوعاً ، وتوجيه ذلك فى الكامل ٢٧٦ واللسان والخزانة وغيرها . والبيت فى الخزانة أيضاً ٤ : ٨١ .

(٧) الريث : الإبطاء ، يقول : ليس النجح فى أن تعجل الطير ، وليس الخيبة فى إبطائها . وذلك فيما كانوا يصنعون من التطير بزجر الطير .

(٨) المخشاة : مصدر ميمى كالخشية ، بمعنى الخوف . الوجيب : السقوط .

ولا خَيْرَ فيمَنْ لا يُوَطِّنُ نفْسَهُ　　على نائِباتِ الدَّهْرِ حينَ تَنُوبُ[1]
وفى الشَّكِّ تَفْرِيطٌ ، وفى الجَزْمِ قُوَّةٌ　　ويُخْطِئُ فى الحَدْسِ الفَتَى ويُصِيبُ
ولَسْتَ بِمُسْتَبْقٍ صَدِيقًا ولا أخًا　　إذا لم تُفِدْهُ الشىءَ وهْوَ قَرِيبُ

٦٠٥ ● ولما قُتل عثمانُ رضى الله عنه جاءَ عُمَيرُ بن ضابِئٍ فرَفَسَه برجله ، فلما كان زَمَنَ الحجَّاج وعَرَضَ أهلَ الكوفة ليوجِّههم مَدَدًا للمهلَّب، عَرَضَه فيهم ، وهو شيخٌ كبيرٌ ، فقال له : اقْبَلْ مِنِّى بَدِيلا ، قال : نعم ، فقال عَنْبَسَةُ بن سعيد : هذا الذى رَفَس عثمانَ وهو مقتول ، فَرَدَّه فقتلَه . وفى ذلك يقولُ الشاعر[2] :

تَخَيَّرْ فإمَّا أنْ تَزُورَ ابنَ ضابِئٍ　　عُمَيْرًا وإمَّا أن تَزُورَ المُهَلَّبا
هُما خُطَّتَا خَسْفٍ نَجاؤُكَ منهما　　رُكُوبُكَ حَوْلِيًّا مِنَ الثَّلْجِ أشْهَبَا

205 ٦٠٦ ● وأخو ضابِئٍ مُعَرِّضُ بنُ الحرث .

وممَّا سَبَقَ إليه ضابِئٌ فأُخذ منه قولُه فى الثور :

يُساقِطُ عَنْهُ رَوْقُه ضارِيَاتِها　　سِقَاطَ حَدِيدِ القَيْنِ أخْوَلَ أخْوَلَا[3]

أخذه الكُمَيْتُ فقال :

يُساقِطُهُنَّ سِقَاطَ الحَدِيـ　　ـدِ يَتْبَعُ أخْوَلَهُ الأخْوَلُ

(يقال : تَسَاقَطَتِ النارُ أخْوَلَ أخْوَلَ ، أى قِطَعًا قِطَعًا) .

---

(١) البيت فى أمالى الشريف المرتضى ١ : ١٤٠ منسوباً لإسماعيل بن القاسم ، وهو خطأ .

(٢) هو عبد الله بن الزبير – بفتح الزاى – الأسدى ، أسد خزيمة ، والبيتان ومعهما ثالث فى الكامل مع القصة ٣٣٥ – ٣٣٦ .

(٣) روقه : الروق : القرن ، والضمير للثور الوحشى . ضارياتها : ضاريات الكلاب . القين : الحداد . أخول أخول : أى متفرقاً ، وهما اسمان جعلا اسماً واحداً وبنيا على الفتح . والبيت فى اللسان ١٣ : ٢٤٠ .

٤٦ ـ مالك بن الريب [١]

٦٠٧ ● هو من مازنِ تميمٍ . وكان فاتِكًا لِصًّا ، يُصيب الطريقَ مع[٢] شِظَاظٍ الضبِّيّ الذى يُضْرَبُ به المثلُ ، فيقال « أَلَصُّ من شِظَاظٍ »[٣] ، ومالكٌ الذى يقول :

سَيُغْنِينِى المَلِيكُ ونَصْلُ سَيْفِى وكَرَّاتُ الكُمَيْتِ على التِّجَارِ

٦٠٨ ● وحُبس بمكة فى سرقةٍ ، فشَفَع فيه شَمَّاسُ بن عُقْبَةَ المازِنىُّ ، فاستنقذَه وهو القائلُ فى الحبس :

أَتَلْحَقُ بالرَّيْبِ الرِّفَاقُ ومالِكٌ بمَكَّةَ فى سِجْنٍ يُعَنِّيه راقِبُهْ[٤]

ثم لَحِقَ بسعيد بن عثمانَ بنِ عفّان ، فغزَا معه خراسانَ ، فلم يَزَلْ بها حتى مات .

٦٠٩ ● ولما حضرتْهُ الوفاةُ قال [٥] :

---

(١) ترجمته فى الأغانى ١٩ : ١٦٢ – ١٦٩ والخزانة ١ : ٣١٧ – ٣٢١ وشواهد المغنى ٢١٥ – ٢١٦ واللآلى ٤١٨ – ٤١٩ وذيله ٦٤ . و « الريب » بفتح الراء وسكون الياء .

(٢) س ف « يقطع الطريق » وهو يوافق نص الخزانة .

(٣) خبره فى الأغانى فى ترجمة مالك بن الريب ، وانظر الأمثال ١ : ٣٠٥ .

(٤) يعنيه : يحبسه حبساً طويلا .

(٥) هى قصيدة من نفيس الشعر ، رثى بها نفسه . وهى فى ذيل الأمالى ٣ : ١٣٥ – ١٤١ =

أَلَا لَيْتَ شِعْرِى هل أَبِيتَنَّ لَيْلَةً ... بِجَنْبِ الغَضَا أُزْجِى القِلَاصَ النَّوَاجِيا[١]

206 فلَيْتَ الغَضَا لم يَقْطَعِ الرَّكْبُ عُرْضَهُ ... ولَيْتَ الغَضَا مَاشَى الرِّكابَ لَيَالِيَا

أَلَمْ تَرَنِى بِعْتُ الضَّلَالَةَ بالهُدَى ... وأَصْبَحْتُ فى جَيْشِ ابنِ عَفَّانَ غازِيَا

لَعَمْرِى لَئِنْ غالَتْ خُرَاسَانُ هَامَتِى ... لَقَدْ كُنْتُ عَنْ بَابَىْ خُرَاسَانَ نائِيَا

فيَا صَاحِبَىْ رَحْلِى دَنَا المَوْتُ فَاحْفِرَا ... برابِيَةٍ ، إنى مُقِيمٌ لَيَالِيَا

وخُطَّا بِأَطْرَافِ الأَسِنَّةِ مَضْجَعِى ... ورُدَّا على عَيْنَىَّ فَضْلَ رِدَائِيَا

ولا تَحْسُدَانِى ، بارَكَ اللهُ فِيكُمَا ، ... مِنَ الأَرْضِ ذاتَ العَرْضِ ، أَنْ تُوسِعَا لِيَا

تَذَكَّرْتُ مَنْ يَبْكِى علَىَّ فلم أَجِدْ ... سِوَى السَّيْفِ والرُّمْحِ الرُّدَيْنِىِّ باكِيَا

(وقال يهجو الحجّاج[٢] :

فإنْ تُنْصِفُوا يا آلَ مَرْوَانَ نَقْتَرِبْ ... إِلَيْكُمْ ، وإلَّا فَأْذَنُوا بِبِعَادِ

فإنَّ لَنَا عَنْكُمْ مَرَاحًا ومَزْحَلًا ... بِعِيسٍ إلى رِيحِ الفلاةِ صَوَادِ

فماذَا عَسَى الحجّاجُ يَبْلُغُ جُهْدُهُ ... إذا نَحْنُ جاوَزْنَا قَنَاةَ زِيَادِ[٣]

فلولا بَنُو مَرْوَانَ كان ابنُ يُوسُفٍ ... كما كانَ عَبْدًا من عَبِيدِ إيَادِ

زَمَانَ هو العَبْدُ المُقِرُّ بذِلَّةٍ ... يُرَاوِحُ صِبْيَانَ القُرَى ويُغَادِى)

وليس له عَقِبٌ .

٦١١ ● وممّا سَبق إليه (فأُخذ عنه) قوله[٤] :

=فى ٥٨ بيتا مشروحة ، ونقلت فى الخزانة عن الأمالى ١ : ٣١٧ – ٣١٩ . وهى أيضاً فى الجمهرة ١٤٣ – ١٤٥ فى ٥١ بيتا . وبعضها فى العينى ٣ : ١٦٥ – ١٦٨ . وفرقها ياقوت فى البلدان ٢ : ٣٠٨ و ٣ : ٤١١ و ٤ : ١٣٩ ، ٢٣٤ و ٥ : ٢٧ ، ٢٣٥ – ٢٣٦ و ٨ : ٣٦ . وفى الأغانى قال أبو عبيدة : الذى قاله ثلاثة عشر بيتاً ، والباقى منحول ولده الناس عليه » .

(١) الغضا : من نبات الرمل له هدب كهدب الأرطى ، قال ثعلب : « يكتب بالألف ، لا أدرى لم ذلك ؟ » نقله فى اللسان . القلاص : جمع قلوص وهى الفتية من الإبل .

(٢) الأبيات نقلها فى الخزانة عن ابن قتيبة . وهى فى الكامل ٤٤٦ – ٤٤٧ وهناك بيت زائد .

(٣) البيت وما بعده فى المعارف ٢٣٨ .

(٤) انظر الوساطة ١٩٠ .

العَبْدُ يُقْرَعُ بالعَصَا والحُرُّ يَكْفِيهِ الوَعِيدُ

وقال آخرُ[١] :

العَبْدُ يُقْرَعُ بالعَصَا والحُرُّ تَكْفِيهِ الإشارَهْ

وقال ابنُ مُفَرِّغٍ [٢] :

العبْدُ يُقْرَعُ بالعَصَا والحُرُّ تَكْفِيهِ المَلَامَهْ [٣]

وقال بَشَّارٌ :

الحُرُّ يُلْحَىٰ والعَصَا للعَبْدِ وليْسَ للمُلْحِفِ مِثْلُ الرَّدِّ[٤]

---

(١) هذا الآخر مبهم . وفى الأغانى ١٥ : ٩٢ بيت لأبى دؤاد من أبيات ، عجزه * والحر تكفيه المقاله * وأشار إليه مصحح كأنه رواية أخرى ، وكأن القائل المبهم هو أبو دؤاد ! وهو غير سديد فإن أبا دؤاد جاهلى قديم ، فيكون هذا المعنى أخذه منه مالك بن الريب ثم من بعده . وفى هامش الحيوان ٦ : ٤٨٣ أن هذا الآخر هو الصلتان الفهمى نقلا عن البيان .

(٢) هو يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميرى ، وستأتى ترجمته ٢٠٩ – ٢١٣ ل .

(٣) البيت فى الكامل ٢٣٤ وهو من أبيات فى الأغانى ١٧ : ٥٤ – ٥٥ والخزانة ٢ : ٢١٣ – ٢١٤ ، ٥١٦ ، ٥٢٠ وفى الحيوان نسبته لخليفة الأقطع .

(٤) البيت فى اللسان ١١ : ٢٢٦ وهو فى الحيوان أيضاً .

٤٧ — ابن أحمر الباهلي (١)

٦١٢ ● هو عَمرو بنُ أحْمَر بن فَرّاص(٢) بن مَعْن بن أعْصَر . وكان أعورَ ، رماه رجلٌ يقال له مَخْشِيٌّ بسهم ، فذهبتْ عينهُ ، فقال :

شَلَّتْ أناملُ مَخْشِيٍّ فلا جَبَرَتْ ولا اسْتَعانَ بِضَاحِي كَفِّهِ أبَدَا(٣)
أهْوَى لها مِشْقَصًا حَشْرًا فَشَبْرَقَها وكُنْتُ أدْعُو قَذَاها الإثْمِدَ القَرِدَا

٦١٣ ● وعُمِّرَ تسعين سنةً ، وسُقِيَ بطنُه فماتَ ، وفى ذلك يقول :

إلَيْكَ إلَهَ الحَقِ أرْفَعُ رَغْبَتِي عِيَاذًا وخَوْفًا أنْ تُطِيلَ ضَمَانِيَا(٤)
فإنْ كان بُرْءًا فاجْعَلِ البُرْءَ نِعْمَةً وإنْ كانَ فَيْضًا فاقْضِ ما أنتَ قاضِيَا(٥)
لِقاؤكَ خيرٌ من ضَمَانٍ وفِتْنَةٍ وقد عِشْتُ أيَّامًا وعِشْتُ لَيَالِيَا
أرَجِّي شَبَابًا مُطْرَهِمًّا وصِحَّةً وكيف رجاءُ المرءِ ما ليس لاقِيَا(٦)

---

(١) ترجمته فى الجمحى ١٢٩ والمؤتلف ٣٧ والمرزبانى ٢١٤ واللآلى ٣٠٧ والإصابة ٥ : ١١٤ والخزانة ٣ : ٣٨ — ٣٩ — وهو من شعراء الجاهلية ، أدرك الإسلام .

(٢) فراص : بفتح الفاء وتشديد الراء ، وضبطه صاحب القاموس بكسر الفاء وتخفيف الراء ، وهو خطأ نبه عليه شارحه . وهذا النسب جاء فى اللآلى كما هنا . والذى فى الاشتقاق والإصابة والكامل ٢٦ « عمرو بن أحمر بن العمرد » بفتح العين والميم وتشديد الراء المفتوحة ، وكذلك فى المؤتلف والمرزبانى وأمالى ابن الشجرى ١ : ١٣٧ وساقوا نسب العمرد إلى فراص ، فالظاهر أن المؤلف اختصر النسب ، ومثل هذا كثير .

(٣) المشقص : نصل السهم إذا كان طويلا غير عريض . الحشر : الدقيق . شبرقها : يريد أزالها ، وأصل شبرقة اللحم تقطيعه . والبيت فى اللسان ٢٠ : ٢٤٨ .

(٤) الضمن ، بكسر الميم : الذى به ضمانة فى جسده من زمانة أو بلاء أو كسر أو غيره ، والاسم « الضمن » بفتح الميم و « الضمان » . والبيت فى اللسان ١٧ : ١٢٩ وشرح الحماسة ٤ : ١٥٤ .

(٥) س ف « راحة » بدل « نعمة » . الفيض : الموت . وفى س ف « موتاً » وفى هـ « قبضاً » .

(٦) المطرهم : الشباب المعتدل التام . والبيت فى اللسان ١٥ : ٣٥٥ .

وكيف وقد جَرَّبْتُ تِسْعِينَ حِجَّةً ... وضَمَّ فُؤادى نَوْطَةٌ هِىَ ماهِيَا(١)

وفى كُلِّ عامٍ يَدَّعُوانِ أَطِبَّةً ... إلَىَّ ، وما يُجْدُونَ إلاَّ الهَوَاهِيَا(٢)

فإنْ تَحْسِمَا عِرْقًا من الدَّاءِ تَتْرُكَا ... إلى جَنْبِهِ عِرْقًا من الدَّاءِ ساقِيَا 208

فلا تَحْرِقَا جِلْدِى ، سَوَاءٌ عَلَيْكما ... أداوَيْتُما العَصْرَيْنِ أم لا تُدَاوِيَا

شَرِبْتُ الشُّكاعَى وَالْتَدَدْتُ أَلِدَّةً ... وَأَقْبَلْتُ أَفْواهَ العُرُوقِ المَكَاوِيَا(٣)

شَرِبْنَا وداوَيْنا ، وما كان ضَرَّنَا ... إذَا اللهُ حَمَّ القَدْرَ أَلَّا تُدَاوِيَا(٤)

وقد أَتَى ابنُ أَحمرَ فى شعره بأربعة ألفاظٍ لا تُعرفُ فى كلامِ العرب(٥) سمَّى النارَ «مَامُوسَةَ» ، ولا يُعرف ذلك ، قال(٦) :

تَطَايَحَ الطَّلُّ عن أعْطافِها صُعُدًا ... كما تَطَايَحَ عن مامُوسَةَ الشَّرَرُ(٧)

وسمَّى حُوارَ الناقةِ «بَابُوسًا» ، ولا يُعرف ذلك ، فقال :

---

(١) ب ، «جوبت» بدل «جربت» . س ف «قوامى» بدل «فؤادى» النوطة : ورم فى الصدر . وفى اللسان ٩ : ٢٩٨ بيت آخر له كأنه من هذه القصيدة وفيه آخر أيضاً ١٨ : ٩١ .

(٢) الأطبة : جمع قلة لطبيب ، والأطباء جمع كثرة . الهواهى : التخاليط والأباطيل واللغو من القول . والبيت فى اللسان ١٧ : ٤٥٠ ، وروايته «وفى كل يوم» ولعلها أجود .

(٣) الشكاعى : من دق النبات ، وهى دقيقة العيدان صغيرة خضراء ، والناس يتداوون بها . اللد : أن يؤخذ بلسان المريض فيمد إلى أحد شدقيه ويوجر فى الآخر الدواء فى الصدف بين اللسان وبين الشدق ، واللدود ، بفتح اللام : هو الدواء الذى يسقى بهذه الصفة ، وجمعه «ألدة» . أقبل المكواة الداء : جعلها قبالته . والبيت فى اللسان ٤ : ٣٩٥ و ١٠ : ٥٢ و ١٢ : ٥٧ .

(٤) القدر ، بسكون الدال : هو القدر ، بفتحها . وحمه : قضاه وقدره .

(٥) ذكر فى اللسان ٥ : ٤٠٥ نحو هذا ، لم يذكر التبنس وذكر بدله «زوبر» وذلك من ابن برى .

(٦) الأبيات الآتية من قصيدة ٥٢ بيتاً فى الجمهرة ١٥٨ — ١٦٠ .

(٧) فى اللسان ٨ : ١٠٨ : «ماموسة : من أسماء النار ، قال ابن أحمر — وذكر البيت — قيل أراد بماموسة النار ، وقيل هى النار بالرومية ، وجعلها معرفة غير منصرفة . ورواه بعضهم * عن ناذوسة الشرر * وقال ابن الأعرابى : الماذوسة النار» .

حَنَّتْ قَلُوصِي إلى بابُوسِها جَزَعًا فما حَنِينُكِ أَمْ ما أَنْتِ والذِّكَرُ[١]

وفى بيتٍ آخرَ يذكرُ فيه البقرة :

* وبَنَّسَ عنها فَرْقَدٌ خَصِرُ[٢] *

أى تأخر ، ولا يُعرف « التَّبْنيس » . وقال :

وتَقَنَّعَ الحِرْباءُ أُرْنَتَهُ مُتَشاوِسًا لوَرِيدِهِ نَقَرُ

قال : « الأُرْنَةُ » ما لُفَّ على الرأسِ ، ولا يُعرف ذلك فى غير شعره .[٣]

٦١٥● وقالوا : هو أكثرُ بيتٍ آفات ، قال :

209 تُمشِّى بأكْنافِ البَلِيخِ نِساؤُنا أَرامِلَ يَسْتَطْعِمْنَ بالكَفِّ والفَمِ[٤]

نَقَائِذَ بِرْسامٍ وحُمَّى وحَصْبَةٍ وجُوعٍ وطاعُونٍ ونَقْرٍ ومَغْرَمِ[٥]

---

(١) رواية الفائق ١ : ٥٦ كرواية المؤلف وفسر البابوسى بأنه الرضيع . والبيت فى اللسان ٧ : ٣٢١ وفيه « طربا » بدل « جزعاً » وفى س ف « فزعاً » .

(٢) من بيت فى الأغانى ١٣ : ١٣٨ وهو محرف هناك وذكر فى اللسان ٧ : ٣٢٩ مع آخر . وقال : « قال ابن سيده : قال ابن جنى : قوله بنس عنها : إنما هو من النوم ، غير أنه إنما يقال للبقرة ، قال : ولا أعلم هذا القول عن غير ابن جنى ، قال : وقال الأصمعى : هى أحد الألفاظ التى انفرد بها ابن أحمر ، قال : ولم يسند أبو زيد هذين البيتين ، ولا هما أيضاً فى ديوانه ، ولا أنشدهما الأصمعى فيما أنشده له من الأبيات التى أورد فيها كلماته ، قال : وينبغى أن يكون ذلك شىء جاء به غير ابن أحمر تابعاً له فيه ومتقبلا أثره ، هذا أوفق من قول الأصمعى أنه لم يأت به غيره . وقال شمر : لم أسمع بنس إذا تأخر إلا لابن أحمر » . والبيتان اللذان أنكرهما ابن سيده مذكوران فى القصيدة فى الجمهرة .

(٣) البيت ليس فى قصيدة الجمهرة . وفى اللسان ١٦ : ١٥٣ : « الجوهرى : وأرنة الحرباء بالضم : موضعه من العود إذا انتصب عليه . وأنشد بيت ابن أحمر . . . وكنى بالأرنة عن السراب لأنه أبيض . ويروى أربته بالباء ، وأربته قلادته ، وأراد سلخه ، لأن الحرباء يسلخ كما يسلخ الحية ، فإذا سلخ بقى فى عنقه منه شىء كأنه قلادة ، وقيل : الأرنة ما لف على الرأس » .

(٤) البليخ : اسم نهر بالرقة .

(٥) النقائذ : جمع نقيذ أو نقيذة ، وأصلها من الخيل ما أنقذته من العدو وأخذته منهم .

٦١٦ ● وقال أبو عمرو بن العَلاء : كان ابنُ أحمرَ فى أفصحِ بقعةٍ من الأرض أهلاً ، يَذْبُلَ والقَعَاقِعِ [١] ، يعنى مولدَه قبل أن يَنزل الجزيرةَ ونواحيها .

٦١٧ ● وأخذت العُلماءُ عليه قوله فى وصف امرأةٍ :

لم تَدْرِ ما نَسْجُ اليَرَنْدَجِ قَبْلَها ... ودِرَاسُ أَعْوَصَ دارِسٍ مُتَجَدِّدِ

« واليَرَنْدَجُ » جلودٌ سودٌ ، فظنَّ أنه شيءٌ يُنْسَج ، ودِرَاسُ أَعْوَصَ » أى لم تُدارِسِ الناسَ عويصَ الكلام ، وقوله « دارسٍ مُتَجَدِّدِ » يريد أنه يَخْفَى أحيانًا ويَتبيَّن أحيانًا [٢] .

(١) يذبل : جبل لباهلة مشهور . القعاقع : موضع .

(٢) البيت فى اللسان ٣ : ١٠٨ غير منسوب ، وقال : « وقيل : أراد أن هذه المرأة لغرتها وقلة تجاربها ظنت أن اليرندج منسوج » . وذكره فى ٧ : ٣٨٣ منسوباً ، ورواه فى الموضعين « متخدد بالخاء ، وقال : « وقوله دارس متخدد : أى يغمض أحياناً فلا يرى ، ويروى متجدد بالجيم ، أى ما ظهر منه جديد وما لم يظهر دارس » .

٤٨ ـ ابن مفرغ الحميرى (١)

٦١٨ ● هو يزيدُ بن ربيعةَ بن مُفَرِّغٍ الحِمْيَرِىُّ ، حليفٌ لقُريش ، يقال إنّه كان عبدًا للضَّحَّاك بن عبد عَوْفٍ الهِلَالىّ فأَنْعَم عليه ، ويقال سُمِّىَ أبوه مُفَرِّغًا لأنّه كان خَاطرَ على شُرْبِ سِقاءِ لبنٍ ، فشربَه حتّى أتَى عليه . ولمّا وَلِىَ سعيدُ بن عثمانَ بن عفّانَ خراسانَ استصحبه ، فلم يَصْحَبْه ، وصَحِبَ عبّادَ بن زيادِ بن أبى سفيانَ ، فلم يَحْمَده ، وكان عبّادٌ طويلَ اللحيةِ عريضَها ، فركبَ ذاتَ يومٍ وابنُ مُفَرِّغٍ معه فى موكبه ، فهبّتِ الريحُ فنَفَشَتْ لحيتَه ، فقال ابن مفرغٍ :

210 أَلَا لَيْتَ اللِّحَى كانَتْ حَشيشًا فَنَعْلِفَهَا دَوَابُّ المُسْلِمِينَا

وقال أيضًا :

سَبَقَ عَبَّادٌ وصَلَّتْ لِحْيَتُهْ وكان خَرَّازًا تَجُورُ قِرْبَتُهْ

فبلغَ ذلك عبّادًا فجفاه وحقدَ عليه ، فقال ابنُ مفرغٍ بعدَ انصرافه عنه :

إنَّ تَرْكِى نَدَى سَعِيدِ بْنِ عُثْما نَ فَتَى الجُودِ ناصِرِى وعَدِيدِى

واتِّباعِى أخا الرَّضاعَةِ واللُّؤْ مِ لَنَقْصٌ وفَوْتُ شَأْوٍ بَعِيدِ (٢)

قُلْتُ واللَّيْلُ مُطْبِقٌ بعُرَاهُ : لَيْتَنِى مُتُّ قَبْلَ تَرْكِ سَعِيدِ

فأخذه عُبيد الله بن زيادٍ فحبسه وعذّبه ، وسقاه التُّرْبُذَ فى النبيذ ،

---

(١) ترجمته فى الجمحى ١٤٣ – ١٤٤ والأغانى ١٧ : ٥١ – ٧٣ والخزانة ٢ : ٢١٠ – ٢١٦ ، ٥١٤ – ٥٢١ والاشتقاق ٣٠٩ – ٣١٠ وسماه « يزيد بن زياد بن ربيعة » وزيادة « زياد » فى نسبة خطأ . ويزيد شاعر إسلامى من شعراء الدولة الأموية . وأخباره مع عباد فى تاريخ الطبرى ٦ : ١٧٧ – ١٧٩ . وكتب عنه مقال للدكتور طه حسين فى مجلة الكاتب المصرى (العدد الثانى نوفبر سنة ١٩٤٥)

(٢) فى الأغانى ١٧ – ٦١ والخزانة ٢ : ٢١٤ ، ٥١٦ « أخا الضراعة » .

وحمله على بعيرٍ ، وقَرَنَ به خنزيرةً ، فأمشاه بطنُه مشيًا شديدًا ، فكان يسيل (منه مايخرج) على الخنزير فتَصِىءُ ، فكلَّما صاءتْ قال ابنُ مفرِّغٍ :

ضَجَّتْ سُمَيَّةُ لَمَّا مَسَّها القَرَنُ لا تَجْزَعى إنَّ شَرَّ الشِّيمَةِ الجَزَعُ

وسُمَيَّة : أمُّ زيادٍ ، فطيف به فى أزقَّة البصرة وأسواقها ، والناس يصيحون (خلفه اينْ چِيست) لِمَا يسيلُ منه ، وهو يقول :

آبَسْت نَبيذ اسْت عُصَارات زَبيبَسْت

سُمَيَّه رُوسَفِيدَسْت (١)

فلمَّا ألحَّ عليه ما يَخرجُ منه قيلَ لابن زياد : إنَّه لِمَا بِهِ ، فأمر به ، فأُنزل ، فاغتَسلَ ، فلمَّا خَرج من الماء قال :

يَغسِلُ الماءُ ما فعَلْتَ وقَوْلِى راسِخٌ منك فى العِظَامِ البَوَالِى

ثمَّ دسَّ إليه غرماءَه يَقْتَضُونه ويستَعْدُون عليه ، ففعلوا ذلك ، فأمر ببيع ما وُجد له فى إعطاء غرمائِهِ ، فكان فيما بيع له غلامٌ كان ربَّاه يقال له بُرْدٌ ، كان يَعْدِلُ عندَه ولدَه ، وجاريةٌ له يقال لها الأَرَاكَةُ ، فقال ابنُ مفرِّغٍ :

يا بُرْدُ ما مَسَّنا دَهرٌ أضَرُّ بنا من قَبْلِ هٰذا ولا بِعْنَا له وَلَدَا

أمَّا الأَرَاكُ فكانَتْ من مَحارِمِنا عَيْشًا لَذِيذًا وكانَتْ جَنَّةً رَغَدَا

ولولا الدَّعِىُّ ولولا ما تَعَرَّضَ لى مِنَ الحوادِثِ ما فارَقْتُها أَبَدَا

٦١٩ ● وقال فى قصيدة له ، وهى أجودُ شعره(٢) :

---

(١) هذه ثلاثة أبيات بالفارسية ، وهى كذلك فى الطبرى ٦ : ١٧٧ والأغانى ١٧ : ٥٦ والبيان والتبيين ١ : ١٣٢ وذكرت فى بعضها محرفة .

(٢) هى فى الإغانى ١٧ : ٥٤ — ٥٥ والخزانة ٢ : ٢١٣ — ٢١٤ ، ٥١٦ ، ٥٢٠ . وقد مضى منها بيت « العبد يقرع بالعصا » ٣١٥ . والبيتان فى الكامل ٣٢٥ — ٣٢٦ . والأول فى اللسان ١٩ : ١٥٦ .

وشَرَيْتُ بُرْدًا لَيْتَنِى ... من بَعْدِ بُرْدٍ كُنْتُ هامَهْ

أَو بُومَةً تَدْعُو الصَّدَىٰ ... بَيْنَ المُشَقَّرِ واليَمَامَهْ

(وأَوَّلُ الشعرِ :

أَصَرَمْتَ حَبْلَكَ من أُمامَهْ ... من بَعْدِ أَيَّامٍ بِرَامَهْ) [1]

٦٢٠ ● ثم إنَّ عُبيدَ الله بن زيادٍ أمر به فحُمل إلى سجستانَ إلى عبَّادِ بن زياد، فحُبس بها ، فكان ممَّا قال فى الحبس (قولُه) :

212 حَيِّ ذَا الزَّوْرَ وَانْهَهُ أَن يَعُودَا ... إِنَّ بالباب حارِسِينَ قُعُودَا

مِن أَساوِيرَ لا يَنُونَ قِيَامًا ... وخَلاخِيلَ تُسْهِرُ المَوْلُودَا [2]

وطَمَاطِيمَ من سَبَابِيجَ غُتْمٍ ... يُلْبِسُونِى مع الصَّبَاحِ قُيُودَا [3]

لا ذَعَرْتُ السَّوَامَ فى غَلَسِ اللَّيْلِ مُغِيرًا ولا دُعِيتُ يَزِيدَا [4]

يَوْمَ أُعْطَىٰ من المَخافَة ضَيْمًا ... والمَنَايَا يَرْصُدْنَنِى أَنْ أَحِيدَا

٦٢١ ● وكان الحُسين بن علي رضى الله عنه تمثَّل بهذين البيتين الآخِرَيْن

---

(١) رامة : موضع .

(٢) أساوير : جمع « أسوار » بضم الهمزة وكسرها ، وهو القائد من الفرس ، وقيل الجيد الرمى بالسهام ، وقيل الجيد الثبات على ظهر الفرس ، وجمعه « أساور » و « أساورة » ، قال فى اللسان : « والهاء عوض من الياء ، وكأن أصله أساوير ، وكذلك الزنادقة أصله زناديق ، عن الأخفش » . وقد ثبت جمعه على الأصل والبيت شاهده .

(٣) الطماطيم : الأعاجم فى لسانهم طمطمة ، أى عجمة ، لا يفصحون . السبابيج : قوم من السند كانوا بالبصرة جلاوزة وحراس السجن ، الواحد سبيجى ، ويجمع أيضاً « سبابجة » والهاء للعجمة والنسب . وفى ل « من سبابج » وصححناه من المعرب واللسان . الغتم : جمع أغتم ، وهو الذى فى منطقه عجمة ، لا يفصح شيئاً . والبيت فى المعرب ١٨٣ واللسان ٣ : ١١٩ .

(٤) فى الطبرى ٦ : ١٩١ والأغانى ١٧ : ٦٨ « فى فلق الصبح » والبيتان فيهما ، وكذلك تمثل الحسين بهما .

حين بلغته بيعةُ يزيدَ بن معاوية ، فعَلِمَ مَن حَضَرَ أنّه سيَخْرجُ عليه .

٦٢٢ ● وقال ابنُ مفرِّغ لمعاويةَ[١] :

أَلا أَبْلِغْ مُعاوِيَةَ بنَ حَرْبٍ مُغَلْغَلَةً عنِ الرَّجُلِ اليَمَانِى[٢]
أَتَغْضَبُ أن يُقالَ أَبُوك عَفٌّ وتَرْضَى أنْ يُقَالَ أبوك زَانِ
وأَشْهَدُ أنَّ إِلَّكَ من زِيادٍ كَإِلِّ الفيلِ من وَلَدِ الأَتَانِ[٣]
وأَشْهَدُ أنَّها حَمَلَتْ زِيَادًا وصَخْرٌ من سُمَيَّةَ غَيْرُ دَانِ

وإنما أخذ :

* وأشهد أن إِلَّكَ من زياد *

من حسَّانَ بن ثابتٍ ، قال حسَّانُ :

وأَشْهَدُ أنَّ إِلَّكَ من قُرَيْشٍ كَإِلِّ السَّقْبِ من وَلَدِ النَّعَامِ[٤]

٦٢٣ ● وقال أيضًا :

إنَّ زِيَادًا ونافِعًا وأَبا بَكْرَةَ عِنْدِى من أَعْجَبِ العَجَبِ[٥] 213
إنَّ رِجالًا ثَلاثَةً خُلِقُوا من رِحْمِ أُنْثَى مُخالِفِى النَّسَبِ

---

(١) س ف « ويقال إنه كتب إلى معاوية » .

(٢) المغلغلة ، بفتح الغين الثانية : الرسالة المحمولة من بلد إلى بلد ، وبكسرها : المسرعة ، من الغلغلة ، وهى سرعة السير ، وصدر البيت يشبه صدر بيت من قصيدة أخرى فى اللسان ١٥ : ٣٦ .

(٣) الإل : القرابة .

(٤) السقب : ولد الناقة . والبيت مطلع قصيدة فى الديوان ٤٠٧ وهو فى اللسان ١٣ : ٢٦ وروايتهما « لعمرك » بدل « وأشهد » .

(٥) زياد : هو ابن أبى سفيان . ونافع : هو ابن الحرث بن كلدة الثقفى . وأبو بكرة : هو نفيع بن مسروح . وثلاثتهم إخوة لأم .

ذا قُرَشِىٌّ كما يَقُولُ ، وذا مَوْلًى ، وهذا ابْنُ عَمِّهِ عَرَبِىُّ

فلمّا طال حبسُه بعثَ رجلاً أنشد على باب معاوية ، واليمنُ أجمع ما كانتْ ببابِ معاويةَ ، قولَه :

أَبْلِـغْ لَدَيْكَ بنى قَحْطانَ قاطِبَةً عَضَّتْ بأَيْرِ أبيها سادَةُ اليَمَنِ

أمْسَى دَعِىُّ زِيادٍ فَقْعُ قَرْقَرَةٍ ، يا لَلْعَجائِبِ ، يَلْهُو بابْنِ ذى يَزَنِ [١]

فدَخل أهلُ اليمن إلى معاوية فكلَّموه ، فوجَّه رجلاً على البَرِيدِ فى إطلاقه ، فصار إلى سجستانَ ، فبدأ بالحبس فأطلقه ، وقرَّبَ إليه دابَّةً من بغال البريدِ فلمّا استوى عليها قال :

عَدَسْ ما لِعَبّادٍ عليكِ إمارَةٌ نَجَوْتِ وهٰذا تَحْمِلِينَ طَلِيقُ [٢]

طَلِيقُ الذى نَجَّى منَ الحَبْسِ بَعْدَما تَلاحَمَ فى دَرْبٍ عليكِ مَضِيق

ذَرِى وتَناسَىْ ما لَقِيتِ فإنَّهُ لِكُلِّ أُناسٍ خَبْطَةٌ وحَرِيقُ

قَضَى لَكِ حَمْحَامٌ بِأَرْضِكِ فَالْحَقِى بأَهْلِكِ لا يُؤْخَذْ عليك طَرِيقُ

(١) فقع قرقرة : مضى تفسيرها فى ا الحاشية ٢ ص ٢٠٦ .

(٢) البيت شاهد مشهور فى النحو ، على أن « هذا » بمعنى الذى . والكلام عليه فى الخزانة ٢ : ٥١٤ — ٥٢١ وهو فى اللسان ٨ : ٧ — ٨ فى قصة ابن مفرغ . عدس : كلمة زجر للبغال .

٤٩ ــ سليك بن سلكة السعدى[1]

٦٢٤● هو منسوبٌ إلى أمِه سُلَكَةَ ، وكانت سوداءَ ، واسمُ أبيه عَمرو بن يَثْرِبِىٍّ ، ويقال عُمَيْر ، (وهو) من بنى كَعْب بن سَعْد بن زيد مَنَاةَ بن تميم . وهو أحدُ أغرِبَةِ العربِ[2] وهُجَنَائِهم وصَعَاليكهم ورُجَيْلَائِهم . وكان له بأْسٌ ونَجْدَةٌ . وكان أدَلَّ الناسِ بالأرض ، وأجودَهم عَدْوًا على رِجْلَيْه ، (وكان) لا تَعْلَقُ به الخيلُ . وقالت له بنو كنانَةَ حين كَبِر : إنْ رأيتَ أن تُرِيَنَا بعضَ ما بَقِىَ من إحْضَارِك ؟ فقال : اجْمَعوا لى أربعين شابًّا وابْغُونى درعًا ثقيلةً ، فأخذها فلبسها ، وخرج الشبابُ ، حتّى إذا كان على رأس ميلٍ أقبل يُحْضِرُ ، فَلَاثَ العَدْوَ لوثًا[3] ، واهتَبَصُوا[4] فى جَنَبَتَيْه[5] فلم يصحبوه إلا قليلا ، فجاءَ يُحْضِر منتبذًا حيث لا يَرَوْنَه ، وجاءت الدرعُ تخفقُ فى عنقه كأنَّها خِرقةٌ .

214

٦٢٥●وكان سُلَيْكٌ يقول : اللهمَّ إنَّكَ تُهَيِّئُ ما شئتَ لمن شئتَ إذا شئتَ ، اللهمَّ إنى لو كنتُ ضعيفًا لكنتُ عبدًا ، ولو كنتُ امرأةً لكنتُ أمَةً ، اللهمَّ إنى أعوذ بك من الخَيْبَةِ ، فأمَّا الهَيْبَةُ فلا هَيْبَةَ . فأصابته خَصاصَةٌ شديدةٌ ، فخرج على رجليه رجاءَ أن يُصيبَ غِرَّةً من بعض مَن يَمُرُّ عليه ، فيَذْهَبَ بإبله ، حتّى إذا أمْسَى فى ليلةٍ من ليالى الشتاءِ قَرَّةٍ

---

(١) ترجمته فى الأغانى ١٨ : ١٢٣ – ١٣٨ والمؤتلف ١٣٧ .

(٢) انظر ما مضى ٢٥١ ، ٣٤١ .

(٣) لاث العدو لوثاً : أى طواه طيا .

(٤) اهتبصوا : من الهبص ، بفتحتين ، وهو النشاط والعجلة ، والاسم « الهبصى » . وهذا الفعل « اهتبص » لم يذكر فى المعاجم .

(٥) الجنبة ، بفتح النون : الجنب ، بسكونها ، وهو شق الإنسان وغيره .

مُقْمِرَةٍ ، اشْتَمَلَ الصَّمَّاءَ ونام ، فبينَا هو كذلك جَثَمَ عليه رجلٌ ، فقال : اسْتَأْسِرْ ، فرفع سُلَيْكٌ رأْسَه فقال : إنَّ الليلَ طويلٌ وإنَّكَ مُقْمِرٌ ! فذهبتْ مثلا ، وجعل الرجلُ يلهزه ويقول : يا خبيثُ استأْسِرْ ، فلم يَعْبَأْ به ، فلمَّا آذاه ضَمَّه سُلَيْكٌ ضَمَّةً ضَرِطَ منها وهو فوقَه ! فقال سُلَيْكٌ : أَضَرِطًا وأنتَ الأَعْلَى[1] ! فذهبتْ مثلا ، ثم قال له : ما شَأْنُكَ ؟ فقال : أنا رجل فقير ، خرجتُ لعلِّى أُصِيبُ شيئًا ، قال : انطلقْ معى ، فخرجَا فوجدَا رجلا قِصَّتُه (مثلُ) قِصَّتِهما ، فأَتَوْا جَوْفَ مُرادٍ ، وهو باليمن ، فإذا فيه نَعَمٌ كثيرٌ ، فقال سُلَيْكٌ لهما : كُونَا (منى) قريبًا حتَّى آتِىَ الرِّعَاءَ فأَعلمَ لكما عِلْمَ الحَىِّ أقريبٌ هو أم بعيدٌ ، فإنْ كانوا قريبًا رجعتُ إليكما ، وإن كانوا بعيدًا قلتُ لكما قولا أَحِى به (إليكما) ، فأَغِيرَا (على ما يَلِيكُمَا) فانطلقَ حتَّى أَتَىٰ الرِّعَاءَ ، فلم يَزَلْ بهم يَتَسَقَّطُهم حتَّى أخبروه خَبَرَ الحَىِّ ، فإذا هو بعيدٌ ، فقال لهم السُّلَيْكُ : أَلَا أُغَنِّيكُمْ ؟ قالوا : بلىٰ ، فرفع عَقِيرَتَه ، يَتَغَنَّىٰ :

يا صاحبَىَّ أَلَا لَا حَىَّ بالوادِى ... إلاَّ عَبِيدٌ وآمٍ بَيْنَ أَذْوَادِ[2]

أَتَنْظُرَانِ قَلِيلا رَيْثَ غَفْلَتِهِمْ ... أَمْ تَعْدُوَانِ فإنَّ الرِّيحَ لِلْعَادِى[3]

فلمَّا سمعَا ذلك اطَّرَدَا الإبلَ فذَهبَا بها[4].

---

(١) مجمع الأمثال ١ : ٣٦٨ – ٣٦٩ .

(٢) قال المفضل الضبى : « آم : جمع أمة إلى العشر ، ثم إماء لما بعد العشر » . والبيت فى اللسان ١٨ : ٤٧ .

(٣) الريح هنا : الغلبة والقوة . والبيت فى اللسان ٣ : ٢٨٣ ونسبه لتأبط شرًّا أو السليك ثم قال : « قال ابن برى : وقيل الشعر لأعشى فهم ، من قصيدة أولها » وذكر بيتين . ولعل الشعر تغنى به السليك فقط ، لم يكن من قوله .

(٤) هذه القصة منقولة من أمثال العرب للضبى ١٣ – ١٤ مع خلاف يسير ، وعقبها هناك بخبر آخر عن السليك .

٦٢٦● قال أبو عُبيدةَ : بلغنى أنَّ السُّلَيْكَ رأته طلائعُ جيشٍ لبكرِ بن وائلٍ جاؤُوا لِيُغِيرُوا على تَميمٍ ولا يَعلم بهم ، فقالوا : إنْ عَلِمَ السُّلَيْكُ بنا أنذر قومَه ، فبعثوا إليه فارسَيْنِ على جَوَادَيْن ، فلما هَايَجَاه خرج يَمْحَصُ كأنَّه ظَبْيٌ[1] ، فطارداه سَحَابةَ يومهما ، ثم قالا : إذا كان الليلُ أَعْيَا ثم سقَط. أو قَصَّر عن العَدْو فنأخذه ، فلمَّا أصبحَا وجدَا أثَرَه قد عَثَر بأصْل شجرةٍ ونَدَرَتْ قوسُه[2] فانْحَطَمَتْ ، فوجدَا قِصْدَةً منها قد ارْتَزَّتْ بالأرض[3] ، فقالَا : ما له أخزاه الله ! ما أشَدَّه ! وهمَّا بالرجوع ، ثم قالا : لعلَّ هذا كان من أوَّلِ الليلِ ثم فَتَرَ ، فتبعاه ، فإذا أثره مُتَفَاجًّا[4] قد بال فى الأرض وخَدَّ[5] ، (فقالا : قاتله الله ما أشَدَّ مَتْنَه !) فانصرَفَا (عنه) ، وتَمَّ إلى قومه[6] فأَنْذَرَهم ، فكذَّبوه لبُعْدِ الغايةِ ، فقال :

216

يُكَذِّبُنى العَمْرَانِ عَمْرُو بن جُنْدَبٍ ... وعَمْرُو بن سَعْدٍ ، والمُكَذِّبُ أَكْذَبُ[7]

ثَكِلْتُكُما إن لم أكُنْ قد رَأَيْتُها ... كَرَادِيسَ يَهْدِيها إلى الحَىِّ كَوْكَبُ

كَرَادِيسَ فيها الحَوْفَزَانُ وحَوْلَهُ ... فَوَارِسُ هَمَّامٍ متى يَدْعُ يَرْكَبُوا[8]

---

(١) محص الظبى فى عدوه : أسرع وعدا عدواً شديداً .

(٢) ندرت : سقطت ووقعت .

(٣) القصدة ، بكسر القاف : القطعة من الشىء إذا انكسر . ارتزت بالأرض : ثبتت .

(٤) متفاجا : متباعداً ، يقال « فاج الرجل وتفاج » بالتشديد فيهما : إذا باعد إحدى رجليه من الأخرى ليبول .

(٥) خد فى الأرض : شقها وأثر فيها ، ومنه الأخدود .

(٦) تم إلى قومه : أى بلغهم . ورواية الكامل « أتم إلى قومه » فقال الأخفش : « يروى أتم بألف ، وتم بغير ألف ، ونم بالنون ، ومعنى تم إلى قومه أى نفذ » .

(٧) رواية الكامل « وعمر بن كعب » .

(٨) الحوفزان : هو الحرث بن شريك بن عمرو ، من بنى ذهل بن شيبان ، لقب بذلك لأن قيس بن عاصم المنقرى حفزه بالرمح فى استه ، فحفزه عن فرسه فنجا ، وعرج من الحفزة . وانظر خبره فى المفضلية ١١٤ : ٦ والنقائض ٤٧ — ٥٩ ، ١٤٤ — ١٤٨ والأنبارى ٧٤٠ — ٧٤١ والأغانى ١٢ : ١٤٦ — ١٤٧ .

وجاء الجيشُ فأغاروا (عليهم[١]).

٦٢٧ ● وكان يقال له سُلَيْكُ المقَانِب[٢] ، وقد وصفه عمرو بن مَعْدِى كَرِبَ فقال :

٤١٧ وسَيْرِىَ حتَّى قال فى القوم قائلٌ : عليكَ أبا ثَوْرٍ سُلَيْكَ المَقَانِبِ
فَرُعْتُ به كاللَّيْثِ يَلْحَظُ قائمًا إذَا رِيعَ منه جانِبٌ بَعْدَ جانِبِ
له هامَةٌ ما تأْكُلُ البَيْضُ أُمَّها وأَشْبَاحُ عادِىٌّ طَوِيلِ الرَّوَاجِبِ[٣]

٦٢٨ ● ومرَّ فى بعض غَزَواتِهِ ببيتٍ من خَثْعَم ، أهلُه خُلُوفٌ ، فرأى فيهم امرأةً بَضَّةً شابَّةً ، فتَسَنَّمَهَا ومضَى ، فأخبرتِ القومَ ، فركب أنسُ ابن مُدْرِك الخَثْعَمِىُّ فى إثره ، فقتله ، وطُولِبَ بديتِه ، فقال : والله لا أَدِيهِ ابنَ إِفَالٍ[٤] ، وقال :

إنِّى وقَتْلِى سُلَيْكًا يَومَ أَعْقِلُهُ كالثَّوْرِ يُضْرَبُ لَمَّا عافَتِ البَقَرُ[٥]
غَضِبْتُ للمَرْءِ إذْ نِيكَتْ حَلِيلَتُهُ وإذْ يُشَدُّ على وَجْعَائِهَا الثَّفَرُ[٦]

---

(١) القصة رواها أيضاً المبرد فى الكامل عن أبى عبيدة ٥٥٤ — ٥٥٥ .

(٢) المقانب : جمع « مقنب » بكسر الميم وفتح النون ، وهو جماعة الخيل من الفرسان ، قال المفضل الضبى : « ما بين الثلاثين إلى الخمسين » .

(٣) الرواجب : مفاصل الأصابع .

(٤) الإفال : صغار الإبل ، واحدها « أفيل » ، يريد أنه لا يديه بشىء وإن قل .

(٥) هكذا الرواية فى هذا الكتاب « يوم أعقله » والرواية المشهورة « ثم أعقله » بنصب الفعل ، وهو شاهد فى كتب العربية على جواز النصب بـ « أن » مضمرة بعد « ثم » العاطفة اسماً مؤولا على اسم صريح . انظر همع الهوامع ٢ : ١٧ وشرح شواهده ٢ : ١١ . ورواية التبريزى فى شرح الحماسة ٢ : ٣٧٣ « إنى وعقلى سليكا بعد مقتله » ولا شاهد فيه أيضاً ، وذكر هناك القصة مفصلة . والبيتان فى أبيات فى الأغانى ١٩ : ١٣٨ . وهما فى اللسان ٥ : ١٧٨ وهما فيه أيضاً مع ثالث ١٠ : ٢٥٩ . لما عافت البقر : كانت العرب إذا أوردوا البقر فلم تشرب لكدر الماء ولقلة العطش ضربوا الثور ليقتحم الماء ، لأن البقر تتبعه .

(٦) الوجعاء : السافلة ، وهى الدبر .

٥٠ ـ ابن فسوة [١]

٦٢٩● هو عُتَيْبَةُ[٢] ، (ويقال عُتْبَةُ) بن مِرْدَاس ، من بنى تميم . وكان ابنُ فَسْوَةَ أَسَرَهُ رجلٌ من قومه ، فأتاه عُتيبةُ فاشتراه منه فلُقِّبَ به ! فقال فى نفسه[٣] :

وحَوَّل مَوْلَانَا علينَا اسْمَ أُمِّهِ ... أَلَا رُبَّ مَوْلًى ناقِصٍ غَيْرُ زائِدِ [٤] 218

وكان له أخٌ شاعرٌ يقال له أُدَيْهِمُ بن مِرْدَاسٍ[٥]، وله عَقِبٌ بالبادية .

٦٣٠● وكان عتيبةُ أتى عبدَ الله بن عبّاسٍ فحُجِبَ عنه ، فقال[٦] :

---

(١) ترجمته فى الأغانى ١٩ : ١٤٣ – ١٤٦ واللآلى ٦٨٦ والإصابة ٥ : ١٠٤ – ١٠٥ .

(٢) هو الراجح ، ويصحف إلى « عيينة » كثيراً ، كما وقع فى الأغانى وغيره . وابن فسوة هذا « شاعر مقل غير معدود فى الفحول ، مخضرم ممن أدرك الجاهلية والإسلام ، هجاء خبيث اللسان بذىء . وابن فسوة لقب لزمه فى نفسه ، ولم يكن أبوه يلقب بفسوة ، إنما لقب هو بهذا ، وقد اختلف فى سبب تلقيبه » قاله فى الأغانى ، وذكر بعض الروايات فى ذلك . وفى الإصابة أنه شهد حنيناً مع المشركين ، وقال شعراً يمدح مالك بن عوف رأس القوم فى تلك الوقعة ، قال الحافظ : «ولم أقف على خبر يصرح بأنه صحابى » .

(٣) س ف : « وكان له مولى يرمى (كذا) إذا قيل له ابن فسوة ، فقال له عتبة ذلك يوماً فغضب ، فقال : أعطنى عنزاً وانقل إلى هذا الاسم ! فأعطاه عنزاً وأشهد عليه أنه قد اشترى هذا الاسم يعير به ! فلزمه الاسم ، فقال عتبة بعد ذلك » .

(٤) س ف « وخلف مولانا » وما هنا موافق للأغانى .

(٥) كذا وذكر اسمه هنا « أديهم » بالتصغير ، وكذلك فى شواهد المغنى ٩٩ . وأرجح أن صحته « أدهم » بالتكبير ، كما ذكر فى المؤتلف ٣٢ . وإنما شبهة من صغره أنه ذكر مصغراً فى بيت للفرزدق ، والبيت ذكر فى المؤتلف أيضاً ، وكان أديهم هذا شاعراً خبيثاً ، كما فى المؤتلف .

(٦) لم يحجب عنه ، ولكن ابن عباس قرعه وتوعده أن يقطع لسانه إن هجا أحداً من العرب ، وحبسه ذلك اليوم ، ثم أخرجه عن البصرة فوفد المدينة بعد مقتل على ، فأكرمه الحسن بن على وعبد الله بن جعفر ، واشتريا منه عرض ابن عباس بما أرضاه ، فقال الأبيات يمدحهما ويلوم ابن عباس ، كما فى الأغانى ، وذكر منها ١٦ بيتاً ، وقال : « وهى قصيدة طويلة ، هذا ذكر فى الخبر منها » .

أَتَيْتُ ابنَ عبّاسٍ أُرَجِّى نَوَالَهُ   فلم يَرْجُ مَعْرُوفِى ولم يَخْشَ مُنْكَرِى

وقال لبَوّابِيهِ : لا تُدْخِلُنَّهُ   وسَدَّ خَصَاصَ البابِ من كُلِّ مَنْظَرِ

وتَسْمَعُ أَصْوَاتَ الخُصُومِ وَرَاءَهُ   كصَوْتِ الحَمَامِ فى القَلِيبِ المُعَوَّرِ

فَلَوْ كُنْتُ من زَهْرَانَ قَضَّيْتَ حاجَتِى   ولٰكنَّنى مَوْلَىٰ جَمِيلِ بنِ مَعْمَرِ

وكان ابنُ عبّاس تزوّج امرأةً بالبصرة من زَهْرَانَ ، يقال لها شُمَيْلَةُ. وقولُه «مولَىٰ جميل بن مَعْمَر» أراد أنّه وَلِيُّه ومن قومه . وكان جَمِيلٌ مُضَرِيًّا[1] .

فلَيْتَ قَلُوصِى عُرِّيَتْ أَوْ رَحَلْتُهَا   إلى حَسَنٍ فى دارِه وابنِ جَعْفَرِ

إذَا هِىَ هَمَّتْ بالخُرُوجِ يَصُدُّها   عنِ القَصْدِ مِصْرَاعَا مُنِيفٍ مُجَيَّرِ

تُطَالِعُ أهلَ السُّوقِ والبابُ دونَهَا   بمُسْتَفْلِكِ الذِّفْرَى أَسِيلِ المُذَمَّرِ[2]

فباتَتْ على خَوْفٍ كأَنَّ بُغَامَهَا   أَجِيجُ ابنِ ماءٍ فى يَرَاعٍ مُفَجَّرِ[3]

٦٣١ ● وكانت له خالةٌ تُهاجِى اللَّعِينَ المِنْقَرِىَّ[4] ، وفيه تقولُ :

219 تُذَكِّرُنى سِبَالُكَ إسْكَتَيْهَا   وأَنْفُكَ بَظْرَ أُمِّكَ يا لَعِينُ

---

(١) فى الأغانى «وكان حليفاً لجميل بن معمر القرشى» . وهذا أقرب إلى الصواب ، فليس ابن فسوة من قوم جميل بن معمر القرشى ، ولا من قوم جميل بن عبد الله بن معمر العذرى ، بل جميل العذرى متأخر عنه . وجميل القرشى فى الاشتقاق ٨١ .

(٢) الذفرى : أصل أذن البعير ، وهو الموضع الذى يعرق منه خلف الأذن . والمستفلك : الظاهر أنه اسم فاعل ، لم يذكر فعله فى المعاجم ، وإنما فيها «فلك ثدى الجارية» و «تفلك» بتشديد اللام فيهما ، أى استدار ، فالظاهر أنه من هذا المعنى ، وضبط فى ل بفتح اللام بصيغة اسم المفعول ولم أجد له وجهاً . الأسيل : الأملس المستوى . المذمر : الكاهل والعنق وما حوله إلى الذفرى . وفى الأغانى ١٩ : ١٤٣ أن ابن فسوة كان أوصف الناس للإبل وأغراهم بوصفها ، ليس له كبير شعر إلا وهو مضمن وصفها .

(٣) بغام الناقة : صوت لا تفصح به . الأجيج : الحفيف . ابن الماء : كل طائر يألف الماء . اليراع : القصب .

(٤) ستأتى ترجمته ٢١٤ ل .

٦٢٢● وكان عُتَيْبَةُ عضَّهُ كَلْبٌ كَلِبٌ ، فأَصابه ما يُصِيبُ صاحبَ الكَلْبِ الكَلِبِ ، فداواهُ ابنُ المُحِلِّ بن قُدَامةَ بن الأَسود فأَباله ، مثلَ الكلَابِ والنَّمْلِ ، فَبَرَأَ ، فقال فيه الشاعرُ :

ولَوْلَا دَوَاءُ ابنِ المُحِلِّ وطِبُّهُ   هَرَرْتَ إذَا ما الناسُ هَرَّ كَلِيبُهَا
وأَخْرَجَ بَعْدَ اللهِ أَولادَ زارِعٍ   مُوَلَّعَةٌ أَكْتَافُها وجُنُوبُهَا[1]

وكان الأَسودُ جَدُّ المُحِلِّ أَتَى النَّجَاشِيَّ فعلَّمه هذا الدواء ، فهو فى ولده إلى اليوم[2].

---

(١) أولاد زارع : الكلاب .

(٢) المحل بن قدامة اليربوعى له ذكر فى الأنبارى ٣٤٥ وقال : « وبنو المحل الذين يداوون من الكلب » . وقال فيه ذو الخرق الطهوى (فى النقائض ١٠٧٠) * ورهط المحل شفاة الكلب * والبيتان اللذان هنا نسبهما المؤلف لشاعر مبهم يقولهما فى شأن ابن فسوة ، ونسبهما فى عيون الأخبار ٢ : ٨٠ لابن فسوة نفسه حين برأ . وانظر تفصيل القول فى ذلك فى الحيوان ٢ : ١٠ – ١٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٥١ – عمرو بن معد يكرب الزبيدى [١]

٦٣٣● هو من مَذْحِجٍ ، ويُكنَى أبا ثَوْرٍ ، وهو ابنُ خالةِ الزِّبْرِقَانِ بن بَدْرٍ التميميّ ، وأختُهُ رَيْحَانَةُ بنتُ مَعْدِى كَرِبَ التى يقولُ فيها :

أَمِنْ رَيْحَانَةَ الداعِى السَّمِيعُ   يُؤَرِّقُنِى وأصحابِى هُجُوعُ [٢]

٦٣٤●وكانتْ تحتَ الصِّمَّةِ بن الحرث ، فولَدَتْ له دُرَيْدَ بنَ الصِّمَّةِ وعبدَ الله . وكان عَمْرٌو من فُرْسَان العرب المشهورين بالبأس فى الجاهليّة ، وأدرك الإسلامَ ، وقَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ فأسلمَ ، ثم ارتدَّ بعد وفاتِه فيمن ارتدَّ باليمن ، ثم هاجَر إلى العراق فأسلمَ ، وشهد القَادِسِيَّةَ ، وله بها أَثَرُهُ وَبَلَاؤُه ، وأوفده سعدُ بنُ أبى وقّاصٍ بعد فتح القادسيَّةِ إلى عمر بن الخطّاب رضى الله عنه ، فسأله عمرُ عن سَعْدٍ ، فقال : هو لهم كالأبِ ، أعرابىٌّ فى نَمِرَتِهِ ، أَسَدٌ فى تامُورَتِهِ [٣] ، ويقال : فى نامُوسَتِهِ [٤] نَبَطِىٌّ فى جُبْوَتِه ، يَقْسِمُ بالسَّوِيَّة ، ويَعْدِلُ فى القَضِيَّة ، ويَنْفِرُ فى السَّرِيَّة ، ويَنْقُلُ إلينا حَقَّنَا كما تَنْقُلُ الذَّرَّةُ [٥] ، فقال عمر ، وقد كان كَتَب إليه

220

(١) هو فارس العرب . وترجمته فى الأغانى ١٤ : ٢٤ – ٣٩ والاشتقاق ٢٤٥ واللآلى ٦٣ – ٦٤ والمؤتلف ١٥٦ – ١٥٧ والمرزبانى ٢٠٨ – ٢٠٩ والخزانة : ٤٢٢ – ٤٢٦ و ٣ : ٤٦٠ – ٤٦٤ وكتب الصحابة . وله أخبار فى لباب الآداب تعرف من الفهرس .

(٢) هو صدر الأصمعية ٦١ . السميع : المسمع ، وهو شاهد لمجىء صيغة « فعيل » لمبالغة « مفعل » ، مثل « بديع » فى معنى « مبدع » . وانظر الخزانة ٣ : ٤٦٠ والبيت فى اللسان ١٠ : ٢٨ .

(٣) التامور والتامورة : عرين الأسد ، وهما فى الأصل الصومعة . فاستعيرا للأسد .

(٤) فى اللسان : « الناموس : قترة الصائد الذى يكمن فيها للصيد » ثم قال : « الناموس : مكمن الصياد ، فشبه به موضع الأسد » ولم يذكر فيه « الناموسة » بالتأنيث .

(٥) الذرة : النملة الحمراء الصغيرة .

سعدٌ يُثْنِي على عمرٍو : لَشَدَّ ما تَقَارَضْتُما الثَّنَاءَ ! وسأله عمر عن الحرب ، فقال : مُرَّةُ المَذَاقِ ، إذا قَلَّصَتْ عن ساقٍ[1] ، مَن صَبَرَ فيها عُرِفَ ، ومَنْ ضَعُفَ عنها تَلِفَ ، وهى كما قال الشاعر[2] :

الحَرْبُ أَوَّلَ ما تَكُونُ فُتَيَّةٌ   تَسْعَى بزينَتِها لِكُلِّ جَهُولِ

حتَّى إذَا اسْتَعَرَتْ وشَبَّ ضِرَامُها   عادَتْ عَجُوزًا غَيْرَ ذاتِ خَلِيلِ

شَمْطَاءَ جَزَّتْ رَأْسَها وتَنَكَّرَتْ   مَكْرُوهَةً لِلشَّمِّ والتَّقْبِيلِ

وسأله عن السِّلَاحِ ، فقال : الرُّمْحُ أَخُوكَ ، وربَّما خانَكَ ، والنَّبْلُ مَنَايَا تُخْطِئُ وتُصِيبُ ، والتُّرْسُ هو المِجَنُّ ، وعليه تَدُورُ الدَّوائِرُ ، والدِّرْعُ مَشْغَلَةٌ للفارس مَتْعَبَةٌ للراجِلِ ، وإنَّها لَحِصْنٌ حَصِينٌ ، وسأله عن السيفِ ، فقال : ثَمَّ قَارَعَتْكَ أُمُّكَ عن الثُّكْلِ ! قال عمر : بل أُمُّكَ ! قال : الحُمَّى أَضْرَعَتْنِي[3] .

221 ٦٣٥ ● وشَهِدَ مع النعمان بن مُقَرِّن المُزَنِيِّ فَتْحَ نَهَاوَنْدَ ، فقُتِلَ هنالك مع النعمانِ وطُلَيْحَةَ بن خُوَيْلِدٍ ، فقبورُهم (هنالك) بموضعٍ يقال له : الإِسْفِيذَهَانُ[4] .

٦٣٦ ● وعَمْرٌو أَحَدُ مَنْ يَصْدُقُ عن نفسه فى شعره ، قال[5] :

---

(١) قلصت : شمرت .

(٢) هكذا نسب الأبيات لشاعر مبهم ، ولكن البيت الأول فى اللسان ٩ : ٤١٦ منسوب لعمرو بن معدى كرب نفسه .

(٣) الضراعة : الذل والخضوع . وهذا مثل « الحمى أضرعتنى لك » يضرب عند الذل فى الحاجة تنزل . انظر مجمع الأمثال ١ : ١٨١ — ١٨٢ . والقصة رواها البلاذرى فى فتوح البلدان ٢٨٧ — ٢٨٨ بمعناها .

(٤) ب ، « الاسفندهان » وضبط بفتح الدال ، س ف « الاسفيذهانى » وهذا الموضع لم يذكر فى معجم البلدان ، وذكر فى تاريخ الطبرى ٤ : ٢٤٠ ، ٢٤٢ باسم « الإسبيذهان » بالباء بدل الفاء .

(٥) الأبيات فى حماسة البحترى برقم ١٨٨ .

ولَقَدْ أَجْمَعُ رِجْلَىَّ بها حَذَرَ المَوْتِ ، وإنى لَفَرُورُ
ولَقَدْ أَعْطِفُهَا كارِهَةً حِينَ للنَّفْسِ منَ الموتِ هَرِيرُ
كُلُّ ما ذٰلِكَ مِنِى خُلُقٌ وبكُلٍّ أنا فى الرَّوْعِ جَدِيرُ

٦٣٧ ● (ومن جيِّد شعره * أَمِنْ رَيْحَانَةَ * البيت .

وفيها يقولُ[1] :

أَشابَ الرَّأْسَ أَيَّامٌ طِوَالٌ وهَمٌّ ما تَضَمَّنُهُ الضُّلُوعُ
وسَوْقُ كَتِيبَةٍ دَلَفَتْ لِأُخْرَىٰ كَأَنَّ زُهَاءَهَا رَأْسٌ صَلِيعُ[2]
إذا لم تَسْتَطِعْ شَيْئًا فدَعْهُ وجاوِزْهُ إلى ما تَسْتَطِيعُ
وصِلْهُ بالزِّمَاعِ فكُلُّ أَمْرٍ سَمَا لك أو سَمَوْتَ له وَلُوعُ)[3]

٦٣٨ ●وكان له أَخٌ يقال له عبدُ الله ، وأختٌ يقال لها كَبْشَةُ ، فقُتِلَ عبدُ الله (أخوه) ، وأراد عمرٌو أَخْذَ الديةِ ، فقالت كبشةُ شعرًا تُعَيِّرُ فيه عَمْرًا[4] :

فإنْ أَنْتُمُ لم تَثْأَرُوا بأَخِيكُمُ فَمَشُّوا بآذَانِ النَّعَامِ المُصَلَّمِ[5]

---

(١) هى الأبيات ٢١ ، ٢٢ ، ٢٧ ، ٢٨ من الأصمعية ٦١ . وفى الإستيعاب . « وشعره هذا من مذهبات القصائد » .

(٢) دلفت : مشت وقاربت الخطو ، وهو الرويد ، وذلك لكثرة الجيش . الزهاء ، بضم الزاى وكسرها : القدر . رأس صليع : جبل لا نبت عليه .

(٣) الزماع ، بفتح الزاى وكسرها : المضاء فى الأمر والعزم عليه . الولوع ، بفتح الواو العلاقة ، وفى اللسان : « ولع به ولعاً وولوعاً ، الاسم والمصدر جميعاً بالفتح » . يقول : أزمع على ما تستطيع ، فلكل شىء ناحية تعلق بها النفس .

(٤) من أبيات فى الحماسة ١ : ٢١٧ — ٢١٨ من شرح التبريزى .

(٥) مشوا ، بفتح الميم : من المشى ، أى أمشوا ، يقال « مشى » و « مشى » بالتضعيف و « تمشى » . و « مشوا » بضم الميم : امسحوا ، من المش وهو المسح . المصلم : المستأصل الأذنين وإنما يوصف النعام بذلك لأنها لا آذان لها ظاهرة . والمعنى : إن قبلتم الدية ولم تثأروا فامشوا أذلاء بآذان مجدعة كآذان النعام . والبيت فى اللسان ٨ : ٢٣٩ و ١٥ : ٢٣٣ .

وَدَعْ عَنْكَ عمرًا إنَّ عمرًا مُسَالِمٌ   وهَلْ بَطْنُ عمرٍو غَيْرُ شِبْرٍ لِمَطْعَمِ   222

٦٣٩ ● وقال عمرٌو[1] :

أعاذِلَ شِكَّتِى بَدَنى ورُمْحِى   وكُلٌّ مُقَلِّص سَلِس القِيَادِ[2]

أعاذِلَ إنَّمَا أفْنَى شَبَابِى   رُكُوبِى فى الصَّريخ إلى المُنادِى

---

(١) من أبيات فى الأغانى ١٤ : ٣٢ – ٣٣ وبعضها فى الإصابة ٥ : ٢٠ – ٢١ والمرزبانى ٢٠٩ ولباب الآداب ١٨٢ .

(٢) المقلص . المشمر ، يعنى أنه طويل القوائم .

٥٢ ـ عمرو بن قميئة [١]

٦٤٠ ●هو من قَيْسِ بن ثَعْلَبَة ، من بنى سعد بن مالكٍ ، رهطِ طَرَفَةَ (ابن العَبْد) . وهو دِيمٌ جاهليٌّ ، كان مع حُجْرٍ أبى امرئِ القَيْسِ ، فلما خرج امرؤُ القيس إلى بلاد الروم صَحِبه [٢] ، وإيَّاهُ عَنَىٰ امرؤُ القيس بقوله :

بَكَىٰ صاحِبى لَمَّا رَأَىٰ الدَّرْبَ دُونَهُ وأَيْقَنَ أنَّا لا حِقَانِ بِقَيْصَرا [٣]

٦٤١ ●ومن جيِّد شعره قصيدتُه التى أَوَّلُها :

أَرَىٰ جارَتِى خَفَّتْ وخَفَّ نَصِيحُهَا وَحُبَّ بها لَوْلَا الهَوَىٰ وطُمُوحُهَا [٤]

فَبِينى على نَجْمٍ سَنِيحٍ نُحُوسُهُ وأَشْأَمُ طَيْرِ الزاجِرِين سَنِيحُهَا [٥]

---

(١) ترجمته فى المعمرين ٨٩ والمؤتلف ١٦٨ والأغانى ١٦ : ١٥٨ — ١٦٠ والخزانة ٢ : ٢٤٧ — ٢٥٠ . و « قميئة » بوزن « سفينة » . وأخطأ الزبيدى فى شرح القاموس ١ : ١٠٤ فقال : « وهو الذى كسر رباعية النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد » وليس كما قال ، فإن ابن قميئة الذى كان يوم أحد هو ابن قميئة الليثى ، وسماه السهيلى فى الروض الأنف ٢ : ١٣٥ عبد الله . وأما عمرو هذا فإنه ضبعى ، من بنى ضبيعة بن قيس بن ثعلبة . وقال المرزبانى ٢١٣ : « بين عمرو بن قميئة المعمر وبين نزار عشرون أباً » .

(٢) انظر ما مضى ١١٨ . وفى المؤتلف أنه هلك مع امرئ القيس ، فقيل له « عمرو الضائع » .

(٣) مضى ١١٨ .

(٤) حب بها : أى ما أحبها إلى ، والحاء من « حب » مفتوحة ، قال أبو عبيد : « معناه حبب بفلان ، بضم الباء ، ثم سكن وأدغم فى الثانية » ، ويجوز أيضاً ضم الحاء ، قال الجوهرى : « أراد حبب فأدغم ونقل الضمة إلى الحاء ، لأنه مدح » .

(٥) رواية اللسان « على طير سنيح » . والسنيح والسانح : ما أتاك عن يمينك من ظبى أو طائر أو غير ذلك ، والبارح : ما أتاك من ذلك عن يسارك ، والعرب تختلف فى العيافة ، فمنهم من يتيمن بالسانح ويتشاءم بالبارح ، وهم أهل نجد ، ومنهم من يخالف ذلك ، وهم أهل الحجاز ، فهذا هو الأصل ، ثم قد يستعمل النجدى لغة الحجازى ، كما فعل ابن قميئة هنا ، وهو نجدى . والبيت فى اللسان ٣ : ٣٢٢ وعجزه فيه ٣٢١ .

فإنْ تَشْغَبى فالشَّغْبُ مِنْكِ سَجِيَّةٌ ... إذَا شِيمَتِى لم يُؤْتَ منها سَجِيحُهَا[١]

أُقَارِضُ أقْوَامًا فأُوفِى بقَرْضِهِمْ ... وعَفٌّ إذَا أبْدَى النُّفُوسَ شَحِيحُهَا[٢]

٦٤٢ ● وهو مِمَّن أنصف فى شعره وصدَق ، قال :

فما أتْلَفَتْ أيْدِيهِمُ من نُفُوسِنا ... وإنْ كَرُمَتْ فإنَّنا لا نَنُوحُهَا

223

أَبُنَا وآبُوا كُلُّنا بمَضِيضَةٍ ... مُهَمَّلَةٌ أجْرَاحُنا وجُرُوحُهَا[٣]

٦٤٣ ● (وهو القائل[٤] :

رَمَتْنِى بَنَاتُ الدَّهْرِ من حَيْثُ لا أرَى ... فكَيْفَ بمَنْ يُرْمَى وليس بِرَامِ[٥]

وَأَهْلَكَنِى تَأْمِيلُ ما لَسْتُ مُدْرِكًا ... وتَأْمِيلُ عامٍ بَعْدَ ذاكَ وعامِ

إذا ما رآنى النَّاسُ قالوا : ألم تَكُنْ ... جَلِيدًا حَدِيثَ السِّنِّ غَيْرَ كَهَامِ[٦]

فأفْنَى وما أُفْنِى منَ الدَّهْرِ لَيْلَةً ... فلم يُغْنِ ما أفْنَيْتُ سِلْكَ نِظَامِ

فلَوْ أنَّنِى أُرْمَى بنَبْلٍ رَأَيْتُها ... ولكِنَّنِى أُرْمَى بغَيْرِ سِهَامِ

على الرَّاحَتَيْنِ مَرَّةً وعلى العَصَا ... أنُوءُ ثَلاثًا بَعْدَهُنَّ قِيامِى

كأنِّى وقد جوَزْتُ تِسْعِينَ حِجَّةً ... خَلَعْتُ بها عَنِّى عِذارَ لِجامِى)

---

(١) تشغبى : أى تخالفينى وتفعلى ما لا يقامينى ، أى ما لا يوافقنى . الخلق السجيح : اللين السهل . والبيت فى اللسان ١ : ٤٨٦ . س ف « همتى » بدل « شيمتى » .

(٢) س ف « أردى » بدل « أبدى » .

(٣) س ب « فآبوا وأبنا » . المضيضة : الحرقة من الهم والحزن . مهملة : من الهمل ، وهو المتروك سدى ليلا أو نهاراً ، والفعل المذكور فى المعاجم « أهمل » ولم يذكر « همل » بالتضعيف ، وهذا المشتق منه فى البيت يدل عليه .

(٤) الأبيات فى المعمرين والأغانى وحماسة البحترى برقم ١٠٥٠ باختلاف فى الرواية .

(٥) بنات الدهر : حوادثه ومصائبه . والبيت فى ثمار القلوب ٢١٩ غير منسوب .

(٦) الرجل الكهام : الثقيل المسن الذى لا غناء عنده .

٦٤٤ ● وفى عبد القيس عمرو بن قَميئَة الضُّبَعىُّ[1] ، وهو شاعر أيضًا .

(١) هكذا فى النسخ ، والذى فى الخزانة ٢ : ٢٥٠ س ١ نقلا عن المؤلف « الصغير » بدل « الضبعى » فلو صح هذا كان له معنى ، أما ما هنا فخطأ ، لأن عمرو بن قميئة الضبعى » هو هنا المترجم ، ثم « بنو ضبيعة بن قيس بن ثعلبة » ليسوا من « عبد القيس » . وأظن أن المؤلف وهم أو شبه عليه ، والذين ذكروا فى المؤتلف ١٦٨ هم : عمرو بن قميئة هذا ، وجميل بن عبد الله بن قميئة الشاعر العذرى ولم يكن يعرف إلا بابن قميئة ، وربيعة بن قميئة الصعبى ، له قصيدة فى كتاب عبد القيس. ولعل هذا الأخير هو الذى يريده المؤلف .

٥٣ – زهير بن جناب [١]

٦٤٥ ● هو من كَلْبٍ ، وهو جاهلىٌّ قديم . ولمّا قَدِمَتِ الحَبَشَةُ تُريد هدمَ البيتِ خرج زهيرٌ فَلَقِىَ ملكَهم ، فأكرمه ووجَّهه إلى ناحية العراق يدعوهم إلى الدخول فى طاعته ، فلمّا صار فى أرض بكر بن وائل لَقِيَه رجل منهم ، فطعنه طعنةً أَشْوَتْه ، فنجا وخرج هاربًا ، فقال الذى طعنه [٢] :

طَعْنَةً مّا طعَنْتُ فى غَبَسِ اللَّيْـ ... ـلِ زُهَيْرًا ، وقد تَوَافَى الخُصُومُ [٣]

خانَنِى الرُّمْحُ إذْ طَعَنْتُ زُهَيْرًا ... وهو رُمْحٌ مُضَلَّلٌ مَشْؤُومُ

224

٦٤٦ ● وهو من المعمَّرين ، وهو القائل فى عمره [٤] :

المَوْتُ خَيْرٌ للفتَى ... فَلْيَهْلِكَنْ وبه بَقِيَّهْ

مِنْ أن يُرَى الشَّيْخَ الكَبِيـ ... ـرَ يُقادُ يُهْدَى بالعَشِيَّهْ

(مِن كُلِّ ما نالَ الفتَى ... قد نِلْتُهُ إلّا التَّحِيَّهْ) [٥]

٦٤٧ ● وهو أحدُ النفر الثلاثةِ الذين شربوا الخمر صِرْفًا حتّى ماتوا ، وهم : زُهَير بن جَنَاب ، وأبو بَرَاءٍ (عامرٌ) ملاعبُ الأَسنَّة عمٌّ لَبِيد ، وعمرو ابن كُلْثومٍ التغلبىُّ . فأمّا زهيرٌ فإنّه قال ذاتَ يوم : إنَّ الحىَّ ظاعنٌ ، فقال

---

(١) ترجمته وأخباره فى الجمحى ١٢ – ١٣ والمعمرين ٢٤ – ٢٩ والأغانى ٢١ : ٦٣ – ٦٩ والمؤتلف ١٣٠ وابن الأثير ١ : ٢٥٠ – ٢٠٧ . وله قصيدة فى اللسان ١٣ : ٤٧ .

(٢) هذا الذى طعنه هو ابن زبابة من بنى تيم الله بن ثعلبة ، كما فى الأغانى وابن الأثير . واسمه « عمرو بن الحرث بن همام » وقيل « سلمة بنذهل » وهو جاهلى ، وانظر المرزبانى ٢٠٨ وشرح الحماسة ١ : ١٤٣ . والبيتان ومعهما ثالث فى الأغانى وابن الأثير .

(٣) غبس : بالسين المهملة ، وفى الأغانى « غبش » بالمعجمة ، وفى س ف وابن الأثير « غلس » وكلها بمعنى الظلمة .

(٤) من قصيدة فى المعمرين وذكر بعضها فى الأغانى .

(٥) التحية : البقاء ، أو الملك ، قال ابن الأعرابى : « أراد البقاء ، لأنه كان ملكاً فى قومه » . والبيت مع آخرين فى الأنبارى ١١٧ والمؤتلف ١٣٠ واللسان ١٨ : ٢٣٦ .

عبدُ الله بن عُلَيْم بن جَنَابٍ (ابنُ أخيه) : إنَّ الحيَّ مقيمٌ ، فقال زهير : مَنْ هذا المخالفُ لى ؟ قالوا : ابنُ أخيكَ ، قال : فما أحَدٌ ينهاه؟! قالوا : لا ، قال ، أرانى قد خُولفتُ ، فدعَا بالخمر فلم يَزَلْ يشربُها صِرْفًا حتى قتلتْه . وأمَّا أبو بَرَاءٍ (ملاعبُ الأَسنَّةِ) فانَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم كان وجَّهَ عِدَّةً من أصحابه إلى بنى عامر بن صَعْصَعَة فى خُفارته ، فسار إليهم عامرُ بن الطُّفَيل ابنُ أخيه ، فلقيهم ببئرِ مَعُونَةَ فقَتَلهم ، فدعا أبو براءٍ بنى عامرٍ إلى الوُثوب بعامرٍ ، فلم يجيبوه ، (فغضب) فدعَا بالخمر فشربها صِرفًا حتى قتلتْه . وأمَّا عمرُو بن كلثومٍ فإنه أغار على بنى حَنيفةَ باليَمَامَة ، 225 فأسره يزيدُ بن عمرو الحَنَفيٌّ فشدَّه وَثَاقًا ، ثم قال : ألستَ القائلَ :

متى تُعْقَدْ قَرِينَتُنا بحَبْلٍ نَجُذَّ الحَبْلَ أو نَقِصِ القَرِينا[1]

أمَا إنى سأَقرنك بناقتى هذه ، ثم أطْرُدُكما جميعًا (فأنظر أيُّكما يَجُذُّ) ! فنادَى : يالَ ربيعةَ ! أمُثْلَةً ؟ ! فاجتمعتْ إليه بنو لُجيمٍ[2] فنَهَوْه (عن ذلك) ، فانتهى به إلى حَجْرٍ[3] فأنزله قصرًا وسقاه ، فلم يَزَلْ يشرب حتى مات[4] .

---

(١) من المعلقة ٢٢٩ شرح التبريزى . القرينة ؛ أصلها الناقة تكون فيها خشونة تشد إلى أخرى حتى تلين . نجذ نقطع . نقص : من الوقص ، وهو كسر العنق . يقول : متى نقرن إلى غيرنا ، أى متى نسابق قوماً نسبقهم ، ومتى صابرنا قوماً فى حرب صابرناهم حتى نقص من يقرن بنا . قاله التبريزى . وفى اللسان ١٧ : ٢١٧ : «قرينته : نفسه ههنا ، يقول : إذا أقرنا لقرن غلبناه» .

(٢) بنو حنيفة : هم بنو حنيفة بن لجيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل .

(٣) حجر ، بفتح الحاء : مدينة اليمامة وأم قراها .

(٤) هكذا قال المؤلف ، وهو شىء شاذ لم نرد عند غيره ، فإن القصة فى الأغانى ٩ : ١٧٦ — ١٧٧ وفيه أن يزيد «ضرب عليه قبة ونحر له وكساه وحمله على نجيبه وسقاه الخمر» وأن عمرو بن كلثوم لما أخذت الخمر برأسه تغنى بأبيات ذكرها . فهذا إكرام ينفى أنه مات فى الأسر . ثم قد ذكر فى الأغانى ١٧٨ خبر موته وقد أتت عليه ١٥٠ سنة وأنه جمع بنيه وأوصاهم . نعم : ذكر أبو حاتم فى المعمرين حادث زهير بن جناب ثم قال : «وشربها أبو براء عامر بن مالك بن جعفر حين خولف صرفاً حتى مات . وشربها عمرو بن كلثوم التغلبى صرفاً حتى مات . ولم يبلغنا أن أحداً من العرب فعل ذلك إلا هؤلاء» . وكذلك أشير إليهما فى الأغانى وابن الأثير فى مناسبة ترجمة زهير بن جناب ، ولم يذكر أحد منهم أن موت عمرو كان فى إسار بنى حنيفة . فلعل المؤلف دخلت عليه قصة فى قصة !

٦٤٨ ● ومن جيِّد شعر زُهير بن جَنَاب[١] :

ارْفَعْ ضَعِيفَكَ لا يَحُرْ بِكَ ضَعْفُه ... يَوْمًا فتُدْرِكَهُ عَوَاقِبُ ما جَنَى[٢]

يَجْزِيكَ أو يُثْنِي عليكَ ، وإنَّ مَنْ ... أثْنَى عليكَ بما فَعَلْتَ كَمَنْ جَزَى

وسمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عائشةَ رضى الله عنها وهى تَتمثَّل به ، فكان يقولُ لها : كيفَ الشعرُ الذى كنتِ تَتَمَثَّلينَ به ؟ فإذَا أنشدته إيَّاه قال : يا عائشةُ إنه لا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لا يشكرُ الناسَ[٣] .

٦٤٩ ● ومن جيِّد شعره قولُه :

إنَّ بَنِى مالِكٍ تَلْقَى غَزِيَّهُمُ ... فى الزادِ فَوْضَى وعند الموتِ إخْوَانَا[٤]

---

(١) البيتان فى اللآلى ٢٠٦ ونسبهما لورقة بن نوفل ، وكذلك فى الخزانة ٢ : ٣٩ ، وهما فى الأغانى ٣ : ١٢ — ١٤ ونسبهما لغريض اليهودى ، ثم ذكر أقوالا أنهما لسعية بن غريض أو لزيد ابن عمرو بن نفيل أو لورقة أو لزهير بن جناب أو لعامر المجنون الحرمى ، وصحح أنهما لغريض أو ابنه ، ثم ذكر قصيدة لورقة فيها البيتان . وفى نسب قريش للمصعب ص ١٥٠ خطأ أنهما لورقة بن نوفل .

(٢) لا يحر : لا يرجع إلى النقص ، وأصل الحور الرجوع إلى النقص .

(٣) فى الأغانى ٢ : ١٣ بإسناده إلى عائشة : « فقال صلى الله عليه وسلم : ردى على قول اليهودى قاتله الله ، لقد أتانى جبريل برسالة من ربى : أيما رجل صنع إلى أخيه صنيعة فلم يجد له جزاء إلا الثناء عليه والدعاء له فقد كافأه » . وفى الخزانة ٣ : ٣٩ « وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تسبوا ورقة فإنى رأيته فى ثياب بيض ، وهو الذى يقول» فذكر البيتين . فهاتان الروايتان ورواية المؤلف لا أصل لها فى السنة فيما أعلم ، إلا أن الحديث الذى ذكره المؤلف « لا يشكر الله من لا يشكر الناس » حديث صحيح ، رواه أحمد فى المسند ٥ : ٢١١ ، ٢١٢ من حديث الأشعث بن قيس ، ورواه أبو داود والترمذى من حديث أبى هريرة ، وصححه الترمذى . وانظر كشف الخفا ٢ : ٣٧٦ .

(٤) الغزى : جمع غاز ، مثل « ناد وندى » و « ناج ونجى » للقوم يتناجون .

٥٤ ـ الأضبط بن قريع (السعدى)[١]

٦٥٠ ● هو من بنى عَوْف بن كَعْب بن سعد ، رهطِ الزِّبْرِقَانِ بن بَدْرٍ ، ورهطِ ابن أَنْفِ الناقةِ[٢] ، وكان قومُه أساؤُوا مجاورتَه ، فانتقل عنهم إلى آخَرين ، فأساؤُوا مجاورتَه فانتقل منهم إلى آخرين ، فأساؤُوا مجاورته ، فرجعَ إلى قومه وقال: بكُلِّ وادٍ بنو سَعْدٍ ، ويقال أنَّه قال : أَيْنَما أُوَجِّهْ أَلْقَ سَعْدًا[٣] . وهو قديمٌ[٤] .

226

٦٥١ ● وكان أغار على بنى الحٰرث بن كعبٍ ، فقَتل منهم وأَسَر وجَدَع وخَصَى ، ثم بنَى أُطُمًا ، وبَنَت الملوكُ حولَ ذلك الأُطُمِ مدينة صَنْعاء ، فهى اليومَ قَصَبَتُها[٥] .

٦٥٢ ● وهو القائل[٦] :

---

(١) ترجمته فى المعمرين ٨ — ٩ والأغانى ١٦ : ١٥٤ — ١٥٥ واللآلى ٣٢٦ — ٣٢٧ وشواهد المغنى ١٥٥ وأخطأ فذكر أنه من شعراء الدولة الأموية ! وهو جاهلى قديم ، والخزانة ٤ : ٥٨٨ — ٥٩١

(٢) س ف «بنى أنف الناقة» وهو الموافق لما نقل فى الخزانة . وأنف الناقة هو جعفر بن قريع أخو الأضبط . .

(٣) أينما أوجه : معناه أين أتوجه ، وجه وتوجه بمعنى ، مثل قدم وتقدم ، وبين وتبين . وهذا والذى قبله مثلان ، انظر مجمع الأمثال ١ : ٥٤ وأمثال الضبى ٦ .

(٤) فى الخزانة عن التصريح للشيخ خالد ما يفيد أنه كان قبل الإسلام بخمسمائة سنة .

(٥) هذا قول غريب ، لم أجد ما يؤيده .

(٦) من قصيدة ٨ أبيات فى الأمالى ١ : ١٠٧ — ١٠٨ عن ثعلب وقال : «وبلغنى أن هذه الأبيات قيلت قبل الإسلام بدهر طويل» ، وكذلك هى فى الأغانى والخزانة ، وذكر بعضها فى المعمرين وفى البيان للجاحظ ٣ : ٢٠٤ وحماسة ابن الشجرى ١٣٧ والعينى ٤ : ٣٢٤ — ٣٢٧ مع اختلاف بينهم فى الرواية .

يا قَوْمِ مَنْ عاذِرِى مِنَ الخُدَعَهْ ... والمُسْىُ والصُّبْحُ لا فَلَاحَ مَعَهْ[1]

فَصِلْ حِبالَ البَعِيدِ إنْ وَصَلَ الـ ... حَبْلَ ، وَأَقْصِ القَرِيبَ إنْ قَطَعَهْ

واقْنَعْ من العَيْشِ ما أتاكَ به ... مَنْ قَرَّ عَيْنًا بعَيْشِهِ نَفَعَهْ[2]

قد يَجْمَعُ المالَ غَيْرُ آكِلِهِ ... وَيأْكُلُ المالَ غَيْرُ مَنْ جَمَعَهْ

لا تُهِينَ الفَقِيرَ عَلَّكَ أن ... تَخْشَعَ يومًا والدَّهْرُ قد رَفَعَهْ[3]

---

(١) فى الأغانى : « والخدعة : قوم من بنى سعد بن زيد مناة بن تميم » وفى اللسان ٩ : ١٩ : « الخدعة : قبيلة من تميم » ، قال ابن الأعرابى : الخدعة : ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم » . وذكر صدر هذا البيت جعله عجزاً لصدر آخر ، كرواية الأغانى وغيره ، المسى : بضم الميم وكسرها وسكون السين : اسم من المساء كالصبح من الصباح . وعجز البيت فى اللسان ٢٠ : ١٤٩ مع صدر آخر .

(٢) س ف « وخذ من الدهر ما أتاك به » .

(٣) البيت شاهد معروف ، استشهدوا به على أن نون التوكيد الخفيفة تحذف لالتقاء الساكنين والأصل ، « لا تهينَنْ الفقير » فحذفت النون وبقيت الفتحة دليلا عليها لكونها مع المفرد المذكر . انظر الخزانة .

٥٥ ــ المستوغر (١)

٦٥٣ ● هو المُسْتَوْغِرُ بن ربيعةَ بن كعب بن سعد ، رهطِ الأضبطِ .

وسُمِّيَ المُسْتَوْغِرَ(٢) لقوله فى فرس :

يَنِشُّ الماءُ فى الرَّبَلَاتِ منها نَشِيشَ الرَّضْفِ فى اللَّبَنِ الوَغِيرِ(٣)

وهو قديمٌ من المعمَّرين(٤). وعاش ثلاثَ مائةِ سنة وعشرينَ سنةً ،

(وقال(٥) :

ولَقَدْ سَئِمْتُ منَ الحَيَاةِ وطُولِها وعَمِرتُ من عَدَدِ السِّنِينَ مِئِينَا

مائةٌ حَدَتْهـا بَعْدَها مائتَانِ لى وازْدَدْتُ من بَعْدِ الشُّهُورِ سِنِينَا

هَلْ ما بَقَىْ إلاّ كما قد فاتَنِى يَوْمٌ يَمُرُّ ولَيْلَةٌ تَحْدُونا)(٦)

---

(١) ترجمته فى الجمحى ١٢ والمعمرين ٩ ــ ١٠ والاشتقاق ١٥٤ والمرزبانى ٣١٣ ــ ٣١٤ والإصابة ٦ : ١٧٢ .

(٢) أى أن هذا لقب ، واسمه « عمرو » كما فى المرزبانى والقاموس ٣ : ٦٠٤ من الشرح .

(٣) ينش : النش والنشيش صوت الماء عند الغليان أو الصب . الربلات ، بفتح الباء : جمع ربلة بفتحها أو إسكانها ، وهى باطن الفخذ . الرضف : حجارة تحمى وتطرح فى اللبن ليجمد . الوغير : اللبن يسخن بالحجارة المحماة . والبيت فى المعمرين والاشتقاق واللسان ٧ : ١٤٩ . وهذا البيت قاطع فى الدلالة على أن « المستوغر » بالغين المعجمة والراء ، وهو الثابت فى كافة المصادر ، إلا الإصابة ، فإنه ضبط فيها بالنص « بعين مهملة ثم زاى » وهو خطأ صرف .

(٤) قال المرزبانى : « بين المستوغر وبين مضر بن نزار تسعة آباء » . وفيه أيضاً أنه « مات فى صدر الإسلام ، ويقال إنه عاش إلى أول أيام معاوية ، وهو أحد المعمرين » . وفى الإصابة « قال أبو حاتم السجستانى : عاش ثلاثمائة وثلاثين سنة حتى أدرك الإسلام ، فأمر بهدم البيت الذى كانت ربيعة تعظمه فى الجاهلية » .

(٥) الأبيات فى الجمحى والمعمرين والمرزبانى .

(٦) قال الجمحى . « قوله بقى : يريد بقى ؛ وفنى ؛ وهما لغتان لطيء ، وقد تكلمت بهما العرب ، وهما فى لغة طيء أكثر » . وانظر ما مضى ٢٨٧ .

٦٥٤● حدَّثني سَهْل قال : حدَّثني الأصمعيُّ ، عن أبي عَمرو بن العَلاء ، وابنِ العَجَّاجِ : أنَّ المُسْتَوْغِرَ مرَّ مرَّةً بِعُكاظَ يقودُ ابنَ ابنِه خَرِفًا ، فقال له رجل : يا عبدَ الله أحْسِنْ إليه فطالَ ما أحْسَنَ إليك[1] ! قال : أوَ تدْرِى مَن هو ؟ قال : نعم هو ، أبوك أو جدُّك ، قال : هو واللهِ ابنُ ابنى ! قال الرجل لم أرَ كاليوم في الكذبِ ولا مُسْتَوْغِرَ بنَ ربيعةَ ! ! قال : فأنا المستوغرُ بن ربيعة. قال : وقال أبو عمرو بن العَلاء : عاش المستوغرُ ثلاثَ مائةِ سنة وعشرين سنةً .

---

(١) هكذا رسمت « طالما » هنا منفصلة ، والأصح وصلها ، وانظر ما مضى ٣٣٢ .

٥٦ ، ٥٧ ــ ابنا خذاق[١]

٦٥٥● هما سُوَيْدٌ ويَزِيدُ ابنَا خَذَّاقٍ ، من عبد القَيْسِ[٢] . قال أبو عمرو ابنُ العَلاءِ : أوَّلُ شعرٍ قيل فى ذمّ الدنيا قولُ يزيدَ بن خَذَّاق[٣] .

هل للفتَى من بَنَاتِ الدَّهْرِ من واقِ ... أم هل له من حِمَامِ المَوْتِ مِن رَاقِى[٤]

قد رَجَّلُونى وما بالشَّعْرِ من شَعَثٍ ... وألْبَسُونى ثِيَابًا غَيْرَ أَخْلَاقِ[٥]

ورَفَعُونى وقالوا : أيُّما رَجُلٍ ... وأَدْرَجُونى كأنِّى طَىُّ مِخْرَاقِ[٦]

وأَرْسَلُوا فِتْيَةً من خَيْرِهم نَسَبًا ... لِيُسْنِدُوا فى ضَرِيحِ القَبْرِ أَطْبَاقِى[٧]

وقَسَّمُوا المالَ وَارْفَضَّتْ عَوَائِدُهُمْ ... وقال قائِلُهم : ماتَ ابنُ خَذَّاقِ[٨]

هَوِّنْ عليكَ ولا تَوْلَعْ بإشْفاقِ ... فإنَّما مالُنَا للوارِثِ الباقِى[٩]

---

(١) لهما ترجمة فى الاشتقاق ٢٠٠ ، وترجمنا ليزيد فى أول المفضلية ٧٨ وله ترجمة فى المرزبانى ٤٩٥ واللآلى ٧١٣ – ٧١٤ . و « خذاق » بالخاء والذال المعجمتين ، ويصحف فى كثير من الكتب

(٢) هما من بنى شن بن أفصى بن عبد قيس ، فيقال لكل منهما « الشنى » بفتح الشين ، و « العبدى » .

(٣) من المفضلية ٨٠ ولكنها نسبت فيها للممزق العبدى ، والصحيح ما هنا ، نسبتها إلى ابن خذاق ، وقد قال فى البيت الخامس * وقال قائلهم مات ابن خذاق * وقد حققنا ذلك فى مقدمة المفضلية . وهى فى اللآلى ٧١٣ – ٧١٤ عدا البيت الثالث .

(٤) الراق : من الرقية . والبيت فى الجمحى ٧٠ غير منسوب .

(٥) الأخلاق : الممزقة البالية .

(٦) طى مخراق : عنى به العمامة التى يلهو بها الصبيان ثم يضرب بها بعضهم بعضاً .

(٧) الأطباق : المفاصل ، واحدها « طبق » .

(٨) العوائد : النسوة اللاتى يعدن المريض ، الواحدة « عائدة » .

(٩) تولع : ولع بالشىء لزمه ولج فيه . الإشفاق : الخوف ، أراد من الموت أو من الفقر . والبيت فى الجمحى ٧٠ غير منسوب .

٦٥٦ ● وهما قديمان ، كانا في زمن عَمرو بن هند. (ويزيدُ القائل[١] :

نُعْمَانُ إنَّكَ غادِرٌ خُدَعٌ يُخْفِى ضَميرُكَ غيرَ ما تُبْدِى[٢]
فإذا بَدَا لَكَ نَحْتُ أَثْلَتِنا فعَلَيْكَها إنْ كُنْتَ ذَا جِدِّ[٣]
وهَزَزْتَ سَيْفَك كَىْ تُحارِبَنا فانْظُرْ بِسَيْفِك مَنْ به تُرْدِى

٦٥٧ ● وسويدٌ القائل :

أَبَى القَلْبُ أَنْ يَأْتِى السَّدِيرَ وأَهْلَهُ وإنْ قيلَ عَيْشٌ بالسَّدِيرِ غَزِيرُ
به البَقُّ والحُمَّى وأُسْدُ خَفِيَّةٍ وعَمْرُو بن هِنْدٍ يَعْتَدِى ويَجُورُ[٤]

٦٥٨ ●وهو القائل أيضًا :

جَزَى اللهُ قابُوسَ بنَ هِنْدٍ بفِعْلِه بِنَا وأَخاه غَدْرَةً وأَثَامَا[٥] 229
بما فَجَرَا يَوْمَ العُطَيْفِ وفَرَّقَا قَبائلَ أَخْلاقًا وحَيًّا حَرَامَا[٦]
لَعَلَّ لَبُونَ المُلْكِ تَمْنَعُ دَرَّها ويَبْعَثُ صَرْفُ الدَّهْرِ قَوْمًا نِيَامَا
وإلَّا تُغادِينى المَنِيَّةُ أُغْشِكُمْ على عُدَوَاءِ الدَّهْرِ جَيْشًا لُهَامَا[٧]

---

(١) من المفضلية ٧٨ .

(٢) خدع : ضبط فى ل بضم الخاء وفتح الدال ، وفى المفضلية بفتح الخاء وكسر الدال ، وهو الذى يخدع الناس كثيراً ، ولكن الذى فى المعاجم « خدعه » بضم ففتح وبالهاء ، و « خدع » بفتح فكسر بدون الهاء .

(٣) الأثلة : شجرة ، جعلها مثلا لعزهم .

(٤) الخفية : غيضة ملتفة يتخذها الأسد عرينه ، أو « خفية » اسم علم لمأسدة بعينها ، ممنوع من الصرف ، ويصرف للضرورة فى الشعر . وفى البلدان أنها « أجمة فى سواد الكوفة » .

(٥) الأثام : الإثم .

(٦) هـ « يوم القطيف » .

(٧) أثبتنا ما فى ب د هـ وفى س ف « فإلا تماديني » . وأثبت فى ل « وإلا تغادنى » . عدواء الدهر : شواغله وموانعه . الجيش اللهام : الكثير يلتهم كل شىء ويغتمر من دخل فيه ، أى يغيبه ويستغرقه .

٥٨ ـ أبو الطمحان القينى[١]

٦٥٩● هو حَنْظَلَة بن الشَّرْقِىّ ، وكان فاسقًا ، وقيل له : ماأدنَى ذنوبِك ؟ قال : ليلةُ الدَّيْر ، قيل له : وما ليلةُ الدَّير ؟ قال : نزلتُ بدَيْرَانِيَّةٍ[٢] ، فأَكلتُ عندها طَفْشِيلا[٣] بلحمِ خِنْزيرٍ ، وشربتُ من خمرِها ، وزَنيتُ بها ، وسَرقتُ كِساءَها ، ومضيتُ !

٦٦٠● وكانت له ناقةٌ يقال لها المِرْقالُ ، وفيها يقول : [٤]

أَلَا حَنَّتْ المِرْقالُ وائْتَبَّ رَبُّها ... تَذكَّرُ أَرْمَامًا وأَذْكُرُ مَعْشَرِى[٥]

ولو عَلِمَتْ صَرْفَ البُيُوعِ لَسَرَّها ... بمَكَّةَ أن تَبْتاعَ حَمْضًا بإِذْخِرِ[٦]

وكان نازلا بمكَّةَ على الزُّبير بن عبد المطَّلب ، وكان يَنْزِلُ عليه الخُلَعاءُ ، وإنَّما أراد : أنَّها لو عَرَفَتْ لَسَرَّها أن تنتقلَ من بلاد الإِذْخِرِ إلى بلاد الحَمْض ، وهى البادية .

---

(١) ترجمته فى المعمرين ٥٧ والاشتقاق ٢١٧ والمؤتلف ١٤٩ – ١٥٠ والأغانى ١١ : ١٢٥ – ١٢٨ واللآلى ٣٣٢ والإصابة ٢ : ٦٦ والخزانة ٣ : ٤٢٦ . وفى اللآلى : « كان خبيث الدين جيد الشعر » . وهو صاحب البيت الرائع المشهور :

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم ... دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

ويقال : هو أمدح بيت قيل فى الجاهلية . و « الطمحان » بفتح الطاء والميم والحاء المهملة .

(٢) ديرانية : نسبة إلى « دير » على غير قياس .

(٣) طفشيل : كذا فى الأصول ، وفى الخزانة « طفيشل » بتقديم الياء على الشين ، وفى القاموس : « طفيشل كسميدع : نوع من المرق » .

(٤) البيتان فى الأغانى ١١ : ١٢٨ ومعهما آخران ، و ١٦ : ٦٧ ومعهما غيرهما ، فهى ستة فيه فى موضعين .

(٥) ائتب : تهيأ للذهاب وتجهز . أرمام : موضع بعينه . والبيت فى اللسان ٣ : ٤٤٣ .

(٦) الحمض ، بفتح الحاء : نبات لا يهيج فى الربيع ويبقى على القيظ وفيه ملوحة ، إذا أكلته الإبل شربت عليه ، وإذا لم تجده رقت وضعفت ، وهو فاكهة الإبل . والبيت فى الكامل ٤٣٧ .

٦٦١ ● وفيها يقول :

وإنى لأَرْجو مِلْحَها فى بُطُونِكُمْ   وما بَسَطَتْ من جِلْدِ أَشْعَثَ أَغْبَرِ

والمِلْحُ : اللَّبَنُ ، وكانوا أخذوا إبلَه بعدَ أَن كانوا شَرِبُوا من لَبنِها فى ضيافته ، فقال : أرجو أن يُعَطِّفَكم ذلك فتَرُدُّوها[1] .

230

وهو القائلُ :

تَكادُ الغَمَامُ الغُرُّ تَرْعَدُ أَنْ رَأَى‌ٰ   وُجُوهَ بَنى لَأْمٍ ويَنْهَلُّ بارِقُهْ[2]

(١) البيت فى اللآلى ٤٠٥ ومعه آخر ، والكامل ٤٣٦ ، واللسان ٣ : ٤٤٣ وقال : « فقال : أرجو أن ترعوا ما شربتم من ألبان هذه الإبل ومابسطت من جلود قوم كأن جلودهم قد يبست فسمنوا منها »

(٢) هم بنو لأم بن عمرو بن طريف ، من طىٍّ .

٥٩ — حميد بن ثور الهلالى[1]

٦٦٢ ● هو من بنى عامر بن صَعْصَعَةَ ، إسلامىٌّ مُجيدٌ[2]. ومما يُستجاد له قولُه :

أَرَىٰ بَصَرى قد رابَنِى بَعْدَ صِحَّةٍ   وحَسْبُكَ داءً أَنْ تَصِحَّ وتَسْلَمَا[3]

٦٦٣ ● ومن حَسَنِ التشبيه قولُه فى فَرْخِ القَطَاة[4] :

كأَنَّ على أَشْدَاقِهِ نَوْرَ حَنْوَةٍ   إذَا هو مَدَّ الجِيدَ منه لِيَطْعَمَا[5]

٦٦٤ ● ومن خبيث الهجاء قولُه فى رجلين بعثهما إلى عشيقته :

وقُولَا إذَا جاوَزْتُمَا أَرْضَ عامِرٍ   وجاوَزْتُمَا الحَيَّيْن نَهْدًا وَخَثْعَمَا
نَزِيعَانِ من جَرْمِ بن رَبَّانَ ، إنَّهُمْ   أَبَوْا أن يَمِيرُوا فى الهَزَاهِزِ مِحْجَمَا[6]

أمرهما أن يَنْتَسِبَا إلى جَرْمٍ ، لأَنْ العربَ تأْمَنُها لِذُلِّها ولا تَخافُ منها غارةً .

231

٦٦٥ ● ويُستجادُ له قولُه فى وصف ذئبٍ وامرأةٍ :

---

(١) ترجمته فى الاستيعاب ١٤١ — ١٤٢ وأسد الغابة ٢ : ٥٣ — ٥٤ والإصابة ٢ : ٣٩ — ٤٠ والأغانى ٤ : ٩٧—٩٨ واللآلى ٣٧٦ ومعجم الأدباء ٤ : ١٥٣— ١٥٥ وشواهد العينى ١ : ١٧٧—١٧٩

(٢) هو مخضرم ، قال المرزبانى ، فيما نقل عنه فى الإصابة : « كان أحد الشعراء الفصحاء ، وكان كل من هاجاه غلبه ، وقد وفد على النبى صلى الله عليه وسلم ، وعاش إلى خلافة عثمان » .

(٣) مضى ٦٥ وهو مع آخر فى الكامل ١٨٧ ، ٨٥٢ — ٨٥٣ واللآلى ٥٣٢ ومن هذه القصيدة أبيات فى الكامل ٨٤٩ واللآلى ٢٨٢ والبلدان ٨ : ٤٩٥ .

(٤) س ب « يصف فرخ حمامة » .

(٥) الحنوة بفتح الحاء : عشبة وضيئة ذات نور أحمر طيبة الريح ، وقيل : هى الريحانة .

(٦) نزيعان : النزيع الغريب الذى يجاور قبيلة ليس منها . الهزاهز : البلايا والفتن يهتز فيها الناس .

تَرَى رَبَّةُ البَهْمِ الفِرَارَ عَشِيَّةً ... إذَا ما عَدَا فى بَهْمِهَا وهْوَ ضائعُ (١)

فقامَتْ تُعَشِّى ساعةً ما تُطِيقُها ... منَ الدَّهْرِ نَامَتْهَا الكِلَابُ الطَّوَالعُ (٢)

رَأَتْهُ فشَكَّتْ وهْوَ أَكْحَلُ مائِلٌ ... إلى الأَرْضِ مَثْنِيٌّ إليه الأَكَارِعُ (٣)

طَوِى البَطْنِ إلّا من مَصِيرٍ يَبُلُّهُ ... دَمُ الجَوْفِ أو سُؤْرٌ منَ الحَوْضِ نَاقعُ (٤)

تَرَى طَرَفَيْهِ يَعْسِلَانِ كِلَاهُمَا ... كما اهْتَزَّ عُودُ السَّاسَمِ المُتَتَابعُ (٥)

إذَا خاف جَوْرًا من عَدُوٍّ رَمَتْ بِهِ ... قُصَايَتُه والجانِبُ المُتَوَاسِعُ (٦)

وإنْ باتَ وَحْشًا لَيْلَةً لم يَضِقْ بها ... ذِرَاعًا، ولم يُصْبِحْ لها وهْوَ خاشِعُ (٧)

إذا احْتَلَّ حِضْنَىْ بَلْدَةٍ طُرَّ منهما ... لأُخْرَى، خَفِيُّ الشَّخْصِ للرِّيحِ تابعُ (٨)

وإنْ حَذِرَتْ أَرْضٌ عليه فإنَّهُ ... بِغِرَّةِ أُخْرَى طَيِّبُ النَّفْسِ قانعُ

يَنَامُ بإحْدَى مُقْلَتَيْهِ ويَتَّقِى ... المنايَا بأُخْرَى، فَهْوَ يَقْظَانُ هاجعُ (٩)

إذَا قامَ أَلْقَى بَوْعَهُ قَدَرَ طُولِهِ ... ومَدَّدَ منه صُلْبَهُ وهْوَ بائعُ (١٠)

---

(١) البهم، بفتح الباء: الصغار من أولاد الغنم والبقر وغيرها.

(٢) الطوالع من الكلاب: التى تطلب السفاد، وهى لا تنام، فهى تضرب مثلا للمهتم بأمره الذى لا ينام عنه، يقال: «إذا نام ظالع الكلاب».

(٣) ه «وهو أطلس رابض».

(٤) الطوى، بكسر الواو وتخفيف الياء: ضامر البطن. المصير: المعى، سبق تفسيره ١٢٣. وهذا البيت والذى بعده فى الجمحى ١٣٠.

(٥) يعسلان: يهتزان، وعسل الذئب: مضى مسرعاً واضطرب فى عدوه وهز رأسه. الساسم، بفتح السين غير مهموز: شجر أسود يتخذ منه السهام، وقيل هو الآبنوس. المتتابع: يقال «غصن متتابع» إذا كان مستوياً لا عقد فيه.

(٦) القصاية: من القصو، وهو البعد. المتواسع: من السعة. وهذان المشتقان لم يذكرا فى المعاجم. وفى ه «قصايبه» والقصائب: العظام ذوات المخ، يريد أرجله.

(٧) وحشاً: جائعاً لا طعام له. والبيت فى اللسان ٨ : ٢٦٣.

(٨) حضنا البلدة: جانباها. طر، بالبناء للمفعول: طرد وضيق سوقاً شديداً، وضبط فى ل بفتح الطاء، ولا معنى له.

(٩) البيت فى الخزانة ٢ : ١٩٧ والجمحى ١٣٠.

(١٠) البوع، بفتح الباء، والبوع، بضمها، والباع: قدر مد اليدين وما بينهما من البدن،

وَفَكَّكَ لَحْيَيْهِ ، فلمّا تَعَادَيَا صَأَى ، ثم أَقْعَى والبِلَادُ بَلَاقِعُ[١]
إِذَا مَا عَدَا يَوْمًا رَأَيْتَ ظِلَالَةً مِنَ الطَّيْرِ يَنْظُرْنَ الَّذِى هوصانِعُ[٢]

٦٦٦ ● ويُستحسنُ له قولُه فى وصف الوَطْبِ[٣] :

فما زال يُسقِى المَحْضَ حتّى كأَنَّهُ أَجِيرُ أُناسٍ أَغْضَبُوهُ مُبَاعِدُ[٤]
وعَزَّاهُ حتّى أَسْنَدَاهُ كأَنَّهُ على القَرْوِ عُلْفُوفٌ من التُّرْكِ رَاقِدُ[٥]
فلمّا أَدَى واسْتَرْبَعَتْهُ تَرَنَّمَتْ : أَلَا كُلُّ شىءٍ ما خَلَا اللهَ بائِدُ

232

قوله « أَدَى » أى خَثُر ، و « اسْتَرْبَعَتْهُ » حملته تَرُوزُه ، و « تَرَنَّمَتْ » أى غَنَّتْ لِلسُّرُور به[٦] :

فذاقَتْهُ من تَحْتِ اللِّفَافِ فَسَرَّها جَرَاجِرُ منه وهْوَ مَلْآنُ سانِدُ[٧]
إِذَا مال من نحوِ العَرَاقِى أَمَرَّهُ إلى نَحْرِها منه عِنَانٌ مُنَاكِدُ[٨]

= وبائع : اسم فاعل منه ، يقال « باع يبوع » أى بسط باعه . مرد صلبه : لينه وطوله .

(١) تماديا : تباعدا . صأى : صاح . بلاقع : بالقاف ، وفى ل « بلانع » بالنون ، وهو خطأ لا معنى له .

(٢) البيت فى الوساطة ٢٧١ والخزانة ٢ : ١٩٧ .

(٣) الوطب : سقاء اللبن خاصة ، وهو جلد الجذع فما فوقه .

(٤) سقاه وأسقاه بمعنى ، سواء فيه « فعل وأفعل » . المحض : اللبن الخالص بلا رغوة ولم يخالطه ماء .

(٥) عزاه : غلباه . القرو : حوض طويل ترده الإبل . العلفوف ، بضم العين : الشيخ الكبير السن ، أو الكثير الشعر .

(٦) خثر اللبن : ثخن ليروب . ربع الحجر وارتبعه : شاله ورفعه ، ولم يذكر فى المعاجم « استربع » . تروزه : تمتحنه وتقدره لتعرف ثقله .

(٧) اللفاف : جمع لفافة . الجراجر : جمع جرجرة ، وهى صوت وقوع الماء فى الجوف . سائد : مستند ، يقال « سند إلى الشىء واستند وتساند » .

(٨) العراقى : جمع « عرقوة » بفتح العين والواو وسكون الراء وضم القاف ، وهى الخشبة المعروضة على الدلو . العنان : أراد به هنا رباط الوطب . مناكد : معاسر مانع .

يَمِيلُ على وَحْشِيِّهِ فيُمِيلُهُ ... لإِنْسِيِّهِ منها عِرَاكٌ مُنَاجِدُ[1]

فلما تَجلَّى اللَّيْلُ عنها وأبْصَرَتْ ... وفى سُدَفِ اللَّيلِ الشُّخُوصُ الأَباعِدُ[2]

يُقَالُ لها : جِدِّى ، هَوِيْتِ ،وبادِرى ... غِنَاءَ الحَمَام أن تَمِيعَ المزايِدُ[3]

فَعَضَّتْ تَرَاقِيهِ بصَفْرَاءَ جَعْدَةٍ ... فعَنْهَا تُصادِيهِ وعَنْهَا تُرَاوِدُ[4]

تَأَوَّبَهَا فى لَيْلِ نَحْسٍ وقِرَّةٍ ... خَلِيلِى أبوالخَشْخَاشِ واللَّيْلُ بائدُ[5]

فقال : أُحَيِّيكمْ ، فقالتْ : تُرِيدُنا ... على الزُّبْدِ ، شَعْبٌ بَيْنَنَا مُتَبَاعِدُ[6]

إذاقال :مَهْلا أَسْجِحِى ،حَمْلَقَتْ له ... بزَرْقَاءَ لم تَدْخُلْ عليها المَرَاوِدُ[7]

٦٦٧ ●وممَّا أُخِذ عليه قولُه :

لَمَّا تَخَايَلَتِ الحُمُولُ حَسِبْتُهَا ... دَوْمًا بأَيْلَةَ ناعِمًا مَكْمُومَا

الدَّوْمُ : شجرُ المُقْل ، وهو لا يُكَمُّ ، إنَّمَا يُكَمُّ النخلُ[8] . فأَمَّا قولُ

---

(١) الوحشى والإنسى : شقا كل شىء ، ووحشى كل شىء : شقه الأيسر ، وإنسيه : شقه الأيمن ، وقيل بخلاف ذلك . المناجد : أصله المبارز المقاتل . يريد : أن الوطب يميل على جانبه الوحشى فتحاول رده إلى الجانب الإنسى بعراكها وجهدها الشديد .

(٢) السدف : جمع « سدفة » وهى الظلمة ، يريد أن ما بقى من ظلام الليل يخفى الشخوص الأباعد .

(٣) هويت : دعاء عليها . غناء الحمام : أى قبل غنائه فى السحر . وفى ل « عناء » بكسر العين المهملة ، وهو خطأ لا معنى له . المزايد : جمع مزادة . تميع : تسيل وتذوب ، يريد : بادرى لئلا يذوب ما فيها من سمن ونحوه ويسيل ، إذا ما طلعت عليه الشمس .

(٤) التراقى : جمع ترقوة ، وأصلها العظمة المشرفة بين ثغرة النحر والعاتق ، وأراد بتراقى الوطب هنا أعاليه . وأراد بالصفراء الجعدة سنها ، ووصفها بالجعودة على معنى أنها قصيرة شديدة .

(٥) تأوبها : جاءها ليلا .

(٦) الشعب : الصدع والتفرق .

(٧) أسجحى : سهلى ألفاظك وارفقى ، كما يقال : « إذا سألت فأسجح » .

(٨) فى اللسان : « أكمام النخلة ما غطى جمارها من السعف والليف والجذع ، وكل ما أخرجته النخلة فهو ذو أكمام ، فالطلعة كمها قشرها » وفيه أيضاً : « وقد كمت النخلة ، على صيغة ما لم يسم فاعله » .

النابغةِ الجَعْدِيِّ فى هذا المعنى :

كأَنَّ تَوَالِيَها بالضحَى نَوَاعِمُ جَعْلٍ منَ الأَثْـأَبِ

فقد أُخذ عليه ، وقالوا : الجَعْلُ صِغَارُ النخل ، فكيف جَعَلَهُ من الأَثْـأَبِ ؟ ولا أُراه إِلَّا صحيحًا على التشبيه ، كأَنه أَراد نَوَاعِمَ أَثْـأَبٍ كالجعْل وقد تُسَمِّى العربُ الشىءَ باسمِ الشىء إِذا كانَ له مُشْبِهًا ، ولعلَّ الأَثْـأَبَ أَن تكونَ تُسَمَّى أَفْناؤُه جَعْلا ، كما تُسَمَّى أَفناءُ النخلِ وقِصَارُهُ جَعْلا[1].

233

٦٦٨ ● ومِمَّا سَبق إِليه قولُه فى الإِبل :

إِذَا القَوْمُ قالوا : وِرْدُهُنَّ ضُحَى غَدٍ تَوَاهَقْنَ حتَّى وِرْدُهُنَّ طُرُوقُ[2]

وقال آخرُ :

إِذا القومُ قالوا : وِرْدُهُنَّ ضُحَى غَدٍ تَوَاهَقْنَ حتَّى وِرْدُهُنَّ عِشاءُ

(إِذَا استُخْبِرَتْ رُكْبَانُهَا لم يُخَبِّرُوا عليهنَّ ، إِلَّا أَنْ يكُونَ نِدَاءُ)

(١) الأثأب : شجر عظيم كبير يستظل تحته العدد الكثير من الناس ، ينبت نبات الجوز ، وورقه كورقه ، وله ثمر مثل التين الأبيض يؤكل ، وله حب مثل حبه . الأفناء : قال ابن جنى : « واحد أفناء الناس فنا ، ولامه واو ، لقولهم شجرة فنواء : إذا اتسعت وانتشرت أغصانها ، قال : وكذلك أفناء الناس : انتشارهم وتشعبهم » . فالظاهر أن أفناء النخلة صغارها التى تنبت حولها .

(٢) تواهقن : تسايرن متباريات ، المواهقة : أن تسير مثل سير صاحبك .

٦٠ ـ المثقب العبدى(١)

٦٦٩●هو من نُكْرَةَ . واسمه مِحْصنُ بن ثَعْلَبَةَ(٢) ، وإنّما سُمّى المثقِّبَ لقوله :

رَدَدْنَ تَحِيَّةً وكَنَنَّ أُخرى ... وثَقَّبْنَ الوَصاوِص للعيُونِ(٣)

وكان أبو عَمرو بن العَلاءِ يستجيد هذ القصيدةَ له ، ويقول : لو كان الشعرُ مثلَها لوجب على الناس أن يتعلّموه .

٦٧٠●وفيها يقول(٤) :

234

أَفاطمُ قَبْلَ بَيْنكِ مَتِّعينِى ... ومَنْعُكِ ما سَأَلْتكِ أنْ تَبينِى(٥)

ولا تَعِدِى مَوَاعِدَ كاذِبَاتٍ ... تَمُرُّ بها رِياحُ الصَّيْف دُونِى

فإِنّى لَوْ تُعَانِدُنِى شِمَالِى ... عِنادَكِ ما وَصَلْتُ بها يَمِينِى(٦)

---

(١) «المثقب» بكسر القاف ، ويقع فى بعض المصادر بفتحها . وهو خطأ ، وقد ترجمنا له فى أول المفضلية ٢٨ وترجمته أيضاً فى الاشتقاق ١٩٩ والجمحى ٦٩ — ٧٠ والمرزبانى ٣٠٢ واللآلى ١١٣ — ١١٤ والاقتضاب ٤٢٥ — ٤٢٦ وشواهد المغنى ٦٩ — ٧٠ والخزانة ٤ : ٤٢٩ — ٤٣١ وشعراء الجاهلية ٤٠٠ — ٤١٥ .

(٢) أكثر الروايات على أن اسمه عائذ ، أو عائذ الله بن محصن بن ثعلبة .

(٣) هو من المفضلية ٧٦ ولكن بصدر آخر . الوصاوص : البراقع الصغار ، أراد أنهن حديثات الأسنان فبراقعهن صغار . والبيت فى اللسان ٨ : ٣٧٤ .

(٤) يعنى المفضلية ٧٦ وهى ٤٥ بيتاً .

(٥) هذا يوافق رواية الطوسى ، كما فى الأنبارى ٥٧٤ وفسره قال : «متعينى من حديث أو عدة ، وقال : لم تمنعينى ما سألتك إلا لتصرمينى» . ورواية الأكثرين . * ومنعك ما سألت كأن تبينى * يقول : «منعك إياى ما سألتك كبينك ، أى كفارقتك . والبيت فى الخزانة ١ : ١٢٩ و ٢ : ٥٥٦ ونسبه العينى فى شواهده ٤ : ١٤٩ لسحيم بن وثيل الرياحى ، وهو خطأ ، دخلت عليه قصيدة فى قصيدة .

(٦) مضى البيت ١٦٠ برواية أخرى .

إذًا لَقَطَعْتُها ولَقُلْتُ بِينِى   كذلكَ أجْتَوِى مَنْ يَجْتَوِينى[١]
فإمَّا أنْ تكونَ أخى بِحَقٍّ   فأعْرِفَ منْكَ غَثِّى من سَمينى[٢]
وإلَّا فاطَّرِحْنِى واتَّخِذْنِى   عدُوًّا أتَّقِيكَ وتَتَّقِينِى
فما أدْرِى إذَا يَمَّمْتُ أرضًا   أُرِيدُ الخَيْرَ أيُّهُمَا يَلِينِى
أأَلْخَيْرُ الذى أنا أبْتَغِيه   أمِ الشَّرُّ الذى هو يَبْتَغِينِى

٦٧١ ● وهو قديم جاهلىٌّ ، (كان) فى زمن عمرو بن هند ، وإيَّاه عَنَى بقوله :

إلى عَمْرٍو ومِنْ عَمْرٍو أتَتْنِى   أخِى الفَعَلَاتِ والحِلْمِ الرَّزِينِ[٣]

وله يقول :

غَلَبْتَ مُلوكَ الناسِ بالحَزْمِ والنُّهَى   وأنْتَ الفَتَى فى سُورَةِ المَجْدِ تَرْتَقِى[٤]
وأنْجِبْ به من آل نَصْرٍ سَمَيْدَعٍ   أغَرَّ كلَوْنِ الهِنْدُوَانِىِّ رَوْنَقِ[٥]

235 ٦٧٢ ● ومِمَّا سُبِقَ إليه فأُخِذ منه قولُه فى الناقة :

كأنَّ مَوَاقِعَ الثَّفِنَاتِ منها   مُعَرَّسُ باكِرَاتِ الوِرْدِ جُونِ[٦]

---

(١) الاجتواء : الكراهة والاستثقال .

(٢) يخاطب عمرو بن هند الملك ، كما ذكرنا فى شرح المفضلية .

(٣) من المفضلية نفسها ، وهو فيها قبل البيت * فإما أن تكون أخى بحق *

(٤) ب د ه « بالحزم والتقى » . السورة : المنزلة الرفيعة ، مأخوذة من سورة البناء ، وهى ما حسن منه وطال .

(٥) السميدع : الكريم السيد الجميل الجسيم الموطأ الأكناف ، أى النواحى . الهندوانى ، بكسر الهاء ، وإن شئت ضممتها إتباعاً للدال : السيف المصنوع ببلاد الهند المحكم الصنعة .

(٦) من المفضلية ٧٦ أيضاً يصف ناقته . الثفنات : مواصل الذراعين والعضدين من باطن ، وهى التى تلى الأرض منها إذا بركت . المعرس : مكان التعريس : وهو النزول آخر الليل : الجون : السود ، أراد بهن القطا ، يبكرن بالورود إلى الماء .

يريد القَطَا ، وقال عمرُ بن أبى ربيعةَ[١] :

عَلى قَلُوصَيْن من رِكابِهِمُ … وعَنْتَرِيسَيْنِ فيهما شَجَعُ[٢]
كأنّما غادَرَتْ كَلَاكلُها … والثَّفِنَاتُ الخفافُ إذْ وَقَعُوا[٣]
مَوْقِعَ عشرينَ من قطًا زُمَرٍ … وَقَعَتْ خَمْسًا خَمْسًا مَعًا شِبَعُ

وقال ابنُ مُقْبِل :

كأنَّ مَوْقِعَ وِصْلَيْها إذا بَرَكَتْ … وقد تَطَابَقَ منها الزَّوْرُ بالثَّفِنِ[٤]
مَبِيتُ خَمْسٍ منَ الكُدْرِيِّ فى جَدَد … يُفَحِّصْنَ عَنْهنَّ باللَّبَّاتِ والجُرُن[٥]

وقال ذو الرُّمَّة :

كأنَّ مُخَوَّاها على ثَفِنَاتِهَا … مُعَرَّسُ خَمْسٍ من قطًا مُتَجَاوِرِ[٦]
وَقَعْنَ اثْنَتَيْنِ واثْنَتَيْنِ وفَرْدَةً … حَرِيدًا هِيَ الوُسْطَى بِصَحْرَاءِ جائِرِ[٧]

وقال الطِّرِمَّاحُ :

---

(١) هكذا قال المؤلف ، وفى ديوان عمر قطعة برقم (٦٨ من طبعه لبزج) ليس فيها من هذه الأبيات الثلاثة إلا البيت الأول ، وهو ثانى الأبيات هناك ، مع بعض اختلاف فى الرواية . وأما البيتان الآخران فليسا فى الديوان . وانظر أيضاً الأغانى ١ : ١٠١ — ١٠٢ .

(٢) رواية الديوان والأغانى * على مصكين من جمالهم * والمصك ، بكسر الميم وفتح الصاد وتشديد الكاف : القوى الجسيم الشديد الخلق . العنتريس : الناقة الصلبة الوثيقة الشديدة الكثيرة اللحم الجواد الجريئة . الشجع ، بفتحتين : سرعة نقل القوائم .

(٣) الكلاكل : الصدور .

(٤) الوصلان ، بكسر الواو : العجز والفخذ .

(٥) الكدرى : ضرب من القطا قصار الأذناب فصيحة تنادى باسمها . الجدد ، بفتحتين : ما استوى من الأرض وأصحر . الجرن ، بضمتين : جمع جران ، بكسر الجيم وتخفيف الراء ، وهو مقدم العنق من مذبح البعير إلى منحره .

(٦) مخواها : موضع تخويتها ، والتخوية : أن تبرك الناقة فتتجافى فى بروكها وتمكن لثفناتها .

(٧) الفردة : مؤنث الفرد ، واستعمالها طريف نادر .

كَأَنَّ مُخَوَّاها على ثَفِنَاتِها مُعَرَّسُ خَمْسٍ وَقَّعَتْ للجَناجِنِ[1]

وَقَعْنَ اثْنَتَيْنِ وَاثْنَتَيْنِ وفَرْدَةً يُبَادِرْنَ تَغْلِيسًا سِمَالَ المَدَاهِنِ[2]

(١) وقعت : بالبناء للمعلوم ، يقال « وقع القوم توقيعاً » إذا عرسوا . وضبط فى ل بالبناء للمجهول ، وهو خطأ . الجناجن : رؤوس الأضلاع مما يلى قص الصدر ، واحدها « جنجن » بكسر الجيمين وفتحهما .

(٢) السمال : جمع « سملة » بفتحات ، وهى بقية الماء فى الحوض . المداهن : نقر فى رؤوس الجبال يستنقع فيها الماء ، واحدها « مدهن » بضم الميم والهاء .

٦١ ــ المُمزق العبدى(١)

٦٧٣ ● هو من نُكْرَة ، واسمه شَأْس بن نَهار(٢) ، وسُمِّىَ المُمَزَّقَ لقوله(٣)

فإنْ كُنْتُ مأكُولاً فكُنْ خَيْرَ آكلٍ ... وإلّا فأَدْرِكْنى ولَمّا أُمَزَّقِ

وهو جاهلٌّ قديم ، وإنّما يقول هذا لبعض ملوك الحيرَة(٤) ، قال :

ع36

وناجِيَةٍ عَدَّيْتُ من عند ماجِدٍ ... إلى واجِدٍ من غَيْرِ سُخْطٍ مُفَرِّقِ(٥)

تُبَلِّغُنى مَنْ لا يُدَنِّسُ عِرْضَهُ ... بِغَدْرٍ ، ولا يَزْكُو لَدَيْه تَمَلُّقِى(٦)

تروحُ وتَغْدُو ما يُحَلُّ وَضِينُها ... إلَيْكَ ابْنَ ماءِ المُزْنِ وابْنَ مُحَرِّقِ(٧)

أحقًّا أَبَيْتَ اللَّعْنَ أنّ ابنَ بَرْتَنَا ... على غَيْرِ إجْرَامٍ بِرِيقِىَ مُشْرِقِى(٨)

(١) « المزق » بفتح الزاى وكسرها ، كما نص عليه اللسان والقاموس ، وقد ترجمنا له فى المفضلية ٨٠ وترجمته أيضاً فى الاشتقاق ١٩٩ والجمحى ٧٠ والمؤتلف ١٨٥ والمرزبانى ٤٩٥ وشواهد العينى ٤ : ٥٩٠ وشواهد المغنى ٢٣٣ .

(٢) وهو ابن أخت المثقب العبدى . واتفقت المصادر على أن اسم الممزق شأس بن نهار ، ونقل المرزبانى قولا آخر بأن اسمه « يزيد بن نهار » وثالثاً بأنه هو « يزيد بن خذاق » . وهذا القول الأخير خطأ لا شك فيه .

(٣) البيت من الأصمعية ٥٨ ، وهو أيضاً فى اللسان ١٣ : ٢١ والعقد ١ : ١٨٠ . قال الجمحى : « وبلغنى أن عثمان بن عفان بعث به إلى على بن أبى طالب رضى الله عنهما حين بلغ منه وألح عليه » .

(٤) س ب « وإنما يعنى بهذا القول بعض بنى محرق ، وفيها يقول » . وفى اللسان ١٣ : ٢١ أنه قال ذلك للنعمان ، وأنه قال له : « لا آكلك ولا أوكلك غيرى» .

(٥) الناجية : الناقة السريعة . الواجد : الغنى . وفى الأصمعية « واحد » بالحاء المهملة ، وهو من قولهم « رجل واحد » أى متقدم فى بأس أو علم أو غير ذلك ، كأنه لا مثيل له ، فهو وحده لذلك .

(٦) البيت ليس فى الأصمعية ، وهو أشبه بالبيت ١٥ من المفضلية ١٣٠ للمزق نفسه ، فلعله شبه على المؤلف .

(٧) الوضين : بمنزلة الحزام . وهذا البيت والذى بعده فى العقد أيضاً .

(٨) ابن برتنا : كذا فى أكثر الأصول ، وفى س ف والأصمعية « ابن فرتنا » بالفاء ، فقد يكون شخصاً مسمى بهذا ، وقد يكون نبزاً يسب به ، فإن « ابن فرتنا » يراد به اللئيم . مشرق : من الشرق ، وهو بالماء والريق كالغصص بالطعام .

فإنْ كُنْتُ مأكُولا فكُنْ خيرَ آكل ... وإلّا فأدْرِكْنى ولَمّا أُمزَّقِ
فأنْتَ عَميدُ الناسِ مَهْمَا تَقُلْ نَقُلْ ... ومَهْما تَضَعْ من باطلٍ لا يُحَقَّقِ[1]
أكَلَّفْتنى أدْواءَ قَوْمٍ تَرَكْتُهُمْ ... فإلّا تَدَارَكْنى منَ البَحْرِ أغْرَقِ
فإنْ يُعْمِنُوا أشْئِمْ خِلافًا عَلَيْهِمُ ... وإنْ يُتْهِمُوا مُسْتَحْقِبى الحَرْبِ أُعْرِقِ[2]

---

(١) البيت فى العقد أيضاً ، وهو برواية أخرى فى الأصمعية .

(٢) يعمنوا : يأتوا عمان . أشْئم : آتى الشأم ، رباعى ، وفى ل «أشأم» من الثلاثى ، وهو غلط . يتهموا : يأتوا تهامة . مستحقبى الحرب : حاملى عبئها ، من قولهم «احتقبه واستحقبه» بمعنى احتمله ، كأنه جمعه وجعله من خلفه كالحقيبة . أعرق : آتى العراق . والبيت فى اللسان ١٢ : ١١٩ و ١٧ : ١٦٢ وهو فى البلدان ٢ : ٤٣٨ غير منسوب . وهو والذى قبله فى اللسان أيضاً ١٤ : ٣٣٩ — ٣٤٠ . والأبيات الأخيرة من أول * أحقا * ما عدا * فأنت عميد الناس فى البلدان ٦ : ٢١٥ .

٦٢ ـ ابن دارة[1]

٦٧٤ ● هو سالم بن دارَةَ ، واسمُ أبيه مُسافِعٌ[2] ، وأمُّه دارةُ من بنى أَسَدٍ ، وسُميت دَارةَ لجمالها ، شُبِّهت بدَارَة القَمَر[3] . وهو من ولد عبد الله بنَ غَطَفانَ ابن سعد . وكان هَجَّاءً ، وهو الذى هَجَا ثابتَ بن رافع الفَزَارىَّ فقتلَه .

٦٧٥ ● وهو القائل :

لا تأمَنَنَّ فَزَاريًّا خَلَوْتَ به على قَلُوصِكَ واكْتُبْها بأَسْيَارِ[4] 237

وكان المتولِّى لقتله زُمَيلُ بن عبد منافٍ[5] ، وقال :

---

(١) هو من المخضرمين ، أدرك الجاهلية والإسلام : وترجمته وأخباره فى المؤتلف ١١٦ وشرح الحماسة ١ : ٣٦٦ – ٣٧٢ والإصابة ٣ : ١٦١ – ١٦٢ والخزانة ١ : ٢٨٩ – ٢٩٤ ، ٥٥٧ – ٥٥٨ وفى الأغانى ٢١ : ٤٩ – ٧٥ أخباره وأخبار أخيه عبد الرحمن ، ولكنه خلط أحدهما بالآخر .

(٢) هو مسافع بن يربوع .

(٣) حكى بعضهم أن « دارة » لقب يربوع جد سالم ، ورجح الآمدى فى المؤتلف أنه لقب أمه ، كما جزم المؤلف . وقال الآمدى : « وهو وأخوه عبد الرحمن شاعران محسنان » .

(٤) فى اللسان : « كتب الدابة والبغلة والناقة . . . خزم حياءها بحلقة حديد أو صفر تضم شفرى حيائها لئلا ينزى عليها . . وذلك لأن بنى فزارة كانوا يرمون بغشيان الإبل » . والبيت فيه : ٢ : ١٩٥ و ١٠ : ٣٨ ، وهو أيضاً فى الكامل ٨١١ واللآلى ٨٦٢ وهو مع آخرين فى الروض الأنف ٢ : ٢٨٨ ومع ستة فى الخزانة : ٥٥٧ . وفى شرح الحماسة ١ : ٣٧٠ – ٣٧١ أبيات من القصيدة .

(٥) هو زميل بن أبير ، ويقال وبير ، بتصغير الأسماء الثلاثة ، بن عبد مناف بن عقيل الفزارى ، مخضرم ، له ترجمة فى الإصابة ٣ : ٤١ – ٤٢ والمؤتلف ١٢٩ .

أنَا زُمَيْلٌ قاتِلُ ابْنِ دَارَهْ وراحِضُ المَخْزَاةِ عن فَزَارهْ[١]

٦٧٦ ● (وفى ابن دارةَ يقول الشاعرُ ، وهو الكُمَيتُ بن مَعْروفٍ :

فلا تُكْثِرَا فيه الضَّجَاجَ فإنَّه مَحَا السَّيْفُ ما قال ابنُ دارَةَ أجْمَعَا)[٢]

٦٧٧ ● وكان له أخٌ يقال له عبد الرحمٰن بن دارة ، وهو القائل فى بعض الأَسَديِّينَ :

يجُوعُ الفَقْعَسِىُّ ولا يُصَلِّى ويَسْلَحُ فَوْقَ قارِعَةِ الطَّرِيقِ

ثم لم يَلْبَثْ أنْ مات ، فقال الأسدىُّ :

قَتَلَ ابنَ دارَةَ بالجَزِيرَةِ سَبُّنَا وزَعَمْتَ أنَّ سِبَابَنَا لا يَقْتُلُ

٦٧٨ ● وأتَى سالمُ بن دارةَ عدىَّ بنَ حاتمٍ فقال له : قد مدحتُك، فقال له. أمسكْ عليك حتى أُنبِّئَكَ مالى فتمدحَنى على حَسَبِه ، لى ألفُ ضائنة[٣] وألفا درهمٍ ، وثلاثةُ أعبُدٍ ، وفرسى هذا حبيسٌ فى سبيل الله ، فقُلْ ، فقال :

---

(١) راحض : غاسل ، والرحض الغسل . وفى ب د « وداحض » والدحض الدفع . وفى الخزانة ١ : ٢٩٤ « وغاسل » .

(٢) الضجاج ، بفتح الضاد : الضجيج ، وهو الصياح عند المكروه والمشقة والجزع . والبيت فى الأغانى ٢١ : ٥٧ غير منسوب وقد نسبه المؤلف للكميت بن معروف ، وكذلك فى البيان للجاحظ ١ : ٢٩٨ مع آخر وحماسة البحترى فى ٤ أبيات برقم ٣٧ ورواه اللسان فى ٤ أبيات أيضاً ١٠ : ١٤٥ للكميت ابن معرف ، وقال : « قال ابن الأعرابى : هو للكميت بن ثعلبة الفقعسى » . والكميت بن ثعلبة هو الكميت الأكبر بن ثعلبة بن نوفل بن نضلة بن الأشتر بن جحوان بن فقعس الأسدى ، والكميت بن معروف حفيده ، فهو الكميت بن معروف بن الكميت الأكبر . انظر تفصيل ذلك فى المؤتلف ١٧٠ والمرزبانى ٣٤٧ وذكرا البيت ونسباه للأكبر ، ورجح المرزبانى نسبته لابن معروف . « والكمت الشعراء الأسديون ثلاثة : الكميت بن معروف شاعر ، وجده الكميت بن ثعلبة هذا الشاعر ، والكميت بن زيد الأخير أكثرهم شعراً ، والكميت الأوسط أشعرهم قريحة ، وكلهم بنو أب » وانظر أيضاً الجمحى ٤٥ — ٤٦ واللآلى ٦٨٨ — ٦٨٩ . والكميت بن زيد ستأتى ترجمته ٨ ٣ — ٣٧١ ل .

(٣) الضائنة : الواحدة من الضأن . وفى ل « صانية » وهو خطأ لا معنى له .

تَحِنُّ قَلُوصِى فى مَعَدٍّ وإنما ... تُلَاقِى الرَّبِيعَ فى دِيَارِ بنى ثُعَلْ

وأبْقَى اللَّيالى من عَدِىِّ بن حاتِمٍ ... حُسَامًا كلَوْنِ المِلْحِ سُلَّ من الخِلَلْ

238 أبُوك جَوَادٌ ما يُشَقُّ غُبارُهُ ... وأنت جَوَادٌ ما تَعَذَّرُ بالعِلَلْ

فإنْ تَتَّقُوا شَرًّا فمِثْلُكُمُ اتَّقَى ... وإنْ تَفْعَلُوا خَيْرًا فمِثْلُكُمُ فَعَلْ

فقال له : أمسكْ عليكَ ، لا يبلغُ مالى أكثرَ من هذا ! وشاطَرَه مالَه .

٦٣ ـ المنخل[١] (اليشكرى)

٦٧٩ ● هو المُنَخَّلُ بن عُبيد بن عامر ، من بنى يَشْكُرَ ، وهو قديمٌ جاهلىٌّ ، وكان يشَبِّبُ بهنْدٍ أختِ عَمرو بن هند ، ولها يقول :

يا هنْدُ هَلْ من نائلٍ   يا هنْدُ للعانِى الأسِيرِ[٢]

٦٨٠ ●وكان المنخَّل يُتَّهَمُ بالمُتَجَرِّدَة امرأة النعمان بن المُنْذِر ، وكان للنعمان منها ولدانِ ، كان الناسُ يقولون إنَّهما من المنخَّل ، وهو القائلُ فى النابغة حين وصفَ المتجرِّدةَ فى قوله : ما يعرفُ هذا إلّا مَن جَرَّبَ[٣]. وكان أيضًا يُتَّهَمُ بامرأةٍ لعمرو بن هند ، وكان جميلا .

٦٨١ ●وهو القائلُ[٤] :

وَلَقَدْ دَخَلْتُ على الفَتا   ةِ الخِدْرَ فى اليَوْمِ المَطِيرِ

الكاعبِ الحَسْناء تَرْ   فُلُ فى الدِّمَقْسِ وفى الحَرِيرِ

فدَفَعْتُها فَتَدَافَعَتْ   مَشْىَ القَطاةِ إلى الغَدِيرِ

وعَطَفْتُها فتَعَطَّفَتْ   كَتَعَطُّفِ الظَّبْىِ الغَرِيرِ

فَتَرَتْ وقالَتْ : يا مُنَ   خَّلُ ما بِجِسْمِكَ من فُتُورِ

ما شَفَّ جِسْمِى غَيْرُ حُ   بِّكِ فاهْدئى عَنِّى وسِيرِى[٥]

239

---

(١) ترجمته وأخباره فى الأغانى ١٨ : ١٥٢ : ١٥٦ و ٩:١٥٨ – ١٥٩ والمؤتلف ١٧٨ وشرح الحماسة ٢ : ١٠٢ – ١٠٨ وشعراء الجاهلية ٤٢١ – ٤٢٤ .

(٢) سيأتى فى الأبيات الآتية

(٣) انظر ما مضى ١١٨ – ١١٩ .

(٤) من الأصمعية ١٤ ، وهى أيضاً فى الأغانى وشعراء الجاهلية ، باختلاف فى الرواية وزيادة ونقص . وانظر التخريج مفصلا فى الأصمعيات .

(٥) شفه : هزله وأضمره حتى رق .

وَلَقَدْ شَرِبْتُ مِنَ المُدَا مَةِ بالصَّغيرِ وبالكَبيرِ[1]
(وشَرِبْتُ بالخَيْلِ الإنَا ثِ وبالمُطَهَّمَةِ الذُّكُورِ)[2]
فإذا سَكِرْتُ فإنَّني رَبُّ الخَوَرْنَقِ والسَّديرِ
وإذا صَحَوْتُ فإنَّني رَبُّ الشُّوَيْهَةِ والبَعيرِ
يا هِنْدُ هَلْ من نائلٍ يا هِنْدُ للعانِي الأسِيرِ
وأُحِبُّها وتُحِبُّني ويُحِبُّ ناقتَها بَعِيرِي[3]

٦٨٢ ● وقتله عمرُو بن هند ، وقال قُبَيْلَ قَتْلِه :

طُلَّ وَسْطَ العِبادِ قَتْلِي بلا جُرْ مٍ ، وقَومي يُنَتِّجُونَ السِّخَالَا[4]
(لا رَعَيْتُمْ بَطْنًا خَصيبًا ، ولا زُرْ تُمْ عَدُوًّا ، ولا رَزَأْتُمْ قِبَالَا)[5]

في أبياتٍ .

---

(١) قال التبريزى : « يعنى بصغير ماله وكبيره ولم يرد إناء صغيراً وإناء كبيراً » واستدل بالبيت الذى بعده .

(٢) يريد أنه شرب بثمنها .

(٣) البيت ذكر صاحب الأغانى ١٨ : ١٥٦ أن من الناس من يزيده فى هذه القصيدة ، قال : « ولم أجده فى رواية صحيحة » ! ومن عجب أنه ذكره فيها فى موضعين آخرين ، ولم يعقب على إثباته ! وهو ثابت فى مراجع معتمدة ، من أوثقها هذا الكتاب ، والأصمعيات والحماسة .

(٤) طل : أهدر ولم يثأر به . السخال : ولد الشاء من المعز والضأن ، الواحدة « سخلة » . والبيت فى الأغانى ١٨ : ١٥٤ وشرح الحماسة ٢ : ١٠٨ .

(٥) رزأتم : نقصتم وأخذتم . القبال ، بكسر القاف وتخفيف الباء الموحدة : زمام النعل ، يقال « ما قطعت له قبالا ولا رزأته زبالا » أى أدنى شىء ، والزبال ، بكسر الزاى وتخفيف الباء : ما تحمله النملة بفيها .

٦٤ ـ ابن حبناء[1]

٦٨٣ ● هو المغيرةُ بنُ حَبْنَاء ، من ربيعةَ بن حنظلةَ بن مالك بن زيد مناةَ بن تميم ، وكان به بَرَصٌ ، وهو القائل[2] :

إنّى امْرُؤٌ حَنْظَلِىٌّ حينَ تَنْسُبُنِى ... لا مِلْعَتِيكِ ولا أَخْوَالِىَ العَوَقُ[3]

لا تَحْسِبَنَّ بَيَاضًا فِىَّ مَنْقَصَةً ... إنَّ اللَّهَامِيمَ فى أَقْرابِها بَلَقُ[4]

٦٨٤ ● وكان له أخ يقال له صَخْرٌ ، (ويكنى أبا بشر) ، يهاجيه ، وله يقولُ المغيرةُ[5] :

أبوكَ أبى وأنتَ أخِى ولٰكنْ ... تَفَاضَلَتِ الطَّبَائِعُ والظُّروفُ

وأُمُّكَ حينَ تُنْسَبُ أُمُّ صِدْقٍ ... ولٰكنَّ ابْنَها طَبِـعٌ سَخِيفُ[6]

---

(١) ترجمته فى الأغانى ١١ : ١٥٦ – ١٦٥ والمؤتلف ١٠٥ – ١٠٦ والمرزبانى ٣٦٩ واللآلى ٧١٥ – ٧١٦ والاشتقاق ١٣٥ وقال : « كان شاعر بنى تميم فى عصره » .

(٢) البيتان فى المؤتلف والأغانى والأمالى ٢ : ٢٣٣ واللآلى والحيوان ٥ : ١٦٥ وعيون الأخبار ٤ : ٦٦ .

(٣) ملعتيك : يريد من العتيك ، حذف نون « من » على لغة بعض العرب ، انظر المفضليات ٢٩ : ٦ . العوق : قوم من أزدعمان ، وهم أخوال المفضل بن المهلب بن أبى صفرة ، يعرض به إذ أنف أن يأكل معه لبرصه ، وانظر الأغانى . والبيت فى اللسان ١٢ : ١٥٤ محرفاً غير منسوب .

(٤) اللهاميم : جمع لهموم ، وهو الجواد من الناس والخيل . الأقراب ، بضم القاف وسكون الراء ، وهو الخاصرة . والبيت فى اللسان ١٦ : ٢٩ غير منسوب .

(٥) البيتان فى الأغانى ، وهما مع ثالث فى الأمالى ٢ : ٨٢ بدون نسبة . وفى المؤتلف أن المغيرة وصخراً كانا « يتراسلان بالشعر يتناقضان ، وكانا أخوين لأب ، وهما ابنا خالة » . ولكن فى الأغانى عن الأصمعى : « لم يقل أحد فى تفضيل أخ على أخيه وهما لأب وأم مثل قول المغيرة بن حبناء لأخيه صخر » وذكر البيتين .

(٦) الطبع ، بفتح الطاء وكسر الباء : المتدنس العرض الدنئ .

٦٨٥ ● (وصَخْرٌ هو القائلُ لأخيه[١] :

رَأَيْتُكَ لَمَّا نِلْتَ مالاً وعَضَّنا ... زَمَانٌ نَرَى فى حَدِّ أَنْيابِه شَغْبَا

تَجَنَّى علىَّ الذَّنْبَ ، إنَّكَ مُذْنِبٌ ... فأَمْسِكْ ، ولاتَجْعَلْ غِنَاكَ لَنَا ذَنْبَا

فأجابه المغيرةُ فقال :

لَحَى اللهُ أَنْآنا عن الضَّيْفِ بالقِرَى ... وأَقْصَرَنا عَنْ عِرْضِ والِدِهِ ذَبَّا

وأَجْدَرَنا أَنْ يَدْخُلَ البيْتَ بِأَسْتِهِ ... إذَا القُفُّ دَلَّى من مَخَارِمِهِ رَكْبَا)[٢]

واستُشهد المغيرةُ بخُراسانَ يومَ نَسَفَ[٣].

---

(١) فى اللآلى أنه قال ذلك « حين أيسر المغيرة واختل صخر » ، وذكر الأبيات ، وهى أيضاً فى الأغانى ، ولكن زاد ثالثاً فى شعر المغيرة . واختلطت الأبيات على المبرد ، فذكر فى الكامل ١٨٢ بيت المغيرة الأول ثم بيتى صخر ، جعلها كلمة واحده لم ينسبها ، ونسبها أبو الحسن الأخفش ليزيد أو لصخر ابنى حبناء !

(٢) القف : الجبل الذى ليس بطويل فى السماء وفيه إشراف على ما حوله وفيه حجارة متعلقة عظام مثل الإبل البروك وأعظم . المخارم : جمع مخرم ، بفتح الميم وكسر الراء ، وهو ما خرم سيل أو طريق فى قف أو رأس جبل .

(٣) فتحت نسف سنة ٩١ .

٦٥ – عبد بنى الحسحاس[1]

٦٨٦ ● اسمه سُحَيْم ، وكان حَبَشِيًّا معَلَّطًا[2] قبيحًا ، وهو القائل فى نفسه :

أَتَيْتُ نساءَ الحارِثِيينَ غُدْوَةً ... بوَجْهٍ بَرَاهُ اللهُ غَيْرِ جَميلِ

فَشَبَّهْنَنِى كَلْباً وَلَسْتُ بفَوْقِهِ ... ولا دُونِهِ أَنْ كانَ غَيْرَ قَليلِ

٦٨٧ ● وكان شاعرًا مُحْسِناً[3] ، وربَّما أنشد فيقول : أَحْسَنْكُ واللهِ ! يريدُ : أَحسنتُ واللهِ . وكان عبدُ الله بن أبى ربيعةَ المخزومى اشتراه ، وكَتَب إلى عثمانَ بن عفَّان رضى الله عنه : إنِّى قد اشتريتُ لكَ غلاماً حبشياً شاعرًا ، فكتَب إليه عثمانُ : لا حاجةَ بنا إليه فاردُدْهُ ، فإنَّما حَظُّ أهل العبد الشاعر منه إذا شَبِعَ أن يُشَبِّبَ بنسائهم ، وإذا جاع أن يهجوَهم .

٦٨٨ ● وممَّا أُخذ عليه فى شعره قولُه ، وذَكر التقاءه وعشيقتَه[4] :

فما زال بُرْدِى طَيِّباً من ثيابِها ... إلى الحَوْل حتَّى أَنْهَجَ البُرْدُ بَالِيَا[5]

---

(١) ترجمته فى الجمحى ٤٣ – ٤٤ والأغانى ٢٠ : ٢ – ٩ واللآلى ٧٢٠ – ٧٢١ والإصابة ٣ : ١٦٣ – ١٦٤ وشواهد المغنى ١١٢ والخزانة ١ : ٢٧١ – ٢٧٤ .

(٢) معلطا ، بالعين المهملة : موسوماً بالعلاط ، بكسر العين وتخفيف اللام ، وهو خطوط تجعل سمة فى عرض عنق البعير ، والظاهر أنه استعمل هنا فى الخطوط التى يصنعها بعض الناس فى وجوههم ، وفى ل بالغين المعجمة ، وهو خطأ .

(٣) قال الجمحى : « هو حلو الشعر ، رقيق حواشى الكلام » .

(٤) البيت والبيتان الآتيان من قصيدة طويلة ، كان ابن الأعرابى يسميها « الديباج الخسروانى » منها أبيات فى مصادر ترجمته ، ومنها ١١ بيتاً فى صفة جزيرة العرب ٢٣١ و ٢٢ بيتا فى حماسة ابن الشجرى ١٦٠ و ٢٢٦ – ٢٢٧ .

(٥) أنهج الثوب : إذا أخذ فى البلى ، وأنهج فيه البلى : استطار . والبيت فى اللسان ٣ : ٢٥٧ .

وقال آخرون : هذا على التوهُّم لفرط العشق ، وهو نحو قول الأعرابيّ حين قيل له : ما بَلَغَ من حُبِّك لها ؟ فقال : إنّي لأذكرها وبيني وبينها عَقَبَةُ الطائف فأَجِدُ من ذكرها ريحَ المسك ! ويقولُ :

تَجَمَّعْنَ شَتَّىٰ من ثَلَاثٍ وأَرْبَعٍ ووَاحِدَةٍ حتَّى كَمَلْنَ ثَمَانِيَا
وأَقْبَلْنَ من أقْصَىٰ الخيامِ يَعُدْنَنِي أَلَا إنَّما بَعْضُ العَوَائِدِ دائيَا 242

٦٨٩ ● (ويقال سمعه عمرُ بن الخطّاب ينشدُ :

ولَقَدْ تَحَدَّرَ من كَرِيمَةِ بَعْضِهِمْ عَرَقٌ على جَنْبِ الفِرَاشِ وطِيبُ

فقال له : إنّك مقتولٌ[1] ، فسَقَوْه الخمرَ ثم عَرضوا عليه نسوةً ، فلمّا مرَّتْ به التي كان يُتَّهَمُ بها أهوىٰ إليها ، فقتلوه) .

---

(١) ويقال إنه أنشد عمر القصيدة اليائية ، وفيها :

توسدني كفاً وتثني بمعصم عليّ ، وتحنو رجلها من ورائيا

فقال عمر : إنك ويلك مقتول .

٦٦ – نصيب [1]

٦٩٠ • كان نُصَيبٌ[2] عبدًا أسودَ لرجلٍ من أهل وادي القُرى ، فكاتَبَ على نفسِه ، ثم أتى عبدَ العزيز بن مروان فقال فيه مِدْحَةً ، فوصلَه واشترى ولاءَه .

٦٩١ • وقال أبو اليَقْظان[3] : هو عبدُ بنى كعب بن ضَمْرةَ من كنانة . وقال آخرون : كان من بَلِيٍّ من قُضاعةَ . وكانت أمُّه أَمَةً سوداء ، فوقع بها سيّدُها فأولدها نُصَيْبًا ، فوثَب عليه عمُّه بعد موت أبيه فاستعبده ، ثم باعه من عبد العزيزبن مروان ، وكان يُكْنَى أبا الحجْناء . وفيه يقول كُثَيرٌ[4] :

رَأَيْتُ أبا الحجْناء فى الناس جائِزًا ... ولَوْنُ أبى الحجْناءِ لَوْنُ البَهَائِمِ

تَرَاه على ما لَاحَه من سَوَادِهِ ، ... وإنْ كان مَظْلومًا ، له وَجْهُ ظَالِمِ

٦٩٢ • ودخل الفَرَزْدَقُ على سليمانَ بن عبد الملك[5] ، وسليمانُ ولىُّ عهدٍ ، ونُصَيبٌ عنده ، فقال سليمانُ : أَنْشِدْنا يا أبا فِرَاسٍ ، وأرادأن يُنْشدَه

---

(١) ترجمته وأخباره فى الجمحى ١٤١ والأغانى ١ : ١٢٥ — ١٤٥ واللآلى ٢٩١ — ٢٩٢ ومعجم الأدباء ٧ : ٢١٢ — ٢١٦ وشواهد العينى ١ : ٥٣٧ — ٥٣٨ . وهناك شاعر آخر عبد أيضا . اسمه نصيب وكنيته أبو الحجناء ، متأخر عن هذا ، وهو مولى المهدى ، « نشأ باليمامة ، واشترى للمهدى فى حياة المنصور ، فلما سمع شعره قال : والله ما هو بدون نصيب مولى بنى مروان ، فأعتقه وزوجه أمة له يقال لها جعفرة ، وكناه أبا الحجناء ، وأقطعه ضيعة بالسواد » : له ترجمة فى الأغانى ٢٠ : ٢٥ — ٣٤ .

(٢) نصيب : بالتصغير ، وهو نصيب بن رباح ، بفتح الراء وتخفيف الباء الموحدة .

(٣) بسكون القاف ، وضبط فى ل بفتحها ، وهو خطأ . وأبو اليقظان هذا سماه الجمحى ٩٧ « حويرثة بن أسماء » ، وأنا أرجح أنه خطأ ، وأن صوابه « جويرية » .

(٤) س ب « وفيه يقول الشاعر » وفى الأغانى ١ : ١٣٥ « فهجاه شاعر من أهل الحجاز » .

(٥) القصة فى الكامل ١٥٧ واللآلى .

بعض ما امتدحه به ، فأنشده[١] :

وركْبٍ كأنَّ الرِّيحَ تَطْلُبُ منهُمُ لها سَلَبًا ، من جَذْبِها بالعَصائبِ
سرَوْا يَرْكَبُونَ الرِّيحَ وهى تَلُفُّهُمْ إلى شُعَبِ الأكْوار ذاتِ الحَقائِبِ
إذَا استَوْضَحُوا نارًا يقُولُونَ : لَيْتَها ، وقَدْ خَصِرَتْ أَيْدِيهِمُ ، نارُ غالبِ[٢]

فغَضب سليمانُ ، فأقبلَ على نُصيبٍ فقال أَنْشدْ مولاكَ يا نُصَيبُ ، فأنشده :

أقولُ لركْبٍ صادرِينَ لَقيتُهُمْ قَفَا ذاتِ أَوْشالٍ ومَوْلاكَ قاربُ[٣]
قِفُوا خَبِّرُونى عن سُليْمانَ إنَّنى لمَعْرُوفه من أهْلِ وَدَّانَ طالبُ[٤]
فَعاجُوا فأَثْنَوْا بالَّذى أنْتَ أَهْلُهُ ولَوْ سكَتُوا أَثْنَتْ عليك الحَقائبُ

فقال له سليمانُ : أَحسنتَ ، وأَمر له بصِلَةٍ ، ولم يَصلِ الفرزدقَ ، فخرج الفرزدقُ وهو يقول :

وخَيْرُ الشِّعْرِ أَكْرَمُهُ رِجالاً وشَرُّ الشِّعْرِ ما قال العَبِيدُ

وفيه يقول :

إذَا اعْتَاصَ القَرِيضُ عليكَ فامْدَحْ أميرَ المُؤْمنينَ تَجِدْ مَقالا
أَتتْكَ بنا قِلَاصٌ يَعْمَلاتٌ وضَعْنَ مَدائحًا وحَمَلْنَ مالا[٥]

---

(١) من أبيات ستة فى ديوانه ٣٠ — ٣١ .

(٢) خصرت : بردت ، يقال « خصر الرجل » إذا آلمه البردفى أطرافه .

(٣) ذات أو شال : موضع بين الحجاز والشأم ، نص عليه البكرى فى معجم ما استعجم ١ : ٢١٢ وذكر البيت . وقفاه : خلفه . والأبيات فى الأمالى ١ : ٩٤ ومعجم البلدان ٨ : ٤٠٥ ولكنه لم يذكر « ذات أو شال » فى موضعها .

(٤) ودان ، بفتح الواو : قرية بين مكة والمدينة قريبة من الجحفة .

(٥) اليعملة : الناقة النجيبة السريعة المطبوعة على العمل .

٦٩٣ ● ودخل الأُقَيْشِرُ[١] على عبد الملك بن مروان وعندَه قومٌ ، فتذاكروا الشعرَ ، وذَكروا قولَ نُصَيب[٢] :

أهيمُ بدَعْدٍ ما حييتُ فإنْ أَمُتْ ... فيا وَيْحَ دَعْدٍ مَنْ يَهيمُ بها بَعْدى

244 فقال الأُقَيْشِرُ : والله لقد أساءَ قائلُ هذا الشعر ، قال عبدُ الملك : فكيف كنتَ تقولُ لو كنت قائلَه ؟ قال : كنتُ أقول :

تُحِبُّكُمُ نَفْسى حَيَاتى ، فإنْ أَمُتْ ... أُوَكِّلْ بدَعْدٍ مَنْ يَهيمُ بها بَعْدِى

قال عبدُ الملك : والله لأنتَ أسوأُ قولا منه حينَ توكِّلُ بها ! فقال الأُقيشرُ : فكيف كنتَ تقولُ يا أمير المؤمنين؟ قال : كنتُ أقول :

تُحِبُّكُمُ نَفْسى حَيَاتى ، فإنْ أَمُتْ ... فلاصَلُحَتْ هنْدٌلذى خُلَّةٍ بَعْدى[٣]

فقال القومُ جميعًا : أنت والله يا أميرَ المؤمنين أشعرُ القومِ .

٦٩٤ ● ومِمّا يُختار له قولُه فى مولاه :

لعَبْدِ العَزيزِ على قَوْمِهِ ... وغَيْرِهِم مِنَنٌ غامرَهْ[٤]

فبابُكَ أَلْيَنُ أَبْوَابهمْ ... ودارُكَ مَأْهُولَةٌ عامِرَهْ

وكَلْبُكَ آنَسُ بالمعْتَفِينَ ... منَ الأُمِّ بابْنَتِها الزائرَهْ[٥]

وكَفُّكَ حينَ تَرَى السائلِيـ ... ـنَ أَنْدَى منَ اللَّيْلَةِ الماطِرَهْ[٦]

فمنْكَ العَطاءُ ومنَّا الثَّناءُ ... بكُلِّ مُحَبَّرَةٍ سائرَهْ[٧]

---

(١) ستأتى ترجمته ٣٥٢ ل .

(٢) القصة فى الكامل ١٥٦ باختلاف فى الرواية . وفيه أيضاً أن الأحوص عاب البيت على نصيب فى قصة طويلة ٥٠١ — ٥٠٣ . ولكن قد مضى ٢٦٩ هذا البيت برواية أخرى منسوباً للنمر بن تولب ، وذكرنا هناك تصحيح صاحب الأغانى نسبته للنمر ، وتخطئة من نسبه لنصيب .

(٣) صلح : من بابى «منع» و «كرم» . وقال ابن دريد : «ليس صلح بثبت» يعنى بضم اللام .

(٤) غامرة : كثيرة تغمر الناس أى تملوهم وتغطيهم . وفى س ب « ظاهرة » .

(٥) المعتفى والعافى : من جاءك يطلب فضلا أو رزقاً .

(٦) س ب « وكفك بالجود للسائلين » .

(٧) س ب « فمنك الجزاء ومنى الثناء » . محبرة : محسنة ، حبرت الشعر والكلام تحبيراً ، حسنته .

٦٧ – العديل بن الفرخ [1]

٦٩٥ ● هو العُدَيْل بن الفَرْخِ العِجْلىُّ ، ولقبه العَبَّابُ ، وكان العبَّاب كلباً له [2] . وهو من رهط أبى النَّجْمِ (العجْلىّ) . وكان هَجَا الحجَّاجَ فطلبه ، فهرب منه إلى قَيْصَرَ ملِك الروم ، فقال :

245

وَدُونَ يَدِ الحَجَّــاجِ مِنْ أَنْ تَنَالَنى
بِسَاطٌ لِأَيْدى اليَعْمَلَاتِ عَرِيضُ [3]
مَهَامِهُ أَشْــبَاهٌ كَأَنَّ سَرَابَهَــا
مُلَاءٌ بِأَيْدى الغَاسلاتِ رَحِيضُ [4]

وكَتَب الحجَّاجُ إلى قيصر : والله لَتبعثَنَّ به أَو لأُغْزِيَنَّك خيلا يكونُ أَولُها عندكَ وآخرُها عندى ، فبَعث به إلى الحجاج ، فلمَّا دخل عليه قال : أنت القائل :

* ودونَ يد الحجاج من أَن تَنالنى *

---

(١) ترجمته فى الاشتقاق ٢٠٨ والأغانى ٢٠ : ١١ – ١٩ والخزانة ٢ : ٣٦٧ – ٣٦٨ . و « العديل » بالتصغير ، و « الفرخ » ضبط بالشكل فى الكتب الموثوق بتصحيحها بفتح الفاء ، وضبطه صاحب الخزانة بالقول « بضم الفاء وسكون الراء وآخره خاء معجمة » فضم الفاء شاذ لم أجد ما يؤيده ، وأخشى أن يكون سهواً أو خطأ .

(٢) هكذا قال المؤلف ، وما أدرى أخطأ أم صواب ، ولكن الذى فى الأغانى أن « العباب » هو « الحرث بن ربيعة بن عجل بن لجيم » والحرث هو الجد الأعلى التاسع للعديل فى عمود النسب عنده ، وقال : « قال أبو عبيدة : كان العباب اسم كلب للحرث بن ربيعة بن عجل ، فلقب باسم كلبه وغلب عليه » . و « العباب » بفتح العين وتشديد الباء الموحدة .

(٣) البساط ، بفتح الباء وكسرها : الأرض العريضة الواسعة المستوية . والبيت فى اللسان ٩ : ١٢٧ ، وهو أيضاً فى الكامل ٤٤٢ وقبله آخر ، والقصة فيه أيضاً . وفى الأغانى الأبيات الثلاثة وأبيات أخرى لعلها من هذه القصيدة .

(٤) الملاء ، بضم الميم : جمع ملاءة . الرحيض : المرحوض ، أى المغسول .

فكيفَ رأيتَ أمكنَ اللهُ منكَ ؟ قال : أنا القائلُ[١] :

فلَوْ كُنْتَ فى سَلْمَى أجأً وشعابِها ... لَكانَ لحَجّاجٍ علىَّ دَليلُ[٢]

خَليلُ أميرِ المُؤْمنينَ وسَيفُهُ ... لكُلِّ إمامٍ مُصْطَفًى وخَليلُ

بَنَى قُبَّةَ الإسلامِ حتّى كأنّما ... هَدَى النّاسَ من بَعْدِ الضَّلالِ رَسُولُ

فخلَّى سبيلَه .

٦٩٦ ● (وهو القائلُ[٣] :

ما أَوْقَدَ النّاسُ من نارٍ لمَكْرُمَةٍ ... إلاَّ اصْطَلَيْنا وكُنّا مُوقِدِي النّارِ

وما يَعُدُّونَ من يَوْمٍ سَمعْتُ بهِ ... للناسِ أفْضَلَ من يَوْمٍ بذى قارِ

جِئْنا بأَسْلابِهِمْ والخَيْلُ عابِسَةٌ ... يَوْمَ اسْتَلَبْنا لكِسْرَى كُلَّ إسْوارِ)

وكان ربّما رَجَزَ .

٦٩٧ ● وهو القائل :

يا دارَ سَلْمَى أَقْفَرَتْ من ذى قارْ ... وهَلْ بإقْفارِ الدِّيارِ مِنْ عارْ

وذَكر الإبلَ فقال :

246 قَوَارِبُ الماءِ سَوَامِي الأبصارْ ... وهُنَّ يَنْهَضنَ بدَكْداكٍ هارْ[٤]

أَوْرَقَ من تُرْبِ العراقِ خَوّارْ ... وقَدْ كُسِينَ عَرَقاً مثْلَ القارْ[٥]

يَخْرُجُ من تَحْت خلالِ الأَوْبَارْ

فى أبياتٍ كثيرةٍ .

---

(١) البيتان الأول والثالث فى الكامل ٢ ٤٤ . وفى الأغانى ١٣ بيتاً من القصيدة .

(٢) «أجأ» و «سلمى» : جبلا طيء . وقد نص البكرى فى المعجم ١ : ١٠٩ على أن أجأ «يهمز ولا يهمز» وتبعه ياقوت فى البلدان . ولكن ذهب المبرد فى الكامل ٢ ٤٤ إلى أنه مهموز ، وأشار إلى أن القصر إنما كان للشعر ، ثم قال : «والشاعر إذا احتاج إلى قلب الهمزة قلبها : إن كانت الهمزة مكسورة جعلها ياء ، أو ساكنة جعلها على حركة ما قبلها ، وإن كانت مفتوحة وقبلها جعلها ألفاً ، وإن كانت مفتوحة وقبلها كسرة جعلها ياء ، وإن كانت قبلها ضمة جعلها واواً» .

(٣) الأبيات فى النقائض ٦٤٦ . وفيها للمديل ٥ أبيات أخرى ١٩٠ .

(٤) قوارب الماء : طوالب الماء. الدكداك : الرمل يلتبد بعضه على بعض بالأرض ولا يرتفع كثيراً .

(٥) الأورق : الذى لونه بين السواد والغبرة ، ومنه قيل للرماد أورق . يريد أن لون الدكداك كلون الرماد .

٦٨ - الراعى [١]

٦٩٨ ● هو حُصَيْنُ بن معاويةَ ، من بنى نُمَيْرٍ . وكان يقال لأبيه فى الجاهليّة معاويةُ الرئيسُ ، وكان سيدًا ، وإنما قيل له الرَّاعِى لأنَّه كان يصفُ راعىَ الإبل فى شعره [٢] . وولدُه وأهلُ بيته بالبادية سادةٌ أشرافٌ . ويقال هو عُبَيْدُ بن حُصَيْنٍ [٣] ، ويكنَى أبا جَنْدَلٍ ، وكان أعورَ . وهجاه جَرِيرٌ لأنه اتَّهمه بالميل إلى الفرزدق ، فلقيَه فعاتَبه واستكفَّه ، فاعتذر إليه ، وجاء ابنُه جَنْدَلٌ من خلفِه ، فضَرب بالسوط مؤخَّرَ بغلته ، وقال له إنَّك لواقفٌ على كلب بنى كُلَيب [٤] .

٦٩٩ ● وممَّا سَبق إليه فأُخذ منه قولُه :

كأنَّ العُيُونَ المُرْسِلاتِ عَشِيَّةً ... شَآبِيبَ دَمْعٍ لم تَجِدْ مُتَرَدَّدَا [٥]
مَزَايِدُ خَرْقاءِ اليَدَيْنِ مُسِيفَةٍ ... أَخَبَّ بِهِنَّ المُخْلِفانِ وأَحفَدَا [٦]

247

---

(١) ترجمته فى الاشتقاق ١٧٩ والأغانى ٢٠ : ١٦٨ - ١٧٣ والمؤتلف ١٢٢ والخزانة ١ : ٥٠٢ - ٥٠٤ وأخباره مطولة فى النقائض فى مواضعها ، وكذلك فى ترجمة جرير فى الأغانى والخزانة .

(٢) فى الاشتقاق أنه لقب « راعى الإبل » ببيت قاله .

(٣) هذا هو الراجح الثابت فى سائر المصادر : « عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل النميرى .

(٤) وغضب لذلك جرير ، فقال قصيدته الدامغة * أقلى اللوم عاذل والعتابا * وهى ١١٢ بيتاً ، وفيها يقول :

فغض الطرف إنك من نمير ... فـلا كعباً بلغت ولا كلابا

وانظر الخزانة ١ : ٣٤ - ٣٦ والنقائض ٤٢٧ - ٤٥١ .

(٥) الشآبيب : الدفعات ، من الدمع والمطر وغيرهما ، واحدها شؤبوب .

(٦) المزايد : جمع مزادة ، وهى الراوية يحمل فيها الماء . وفى اللسان « مزائد » فى البيت ، =

أخذه الطِّرِمَّاحُ فقال :

كَأَنَّ العُيُونَ المُرْسِلاَت عَشيَّةً شَآبِيبَ دَمْعِ العَبْرَة المُتَحَاتِنِ(١)
مَزَايدُ خَرْقَاءِ اليَدَيْنِ مُسِيفَةٍ يُخِبُّ بها مُسْتَخْلِفٌ غَيْرُ آيِنِ(٢)

٧٠٠ • وقال الراعى يصفُ الإبل :

نَجَائبُ لا يُلْقَحْنَ إلاَّ يَعَارةً عِراضاً ، ولا يُشْرِيْنَ إلاَّ غَوَالِيَا(٣)

أخذه الطرِّماحُ فقال :

أَضْمَرَتْهُ عِشْرِينَ يَوْماً ونِيلَتْ يَوْمَ نِيلتْ يَعَارَةً فى عِرَاضِ(٤)

(يَعَارَةً : ذاهبةَ الجسم ، ويقال : يُعَارُّ الناقةَ الفحلُ فيَضْربُها معارَضةً)(٥) .

=وقال عن ابن سيدة: « كذا وجدناه بخط على بن حمزة مهموز» . وفيه أيضاً عن ابن برى : « مزائد كان قياسها مزاود ، لأنها جمع مزادة ، ولكن جاء على التشبيه بفعالة ، ومثله معائش فيمن همزها » . خرقاء اليدين : غير صناع ولا رفق لها ، من الخرق ، وهو الجهل والحمق . مسيفة : من قولهم « أساف الخرز » أى خرمه . أخب : من الخبب ، وهو السرعة ، خبت الدابة : أسرعت ، وأخبها صاحبها : حملها على السرعة . المخلفان : تثنية « مخلف » وهو الذى يحمل الماء العذب إلى القوم ليس معهم ماء عذب ، أو يكونون على ماء ملح ، ولا يكون الإخلاف إلا فى الربيع ، وهو فى غيره مستعار منه . أحفدا : أسرعا ، أو حملا بعيريهما على السرعة ، يقال « حفد حفداً » أسرع ، و « أحفد إحفاداً » أسرع أو حمل دابته على الإسراع . والبيت فى اللسان ٤ : ١٣٠ و ١١ : ٦٧ ، ٦٨ .

(١) المتحاتن : المتتابع ، تحاتن الدمع : وقع دمعتين دمعتين ، وقيل : تتابع متساوياً . والبيت فى اللسان ١٦ : ٢٦١ .

(٢) المستخلف : هو « المخلف » الذى فسرناه فى بيت الراعى آنفاً ، يقال « أخلف القوم واستخلفهم » بمعنى . آين : من الأون ، وهو اتدعة والسكينة والرفق ، يقال « آن فى السير يؤون أوناً » إذا اتدع ولم يعجل ، واسم الفاعل « آئن » بالهمزة ، و « آين » بتسهيلها .

(٣) البيت فى الاشتقاق ٢٦٩ والكامل ١٤٣ واللسان ٧ : ١٦٦ و ٩ : ٤٨ .

(٤) البيت فى الاشتقاق أيضاً ٢٦٩ غير منسوب ، وهو فى الكامل ١٤٣ وقبله آخر ، وكذلك فى اللسان ٧ : ١٦٦ ، وعجزه فيه ٩ : ٤٨ .

(٥) تفسير « اليعارة » بأنها ذاهبة الجسم لم يذكر فى المعاجم . والعراض: أن يضرب الفحل =

٧٠١ ● واستُحسِن له قولُه فى الاعتذار من ترك الزيارة :

إنى وإيَّاكِ والشَّكْوَى الَّتِى قَصَرَتْ
خَطْوِى وَنأْيَكِ والوَجْدَ الَّذِى أَجِدُ

كالمـاءِ والظَّالِعِ الصَّدْيَانِ يَرْقُبُهُ
هو الشفاءُ له والرِّىُّ لو يَرِدُ[1]

٧٠٢ ● ومما أُخذ عليه قولُه فى المرأة :

تَكْسُو المَفَارِقَ واللَّبَّاتِ ذَا أَرَجٍ
من قُصْبِ مُعْتَلِفِ الكَافُورِ دَرَّاجِ[2]

(الأَرَجُ : الطيِّب الرائحة . درَّاج : يَذْهَبُ ويجىءُ) أَرَاد المِسْكَ ، فجعَلَه من قصْب ظبْيِ المِسْك ، والقُصْب : المِعَى ، وجعله يَعْتَلِفُ الكافورَ فيتولَّد عنه المسكُ !

٧٠٣ ● واستُحسن له قولُه فى النساء :

نُحَدِّثُهُنَّ المُضْمَرَاتِ وفَوْقَنَا
ظِلاَلُ الخُدُورِ والمَطِىُّ جَوَانِحُ

= الناقة من غير أن توطأ له ، ولكن يعترضها اعتراضاً ، وتقول العرب إن ذلك أكرم النتاج ، وذلك لأن الولد يخرج صليباً مذكراً ، ويقال لذلك الحمل الذى يقع من الاعتراض « يعارة » و « عراض » ، يقال « حملته عراضاً » و « حملته يعارة » . وقول الراعى « لا يشرين إلا غواليا » أى لكونها لا يوجد مثلها إلا قليلا . وقول الطرماح « أضمرته عشرين يوماً » فسره المبرد فى الكامل بأنه « أن تزيد بعد الحول من حين حملت أياماً نحو الذى عد ، فلا يخرج الولد إلا محكماً » . وحكاه فى اللسان عن المبرد أيضاً ٣ : ٢٠٢ ونقل تعقيب الأزهرى عليه قال : « أما بيت الطرماح فمعناه غير ما ذهب إليه ؛ لأن معناه فى بيته صفة الناقة نفسها بالقوة ، لاقوة ولدها . أراد أن الفحل ضربها يعارة ، لأنها كانت نجيبة فضن بها صاحبها لنجابتها عن ضراب الفحل إياها ، فعارضها فحل فضربها فأرتجت على مائه عشرين يوماً ، ثم ألقت ذلك الماء قبل أن يثقلها الحمل ، فتذهب منتها » —

(١) س ب « والطالع الصديان من عطش » .

(٢) البيت فى اللسان ٢ : ١٧٠ .

248 يُناجينَنا بالطَّرْفِ دونَ حَديثِنا ويَقْضِينَ حاجاتٍ وهُنَّ نَوَازِحُ

٧٠٤ ● وقال :

طافَ الخَيَالُ بأصْحابِى فقلْتُ لهم أأُمُّ شَذْرَةَ زارَتْنَا أم الغُولُ ؟
لا مَرْحَباً بابْنَة الأقْيانِ إذْ طَرَقَتْ كأنَّ مِحْجَرَها بالقَار مَكْحُولُ(١)
سُودٌ مَعَاصِمُهَا ، جُعْدٌ مَعَاقِصُها ، قَدْ مَسَّها من عَقيد القَارِ تَفْصيلُ(٢)

٧٠٥ ● وقال :

وما بَيْضَةٌ باتَ الظَّلِيمُ يحُفُّهَا بوَعْساءَ أعْلَى تُرْبِهَا قَدْ تَلَبَّدَا(٣)
فلمَّا عَلَتْهُ الشَّمْسُ فى يَوْمِ طَلْقَة وأشْرقَ مُكَّاءُ الضُّحَى فتَغرَّدَا(٤)
أرادَ القيامَ فازْبَأرَّ عِفَــاؤهُ وحَرَّكَ أعْلَى جِيدِهِ فتَأوَّدَا(٥)
وهَزَّ جَناحَيْه فساقَطَ نَفْضُهُ فَرَاشَ النَّدَى من مَتْنِه فَتَبَدَّدَا(٦)
فغادَرَ فى الأُدْحِىِّ صَفْرَاءَ تَرْكَةً هِجَاناً إذَا ما الشَّرْقُ فيها تَوَقَّدَا(٧)
بألْيَنَ مَسًّا من سُعَادَ لِلَامِسٍ وأحْسَنَ منها ، حينَ تَبْدُو ، مُجَرَّدَا

---

(١) المحجر : ما دار بالعين من العظم الذى فى أسفل الجفن ، وهو بكسر الميم مع فتح الجيم ، وبفتح الميم مع كسر الجيم .

(٢) عقيد القار : ما انعقد منه وغلظ ، يقال « أعقدت العسل ونحوه فهو معقد وعقيد » .

(٣) الوعساء : اللين من الرمل .

(٤) يوم طلقة : يريد يوم ليلة طلقة ليس فيها قر ولا ريح ، يريد يومها الذى بعدها ، والعرب تبدأ بالليل قبل اليوم . أو « طلقة » صفة لليوم نفسه ، والعرب تضيف الاسم إلى نعته ، وزادوا فى « الطلق » الهاء للمبالغة فى الوصف . المكاء بضم الميم وتشديد الكاف . طائر فى ضرب القنبرة إلا أن فى جناحه بلقاً ، سمى بذلك لأنه يصفر تصفيراً حسناً .

(٥) ازبأر : انتفش . العفاء ، بكسر العين : ما كثر من الوبر والريش . تأود : تثنى وتعوج .

(٦) فراش الندى : حببه الصغار .

(٧) التركة ، بفتح التاء : بيضة النعام تترك فى الفلاة .

٦٩ ـ أفنون[١]

٧٠٦ ● (واسمه صُرَيمْ بن معْشَرٍ)[٢]، هو من بنى تَغْلِبَ، وسُمىَ أُفْنُون ببيت قالَه[٣]. وقال له كاهنٌ فى الجاهلية: إنَّك تموت بثنيَّة يقال لها إلَاهَةُ[٤]، وإنَّه خرج مع ركبٍ فضلُّوا الطريقَ فى ليلهم، وأصبحوا بمكان فسألوا عنه، فقالوا: هذه إلَاهةُ، فنزلوا، ولم يَنزل أُفنون، وخلَّى ناقتَه تَرعىْ، فعَلِقَت مِشْفَرَها أفعىْ، فأمالت الناقةُ رأسَها نحوَ ساقه، فاحتكَّتْ بها، فنَهَشَتْه الأفىْ، فرمىْ بنفسه! وقال لرفيقٍ له يقال له معاويةُ[٥]:

لَسْتُ على شيء فرُوحاً مُعاوِياً ... ولا المُشْفِقاتُ إذْ تَبِعْنَ الحَوَازِيَا[٦]

لعَمْرُكَ ما يَدْرِى آمْرُؤٌ كَيْفَ يَتَّقِى ... إذَا هو لم يَجْعَلْ له ٱللّٰهُ وَاقِيَا

فطَأْ مُعْرِضاً، إنَّ الحُتُوفَ كَثيرَةٌ ... وإنَّك لا تُبْقِى بمالكَ باقيَا

كَفَىْ حَزَناً أنْ يَرْحَلَ الرَّكْبُ غادِياً ... وأُتْرَكَ فى أعْلَىْ إلَاهَةَ ثاوِيَا

ومات من ساعته، فقبره هناك.

٧٠٧ ● (وهو القائلُ[٧]:

لَعَمْرُكَ ما عَمْرُو بنُ هندٍ إذا دَعَا ... لتَخْدُمَ أُمِّى أمَّه بمُوَفَّقِ)

---

(١) ترجمنا له فى المفضلية ٦٥. وترجمته فى الاشتقاق ٢٠٣ والمؤتلف ١٥١ واللآلى ٦٨٤ – ٦٨٥ والخزانة ٤ : ٤٦٠.

(٢) فى المؤتلف «ظالم بن معشر». وهو خطأ. (٣) قال فيه * إن للشبان أفنونا *.

(٤) فى معجم البكرى ١ : ١٨٦ أنها بين ديار تغلب والشأم، وذكر القصة هناك.

(٥) من المفضلية ٦٥ والبيتان الثانى والرابع فى معجم البكرى.

(٦) فروحاً : كثير الفرح، ورسمت فى ل «فروحن» رسم التنوين نوناً. المشفقات : النساء ذوات الشفقة. الحوازى : الكواهن، واحده «حاز» كما نص عليه الأنبارى. أى أن النساء المشفقات إذ تبعن الكواهن يسألنهم لا يغنين عمن أشفقن عليه شيئاً.

(٧) مضى البيت ١٨٧ وحققنا لفظه هناك.

٧٠ – المخبل[1]

٧٠٨ ● المخبَّلُ: المجنونُ . وبه سمّى المخبَّلُ الشاعرُ، قاله أبو عمرو . اسمه ربيعةُ بن مالكٍ ، وهو من بنى شَمَّاس بن لأْىِ بن أَنْفِ الناقة[2] . وهاجر وابْنُه إلى البصرة ، وولدهُ كثيرٌ بالأحْساء ، وهم شعراءُ .

٧٠٩ ● وكان المخبَّل هجا الزِّبْرِقانَ بن بَدْرٍ وذكر أُختَه خُلَيْدَةَ ، ثم مرَّ بها بعد حينٍ وقد أصابه كَسْرٌ ، وهو لا يعرفها ، فآوَتْه وجَبَرَتْ كسرَه ، فلمّا عرفها قال:

لَقَدْ ضَلَّ حِلْمِى فى خُلَيْدَةَ ضَلَّةً ... سأُعْتِبُ قَوْمِى بَعْدَها وأَتُوبُ
وأَشْهَدُ ، والمُسْتَغْفَرُ اللهُ ، إنّنى ... كَذَبْتُ عليها ، والهجاءُ كَذُوبُ

٧١٠ ● (وهو القائل[3] :

فإنْ يَكُ غُصْنِى أَصْبَحَ اليَوْمَ ذاوِياً ... وغُصْنُكَ من ماءِ الشَّبَابِ رَطِيبُ
فإنى حَنَى ظَهْرِى حَوَانٍ تَركْنَهُ ... عَرِيشاً ، فَمَشْيِى فى الرجال دَبِيبُ
وما للعِظامِ الراجِفاتِ مِنَ البِلَى ... دَواءٌ ، وما للرُّكْبَتَيْنِ طَبِيبُ
إذا قال أَصْحَابِى : رَبِيعَ أَلاَ تَرَى؟ ... أَرَى الشَّخْصَ كالشَّخْصَيْنِ وهو قَرِيبُ
فلا يُعْجِبَنْكَ المَرْءُ إنْ كانَ ذا غِنًى ... سَتَتْرُكُهُ الأَيَّامُ وهْوَ حَرِيبُ[4]
وكائِنْ تَرَى فى الناس من ذى بشاشةٍ ... ومَنْ شَأْنُه الإقْتارُ وهْوَ نَجِيبُ)

(١) ترجمته فى الأغانى ١٢ : ٣٨ – ٤٣ والمؤتلف ١٧٧ واللآلى ٤١٨ ، ٨٥٧ – ٨٥٨ والخزانة ٢ : ٥٣٦ والإصابة ٢ : ٢١٨ – ٢١٩ وله ذكر فيها فى ترجمة ابنه شيبان ٣ : ٢٢٧ .

(٢) وهو شاعر مخضرم فحل ، عمر طويلا ، يقال إنه مات فى خلافة عثمان . وسماه الحافظ فى الإصابة « الربيع بن ربيعة بن عوف » وكنيته أبو يزيد ، وهو الذى أشار إليه الفرزدق فى قوله * وأبو يزيد وذو القروح وجرول * كما مضى ٦٨ .

(٣) فى الأغانى ١٢ : ٣٩ والإصابة ٣ : ٢٢٧ أبيات من هذه القصيدة .

(٤) حريب : من الحرب ، بفتحتين ، وهو أن يسلب الرجل ماله ويترك بلا شىء ، يقال « حربه يحربه فهو محروب وحريب » .

٧١ – سويد بن أبي كاهل[1]

٧١١ ●هو سُويدُ بن غُطَيْفٍ ، من بني يَشْكُرَ ، وكان الحجّاجُ تمثّل يومَ رُسْتَقَبَاذَ على المنبرِ بأبياتٍ من قصيدته ، وهي[2] :

251

رُبَّ مَنْ أنْضَجْتُ غَيْظاً صدرَهُ　　قد تَمَنَّى لِيَ مَوْتاً ، لم يُطَعْ

ويَرانِي كالشَّجَا في حَلْقِهِ　　عَسِرًا مَخْرَجُهُ ما يُنْتَزَعْ

مُزْبِدٌ يَخطِرُ ما لم يَرَنِي　　فإذا أَسْمَعْتُهُ صَوتِي انْقَمَعْ[3]

قد كَفَانِي اللهُ ما في نَفْسِهِ　　ومتَى ما يَكْفِ شيئاً لم يُضَعْ

لم يَضِرْنِي غَيْرَ أنْ يَحْسُدَنِي　　فَهْوَ يَزْقُو مِثْلَ ما يَزْقُو الضُّوعْ[4]

ويُحَيِّينِي إذا لاقَيْتُهُ　　وإذا يَخْلُو له لَحْمِي رَتَعْ

هَلْ سُوَيْدٌ غَيْرُ لَيْثٍ خادِرٍ　　ثَئِدَتْ أَرْضٌ عليه فانْتَجَعْ[5]

كَيْفَ يَرْجُونَ سِقَاطِي بَعْدَما　　جَلَّلَ الرَّأسَ بَيَاضٌ وصَلَعْ

(١) ترجمنا له في المفضلية ٤٠ وذكره المؤلف فيما مضى ١٤٣ ، ٢١٩ . وترجمته في الجمحي ٣٥ والاشتقاق ٢٠٥ والأغاني ١١ : ١٦٥ – ١٦٧ واللآلى ٣١٣ – ٣١٤ والإصابة ٣ : ١٧٢ – ١٧٣ والخزانة ٢ : ٥٤٦ – ٥٤٨ . وهو شاعر مخضرم يكنى أبا سعد ، عاش في الجاهلية دهراً ، ومات بعد سنة ٦٠ من الهجرة .

(٢) من المفضلية ٤٠ وهي من أغلى الشعر وأنفسه ، وقال الأصمعي : « كانت العرب تفضلها وتقدمها ، وتعدها من حكمها ، وكانت في الجاهلية تسميها اليتيمة ، لما اشتملت عليه من الأمثال » . وقال الجمحي : « له شعر كثير ولكن برزت هذه على شعره » وعدد أبياتها في المفضليات ١٠٨ ، وقد خرجناها هناك .

(٣) مزبد : كالجمل الهائج إذا ظهر الزبد على مشافره . يخطر : من الخطر ، بسكون الطاء ، وهو ضرب الفحل بذنبه إذا هاج . انقمع : دخل بعضه في بعض . يريد : أنه يتعظم إذا لم يرني ، فإذا رآني تضاءل .

(٤) يزقو : يصيح . الضوع ، بضم الضاد وكسرها مع فتح الواو : ذكر البوم .

(٥) الخادر : الذي اتخذ الأجمة خدراً . ثئدت : نديت ، والثأد ، بفتح الهمزة : الندى . انتجع : من النجعة ، بضم فسكون ، وهي طلب الكلأ في موضعه . أي لما فسد عليه موضع انتقل إلى غيره

(وفيها يقول :

وأبِيتُ اللَّيْـلَ ما أَرْقُدُهُ ... وبعَيْنَىَّ إذَا نَجْمٌ طَلَـعْ

وإذَا ما قُلْتُ لَيْلٌ قد مَضَى ... عَطَفَ الأَوَّلُ منه فرَجَعْ

يَسْحَبُ اللَّيْلُ نُجوماً ظُلَّعاً ... فتَوَاليها بَطِيئاتُ التَّبَعْ (١)

ويُزَجِّيهـا على إبْطـائها ... مُغْرِبُ اللَّوْنِ إذَا اللَّيْلُ انْقَشَعْ (٢)

وفيها يقول :

وَدَعَتْنِى برُقَاهـا ، إنَّها ... تُنْزِلُ الأَعْصَمَ من رَأسِ اليَفَعْ (٣)

تُسْمِعُ الحُدَّاثَ قَوْلاً حَسَناً ... لَوْ أرادُوا غَيْرَهُ لم يُسْتَطَعْ) (٤)

---

(١) ظلعاً ، بالظاء المعجمة : من الظلع والظلوع ، وهو العرج والغمز فى المشى ، كنى بذلك عن شدة بطئها ، فكأن الليل يجرها جراً . وفى ل بالطاء المهملة ، واخترنا ما فى المفضلية لأنه أجود وأعلى معنى . التوالى : الأواخر ، واحدتها ثالية .

(٢) يزجيها : يسوقها برفق . المغرب ، بفتح الراء : الأبيض ، يعنى بياض الصبح ، شبهه بالمغرب من الخيل ، وهو الذى تتسع غرته فى وجهه حتى تجاوز عينيه . انقشع : ذهب .

(٣) الرقى : جمع رقية . يريد أنها دعته برقاها فلم يجد فكاكاً . الأعصم : الوعل الذى فى يديه بياض . اليفع : المرتفع ، كاليفاع .

(٤) الحداث : الذين يحدثونها وتحدثهم ، وفى النهاية : « هو جمع على غير قياس ، حملا على نظيره ، نحو سامر وسمار » . لم يستطع ؛ يريد أنهم لو التمسوا منها سوى الحديث لم ينالوه ، يصف عفتها .

٧٢ – أبو محجن [1]

٧١٢● هو من ثَقِيف ، وكان مُولَعاً بالشراب ، مشتهرًا به ، وكان سَعْدُ بن أبي وَقَّاص حبسه فيه ، فلمّا كان يومُ القادِسيَّة وبلَغه ما يفعل المشركون بالمسلمين ، وهو عند أمِّ ولدٍ لسَعْدٍ ، قال : 252

كفَى حَزَناً أن تُطْعَنَ الخَيْلُ بالقَنَا ... وأُتْرَكَ مَشْدُودًا علىَّ وَثَاقِيَا [2]

إذَا قُمْتُ عَنَّانِى الحَدِيدُ وغُلِّقَتْ ... مَغَالِيقُ من دُونِى تُصِمُّ المُنَادِيَا [3]

(وقد كُنْتُ ذَا أَهْلٍ كَثِيرٍ وإِخْوَةٍ ... فَقَدْ تَرَكُونِى واحِـــدًا لاَ أَخَا لِيَا)

هَلُمَّ سِلَاحِى ، لا أَبَا لَكَ ، إِنَّنِى ... أَرَى الحَرْبَ لا تَزْدادُ إِلاَّ تَمَادِيَا

فقالت له أمُّ ولد سعدٍ : أَتَجْعَلُ لى إنْ أنا أطلقتُك أن ترجعَ حتَّى أُعيدَكَ فى الوَثاق ؟ قال : نعم ، فأَطلقتْه ، وركب فرساً لسَعْدٍ بَلْقاء ، وحَمَل على المشركين ، فجعل سَعد يقول : لولَا أنَّ أبا مِحْجَنٍ فى الوَثاق لظننتُ أنَّه أبو محجن وأنّها فَرسى ، وانكشف المشركون ، وجاء أبو محجن فأعادته فى الوَثاق ، وأتَتْ سعدًا فأخبرتْه ، فأرسل إلى أبى محجنٍ فأطلقَه ، وقال : والله لا حبستُك فيها أبدًا ، قال أبو محجن : وأنا واللهِ لا أشربُها بعدَ اليوم أبدًا .

---

(١) ترجمته فى الجمحى ٦٨ والاشتقاق ١٨٥ والمؤتلف ٩٥ – ٩٦ والأغانى ٢١ : ١٢٧ –١٤٣ والإصابة ٧ : ١٧٠ – ١٧٢ والخزانة ٣ : ٥٥٠ – ٥٥٦ وشواهد العينى ٤ : ٣٨١ – ٣٨٢ وخبره فى وقعة القادسية فى الطبرى ٤ : ١٢٣ – ١٢٤ ، ١٣٩ وديوانه صغير مطبوع بمصر قديماً ، بدون تاريخ ، بشرح أبى هلال العسكرى ، وعندى منه نسخة مخطوطة مصورة . وقال ابن دريد : « كان شاعراً فارساً شجاعاً ، شهد القادسية ، وكان له فيها بلاء عظيم » . و « محجن » بكسر الميم وسكون الحاء المهملة وفتح الجيم .

(٢) س ب « أن تطرد الخيل » وهى توافق رواية الجمحى . (٣) عنانى : حبسنى وأسرنى .

٧١٣ ● ودخل ابنُ أبي محجن[١] على معاويةَ ، فقال له معاوية : أبوك الذي يقول :

253

إذَا مِتُّ فادْفِنِّي إلى جَنْبِ كَرْمَةٍ ... تُرَوِّي عظَامِي بَعْدَ مَوتي عُرُوقُها

ولا تَدْفِنَنِّي بالفَلاَةِ فإنَّني ... أخافُ إذَا ما مِتُّ أن لا أذُوقُها[٢]

فقال ابنُ أبي محجن : لو شئتَ ذكرتُ أحسن من هذا من شعره ، قال : وما ذاك ؟ قال : قولُه :

لا تَسْأَلِ الناسَ : ما مالي وكَثْرَتُهُ ... وسائلِ القَوْمَ : ما حَزْمِي وما خُلُقِي[٣]

اَلْقَوْمُ أعْلَمُ أني من سَرَاتِهِمُ ... إذَا تَطِيشُ يَدُ الرِّعديدَة الفَرِقِ[٤]

قَدْ أرْكَبُ الهَوْلَ مَسدُولاً عَسَاكِرُهُ ... وأكْتُمُ السرَّ فيه ضَرْبَةُ العُنُقِ

٧١٤ ● وهو القائل :

إنْ يَكُنْ وَلِّيَ الأميرُ فَقَدْ ... طابَ منْهُ النَّجْلُ والأَثَرُ

فيكُمُ مُسْتَيْقِظٌ فَهِمٌ ... قُلْقُلاَنٌ حَيَّةٌ ذَكَرُ

أحْمَدُ اللهَ إلَيكَ فما ... وُصْلَةٌ إلا سَتَنْبَتِرُ

---

(١) فى الديوان والإصابة أن ابن أبي محجن هذا اسمه « عبيد » .

(٢) « أذوقها » بالرفع ، إما على إهمال « أن » وهو الراجح عندنا ، وإما على أنها مخففة من الثقيلة ، واسمها ضمير شأن أو ضمير متكلم محذوف . وانظر الخزانة وشواهد العيني .

(٣) رواية الديوان وكثير من المصادر « لا تسألى » و « سائلى » وصرح أبو هلال العسكرى بأنه يخاطب امرأته . وهى توافق النسخ ب س ﻫ .

(٤) الرعديدة : الجبان يرعد عند القتال جبناً .

٧٣ – عمرو بن شأس [1]

٧١٥ ●هو أبو عِرَارٍ، وفيه يقول عمرٌو لامرأته[2] :

أرادتْ عِرَارًا بالهَوَانِ ومَنْ يُرِدْ ... عرارًا بُنَىَّ بالهَوَانِ فَقَدْ ظَلَمْ[3]

فإنْ كُنْتِ منى أو تُرِيدينَ صُحْبَتِى ... فكُونِى له كالسمْنِ رُبَّتْ لَهُ الأَدَمْ[4]

وإلاَّ فَبِينِى مثْلَ ما بانَ راكبٌ ... تَيَمَّمَ خِمْساً لَيْسَ فى سَيْرِه أَمَمْ[5]

وإنَّ عرارًا إنْ يَكُنْ ذا شَكِيمَةٍ ... تُقَاسِينَها منه فما أَمْلكُ الشِّيَمْ[6]

وإنَّ عِرَارًا إنْ يَكُنْ غيرَ واضحٍ ... فإنى أُحِبُّ الجَوْنَ ذا المَنْكِبِ العَمَمْ[7]

٧١٦ ●ووفَد على عبد الملك بن مروان[8] وفْدُ أهل الكوفه ، فلما دخلوا

---

(١) ترجمته فى الجمحى ٤٦ – ٤٧ والمرزبانى ٢١٢ – ٢١٣ واللآلى ٧٥٠ – ٧٥١ والأغانى ١٠ : ٦٠ – ٦٣ وقد مضى له ذكر فى تعليقنا على بيت المتلمس ١٣٢ . وهو عمرو بن شأس الأسدى ، قال الجمحى : « كثير الشعر فى الجاهلية والإسلام ، وهو أكثر طبقته شعراً ، وكان ذا قدر وشرف ومنزلة فى قومه » . وأسلم فى صدر الإسلام وشهد القادسية .

(٢) من قصيدة ذكر بعضها فى الأغانى ، والحماسة ١ : ٢٧٢ – ٢٧٣ من شرح التبريزى .

(٣) عرار : بكسر العين ، وضبط فى اللسان ٦ : ٢٣٦ بفتحها ، وهو خطأ . س ب «عراراً لعمرى بالهوان» وهو يوافق رواية الكامل والحماسة والأغانى وغيرها .

(٤) البيت فى اللسان ١ : ٣٩٠ وقال : « أراد بالأدم النحى ، يقول : لزوجته : كونى لولدى عراراً كسمن رب أديمه ، أى طلى برب التمر ، لأن النحى إذا أصلح بالرب طابت رائحته ومنع السمن من أن يفسد طعمه أو ريحه » .

(٥) الخمس ، بكسر الخاء : من أظماء الإبل ، وهو أن ترد الإبل الماء اليوم الخامس . يريد : وإلا ففارقينى وليكن سيرك سير راكب تكلف ورود الماء للخمس . الأمم : القرب والقصد . أراد : أنه على غير قصد فيكون أشق له .

(٦) الشكيمة : شدة النفس والأنفة والإباء، وأصله من شكيمة اللجام. والبيت فى اللسان ١٥ : ٢١٧ .

(٧) الواضح : الابيض اللون الحسنه . الجون : الأسود ، العمم : التام أو الطويل . والبيت فى اللسان ١ : ٣٩٠ و ٦ : ٢٣٦ و ١٥ : ٣٢١ .

(٨) القصة فى الكامل ٢٣٤ – ٢٣٥ بمعناها .

عليه وكلَّمهم رأى فيهم رجلا آدَمَ طويلاً ، فكلَّمه فأعجبه بيانُه ، فلما تولَّى تمثَّلَ عبدُ الملك بقول عَمرو بن شَأْس

* وإنَّ عِرارًا إنْ يَكُنْ غَيْرَ واضحٍ * البيت .

فالتفتَ الآدَمُ إلى عبد الملك فضحكَ ، فقال عبدُ الملك : علَيَّ به ، فلما جِيءَ به قال : ما أضحكَكَ ؟ قال : أنا يا أمير المومنين عِرارٌ ! فأقعده معه ، وقدَّمه وسامره حتى خرج .

٧١٧ • ومما سَبق إليه عمرو بن شَأْس فأُخذ منه قولُه :

255 وَأَسْيافُنَا آثَارُهُنَّ كأنَّها مَشافرُ قَرْحَىٰ فى مَبَاركها هُدْلُ(١)

أخذه الكُمَيْتُ فقال :

تُشَبَّهُ فى الهَامِ آثارَها مَشافِرَ قَرْحَىٰ أَكَلْنَ البَرِيرَا

(البَرِير : نبتٌ تأْكلُه الإبل ، وهو ثَمَرُ الأَرَاكِ) . وقال أبو النَّجْم يصفُ الجِراحة :

* تَحْكى الفَصِيلَ الهادِلَ المَقْرُوحَا *

(الهادِلُ : الذى قد أَرْخَى شَفَتَيْه) .

---

(١) قرحى : أصابها القرح ، وهو البثر إذا ترامى إلى فساد ، والمقرحة : الإبل التى بها قروح فى أفواهها فتهدل مشافرها . هدل : صفة لمشافر ، جمع « أهدل » يقال « هدل البعير » أخذته القرحة فهدل مشفره وطال . والبيت فى اللسان ٣ : ٣٩٢ مع بيتى الكميت وأبى النجم ، وذكر بيتاً آخر للبعيث ، وصرح بأنه سرقه من عمرو بن شأس .

٧٤ – ابن الطثرية [1]

٧١٨ ● هو يزيدُ بن الطَّثْرِيَّةِ ، والطَّثْرِيَّةُ أُمُّه [2] وهى من طَثْر [3] بن عَنْزِ بن وائلٍ ، وقتلتْه بنو حَنيفة يوم الفَلَجِ [4] ، (فقالت أختُه ترثيه [5] :

أَرَى الأَثْلَ فى جَنْبِ العَقيقِ مُجاوِرًا ... مُقِيماً ، وقد غالَتْ يَزِيدَ غَوَائلُهْ [6]

فَتًى قُدَّ قَدَّ السَّيْفِ ، لا مُتَقاذِفٌ ... ولا رَهِلٌ لَبَّاتُهُ وأَبَاجِلُهْ [7]

إذَا نَزَلَ الأَضْيَافُ كان عَــذَوَّرًا ... على الحَيِّ حتّى تَسْتَقِلَّ مَرَاجِلُهْ) [8]

---

(١) ترجمته فى الجمحى ١٥٠ ، ١٥١ – ١٥٢ والأغانى ٧ : ١٠٤ – ١١٧ واللآلى ١٠٣ – ١٠٤ وابن خلكان ٢ : ٣٩٥ – ٣٩٩ ومعجم الأدباء ٧ : ٢٩٩ – ٣٠٠ وانظر الحيوان ٦ : ١٣٧ .

(٢) وأبوه هو « سلمة بن سمرة بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة » .

(٣) طثر : بفتح الطاء المهملة وسكون الثاء المثلثة .

(٤) الفلج ، بفتحتين ؛ قرية من قرى اليمامة . وكان مقتله بها فى سنة ١٢٦ وفى ابن خلكان عن أبى الحسن الطوسى : « كان ابن الطثرية شاعراً مطبوعاً ، عاقلا فصيحاً ، كامل الأدب ، وافر المروءة ، لا يعاب ولا يطعن عليه ، وكان سخياً شجاعاً ، له أصل ومحل فى قومه من قشير ، وكان من شعراء بنى أمية مقدماً عندهم » . وفيه أيضاً أن صاحب الأغانى جمع شعره فى ديوان .

(٥) من قصيدة فى الأمالى ٢ : ٨٥ – ٨٦ والحماسة ٣ : ٧٢ – ٧٥ من شرح التبريزى .

(٦) الأثل : شجر . العقيق : واد ببلاد بنى عامر ، وهو من الحجاز .

(٧) الرهل : المسترخى . الأباجل : جمع أبجل ، وهو عرق غليظ فى الرجل ، ذكرت الأباجل وهى تريد مواضعها ، ولذلك جمعتها . تصفه بقلة اللحم على الساق والصدر .

(٨) العذور ، بفتح العين والذال وتشديد الواو المفتوحة : السيّء الخلق القليل الصبر فيما يريده ويهم به . وضبط فى ل بضم الذال وهو خطأ . المراجل : جمع مرجل ، وهو القدر العظيم من النحاس . واستقلالها : انتصابها على الأثافى . وصفته بسوء الخلق والتشدد فى الأمر والنهى حتى تنصب المراجل وتهيأ المطاعم للضيفان ثم يعود إلى خلقه الأول . والبيت فى اللسان ٦ : ٢٣٠ ومعه بيت آخر .

٧١٩ ● وهو القائل :

وأبْيَضَ مثلِ السَّيْفِ خادمِ رُفْقَةٍ ... أَشَمَّ تَرَى سِرْبَالَهُ قد تَقَدَّدَا
كَرِيمٍ على غِرّاته لو تَسُبُّهُ ... لَفَدَّاك رِسْلاً لا تراهُ مُرَبَّدَا[1]
يُعَجِّلُ للقَوْمِ الشواءَ يَجُرُّه ... بأَقْصَى عَصَاهُ مُنْصَجاً أو مُرَمَّدَا
حلُوفٌ : لَقَدْ أَنْضَجْتُ ، وهْوَمُلَهْوَجٌ ... بنصْفَيْنِ لوْ حَرَّكْتَهُ لَتَقَصَّدَا[2]
يُجيبُ بلَبَّيْهِ إذَا مـا دَعَوْتَهُ ... ويَحْسبُ مايُدْعَى له الدَّهْرَ أَرْشَدَا

256

٧٢٠ ● وقولُه أيضاً[3] :

هَبِينِي امْرءًا إمّا بَرِيئاً ظَلَمْتِه ... وإمّا مُسيئاً تابَ منه وأَعْتَبَا[4]
وكُنْتُ كَذِى داءٍ تَبَغَّى لدائِه ... طَبِيباً ، فلمّا لم يَجِدْه تَطَبَّبَا

٧٢١ ● وهو القائل[5] :

بِنَفْسِىَ مَنْ لَوْ مَرَّ بَرْدُ بَنَانِه ... على كَبِدِى كانَتْ شِفاءً أَنامِلُهْ
ومَنْ هابَنِى فى كُلِّ أَمْرٍ وهِبْتُهُ ... فلا هُوَ يُعْطِينى ولا أنا سائلُهْ

---

(١) الرسل ، بكسر الراء : الرفق والتؤدة .

(٢) الملهوج : الذى لم ينضج ، يقال « لهوج الأمر » لم يحكمه ولم يبرمه ، و « لهوج اللحم » لم ينعم طبخه أو شيه .

(٣) من أبيات فى اللآلى ١٠٣ وابن خلكان .

(٤) س ف « تاب بعد » .

(٥) من أبيات فى ابن خلكان .

٧٥ ـ أبو الغول[1]

٧٧٢ ● هو من بنى نَهْشَلٍ ، واسمه عِلْباءُ بن جَوْشَنٍ ، وهو من بنى قَطَنِ بن نَهْشَل[1] ، وكان شاعرًا مُجيدًا ، وهو القائل :

وسَوْأة يُكْثِرُ الشَّيْطانُ إنْ ذُكِرَتْ ... منها التَعَجُّبَ ، جاءتْ مِنْ سُلَيْمانَا

لا تَعْجَبَنَّ لِخَيْرٍ زلَّ عن يَدِهِ ... فالكَوْكَبُ النَّحْسُ يَسْقِى الأرضَ أحْيَانَا

٧٧٣ ● وهو القائلُ[2] :

ولا يَجْزُونَ من خَيْرٍ بِشَرٍّ ... ولا يَجْزُونَ مِنْ غِلَظٍ بِلِينِ[3]

257

هُمُ أحْمَوْا حِمَى الوَقَبَى بضَرْبٍ ... يُؤَلِّفُ بَيْنَ أشْتَاتِ المَنُونِ[4]

فَنَكَّبَ عَنْهُمُ دَرْءَ الأعادِى ... وداوَوْا بالجُنُونِ مِنَ الجُنُونِ[5]

---

(١) هكذا قال ابن قتيبة . وفى المؤتلف ١٦٣ : « من يقال له أبو الغول : منهم أبو الغول الطهوى ، وهو من قوم من بنى طهية يقال لهم بنو عبد شمس بن أبى سود ، يكنى أبا البلاد ، وقيل له أبو الغول لأنه فيما زعم رأى غولا فقتله . . . وله فى هذا حديث وخبر فى كتاب بنى طهية . ومنهم أبو الغول النهشلى ، ذكر أبو اليقظان أن اسمه علباء بن جوشن وأنه شاعر ، ولم ينشد له شعراً ، ولم أر له ذكراً فى كتاب بنى نهشل » . فهذا كما ترى ! والأبيات الآتية * ولا يجزون * إلخ نسبها كل من ذكرها لأبى الغول الطهوى ، ولم يذكر أحد منهم هذا النهشلى . والطهوى شاعر إسلامى . وانظر اللآلى ٥٧٩ ـ ٥٨١ والخزانة ٣ : ١٠٦ ـ ١٠٨ ، ٥١٥ وشرح الحماسة ١ : ٢٧ ـ ٤٢ .

(٢) من قصيدة فى الحماسة والأمالى ١ : ٢٦٠ ـ ٢٦١ والخزانة ، وكلهم نسبها للطهوى كما قلت آنفاً .

(٣) رواية الأمالى والحماسة * ولا يجزون من حسن بسيء * بفتح السين وسكون الياء ، أراد « بسيء » بتشديدها ، فخفف كما يخفف « عين ولين » . والبيت فى اللسان ١ : ٨٩ ونسبه للطهوى .

(٤) الوقبى : ماء لبنى مالك بن مازن لهم به حصن ، وهو قريب من البصرة ، وقد ذكر تفصيل هذا اليوم فى شرح الحماسة . وضبط فى ل وأصول شرح الحماسة بسكون القاف ، وكذلك فى اللسان ثم نقل عن ابن برى أن صوابه بفتح القاف ، وبذلك ضبط فى البلدان والقاموس والخزانة . والبيت فى اللسان ٢ : ٣٠٢ والبلدان ومعه بيتان آخران ٨ : ٤٢٩ ونسباه كلاهما لأبى الغول الطهوى .

(٥) الدرء : الدفع ، وأراد به ههنا الخلاف والخصومة ، لأنه يقال « تدارأ القوم » أى تدافعوا فى الخصومة ونحوها واختلفوا . يريد أن الضرب حرف عن هؤلاء القوم اعوجاج الأعداء وخلافهم .

٧٦ – زياد الأعجم[1]

٧٢٤ ● هو زيادُ بن سَلْمَى ، ويقال زياد بن جابر بن عمرو بن عامرٍ ، من عبد القيس ، وكان ينزلُ إصْطَخْرَ ، وكانت فيه لُكْنةٌ ، فلذلك قيل له الأعْجَمُ[2] ، وله عَقِبٌ .

٧٢٥ ● وكان يُهاجي قَتَادةَ بن مُغَرِّبٍ اليشكريّ ، ويقال مُغْرِب ، وفيه يقولُ :

يَشْكُرُ لا تسْتَطِيعُ الوَفاءَ ... وتَعْجِزُ يشكُرُ أنْ تَغْدِرَا

وقَتَادةُ هو القائلُ :

بِتُّ بِحُشٍّ فى شَرِّ مَنْزِلَةٍ ... لا أنا فى لَذَّةٍ ولا فَرَسِى
هٰذا على الخَسْفِ لا قَضِيمَ له ... وأنا ذَا لا يَسُوغُ لى نَفَسِى[3]
لَلَيْلةُ البَيْنِ إذْ هَمَمْتُ بها ... ألَذُّ عِنْدِى من لَيْلَةِ العُرُسِ[4]

---

(١) ترجمته فى المؤتلف ١٣١ – ١٣٢ والأغانى ١٤ : ٩٨ – ١٠٥ ومعجم الأدباء ٤ : ٢٢١ – ٢٢٢ والخزانة ٤ : ١٩٢ – ١٩٤ وذيل اللآلى ٧ – ٨ .

(٢) فى الكامل ٥٨٦ : « كان زياد الأعجم ، وهو رجل من عبد القيس ، يرتضح لكنة أعجمية ، يذهب فيها إلى مذهب قوم بأعيانهم من العجم . وأنشد المهلب بن أبى صفرة فى مدحه إياه :

فتى زاده السلتان فى المدح رغبة ... إذا غير السلتان كل خليل

يريد السلطان ، وذلك أن بين التاء والطاء نسباً ، فلذلك قلبها تاء ، لأن التاء من مخرج الطاء ، فقال : السلتان » . وفى الخزانة : « روى أنه دعا غلاماً له ليرسله فى حاجة فأبطأ عليه ، فلما جاءه قال له : منذ دأوتك إلى أن قلت لبياً ما كنت تصنأ ؟ ! يريد : منذ دعوتك إلى أن قلت لبيك ما كنت تصنع ؟ . وهو شاعر إسلامى ، مات فى حدود المائة ، كما فى معجم الأدباء . وانظر شرح المسند ٦٩٨٠ .

(٣) القضيم : ما تقضمه الدابة ، يريد الشعير .

(٤) الأبيات يقولها لزوجته أرنب الحنفية ، تزوجها فلم تلد له ونشزت عليه فطلقها ، والبيت مع بيتين آخرين فى اللآلى ٩١ – ٩٢ . ولعلها هى التى قالت شعراً تهجوه به ، فى الحماسة ٤ : ٨٦ – ٨٧ من شرح التبريزى .

٧٢٦ ● وهمَّ الفَرَزْدَقُ بهجاء عبد القيس ، فبلغ ذلك زيادًا الأعجَمَ ، فبعث إليه : لا تَعْجَلْ حتّى أُهْدِيَ إليك هديّةً ، فانتظَرَ الفرزدقُ الهديّةَ ، فبعَث إليه :

258

ما تَرَكَ الهاجُونَ لِي إنْ هَجَوْتُهُ ... مَصَحًّا أَرَاهُ فى أَدِيمِ الفَرَزْدَقِ

ولا تَرَكُوا عَظْماً يُرَى تَحْتَ لَحْمِهِ ... لِكاسِرِهِ أَبْقَوْهُ للمُتَعَرِّقِ

سَأَكْسِرُ ما أَبْقَوْهُ لِي من عِظامِهِ ... وأَنْكُتُ مُخَّ الساقِ منه وأَنْتَقِى

وإنّا وما تُهْدِى لنا إنْ هَجَوْتَنا ... لَكالبَحْرِ مَهْمَا يُلْقَ فى البَحْرِ يَغْرَقِ

فلما بلغه الشعرُ قال : ليس لى إلى هجاء هولاء (من) سبيلٍ ما عاش هذا العبد !

٧٢٧ ● وهو القائلُ يرثى المغيرةَ بنَ المهلّب[1] :

إنَّ السَّماحَةَ والمُرُوءَةَ ضُمِّنَا ... قَبْرًا بمَرْوَ على الطريقِ الواضِحِ

فإذا مَرَرْتَ بقَبْرِهِ فاعْقِرْ به ... كُومَ الهجان وكُلَّ طِرْفٍ سابِحِ[2]

(وانضَحْ جَوَانِبَ قَبْرِهِ بدِمائِها ... فلقَدْ يَكُونُ أَخَا دَمٍ وذَبائحِ)

وقال له قَبِيصَةُ بن المهلّب حين أنشده هذا : أعقرتَ يا أبا أُمامة ؟ قال : إنّى كنتُ على مُقْرِفٍ[3].

---

(١) من قصيدة طويلة فى ذيل الأمالى ٣ : ٨ — ١١ وذكر بعضها فى الأغانى ١٤ : ٩٩ وقال : « وهذا من نادر الكلام ، ونقى المعانى ، ومختار القصائد ، وهى معدودة من مراثى الشعراء فى عصر زياد ومقدمها » . وفى معجم الأدباء أبيات منها ، وقال : « وهى من أحسن المراثى » . وذكر ابن خلكان أبياتاً منها ٢ : ١٩٣ — ١٩٤ وقال : « وهذه القصيدة من غرر القصائد ونخبها » .

(٢) الطرف ، بكسر الطاء : الكريم العتيق من الخيل . وضبط فى ل بالفتح ، وهو خطأ .

(٣) المقرف : الهجين من الخيل ، وهو الذى أمه برذونة وأبوه عربى ، أو بالعكس . وفى الأغانى أنه قال : « كنت على بيت الحمار ، يريد الحمار » .

٧٢٨ • وتمثّل الحجّاجُ عند موت ابنِه (يوسفَ) ببيتين من هذا الشعر :

اَلآنَ لَمّا كُنْتَ أَكْمَلَ مَن مَشَى وافْتَرَّ نابُكَ عن شَبَاةِ القارِحِ

وتَكَامَلَتْ فِيكَ المُرُوءَةُ كُلُّها وأَعَنْتَ ذَلِكَ بالفَعَالِ الصالِحِ

٧٢٩ • وهو القائلُ فى كعب الأَشْقَرِىِّ من الأزد[1] :

إذا عَذَّبَ اللهُ الرِّجالَ بشِعْرِهم أَمِنْتُ لكَعْبٍ أن يُعَذَّبَ بالشِّعْر

٧٣٠ • وهو القائلُ للأَزد :

أَتَتْكَ الأَزْدُ تَعْثُرُ فى لِحَاها تَسَاقَطُ من مَنَاخِرِها الجُوَافُ[2]

٧٣١ • ولمّا قال لبنى حَبْناء من تميمٍ يهجوهم[3] :

259

عَجِبْتُ لأَبْلَقِ الخُصْيَيْنِ عَبْدٍ كأَنَّ عِجَانَهُ الشِّعْرَى العَبُورُ[4]

قيل له : يا أبا أمامة لقد رفعتَهم بأعظمِ ما يُقْدَرُ عليه ؟ فقال :
والله لا يحولُ الحول حتّى أرفَعَهم بأعظمَ منه ، فقال :

لا يَدْلَحُ الدَّهرَ مِنْهُمْ خارئٌ أَبَدًا إلاّ حَسِبْتَ على بابِ اَسْتِه نَمِرَا[5]

٧٣٢ • وقال ليزيد بن المهلّب :

---

(١) طارت المهاجاة بينهما ، انظر بعضها فى الأغانى ١٣ : ٥٦ — ٦٠ .

(٢) الجواف : ضرب من السمك ، واحدته جوافة .

(٣) كان التهاجى بين زياد وبين المغيرة بن حبناء ، وتفصيله فى الأغانى ١١ : ١٥٩ — ١٦٤

(٤) فى الأغانى ١١ : ١٦١ «لأبيض الخصيين» . العجان : الدبر . الشعرى العبور : كوكب نير فى الجوزاء ، يقال إنها عبرت السماء عرضاً ، ولم يعبرها عرضاً غيرها . يرميه بالبرص . وانظر ما مضى ٣٦٧ .

(٥) يدلح : من الدلح ، وهو مشى الرجل بحمله وقد أثقله . ورواية الأغانى «لا يبرح» . النمر : الظاهر أنه أراد به السحاب الذى فيه بياض ونقاط من أحمر وأسود . ورواية الأغانى «القمرا» وهى أوضح وأعلى .

هَلْ لَكَ فى حاجتى حاجةٌ ... أم أنْتَ لها تارِكٌ طارِحُ

أمِتْها ، لكَ الخَيْرُ ، أمْ أحْيِها ... كما يفْعَلُ الرَّجُلُ الصالِحُ

إذا قُلْتُ : قد أقْبَلَتْ ، أدْبَرَتْ ... كمَنْ لَيْسَ غادٍ ولا رائحُ

وكان ينبغى أن يقول «غادياً ولا رائحاً» وهو كثير اللَّحن فى شعره ، ولهذا قيلَ له الأعْجَمُ ، ولفسادِ لسانه بفارِس .

٧٣٣ ● وكذلك قولُه :

أنْتَ الفتَىٰ كُلُّ الفتَىٰ ... لَوْ كُنْتَ تَفْعَلُ ما تَقُولُ

لا خَيْرَ فى كَذِبِ الجَوَا ... دِ وحَبَّذا صِدْقُ البَخِيلِ

يا ابْنَ المُهَلَّب حاجَتى ... عَجِّلْ فقَدْ حَضَرَ الرَّحِيلُ

٧٣٤ ● وكذلك قولُه :

تُكَلِّفُنى سَوِيقَ الكَرْمِ جَرْمٌ ... وما جَرْمٌ وما ذاكَ السَّوِيقُ

فما شَرِبُوهُ إذْ كانَتْ حَلالاً ... ولا غالَوْا به فى يَوْمِ سُوقِ

فأوْلَىٰ ثُمَّ أوْلَىٰ ثُمَّ أوْلَىٰ ... ثَلاثاً يا ابْنَ جَرْمٍ أنْ تَذُقُوا[1]

٧٣٥ ● ومن خُبْث هجائه قولُه للأشاقِرِ [2] :

قُبَيِّـــلَةٌ خَيْرُها شَرُّها ... وأصْدَقُها الكاذِبُ الآثِمُ

وضَيْفُهُمُ وَسْطَ أبْياتِهِمْ ... وإن لم يَكُنْ صائِماً صائِمُ

---

(١) عاب المؤلف على زياد فى هاتين المقطوعتين الإقواء ، ولكنه جاء بهما دليلا على كثرة لحنه ، وما الإقواء من اللحن فى شىء . وقد وجدت للإقواء توجيها طريفاً ، فى شواهد المغنى ٧٤ عن الزمخشرى فى شرح أبيات الكتاب، يعنى كتاب سيبويه : «وإنشاد الأبيات على الوقف مذهب لبعض العرب فإن أنشد بيت واحد منها أنشد على حقه من الإعراب ، وإن أنشدت جميعاً أنشدت على الوقف » . وهذا يفسر ما مضى أن النابغة كان يقوى ، وأنه لم يفطن للإقواء حتى أسمعوه أبياته فى غناء ، ففطن فلم يعد .

(٢) هم قوم كعب الأشقرى ، والبيتان فى الأغانى ١٤ : ١٠٤ .

٧٧ – جميل بن معمر (العذرى)[1] 260

٧٣٦ ● هو جَميل بن عبد الله بن مَعْمَرٍ ، ويكنى أبا عمرٍو . وهو أحد عُشَّاق العرب المشهورين بذلك ، وصاحبته بُثَيْنَةُ ، وهما جميعاً من عُذْرَةَ ، وكانت بثينةُ تكنى أمَّ عبد الملك ، ولها يقولُ (جميل) :

يا أمَّ عَبْدَ المَلِكِ اصْرِمِينى   فبَيِّنِى صَرْمَكِ أو صِلِينِى[2]

وقد يقال إنه جميلُ بن مَعْمَرِ بن عبد الله .

٧٣٧ ● والجَمَالُ فى عُذْرَةَ والعشقُ كثيرٌ . قيل لأعرابىّ من العذريِّين : ما بال قلوبكم كأنَّها قلوبُ طيرٍ تَنماثُ كما يَنماثُ الملح فى الماء[3]؟ أمَا تَجلَّدُون ؟ ! قال : إنَّا لَننظر إلى محاجر أعينٍ لا تَنظرون إليها ! وقيلَ لآخرَ : ممَّن أنت ؟ فقال : من قومٍ إذا أحبُّوا ماتوا ، فقالت جاريةٌ سمعتْه : عُذْرِىٌّ وربِّ الكعبة !

٧٣٨ ● وعَشِقَ جميلٌ بُثَيْنَة وهو غلامٌ (صغير) ، فلمّا كَبِر خطبها فرُدَّ عنها ، فقال الشعرَ فيها ، وكان يأتيها سرًّا ، ومنزلها وادى القُرَى ، فجمع له قومُها جمعاً ليأخذوه إذا أتاها ، فحذَّرتْه بثينةُ ، فاستخفى وقال :

---

(١) ترجمته فى المؤتلف ٧٢ ، ١٦٨ والأغانى ٧ : ٧٢ – ١٠٤ واللآلى ٢٩ – ٣٠ وابن خلكان ١ : ١٤٣ – ١٤٦ والخزانة ١ : ١٩٠ – ١٩٢ . وجميل كان يعرف بابن قميئة ، وهى أم جده معمر ، كما فى اللآلى ، وفى المؤتلف ١٦٨ « لم يكن جميل يعرف إلا بابن قميئة » ولكن ذكر هناك خطأ باسم « جميل بن عبيد الله » وتبعناه فى ذلك الحاشية ٢ ص ٣٣٨ وصوابه « جميل بن عبد الله ».

(٢) الصرم ، بضم الصاد وفتحها : الهجران والقطع .

(٣) ينماث : يذوب .

ولو أنَّ أَلْفاً دُونَ بَثْنَةَ كُلُّهُمْ غَيَارَى وكُلٌّ حارِبٌ مُزْمِعٌ قَتْلِي
لَحاوَلْتُها إِمَّا نَهارًا مُجاهِرًا وإِمَّا سُرَى لَيْلٍ ولو قُطِعتْ رِجْلِي

٧٣٩ ● وهجَا قومَها فاستعدَوْا عليه مروانَ (بن الحَكَم) ، وهو يومئذ عاملُ معاويةَ على المدينة ، فنذر ليقطعنَّ لسانَه ، فَلَحِقَ بجُذَامَ [1] ، وقال :

261

أَتَانِيَ عن مَرْوانَ بالغَيْبِ أنَّه مُقِيدٌ دَمِي أو قاطِعٌ من لِسانِيَا
ففِي العِيسِ مَنْجاةٌ وفي الأَرْضِ مَهْرَبٌ إِذَا نَحْنُ رَفَّعْنا لَهُنَّ المَثَانِيَا

فأَقام هناك إلى أن عُزِل مروانُ عن المدينة ، وانصرفَ إلى بلاده ، وكان يختلفُ إليها سِرًّا .

٧٤٠ ● وكان لبثينةَ أخ يقال له جَوَّاس ، فشبَّب بأُختِ جميل ، فغضب جميلٌ وتَواعدَا لمراجزةٍ ، فغلَبه جميل ، ولمَّا اجتمعوا لذلك قال أهلُ تَيْماءَ : يا جميلُ قُلْ في نفسك ما شئتَ فأَنتَ الباسلُ الجوادُ الجميلُ ، ولا تَقُلْ في أَبيكَ شيئاً فإنه كان لِصًّا بتيماءَ في شملة لا تُوارى اَسْتَه ! وقالوا لجوَّاسٍ : قُلْ وأنت دونَه في نفسِك ، فقُلْ ما شئتَ في أَبيك ، فإنه صحبَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم [2] .

٧٤١ ● وقال كُثَيِّرٌ : قال لي جميلٌ : خُذْ لي موعدًا من بُثينة ! قلتُ له : هل بينَك وبينها علامةٌ ؟ فقال لي : عهدى بها وهم بوادى الدَّوْم

---

(١) جذام : حي من اليمن ، يصرف إن أريد اسم الرجل ، ويمنع من الصرف إن أريد القبيلة .

(٢) جواس : هو ابن قطبة بن ثعلبة بن الهوذ ، وهو ابن عم بثينة لا أخوها ، هي بنت حبأ ابن ثعلبة بن الهوذ . وانظر ترجمة جواس في الأغاني ١٩ : ١١٢ – ١١٤ وكان هو وأخوه عبيد الله ابن قطبة يهجوان جميلا وينافرانه من أجل بنت عمهما . وأما ما ذكر في هذا الخبر ، من أن أباهما صحب رسول الله ، فلم أجد ما يؤيده ، وفي الصحابة «قطبة بن قتادة العذرى» ذكره ابن إسحق فيمن شهد غزوة مؤتة ، وذكر له فيها شعراً ، سيرة ابن هشام ٧٩٤ ، ٧٩٧ ، وله ترجمة في الإصابة ٥ : ٢٤٣ ، فإن كان إياه فلعل بعض رواة الغزوة أخطأ في اسم أبيه ، فذكر «قتادة» بدل «ثعلبة» .

يَرْحَضُون ثيابَهم ، فأتيتُهم فأجِدُ أباها قاعدًا بالفِنَاء ، فسلَّمتُ فردَّ ، وحادثتُه ساعةً حتى استنشدنى ، فأنشدتُه[١] :

فقلتُ لها : يا عَزّ أرسَلَ صاحبى ... على نَأْيِ دارٍ ، والمُوَكَّلُ مُرْسَلُ

بأَنْ تَجْعَلى بَيْنى وبَيْنَك مَوْعِدًا ... وأَنْ تَأْمُرِينى بالذى فيه أَفْعَلُ

وآخِرُ عَهْدٍ منك يَوْمَ لَقِيتِنى ... بأَسْفَلِ وادِى الدَّوْمِ والثَّوْبُ يُغْسَلُ

فضربتْ بثينةُ جانبَ الخدْر وقالت : اخْسَأْ ! فقال لها أبوها : مَهْيَمْ يا بثينةُ[٢] ؟ قالت : كلبٌ يأْتينا إذَا نوَّم الناسُ من وراءِ هذه الرَّابية ، قال : فأتيتُ جميلاً فأخبرتُه أنَّها واعَدَتْه وراء الرابية إذَا نوَّم الناسُ !

262

٧٤٢ ● قال أبو محمد : هكذا حدَّثنا دِعْبِلُ بن علىّ الشاعر[٣] . وأمّا أبو عبد الله الزُّبَيْرىُّ فقال : التقَى جَميلٌ وكُثَيِّرٌ ، فشكا أحدُهما لصاحبه أنه مُحْصَرٌ لا يَقْدِرُ أن يزورَ ، فقال جميلٌ لكثيِّرٍ : أنا رسولُك إلى عَزَّةَ ، فأخْبِرنى بآخِرِ عهدٍ كان لكَ بها ؟ قال كُثيِّر : فإنَّ آخرَ عهدى أنى مررتُ بها وبجواريها يغسلْنَ ثياباً بأسفلِ وادى الدَّوْم ، فأْتهم فانْشُدْهم ثلاثَ ذَوْدٍ سُودٍ ثم انظُرْ ما يقالُ لك ! فأتاهم جميلٌ فجعل يَنْشُدُهم الذَّوْدَ ، فقالت له جاريتُها : لقد رأيتُ ثلاثاً سُودًا مَرَرْنَ بالقاعِ خَلْفَنا ، ثم عهدى بهنَّ وإحداهنَّ تَحْتَكُّ بالطَّلْحَة ومضَى سائرُهُنَّ ، فانصرفَ جميلٌ حتَّى أتَى كُثيِّرًا فأخبره ، فلمّا كان فى بعض الليل أتَيَا الطلحةَ وأتته عَزَّةُ وصاحبةٌ

---

(١) ستأتى الأبيات برواية أخرى ٢٦٣ ل .

(٢) مهيم : كلمة يمنية يستفهم بها ، معناها : ما أمرك وما شأنك ونحو ذلك .

(٣) ستأتى ترجمة دعبل ٥٣٩ – ٥٤١ ل .

لها معها ، فتحادثا طويلاً . وجعل كُثَيِّر يَرَى عَزَّة تنظر نحو جميلٍ ، وكان جَميلٌ جَميلاً ، وكان كُثيِّرٌ دميماً ، فغضب كُثيِّرٌ وغار ، فقال لجميل : انطلقْ بنا قبل أن نُصْبِحَ ، فانطلَقَا ، وقال :

رَأَيْتُ ٱبْنَةَ الضَّمْرِىِّ عَزَّةَ أَصْبَحَتْ ... كَمُحْتَطِبٍ ما يَلْقَ باللَّيلِ يَحْطِب
وكانَتْ تُمَنِّينَا وتَزْعُمُ أَنَّها ... كبَيْضِ الأَنُوقِ فى الصَّفَا المُتَنَصِّبِ[1]

ثم قال كُثيِّرٌ لجميل : متى عهدُك ببُثَيْنَةَ ؟ قال فى أوّل الصَّيف وقعة سحابةٍ بأسفلِ وادى الدَّوْم ، فخرجتْ ومعها جاريةٌ لها تغسلُ ثوباً ، فلمّا رأتنى أنكرتْنى ، فضربتْ بيدها إلى ثوبٍ فى الماءِ فالْتَحَفَتْ به ، وعَرَفَتْنى الجاريةُ ، فعادتْ فطرحتْه فى الماءِ ، وتحادَثْنا حتّى غابتِ الشمسُ ، فسأَلْتُها الموعدَ فقالت : أهلُها سائرون ، ولم أَلْقَها بعدُ ، ولم أَجِدْ أحَدًا آمَنُه أُرسلُه إليها ، فقال كُثيِّر : هل لك أن آتىَ الحىَّ فأُقَرِّعَ ببيتٍ من شعرٍ أو تَخْلُوَ فأُكلِّمَهَا ؟ قال : نعم ، فخرج كُثيِّر حتى أناخَ بهم ، فقالوا : يا كثيِّر حدِّثْنا كيف قلتَ لزوجِ عزَّةَ حين أمرها أن تَسُبَّكَ ؟ قال كُثيِّر : خرجَا يرميان الجِمَارَ ، فوجَدَانى قد أَعْصَبَ النَّاسُ بِى[2] ، فطالعنى زوجُها ، فسَمعنى أُنشد :

263

خَلِيلَىَّ هذا رَبْعُ عَزَّةَ فَٱعْقِلَا ... قَلُوصَيْكُمَا ثُمَّ ٱبْكِيَا حَيْثُ حَلَّتِ[3]

فغَار ، فقال لعزَّةَ : لَتَغْضِبنَّه أو لأُطَلِّقَنَّكِ ، فقالت : المُنْشِدُ يَعَضّ بكذا وكذا من أُمِّه ، مُكْرَهَةً ، فقلتُ :

---

(١) الأنوق ، بفتح الهمزة وضم النون : الرخم ، وفى المثل «أعز من بيض الأنوق» لأنها تحرزه فلا يكاد يظفر به ، لأن أوكارها فى رؤوس الجبال والأماكن الصعبة البعيدة . الصفا : العريض من الحجارة الأملس ، جمع صفاة .

(٢) أعصب الناس بى : يريد أنهم اجتمعوا حوله ، ولكن الفعل الرباعى من هذا لم يذكر فى المعاجم ، والذى فيها «عصب الناس به» من بابى «سمع» و «ضرب» .

(٣) ستأتى القصيدة ٣٢٧ ل

هَنيئاً مَرِيئاً غَيْرَ داءٍ مُخَامِرٍ لِعَزَّةَ من أَعْرَاضِنَا ما ٱسْتَحَلَّتِ[١]

فقالت بثينةُ : أحسنتَ والله يا كُثيِّر ، قال كُثيِّر : وأبياتٌ قلتُها لعَزَّةَ [٢] :

أَرْسَلَتْنِي يا عَزَّ نَحْوَكِ صاحِبِي على طُولِ نَـأْيٍ من حَبِيبٍ ومُرْسَلِ
بـأَنْ تَضْرِبِي بَيْنِي وبَيْنَكِ مَوْعِدًا وأَنْ تُخْبِرِينِي ما الَّذِى فيه أَفْعَلُ
بِـآيَةِ ما جِئْنَاكِ يَوْماً عَشِيَّةً بـأَسْفَلِ وادى الدَّوْمِ والثَّوْبُ يُغْسَلُ

فقالت بُثَيْنة : يا جاريةُ ابْغِينَا من الدَّوْمَات حَجْرَةَ البطحاءِ[٣] حَطَباً لنذبح لكُثيِّر عَرِيضاً من البَهْمِ[٤] ونَشْوِيَه له ! قال كُثيِّر : أَنَا أَعْجَلُ من ذلك ، فراحَ إلى جميلٍ فأخبره أنَّ الموعدَ الدَّوماتُ .

٧٤٣ ● قال أبو محمَّد : أَرِقَ عبدُ الملك بن مروانَ ذاتَ ليلةٍ ، فقال : اطلبوا لى رجلاً يُحدِّثنى ، فخرجوا إلى المسجد ، فوجدوا رجلاً ، فأدخلوه ، فقال له عبدُ الملك : من أنت ؟ قال : أنا فلانٌ وكنتُ من أصدَق الناسِ لجميلٍ ، قال : فحدِّثنى عنه ، قال : خرجتُ معه مرَّةً حتى انتهينا إلى خباءٍ لآل بُثينة ، وسَمعَتْ به ، فأقبلتْ فى نسوةٍ معها ، وأقبل جميلٌ نحوَها ، فقعدن وقَعد ، فتحادثوا ساعةً ، ثم أخلَوْهما ، فلم يَزَالا يتشكَّيَانِ حتّى غَشيَنَا الصُّبْحُ ، فودَّع كلٌّ واحدٍ منهما صاحبَه ، ثم وضَع جميلٌ رجله فى الغَرْز ، فمالتْ إليه بثينةُ فقالت : يا جميلُ اذْنُ منى ، فمال إليها برأسه

264

(١) داء مخامر : مخالط جوفه .

(٢) مضت الأبيات برواية أخرى ٤٠٢ .

(٣) حجرة البطحاء : ناحيتها .

(٤) البهم ، بفتح الباء وسكون الهاء : الصغار من أولاد الضأن والمعز وغيرها ، واحدتها « بهمة » . والعريض منه : ما فوق العظيم ودون الجذع .

وعنقه ، فسارَّتْه بشيءٍ فخرَّ مغشيًّا عليه ، ثم مضتْ ، فأتيتُه فلم أزَلْ عند رأسه حتّى طلعت الشمسُ عليه ، فقام ينفضُ رأسه وهو يقول :

فما مُكْفَهِرٌّ في رحًى مُرْجَحِنَّةٍ ولا ما أَسَرَّتْ في معادنِها النَّحْلُ[1]

بأحْلَى منَ القَوْلِ الذي قُلْت بَعْدَما تَمَكَّنَ في حَيْزُومِ ناقَتِيَ الرَّحْلُ[2]

فقال له عبدُ الملك : ويحكَ ! فهل تدري ما سارَّتْه به ؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين .

٧٤٤ ● وذكر ابنُ عَيَّاشٍ[3] قال : خرجتُ من تَيْماءَ فرأيتُ عجوزًا على أتان ، فقلتُ : ممَّن أنت ؟ قالت : من عُذْرَة ، قلتُ : هل تَرْوِينَ عن بُثَيْنَةَ وجَميلٍ شيئاً ؟ قالت : نعم والله ، إنَّا لَعَلَى ماءٍ من الجِنَاب[4] ، وقد اتَّقَينا الطريقَ واعتَزلنا ، مخافةَ جيوشٍ تجيءُ من الشأم إلى الحجاز ، وقد خرج رجالُنا في سَفَر ، وخلَّفوا عندنا غلماناً أحداثاً ، وقد انحدر الغلمانُ عشيَّةً إلى صِرْمٍ لهم قريبٍ منَّا ، ينظرون إليهم ويتحدَّثون عند جوارٍ منهم ، فبقيتُ أنا وبُثَينةُ نَسْتَرِمُّ غَزْلاً لَنَا[5] ، إذ انحدَر علينا منحدرٌ من هَضْبَةٍ حذاءَنا ، فسلَّم ونحن مستوحشون ، فرددتُ السلامَ ، ونظرتُ فإذا أنا برجلٍ واقفٍ شَبَّهتُه بجميل ، فدَنَا فأثْبَتُّه ، فقلتُ : أجميلٌ ؟

265

---

(١) مرجحنة : ثقيلة .

(٢) الحيزوم وسط الصدر وما يضم عليه الحزام .

(٣) هذه القصة رواها صاحب الأغاني ٧ : ١٠٣ – ١٠٤ بإسناده ، نسبها إلى « أيوب ابن عباية » فما أدري أهو ابن عياش نفسه ، أم أخطأ بعض الرواة هنا أو هناك ؟ !

(٤) الجناب ، بكسر الجيم : موضع من ديار بني فزارة بين المدينة وفيد .

(٥) نسترم : تريد نرم ، أي نصلح ، استعملت فعل الطلب في أصل معنى الفعل ، يقال رم الشيء ؛ أصلحه ، واسترم : طلب الإصلاح ، وهو فعل لازم استعمل هنا متعدياً . وهذا الاستعمال لم يذكر في المعاجم .

قال : إى والله ، فقلتُ : والله لقد عرَّضْتَنا ونفسَك شَرا ! فما جاء بك؟ قال : هذه الغُولُ التى وراءك ! وأشار إلى بُثينةَ ، وإذا هو لا يتماسكُ ، فقمتُ إلى قَعْبٍ فيه أقطٌ مطحونٌ وتمرٌ[١] ، وإلى عُكَّةٍ فيها شئٌ من سَمْنٍ[٢] ، فعصرتُه على الأَقِطِ وأدنيتُه منه ، فقلتُ : أَصبْ من هذا ، ففَعَلَ ، وقمتُ إلى سقاءِ لبَنٍ ، فصببتُ له فى قَدَحٍ وشَنَنْتُ عليه ماءً باردًا ، وناولتُه فشربَ فتراجَع ، فقلتُ : لقد جُهِدتَ فما أَمْرُك ؟ قال : أردتُ مصرَ فجئتُ أُودِّعُكم وأُسلِّم عليكم ، وأنا والله فى هذه الهَضْبة التى تَرَيْنَ منذُ ثلاث ، أَنتظرُ أن أَجِدَ فُرجةً حتَّى رأيتُ مُنْحَدَرَ فتيانكم العشيَّةَ ، فجئتُ لأُحْدِثَ بكم عهدًا ، فحدَّثَنا ساعةً ثم ودَّعَنا وانطلَق ، فلم نَلْبَثْ إلَّا يَسيرًا حتَّى أتانَا نَعيُّه من مصر ، قال ابنُ عَيّاشٍ : فظننتُ قولَه :

266 فمَنْ كان فى حُبِّى بُثَيْنَةَ يَمْتَرِى   فبَرْقاءُ ذى ضَالٍ علىَّ شَهيدُ[٣]

أنَّه أراد هذه الهَضْبَةَ التى أقامَ فيها أيّاماً ما أَكل وما شَرِبَ .

٧٤٥ ● وقال سَهْلُ بن سعد السّاعدىُّ أو ابنُه عبّاسٌ[٤] : لقينى رجلٌ من أصحابى ، فقال : هل لك فى جميل فإنَّه ثقيلٌ ؟ فدخلنا عليه وهو يَكيدُ بنفسه[٥] ، وما يُخَيَّل لى أنَّ الموتَ يَكْرُثُه[٦] ، فقال : ما تقول فى رجل لم

---

(١) الأقط ، بفتح الهمزة وكسر القاف ، وبسكون القاف مع فتح الهمزة أو كسرها أو ضمها : شئ يتخذ من اللبن المخيض يطبخ ثم يترك حتى يمصل .

(٢) العكة ، بضم العين : قربة صغيرة يوضع فيها السمن أو العسل .

(٣) البيت فى البلدان ٢ : ١٣٠ وسيأتى مع أبيات ٢٦٧ – ٢٦٨ ل .

(٤) سهل بن سعد الساعدى : صحابى مشهور ، مات سنة ٩١ أو بعدها عن نحو ١٠٠ سنة . وابنه عباس تابعى أدرك زمن عثمان ، ومات نحو سنة ١٢٠ زمن الوليد بن يزيد بن عبد الملك .

(٥) يكيد بنفسه : يجود بها فى حال النزع والموت .

(٦) يكرثه : بضم الراء وكسرها : يشتد عليه ويبلغ منه المشقة ، ثلاثى ، ويأتى رباعياً أيضاً .

يَزْنِ قطُّ ، ولم يشربْ خمرًا قطُّ ، ولم يَقتلْ نفساً حراماً قطُّ ، يَشهدُ أن لا إله إلا الله؟ فقلت : أَظنُّه والله قد نَجَا ، فمَنْ هذا الرجل ؟ قال : أَنَا ، قلتُ : والله ما سَلِمْتَ وأَنت منذ عشرون سنة[1] تَنْسُبُ ببثينة ! قال : إنى لَفِى آخرِ يومٍ من أَيّام الدنيا ، وأَوّل يومٍ من أَيّام الآخرة ، فلا نالتْنى شفاعةُ محمد صلى الله عليه وسلم إنْ كنتُ وضعتُ يَدِى عليها لرِيبةٍ قطُّ ، قال : فأَقمنا حتّى ماتَ .

٧٤٦ ● وذاكرتُ بهذا بعضَ مشايخِنا ، فقال لى : كيف يكون هذا ؟ أليس هو القائلَ[2] :

فدَنَوْتُ مُخْتَفِياً أُضِرُّ بَبَيْتِها ... حتّى وَلَجْتُ على خَفِىِّ المَوْلَجِ[3]

قالَتْ : وعَيْشِ أَخِى ونَقْمَةِ والدى ... لَأُنَبِّهَنَّ الحَىَّ إنْ لم تَخْرُجِ[4]

فخَرَجْتُ خيفَةَ أَهْلِها فتَبَسَّمَتْ ... فَعَلِمْتُ أَنَّ يَمينَها لم تَلْجَجِ

فَلَثِمْتُ فاها آخذًا بقُـــرُونها ... فعْلَ النَّزِيف بِبَرْدِ ماءِ الحَشْرَجِ[5]

---

(١) ه « منذ عشرين سنة » . ويجوز فى « منذ » أن يليها الاسم مرفوعاً ، فتكون مبتدأ وما بعدها خبراً . انظر اللسان والمغنى وغيرهما .

(٢) الأبيات فى ابن خلكان ١ : ١٤٥ وفيه بيتان زائدان .

(٣) أضر ببيتها : أدنو منه ، يقال « أضر به » أى دنا منه دنواً شديداً ولم يخالطه . وفى ابن خلكان « ألم ببيتها » من الإلمام .

(٤) ابن خلكان « ونعمة والدى » .

(٥) لثمت : بكسر الثاء وبفتحها ، هو من بابى « تعب » و « ضرب » والمفهوم من اللسان أن الكسر أكثر ، وفى المصباح والمعيار أن الكسر لغة . وفى اللسان عن ابن كيسان : « سمعت المبرد ينشد قول جميل : فلثمت . . . بالفتح » وفى المصباح عن ابن كيسان أيضاً : « سمعت المبرد ينشده بفتح الثاء وكسرها » . النزيف : الذى عطش حتى يبست عروقه وجف لسانه ، أو هو المحموم . الحشرج : كوز صغير لطيف . والبيت فى اللسان ١٦ : ٦ وقال : « ويروى البيت لعمر بن أبى ربيعة » وعجزه فيه ١١ : ٢٤٠ غير منسوب . وهو والبيتان قبله فيه أيضاً منسوبة لعمر بن أبى ربيعة ، ثم نقل قول ابن برى : « البيت لجميل بن معمر ، وليس لعمر بن أبى ربيعة » . والأبيات الأربعة فى قصيدة لعمر بديوانه ٢٢٨ — ٢٢٩ برقم ٣٥٤ .

267

٧٤٧ ● وقال جميلٌ حين حَضَرَتْه الوفاةُ :

بَكَرَ النَّعِيُّ وما كَنَى بِجَميل وثَوَى بمِصْرَ ثَوَاءَ غيرِ قُفُولِ[١]

ولَقَدْ أَجُرُّ البُرْدَ في وادى القُرَى نَشْوانَ بَيْنَ مَزَارِعٍ ونَخِيلِ

قُومِى بُثَيْنَةُ وانْدُبِى بَعَوِيل وابْكِى خَلِيلَكِ دُونَ كُلِّ خَلِيلِ

٧٤٨ ● وقالتْ بثينةُ ، ولا يُحفظ لها (شعرٌ) غيرُه :

وإنَّ سُلُوِّى عن جَميلٍ لَساعةٌ منَ الدَّهْرِ ما جاءتْ ولا حانَ حينُها

سَوَاءٌ علينا يا جَميلَ بنَ مَعْمَرٍ إذَا مُتَّ بَأْسَاءُ الحَيَاةِ ولِينُها

٧٤٩ ● وجميلٌ ممّن رَضِى بالقليل ، قال :

أُقَلِّبُ طَرفِى فى السَّماءِ لَعَلَّهُ يُوافِقُ طَرفِى طَرْفَها حينَ تَنْظُرُ[٢]

ومثلُه قولُ المَغْلُوطِ فى الرِّضَى بالقليل[٣] :

أَلَيْس اللَّيْلُ يُلْبِسُ أُمَّ عَمْرٍو وإيَّانا ، فذاكَ بنـــا تَدَانِى

بَلَى ، وتَرَى السَّماءَ كما أَراها ويَعْلُوها النَّهارُ كما عَلانِى[٤]

ونحوُه قولُ بعض الأعراب فى الرِّضَى بالقليل :

وما نِلْتُ منها مَحْرَماً غيرَ أَنَّنى إذا هِىَ بالَتْ بُلْتُ حَيْثُ تَبُولُ

---

(١) النعى ، ههنا : الناعى الذى يأتى بخبر الموت .

(٢) البيت فى الخزانة ٤ : ٤٨٣ .

(٣) البيتان مشروحان فى الخزانة ٤ : ٤٨٠ — ٤٨٤ وذكر أنهما من قصيدة لجحدر بن مالك الحنفى ، قالها وهو فى سجن الحجاج وأرسلها إلى اليمامة . ونقلها صاحب الخزانة من رواية « السكرى فى كتاب اللصوص » . وقال فى شأنهما : « والبيتان أبرد ما قيل فى باب القناعة من لقاء الأحباب » !

(٤) صدره فى الخزانة * نعم ، وترى الهلال كما أراه * ثم قال : « ورأيت فى ترجمة جميل بن معمر العذرى من كتاب الشعراء لابن قتيبة رواية البيت الثانى كذا * أرى وضح الهلال كما تراه * وقد رواه السكرى فى كتاب اللصوص فى نسخة قديمة صحيحة * بلى ، وترى الهلال كما أراه * » . والرواية التى نسبها صاحب الخزانة لهذا الكتاب « الشعراء » توافق نسختى س ب .

٧٥٠● قالوا : وأفرط فى قوله :

وَلَوْ أَنَّ جِلْدًا غَيْرَ جِلْدِكِ مَسَّنى لَدَى مَضْجَعِى حقًّا إِذًا لَشَرِيتُ[١]

وَلَو أَنَّ راقِى المَوْتِ يَرْقِى جنَازَتى بريقِكِ يَوْماً ، يا بُثَيْنَ ، حَيِيتُ

٧٥١●وممّا يستجادُ له قولُه :

عَلِقْتُ الهَوَى منها وَليدًا فلم يَزَلْ إلى اليومِ يَنْمِى حُبُّهـا ويَزِيدُ

وأَفْنَيْتُ عُمْرِى بانْتِظارِى نَوَالَها فبَلَّتْ بذاكَ الدَّهْرَ وهْوَ جَدِيدُ[٢]

فلا أَنَا مَرْدُودٌ بِما جِئْتُ طالباً ولا حُبُّها ، فيما يَبِيدُ ، يَبِيدُ

فمَنْ كان فى حبِّى بُثَيْنَةَ يَمْتَرى فبَرقاءُ ذى ضَالٍ علَىَّ شَهِيدُ[٣]

٧٥٢●وممّا سَبق إليه فأُخذ منه قولُه :

تَرَى النَاسَ ما سِرْنا يَسيرُونَ خَلْفَنا وإنْ نَحْنُ أَوْمَأْنا إلى الناسِ وَقَّفُوا

أخذه الفَرَزْدَقُ وأَدخله الرُّواة فى شعره[٤] .

٧٥٣● وممّا يُسْتَغَثُّ من شعره قولُه :

فَلَوْ تَرَكَتْ عَقْلِى مَعِى ما طَلَبْتُها ولكنْ طلاَبِيها لِمَا فاتَ منْ عَقْلِى

فإنْ وُجِدَتْ نَعْلٌ بأَرْضٍ مَضِلَّةٍ ، منَ الدَّهْرِ يَوْماً ، فاَعْلَمِى أَنَّها نَعْلِى[٥]

٧٥٤●ويُستجاد له قولُه فى هذا الشعرِ :

---

(١) شريت : اضطربت ، أو غضبت .

(٢) بلت : من البلى ، يقال بلى الثوب ، وأبلاه صاحبه ، وبلاه أيضاً ، معدى بالهمزة وبالتضعيف ، أى أصاره بالياً .

(٣) مضى البيت ٤٣٨ .

(٤) فى قصيدة طويلة فى ديوانه ٥٥١ — ٥٦٩ وجمهرة أشعار العرب ١٦٣ — ١٦٨ . والنقائض ٥٤٨ — ٥٧٦ ومنتهى الطلب ٢ : ١١٨ — ١٢٣ .

(٥) أرض مضلة ، بكسر الضاد وفتحها : يضل فيها ولا يهتدى فيها للطريق .

268

خَلِيلَىَّ فيما عشتُما هَلْ رَأَيْتُما ... قَتِيلاً بَكَى من حُبِّ قاتله قَبْلِى

٧٥٥ ● وقال صالح بنُ حَسَّانَ[١] لجُلَسائه : أَيُّكم يُنْشد بيتاً نصفُه مُخَنَّثٌ يتفكَّكُ بالعَقِيق ، ونصفه أعرابىٌّ فى شَمْلَةٍ بالبادية ؟ قالوا : ما نعرفه ، قال هو قولُ جميلٍ :

أَلاَ أَيُّها الرَّكْبُ النِّيامُ أَلاَ هُبُّوا ... أُسائِلُكُمْ : هَلْ يَقْتُلُ الرَّجُلَ الحُبُّ؟

فقالوا : نعَمْ حتَّى يَرُضَّ عظامَهُ ... ويَتْرُكَهُ حَيْرَانَ ليس له لُبُّ !

---

(١) القصة فى الأغانى ٣ : ١٧٦ باختلاف قليل .

٧٨ – توبة بن الحمير[١]

٧٥٦● هو من بنى عُقَيْل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعَة ، خَفَاجِىٌّ . وكان شاعرًا لصًّا ، وأحَدَ عُشَّاقِ العرب المشهورين بذلك . وصاحبتُه لَيْلَى الأَخْيَلِيَّةُ ، وهى ليلى بنت عبد الله بن الرَّحَّالَة بن كعب ابن معاويةَ ، ومعاويةُ هو الأَخْيَل بن عُبَادَةَ[٢] ، من بنى عُقَيْل بن كعب . وكان يقول الأَشعارَ فيها ، وكان لا يراها إلاَّ مُتَبَرْقِعَةً ، فأتاها يوماً ، وقد سَفَرَتْ ، فأنكر ذلك ، وعلم أَنَّها لم تَسْفِرْ إلاَّ لأَمرٍ حَدَثَ ، وكان إخوتُها أَمَرُوها أَن تُعْلِمَهُمْ بمجيئه ليقتلوه ، فسَفَرَتْ لتُنْذِرَهُ ، ويقال : بل زوَّجُوها ، فألقت البرقعَ ، ليعلمَ أَنها قد بَرَزَتْ . فى ذلك يقول : 269

وكُنْتُ إذَا ما جِئْتُ لَيْلَى تَبَرْقَعَتْ ... فقَدْ رَابنِى منها الغَدَاةَ سُفُورُهَا

وأَوَّلُ الشعر :

نَأَتْكَ بلَيْلَى دارُها لا تَزُورُهَا ... وشَطَّتْ نَوَاهَا واسْتَمَرَّ مَرِيرُهَا[٣]

يقولُ رِجَالٌ : لا يَضِيرُكَ نَأْيُهَا ... بَلَى ، كُلُّ ما شَفَّ النُّفُوسَ يَضِيرُهَا

أَظُنُّ بهــا خَيْرًا وأَعْلَمُ أَنَّها ... سَتُنْعِمُ يوماً أَو يُفَكُّ أَسيرُهَا

أَرَى اليومَ يأْتِى دُونَ لَيْلَى كأَنَّمَا ... أَتَتْ حِجَجٌ من دُونِها وشُهُورُهَا 270

---

(١) الحمير : بضم الحاء وفتح الميم وتشديد الياء المكسورة ، تصغير حمار . وترجمة توبة وليلى وأخبارهما فى الاشتقاق ١٨٢ والمؤتلف ٦٨ ، ٩٣ والأغانى ١٠ : ٦٣ – ٧٩ و ١٤ ، ١٣١ – ١٣٣ واللآلى ١١٩ – ١٢٠ ، ٢٨١ – ٢٨٣ والخزانة ٣ : ٣١ – ٣٤ والأمالى ١ : ٨٦ – ٨٩ والعينى ١ : ٥٦٩ – ٥٧١ و ٢ : ٤٧ – ٥٠ و ٤ : ٤٥٣ – ٤٥٤ وذوات الوفيات ٢ : ١٧٥ – ١٧٧ .

(٢) فى اللآلى أن « الأخيل » لقب أبيه « عبادة بن عقيل بن كعب » .

(٣) نأتك : نأت عنك ، وهو الراجح فى ذلك . انظر اللسان ٢٠ : ١٧١ والكامل ٣٢٧ – ٣٢٨ .

حَمَامَةَ بَطْنِ الواديَيْنِ تَرَنَّمِى سَقَاكِ مِنَ الغُرِّ الغَوَادِى مطِيرُهَا
أبِينِى لنا ، لا زالَ رِيشُكِ ناعماً ولا زِلْتِ فى خَضْرَاءَ عالٍ بَرِيرُهَا
فإنْ سَجَعَتْ هاجَتْ لعَيْنِكَ عَبْرَةً وإنْ زَفَرَتْ هاجَ الهَوَى قَرْقَرِيرُهَا[1]

٧٥٧ ● وهو القائل [2] :

ولو أنَّ لَيْلَى الأَخْيَلِيَّةَ سَلَّمَتْ علىَّ ودُونِى تُرْبَةٌ وصَفائحُ
لَسَلَّمْتُ تَسْليمَ البَشَاشَةِ أو زَقَا إليْها صَدًى من جانبِ القَبْرِ صائحُ[3]
ولو أنَّ لَيْلَى فى السَّماءِ لأَصْعَدَتْ بطَرْفِى إلى لَيْلَى العُيُونُ اللَّوَامِحُ

٧٥٨ ● وكان تَوْبَةُ رحَل إلى الشأم ، فمرَّ ببنى عُذْرة ، فرأته بُثَينةُ ، فجعلتْ تَنظر إليه ، فشقَّ ذلك على جَميلٍ ، وذلك قبل أن يُظْهَرَ على حُبِّه لها ، فقال له جميلٌ : مَن أنت ؟ قال : أنا تَوْبَةُ بنُ الحُمَيِّرِ ، قال : فهل لك فى الصِّراع ؟ قال: ذلك إليك ، فنبذتْ إليه بُثينةُ مِلْحَفةً مُوَرَّسَةً ، فاتَّزَر بها ، ثم صارعه فصَرعه جميل ، ثم قال له : هل لك فى النِّضَال ؟ قال : نعم ، فناضله ، فنَضَلَه جميلٌ ، ثم قال له : هل لك فى السِّبَاق ؟ قال : نعم ، فسابقه ، فسَبَقَه جميلٌ ، فقال له : توبةُ : يا هذا ، إنَّك إنَّما تفعلُ هذا بريحِ هذه الجالسة ، ولكن اهْبِطْ بنا إلى الوادى ، فهَبَطَا إلى الوادى ، فصَرعه توبةُ وسَبقه ونَضَلَه .

٧٥٩ ● وكان توبةُ كَثير الغارة على بنى الحرث بن كعب وهمْدانَ ،

(١) القرقرير : صوت الحمام ، وهو نادر ، والأكثر « القرقرة » .
(٢) البيتان الأولان فى اللآلى ١٢٠ وهما مع ثالث غير الذى هنا فى الحماسة ٣ : ٢٦٧ والأغانى ١٠ : ٧٧ وشواهد العينى ٤ : ٤٥٣ — ٤٥٤ .
(٣) زقا : صاح .

وكانت بين أرض بنى عُقَيْلٍ وأرض مَهْرَةَ مَفَازةٌ قَذَفٌ[١] فكان إذا أراد الغارةَ عليهم حَمَل المزادَ ، وكان من أهدى الناسِ بالطريق ، فخرج ذاتَ يومٍ ومعه أخوه عُبيد الله وابنُ عمٍّ له ، فَنَذِرُوا به[٢] ، فانصرف مُخْفِقاً ، فمرٌّ بجيرانٍ لبنى عوف بن عامر ، فأغار عليهم فاطَّرَدَ إبلَهم وقتَل رجلاً من بنى عوف ، وبَلَغ الخبرُ بنى عوف ، فطلبوهُ فقَتلوه ، وضَربوا رِجْلَ أخيه فأعرجوه ، واستنقذُوا إبلَ صاحبِهم وانصرفوا ، وتركوا عند عُبيد الله سِقَاءً من ماءٍ ، كيلاَ يقتلَه العطشُ ، فتحامل حتّى أتى بنى خَفَاجَة ، فلاَمُوه وقالوا : فَرَرْتَ عن أخيك ؟ ! فقال يعتذرُ :

يَلُومُ على القِتَالِ بنو عُقَيْلٍ وكَيْفَ قتَالُ أعْرَجَ لا يَقُومُ

(١) مفازة قذف ، بفتحتين وبضمتين : بعيدة .

(٢) نذروا به : علموه فحذروه .

٧٩ – ليلى الأخيلية[١]

٧٦٠ ● هى لَيْلَى بنتُ الأَخْيَلِ[١]، من عُقَيل بن كعب . وهى أشعرُ النساء ، لا يُقَدم عليها غيرُ خَنْسَاء ، وكانت هاجَتِ النابغَةَ الجَعْدىَّ ، وكان ممّا هَجاها به (قولُه)[٢] :

272 ألاَ حَيِّيَا لَيْلَى وقُولاَ لها :هَلاَ ... فقَدْ رَكِبَتْ أَمْرًا أغَرَّ مُحَجَّلاَ[٣]

بُرَيْذِينَةٌ بَلَّ البَرَاذِينَ ثَفْرَها ... وقَدْ شَرِبَتْ فى أَوَّلِ الصَّيْفِ أُيَّلاَ[٤]

وقَدْ أَكَلَتْ بَقْلاً وَخِيماً نَبَاتُه ... وقد نَكَحَتْ شَرَّ الأَخَايِلِ أَخْيَلاَ[٥]

(وكَيْفَ أُهاجِى شاعرًا رُمْحُهُ اسْتُهُ ... خَضِيبَ البَنَانِ لا يَزالُ مُكَحَّلاَ)

فأجابتْه وفاقَتْه[٦] :

(أَنَابِغَ لم تَنْبُغْ ولم تَكُ أَوَّلاَ ... وكُنْتَ وُشَيْلاً بَيْنَ لِصْبَيْنِ مَجْهَلاَ)[٧]

---

(١) نسبها هنا إلى جدها الأعلى .

(٢) الأبيات فى الخزانة ٣ : ٣١ وفيها بيت آخر . والبيتان الأولان فى اللآلى ٢٨٢ واللسان ١٣ : ٣٦ .

(٣) هلا : زجر للخيل ، وإنما أراد به النابغة زجر المهرة إذا لم تقر للفحل . ب ه س « أيراً » بدل « أمراً » وهو يوافق رواية اللآلى .

(٤) وقد شربت : يعنى البراذين . الأيل ، بضم الهمزة : جمع آيل ، وهو اللبن الخاثر ، وهو يسمن ويغلم ، أو بكسر الهمزة : وهو الوعل ذو القرن الأشعث الضخم مثل الثور الأهلى ، ويقال إن من شرب لبنها اغتلم .

(٥) الأخايل : قومها بنو الأخيل .

(٦) الأبيات فى الخزانة ٣ : ٣٣ – ٣٤ ومعها رابع مشروحة ، والبيتان الأولان فى اللآلى ٢٨٢ .

(٧) الوشيل : تصغير « الوشل » بفتحتين ، وهو الماء القليل يتحلب من جبل أو صخرة يقطر منه قليلا قليلا لا يتصل قطره . اللصب ، بكسر اللام وسكون الصاد : مضيق الوادى .

أَعَيَّرْتَنِى داءً بِأُمِّكَ مِثْلُهُ ... وأىُّ جَوَادٍ لا يُقَالُ لَهُ هَلَا[١]

تُساوِرُ سُوَّارًا إلى المَجْدِ والعُلَى ... وفى ذِمَّتِى لَئِنْ فَعَلْتَ لَيَفْعَلَا[٢]

(أى ليفعلنْ[٣]. وسَوَّارٌ ابنُ أَوْفَى القُشَيْرِىُّ ، وكان زَوْجَها) .

٧٦١ ● ورَثَتْ عثمانَ بنَ عفّانَ رضى الله عنه فقالت :

أَبَعْدَ عُثْمانَ تَرْجُو الخَيْرَ أُمَّتُهُ ... وكان آمَنَ مَنْ يَمْشِى على ساقِ

خَلِيفَةَ اللهِ أَعْطَاهُمْ وخَوَّلَهُمْ ... ما كان من ذَهَبٍ جُومٍ وأَوْرَاقِ[٤]

فلا تُكَذِّبْ بوَعْدِ اللهِ واتَّقِهِ ... ولا تَوَكَّلْ على شىءٍ بإشْفَاقِ

ولا تَقُولَنْ لشَىءٍ : سَوْفَ أَفْعَلُهُ ... قد كَتَبَ اللهُ ما كُلُّ امْرِئٍ لاقِ

٧٦٢ ● ودخلتْ على عبد الملك بن مروانَ وقد أسنَّتْ ، فقال لها : ما رأى فيك تَوْبَةُ حينَ هَوِيَك ؟ قالت ؛ ما رآه الناسُ فيكَ حينَ وَلَّوْكَ[٥] ! فضحك عبدُ الملك حتّى بَدَتْ له سنٌّ سوداءُ كان يُخفيها .

٧٦٣ ● وسألتِ الحجّاجَ أن يحمِلَهَا إلى قُتَيْبَةَ بن مُسْلِمٍ (بخراسانَ) ، فحملها على البَرِيد ، فلمّا انصرفتْ ماتت بِسَاوَةَ ، فقُبِرَتْ بها[٦] .

---

(١) عجزه فى اللسان ١٤ : ٢٣٢ غير منسوب .

(٢) تساور : تواثب وتغالب .

(٣) ضبطت النون فى ل بالتشديد ، وهو خطأ ، فى الخزانة : « وهذا البيت أورده سيبويه فى كتابه على أن الألف فى ليفعلا أصلها نون التوكيد الخفيفة قلبت ألفاً » . وفيها أيضاً : « قال أبو على فى إيضاح الشعر : قوله وفى ذمتى قسم ، وجوابه ليفعلن »

(٤) الجوم ، بضم الجيم جمع جام ، وهو الطست أو الخوان أو الإناء ، الأوراق : جمع « ورق » بكسر الراء ، وهى الفضة .

(٥) س ب « حين جعلوك خليفة » .

(٦) حديثها مع الحجاج طويل ، مبسوط فى الأمالى ١ : ٨٦ — ٨٩ ، وفى آخره أنها ماتت بقومس ، ويقال بحلوان . ونقل صاحب اللآلى عن أبى عمرو بن العلاء كقول المؤلف أنها ماتت بساوة ، وأن صاحب الأغانى غلطه فى ذلك ، وانظر الأغانى ١٠ : ٧٧ .

٧٦٤ ● ومن جيِّد شعرها (قولُها) فى توبةَ[1] :

أَقْسَمْتُ أَرْثِى بَعْدَ تَوْبَةَ هَالِكاً ... وأَحْفِلُ مَنْ دارَتْ عليه الدَّوائرُ

لَعَمْرُكَ ما بالمَوْت عارٌ على الفَتَى ... إذَا لم تُصِبْهُ فى الحَيَاة المَعَايِرُ

(وما أَحَدٌ حَيًّا ، وإِنْ كان سالماً ... بأَخْلَدَ مِمَّنْ غَيَّبَتْهُ المَقَابِرُ

ومنْ كان ممَّا يُحْدِثُ الدَّهْرُ جازِعاً ... فلا بُدَّ يوماً أَنْ يُرَى وهْوَ صابِرُ

ولَيْسَ لذى عَيْشٍ من المَوْت مَذْهَبٌ ... وليس على الأَيَّامِ والدَّهْرِ غابِرُ[2]

ولا الحَىُّ مِمَّا يُحْدِثُ الدَّهْرُ مُعْتِبٌ ... ولا المَيْتُ إنْ لم يَصْبِرِ الحىُّ نَاشِرُ

وكلُّ شَبَابٍ أَوْ جَدِيد إلى بِلًى ... وكُلُّ امْرِئٍ يوماً إلى الله صَائرُ

وكلُّ قَرِينَىْ أُلْفَةٍ لتَفَرُّقٍ ... شَتَاتاً ، وإِنْ ضَنًّا وطالَ التَّعَاشُرُ

فلا يُبْعِدَنْكَ اللهُ ياتَوْبَ هالكاً ... أَخَا الحَرْبِ إنْ ضاقَتْ عليه المَصَادِرُ

فأَقْسَمْتُ لا أَنفَكُّ أَبْكِيكَ مادَعَتْ ... على فَنَنٍ وَرْقَاءُ أَوْ طَارَ طائرُ

قَتِيلَ بنى عَوْفٍ ، فيالَهْفَتا له ... فما كُنْتُ إيَّاهُمْ عليه أُحاذِرُ[3]

ولكنَّما أَخْشَى عليه قَبِيلَةً ... لها بدُرُوب الرُّومِ بادٍ وحاضِرُ)

٧٦٥ ● وقولُها[4] :

274 فإِنْ تَكُنِ القَتْلَى بَوَاءً فإِنَّكُمْ ... فَتًى ما قَتَلْتُمْ آلَ عَوْفِ بنِ عامرِ[5]

وإِلاَّ تَكُنْ فيكُمْ بَوَاءٌ فإِنَّكُمْ ... سَتَلْقَوْنَ يَوْماً وِرْدُهُ غَيْرُ صَادِرِ

فَتًى هو أَحْيَا منْ فَتَاةٍ حَيِيَّةٍ ... وأَشْجَعُ من لَيْثٍ بخَفَّانَ خادِرِ[6]

---

(١) انظر حماسة البحترى ٢٧٠ رقم ١٤٣٧ والأغانى ١٠ : ٧٣ ، وفوات الوفيات ٢ : ١٧٧ .

(٢) س ، ف «وليس لذى عيش على الدهر مذهب» الغابر ههنا : الباقى ، والغابر أيضاً : الماضى ، هو من الأضداد .

(٣) س ف « فيالهفة اه » .

(٤) من قصيدة طويلة فى حماسة البحترى ٢٦٩ رقم ١٤٣٥ والأغانى ١٠ : ٧١ – ٧٢ .

(٥) فى حاشية ب « البواء : الكفء » . والبيت فى اللسان ١ : ٢٩ .

(٦) خفان : موضع قرب الكوفة ، وهو مأسدة .

فَتًى لا تَخَطّاهُ الرِّفاقُ ولا يَرَى ... لقِدْرٍ عِيالاً دُونَ جارٍ مُجَاوِرِ
(فَتًى كان للمَوْلَى سَنَاءً ورِفْعَةً ... وللطارِقِ السارِى قِرًى غَيْرَ باسِرِ)[1]
فَتًى يُنْهِلُ الحاجات ثم يَعُلُّهَا ... فتُطْلِعُهَا عَنْهُ ثَنايَا المَصَادِرِ
ولا تَأْخُذُ الكُومُ الجِلادُ سِلاَحَها ... لتَوْبَةَ فى صِرِّ الشتاءِ الصَّنابِرِ[2]
فنِعْمَ الفَتَى إنْ كان تَوْبَةُ فاجِرًا ... وفَوْقَ الفَتَى إنْ كان لَيْسَ بفاجِرِ[3]

٨٦٦ ● وقولُها أيضاً[4] :

ومُخَرَّقٌ عَنْهُ القَمِيصُ تَخَالُهُ ... وَسْطَ البُيُوتِ مِنَ الحَيَاءِ سَقِيمَا
حتَّى إذَا رُفِعَ اللِّوَاءُ رَأَيْتَهُ ... تَحْتَ اللِّوَاءِ على الخَمِيسِ زَعِيمَا

---

(١) غير باسر : غير عابس ولا كالح الوجه .

(٢) الكوم : الإبل الضخام السنام ، سبقت ٢٧٦ . الجلاد : الغزيرات اللبن .

(٣) هذا البيت من أحسن المدح وأعلاه . وفى الأغانى ١٠ : ٧٧ أنها أنشدت أبياتاً من هذه القصيدة فى مجلس الحجاج : « فقال لها أسماء بن خارجة : أيتها المرأة ، إنك لتصفين هذا الرجل بشىء ما تعرفه العرب فيه ، فقالت : أيها الرجل ، هل رأيت توبة قط ؟ فقال : لا ، فقالت : أما والله لو رأيته لوددت أن كل عاتق فى بيتك حامل منه ! فكأنما فقئ فى وجه أسماء حب الرمان ، فقال له الحجاج : وما كان لك ولها ! » . ونحو هذا فى الأمالى ، ولكن ذكر فيه أن المعترض « محصن الفقعسى ، وكان من جلساء الحجاج » .

(٤) البيتان من أبيات فى الحماسة ٤ : ١٥٥ — ١٥٧ .

٨٠ – شبيل بن ورقاء[١]

٧٦٧ ● هو من زَيْد بن كُلَيْب بن يَرْبُوع . وكان شاعرًا مذكورًا جاهليًّا ، فأدرك الإسلامَ وأسلمَ إسلامَ سَوْءٍ ، وكان لا يصومُ شهرَ رمضان ، فقالت له بنتُه : ألاَ تصومُ ؟ فقال :

تَأْمُرُنِى بالصَّوْمِ لا دَرَّ دَرُّها ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ وفى القَبْرِ صَوْمٌ ، لا أباكِ ، طَوِيلُ[٢]

وكان له ابْنَان : خالدٌ وتَبَالَةُ[٣].

---

(١) « شبيل » بالتصغير . ولم أجد له ترجمة ولا ذكراً إلا فى هذا الموضع . وفى الاشتقاق ١٤٢ بنحو مما هنا ، ولكن سمى أباه « وفاء » . ولم يذكره مترجمو الصحابة ، ولم يذكره الحافظ فى المخضرمين فى الإصابة ، وهو على شرطه فى ذلك ، كما تدل عليه ترجمته ، فيستدرك عليه .

(٢) لا أباك : يريد « لا أبا لك » وهذه اللام هى المقحمة بين المضاف والمضاف إليه ، فيقال « لا أبا لك » و « لا أب لك » بإثباتها ، و « لا أباك » و « لا أبك » بحذفها . انظر الكامل للمبرد ٤٨٦ – ٤٨٧ ، ٩٥٢ – ٩٥٣ واللسان ١٨ : ١٢ – ١٣ والأمير على المغنى ١ : ٣١٢ – ٣١٣ وشرح المفصل لابن يعيش ٢ : ١٠٤ – ١٠٧ ، والخزانة ٢ : ١١٦ – ١١٩ . وفى س ف « يا أميم » وفى الاشتقاق « ياتبال » .

(٣) هكذا هنا ، فالظاهر أن « تبالة » ذكر . ولكن قال فى الاشتقاق بعد البيت : « أراد ياتبالة ، وهو اسمها » . فجزم بأنه اسم ابنته .

٨١ – طفيل بن كعب الغنوى[١]

٧٦٨ ● قال أَبو محمَّد : هو طُفَيْل بن كَعْبٍ الغَنَوِىُّ[٢] . وكان من أوصف الناس للخيل ، وكان يقال له فى الجاهليَّة المُحَبِّرُ ، لحُسْنِ شعره . وقال عبدُ الملك بن مروانَ : مَن أراد أن يتعلَّم ركوبَ الخيل فليَرْوِ شعرَ طُفَيْلٍ . وقال معاويةُ : دَعُوا لى طُفَيْلاً وسائرُ الشعراءِ لكم . وهو جاهلىٌّ[٣] .

٧٦٩ ● (وهو القائل :

إنى ، وإنْ قَلَّ مالى ، لا يُفَارِقُنِى ... مِثْلُ النَّعَامَةِ فى أَوْصَالِها طُولُ

أَو قارِحٌ فى الغُرَابِيَّاتِ ذُو نَسَبٍ ... وفى الجِرَاءِ مِسَحٌّ الشَّدِّ إجْفِيلُ[٤]

إنَّ النسَاءَ كأَشجارٍ نَبَتْنَ مَعاً ... منها المُرَارُ، وبَعْضُ النَّبْتِ مَأْكُولُ[٥]

إنَّ النسَاءَ متى يُنْهَيْنَ عن خُلُقٍ ... فإنَّهُ واجِبٌ لا بُدَّ مَفْعُولُ

لا يَنْصَرِفْنَ لرُشْدٍ إنْ دُعِينَ له ... وهُنَّ بَعْدُ مُلَائِمٌ مَخَاذِيلُ

---

(١) ترجمته فى الاشتقاق ١٦٥ والمؤتلف ١٤٧ ، ١٨٤ والاقتضاب ٣٢٧ والأغانى ١٤ : ٨٥ – ٨٧ واللآلى ٢١٠ – ٢١١ والخزانة ٣ : ٦٤٢ – ٦٤٣ وشواهد العينى ٣ : ٢٤ – ٣١ .

(٢) أكثر من ترجموا له ذكروا أنه « طفيل بن عوف » إلا الاشتقاق فإنه ذكر أنه « طفيل ابن كعب » . وفى الاقتضاب « طفيل بن عوف » ثم قال : « وقال ابن قتيبة : هو طفيل بن كعب » .

(٣) فى الاشتقاق : « شاعر قديم فصيح » . وفى المؤتلف : « وهو طفيل الخيل الشاعر المشهور » . وفى الأغانى : « شاعر جاهلى من الفحول المعدودين ، ويكنى أبا قران ، يقال إنه من أقدم شعراء قيس » وفيه عن الأصمعى : « كان طفيل أكبر من النابغة ، وليس فى قيس فحل أقدم منه » .

(٤) القارح ، ههنا : الفرس الذى انتهت أسنانه ، وإنما تنتهى فى خمس سنين . الغرابيات : منسوبة إلى « الغراب » فرس معروفة لبنى غنى ، قال أبو عبيدة فى الخيل ٦٦ : « والوجيه والغراب ولاحق : كانت لغنى معروفة منسوبة » وانظر أيضاً الخيل لابن الكلبى ٩ ولابن الأعرابى ٦٨ . الجراء : الجرى ، وهو للخيل خاصة ، المسح بكسر الميم : السريع كأنه يصب بالجرى صباً ، شبه بالمطر فى سرعة انصبابه . الإجفيل : النفور الجبان يهرب من كل شىء فرقاً ، وأراد به هنا شدة عدوه كأنه جبان هارب .

(٥) المرار ، بضم الميم : شجر مر ، والمرارة أيضاً بقلة مرة ، وجمعها مرار .

٧٧٠ ● وهو القائلُ :

بخَيْلٍ إذا قيلَ : ارْكَبُوا ، لم يَقُلْ لهم
عَوَاوِيرُ يَخْشَوْنَ الرَّدَى : أينَ نَرْكَبُ[1]
ولكنْ يُجَابُ المُسْتَغيثُ ، وخَيْلُهُمْ
عليها حُمَاةٌ بالمَنيَّةِ تَضْرِبُ)

٧٧١ ● ومِمَّا سَبقَ إليه (طُفَيْلٌ) قولُه :

بِحَىٍّ إذا قيلَ : اظْعَنُوا قد أُتيتُمُ أَقامُوا فلم تُرْدَدْ عليهمْ حَمَائلُ

276 ثم قال ابنُ مُقْبِل[2] :

بِحَىٍّ إذا قيلَ : اظْعَنُوا قد أُتيتُمُ أَقامُوا على أظْعَانهِمْ وتَلَحْلَحُوا[3]

٧٧٢ ● وقال طفيلٌ يَذكرُ الإبل :

عَوَازِبُ لم تَسْمَعْ نُبُوحَ مُقَامَةٍ ولم تَرَ نَارًا تِمَّ حَوْلٍ مُجَرَّمِ

وقال الحُطَيئةُ :

عَوَازِبُ لم تَسْمَعْ نُبُوحَ مُقَامَةٍ ولم تُحْتَلَبْ إلاَّ نَهَارًا ضَجُورُها[4]

يقول : لا تُحْلَبُ التى تَضْجَرُ من الحلب فى البَرْد ، ولكنْ إذا طلعت عليها الشمسُ .

---

(١) العواوير : جمع « عوار » بضم العين وتشديد الواو ، وهو الضعيف الجبان السريع الفرار .

(٢) س ب « أخذه ابن مقبل فقال » .

(٣) تلحلحوا : ثبتوا ، « تلحلح » ضد « تحلحل » . والبيت فى الفائق ٢ : ٢٢١ واللسان ٣ : ٤١٣ .

(٤) بيت الحطيئة مضى ٣٢٨ على أنه هو الذى سبق إلى هذا المعنى ، وأنه أخذه منه ابن مقبل ونسب له البيت الذى نسبه هنا لطفيل . فناقض المؤلف نفسه ، زعم أولا أن الحطيئة بدأ المعنى ، ثم زعم ثانياً أنه سرقه من طفيل ، والبيتان هما البيتان ! !

٨٢ ـ ابن مقبل [1]

٧٧٣ ● هو تَميم بن أُبَيّ بن مُقْبِل ، من بَنِى العَجْلَانِ ، وفى رهطه يقول النَّجَاشىُّ :

إذا اللهُ عادَى أهْلَ لُؤْمٍ ورِقَّةٍ ... فعادَى بنى العَجْلَانِ رَهْطَ ابْنِ مُقْبِل [2]

٧٧٤ ● وكان جاهليًّا إسلاميًّا ، ورثَى عثمانَ بن عفَّان رضى الله عنه فقال :

لِيَبْكِ بَنُو عُثْمانَ ما دام جِذْمُهُمْ ... عليه بأَسْيافٍ تُعَرَّى وتُخْشَبُ [3]

نَعَاءِ لِفَضْلِ الحلْمِ والحَزْمِ والنَّدَى ... ومَأْوَى اليَتَامَى الغُبْرِ عامُوا وأَجْدَبُوا [4]

ومَلْجَإِ مَهْرُوثِينَ يُلْفَى به الحَيَا ... إذا جَلَّفَتْ كَحْلُ هوالأُمُّ والأَبُ [5]

277 ٧٧٥ ● وكان خَرَج فى بعض أسفاره ، فمرَّ بمنزل عَصَرٍ العُقَيْلِىّ ، وقد

---

(١) ترجمته فى الجمحى ٣٤ واللآلى ٦٨ والإصابة ١ : ١٩٥ - ١٩٦ والخزانة ١ : ١١٣ . وفى الأشتقاق ٨ أنه يكنى أبا الحرة . وفى الجمحى أنه « شاعر خنذيذ مغلب عليه النجاشى ، ولم يكن إليه فى الشعر ، وقد قهره فى الهجاء » . وفى الإصابة أنه « أدرك الإسلام فأسلم ، وكان يبكى أهل الجاهلية ، وبلغ مائة وعشرين سنة » .

(٢) مضى البيت ٣٣٠ فى قصة هجاء النجاشى إياه .

(٣) الجذم : الأصل . تخشب : تطبع وتصقل ، و « الخشيب » من السيوف : الصقيل .

(٤) نعاء : اسم فعل من النعى بمعنى انع ، مثل « دراك » و « نزال » بمعنى أدرك وانزل . قال الجوهرى : « كانت العرب إذا مات منهم ميت له قدر ركب راكب فرساً وجعل يسير فى الناس ويقول نعاء فلاناً ، أى انعه وأظهر خبر وفاته ، مبنية على الكسر » . العبر : بضم العين المهملة وسكون الباء الموحدة : الكثير . ورواية اللسان « الغبر » بضم الغين المعجمة وسكون الباء ، وهو جمع أغبر من الغبرة ، وهى اغبرار اللون من الهم ونحوه . عاموا : اشتهوا اللبن لهلاك الماشية ، و « العيمة » شهوة اللبن .

(٥) المهروثون : الذين هرأهم البرد ، أى قتلهم . يلفى : بالفاء ، وفى ل بالقاف ، وهو تصحيف . الحيا : الغيث والخصب . كحل : اسم علم للسنة الجدبة الشديدة ، وفى اللسان : « تصرف ولا تصرف على ما يجب فى هذا الضرب من المؤنث العلم » . وجلفت كحل : أى قشرتهم واستأصلت أموالهم . وهذا البيت والذى قبله فى اللسان ١ : ١٧٧ .

جَهَدَه العطشُ ، فاستَسْقى ، فخرج إليه ابنتاه بعُسٍّ (فيه لبنٌ) ، فرأَتَاهُ أعورَ كبيرًا ، فأَبْدَتَا له بعضَ الجَفْوَة ، وذكَرَتَا هَرَمَهُ وعَوَرَهُ ، فغضبَ وجازَ ولم يَشرب ، وبلَغ أباهما الخبرُ ، فتَبِعَه ليَرُدَّه ، فلم يَرْجعْ ، فقال له : ارجعْ ولكَ أعجبُهما إليك ، فرجَع وقال قصيدتَه (هذه) ، وهى أجودُ شعره[1] :

كان الشَّبَابُ لحاجاتٍ وكُنَّ له ... فقَدْ فَزِعْتُ إلى حاجاتِيَ الأُخَرِ

يا حُرُّ أَمْسَتْ تَلِيَّاتُ الصِّبَا ذَهَبَتْ ... فلَسْتُ منها على عَيْنٍ ولا أَثَرِ[2]

يا حُرُّ أَمْسَى سَوَادُ الرَّأسِ خالَطَهُ ... شَيْبُ القَذَالِ اخْتِلاطَ الصَّفْوِ بالكَدَرِ

ياحُرُّ أَمْسَيْتُ شَيْخاً قد وَهَى بَصَرِى ... وَالْتَاثَ مادُونَ يَوْمِ البَعْثِ من عُمُرِى

يا حُرُّ مَنْ يَعْتَذِرْ من أَنْ يُلِمَّ به ... رَيْبُ الزَّمانِ فإنِّى غَيْرُ مُعْتَذِرِ

قالَتْ سُلَيْمَى بِبَطْنِ القاعِ من سُرُجٍ ... لاخَيْرَ فى المَرْءِ بَعْدَ الشَّيْبِ والكِبَرِ[3]

واسْتَهْزَأَتْ تِرْبُهَا مِنِّى فقُلْتُ لها : ... ماذا تَعيبَانِ مِنِّى يَابْنَتَىْ عَصَرِ

لولا الحَياءُ وباقِى الدِّينِ عِبْتُكُما ... بِبَعْضِ ما فيكما إذْ عِبْتُمَا عَوَرِى

(قد كُنْتُ أَهْدِى ولا أُهْدَى فعَلَّمَنِى ... حُسْنَ المَقَادَةِ أَنِّى فاتَنِى بَصَرِى)

قد قُلْتُمَا لِىَ قَولاً لا أبا لَكُمَا ... فيه حَدِيثٌ على ما كان من قِصَرِ

278 أخذه من قول امرئ القَيْسِ * وحَديثٌ مَّا على قِصَرِهْ * أى أىُّ حديثٍ

(١) القصيدة فى حماسة البحترى ٢٠٠ برقم ١٠٤٩ فى تسعة أبيات ما عدا الأبيات السابع والثامن والعاشر ، وفيها بيتان زائدان .

(٢) التليات ، بفتح التاء المثناة وكسر اللام : جمع تلية ، وهى البقية . وفى ل « بليات » بالباء الموحدة ، وهو تصحيف .

(٣) سرج ، بضمتين : فى البلدان أنه ماء لبنى العجلان فى واد ، وذكر البيت غير منسوب ، ثم قال ٥ : ٦٣ : «وأنا مشك فى الجيم» . وهو محق فى شكه ، فإن رواية البحترى « من مرخ » بفتح الميم والراء وآخره خاء معجمة ، وهو واد بين فدك والوابشية ، يقال له « مرخ » و « ذو مرخ » وهو المذكور فى بيت الحطيئة . ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ *

هو على قِصَرِه ، على التعجُّب منه .

وهو من أوصف العرب لقِدْحٍ ، ولذلك يقال : قِدْحُ ابنِ مُقبِل .

٧٧٦ ● وهو القائلُ فى نفسه[١] :

إذَا مُتُّ عن ذِكْرِ القَوَافِى فلَنْ تَرَى ... لها تالياً بَعْدِى أَطَبَّ وأَشْعَرَا

وأَكْثَرَ بيتاً مارِدًا ضُرِبَتْ له ... حُزُونُ جِبَالِ الشِّعْرِ حتَّى تَيَسَّرَا

أَغَرَّ غَرِيباً يَمْسحُ الناسُ وَجْهَهُ ... كما تَمْسَحُ الأَيْدِى الجَوَادَ المُشَهَّرَا

٧٧٧ ● وقال ابنُ مُقبِلٍ فى الفَرَس :

يُرْخِى العِذَارَ ولو طالَتْ قَبَائِلُهُ ... عن حَشْرَةٍ مِثْلِ سِنْفِ المَرْخَةِ الصَّفِرِ[٢]

وقال آخرُ :

لها أُذُنٌ حَشْرَةٌ مَشْرَةٌ ... كإعْلِيطِ مَرْخٍ إذَا ما صَفِرْ[٣]

وقال آخر : ● حَشْرَةُ الأُذْنِ كإعْلِيطٍ صَفِرْ ●

٧٧٨ ● وممّا يُسْتَحْسَنُ له قولُه فى النساء[٤] :

---

(١) من قصيدة طويلة فى منتهى الطلب ١ : ٦٩ — ٧١ .

(٢) العذار من اللجام : ما سال على خد الفرس . وقبائله : سيوره . الحشرة ، بسكون الشين : الأذن اللطيفة المحددة . المرخ ، بسكون الراء : شجر يطول فى السماء وليس له ورق ولا شوك ، ومنه يكون الزناد الذى يقتدح به ، لأنه كثير الورى سريعه . والسنف ، بكسر السين وسكون النون : وعاء ثمر المرخ . والبيت فى اللسان ١١ : ٦٤ .

(٣) مشرة : قيل إنه إتباع لحشرة ، وقيل : أراد أنها دقيقة كالورقة قبل أن تتشعب ، لأن « المشر » شىء كالخوص يخرج فى السلم والطلح . الإعليط : ما سقط ورقه من الأغصان والقضبان وقيل : هو ورق المرخ . والبيت فى اللسان ٥ : ٢٦٦ ونسبه للنمر بن تولب ، و ٧ : ٢١ غير منسوب ، ثم نقل عن ابن برى أنه للنمر ، و ٩ : ٢٣٩ منسوباً لامرئ القيس ، ثم نقل عن ابن برى أيضاً أنه للنمر .

(٤) الأبيات فى الأمالى ١ : ٢٢٩ وهى من قصيدة طويلة فى الجمهرة ١٦٠ — ١٦٣ وبعضها فى منتهى الطلب ١ : ٦٧ — ٦٩ .

يَمْشِينَ هَيْلَ النَّقَا مالَتْ جَوَانِبُهُ ... يَنْهَالُ حيناً ويَنْهَاهُ الثَّرَى حينا[١]

يَهْزُزْنَ للمَشْيِ أَوْصَالاً مُنَعَّمَةً ... هَزَّ الجَنُوبِ ضُحًى عِيدَانَ يَبْرِينَا[٢]

أَوْ كاهْتِزَازِ رُدَيْنِيٍّ تَدَاوَقَهُ ... أَيْدِى التُّجَار فزادوا مَتْنَهُ لِينَا

---

(١) النقا من الرمل : القطعة تنقاد محدودبة ، وهو واوى ويائى . وهيله انهياله وتساقطه .

(٢) س ب « أبداناً » بدل « أوصالا » . يبرين : من أصقاع البحرين ، وهناك الرمل الموصوف بالكثرة ، ويقال فيها أيضاً « أبرين » بالهمزة بدل الياء فى أوله .

٨٣ - أمية بن أبى الصلت [1]

٧٧٩ ●هو أُمَيَّةُ بن أبى الصَّلْت بن أبى ربيعةَ بن عبد عَوْف بن عُقْدَةَ بن غِيَرَةَ[2] بن قَسِيّ ، وقَسِيٌّ هو ثَقيفُ بن منبِّه بن بكر بن هَوَازِنَ بن منصور ابن عِكْرِمَةَ بن خَصَفَةَ بن قَيس عَيْلَانَ . وأُمُّه رُقَيَّةُ بنتُ عبد شمس بن عبد مناف .

276

٧٨٠ ●وقد كان قرأ الكتبَ المتقدِّمةَ من كُتُب الله جلَّ وعزَّ ، ورَغِبَ عن عبادة الأَوثان ، وكان يُخبِر بأَنَّ نبيًّا يُبعثُ قد أظلَّ زمانُه ، ويُؤَمِّلُ أن يكونَ ذلك النبيَّ ، فلمّا بلغه خُرُوجُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وقصَّتُه كَفَرَ حسدًا له .

٧٨١ ● ولما أنشدَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم شعرَه قال : آمَنَ لسانُه وكَفَرَ قلبُه . وكان يَحكي فى شعره قصَصَ الأنبياء ، ويأْتى بألفاظٍ كثيرة لا تَعرفها العربُ ، يأْخذُها من الكتب المتقدّمة ، وبأَحاديثَ من أَحاديث أَهل الكتاب ، منها قولُه :

بآيَةِ قام يَنْطِقُ كلُّ شيءٍ   وخَانَ أمانَةَ الدِّيكِ الغُرَابُ

وكانوا يقولون : إن الديكَ كانَ نديماً للغراب ، فرَهَنَه على الخمر وغَدَرَ به ولم يَرجع ، وتركَه عند الخمّار ، فجعله (الخمّارُ) حارساً .

---

(١) ترجمته فى الجمحى ٦٦ - ٦٨ والاشتقاق ١٨٤ والأغانى ٣ : ١٧٩ - ١٨٥ و ١٦ : ٦٩ - ٧٦ واللآلى ٣٦٢ - ٣٦٣ والخزانة ١ : ١١٨ - ١٢٢ وشعراء الجاهلية ٢١٩ - ٢٣٧ .

(٢) غيرة : ضبطت فى ل بكسر الغين المعجمة وفتح الياء المثناة وفتح الراء ، وفى الأغانى وغيره « عنزة » بفتح العين المهملة والنون والزاى . والظاهر أنه تصحيف ، فإن بنى « غيرة » من ثقيف ، كما فى المشتبه للذهبى ٣٨٤ وشرح القاموس ، وفى الاشتقاق فى بطون ثقيف ١٨٥ « ومنهم بنو غيرة ، واشتقاق غيرة من الغير - بكسر ففتح - وهى الدية تؤدى لدم القتيل » ونحو ذلك فى كتاب « نسب عدنان وقحطان » للمبرد ص ١٣ .

٧٨٢ ● ومنها قولُه :

غَيْمٌ وظَلْمَاءُ وفَضْلُ سَحَابَةٍ إذْ كانَ كَفَّنَ واسْتَرَادَ الهُدْهُدُ

280 يَبْغِى القَرَارَ لأُمِّـهِ لِيُجِنَّهَا فبَنَى عليها فى قَفَاهُ يَمْهَدُ

فيَزَالُ يَدْلَحُ ما مَشَى بجِنَازَةٍ منها ، وما اخْتَلَفَ الجَدِيدُ المُسْنَدُ

وكانوا يقولون : إن الهدهد لما ماتت أُمُّه أراد أن يَبَرَّها ، فجعلها على رأسه يَطْلُبُ موضعاً ، فبقيَتْ فى رأسه ، فالقُنْزُعَةُ التى فى رأسه هو قبرُها[1] ، وإنَّمَا أنْتَنَتْ رِيحُهُ لذلك . ومنها قولُه : * قَمَرٌ وساهُورٌ يُسَلُّ ويُغْمَدُ * والسَّاهُورُ ، فيما يَذْكُرُ أهلُ الكتاب : غلافُ القمرِ يَدْخُلُ فيه إذا كُسِفَ[2]

٧٨٣ ● وقولُه فى الشمس :

لَيْسَتْ بطالِعَةٍ لَهُمْ فى رِسْلِهــا إلاَّ مُعَذَّبَةً وإلاَّ تُجْلَدُ[3]

يقولون : إن الشمس إذا غَرَبَت امتنعتْ من الطُّلُوع ، وقالت : لا أَطْلُعُ على قوم يعبدوننى من دون الله ، حتَّى تُدْفَع وتُجْلَدَ فتَطْلُع ! ويسمِّى السماء فى شعره صاقُورَة[4] وحاقُورَة[5] وبِرْقِع[6] .

ويقول فى الله عزَّ وجلَّ :

* هو السَّلَطْلِيطُ فَوْقَ الأَرْضِ مُقْتَدِرُ[7] *

---

(١) القنزعة ، بضم القاف والزاى : ما ارتفع من الشعر وطال .

(٢) انظر المعرب بتحقيقنا ١٩٢ — ١٩٣ .

(٣) المسند ٢٣١٤ .

(٤) فى اللسان : « الصاقورة : باطن القحف المشرف على الدماغ . . . وصاقورة والصاقورة : اسم السماء الثالثة والكلمة عربية لا شك فيها .

(٥) فى القاموس أن « الحاقورة » السماء الرابعة ! وانظر شرح القاموس .

(٦) فى اللسان « برقع ، بالكسر : السماء ، وقال أبو على الفارسى : هى السماء السابعة ، لا ينصرف » ثم نقل بعد ذلك « برقع » بفتح القاف « اسم من أسماء السماء ، جاء على فعلل ، وهو غريب نادر » يعنى كسر أوله وفتح ثالثة .

(٧) البيت كله فى اللسان ٩ : ١٩٤ ولكن روايته « السليطط بفتح السين وكسر اللام وبعدها ياء ثم فتح الطاء الأولى ، وقال : « قال ابن جنى : هو القاهر ، من السلاطة ، قال : ويروى السليطط — يعنى بكسر السين — وكلاهما شاذ ، التهذيب : سليطط جاء فى شعر أمية بمعنى المسلط ، قال : ولا أدرى ما حقيقته » .

ويقول : * وأَبْدَت الثُّغْرُورَا * يريد الثَّغْرَ[1] . وهذه أشياءُ مُنْكَرَةٌ ، وعلماؤُنا لا يَرَوْنَ شعرَه حُجَّةً فى اللغة .

٧٨٥ ● ولمَّا حَضَرَتْهُ الوفاةُ قال[2] :

281

كُلُّ عَيْشٍ وإِنْ تطَاوَلَ دَهْرًا   صائِرٌ مَرَّةً إلى أَنْ يَزُولَا

لَيْتَنى كُنْتُ قَبْلَ ما قد بَدَا لى   فى رُؤُوسِ الجِبَالِ أَرْعَى الوُعُولَا

٧٨٦ ● وأبوه أبو الصَّلْت الثَّقَفِىُّ شاعرٌ ، وهو القائل فى سَيْف بن ذى يزَن[3] :

لَنْ يَطْلُبَ الوِتْرَ أَمْثَالُ ابْنِ ذى يَزَنٍ   لَجَّجَ فى البَحْرِ للأَعْدَاءِ أَحْوَالاَ[4]

أَتَى هِرَقْلَ وقَدْ شالَتْ نَعَـامَتُهُ   فلم يَجِدْ عنْدَهُ القَوْلَ الَّذى قَالاَ[5]

ثم انْتَحَى نَحْوَ كِسْرَى بعد تاسِعَةٍ   منَ السِّنِينَ ، لقَدْ أَبْعَدْتَ إِيغَالاَ

حتَّى أَتَى بِبَنى الأَحْرَار يَحْمِلُهُمْ   إِنَّكَ عَمْرِى لَقَدْ أَسْرعْتَ قِلْقَالاَ[6]

مَنْ مثْلُ كِسْرَى وباذَانِ الجُنُودِ له   ومثْلُ وَهْرِزَ يَوْمَ الجَيْشِ إِذْ صَالاَ

لِلَّهِ دَرُّهُمُ منْ عُصْبَةٍ خَرَجُوا   ما إِنْ تَرَى لَهُمُ فى الناسِ أَمْثَالاَ

---

(١) الثغرور : أثبتها صاحب القاموس ، وذكر شارحه أنها عن الصغانى .

(٢) هى ثلاثة أبيات فى الأغانى ٣ : ١٨٤ .

(٣) الأبيات فى سيرة ابن هشام ٤٤ والروض الأنف ١ : ٥٢ — ٥٣ وتاريخ الطبرى ٢ : ١٢٠ وهى فى الأغانى ١٦ : ٧٣ تنقص أربعة أبيات وفيه بيت زائد ، وفى حماسة البحترى ١٦ برقم ٤١ تنقص خمسة أبيات .

(٤) رواية السيرة « ريم فى البحر » أى زاد فى السير . من الريم وهو الزيادة والفضل . وكذلك هى رواية اللسان ١٥ : ١٥٢ . الأحوال هنا : الأعوام . وفى الروض : « كأنه يريد : غاب زماناً وأحوالا ثم رجع للأعداء » .

(٥) شالت نعامته : هلك . والنعامة : باطن القدم . وشالت : ارتفعت ، ومن هلك ارتفعت رجلاه وانتكس رأسه فظهرت نعامة قدمه . وهذا التفسير من الروض الأنف . ويقال أيضاً « شالت نعامتهم » أى تفرقت كلمتهم وذهب عزهم ودرست طريقتهم . وصدر البيت فى اللسان ١٦ : ٦٣ غير منسوب ولا ظاهر أنه شعر ، بل أتى به كأنه منثور .

(٦) القلقال : شدة الحركة والاضطراب ، وهو بكسر القاف مصدر وبفتحها اسم .

غُلْباً جَحَاجِحَةً بِيضاً مَرَاجِحَةً ... أُسْدًا تُرَبِّبُ فى الغَيْضَاتِ أَشْبَالَا[١]

282 يَرْمُونَ عَنْ عَتَلٍ كَأَنَّهَا غُبُطٌ ... بِزَمْخَرٍ يُعْجِلُ المَرْمِيَّ إِعْجَالَا[٢]

أَرْسَلْتَ أُسْدًا على سُودِ الكلابِ فَقَدْ ... أَضْحَى شَرِيدُهُمُ فى الأَرْضِ فُلَّالَا[٣]

فاشْرَبْ هَنِيئاً عليكَ التاجُ مُرْتَفِقاً ... فى رَأْسِ غُمْدانَ داراً مِنكَ مِحْلَالَا[٤]

ثُمَّ أَطْلِ المِسْكَ إِذْ شالَتْ نَعامَتُهُمْ ... وأَسْبِلِ اليومَ مِنْ بُرْدَيكَ إِسْبَالَا[٥]

تلكَ المكارِمُ لا قَعْبانِ من لَبَنٍ ... شِيبَا بماءٍ فعادَا بَعْدُ أَبْوالَا

٧٨٧ ● وكان لأُمَيَّةَ ابنٌ يقال له القاسمُ ، وكان شاعرًا ، وهو القائلُ[٦] :

قَوْمٌ إِذَا نَزَلَ الغَرِيبُ بِدارِهِمْ ... تَرَكُوهُ رَبَّ صَوَاهِلٍ وقِيَانِ

فإِذَا دَعَوْتَهُمْ لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ ... سَدُّوا شُعاعَ الشَّمْسِ بالخُرْصانِ[٧]

لا يَنْقُرُونَ الأَرْضَ عِنْدَ سُؤَالِهِمْ ... لِتَطَلُّبِ العِلَّاتِ بالعِيدَانِ

بَلْ يَبْسُطُونَ وُجُوهَهُمْ فَتَرَى لها ... عِنْدَ السُّؤَالِ كأَحْسَنِ الأَلْوَانِ

---

(١) الجحاجحة : جمع « جحجاح » وهو السيد الكريم ، والهاء فيه لتأكيد الجمع . المراجحة الحلماء ، كالمراجح والمراجيح ؛ وفى اللسان : « واحدهم مرجح ومرجاح — يعنى بكسر الميم — وقيل لا واحد للمراجح ولا المراجيح من لفظها » . وصدر البيت فى اللسان غير منسوب ٢ : ١٤٤ و٣ : ٢٤٣

(٢) العتل : جمع عتلة ، وهى القوس الفارسية ؛ وهما بفتحتين ، مثل « قصبة وقصب » . وضبط فى ل بضمتين وهو خطأ . الغبط ، بضمتين : جمع « غبيط » وهو نوع من الرحال قتبه وأحناؤه واحدة ، قال فى اللسان : « يعنى به خشب الرحال ، وشبه القسى الفارسية بها » . الزمخر : السهم . والبيت فى اللسان ٩ ؛ ٢٣٦ لأبى الصلت ، ونسبه فى ٥ : ٤١٨ و ١٣ : ٤٤٩ لأمية بن أبى الصلت .

(٣) الفلال ؛ المنهزمون ، جمع « فال » .

(٤) مرتفقاً : متكئاً على مرفق اليد . غمدان ، بضم الغين المعجمة : بناء عظيم كان بصنعاء اليمن . وهذا البيت والذى قبله والبيت الأخير فى البلدان ٦ : ٣٠٢ .

(٥) البيت فى اللسان ١٦ ؛ ٦٣ .

(٦) للقاسم هذا ترجمة فى الإصابة ٥ : ٢٢٤ — ٢٢٥ وذكر فيها البيتان الثانى والرابع . وترجم أيضاً فى المرزبانى ٣٢٢ وذكر من القصيدة ستة أبيات .

(٧) الخرصان : الرماح ، وهى بتثليث الخاء المعجمة .

٨٤ ـ خليد عينين (١)

283 ٧٨٨ ● هو من عبد القَيْس ، من ولَد عبد الله بن دِرام بن مالك . وكان يَنْزِلُ أرضاً بالبَحْرَيْن تُعْرَف بِعَيْنَيْنِ (٢) ، فنُسب إليها . وهو القائلُ :

أيُّهـا المُوقِدَانِ شُبّاً سَنَاهَا إنَّ للضَّيْف طَارِفِى وتِلاَدِى (٣)

٧٨٩ ● ومرَّ خُلَيْدُ عَيْنَيْنِ بوالٍ لزياد على بعض كُوَرِ فارِس ، فسأله فلم يُعطه ، فقال : أنت تُدِلُّ بالشِّعر فاذهبْ فقل ما شئتَ ! فقال : أمَا إنى لا أهجوكَ ، ولكنى أقولُ ما هو أشَدُّ عليكَ من الهجَاء ، فأنشأ يقولُ :

وكائنْ عندَ تَيْم من بُـدُورٍ إذَا ما حُرِّكَتْ تَدْعُو زِيَادَا (٤)

دَعَتْهُ دَعْوَةً شَوْقاً إليه وقد شُدَّتْ حَنَاجِرُها صِفَادَا

ونَمى الشعرُ إلى زيادٍ فقال: لبَّيْكِ يا بُدُورَ تَيْمٍ ! وبعثَ إليه فأخذَ منه مائةَ ألف درهمٍ .

---

(١) فى اللسان ١٧ : ١٨٣ : « قال الأزهرى : وبالبحرين قرية تعرف بعينين ، قال : وقد دخلتُها أنا ، وإليها ينسب خليد عينين ، وهو رجل يهاجى جريراً » . والذى فى الكامل للمبرد ٨٤١ : « قال جرير يهجو خالد عينين العبدى * كم عمة لك يا خليد وخالة * » .

فالظاهر أن أصل اسمه « خالد » فصغره جرير فشهر بالاسم مصغراً .

(٢) يقال لها « عينان » وفى البلدان أن بعضهم يتلفظ باسمها على هذه الصيغة « عينين » فى جميع أحواله .

(٣) السنا : ضوء النار ، وهو مقصور .

(٤) البدور : جمع « بدرة » بفتح الباء وسكون الدال ، وأصلها جلد السخلة إذا فطم ، ثم سمى بها الكيس الذى فيه ألف درهم ، أو عشرة آلاف درهم ، وتجمع أيضاً على « بدر » بكسر الباء وفتح الدال .

٨٥ – جرير بن عطية[1]

٧٩٠ ● هو جَرِيرُ بن عَطِيَّةَ بن حُذَيفة ، ولُقِّبَ حذيفةُ الخَطَفَى لقوله :

* وعَنَقاً باقِي الرَّسِيمِ خَيْطَفَا[2] *

وهو من بنى كُلَيب بن يَرْبُوعٍ . وكان عطيةُ أبو جريرٍ مَضْعُوفاً[3] ، وأمُّ جرير أمُّ قيس بنت مَعْبَد ، من بنى كليب بن يربوع . وكان له أخوانِ : عمرو بن عطية ، وأبو الوَرْد بن عطية . وولَدتْ جريرًا أمُّه لسبعة أشهرٍ ، وعُمِّر نَيِّفاً وثمانينَ سنةً ، ومات باليمامة . وكان يُكنى أبا حَزْرَةَ ، 284 وكان له عشرةٌ من الولد ، فيهم ثمانيةُ ذكور ، منهم بِلَال بن جرير ، وكان أفضلَهم وأشعرَهم ، ويكنى أبا زَافرٍ . ورأى فى المنام أنه قُطعت له أربعُ أصابعَ من أصابعه ، فقاتل بنى ضَبَّة فقَتلوا له أربعةَ بنين . ولبلال عَقِبٌ ، منهم عُمَارة بن عَقِيل بن بِلَال ، وهو القائل فى دينارٍ ويحيى ابنَىْ عبد الله :

ما زال عصيانُنا لله يُسْلِمُنا ... حتّى دُفِعْنا إلى يحيى ودينارِ
إلى عُلَيْجَيْنِ لم تُقْطَعْ ثِمارُهما ... قد طال ما سَجَدَا للشَّمْسِ والنارِ

٧٩١ ● وكان بلالٌ نزلَ برجلٍ يقال له مَسْعود بن طُعْمَةَ ، من بنى

(١) هو والفرزدق والأخطل أشهر من أن ندل على مصادر تراجمهم ، ويكفى أن ألف فى مناقضاتهم كتابان جليلان ، هما « نقائض جرير والفرزدق » و « نقائض جرير والأخطل » .

(٢) العنق ، بفتحتين : ضرب من سير الدابة والإبل . الرسيم : أثر الناقة فى الأرض من شدة وطئها . الخطف والخيطف : سرعة انجذاب السير كأنه يختطف فى مشية عنقه ، أى يجتذبه . والبيت فى اللسان ١٠ : ٤٢٤ بهذه الرواية ، وهو مع آخرين فيه أيضاً وفى الاشتقاق ١٤١ بلفظ « وعنقاً بعد الكلال » .

(٣) المضعوف : الذى به ضعفة ، وهى ضعف الفؤاد وقلة الفطنة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بَيْدَعَة ، فلم يُحْسِنْ قِرَاهُ ، فقال :

أَمَسْعُودُ أَنْتَ اللَّئِيمُ الأَثِيمُ كَأَنَّكَ قُنْفُذَةٌ فى ضَمعَهْ

سَمِعْنا له إذْ نَزَلْنا به كَلاَماً كما تَنْطِقُ الضِّفْدَعَهْ

فأَىُّ اللَّئِيمَيْنِ أَشْبَهْتَهُ أَطُعْمَةَ أَمْ أُمَّكَ السَّكَوْتَعَهْ

عَدَدْنا عَدِيًّا وآباءَهُمْ فشَرُّ عَدِىٍّ بنو بَيْدَعَهْ

فما أَعْطَشَ الضَّيْفَ لَمَّا غَدَا مِنَ البَيْدَعات وما أَجْوَعَهْ

٧٩٢ ● وقال (بلال) فى قوم من بنى فُقَيْمٍ ، يقال لهم بنو ناشرَةَ :

عَدَدْنا فُقَيْماً وآباءَهُمْ فشَرُّ فُقَيْمٍ بَنُو ناشِرَهْ

قصارَ الفعالِ طِوَالَ الخُطَى مَنَاتينَ لَيْسَتْ لهم بادرَهْ

يَعُدُّونَ غُرْماً قِرَى ضَيْفِهِمْ فلا عَدِمُوا صَفْقَةً خاسرَهْ

إذَا ضِفْتَهُمْ ثمَّ سَاءَلْتَهُمْ وَجَدْتَ بِهِمْ عِلَّةً حاضرَهْ

ولَيْسُوا ، إذَا قُلْتَ : ماذا هُمُ ؟ بِأَصْحاب دُنْيَا ولا آخرَهْ

285

٧٩٣ ● وقال فى حَمَّاد المِنْقَرِىِّ :

نَزَلْنا بحَمَّادٍ فخَلَّى كَلاَبَهُ علينا ، فكدْنا بينَ بَيْتَيْه نُؤْكَلُ

وقد قال قَبْلِى قائلٌ ظَلَّ فيهِم : أَذَا اليَوْمُ أَوْ يَوْمُ القيامَة أَطْوَلُ

٧٩٤ ● ومن ولد جرير عِكْرِمَةُ بن جرير ، وكان شاعرًا ، ونُوح بن جرير ، وكان شاعرًا .

٧٩٥ ● وكان جريرٌ من فحول شعراءِ الإسلام ، ويُشبَّه من شعراءِ الجاهلية بالأَعشَى . وكان أبو عمرو بن العلاءِ يقول : هما بازِيَانِ يصيدان ما بين العَنْدليب إلى الكُرْكِىِّ .

٧٩٦ ● وكان (من) أحسن الناس تشبيباً . حدثنى سهل (بن محمد) عن الأَصمعىّ قال : سمعتُ الحىَّ يتحدَّثون أنَّ جريرًا قال : لولا ما شغلنى من هذه الكلاب لشَبَّبْتُ تشبيباً تَحنُّ منه العجوز إلى شبابها كما تحنُّ النَّابُ إلى سَقْبها .

٧٩٧ ● وكان من أشدِّ الناس هجاءً . وحدثنى عبد الرحمن الأَصْمعىّ قال : أخبرنا شيخ من أهل البصرة قال : مرَّ رَاعى الإِبِلِ فى سَفَرٍ فسمع إنساناً يتغنَّى (على قَعُودٍ له) بشعر جريرٍ ، وهو قولُه :

وعاوٍ عَوَى من غَيْرِ شىءٍ رَمَيْتُهُ بقافِيَةٍ أَنْفاذُها تَقْطُرُ الدَّمَا
خرُوجٍ بأَفْواه الرُّواة كأَنَّها قِرَى هُنْدُوانىٍّ إذَا هُزَّ صَمَّمَا

(فقال : لِمَنْ هذا ؟ قيل : لجرير) ، فقال الراعى : لعنةُ الله على مَن يلومنى أن يَغلبنى مثلُ هذا !

286

٧٩٨ ● وكان مع حسن تشبيبه عفيفاً ، وكان الفرزدقُ فاسقاً ، وكان يقول : ما أحوجه مع عفَّته إلى صلابة شعرى ، وما أحوجنى إلى رقَّة شعره ، لما تَرَوْنَ .

٧٩٩ ● وأخبرنا عبد الرحمن قال : أخبرنا الأَصمعىُّ قال : أخبرنا أبو عَمرو بن العلاء قال : كنتُ قاعدًا عند جريرٍ وهو يُملى :

ودِّعْ أُمامَةَ حان منْكَ رحِيلُ إنَّ الوَدَاعَ لِمَنْ تُحبُّ قَلِيلُ

فمرَّت به جِنازةٌ ، فتركَ الإِنشادَ وقال : شيَّبَتْنى هذه الجنائزُ ، قلتُ : فلأَىِّ شىءٍ تَشْتم الناسَ؟ قال : يَبدؤُوننى ثم لا أعفو ، (قال) : وكان يقول : أنا لا أبتدى ولكن أعتدى[1] .

---

(١) فى اللسان فى قوله تعالى (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) : « سماه اعتداء لأنه مجازاة اعتداء ، فسمى بمثل اسمه ، لأن صورة الفعلين واحدة » .

٨٠٠ ● وبلغه عن بعض شعراء بنى كُلَيبٍ شىءٌ ساءه، فدعاه إلى مهاجاته، فقال الكُلَيْبِىُّ : إنَّ نسائى بإِمَّتهنَّ[1] ، ولم تَدَعِ الشعراءُ فى نسائك مُتَرَقَّعاً .

٨٠١ ● وكان جرير يقول : النصرانىُّ أنْعَتُنَا للخمر والحُمْرِ وأمدحُنا للملوك ، وأنا مدينةُ الشعر .

٨٠٢ ● وقال أبو عمرو : سُئل الأخطلُ : أيُّكم أشْعَرُ ؟ قال : أنا أمْدَحُهم للملوك وأنعتُهم للخمر والحُمْر ، يعنى النساء ، وأما جرير فأنْسَبُنَا وأشْبَهُنَا ، وأما الفرزدقُ فأفْخَرُنا .

٨٠٣ ● وقال مروانُ بن أبى حَفْصَةَ :

ذَهَبَ الفَرَزْدَقُ بالفخَارِ وإنما حُلْوُ القَرِيض ومُرُّهُ لِجَرِيرِ

٨٠٤ ● وكان جرير مقيماً بالمَرُّوت من البادية ، والفرزدقُ بالعراق ، وهما يتهاجَيانِ ، فأرسلتْ بنو يربوع إلى جرير : إنَّك مقيم بالمَرُّوت ليس عندك أحدٌ يَرْوِى عنك والفرزدقُ بالعراق قد ملأَها عليكَ منذ سبعِ حِجَجٍ ، فانحدَر إلى العراق فأقام بالبصرة ، ولذلك يقولُ :

وإذا شَهِدْتُ لثَغْرِ قَوْمى مَشْهَدًا آثَرْتُ ذاكَ على بَنِىَّ ومالى

287

٨٠٥ ● ومدحَ الحجَّاجَ فأكرمه وأدناه ، وأوفده إلى عبد الملك بن مروانَ فاستنشده ، فأنشده فى الحَجَّاج :

صَبَرْتَ النَّفْسَ يابْنَ أبى عَقِيلٍ مُجاهَدَةً ، فكَيْفَ تَرَى الثَّوَابَا

(١) الإمة ، بكسر الهمزة : الهيئة والشأن . يريد أنهن سليمات لم يمسس عرضهن أحد .

إذَا سَعَرَ الخَلِيفَةُ نارَ حَرْبٍ ... رَأَى الحَجَّاجَ أَثْقَبَها شِهَابا

وأنشده مِدْحَتَه التى يقولُ فيها :

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايَا ... وأَنْدَى العالَمِينَ بُطُونَ راحِ

فأمر له بمائة ناقة من نَعَمِ كَلْبٍ ، فقال له جرير : يا أمير المؤمنين ، نحن أشياخٌ ، وليس فى واحدٍ منَّا فضلٌ عن راحلته ، والإبل أُبَّاق ، قال : فنجعلُ أثمانَها لك رِقَّةً ؟ قال : لا ، ولكن الرِّعاء ، فأمر له بثمانية أعبدٍ ، فقال جرير : والمِحْلَبُ يا أمير المؤمنين ! فنبذ إليه إحداهنَّ بالخيزرانة ، وقال : خذها لا نَفَعَتْكَ ! ففى ذلك يقولُ جرير :

أَعْطَوْا هُنَيْدَةَ يَحْدُوها ثَمانيَةٌ ... ما فى عَطَائِهِمُ مَنٌّ ولاسَرَفُ[1]

288

٨٠٦ ● قال أبو عُبَيدة : كان الفرزدق بالمِرْبَد ، فمرَّ به رجل قَدِمَ من اليمامة ، فقال له : من أين وجْهُك ؟ قال : من اليمامة ، قال : فهل عَلِقْتَ من جرير شيئاً ؟

فأنشده : * هاجَ الهَوَى بفُؤَادِكَ المُهْتاجِ *

فقال الفرزدقُ : * فَانْظُرْ بتُوضِحَ باكرَ الأَحْداجِ[2] *

فقال : * هذا هَوًى شَغَفَ الفُؤادَ مُبَرِّحٌ *

فقال الفرزدق : * ونَوًى تَقاذَفُ غَيْرُ ذاتِ خِلَاجِ[3] *

فقال : * لَيْتَ الغُرَابَ غَدَاةَ يَنْعَبُ دائباً *

(١) هند وهنيدة : اسم للمائة من الإبل خاصة . والبيت فى اللسان ٤ : ٤٤٩ .

(٢) توضح : كثيب أبيض من كثبان حمر بالدهناء قرب اليمامة . الأحداج : جمع « حدج » بكسر الحاء وسكون الدال ، وهو من مراكب النساء يشبه المحفة .

(٣) خلاج : يقال « نوى خلوج بينة الخلاج » أى مشكوك فيها ، فهو يريد هنا أنها لا شك فيها ، وأصله من قولهم « اختلج الشىء فى صدرى وتخالج » أى تحرك فيه شىء من الريبة والشك والبيت فى اللسان ٣ : ٨٣ .

فقال الفرزدق : * كان الغُرَابُ مُقَطَّعَ الأَوْداجِ *

فما زال (الرجلُ) ينشده صدرًا (صدرًا) من قول جرير، وينشدُه الفرزدق عجُزًا (عجزًا)، حتى ظنَّ الرجلُ أنَّ الفرزدق قالها (وأنَّ جريرًا سَرقَها)، ثم قال له : هل ذَكر فيها الحجاجَ ؟ قال : نعم، قال : إيّاه أراد .

٨٠٧ ● ومن خبيث هجائه قوله للفرزدق :

* لَقَدْ ولَدَتْ أُمُّ الفَرَزْدَقِ مُقْرِفاً[1] * الأبيات

٨٠٨ ● ومن جيِّد شعره قوله :

تَعالَوْا نُحاكِمْكُمْ، وفى الحَقِّ مَقْنَعٌ ... إلى الغُرِّ من أَهْلِ البِطَاحِ الأَكارمِ

فإنَّ قُرَيْشَ الحَقِّ لم تَتْبَعِ الهَوَى ... ولم يَرْهَبُوا فى الله لَوْمَةَ لائم

فإنِّى لَرَاضٍ عَبْدَ شَمْسٍ وما قَضَتْ ... وأَرْضَى بحُكْمِ الصِّيدِ من آلِ هاشمِ

أُذَكِّرُكُمْ بالله : مَنْ يُنْهِلُ القَنَا ... ويَضْرِبُ كَبْشَ الجَحْفَلِ المُتَرَاكِمِ

وكُنْتُمْ لَنَا الأَتْباعَ فى كُلِّ مَوْقِفٍ ... ورِيشُ الذُّنَابَى تابِعٌ للقَوَادِمِ

إذَا عُدَّت الأَيَّامُ أَخْزَيْتَ دارِماً ... وتُخْزِيكَ يابْنَ القَيْنِ أَيَّامُ دارِمِ

وما زادنى بُعْدُ المَدَى نَقْضَ مِرَّةٍ ... ولا رَقَّ عَظْمى للضُّرُوسِ العَواجِمِ

٨٠٩ ● ويُستجاد له قولُه : * فأَنْتَ أَبى ما لم تَكُنْ لِىَ حاجةٌ * الأبيات[2]

وقوله يرثى امرأته : * لَوْلَا الحَيَاءُ لَعادَنى ٱسْتِعْبارُ * الأبيات[3]

٨١٠ ● ومما أُخذ عليه قوله فى بنى الهَدَوْكَس رَهْطِ الأخطل :

---

(١) ستأتى ٣٠٧ ل . وفيها «فاجراً» بدل «مقرفاً» والمقرف : الهجين واللئيم الآباء .

(٢) ستأتى ٣٠٦ ل

(٣) ستأتى ٣٠٨ ل

هذا ابنُ عَمّى فى دمَشقَ خَليفَةٌ   لَوْ شِئْتُ ساقَكُمُ إلىَّ قَطينَــا

القَطينُ فى هذا الموضع : العَبِيدُ والإماءُ . وقيل له : يا أَبا حَزْرَةَ ، ماوجدتَ فى بنى تميمٍ فخرًا تَفْخُر به عليهم حتى فَخَرْت بالخلافة ، لا والله إنْ صَنَعْتَ فى هجائهم شيئاً .

٨٦ ـ الفرزدق

٨١١ ● هو هَمَّامُ بن غَالب بن صَعْصَعَةَ بن ناجِيَةَ بن عقَّالِ بن محمد ابن سفيانَ بن مُجَاشِعِ بن دَارِمٍ . وكان جدُّه صعصعةُ بنُ ناجيةَ عظيمَ القدر فى الجاهلية ، واشترى ثلاثين مَوْؤودةً إلى أن جاء اللهُ عزَّ وجلَّ بالإسلام ، منهنَّ بنتٌ لقَيْس بن عاصم المِنْقَرىِّ . ثم أتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، وأسلَمَ . 290

٨١٢ ● وأُمُّ صَعْصَعَةَ قُفَيْرَةُ بنت سُكَينٍ ، من عبد الله بن دارمٍ ، وكانت أُمُّها أَمَةً وهبها كِسْرَى لزُرَارةَ ، فرَهَنها زُرَارةُ لهنْد بنت يَثْربىّ ابن عُدَسٍ ، فوثب أخو زوجها ، واسمه سُكَيْنُ بن حارثةَ بن زيد بن عبدالله ابن دارمٍ ، على الأَمة فأَحبلها ، فولدتْ (له) قُفَيْرَةَ أُمَّ صعصعةَ ، فكان جريرٌ يعيبُ الفرزدقَ بها . وكان لصَعْصَعَةَ قُيُونٌ ، منهم جُبَيرٌ ووَقْبانُ ودَيْسَمُ ، فلذلك جعل جريرٌ مُجَاشعاً قُيوناً .

وقال جرير يَنْسِبُ غالبَ بن صعصعةَ إلى جُبَير :

وَجَدْنا جُبَيْرًا أَبا غالِبٍ ... بَعِيدَ القَرابَة من مَعْبَدِ

يعنى مَعْبَدَ بن زُرَارةَ .

٨١٣ ● وكان يعيبُهم بالخَزِيرة ، وذلك أنَّ ركباً من مُجَاشِعٍ مرُّوا فى الجاهلية وهم عِجَالٌ على شِهابٍ التغلبىّ ، فسأَلهم أن ينزلوا ، فقالوا : نحن مستعجِلون ، فقال : لا تَجُوزونى حتَّى تُصيبوا القِرَى ، فحملَ إليهم خزيرةً ، فجعلوا يأْكلونها وهم على إبلهم ويُعَظِّمون اللقَمَ ، وذلك يسيلُ على لحاهم !

٨١٤ ● وأمّا غالبُ أبو الفرزدق فكان يُكنَى أبا الأخطل ، وكان سيِّدَ بادية تميمٍ ، وكان أعورَ . وأمُّه ليلى بنتُ حابِسٍ أختُ الأقرعِ بن حابِسٍ. واستُجير بقبره وهو بكاظمةَ[١] فى حَمَالةٍ ، فاحتملها (عنه) الفرزدقُ . 291

٨١٥ ● وكان له إخوةٌ ، منهم هُمَيْمٌ (بن غالبٍ) ، وسُمىَ الفرزدقُ باسمه وهو القائل :

لَعَمْرُ أبيكَ فلا تَكْذِبَنْ لَقَدْ ذَهَبَ الخيْرُ إلا قليلاَ
وقَدْ فُتِّنَ الناسُ فى دِينِهمْ وخَلَّى ابْنُ عَفَّانَ شَرًّا طَوِيلاَ

وإنما لُقِّبَ بالفرزدق لغلَظه وقِصَرِه ، شُبِّه بالفَتِيتة التى تشربُها النساءُ ، وهى الفرزدقةُ[٢] . وكنيتُه أبو فِرَاسٍ .

٨١٦ ● وكان للفرزدق أخٌ يقال له الأخطلُ أَسَنُّ منه ، وابنُه محمد ابن الأخطلِ (كان) تَوَجَّه مع الفرزدق إلى الشأم ، فمات بها ، ولا عَقِبَ له . ورثاه الفرزدقُ .

٨١٧ ● وأختُه يقال لها جعْثِنُ ، وكانت امرأةَ صدْقٍ . ونزل الفرزدقُ فى بنى مِنْقَرٍ والحىُّ خُلُوفٌ ، فجاءتْ أفعى إلى جارية من بنى مِنْقَرٍ يقال لها ظَمْياءُ ، فدخلتْ معها فى شِعارها ، فصرختْ أمُّها ، وجاء الفرزدقُ فسكَّنَها ، واحتال للأفعى حتّى انسابتْ ، والتزمَ الجاريةَ فانتهرتْه ، فقال[٣] :

---

(١) كاظمة : فى البلدان : « جو على سيف البحر فى طريق البحرين من البصرة ، بينها وبين البصرة مرحلتان » .

(٢) فى اللسان : « الفرزدق : الرغيف ، وقيل : فتات الخبز ، وقيل : قطع العجين ، واحدته فرزدقة ، وبه سمى الرجل ، سمى بالعجين الذى يسوى منه الرغيف ، واسمه همام ، وأصله بالفارسية برازده » وفيه أيضاً : « قال الأصمعى : الفرزدق الفتوت الذى يفت من الخبز الذى تشربه النساء » .

(٣) سيأتى البيت مع بيتين آخرين ٢٩٦ ل .

وأَهْوَنُ عَيْبِ المِنْقَرِيَّةِ أَنَّها ... شَدِيدٌ بِبَطْنِ الحَنْظَلِيِّ لُصُوقُها

فلمَّا بلغ بنى مِنْقَرٍ قولُه أرسلوا رجلا يقال له عِمْرانُ بن مُرَّةَ ، وأمروه أن يَعْرِضَ لجِعْثِنَ أختِ الفرزدق ، فلما خرجتْ وثَب فضرب بيده على نحرها ، فصاحتْ ، ومضى ، فعُيِّرَ الفرزدقُ بذلك .

٨١٨ ● ومكثَ الفرزدقُ زماناً لا يُولَدُ له ، فعيَّرتْه امرأته النَّوَارُ بذلك فقال :

قالَتْ : أَراهُ واحدًا لا أَخَا لَهُ ... يُؤَمِّلُهُ فى الوارثين الأَباعدُ

لَعَلَّكِ يوماً أَنْ تَرَيْنِى كأَنَّما ... بَنِىَّ حَوَالَىَّ الأُسُودُ الحَوَارِدُ[1]

فإنَّ تَميماً قَبْلَ أن يَلِدَ الحَصَى ... أَقامَ زَماناً وهْو فى النّاس واحدُ

فوُلِد له بعد ذلك لَبَطَةُ وسَبَطَةُ وخَبَطَةُ ورَكَضَةُ من النَّوَار[2] ، وزَمَعَةُ . وليس لواحد من ولده عقبٌ إلا من النساء .

٨١٩ ● (وأجاد فى قوله : * قالَتْ : وكَيْفَ يَمِيلُ مِثْلُكَ للصِّبَى * البيتين)[3] .

٨٢٠ ● وكان الفرزدقُ معَنًّا مِفَنًّا[4] ، يقول فى كلّ شىء ، وسريعَ

---

(١) الحوارد : الغضاب ، يقال « حرد الرجل فهو حرد وحارد » إذا اغتاظ فتحرش بالذى غاظه وهم به . ومنه قيل « أسد حارد وليوث حوارد » . عن اللسان .

(٢) اضطربت المراجع فى هذه الأسماء . فى ابن خلكان ٢ : ٢٦٦ : « ثم ولد له بعد ذلك عدة أولاد ، وهم : لبطة وسبطة وحبطة وركضة وزمعة ، وكلهم من النوار . . . وقال ابن خالويه : ومن أولاد الفرزدق كلطة وجلطة ، والله أعلم » . وفى اللسان ٩ : ٢٦٤ : « وللفرزدق من الأولاد لبطة وكلطة وجلطة » ونحو ذلك فيه ٩ : ٢٦٣ ولكن ذكر « خبطة » بدل « جلطة » ولم يذكرهما فى مادتيهما . وفى القاموس مادة (كلط) : « وكلطة محركة : ابن للفرزدق » وفى مادة (لبط) : « لبطة : ابن للفرزدق أخو كلطة وحبطة » بالحاء المهملة ، وقال شارحه ٥ : ٢١٤ : « ويروى خبطة بالخاء المعجمة ، وفى بعض النسخ جلطة » . والظاهر عندى أن أصحها ما ذكر المؤلف هنا لموافقته لما ذكر فى الاشتقاق ١٤٧ مع بيان اشتقاق كل منها .

(٣) راجع ٣١٠ ل .

(٤) معن : ذو عنن واعتراض ، أى أنه فصيح يدخل فى كل شىء . مفن : يفتن فى الكلام ، أى يشتق فى فن بعد فن ، يأتى بالأفانين . وكلاهما بكسر أوله وفتح ثانيه وتشديد النون .

الجواب ، فمرَّ بقومٍ ولهم جِنازةٌ ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا : مات أبو الخَنْساء صاحبُ البغَال ، فقال :

لِيَبْكِ أبا الخَنْساء بَغْلٌ وبَغْلَةٌ ومِخْلاةُ سَوْءٍ قدأُضيعَ شَعيرُها
ومِجْرَفَةٌ مَطْروحَةٌ ومِحَسَّةٌ ومقْرَعَةٌ صَفْراءُ بالٍ سُيُورُهَا

٨٢١ ● (ومن إفراطه قوله : * وبَوَّأتُ قِدْرِى * البيتين)[1]

٨٢٢ ● وكان خَلَفُ بن خَليفَةَ ظريفاً شاعرًا راويةً ، وكان «أَقْطَعَ» ، له أصابعُ من جُلُودٍ ، فمرَّ بالفرزدق يوماً فقال له : يا أبا فِرَاس مَن الذى يقولُ :

هُوَ القَيْنُ وابْنُ القَيْنِ لا قَيْنَ مِثْلُهُ لفَطْحِ المَسَاحِى أولجَدْلِ الأَدَاهِمِ ؟[2]

قال الفرزدق : يقولُه الذى يقول :

هو اللصُّ وابْنُ اللّصِ لا لِصَّ مِثْلُهُ لنَقْبِ جِدارٍ أو لِطَرِّ الدَّرَاهِمِ[3]

٨٢٣ ● وأتى حفصاً السَّرَّاجَ يشترى منه سَرْجاً ، فمرَّت به امرأةٌ جميلةٌ وفى يده سرجٌ ينظر إليه ، فألقى السرجَ من يده وقال :

مَنَعَ الحَيَاةَ منَ الرِّجال ونَفْعَهــا حَدَقٌ تُقَلِّبُها النِّساءُ مِراضُ
خَرَجَتْ إلَيْكَ ولم تَكُنْ خَرَّاجَةً فأُصيبَ صَدْعُ فُؤَادِكَ المُنْهاضُ
وكأَنَّ أفئِدَةَ الرِّجالِ إذا رَأَوْا حَدَقَ النِّساءِ لنَبْلِها الأغْراضُ

٨٢٤ ● ورآه خالدُ بنُ صَفْوَانَ يوماً وكان يمازحُه ، فقال : يا أبا فراس

---

(١) سيأتى ٣٠٩ ل

(٢) المساحى : جمع «مسحاة» وهى الآلة التى يجرف بها الطين عن وجه الأرض ويقشر . وفطحها : تعريضها وتسويتها ، وتلك صناعة الحداد . الأداهم : القيود ، واحدها «أدهم» وصف به لسواده ، وكسروه تكسير الأسماء وإن كان فى الأصل صفة لأنه غلب غلبة الاسم . والبيت لجرير وهو فى اللسان ٣ : ٣٧٩ و ١٥ : ١٠٠ .

(٣) سيأتى البيت ص ٤٤٨ ل .

ما أنت بالذى لَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُن[1] ! قال : ولا أنت يا أبا صَفْوانَ بالذى قالت الفتاة فيه لأبيها : يَا أَبَت ٱسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَن ٱسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمينُ[2].

٨٢٥● وجاء عَنْبَسَةُ بن مَعْدانَ إلى باب بِلَال ، فرأى الفرزدق وقد نَعَسَ ، فحرّكه برجله وقال : بلغتَ النارَ يا أبا فراسٍ ؟ ! قال : نعم ورأيتُ أباكَ ينتظرك !

٨٢٦ ● ومَرَّ بيحيى بن الحُضَينِ بن المنذرِ الرَّقَاشِيِّ ، فقال له : يا أبا فراس هل لك فى جَدْى سمينٍ ونبيذٍ زبيبٍ جيِّد ؟ فقال : وهل يأْبَى هذا إلا ابنُ المَرَاغَة ! فانطلقَ به يحيى وبابن عمٍّ له ، فأَكلوا ، ثم دعا بالشراب ، فقال الفرزدقُ : اسْقِنى صرْفاً يا غلام ، فقال يحيى : أمَّا أنا فلا أشربُ صرْفاً ولا غيرَه ، فقال الفرزدقُ : 294

اسْقِنى خَمْساً وخَمْساً وثَلاثاً وٱثْنَتَيْنِ
من عُقَارٍ كدَمِ الجَوْ ف يُجِرُّ الكُلْيتَينِ
واصْرِف الكأسَ عنِ المَحْرُومِ يحيى بْنِ حُضَيْن
واسْقِ هذَيْنِ ثَلاثين يَرُوحَا مَرِحَيْن

٨٢٧● وأَصابتْه الدُّبَيْلَةُ[3] ، فقُدِم به البصرة ، وأُتى بطبيبٍ فسقاه قارًا أبيضَ ، فجعل يقولُ : أَتُعجِّلونَ لى القارَ فى الدنيا ؟ !

٨٢٨●ومات وقد قارب المائة . وقيل له فى مرضه الذى مات فيه :

---

(١) يشير إلى الآية ٣١ من سورة يوسف

(٢) يشير إلى الآية ٢٦ من سورة القصص .

(٣) الدبيلة ، بالتصغير : خراج ودمل كبير تظهر فى الجوف فتقتل صاحبها غالباً .

أذْكُرِ اللهَ ، فسكت طويلا ثم قال :

إلى مَنْ تَفْزَعُونَ إذا حَثَوْتُمْ بأَيْديكُمْ علىَّ منَ التُّرَابِ
ومَنْ هذا يَقُومُ لَكُمْ مَقامِى إذا ماالرِّيقُ غَصَّ بذى الشَّرَابِ

فقالت له مولاةٌ له : نَفزعُ إلى الله ، فقال : أخرِجوا هذه من الوصيَّة ، وكان قد أوصى لها بمائة درهم .

٨٢٩ ● قال أبو عمرو بن العَلاء : كان الفرزدق يُشَبَّه (من شعراء الجاهليه) بزُهَيْرٍ .

٨٣٠ ● وأمّا النَّوارُ امرأةُ الفرزدق فهى ابنة أَعْيَنَ بن ضُبَيعةَ المُجَاشِعىّ ، وكان علىُّ بن أبى طالبٍ رضى الله عنه وجَّه أباها إلى البصرة أيّام الحَكَمَين ، فقتله الخوارجُ غِيلَةً ، فخطب النَّوَارَ رجلٌ من قريش (وأهلُها بالشأم) ، فبعثتْ إلى الفرزدق تسألُه أن يكونَ وليَّها إذْ كانَ ابنَ عمِّها ، (وكان أقرب مَن هناكَ إليها) ، فقال : إنَّ بالشأمَ مَن هو أقربُ إليكِ منى ، ولا آمَنُ أن يَقْدَم قادمٌ منهم فينكرَ ذلك علىَّ ، فأشْهِدى أنَّك قد جعلتِ أمرَكِ إلىَّ ، ففعلتْ ، فخرج بالشهود وقال لهم : قد أشْهَدْتُكم أنَّها قد جعلتْ أمرها إلىَّ ، وإنى أُشْهِدُكُمْ أنى قد تَزوَّجتُها على مائةِ ناقةٍ حمراءَ سوداءَ الحَدَق ، فنَذَرَتْ من ذلك[1] ، واسْتَعْدَتْ عليه ، وخرجتْ إلى عبد الله بن الزُّبير ، والحجازُ والعراقُ يومئذٍ إليه ، وخَرج الفرزدقُ . فأمَّا النَّوَارُ فنزلت على خَوْلَةَ ابنة مَنْظُور بن زَبَّانَ الفَزَارىّ امرأة عبد الله بن الزبير ، فرقَّقَتْها وسألتْها الشفاعةَ لها ، وأمّا الفرزدق فنزل على حمزةَ بن عبد الله بن الزبير ، وهو لِخَوْلَةَ ، ومدَحَه ، فوعَده الشفاعةَ له ، فتكلَّمتْ خولةُ فى النَّوَار ،

295

(١) نذرت : غضبت وفزعت .

وتكلّم حمزةُ فى الفرزدق ، فأَنْجَحَتْ خولةُ (وخاب حمزةُ) ، وأَمَر عبدُ الله ابن الزبير أن لا يَقْرَبَها حتّى يصيرَا إلى البصرة ، فيحتكمَا إلى عامله ، فخرج الفرزدقُ فقال :

أَمَّا بَنُوهُ فلم تُنْجِحْ شفاعتُهم ... وشُفِّعَتْ بِنْتُ مَنْظُورِ بنِ زَبَّانَا

لَيْسَ الشَّفِيعُ الذى يَأْتيكَ مُؤْتَزِرًا ... مِثْلَ الشَّفيعِ الذى يَأْتيكَ عُرْيَانَا

296

وماتت النَّوَارُ بالبصرة مُطَلَّقَةً منه ، وصلَّى عليها الحسنُ البصرىُّ رحمه الله .

٨٣١ ● قال أبو محمد : ولما هجَا الفرزدق بنى مِنْقَر لسبب ظَمْياء ، وهى عَمَّةُ اللَّعين (الشاعر) المِنْقَرىّ[١] ، فقال :

وأَهْوَنُ عَيْبِ المِنْقَرِيَّةِ أَنَّها ... شَديدٌ بِبَطْنِ الحَنْظَلِيّ لُصُوقُهَا [٢]

رَأَتْ منْقَرًا سُودًا قِصَارًا وأَبْصَرَتْ ... فَتًى دارِمِيًّا كالهِلَالِ يَرُوقُهَا

فما أنا هِجْتُ المِنْقَرِيَّةَ للصِّبَى ... ولكنَّها استَعْصَتْ عليها عُرُوقُهَا

استَعْدوا عليه زيادًا ، فهرب إلى المدينة وعليها سعيدُ بنُ العاصى ، فأَمَّنه وأجاره وأظهر زيادٌ أنّه لم يُرِدْ به سُوءًا ، وأنّه لو أتاه لحَبَاه وأكرمه ، فبلغ ذلك الفرزدق فقال[٣] :

دَعَانى زِيادٌ للعَطاء ولم أَكُنْ ... لِأَقْرَبَهُ ما ساقَ ذو حَسَبٍ وَفْرَا

وعنْدَ زِيادٍ لَوْ يُرِيدُ عَطَاءَهُمْ ... رِجالٌ كَثيرٌ قد يَرَى بِهِم فَقْرَا

---

(١) ستأتى ترجمته ٣١٤ ل . ومضت الإشارة إلى ظمياء ٤٧ . وستأتى مرة أخرى ٣١٤ ل .

(٢) مضى البيت ٤٧ .

(٣) القصة مفصلة فى تاريخ الطبرى ٦ : ٣٤ — ١٤٠ .

وإنى لأَخْشَىٰ أَنْ يَكُونَ عَطَاوُهُ أَدَاهِمَ سُودًا أَو مُحَدْرَجَةً سُمْرَا

٨٣٢ ● وخالُ الفرزدقِ هو العَلَاءُ بن قَرَظَةَ الضَّبِّىُّ ، وكان شاعرًا ، وكان الفرزدقُ يقول : إنما أتانِى الشعرُ من قبَلِ خالى ، وخالى الذى يقولُ : 297

إذَا ما الدَّهْرُ جَرَّ على أُناسٍ حَوَادِثَهُ أَناخَ بآخَرِينا

فقُلْ للشامتينَ بنا : أَفيقُوا سَيَلْقَىٰ الشامتُونَ كما لَقينَا

٨٣٣ ● وله يقول جريرٌ :

كَأَنَّ ٱلفَرَزْدَقَ إِذْ يَعُوذ بخـاله مِثْلُ الذَّليلِ يَعُوذُ تحتَ القَرْمَلِ

والقَرْمَلُ : شجر ضعيفٌ ، تقول العربُ : ذَليلٌ عَاذ بقَرْمَلَة[١] .

٨٣٤ ● ولقِىَ الفرزدقُ أَبا هُرَيْرة ، وقال له : يا فرزدقُ أَراكَ صغيرَ القَدَمَيْنِ ، فإن استطعتَ أَن يكونَ لهما غدًا مَقَامٌ على الحوضِ فافعلْ[٢] ، وقال الفرزدقُ : سمعتُ أَبا هريرةُ يقولُ على منبر المدينة : الذبيحُ إِسمعيلُ

٨٣٥ ● وأنشدَ الفرزدقُ سليمانَ بن عبد الملك :

ثَلاثٌ وَٱثْنَتَانِ فهُنَّ خَمْسٌ وسادسَةٌ تَميلُ إلى شِمَامِ

فبِتْنَ جَنَابَتَىَّ مُطَرَّحاتٍ وبتُّ أَفُضُّ أَغْلاقَ الخِتَامِ

كأَنَّ مَفالِقَ الرُّمانِ فيه وجَمْرَ غَضًى قَعَدْنَ عليه حَامِ 298

فقال له سليمانُ : أَحْلَلْتَ بنفسك ، أَقْرَرْتَ عليها عندى بالزِّنا ، وأنا

(١) القرملة : شجرة من الحمض ضعيفة لا ذرى لها ولا سترة ولا ملجأ . وهذا المثل يضرب لمن يستعين بمن لا دفع له وبأذل منه . والبيت فى الأمثال ١ : ٢٤٥ واللسان ١٤ : ٧٣ .

(٢) هذا الأثر نقله الحافظ فى لسان الميزان ٦ : ١٩٩ عن كتاب حسن الظن لابن أبى الدنيا بإسناده إلى « القاسم بن الفضل عن لبطة بن الفرزدق عن أبيه قال : لقيت أبا هريرة فقال : من أنت ؟ فقلت : الفرزدق ، قال : أرى قدميك صغيرتين وكم من محصنة قذفت ! فلما قمت قال : مهما صنعت فلا تقنطن » .

إمامٌ . فلا بُدَّ لى من إقامة الحدِّ عليكَ ! قال : ومن أين أوجبتَه علىَّ ؟ قال : لقول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِى فَاجْلِدُوا كُلَّ واحدٍ منْهُمَا مائةَ جَلْدةٍ ﴾ قال الفرزدق : فإنَّ كتابَ الله يَدْرَؤُه عنى ، يقول الله تبارك وتعالىٰ : ﴿ والشُّعراءُ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُونَ ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فى كُلِّ وادٍ يَهِيمُونَ وأَنَّهُمْ يقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾ فأنا قلتُ ما لم أفعلْ .

٨٣٦ ● وأُتِىَ سليمانُ بأَسرىٰ من الروم ، وعندَه الفرزدق ، فقال له : قم فاضربْ أعناق هولاء ، فاستعفاه من ذلك فلم يُعْفِهِ ، ودَفَع إليه سيفاً كَليلاً ، فقام الفرزدق فضرب به عنقَ رجل منهم ، فنَبَا السيفُ ، فضحكَ سليمانُ ومَنْ حولَه ، فقال الفرزدق :

ما يُعْجِبُ الناسَ أنْ أَضْحَكْتُ خَيْرَهُمُ
خَليفَــةَ الله يُسْتَسْقَىٰ به المَطَرُ

لم يَنْبُ سَيْفِىَ من رُعْبٍ ولا دَهَشٍ
عَنِ الأَسيرِ ، ولكنْ أُخِّرَ القَدَرُ

ولَنْ يُقَدِّمَ نَفْساً قَبْلَ مِيتَتِها
جَمْعُ اليَدَيْنِ ولا الصَّمْصامَةُ الذَّكَرُ

وفى ذلك يقول جريرٌ :

بسَيْفِ أبى رَغْوَانَ قَيْنِ مُجَاشعٍ
ضَرَبْتَ ولم تَضْرِبْ بسَيْفِ ابنِ ظَالمٍ[1]

ضرَبْتَ به عنْدَ الإمامِ فأُرْعِشَتْ
يَدَاكَ ، وقالوا : مُحْدَثٌ غَيْرُ صارِمِ

---

(١) ب د و نسخة بهامش ف « سيف مجاشع » . وابن ظالم ؛ هو الحرث بن ظالم المرى ، وانظر ٨٨ المفضلية .

فأجابه الفرزدق :

299 ولا نَقْتُلُ الأَسْرَى ولكن نَفُكُّهُمْ
إذا أَثْقَلَ الأَعْناقَ حَمْلُ المَغارِمِ
وهَلْ ضَرْبَةُ الرُّومِىِّ جاعلَةٌ لَكُمْ
أَباً عن كُلَيْبٍ أَو أَخاً مِثْلَ دارِمِ

٨٣٧ ● ودخل الفرزدق على يزيدَ بن المُهَلَّب فى الحبس فقال :

أَصْبَحَ فى قَيْدِكَ السَّماحَةُ وَالْ ... جُودُ وحَمْلُ الدِّياتِ والإِفْضالُ

فقال له : أتمدحنى وأنا على هذه الحال ؟ ! قال : أَصبتُك رخيصاً فأسلفتُك .

٨٣٨ ● وممّا سَبق إليه فأُخذ منه أو سُبِق إليه فأَخذه قولُه :

ومُنْتَكِثٍ عالَلْتُ بالسَّوْط رَأْسَه ... وقد كَفَرَ اللَّيْلُ الخُرُوقَ الخَوالِيَا[1]

يعنى بالمنتكث بعيرًا انتكثَ أى هُزِلَ ، وقال الآخرُ فى وصف سَوْطٍ :

ومُنْتَكِثٍ عالَلْتُ مُلْتاثَةً به ... وقد حَدَرَ اللَّيْلُ النُّسُورَ العَواليَا[2]

٨٣٩ ● وأُخذ عليه قولُه :

وعَضُّ زمانٍ يا ابنَ مَرْوَانَ لم يَدَعْ ... منَ المالِ إلا مُسْحَتاً أو مُجَلَّفُ

وقد أكثر النحويّون فى الاحتيال لهذا البيت ، ولم يأتوا فيه بشىء يُرتضى[3]

٨٤٠ ● وقولُه * وعندِى حُساما سَيْفِهِ وحمائِلُهْ *

---

(١) كفر الليل الخروق : سترها . والبيت فى اللسان ٣ : ١٩ غير منسوب .

(٢) حدر النسور : حطها من علو إلى سفل فانحدرت .

(٣) مضى البيت ٨٩ وانظر أيضاً الخزانة ١ : ١١٥ و ٢ : ٣٤٧ — ٣٥١ وقد أفاض القول فيه .

أراد حسامَ سيفه فثنّى ، ومثلُه لقيس بن الخَطيم يصفُ الدرعَ :

* كأنَّ قتيرَيْها عُيُونُ الجَنَادِبِ *

أراد قَتِيرَها ، والقَتِيرُ : مساميرُ الدرع ، ومثلُه قولُ جريرٍ :

300 لمَّا تَذَكَّرْتُ بالدَّيْرَيْنِ أرَّقَنى صَوْتُ الدَّجاجِ وقَرْعٌ بالنَّوَاقِيسِ

أراد دَيْرَ الوليد ، فثنّى ، وهو دير مشهور بالشأم .

٨٤١ ●وعابه الأخطلُ بقوله :

أبَنِى غُدانَةَ إننى حَرَّرْتُكُمْ فوَهَبْتُكُمْ لعطِيَّةَ بن جِعَالِ

لَوْلَا عَطِيَّةُ لَاجْتَدَعْتُ أنُوفَكُمْ من بَيْنِ ألْأَمِ آنُفٍ وسِبَالِ

وقال : كيف يَهَبُهم له وهو يهجوهم هذا الهجاءَ ؟ ! وقال عطيّةُ بن جِعَالٍ حين سمع هذا : ما أسرعَ ما رَجَع أخى فى عطيّته .

٨٤٢ ●(ومن جيّد الشعر قوله لجرير :

فإنْ تَكُ كَلْباً من كُلَيْبٍ فإننى مِنَ الدارِمِيِّينَ الطِّوَالِ الشَّقَاشِقِ[١]

هُمُ الداخِلُونَ البَيْتَ لا تَدْخُلُونَهُ على المَلْكِ ، والحامُونَ عِنْدَ الحَقَائقِ

ونَحْنُ إذا عَدَّتْ مَعَدٌّ قَدِيمَها مَكانَ النَّواصِى من وُجُوه السَّوَابِقِ

وقولُه يهجوه : * ولَوْ يُرْمَى بلُؤْمِ بَنِى كُلَيْبٍ * الأبيات)[٢]

٨٤٣ ●ومات الفرزدقُ قبلَ جرير[٣] ، فلما بلغَ جريراً موتُه قال :

(١) الشقاشق : جمع « شقشقة » بكسر الشينين ، وهى جلدة فى حلق البعير العربى ينفخ فيها الريح فتنتفخ فيهدر فيها ، ومن ذلك سمى الخطباء بالشقاشق ، تشبيهاً للمكثار بالبعير الكثير الهدر ، وشبه لسانه فى طوله بالشقشقة . ثم قالوا : « فلان شقشقة قومه » أى شريفهم وفصيحهم .

(٢) سيأتى ص ٣٠٩ ل

(٣) مات الفرزدق سنة ١١٠ وقد قارب المائة ، ولد فى خلافة عمر ، ومكث يقول الشعر ٦٤ سنة .

هَلَكَ الفَرَزْدَقُ بَعْدَما جَــدَّعْتُهُ لَيْتَ الفَرَزْدقَ كان عاشَ قَلِيلَا

ثم أطرق طويلاً وبكى ، فقيل له : يا أبا حَزْرَةَ ما أبكاك ؟ قال : بكيتُ لنفسى ، إنَّه والله قلَّ ما كان اثنان مثلَنا أو مصطحبانِ أو زوجانِ إلَّا كان أمَدُ ما بينهما قريباً ، ثم أنشأ يقولُ مُرَثِّياً له[1] :

301

فُجِعْنا بِحَمَّالِ الدِّيَاتِ ابْنِ غالِبٍ وحامِى تَمِيمٍ عِرْضَها والبَرَاجِمِ

بَكَيْنَاكَ حِدْثانَ الفِراق ، وإنَّما بَكَيْناك إذ نابَتْ أُمُورُ العظائِم

فلا حَملَتْ بَعْدَ ابْنِ لَيْلَى مَهِيرَةٌ ولا شُدَّ أنْسَاعُ المَطِىِّ الرَّواسِمِ[2]

---

(١) رثى الميت : ثلاثى ، ويأتى رباعيا بالتضعيف « رثاه ترثية » .

(٢) المهيرة : الغالية المهر .

٨٧ ـ الأخطل

٨٤٤ ● هو غيَاثُ بن غَوْثٍ ، من بنى تَغْلِبَ ، من فَدَوْكَسٍ ، ويُكنى أبا مالكٍ .

٨٤٥ ● وقال مَسْلَمَةُ بن عبد الملك : ثلاثةٌ لا أسأَلُ عنهم ، أنا أعلمُ العرب بهم : الأَخطلُ والفرزدق وجرير ، فأَمّا الأَخطلُ فيجىءُ سابقاً أبدًا ، وأمّا الفرزدق فيجىءُ (مرّةً سابقاً ومرّةً) ثانياً ، وأَمّا جريرٌ فيجىءُ سابقاً مرّةً وثانياً مرّةً وسُكّيْتًا(١) مرّةً .

٨٤٦ ● وكان (الأَخطل) يُشَبَّه (من شعراء الجاهليه) بالنابغة الذُّبْيانىّ .

٨٤٧ ● ودخل على عبد الملك بن مروان فقال : يا أمير المومنين قد امتدحتُك ، فقال : إن كنتَ تُشبِّهنى بالحية والأَسد فلا حاجةَ لى بشعرك ! وإن كنتَ قلتَ مثل ما قالتْ أختُ بنى الشريد ، يعنى الخَنْساءَ ، فهاتِ ، فقال :

وما بلغَتْ كَعْبُ امْرِئٍ مُتَطاولٍ به المجْدُ إلاّ حَيْثُ ما نلْتَ أطوَلُ
وما بَلغَ المُهْدُونَ فى القوْلِ مِدْحَةً ولَوْ أكْثَرُوا ، إلاّ الذى فيكَ أفْضَلُ

٨٤٨ ● وكان الأَخطلُ يمدح بنى أميةَ ، مدَحَ معاويةَ ويزيدَ ومَن بعدهم من خلفاءِ بنى مروانَ حتّى هلك .

302

٨٤٩ ● وقال أبو عُبيدة : حدَّثنى أبو حَيَّةَ النُّمَيْرىُّ قال : حدَّثنى

---

(١) السكيت : بضم السين وتشديد الكاف وتخفيفها أيضاً : الذى يجىء فى آخر الحلبة آخر الخيل .

الفرزدق قال : كُنَّا فى ضيافةِ معاوية ومعنا كعبُ بن جُعَيْل التغلبىّ الشاعرُ ، فقال له يزيدُ بن معاويةَ : إنَّ عبدالرحمن بنَ حسَّانَ قد فضَح عبد الرحمن بن الحكمِ وغلَبه وفَضَحنَا ، فاْهْجُ الأنصار ، فقال له كعبٌ : أرادِّى أنت إلى الشِّرك ؟ أَهْجُو قوماً نَصروا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وآوَوْهُ ! ولكنى أَدلُّكَ على غلامٍ منَّا نصرانىٍّ ما يُبالى أن يهجوَهم ، كافرٌ شاعرٌ كأَنَّ لسانَه لسانُ ثَور ! قال : ومَن هو؟ قال: الأَخطلُ ، فدعاه وأَمره بِهجائهم ، فقال : على أن تمنعنى منهم ؟ قال : نعم ، فقال شعرًا فيه :

ذَهَبَتْ قُرَيْشٌ بالسَّماحَةِ والنَّدَى ۝ واللُّؤْمُ تَحْتَ عَمَائِمِ الأَنصارِ
فذَرُوا المَعالِىَ لَسْتُمُ من أَهْلِها ۝ وخُذُوا مَساحِيَكُمْ بَنِى النَّجَّارِ[1]

فغَضِبَ النعمانُ بنُ بَشيرٍ ، ودخل على معاويةَ فوضع عمامته بين يديه ، وقال : هل تَرَى لؤماً ؟ قال : بل أرى كَرَماً وحَسَباً ، (فما ذلكَ)؟ فأَنشدَه قولَ الأَخطل واستوهبَه لسانَه ، فوهبه له ، فبلغَ ذلك الأَخطلَ ، فعاذ بيزيدَ ، فمنَعه وصارَ إلى أَبيه ، فقال : يا أَمير المومنين أَتَهَبُ لسانَ مَن رَدَّ عنك وغَضِب لكَ ؟ ! قال : ومَن اهَجَانَا ؟ قال : عبد الرحمن بنُ حسّانَ ، وأنشده قولَه فى رَمْلَةَ بنت معاويةَ : 303

(وهْىَ زَهْراءُ مِثْلُ لُؤْلُؤَة الغَـــوَّاصِ مِيزَتْ من جَوْهَرٍ مَكْنُونِ[2]

قال : ما كذَب يا بُنَىّ ، فأَنشدَه :

وإذا ما نَسَبْتَها لم تَجِدْها ۝ فى سَنَاءٍ منَ المَكارِمِ دُونِ

قال : قد صدَق يا بنىّ ، فأَنشدَه) :

---

(١) المساحى : جمع مسحاة ، وهى آلة من حديد تقشر بها الأرض .

(٢) انظر اللسان ١٧ : ٨٨ — ٨٩و ٥ : ٣٢٤ .

ثُمَّ خاصَرْتُها إلى القُبَّة الخَضْـ ـرَاءِ تَمْشِى فى مَرْمَرٍ مَسْنُونِ

(فقال : أمّا فى هذا فقد أبْطَلَ) .

٨٥٠ ● ولما قَتَلَتْ بنو تغلبَ عُمَيْرَ بن الحُبَاب السلَمِيَّ أنشد الأخطلُ عبدَ الملك (بن مروانَ) ، والجَحَّافُ السُّلَمِيُّ عندَه ، فى شعرٍ له :

أَلَا سَائِلِ الجَحَّافَ هَلْ هو ثائرٌ بقَتْلَى أُصِيبَتْ من سُلَيْمٍ وعامِرِ

فخرج الجحَّافُ (من فَوْره ذلك) مُغْضَباً حتَّى أغار على البِشْر ، وهو ماءٌ لبنى تغلبَ ، وقَتَل منهم ثلاثةً وعشرين رجلا ، وقال :

أَبا مالِكٍ هل لُمْتَنِى مُذْ حَضَضْتَنِى على القَتْلِ ، أم هَلْ لامَنِى لَكَ لائِمُ

متى تَدْعُنِى أُخْرَى أُجِبْكَ بمِثْلِهـا وأَنْتَ امْرُؤٌ بالحَق لَيْسَ بعالِمِ[1]

فخرج الأخطلُ حتَّى أتى عبدَ الملك بنَ مروانَ وقد قال :

لَقَدْ أَوْقَعَ الجَحَّافُ بالبِشْرِ وقْعَةً إلى اللهِ منها المُشْتَكَى والمُعَوَّلُ

فإلَّا تُغَيِّرْها قُرَيْشٌ بمُلْكِها يَكُنْ عن قُرَيْشٍ مُسْتَمازٌ ومَزْحَلُ[2]

فقال له عبدُ الملك : إلى أين يا ابنَ اللَّخْناء ؟ ! قال : إلى النار 304 (يا أمير المومنين ! قال : أما والله لو غيرَها قلتَ لضربتُ عنقَكَ .

٨٥١ ● ونزَل الأخطلُ على سعيد بن بَيَان التغلبيّ ، وكان سعيدٌ رجلا دميما أعورَ ذا مالٍ كثيرٍ ، وكان سيِّدَ بنى تَغلبَ بالكوفة ، وكانت تحتَه برَّةُ بنتُ أبى هانئٍ التغلبيّ ، وكانت من أجمل النساء ، فاحتفلَ له سعيدٌ وأحسنَ صلتَه وأكرمه ، فلمّا أخذت الكأسُ من الأخطل جعلَ ينظرُ إلى وجه بَرَّةَ وجمالها وإلى دمامة زوجها وعَوَرِه ! فتعجَّبَ منها ومن صبرها عليه ،

---

(١) س ف « لست بعالم » .

(٢) مستماز : موضع ينفصل إليه ويتباعد . مزحل ، بالزاى : موضع يزحل إليه ، أو يتنحى ويتباعد . أو كلاهما مصدر ميمى . والبيت فى اللسان ٧ : ٢٨٠ وعجزه فيه ١٣ : ٣٢٢ .

فقال له سعيدٌ : يا أبا مالكٍ ، أنت (رجل) تدخلُ على الخلفاءِ والملوك وتنظُر إلى هيئتهم وتأكلُ من طعامهم وتشربُ من شرابهم : فأينَ ترى هيئتَنا من هيئتهم ؟ وهل ترى عيباً تُنبِّهُنا عليه ؟ ! فقال له الأخطل : ما لِبَيْتك عيبٌ غيرُكَ ! فقال له سعيدٌ : أنا واللهِ أحمقُ منكَ يا نصرانيُّ حينَ أدخلتُكَ منزلي ، وطَرَدَه ، فقال :

وكَيْفَ يُدَاوِيني الطَّبيبُ منَ الجَوَى ... وبَرَّةُ عِنْدَ الأَعْوَرِ ابنِ بَيَانِ

ويُلْصِقُ بَطْناً مُنْتِنَ الرِّيحِ مُجْرِزاً ... إلى بَطْنِ خَوْدٍ دائمِ الخَفَقَانِ[1]

يُنَهْنِهُنِي الأَحْراسُ عنها ، ولَيْتَني ... قَطَعْتُ إليها اللَّيْلَ بالرَّسَفَانِ[2]

فهَلاَّ زَجَرْتِ الطَّيْرَ إذْ جاءَ خاطباً ... بضَيْقَةَ بَيْنَ النَّجْمِ والدَّبَرَانِ[3]

305

٨٥٢ ● وممّا سَبق إليه الأخطل فأُخذ منه قولُه :

قَرْمٍ تُعَلَّقُ أَشْنَاقُ الدِّيَاتِ به ... إذَا المِؤُونَ أُمِرَّتْ فَوْقَهُ حَمَلَا[4]

---

(١) مجرزاً : لعله يريد أكولا ، يقال « جرز جرزاً » : أكل أكلا وحيا ، و « الجروز » : الأكول ، وقيل : السريع الأكل ، ولم أجد هذا الفعل رباعيا إلا قولهم « أجرزت الناقة فهي مجرز » إذا هزلت .

(٢) ينهنهني : يكفني . الرسفان : المشي في القيد رويداً . والبيت في اللسان ١١ : ١٨ .

(٣) ضيقة : ضبطت في الأصول والديوان ٢٣٣ بفتح الضاد ، وضبطت بالقلم في اللسان بكسرها ، وفي القاموس الوجهان . قال في اللسان ١٢ : ٧٨ : « والضيقة : ما بين كل نجمين ، والضيقة كوكبان كالملتزقين صغيران بين الثريا والدبران . وضيقة : منزلة للقمر بلزق الثريا مما يلي الدبران ، وهو مكان نحس على ما تزعم العرب . قال الأخطل . . . قال ابن قتيبة : وربما قصر القمر عن الدبران فنزل بالضيقة ، وهما النجمان الصغيران المتقاربان بين الثريا والدبران . حكى هذا القول عن أبي زياد الكلابي . قال أبو منصور : جعل ضيقة معرفة لأنه جعله اسماً علماً لذلك الموضع ، ولذلك لم يصرفه ، وأنشده أبو عمر وبضيقه بكسر الهاء ، جعله صفة ولم يجعله اسماً للموضع ، أراد : بضيقة ما بين النجم والدبران » . النجم ، ههنا : الثريا ، هو كالعلم لها . الدبران : نجم بين الثريا والجوزاء ، وهو من منازل القمر ، سمي دبرانا لأنه يدبر الثريا أي يتبعه ، لزمته الألف واللام لأنهم جعلوه الشيء بعينه . والبيت في اللسان أيضاً ١٦ : ٤٧ .

(٤) قرم : الجر تبعاً لما قبله . والرفع على القطع . والقرم من الرجال : السيد المعظم . أشناق =

أخذه الكُمَيْتُ فقال :

كأنَّ الدِّيَاتِ إذا عُلِّقَتْ ... مِؤُوها به الشَّنَقُ الأَسْفَلُ

وأَشناقُ الديَات : أصنافُها من الحِقَاق والجِذَاع وأَشباهها .

٨٥٣ ● وقال الأَخطلُ :

أَجَرِيرُ إنَّكَ والذى تَسْمُو له ... كأَسِيفَةٍ فَخَرَتْ بِحِدْجِ حَصَانِ[1]

أخذه الطِّرِمَّاحُ فقال :

كفَخْرِ الإماءِ الرَّائحات عَشيَّةً ... بِرَقْمِ حُدُوجِ الحَىِّ لَمَّا استَقَلَّتِ

٨٥٤ ● ومما أُخذ عليه قولُه فى عبد الملك بن مروانَ :

وقد جَعَلَ اللهُ الخلافَةَ مِنْهُمُ ... لِأَبْيَضَ لا عارِى الخِوانِ ولاجَدْبِ

وهذا مما لا يجوز أن يُمدح به خليفةٌ ، ويجوز أن يُمدحَ به غيرُه ، كقول الآخر :

إلَى امْرِئٍ لا تَخَطَّاه الرِّفَاقُ ولا ... جَدْبِ الخوَانِ إذَا ما اسْتُنْشِئَ المَرَقُ

٨٥٥ ● وأُخذ عليه قولُه فى رجل من بنى أَسَد أجارَه[2] :

نِعْمَ المُجيرُ سِمَاكٌ من بنى أَسَد ... بالطَّفِّ إذْ قَتَلَتْ جيرانَها مُضَرُ[3]

= الديات: أصنافها ، يتحمل الديات فيؤديها ليصلح بين العشائر ويحقن الدماء ، والشنق أيضاً : أن يزيد على المائة خمساً أو ستاً على الحمالة ، يقول : فهو يحتمل الديات كاملة . وقد يفعل العرب هذا ، إذا حمل أحدهم حمالة زاد عليها ليقطع ألسنتهم . قاله أبو سعيد السكرى فى شرح ديوان الأخطل ١٤٣ — ١٤٤ . والبيت فى اللسان ١٢ : ٥٧ وشرحه شرحاً طويلا .

(١) : الأسيفة : الأمة . الحدج : مركب من مراكب النساء . الحصان ، بفتح الحاء : المرأة العفيفة ، وأراد بها ههنا الحرة مقابل الأمة . والبيت فى الديوان ٢٧٣ .

(٢) س ف «لسماك بن حمير الأسدى» وفى س «بن حميرى» . والبيتان فى الديوان ٢٢٢—٢٢٣.

(٣) الطف : أرض من ناحية الكوفة فى طريق البرية ، تشرف على ريف العراق ، فيها كان مقتل الحسين بن على رضى الله عنه .

306 قد كُنْتُ أحْسِبُهُ قَيْناً وأُنْبَـــؤُهُ   فاليَوْمَ طُيِّرَ عن أثْوابِه الشَّرَرُ

وكان يقالُ لرهطه القُيُونُ ، وقال الأخطل : فلمّا أجارنى وأحسنَ إلىَّ طار الشَّررُ عن أثوابه ، أى بَطَل هذ اللقبُ . وهذا مدحٌ كالهِجَاء[1] !

٨٥٦ ● (وقولُه لسُوَيْدِ بن مَنْجُوفٍ يهجوه :

وما جِذْعُ سَوْءٍ خَرَّبَ السُّوسُ وسْطَهُ   لِمَا حَمَّلْتَهُ وائِلٌ بِمُطِيق

فقال سُوَيْدٌ : هجوتَنى بزعمك فمدحتنى ، لأنَّك جعلتَ وائلا حَمَّلَتْنى أمرَها ، وما طمعتُ فى بنى تغلبَ منها[2] !

* * *

٨٥٧ ● ومِمّا يُستجاد من شعر جريرٍ والفرزدقِ والأخطل :

قولُ جريرٍ لأبيه أو جدِّه[3] :

فأنْتَ أبى ما لم تكُنْ لِىَ حاجَةٌ   فإنْ عَرَضَتْ أيْقَنْتُ أنْ لا أبَالِيَا[4]

وإنى لمَغْرُورٌ أُعَلَّلُ بالمُنَى   لَيَالِىَ أرْجُو أنَّ مالَكَ مالِيَا

بأىِّ نِجادٍ تَحْمِلُ السَّيْفَ بَعْدَما   قَطَعْتَ قُوًى من مِحْتَمَلٍ كان باقيَا

بأىِّ سنانٍ تَطْعُنُ القَوْمَ بعدما   نَزَعْتَ سنَاناً من قَنَاتِكَ ماضِيَا

ألم أكُ نارًا يَصْطَلِيها عَدُوُّكُمْ   وحِرْزًا لِمَا ألْجَأْتُمُ مِنْ وَرَائِيَا

وباسِطَ خَيْرٍ فيكُمُ بيَمِينِه   وقابِضَ شَرٍّ عَنْكُمُ بشِمالِيَا

(١) فى الأغانى ٧ : ١٧٥ أن سماكا قال له : يا أخطل أردت مدحى فهجوتنى ، كان الناس يقولون قولا فحققته» ! وفيه أيضاً ٧ : ١٦٧ — ١٦٨ أن الجلاح بن ضوء قال له : « لو أردت المبالغة فى هجائه ما زدت على هذا » !

(٢) رواية الأغانى ٧ : ١٧٥ أن سويداً . أخذ عليه هذا والذى قبله ، قال له : « والله يا أبا مالك ما تحسن تهجو ولا تمدح ! لقد أردت مدح الأسدى فهجوته ، وذكر البيت السابق — وأردت هجائى فمدحتنى ، جعلت وائلا حملتنى أمورها ، وما طمعت فى بنى تغلب فضلا عن بكر » !

(٣) من قصيدة فى الديوان ٦٠١ — ٦٠٦ والنقائض ١٧٢ — ١٨٠ .

(٤) سبق صدره : ٤٦١ .

أَلَا لَا تَخَافَا نَبْوَتِى فى مُلِمَّةٍ   وخافا المَنَايا أَنْ تَفُوتَكُما بِيَا[1]

٨٥٨ ● وقولُه[2] :

يا أُخْتَ ناجِيَةَ السَّلامُ عَلَيْكُمُ   قَبْلَ الرَّحِيلِ وقَبْلَ لَوْمِ العُذَّلِ   307
لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ آخِرَ عَهْدِكُم   يَوْمُ الرَّحِيلِ فَعَلْتُ ما لم أَفْعَلِ
أَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ وشْكَ بَيْنٍ عاجِلٍ   لَقَنِعْتُ أَو لَسَأَلْتُ ما لم أَسْأَلِ

٨٥٩ ● وقَدِم جريرٌ المدينةَ فأتاه الشعراءُ وغيرُهم ، وأتاه أَشْعَبُ فيهم ، فسلَّموا عليه وحادثوه ساعةً ، ثم خرجوا وبقىَ أشعبُ ، فقال جريرٌ له : أراكَ قبيحَ الوجهِ وأراكَ لئيمَ الحسب ! ففيمَ قعودُكَ وقد خَرج الناسُ ؟ فقال له أشعبُ : إنه لم يَدخل عليكَ أحدٌ هو أنفعُ لكَ منّى ! قال : وكيف ذاكَ ؟ قال : لأنى آخذُ رقيقَ شعرِكَ فأُزَيِّنُه بحسن صوتى ، فقال له جريرٌ : فَقُلْ فاندفعَ أشعبُ يَتَغَنَّى : * يا أُختَ ناجِيَةَ السلامُ عليكمُ *

فاستخفَّ جريرًا الطربُ لِغنائه بشعره ، حتَّى زَحَفَ إليه فاعتنقَه ، وسأله عن حوائجه ، فأخبره فقضَاها .

٨٦٠ ● وقولُه فى الفرزدق[3] :

لَقَدْ وَلَدَتْ أُمُّ الفَرَزْدَقِ فاجِرًا   فجاءتْ بِوَزْوَازٍ قَصيرِ القَوَائِمِ[4]

---

(١) فى النقائض : « نبوتى : أى أن أنبو عما أدعى إليه : يقول : لا تخافا أن أنبو عنكما إن ألمت بكما ملمة ما عشت : وخافا ذلك منى إذا مت » .

(٢) من قصيدة فى الديوان ٤٤٢ — ٤٤٨ والنقائض ٢١١ — ٢٣١ ، والبيتان الأولان مضيا ١٢ .

(٣) من قصيدة فى الديوان ٥٥٩ — ٥٦٥ والنقائض ٣٩٤ — ٤٢٧ وبعضها فى الخزانة ٣ : ٧٤ والبيت الأول من هذه الأبيات كرره جرير فى قصيدة أخرى فى الديوان ٥٥٨ والنقائض ٧٦٧ ومضى صدره ٤٦٧

(٤) الوزواز : الخفيف الكثير النزوان والتحرك ، نسبه إلى الطيش والخفة .

وما كان جارٌ للفَرَزْدقَ مُسْلِمٌ ... ليَأْمَنَ قِرْدًا لَيْلُهُ غَيْرُ نائمِ

يُوَصِّلُ حَبْلَيْه إذا جَنَّ لَيْلُهُ ... لِيَرْقَى إلى جاراته بالسَّلالمِ

أَتَيْتَ حُدُودَ اللهِ مُذْ أنتَ يافعٌ ... وشبْتَ فمايَنْهاكَ شَيْبُ اللَّهازِمِ[1]

تَتَبَّعُ فى الماخُورِ كلَّ مُرِيبَةٍ ... ولَسْتَ بأَهْلِ المُحْصَنَاتِ الكَرَائمِ

هو الرِّجْسُ يا أهْلَ المَدينَة فاْحْذَرُوا ... مَدَاخلَ رِجْسٍ بالخَبيثاتِ عالمِ

لَقَدْ كان إخْراجُ الفَرَزْدَقِ عَنْكُمُ ... طَهُورًا لما بَيْنَ المُصَلَّى ووَاقمِ[2]

308 وقد كان عُمر بن عبد العزيز رحمه حين بلغه فجورُ الفرزدق نفاه عن المدينة .

تَدَلَّيْتَ تَزْنى من ثَمانينَ قامَةً ... وقَصَّرْتَ عن باعِ العُلَى والمَكارِمِ

٨٦١ ● أراد قولَ الفرزدق[3] :

هُمَا دَلَّتانى من ثَمانينَ قامَةً ... كَمَا انْقَضَّ بازٍ أَقْتَمُ الرِّيشِ كاسِرُه

فلمّا اسْتَوَتْ رِجْلاىَ فى الأَرضِ قالَتَا ... أَحَىٌّ يُرَجَّى أَمْ قَتيلٌ نُحـاذِرُهْ

فقُلْتُ : ارْفَعَا الأَسبابَ لايَشْعُرُوابِنا ... وأَقْبَلْتُ فى أَعْجازِ لَيْلٍ أُبادِرُهْ

أُبادِرُ بَوَّابَيْنِ قد وُكِّلا بِنَا ... وأَحْمَرَ من ساجٍ تَبِصُّ مَسامِرُهْ[4]

٨٦٢ ● ومن جيِّد شعر جرير مرثيتُه أمَّ حَزْرَةَ امرأتَه ، وكان جرير يُسمِّيها

---

(١) اللهازم : أصول اللحيين ، جمع لهزمة ، بكسر اللام والزاى .

(٢) واقم : أطم من آطام المدينة ، وحرة واقم إلى جانبه نسبت إليه . ولإخراج الفرزدق من المدينة قصة ذكرت فى النقائض .

(٣) من قصيدة فى ديوانه ٢٥٥ — ٢٦٢ ومنها أبيات فى المحاسن والمساوى ٢٣٤ . والأبيات فى الخزانة ٣ : ٧٤ .

(٤) الساج : خشب يجلب من الهند . تبص : تبرق وتتلألأ وتلمع . المسامر : المسامير ، وحذف الياء فى مثل هذا جائز فى غير الضرورة عند الكوفيين ووافقهم ابن مالك . انظر همع الهوامع ٢ : ١٨٢ .

الجَوْسَاء ، لذهابها فى البلاد ، وأوّلُها[١] :

لَوْلَا الحَيَاءُ لَعادَنى استعْبارُ ... وَلَزُرْتُ قَبْرَكِ والحَبِيبُ يُزَارُ[٢]

ولَّهتِ قَلبى إذْ عَلَتْنى كَبْرَةٌ ... وذَوُو التَّمائمِ من بَنيكِ صغارُ

لا يُلْبِثُ الأحبابَ أَنْ يَتَفَرَّقُوا ... لَيْلٌ يَكُرُّ عَليهمُ ونَهارُ[٣]

صَلَّى المَلَائكَةُ الذينَ تُخيِّرُوا ... والطَّيِّبُونَ عليكِ والأبْرَارُ

(فلقد أراكِ كُسيت أَحْسَنَ مَنْظَر ... ومَعَ الجَمَالِ سَكِينَةٌ ووَقارُ)

كانَتْ إذا هَجرَ الحَبِيبُ فِرَاشَها ... خُزِنَ الحَديثُ وعَفَّتِ الأَسْرارُ[٤]

٨٦٣ ● وقولُه[٥] :

كيف العَزاءُ ولم أجِدْ مُذْ بِنْتُمُ ... قَلْباً يَقَرُّ ولا شَراباً يَنْقَعُ[٦]

ولقد صَدَقْتُكِ فى الهَوَىٰ وكَذَبتنى ... وخَلَفْتِنى بمَواعــد لا تَنْفَعُ[٧]

---

(١) من قصيدة فى ديوانه ١٩٩ – ٢١٠ والنقائض ٨٤٧ – ٨٦٥ واسم زوجه فى النقائض « خالدة بنت سعد بن أوس » إلخ وهى أم ابنه حزرة . وفى النقائض : قال عمارة بن عقيل : كان جرير يسمى هذه القصيدة الجوساء ، وذلك لذهابها فى البلاد . قال أبوعبد الله : ما أعرفها إلا الحوساء، وما أعرفها بالجيم » . والظاهر أنهما كليهما صحيحان ، الجيم والهاء ، الجوس : التردد والطواف . والحوس . نحوه فى المعنى ، وقد قرئ قوله تعالى : (فجاسوا خلال الديار) بالجيم وبالحاء ، قال الفراء : « جاسوا حاسوا : بمعنى واحد ، يذهبون ويجيئون » (٢) سبق صدره ٤٦٧ .

(٣) البيت فى اللسان ٣ : ٣ غير منسوب مع خلاف فى الرواية .

(٤) س ب « الخليل » وفى النقائض « الحليل » بدل « الحبيب » وفى النقائض : « هجره ههنا أن يغيب عنها فيهجر فراشها ، فأما إذا أقربت فهى أكرم عليه من أن يهجر فراشها . وقوله : خزن الحديث ، يقول : لا تحدث أحداً بريبة ، يقول : وإن هجرها حليلها وهو زوجها لم تظهر له سراً وإن غضبت على زوجها عند هجرانه فراشها قال : والسر هو النكاح بعينه . وهو من قول الله عز وجل : (ولكن لا تواعدوهن سراً) يعنى نكاحاً . والمعنى فى ذلك يقول : ليس عندها إلا العفاف » .

(٥) من قصيدة فى الديوان ٣٤٠ – ٣٥١ والنقائض ٩٦١ – ٩٨١ وهى ١٢٢ بيتاً ، يهجو فيها الفرزدق ويهجو جميع الشعراء ، كما فى النقائض . (٦) ينقع : يروى ، النقع : الرى .

(٧) خلفتنى : من قولهم « خلف فلان بعقبى » إذا فارقه على أمر ثم جاء من ورائه فجعل شيئاً آخر بعد فراقه . ورواية النقائض « وخلبتنى » بالباء ، أى كذبتنى ، وقال الأصمعى : « خلبتنى : ذهبت بعقلى » .

حَيُّوا الدِّيارَ وسائلُوا أطْلالَها ... هَلْ تَرْجِعُ الخَبَرَ الدِّيارُ البَلْقَع
ولقد حبَسْتُ لَكَ المَطِيَّ فلم يَكُنْ ... إلا السَّلامُ ووَكْفُ عَيْنٍ تَدْمَعُ
بانَ الشَّبَابُ حَمِيدَةً أيَّامُهُ ... لَوْ أنَّ ذلكَ يُشْتَرَىٰ أو يَرْجِعُ
رَجَفَ العِظَامُ منَ البِلَىٰ وتَقَادَمَتْ ... سنِّى وفِىٌّ لمُصْلحٍ مُسْتَمْتَعُ

وفيها يقول :

زَعَمَ الفرَزْدَقُ أن سَيَقْتُلُ مِرْبَعاً ... أبْشِرْ بِطُولِ سَلَامَةٍ يا مِرْبَعُ[1]

* * *

٨٦٤ ● وممّا يُختار للفرزدق قولُه يهجو بنى كُلَيْبٍ :

ولَوْ تُرْمَى بلُؤْمِ بنى كُلَيْبٍ ... نُجُومُ اللَّيْلِ ما وَضَحَتْ لسارِى[2]
ولو لَبِسَ النَّهارَ بَنُو كُلَيْبٍ ... لدَنَّسَ لُؤْمُهُمْ وَضَحَ النَّهارِ
وما يَغْدُو عَزِيزُ بنى كُلَيْبٍ ... لِيَطْلُبَ حاجَةً إلا بجَار

٨٦٥ ● ومن إفراط الفرزدق قولُه فى العُذَافِر بن زيد :

لَعَمْرُكَ ما الأَرْزَاقُ حينَ اكْتِيالِها ... بأكْثَرَ خَيْرًا من خِوانِ العُذَافِرِ
ولو ضافَهُ الدَّجَّالُ يلْتَمِسُ القِرَىٰ ... وحَلَّ على خَبَّازِهِ بالعَساكِرِ
بعِدَّةِ ياجُوجٍ وما جُوجَ كُلِّهِمْ ... لأَشْبَعَهُمْ يَوْماً غَدَاءُ العُذَافِرِ

وقال بعضُ أهل الأدب : هذا الطعامُ اتُّخذَ فى قدْر القائل :

---

(١) هكذا ضبط « مربع » بكسر الميم فى ل وكذلك ضبط فى اللسان٩ : ٤٦٩ وهو الصواب، وعلى هذا الضبط اقتصر صاحب القاموس ، قال « كنبر » . وضبط بالقلم فى النقائض بفتح الميم ولم أجد له سنداً . و « مربع » لقب « وعوعة بن سعيد بن قرط بن كعب » وهو راوية جرير .
(٢) مضى صدره ٤٧٩ .

بَوَّأْتُ قِدْرِى مَوْضِعاً فوَضَعْتُها   بِرَابِيَةٍ من بَيْنِ مِيثٍ وأَجْرَعِ [١]
جَعَلْتُ لها هَضْبَ الرِّجامِ وطِخْفَةً   وغَوْلاً أَثَافِى قِدْرِنا لم تُنَزَّعِ [٢]
بقِدْرٍ كأَنَّ اللَّيْلَ شحْنَةُ قَعْرِها   تَرَى الفيلَ فيها طافِياً لم يُقَطَّعِ

315

٨٦٦ • ويُختار للفرزدق قولُه [٣] :

وتَقُولُ : كيف يَميلُ مثلُكَ للصِّبَا   وعليكَ من سِمَةِ الكَبيرِ عِذارُ [٤]
والشَّيبُ يَنْهَضُ فى الشَّبَابِ كأَنَّهُ   لَيْلٌ يَصيحُ بجانِبَيْه نَهارُ

٨٦٧ • وقولُه :

تَبَارِيقُ شَيْبٍ فى السَّوَادِ لَوَامِــعٌ   وما خَيْرُ لَيْلٍ ليس فيه نُجُومُ

• • •

٨٦٨ • ويُختار للأَخطل قولُه فى سكرانَ [٥] :

صَريعُ مُدامٍ يَرْفَعُ الشَّرْبُ رَأْسَهُ
لِيَحْيا وقد ماتَتْ عِظامٌ ومَفْصِلُ
نُهاديهِ أَحْيَاناً وحيناً نَجُرُّه   وما كاد إلا بالحُشاشَةِ يَعْقِلُ [٦]
إذا رَفَعُوا صَدْرًا تَحَامَلَ صَدْرُهُ   وآخَرُ ممَّا نال منها مُخَمَّلُ [٧]

---

(١) مضى بعضه ٧٤٢ ولكن يفهم مما مضى هناك أنه للفرزدق . وميث ، بكسر الميم : موضع بعقيق المدينة . أجرع : الظاهر أنه موضع ، ولم يذكر فى معجم البلدان ، ولكن جاء ذكره فى أرجوزة أحمد بن عيسى الرداعي التى رواها الهمدانى فى آخر صفة جزيرة العرب ص ٢٤٦ س ٧ وذكر أنه وصف البلاد من بلده رداع باليمن إلى مكة على محجة صنعاء فى أرض نجد العليا .

(٢) هضب الرجام : جبل طويل أحمر ، وقال العامرى . « الرجام : هضبات حمر فى بلادنا نسميها الرجام ، وليست بجبل واحد » . طخفة : جبل أحمر طويل . غول : جبل أيضاً . والمراد أنه جعل هذه الجبال أثافى لقدره ، من عظمها .

(٣) البيتان مع ثالث فى حماسة البحترى ١٨٣ برقم ٩٨٥ والبيت الثانى فى الكامل ٢٩ غير منسوب .

(٤) مضى صدره ٤٧١   (٥) من القصيدة الأولى فى ديوانه .

(٦) نهاديه : نسوقه . الحشاشة : بقية النفس .

(٧) فى الديوان « إذا رفعوا عظماً » وفيه « مخبل » بدل « مخمل » .

٨٦٩ ●وقولُه في الزِّقَاق[١] :

أناخُوا فجَرُّو شاصِياتٍ كأنَّها رِجالٌ منَ السُّودَانِ لم يَتَسَرْبَلُوا[٢]

فقُلْتُ : اصْبَحُونى لا أبَا لأبِيكُمُ وما وَضَعُوا الأثْقالَ إلا لِيَفْعَلُوا[٣]

يَدبُّ دَبِيباً في العِظامِ كأنَّه دَبِيبُ نِمالٍ في نَقاً يَتَهَيَّلُ[٤]

٨٧٠ ●ويُختار له قولُه أيضاً[٥] :

311

يا قَلَّ خَيْرُ الغَوانى كَيْفَ رُغْنَ بِهِ فشُرْبُهُ وَشَلٌ فِيهِنَّ تَصْرِيدُ[٦]

أعْرَضْنَ مِن شَمَطٍ بالرأسِ لاحَ به فهُنَّ مِنى إذَا أبْصَرْنَنى حِيدُ[٧]

قد كُنَّ يَعْهَدْنَ مِنِّى مَضْحَكاً حَسَناً ومَفْرِقاً حَسَرَتْ عنه العَنَاقِيدُ

فهُنَّ يَشْدُونَ مِنِّى بَعْضَ مَعْرِفَةٍ وهُنَّ بالوَصْلِ لا بُخْلٌ ولا جُودُ[٨]

هَلِ الشَّبَابُ الذى قد فات مَرْدُودُ أمْ هَلْ دَوَاءٌ يَرُدُّ الشَّيبَ مَوْجُودُ[٩]

لَنْ يَرْجِعَ الشِيبُ شُبَّاناً ولَنْ يَجِدُوا عِدْلَ الشَّبَابِ لَهُمْ ما أوْرَقَ العُودُ

[إنَّ الشبابَ لَمحمودٌ بَشَاشتُه والشَّيبُ مُنْصَرَفٌ عنه ومَصدُودُ][١٠]

---

(١) من القصيدة نفسها .

(٢) الشاصيات : الشائلات القوائم من امتلائها ، عنى بها الزقاق . والبيت في اللسان ١٩ : ١٦١ .

(٣) الصبوح : ما شرب بالغداة فما دون القائلة ، «صبحه» بالتخفيف و بالتشديد : سقاه الصبوح .

(٤) النقا ، مقصور : الكثيب من الرمل .

(٥) من قصيدة في الديوان ١٤٦ - ١٥١ .

(٦) في شرح الديوان : « كان أصله : قل خير الغوانى ، ثم أدخل على هذا الكلام يا ، وهذا حكاية ، كأنه أراد : يا هؤلاء قل خير الغوانى » . التصريد : السقى دون الرى .

(٧) الديوان * فهن منه إذا أبصرنه حيد *

(٨) يشدون : في اللسان ١٩ : ١٥٣ « يقال : شدوت منه بعض المعرفة ، إذا لم تعرفه معرفة جيدة » وروى البيت ثم قال : « عهدنه شابا حسناً ثم رأينه بعد كبره فأنكرن معرفته » .

(٩) في الديوان وحاشية د « هل للشباب » وعليهما يكون « مردود » مصدراً مثل « المحلوف » و « المعقول » .

(١٠) هذا البيت زدته أنا من الديوان ، تماماً للمعنى .

٨٧١ ● وقولُه [١] :

لقد لَبِسْتُ لِهذا الدَّهْرِ أَعْصُرَهُ ... حَتَّى تَجَلَّلَ رَأْسِى الشَّيْبُ وَاشْتَعَلا

فبانَ مِنِى شَبَابِى بَعْدَ لَذَّتِهِ ... كأَنَّما كان ضَيْفاً نازلًا رَحَلَا

٨٧٢ ●وقولُه فى بنى أميّةَ [٢] :

حُشْدٌ على الحَقِّ عَيَّافُو الخَنَا أُنُفٌ ... إذا أَلَمَّتْ بِهِمْ مَكْرُوهَةٌ صَبَرُوا

شُمْسُ العَدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهُمْ ... وأَعْظَمُ الناسِ أحلاماً إذا قَدَرُوا

٨٧٣ ● (ويُستجادُ للأخطل قولُه [٣] :

ولقد غَدَوْتُ على التِّجارِ بِمِسْمَحٍ ... هَرَّتْ عَوَاذِلُهُ هَرِيرَ الأَكْلُبِ [٤]

لَذٍّ يُقَبِّلُهُ النَّعِيمُ كأَنَّما ... مُسِحَتْ تَرَائِبُهُ بماءِ مُذْهَبِ [٥]

لَبَّاسِ أَرْدِيَةِ المُلُوكِ تَرُوقُهُ ... من كُلِّ مُرْتَقَبٍ عُيُونُ الرَّبْرَبِ [٦]

يَنْظُرْنَ من خَلَلِ السُّتُورِ إذا بَدَا ... نَظَرَ الهِجانِ إلى الفَنِيقِ المُصْعَبِ [٧]

خَضِلِ الكِيَاسِ إذا تَثَنَّى لم يَكُنْ ... خُلُفاً مَوَاعِدُهُ كَبَرْقِ خُلَّبِ [٨]

(١) من قصيدة فى الديوان ١٣٨ — ١٤٥ .

(٢) من قصيدة فى الديوان ٩٨ — ١١٢ ومنها أبيات فى اللسان ٥ : ٢٠٨ وقال : « وهذه القصيدة من غرر قصائد الأخطل ، يخاطب فيها عبد الملك بن مروان » .

(٣) من قصيدة فى الديوان ٢٧ — ٢٩ .

(٤) المسمح ، بكسر الميم الأولى وفتح الثانية : السمح ، وفى الديوان بضم الأولى وكسر الثانية : اسم فاعل من الإسماح ، يقال « سمح وأسمح سماحا وإسماحاً » إذا جاد وأعطى عن كرم وسخاء .

(٥) مضى البيت ٢٨٣ .

(٦) المرتقب : المنظر . الربرب : البقر ، عنى بذلك النساء .

(٧) الهجان : البيض . الفنيق : الفحل يترك للضراب . المصعب : هو بمعنى الفنيق .

(٨) الكياس : جمع كاس ، بتسهيل الهمزة ، كما مضى ٢٩٦ . ورواية اللسان ٨ : ٧٣ « الكئاس » بالهمزة ، قال فى كلمة « كأس » : « واللفظة مهموزة ، وقد يترك الهمز تخفيفاً ، والجمع من كل ذلك أكؤس وكؤوس وكئاس ، قال الأخطل . . . وحكى أبو حنيفة كياس بغير همز فإن صح ذلك فهو على البدل ، قلب الهمزة فى كأس ألفاً فى نية الواو ، فقال كاس ، كنار ، ثم جمع كاساً على كياس ، والأصل كواس ، فقلبت الواو ياء للكسرة التى قبلها » .

وإذا تُعُوِّرَتِ الزُّجَاجَةُ لم يَكُنْ عِنْدَ الشُّرُوبِ بعابِسٍ مُتَقَطِّبِ)[١]

٨٧٤ ● وممّا سبق إليه الأخطلُ قولُه[٢] :

وإذا دَعَوْنَكَ عَمَّهُنَّ فإنّه نَسَبٌ يَزِيدُكَ عِنْدَهُنّ خَبالَا

وقال القُطَامىُّ :

وإذا دَعَوْنَكَ عَمَّهُنَّ فلا تُجِبْ فهُنَاكَ لا يَجِدُ الصَّفاءُ مَكانَا

نَسَبٌ يَزِيدُكَ عِنْدَهُنَّ حَقَارَةً وعلى ذَوَاتِ شَبَابِهِنَّ هَوَانَا

٨٧٥ ● (وقولُه لزُفَرَ بن عَمرٍو من هَوَازِنَ[٣] :

لَعَمْرُ أَبِيك يا زُفَرُ بنَ عمْرٍو لقد نَجَّاكَ جَدُّ بَنِى مُعازِ

ورَكْضُكَ غَيْرَ مُلْتَفِتٍ إليها كأنَّكَ مُمْسِكٌ بجَنَاحِ بازِى

لعمر أَبِى هَوَازِنَ ما جَزِعْنا ولا هَمَّ الظَّعَائِنُ بانْحِيازِ

ظَعائِنُنا غَدَاةَ غَدَتْ علينا ونِعْمَتْ ساعَةُ السَّيْفِ الجُرَازِ[٤]

ولاقَى ابنُ الحُبَابِ لَنَا حُمَيًّا كَفَتْه كلَّ راقِيَةٍ وحازِ[٥]

وكان بنا يَحُلُّ ولا يُعَانِى ويَرْعَى كلَّ رَمْلٍ أو عَزَازِ[٦]

فلمّا أنْ سَمِنْتَ وكُنْتَ عَبْدًا نَزَتْ بك يابْنَ صَمْعاءَ النَّوازِى

عَمَدْتَ إلى رَبِيعَةَ تَعْتَرِيها بمِثْلِ القَمْلِ من أَهْلِ الحِجاز

فنِعْمَ ذوُو الجِنَايَةِ كان قَوْمِى لِقَوْمِكَ لَوْ جَزَى بالخَيْرِ جازِى)

---

(١) تعورت : فى الديوان « تعوورت » ، يقال « تعوروا » الشىء و « تعاوروه » و« اعتوروه » أى تداولوه بينهم . الشروب ، بضم الشين : جمع شارب ، كشاهد وشهود .

(٢) من قصيدة فى الديوان ٤١ – ٥١ . والبيت فى شرح ديوان زهير ١٢٥ .

(٣) هى قصيدة فى الديوان ١٥١ – ١٥٢ .

(٤) السيف الجراز ، بضم الجيم : الماضى النافذ .

(٥) حميا الشىء : شدته وحدته . الحازى : الكاهن .

(٦) الأرض العزاز ، بفتح العين : الغليظة الصلبة .

٨٨ ـ البعيث [١]

٨٧٦ ● هو خِدَاشُ بن بِشْرٍ ، من بنى مُجَاشِع ، من ولد خالد بن بَيْبَةَ . وأُمُّه أصبهانيةٌ يقال لها مَرْدَة أو وَرْدة . وإنما لُقِّبَ بالبعيث بقوله :

تَبَعَّثَ مِنِّى ما تَبَعَّثَ بَعْدَ ما أُمِرَّتْ قُوَاىَ واسْتَمَرَّ عَــزِيمِى [٢]

أراد أنَّه قال الشعر بعد ما أسنَّ وكَبِر . ويكَنّى أبا مالك [٣] . وكان البَعيثُ أخطبَ بنى تميمٍ إذا أخذَ القناةَ . وله عَقِبٌ بالبادية . وكان يُهاجى جريرًا .

٨٧٧ ● وقال أبو عُبيدةَ : سألتُ بعضَ بنى كُلَيْبٍ فقلتُ : ما أشدُّ ما هُجيتم به ؟ قال : قولُ البَعيث :

أَلَسْتَ كُلَيْبِيًّا إذا سِيمَ خُطَّةً أَقَرَّ كإقْرارِ الحَلِيلَةِ للبَعْلِ
وكلُّ كُلَيْبِىٍّ صَحِيفَةُ وَجْهِهِ أَذَلُّ لأَقْدامِ الرجالِ مِنَ النَّعْلِ
وكلُّ كُليبىٍّ يَسُوقُ أَتانَهُ له حاجَةٌ من حيثُ تُثْفَرُ بالحَبْلِ
سَوَاسِيَةٌ سُودُ الوُجُوهِ كأَنَّهم ظَرَابِىُّ غِرْبانٍ بمَجْرُودَةٍ مَحْلِ [٤]

---

(١) ترجمته فى الجمحى ١٢١ والاشتقاق ١٤٧ والمؤتلف ٥٦ واللآلى ٢٩٦ وشرح أدب الكاتب للجواليقى ٢٥٠ ومختصر تاريخ ابن عساكر ٥ : ١٢٢ – ١٢٤ .

(٢) البيت فى اللآلى ٢٩٦ والنقائض ٣٨ . وهو فى الجمحى وشرحى أدب الكاتب ، الجواليقى ٢٥٠ وابن السيد ٢٤٦ بعجز آخر .

(٣) وفى بعض تراجمه أن كنيته « أبو يزيد » .

(٤) الظرابى : جمع « ظربى » بفتح الظاء وكسر الراء وفتح الباء ، مقصور ، ويجتمع أيضاً على « ظربان » بوزن « قطران » أو « الظربان » مفرد أيضاً ، وهو دويبة شبه الكلب أصم الأذنين صماخاه يهويان طويل الخرطوم أسود السراة أبيض البطن كثير الفسو منتن الرائحة ، يشبه بالقرد . وإضافتها إلى الغربان لعلها على التشبيه فى اللون : أنها جمعت قبحاً وسواداً . مجرودة : أرض أكل الجراد نبتها . والبيت فى اللسان ٢ : ٥٩ .

٨٧٨ ● وكان للبعيث أولادٌ: منهم مالكٌ وبكرٌ، وخرج مع أبيهما إلى المدينة، فأرسلهما يَرْعَيَان عليه الإبلَ، فمَرِض مالكٌ، فأرسلَ بكرًا إلى أبيه ليَقْدَمَ عليه، فقدمَ فوجده قد مات، فقال:

أَرْسَلَ بَكْرًا مالِكٌ يَسْتَحِثُّنا ... يُحاذِرُ من رَيب المَنُونِ فلم يَئِلْ
أمالكُ مَهْمَا يَقْضِهِ اللهُ تَلْقَهُ ... وإنْ حانَ رَيْثٌ من رَفِيقِكَ أو عَجِلْ

٨٩ ـ اللعين (المنقرى)[١]

٨٧٩ ● هو مُنَازِل بن رَبيعة[٢] من بنى مِنْقَر ، ويكنَى أبا أُكَيْدِر . وعمَّتُه ظَمْياءُ التى ذكرها الفرزدقُ فاستَعْدتْ عليه بنو مِنْقَرٍ ، فهربَ من زيادٍ إلى المدينة[٣] .

٨٨٠ ● وقيل له : اقْضِ بين الفرزدق وجريرٍ ، فقال[٤] :

سَأَقْضِى بَيْنَ كَلْبِ بنى كُلَيْبٍ ... وبين القَيْنِ قَيْنِ بنى عقَالِ
فإنَّ الكَلْبَ (مَطْعَمُهُ خَبيثٌ ... وإنَّ القَيْنَ يَعْمَلُ فى سَفَالِ[٥]
فلا بُقْيَا علىَّ تَرَكْتُمـانى ... ولكنْ خفتُما صَرَدَ النِّبالِ[٦]

يقال صَرِدَ السهمُ : إذَا نَفَذَ .

٨٨١ ● وكان اللَّعِينُ هَجَّاءً للأضياف ، وهو القائلُ فى ضيف نَزَلَ به :

وأبغِضُ الضَّيْفَ ما بى جُلُّ مَأْكلِه ... إلا تَنَفُّجُهُ حَوْلِى إذا قَعَدَا[٧]
ما زال يَنْفُجُ كِتْفَيْهِ وحُبْوَتَه ... حتى أَقُولُ لَعَلَّ الضَّيْفَ قد وَلَدَا

---

(١) ترجمته فى الاشتقاق ١٥٣ – ١٥٤ والخزانة ١ : ٥٣٠ – ٥٣١ وشواهد العينى ٢ : ٤٠٤ – ٤٠٥ .

(٢) كذا فى الأصول ، وصوابه « بن زَمعة » كما فى الخزانة والعينى وغيرهما . وفى القاموس «مبارك بن زمعة » ، وصوابه « منازل » ولم يستدرك عليه شارحه هذا الغلط. وفى الخزانة عن زهر الآداب أن سبب تلقيبه باللعين : أن عمر بن الخطاب سمعه ينشد شعراً والناس يصلون ، فقال : من هذا اللعين ؟ فعلق به هذا الاسم .

(٣) مضت الإشارة إلى هذه القصة ٤٧٠ ، ٤٧٥ .

(٤) الأبيات فى الجمحى ٩٥ ومعهما بيتان آخران .

(٥) السفال : نقيض العلاء ، بفتح أولهما ، كما أن الأسفل نقيض الأعلى .

(٦) البيت فى اللسان ٤ : ٢٣٦ .

(٧) ضبط « وأبغض الضيف » فى ل بجعل « أبغض » أفعل تفضيل و رفعه و إضافه « الضيف » إليه وهو خطأ لا يستقيم به المعنى .

٩٠ ـ الصلتان العبدى[1]

٨٨٢ ● هو قُثَم بن خَبِيئَةَ ، من عَبْد القَيْس .

٨٨٣ ● واجتُمِع إليه فى الحكْم بين الفرزدق وجرير ، فقال[2] :

أنا الصَّلَتَانِىُّ الذى قد عَلِمْتُمُ ... مَتَى ما يُحَكَّمْ فَهْوَ بالحَقِّ صادِعُ

أَتَتْنِى تَمِيمٌ حينَ هابَتْ قُضاتُها ... وإنى لَبِالفَصْلِ المُبَيِّنِ قاطِعُ

كما أَنْفَذَ الأَعْشَى قَضِيَّةَ عامِرٍ ... وما لِتَمِيمٍ فى قَضَائى رَوَاجِعُ

ولم يَرْجِعِ الأَعْشَى قَضيَّةَ جَعْفَرٍ ... وليس لحُكْمِى آخرَ الدَّهْرِ راجِعُ

سأَقْضِى قَضَاءً بَيْنَهُمْ غير جائرٍ ... فهَلْ أَنْتَ للحُكْمِ المُبَيَّنِ سامعُ

قَضاءَ آمْرِئٍ لا يَتَّقِى الشَّتْمَ منهمُ ... وليس له فى المَدْحِ منهمْ مَنافِعُ

[قضاءَ امرئٍ لا يرتشى فى حُكُومة ... إذا مال بالقاضى الرُّشا والمَطَامعُ] [3]

فإنْ كُنْتُما حَكَّمْتُمانى فأَنْصِتَا ... ولا تَجْزَعَا ، وليَرْضَ بالحَقِّ قانعُ

فإنْ تَرْضَيَا أو تَجْزَعَا لا أَقُلْكُما ... وللحَقِّ بين الناسِ راضٍ وجازِعُ

فأُقْسِمُ لا آلُو عَنِ الحَقِّ بَيْنَهُمْ ... فإنْ أنا لم أَعْدِلْ فقُلْ أَنْتَ ضالِعُ

فإنْ يَكُ بَحْرُ الحَنْظَلِيِّينِ واحدًا ... فما تَسْتَوِى حيتَانُهُ والضَّفادعُ[4]

وما يَسْتَوِى صَدْرُ القَنَاة وزُجُّها ... وما يَسْتَوِى شُمُّ الذُّرَى والأَكارعُ[5]

---

(١) ترجمته فى الاشتقاق ٢٠١ والمؤتلف ١٤٥ والمرزبانى ٢٢٩ — ٢٣٠ واللآلى ٥٣١ — ٥٣٢ والخزانة ١ : ٣٠٤ — ٣٠٨ ومعاهد التنصيص ٣٦ .

(٢) القصيدة فى الأمالى ٢ : ١٤١ — ١٤٢ والخزانة ١ : ٣٥٠ — ٣٠٦ وفيهما بيتان زائدان سنذكرهما فى موضعيهما . وبعضها فى الجمحى ٩٥ — ٩٦ . (٣) الزيادة من الأمالى والخزانة .

(٤) قال البكرى فى اللآلى ٧٦٦ : « لأن كليب بن يربوع بن حنظلة : قوم جرير ، ودارم ابن مالك بن حنظلة : قوم الفرزدق » .

(٥) الأكارع : جمع كراع ، وأكارع الأرض : أطرافها القاصية ، شبهت بأكارع الشاة وهى قوائمها ، ويقال « الكراع » ركن من الجبل يعرض فى الطريق . وفى الأمالى والخزانة : « والأجارع » وهى جمع « أجرع » وهو الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل .

وليس الذُّنابَى كالقُدامَى وريشِهِ ... وما تَسْتَوِى فى الكَفِّ منكَ الأصابعُ

ألا إنَّما تَحْظَى كُلَيْبٌ بشعرِهــا ... وبالمَجْد تَحْظَى دارِمٌ والأقارِعُ[١]

[ومنهم رؤوسٌ يُهْتَدَى بصُدورِها ... والأذنابُ قِدْماً للرؤوس تَوابعُ[٢]]

أرَى الخَطَفَى بَذَّ الفَرَزْدَقَ شِعْرُهُ ... ولكنَّ خَيْرًا من كُلَيْب مُجاشعُ

فَيَا شاعرًا لا شاعرَ اليَوْمَ مثْلُهُ ... جَرِيرٌ ، ولكنْ فى كُلَيْب تَوَاضُعُ[٣]

جَرِيرٌ أشَدُّ الشاعرَيْنِ شَكِيمَةً ... ولكنْ عَلَتْهُ الباذخاتُ الفَوَارِعُ

ويَرْفَعُ من شِعْرِ الفَرَزْدَق أنَّهُ ... له باذِخٌ لِذِى الخَسِيسَة رافعُ

وقَدْ يُحْمَدُ السَّيْفُ الدَّدانُ بجَفْنِهِ ... وتَلْقاهُ رَثًّا غِمْدُهُ وهْوَ قاطعُ[٤]

316

يُنَاشِدُنِى النَّصْرَ الفَرَزْدَقُ بعدما ... ألَحَّتْ عليه من جَرِيرٍ صَوَاقِعُ

فقُلْتُ له : إنى ونَصْرَكَ كالذى ... يُثَبِّتُ أنْفاً كَشَّمَتْهُ الجَوادِعُ[٥]

وقالَتْ كُلَيْبٌ : قَدْ شَرُفْنا عليكمُ ... فقُلْتُ لها : سُدَّتْ عليكِ لمَطالعُ

٨٨٤ ● وقال جَرِيرٌ للصَّلَتانِ :

أقولُ ولم أمْلِكْ سَوابِقَ عَبْرَةٍ : ... متَى كان حُكْمُ اللهِ فى كَرَبِ النَّخْلِ[٦]

٨٨٥ ● والصَّلَتانُ هو القائلُ[٧] :

---

(١) البيت فى الاشتقاق ٢٠١ .

(٢) الزيادة من الأمالى والخزانة .

(٣) البيت فى الكامل ١١١١ .

(٤) السيف الددان : الكهام الذى لا يمضى .

(٥) كشمته : فسره القالى فى الأمالى قال : « كشم أنفه : إذا قطعه » .

(٦) البيت فى اللآلى ٧٦٦ وذكر بيتين أجاب بهما جريراً . وانظره أيضاً ٥٩٨ . وفى المؤتلف : « فأما الفرزدق فرضى بهذا القول ، لما فضل قومه على بنى كليب ، وقال : إنما الشعر مروءة من لا مروءة له ، وهو أخس حظ الشريف . وأما جرير فإنه غضب وقال » وذكر البيت . وانظر الجمحى ٩٦ .

(٧) القصيدة فى الخزانة ١ : ٣٠٨ نقلا عن هذا الكتاب ، وفيها بيتان زائدان لم يذكرا فى الأصول، فأثبتناهما عن الخزانة ، إذ هما من أصل الكتاب . وهى أيضاً فى المعاهد ٣٥ — ٣٦ وفيه أحد البيتين الزائدين من الخزانة ، وفيه أيضاً أربعة أبيات زائدة .

أَشابَ الصَّغيرَ وأَفْنَى الكَبيـ رَ كَرُّ اللَّيالِي ومَرُّ العَشي

إِذَا هَرِمَتْ لَيْلَةٌ يَوْمُها أَتَى بَعْدَ ذلكَ يَوْمٌ فَتِي

نَرُوحُ ونَغْدُو لحاجاتنا وحاجَةُ مَنْ عاشَ لا تَنْقَضِي

تَمُوتُ مَعَ المَرْءِ حاجاتُهُ وتَبْقَى له حاجَةٌ ما بَقِي

إذا قُلْتَ يَوْماً لِمَنْ قد تَرَى : أَرُونِي السَّرِيَّ أَرَوْكَ الغَنِي

[أَلَم تَرَ لقمانَ أَوصَى بَنيه وأَوْصَيْتُ عَمْرًا ونِعْمَ الوَصِي]

[بُنَيَّ بَدَا خَبْءُ نَجْوَى الرجالِ فكُنْ عندسرِّكَ خَبْءَ النَّجِي[1]]

وسِرُّكَ ما كان عِنْدَ امْرِئٍ وسرُّ الثَّلاَثَةِ غَيْرُ الخَفِي

[فكُنْ كابنِ لَيْلٍ على أَسْوَد إِذَا ما سَوَادٌ بليلٍ خُشِي[2]]

[فكلٌّ سواد وإِنْ هِبْتَهُ من الليل يَخْشَى كما تَخْتَشِي]

[أَرِدْ مُحْكَمَ الشِّعْرِ إِنْ قُلْتَهُ فإِنَّ الكلامَ كثيرُ الرَّوِي]

[كما الصَّمْتُ أَدْنَى لبعض اللِّسا نِ ، وبعضُ التكلُّمِ أَدْنَى لِعِي]

---

(١) هذا البيتان المثبتان فى الخزانة ، وثانيهما فى المعاهد دون أولهما .

(٢) هذا البيت والأبيات الثلاثة بعده زدناها نقلا عن المعاهد .

٩١ – كثيّر [(١)]

٨٨٦ ● هو كُثَيِّرُ بن عبد الرحمن بن أبي جُمْعَةَ ، من خُزَاعة ، وكان رافضيًّا . وقال لمَّا حَضَرَتْه الوفاةُ :

بَرِئْتُ إلى الإلٰه منَ ابْنِ أَرْوَىٰ ومنْ دِينِ الخَوَارِجِ أجْمَعِينَا
ومنْ عُمَرٍ بَرِئْتُ ومِنْ عَتِيقٍ غَدَاةَ دُعِي أَمِيرَ المُؤْمِنِينَا

ثم خرجتْ نفسُه كأنَّها حصاةٌ وقعتْ في ماءٍ . وكانت وفاتُه ووفاةُ عكرِمَةَ مولىٰ ابنِ عبَّاسٍ في يومٍ واحدٍ . ويكنَىٰ أبا صَخْرٍ . 317

٨٨٧ ● وكان مُحَمَّقاً ، ودخل يوماً على يزيد بن عبد الملك ، فقال يا أمير المؤمنين ما يَعْنِي الشمَّاخُ بقوله :

إذَا الأَرْطَىٰ تَوَسَّدَ أَبْرَدَيْهِ خُدُودُ جَوَازِئٍ بالرَّمْلِ عِينٍ ![(٢)]

فقال يزيدُ : وما يضرُّني ألاَّ أعرفَ ما عَنَىٰ هذا الأعرابيُّ الجِلْفُ ! واستحمقه وأمر بإخراجه .

---

(١) ترجمته في الجمحي ١٢١ – ١٢٥ والاشتقاق ٢٨٠ والمؤتلف ١٦٩ والمرزباني ٣٥٠ واللآلي ٦١ – ٦٢ والأغاني ٨ : ٢٥ – ٤٢ و ١١ : ٤٣ – ٥٠ وابن خلكان ١ : ٥٤٧ – ٥٥٠ والمعاهد ٢٤١ – ٢٤٨ والخزانة ٢ : ٣٧٦ – ٣٨٣ .

(٢) البيت في ديوان الشماخ من قصيدة ٩٤ ، الأرطى : شجر ينبت بالرمل يطول قدر قامة ، يدبغ به ، وله نور طيب الرائحة . الأبردان : الظل والفيء ، سميا بذلك لبردهما . الجوازئ : الوحش ، لتجزئها بالرطب عن الماء . عين : واسعات العيون ، جمع عيناء . وفي اللسان : « توسد أبرديه ، أي اتخذ الأرطى فيهما كالوسادة . . . وانتصاب أبردية على الظرف ، والأرطى مفعول مقدم بتوسد ، أي توسد خدود البقر الأرطى في أبرديه » والبيت فيه ١ : ٣٨ – ٣٩ مشروحاً ، و ٤ : ٥٠ وضبط « خدود » في هذا الموضع وفي ل تبعاً له منصوباً ، وهو خطأ . وقال العلامة أحمد بن الأمين الشنقيطي رحمه الله في شرح الديوان في قوله « إذا الأرطى » : « إذا ظرف لقوله بعثت في البيت السابق ، وليست شرطية حتى حتى يقدر لها جزاء ، خلافاً لابن السيد » . وانظر الاقتضاب لابن السيد ٢٩٦ – ٢٩٨ .

٨٨٨ ● قال حمادٌ الراوية[١] : قال لى كُثَيِّر : ألَا أخبرُك عما دعانى إلى ترك الشعرِ ؟ قلتُ : تُخبرنى ، قال : شَخَصْتُ أنا والأَحْوَصُ ونُصَيبٌ إلى عمرَ بن عبد العزيز رحمه الله ، وكُلٌّ واحدٍ منَّا يُدِلُّ عليه بسابقة له وإخاءٍ ، ونحن لا نشكُّ أنه يُشْرِكنا[٢] فى خلافته ، فلما رُفعت لنا أعلامُ خُناصِرَةَ[٣] لَقِينَا مَسْلَمَةُ بن عبد الملك (جائياً من عنده) ، وهو يومئذ فتَى العرب ، فسلَّمنا (عليه) فردَّ (علينا السلامَ) ، ثم قال : أمَا بلغَكم أنَّ إمامكم لا يَقْبَلُ الشعرَ ؟ قلنا : ما وَضَح لنا خبرٌ حتَّى انتهينا إليك[٤] ، ووَجَمْنا وَجْمَةً عَرَفَ ذلك فينا ، فقال : إن يَكُ ذو دينٍ بنى مروانَ ولِىَ وخَشِيتم حرْمانَه فإنَّ ذا دنياها قد بقِىَ ، ولكم عندى ما تحبُّون ، وما أَلْبَثُ حتى أرجع إليكم فأمنحَكم ما أنتم أهلُه ، فلما قَدِمَ كانتْ رحالُنا عنده ، فأكْرَمُ منزلٍ[٥] وأفضلُ منزولٍ به ، فأقمنا عنده أربعةَ أشهر يَطلب لنا الإِذْنَ هو وغيرُه ، فلم يُؤْذَنْ لنا ، إلى أن قلتُ فى جُمْعَةٍ من تلك الجُمَعِ : لو أنى دنوتُ من عُمَرَ فسمعتُ كلامَه فتحفَّظْتُه كان ذلك رأياً ، ففعلتُ ، فكان ما حفظتُ من قوله يومئذ : لكل سفرٍ زادٌ لا مَحَالةَ ، فتزوَّدُوا لسفرِكم من الدنيا إلى الآخرة التَّقْوَى ، وكُونوا كمَنْ عايَنَ ما أعدَّ اللهُ له من ثوابه وعقابه فترغبوا وترهبوا ، ولا يَطُولَنَّ عليكمُ الأَمَدُ فتَقْسُوَ قلوبُكم وتَنقادوا لعدوِّكم ، فى كلامٍ كثيرٍ ، ثم قال : أعوذ بالله أنْ آمرَكم بما أَنْهَى عنه نفسى فتَخْسَرَ صَفْقَتِى وتظهرَ عَيْلَتِى وتَبْدُو مَسكنتى ، فى يومٍ لا يَنفعُ فيه إلا الحقُّ

318

---

(١) القصة بتمامها فى العقد الفريد ١ : ١٥٢ — ١٥٤ عن حماد الراوية . ورواها صاحب الأغانى ٨ : ١٤٧ — ١٤٩ بإسنادين عن حماد .

(٢) ه س ف والعقد « سيشركنا » .

(٣) خناصرة ، بضم الخاء المعجمة : بليدة من أعمال حلب تحاذى قنسرين نحو البادية .

(٤) س ف « حتى لقيناك » .

(٥) ب س ف والعقد « بأكرم منزل » .

والصدقُ ، ثم بَكى حتَّى ظننَّا أنه قاضٍ نَحْبَهُ ، وارتَجَّ المسجدُ وما حوله بالبكاءِ والعَويل ، وانصرفتُ إلى صاحبيَّ فقلتُ لهما : خُذَا فى شَرْجٍ من الشعرِ[1] غيرِ ما كُنَّا نقولُه لعُمَرَ وآبائه ، فإنَّ الرجلَ أُخروىٌّ ليس بدنيوىٍّ ، إلى أن استأذنَ لنا مَسْلَمَةُ فى يوم جمعةٍ ، (فأَذِنَ لنا) بعدَ ما أَذنَ للعامّة ، فلمّا دخلتُ عليه سلَّمتُ ، ثم قلتُ : يا أَمير المؤمنين ، طال الثَّوَاءُ ، وقلَّت الفائدةُ ، وتحدَّثتْ بجَفَائِكَ إيّانا وفودُ العرب ، فقال : يا كُثَيِّرُ ، ﴿إنما الصدقاتُ للفقراءِ والمَساكينِ والعاملينَ عليها والمؤلَّفةِ قلوبُهم وفى الرِّقَاب والغارمينَ وفى سَبيلِ الله وابنِ السبيلِ﴾[2] أَفى واحدٍ من هؤلاءِ أَنتَ ؟ فقلتُ : ابنُ السبيلِ مُنْقَطَعٌ به ، وأنا ضاحكٌ ، قال : أَولستَ ضيفَ أَبى سعيد ؟ قلتُ : بلَى ، قال : ما أَرَى مَن كان ضيفَه مُنْقَطَعاً به ، ثم قلتُ : يا أَمير المؤمنين ، أَتأْذنُ لى فى الإنشاد ، قال : نعم ولا تَقُلْ إلا حقًّا ، فأَنشدتُ :

319

[تكلَّمتَ بالحقِّ المُبينِ وإنَّما ... تَبَيَّنُ آياتُ الهُدَى بالتكلُّمِ[3]]

[وأظْهَرْتَ نُورَ الحقِّ فاشتدَّ نُورُه ... على كل لَبْسٍ بارِقِ الحقِّ مُظْلِمِ]

[وعاقبتَ فيما قد تقَدَّمتَ قبلَه ... وأَعرضتَ عمّا كان قبلَ التقدُّمِ]

ولِيتَ فلم تَشْتُمْ عَليًّا ولم تُخِفْ ... بَرِيًّا ، ولم تَقْبَلْ إشارةَ مُجْرِمِ

وصَدَّقْتَ بالفعْلِ المَقَالَ مع الذى ... أَتَيْتَ ، فأَمْسَى راضياً كُلُّ مُسْلِمِ

أَلَا إنَّما يَكْفِى الفَتَى بَعْدَ زَيْغِهِ ... منَ الأَوَدِ البادى ثِقَافُ المُقَوَّمِ[4]

وقَدْ لَبِسَتْ لُبْسَ الهَلُوكِ ثيابَهـا ... تَرَاءَى لَكَ الدُّنْيا بكَفٍّ ومِعْصَمِ[5]

(١) الشرج ، بسكون الراء : الضرب ، يقال «هما شرج واحد «و» على شرج واحد» أى ضرب واحد .

(٢) من الآية ٦٠ من سورة التوبة .

(٣) الأبيات الثلاثة زيادة من ب .

(٤) الأود . بفتحتين : الاعوجاج .

(٥) الهلوك من النساء : الفاجرة الشبقة المتساقطة على الرجال .

وتُومِضُ أحياناً بعَيْنٍ مَرِيضَةٍ ... وتَبْسِمُ عن مثلِ الجُمَانِ المُنَظَّمِ
فأعْرَضْتَ عنها مُشْمَئِزّاً كأنَّما ... سَقَتْكَ مَدُوفاً من سِمَامٍ وعَلْقَمِ[1]
وقَدْ كُنْتَ من أجْبالها فى مُمَنَّعٍ ... ومن بَحْرِها فى مُزْبِدِ المَوْجِ مُفْعَمِ[2]
وما زِلْتَ تَوَّاقاً إلى كُلِّ غَايَةٍ ... بَلَغْتَ بها أعْلَى البِناءِ المُقَدَّمِ
فلمّا أتاكَ المُلْكُ عَفْوًا ولم يَكُنْ ... لطالب دُنْيا بَعْدَهُ مِن تَكَلُّمِ
تَرَكْتَ الذى يَفْنَى وإنْ كان مُونِقاً ... وآثَرْتَ ما يَبْقَى برأْىٍ مُصَمِّمِ
وأضْرَرْتَ بالفانى وشَمَّرْتَ للذى ... أمامَكَ فى يوم منَ الشَّرِّ مُظْلِمِ
سَمَا لكَ هَمٌّ فى الفُؤادِ مُؤَرِّقٌ ... بَلَغْتَ به أعْلَى المَعَالِى بسُلَّمِ
فما بَيْنَ شَرْقِ الأرضِ والغَرْبِ كُلِّها ... مُنادٍ يُنادى من فَصيحٍ وأعْجَمِ
يقولُ : أميرَ المُؤْمنينَ ظَلَمْتَنِى ... بأخْذٍ لدينارٍ ولا أخْذ دِرْهَمِ
ولا بَسْطِ كَفٍّ لامْرِئٍ غيرِ مُجْرِمٍ ... ولا السَّفْكِ منه ظالماً مِلْءَ مِحْجَمِ
ولو يَسْتَطيعُ المسلمونَ تَقَسَّمُوا ... لك الشَّطْرَ من أعْمَارِهِمْ غَيْرَ نُدَّمِ
فأرْبِحْ بها من صَفْقَةٍ لمُبَايعٍ ... وأعْظِمْ بها أعْظِمْ بها ثُمَّ أعْظِمِ

فأقبلَ علىَّ ثم قال : يا كُثَيِّر ، إنَّك تُسَاءل عما قلتَ . ثم تَقَدَّم الأحوصُ فاستأذنَه فى الإنشاد ، فقال : قُلْ ولا تَقُلْ إلا حقًّا ، فأنشدَه :

وما الشِّعْرُ إلاَّ خُطْبَةٌ من مُؤَلِّفٍ ... لمَنْطِقِ حَقٍّ أو لمَنْطِقِ باطِلِ
فلا تَقْبَلَنْ إلاَّ الذى وافَقَ الرِّضَا ... ولا تَرْجِعَنَّا كالنِّساءِ الأرامِلِ
رَأَيْنَاكَ لم تَعْدِلْ عَنِ الحَقِّ يَمْنَةً ... ولا يَسْرَةً فِعْلَ الظَّلُومِ المُخاتِلِ
ولكنْ أخَذْتَ القَصْدَ جُهْدَكَ كُلَّهُ ... تَقُدُّ مِثَالَ الصالحينَ الأوائلِ

---

(١) المدوف : المخلوط فى الماء ، يقال « داف الطيب أو الدواء » أى بله بماء أو بغيره وخلطه به . السمام ، بكسر السين : جمع سم .

(٢) الأجبال : الجبال ، كلاهما جمع جبل .

فقُلْنا ، ولم نَكْذبْ ، بما قد بَدَا لَنَا ... ومَنْ ذَا يَرُدُّ الحَقَّ من قَوْلِ قائل

ومَنْ ذا يَرُدُّ السَّهْمَ بَعْدَ مَضَائه ... على فُوقِهِ إِذْ عَارَ من نَزْعِ نابِلِ(١)

ولولا الذى قد عَوَّدَتْنا خَلَائفٌ ... غَطَارِيفُ كانوا كاللُّيُوثِ البَوَاسل

لَمَا وَخَدَتْ شَهْرًا بِرَحْلِى رَسْلَةٌ ... تَقُدُّ مِتَانَ البِيد بَيْنَ الرَّوَاحلِ(٢)

ولٰكنْ رَجَوْنَا منْكَ مثْلَ الَّذى به ... صُرِفْنَا قَديماً من ذَوِيكَ الأَوائلِ(٣)

فإِنْ لم يَكُنْ للشِّعْرِ عنْدَك مَوْضِعٌ ... وإِنْ كان مثْلَ الدرِّ فى قَتْلِ فاتلِ

فإِنَّ لنـا قُرْبَى ومَحْضَ مَوَدَّة ... وميراثَ آباءٍ مَشَوْا بالمَنَاصِلِ

وذَادُوا عَدُوَّ السِّلْمِ عن عُقْرِ دارِهمْ ... وأَرْسَوْا عَمُودَ الدِّينِ بعد التَّمَايُلِ(٤)

وقبْلَكَ ما أَعْطَى هُنَيْدَةَ جِلَّةً ... على الشِّعْرِ كَعْباً من سَديس وبازِلِ

رَسُولُ الإِلٰه المُسْتَضَاءُ بِنُورِه ... عليه سَلَامٌ بالضحَى والأَصَائلِ(٥)

فكُلُّ الذى عَدَّدْتُ يَكْفيكَ بَعْضُهُ ... وقُلُّكَ خَيْرٌ من بُحُورٍ سَوَائلِ(٦)

فقال له عُمر : إِنَّكَ (يا أحوص) تُسْأَل عمّا قلتَ . وتقدَّم نُصَيْبٌ فاستأذنَه فى الإِنشاد فلم يَأْذَنْ له ، وأمره بالغَزْوِ إلى دابق(٧) ، فخرج وهو مَحمومٌ ، وأَمَر لى بثلثمائة درهمٍ وللأَحْوَص بمِثْلها ، وأمر لنُصَيْب بمائة وخمسين درهماً .

٨٨٩ ● وكان كُثَيِّرٌ أَحدَ عُشّاق العرب المشهورين بذلك ، وصاحبتُه

---

(١) السهم العائر : الذى لا يدرى من رماه .

(٢) وخدت : أسرعت ووسعت الخطو ، وهو ضرب من سير الإبل . الرسلة ، بفتح الراء وسكون السين : الناقة السهلة السير اللينة المفاصل .

(٣) رواية الأغانى « من ذويك الأفاضل » .

(٤) س ف « وذادوا عمود الشرك » .

(٥) هـ س ف « عليه السلام » .

(٦) القل ، بضم القاف : القليل .

(٧) دابق : قرية على أربعة فراسخ من حلب ، عندها مرج معشب نزه ، كان ينزله بنو مروان إذا غزوا الصائفة إلى ثغر مصيصه .

عَزَّة ، وإليها يُنسب ، وهى من ضَمْرَةَ .

٨٩٠ ● ولقيَتْهُ امرأةٌ فى بعض الطريق[1] ، فقالت : أأنت كُثيِّر ؟ قال : نعم ، قالت : والله لقد رأيتُك فما أخذتْكَ عينى ! قال : وأنا والله لقد رأيْتك فـأقْذَيْتِ عينى ! قالت : والله لقد سَفَّلَ الله بك إذْ جعلك لا تُعرف إلاَّ بامرأة ، قال : ما سفَّلَ الله بى ، ولكن رُفع بها ذكرى ، واستنار بها أمرى ، واستَحكم بها شعرى ، وهى كما قلتُ :

322

وإنى لأَسْمُو بالوِصَالِ إلى التى ... يَكُونُ شِفَاءً ذِكْرُها وازْدِيَارُهَا
إذا أُخْفِيَتْ كانَتْ لعَيْنِكَ قُرَّةً ... وإنْ يُبْدَ يوماً لم يَعُمَّكَ عارُها

فقالتْ : مُرَّ فى قصيدتك ، فمرَّ فيها ، فلمَّا بلغَ :

وما رَوْضَةٌ بالحَزْنِ طَيِّبَةُ الثَّرَى ... يَمُجُّ النَّدَى جَثْجَاثُهَا وعَــرَارُهَا[2]
بـأَطْيَبَ من أَرْدَان عَزَّةَ مَوْهِناً ... إذا أُوقِدَتْ بالمجْمَرِ اللَّدْنِ نارُهَا

قالت : كان امرؤ القيس أحسنَ نعتاً لصاحبته حيثُ يقول :

أَلمْ تَرَيَانى كُلَّمَا جِئْتُ طارقاً ... وَجَدْتُ بها طيباً وإنْ لم تَطَيَّب

٨٩١ ● وبعثتْ عائشةُ بنتُ طَلْحَةَ بن عُبيد الله إلى كُثيِّر ، فقالت له : يا ابنَ أَبى جُمْعَةَ ما الذى يدعوكَ إلى ما تقولُ من الشعر فى عزَّة وليستْ على ما تَصفُ من الحسن والجمال ، لو شئتَ صرفتَ ذاكَ إلى غيرها ممَّن هو أولى به (منها) أنا أو مثلى ، فـأنا أشرفُ وأَوْصَلُ من عزَّة ، وإنَّما جرَّبتَه

---

(١) هذه القصة رواها الجاحظ فى المحاسن والأضداد ١٣٩ – ١٤٠ مطولة ، وذكر فيها أن المرأة هى قطام صاحبة عبد الرحمن بن ملجم .

(٢) الجثجاث : شجر أخضر ينبت بالقيظ له زهرة صفراء طيبة الريح . والبيتان فى اللسان ٢ : ٤٣٣ غير منسوبين .

(بذلك) ، فقال :

إذَا ما أرادتْ خُلَّةٌ أنْ تُزِيلَنَا أَبَيْنَا وقُلْنَا : الحاجبيَّةُ أوَّلُ[١]

سنُولِيك عُرْفاً إنْ أرَدْتِ وِصالَنا ونَحْنُ لتلْكَ الحاجِبِيَّةِ أوْصَلُ

لها مَهَلٌ لا يُسْتَطَاعُ دِرَاكُهُ وسابِقَةٌ فى الحُبِّ ما تَتَحَوَّلُ[٢]

323 فقالت عائشةُ : والله لقد سمَّيْتَنِى لكَ خُلَّةً وما أنا لكَ بخُلَّةٍ ، وعرضتَ علَىَّ وَصْلَكَ[٣] وما أُرِيد ذلك وإن أَرَدتَ ، ألاَّ قلتَ كما قال جَمِيلٌ :

ويَقُلْنَ : إنَّكَ قدرَضِيتَ بباطلٍ منها فهَلْ لك فى اعْتزَالِ الباطلِ

ولَبَاطِلٌ مِمَّنْ أُحِبُّ حَدِيثَهُ أشْهَى إلَىَّ منَ البَغِيضِ الباذلِ

ولَرُبَّ عارِضَةٍ علينا وَصْلَهَا بالجِدِّ تَخْلِطُهُ بقَوْلِ الهازِلِ

فأَجَبْتُهَا فى الحُبِّ بعد تَسَتُّرٍ حُبِّى بُثَيْنَةَعن وِصالِك شَاغِلِى[٤]

(لو كان فى قَلْبِى كقدْرِ قُلامَةٍ حُبٌّ وَصَلْتُكِ أو أَتَتْكِ رَسَائِلِى[٥])

٨٩٢● ودخل كُثَيِّر على عبد الملك بن مروان[٦] ، فقال له : نَشَدْتُكَ بحقِّ علِىِّ بن أبِى طالبٍ هل رأيتَ قطُّ أحدًا أعْشَقَ منكَ ؟ قال : يا أمير المومنين ، لو نَشَدْتَنِى بحقِّكَ أخبرتُكَ ، فقال : نشدتُك بحقِّى إلاَّ أخبرتَنِى ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، بينا أنا أسيرُ فى بعض الفَلَوَاتِ فإذا أنا برجل قد نَصَبَ حبالَةً ، فقلتُ له : ما أجلسك هٰهنا ؟ قال :

---

(١) س والخزانة نقلا عن هذا الكتاب * إذا وصلتنا خلة كى تزيلها *

(٢) س فى والخزانة « ملحب » . وأصلها « من الحب » ، فحذف النون ، وهى لغة معروفة فصيحة .

(٣) س ب والخزانة « وصالك » .

(٤) فى الخزانة « فأجبتها بالرفق » .

(٥) فى الخزانة * وصلتك كتبى أو أتتك رسائلى *

(٦) هذه القصة منقولة فى المعاهد مختصرة ٢٤٧ .

أهلكنى وأهلى الجوعُ فنصبتُ حِبالَتى هذه لأُصيبَ لهم ولنفسى ما يكفينَا ويَعْصِمُنَا يومَنا هذا ، قلتُ : أرأيتَ إنْ أقمتُ معك فأَصَبْتَ صيدًا أتجعلُ لى منه جزءًا ؟ قال : نعم ، فبينَا نحن كذلك وقعتْ فيها ظبيةٌ ، فخرجنا نَبْتَدِرُ ، فبَدَرَنى إليها فحلَّها وأطلقَها ، فقلتُ : ما حملَك على هذا ؟ قال : دخلتنى لها رقَّةٌ لشبهها بلَيْلَىٰ ! وأنشأ يقولُ :

أَيَا شبْهَ لَيْلَىٰ لا تُراعِى فإنَّنى ... لَكِ اليَوْمَ من وَحْشِيَّةٍ لَصَديقُ

أَقُولُ وقَدْ أَطْلَقْتُها من وثاقها : ... فأَنْتِ للَيْلَىٰ ، إنْ شَكَرْتِ ، عَتيقُ[1]

وقال ابنُ الكَلْبىّ وابنُ دَأْبٍ : لمّا حَلَّها قال :

اِذْهَبِى فى كِلاَءَةِ الرَّحْمٰنِ ... أَنْتِ مِنِّى فى ذِمَّةٍ وأَمَانِ

لا تَخافِى بأَنْ تُهَاجِى بسَوْءٍ ... ما تَغَنَّىٰ الحَمَامُ فى الأَغصانِ

تَرهَبِينى والجِيدُ منْك للَيْلَىٰ ... والحَشَا والبُغامُ والعَيْنانِ

324

٨٩٣ ● ودخلتْ عَزَّةُ على أُمّ البَنينَ فقالت لها أُمُّ البنين[2] : أرأيت قول كُثَيِّرٍ :

قَضَىٰ كُلُّ ذِى دَيْنٍ فَوَفَّىٰ غَرِيمَهُ ... وعَزَّةُ مَمْطُولٌ مُعَنًّى غَرِيمُهَا

ما كان ذلك الدَّيْنُ ؟ قالت : وعدتُه بقُبْلة فتحرَّجْتُ منها ، فقالت أُمّ البنين : أَنْجِزِيها وعلىَّ إثْمُها .

٨٩٤ ● قال السائب رَاوِيةُ كُثيِّرٍ[3] : خرجتُ مع كُثَيِّرٍ وهو يريد

(١) فى المعاهد * فأنت لليلى ما حييت طليق *

(٢) س ب والخزانة نقلا عن هذا الكتاب : «وقالت عائشة بنت طلحة لعزة» وهى عائشة بنت طلحة بن عبيد الله التيمية. وأما أم البنين فإنها بنت عبد العزيز بن مروان . ونسبة القصة إليها توافق رواية الأغانى .

(٣) هو السائب بن الحكيم السدوسى ، كما فى الأغانى ١١ : ٤٩ والقصة فيه ٨ : ٣٩ .

عبدَ العزيز بن مروان ، فمررنا بالماءِ الذى عليه عَزَّةُ ، فسلَّمنا جميعاً على أهل الخِبَاءِ ، فقالت عزَّةُ : عليك يا سائبُ السلامُ ، ثم أقبلتْ على كُثيِّر فقالت : ألاَ تتَّقِى اللهَ ، أرأيتَ قولَك :

بآيَةِ ما أتَيْتُك أمَّ عَمْرٍو فقُمْتَ بحاجَتِى والبيتُ خالِى

ويحكَ خلوتُ معك فى بيتٍ قطُّ ! ! فقال : لم أقُلْه ولكنّى الذى يقول :

فأُقْسِمُ لَوْ أتَيْتُ البَحْرَ يوماً لأَشْرَبَ ما سَقَتْنِى من بُلاَلِ

وأُقْسِمُ أنَّ حُبَّكِ أمَّ عَمْرٍو لَدَىْ جَنْبِى ومُنْقَطَعِ السُّعالِ

قالت : أمَّا هذا فعَسَى . قال السائبُ : فأتينا عبدَ العزيز بن مروان فانصرفْنا ومررنا بهم ، فقال كُثيِّر : السلام عليك يا عزَّةُ ، فقالت : عليكَ السلامُ يا جَمَلُ ، فقال كُثيِّر :

حَيَّتْكَ عَزَّةُ بَعْدَ الوَصْلِ وانْصَرَفَتْ فَحَيِّ وَيْحَكَ مَنْ حَيَّاكَ يَا جَمَلُ

لو كُنْتَ حَيَّيْتَها ما زِلْتَ ذَا مِقَةٍ عِنْدِى ومامَسَّكَ الإِدْلاَجُ والعَمَلُ[١]

لَيْتَ التَّحيَّةَ كانَتْ لى فأَجْعَلَها مكانَ يا جَمَلاً حُيِّيتَ يا رَجُلُ[٢]

325

٨٩٥ ● وخرج كُثيِّر إلى مصرَ وعزَّةُ بالمدينة ، فاشتاقَ إليها ، فقام إلى بغلةٍ له فأسرجها ، وتوجَّه نحوَ المدينة لم يعلم به أحدٌ ، فبينَا هو يسيرُ فى التِّيه بمكانٍ يقال له فَيْفاءُ خُرَيم[٣] ، إذَا هو ببعيرٍ قد أقبلتْ (من ناحية المدينة) ، فى أوائلها محاملُ فيها نسوةٌ ، وكُثيِّر مُتَلَثِّمٌ بعمامة له ، وفى النسوة

---

(١) المقة : المحبة .

(٢) ه « يا جمل » فيضبط بالضم والتنوين ، وقد روى البيت بذلك شاهداً على ضم المنادى المنون للضرورة . وهو فى شواهد العينى ٤ : ٢١٤ — ٢١٥ وقال : « الاستشهاد فيه فى قوله يا جمل حيث نونه مضموماً ، ويروى يا جملا بالنصب ، والمشهور الضم » .

(٣) فى البلدان : « الفيف : المفازة التى لا ماء فيها من الاستواء والسعة ، فإذا أنث فهى الفيفاء . وقد أضيف إلى عدة مواضع » ثم ذكر منها « فيفاء خريم » .

عزَّةُ ، فلمَّا نظرتْ إليه عرفَتْه وأنكرها ، فقالت لقائد قِطَارِها[١] : إذَا دنَا منكَ الراكبُ فاحْبِسْ ، فلمّا دنا كُثيِّر حَبَس القائدُ القطارَ ، فابتدرتْه عزَّةُ فقالت : مَنِ الرجلُ ؟ قال : منَ الناسِ ، قالتْ : أقسمتُ ، قال : كُثيِّر ، قالتْ : فأين تريدُ فى هذه المفازة ؟ قال : ذكرتُ عَزَّة (وأنا) بمصرَ فلم أصبِر أن خرجتُ نحوَها على الحال التى ترينَ ، قالتْ : فلو أنَّ عزَّة لَقيَتْكَ فأَمرَتْكَ بالبُكاءِ أكنتَ تبكى ؟ قال : نعم ، فنزعتْ عزةُ اللثامَ (عن وجهها) وقالت : أنا عزَّةُ ، فإنْ كنتَ صادقاً فافعلْ ما قلتَ ، فأُفْحِمَ ، فقالت للقائد : قُدْ قطارَكَ ، فقادَه ، وبقى كُثيِّر مكانَه لا يُحيرُ ولا يَنْطقُ حتَّى تَوارتْ ، فلمّا فقدها سالتْ دموعُه وأنشأ يقول[٢] :

326

وقَضَّيْنَ ما قَضَّيْنَ ثُم تَرَكْنَنى ... بفَيْفَا خُرَيمٍ قائماً أَتَلَدَّدُ[٣]

تَأَطَّرْنَ حتَّى قُلْتُ لَسْنَ بَوارحاً ... وذُبْنَ كما ذابَ السَّديفُ المُسَرْهَدُ[٤]

(أَقُولُ لماءِ العَيْنِ : أَمْعِنْ ، لَعَلَّهُ ... لِمَا لا يُرىٰ من غائب الوَجْد يشْهَدُ)

فلم أَرَ مثْلَ العَيْنِ ضنَّتْ بمائها ... علىَّ ولا مِثْلِي على الدَّمْعِ يَحْسُدُ

وبَيْنَ التَّراقِى واللَّهاة حَرَارَةٌ ... مَكان الشَّجَىٰ ما إنْ تَبُوحُ فتَبْرُدُ

وعادت عزَّةُ إلى مصرَ ، وخرج كُثيِّر يريد مصرَ ، فوافاها والناسُ ينصرفون عن جِنَازتها .

---

(١) القطار : أن تقطر الإبل بعضها إلى بعض على نسق ، واحداً خلف واحد ، وهو بكسر القاف ، وهو « فعال » بمعنى المفعول ، كالبساط والكتاب ، بمعنى المبسوط والمكتوب . وضبط فى ل بضم القاف ، وهو خطأ لا وجه له .

(٢) الأبيات : الأول والخامس والرابع فى البلدان ٦ : ٤١٣ .

(٣) أتلدد : أتلفت يميناً وشمالا وأتحير متبلداً .

(٤) تأطرن : أقمن ولزمن مكانهن . السديف : السنام المقطع ، أو شحمه . المسرهد : السمين ، وأصل «المسرهد» المنعم المغذى . والبيت فى اللسان ٥ : ٨٣ ونسبه لعمر بن أبى ربيعة ، وليس فى ديوانه ، ولكن ذكره ناشره فى الشعر المنسوب إليه مما ليس فى الديوان ٢٣٢ نقلا عن اللسان وشرح القاموس .

٨٩٦ ● وممّا يستجادُ من شعره قولُه :

أغاضرَ لَوْ شَهِدْتِ غَدَاةَ بِنْتُمْ   حُنُوَّ العائدات على وِسَادِى[١]

أَوِيتِ لِوَامِقٍ لم تَشْكُمِيه   نَوَافِذُهُ تَلَذَّعُ بالزِّنادِ[٢]

وغاضرةُ : أمُّ ولدِ بشر بن مروانَ .

٨٩٧ ● ويُتَمَثَّلُ من شعره بقوله :

ومَن يَبْتَدِعْ ماليْس من سُوسِ نَفْسه   يَدَعْهُ ، ويَغْلِبْهُ على النَّفْسِ خِيمُها[٣]

٨٩٨ ● وقولُه :

ومَن لا يُغَمِّضْ عَيْنَهُ عن صَدِيقِهِ   وعَنْ بَعْضِ ما فِيهِ يَمُتْ وهْوَ عاتِبُ

ومَن يَتَتَبَّعْ جاهدًا كُلَّ عَثْرَةٍ   يَجِدْها ، ولا يَسْلَمْ له الدَّهْرَ صاحبُ

٨٩٩ ● ويُختار من قوله :

وأجْمعُ هجْرَاناً لأَسْماءَ إنْ دَنَتْ   بها الدَّارُ لاَ مِنْ زَهْدَةٍ فى وِصالِهَا

327

فإنْ شَحَطَتْ يوماً بَكَيْتُ وإنْ دَنَتْ   تَذَلَّلْتُ واسْتَكْثَرْتُهَا باعتِزالِهَا

٩٠٠ ● وقولِه فى سياسة النساءِ :

وكُنْتُ إذا ما جِئْتُ أَجْلَلْنَ مَجْلِسِى   وأَبْدَيْنَ منِّى هَيْبَةً لا تَجَهُّمَا

يُحَاذِرْنَ مِنِّى غَيْرَةً قد عَلِمْنَهَا   قَدِيماً ، فما يَضْحَكْنَ إلاَّ تَبَسُّمَا

تَرَاهُنَّ إلاَّ أَنْ يُؤَدِّينَ نَظْرَةً   بِمُؤْخِرِ عَيْنٍ أَو يُقَلِّبْنَ مِعْصَمَا

كَوَاظِمَ ما يَنْطِقْنَ إلاَّ مَحُورَةً   رَجِيعَةَ قَوْلٍ بَعْدَ أَنْ يَتَفَهَّمَا[٤]

---

(١) رواية اللسان ١ : ٤٣ « جنوء » بدل « حنو » . والجنوء : مصدر « جنأت » المرأة على الوالد ، أى أكبت عليه .

(٢) لم تشكميه : لم تعطيه ، الشكم : العطية والنعمى ، بفتح الشين المصدر ، وبضمها الاسم .

(٣) السوس : الأصل أو الطبع والخلق والسجية . الخيم : بمعنى السوس أيضاً . والبيت فى اللسان ١٥ : ٨٤ غير منسوب .

(٤) المحورة : الجواب ، وهى من « المحاورة » كالمشورة من المشاورة .

وكُنَّ إذا ما قُلْنَ شَيْئاً يَسُرُّهُ ... أَسَرَّ الرِّضَا فى نَفْسِهِ وتَجَرَّمَا[1]

٩٠١ ● وقوله لعزّةَ :

[قال أبو علىّ فى النَّوَادر[2] : قرأتُ هذه القصيدةَ على أبى بكر بن دُرَيد فى شعر كُثَيِّر ، وهى من منتخَبات شِعر[3] كُثَيِّر ، وأوَّلُها[4] :

خَلِيلَىَّ هـــذا رَبْعُ عَزَّةَ فاعْقِلَا ... قَلُوصَيْكُمَاثُمَّ ابْكِيَا حَيْثُ حَلَّت[5]

وما كُنْتُ أَدْرِى قَبْـــلَ عَزَّةَ ما البُكَا ... ولا مُوجِعاتِ الحُزْنِ حَتَّى تَوَلَّتِ]

وكانَتْ لِقَطْعِ الحَبْلِ بَيْنِى وبَيْنَها ... كَنَاذِرَةٍ نَذْرًا وَفَتْ فأَحَلَّت[6]

فَقُلْتُ لها : يا عَزَّ كُلُّ مُصِيبَةٍ ... إذا وُطِّنَتْ يَوْماً لها النَّفْسُ ذَلَّت[7]

ولم يَلْقَ إنْسَانٌ منَ الحُبِّ مَيْعَــةً ... تَعُمُّ ، ولا عَمْياءَ إلاَّ تَجَلَّت[8]

كأَنِّى أُنادى صَخْرَةً حينَ أَعْرَضَتْ ... منَ الصُّمِّ لَوْ تَمْشِى بها العِيسُ زَلَّت

---

(١) تجرم : ادعى عليه الجرم وإن لم يجرم .

(٢) هذه الزيادة إلى آخر البيت الثانى ليست من كلام ابن قتيبة ، كما هو ظاهر بين ، فإن أبا على هو القالى المولود سنة ٢٨٠ أى بعد وفاة ابن قتيبة ، وهذا المنقول عن أبى على هنا ثابت فى الأمالى ٢ : ١٠٧ — ١٠٨ ، وكتاب الأمالى يسميه كثير من الناس « النوادر » تسمية له باسم القسم الأخير الذى ألحقه به مؤلفه وسماه « النوادر » . فهذه الزيادة نجزم بأن بعض الناس زادها على الكتاب تماماً للفائدة ثم شبه على بعض الناسخين فأدخلها فى صلب الكتاب . ونقل مصحح ل أن بعضهم كتب بهامش د ما يفيد أن أبا على هو قطرب ، واختار المصحح ذلك فوضعه فى الفهرس ! وهذا خطأ صرف ، فقطرب ، وهو « أبو على محمد بن المستنير » وإن كان له كتاب يسمى « النوادر » إلا أنه لا يعقل أن يقرأ على أبى بكر بن دريد ، لأنه مات سنة ٢٠٦ وابن دريد ولد بعد ذلك بدهر ، سنة ٢٢٣ ، فأنى يكون هذا ؟!

(٣) كلمة « شعر » زدناها من الأمالى .

(٤) القصيدة كاملة فى الأمالى ، وعنها الخزانة ٢ : ٣٧٩ — ٣٨١ . ومنها أربعة أبيات فى البلدان ٦ : ٤١٢ — ٤١٣ .

(٥) مضى البيت ٤٠٤ .

(٦) فى ل « لناذرة » وهو خطأ مخالف لسائر الروايات .

(٧) فى الكامل ٢٧٩ وعنه الخزانة ٤ : ٣٢٨ بعد رواية البيت أن عبد الملك بن مروان كان يقول : « لو كان هذا البيت فى صفة الحرب لكان أشعر الناس » .

(٨) الميعة : سيلان الشىء المصبوب ، وميعة الشباب والسكر والنهار وجرى الفرس : اوله وأنشطه .

صَفُوحاً فما تَلْقَاكَ إلا بَخِيلَةً ... فمَنْ مَلَّ منها ذلكَ الوَصْلَ مَلَّت(١)

أباحَتْ حِمًى لم يَرْعَهُ النَّاسُ قَبْلَها ... وحَلَّتْ تِلاعاً لم تَكُنْ قَبْلُ حُلَّت

أُرِيدُ الثَّوَاءَ عِنْدَها وأَظُنُّها ... إذا ما أَطَلْنا عِنْدَهَا المَكْثَ مَلَّت(٢)

يُكَلِّفُها الغَيْرَانُ شَتْمِى ، وما بِها ... هَوَانِى ، ولكِنْ لِلمَلِيكِ اسْتَذَلَّت(٣)

هَنِيئاً مَرِيئاً غَيْرَ داءٍ مُخامِرٍ ... لِعَزَّةَ من أعْراضِنا ما اسْتَحَلَّت(٤)

فإنْ تَكُنِ العُتْبَى فأَهْلاً ومَرْحَباً ... وحَقَّتْ لها العُتْبَى لَدَيْنا وقَلَّت(٥)

وإنْ تَكُنِ الأُخْرَى فإنَّ وَرَاءَنا ... مَناوِيحَ لو سارَتْ بها الرِّئْمُ كَلَّت(٦)

أسِيئى بنا أو أحْسِنِى لا مَلُومَةً ... لَدَيْنا ، ولا مَقْلِيَّةً إنْ تَقَلَّت(٧)

وواللهِ ما قارَبْتُ إلاّ تَباعَدَتْ ... بِصُرْمٍ ، ولا استَكْثَرْتُ إلاّ أقَلَّت(٨)

وواللهِ ثُمَّ اللهِ ما حَلَّ قَبْلَها ... ولا بَعْدَها من خُلَّةٍ حَيْثُ حَلَّت

وما مَرَّ من يَوْمٍ عَلَىَّ كيَوْمِها ... وإنْ كَثُرَتْ أيَّامُ أُخْرَى وجَلَّت

فَوَا عَجَبًا للقَلْبِ كَيْفَ اعْتِرافُهُ ... ولِلنَّفْسِ لَمَّا وُطِّنَتْ كَيْفَ ذَلَّت

وإنِّى وتَهْيَامِى بِعَزَّةَ بَعْدَما ... تَخَلَّيْتُ مِمَّا بَيْنَنَا وتَخَلَّت

---

(١) صفوحاً : معرضة ، يقال « صفح عنه » أى أعرض مولياً » . والبيت فى اللسان ٣ : ٣٤٧ .

(٢) فى ل « المكث عندها » وبه يختل الوزن ، وأثبت الصواب فى الهامش على أنه فى نسختى ب ﻫ .

(٣) الغيران : الغيور ، وجمعة غيارى » بفتح الغين وبضمها .

(٤) مخامر : مخالط .

(٥) العتبى : الرضا ، أى الرجوع عن الإساءة إلى ما يرضى العاتب .

(٦) مناويح : كذا فى الأصول ، ولعله من « تناوح الرياح » أى تقابلها . وفى الأمالى والخزانة منادح » وهى المناوز . الرئم : الخالص البياض من الظباء .

(٧) ل « وأحسنى » ويختل به الوزن ، وصحح من المصادر الأخر . مقلية : من القلى ، بكسر القاف ، وهو البغض ، تقلت : تبغضت . والبيت فى اللسان ٢٠ : ٦٠ وفى الخزانة ٢ : ٣٨١ عن أبى الحسن بن طباطبا فى كتاب عيار الشعر أن العلماء قالوا : « لو جعل قوله * أسيئى بنا أو أحسنى * البيت فى وصف الدنيا كان أشعر الناس .

(٨) فى المصادر الأخر « ولا أكثرت » . الخلة ، بضم الخاء : الصداقة ، والخلة أيضاً : الصديق ، الذكر والأنثى والواحد والجميع فى ذلك سواء ، لأنه فى الأصل مصدر .

لكالمُرْتَجِى ظِلَّ الغَمَامَة كُلَّما تَبَوَّأَ منها للمَقِيل اضْمَحَلَّتِ

٩٠٢ • ومن الإفراط قولُه :

ومَشَى إلَىَّ بعَيْبِ عَزَّةَ نِسْوَةٌ جَعَلَ الإلهُ خُدُودَهُنَّ نِعالَهَا

ولَوَ انَّ عَزَّةَ خاصَمَتْ شَمْسَ الضُّحَى فى الحُسْنِ عنْدَ مُوَفَّق لَقَضَى لَهَا

٩٠٣ • ودخل كُثَيِّر على عبد العزيز بن مروانَ وهو مريض ، وأهلُه يتمنَّونَ أن يضحكَ . فلمّا وقَف عليه قال (له : والله أيُّها الأَميرُ) لولا أنَّ سُرورَك لا يَتم بأَنْ تَسْلَمَ وأَسْقَم لدعوتُ ربى أن يصرف ما بكَ إلَىَّ ، ولكنِّى أسأَل اللهَ لك أيُّها الأَميرُ العافيةَ ولى فى كَنَفكَ النِّعمةَ ، فضحكَ وأمر له بمال.

329

٩٠٤ • وهو القائلُ له :

ونَعُودُ سَيِّدَنا وسَيِّدَ غَيْرِنا لَيْتَ التَّشَكِّىَ كان بالعُوَّادِ

لو كان يَقْبَلُ فِدْيَةً لَفَدَيْتُهُ بالمُصْطَفَى من طارِفى وتِلادى(١)

٩٠٥ • (ولعبد العزيز يقولُ كُثَيِّرٌ(٢)) :

إذَا المالُ لم يُوجِبْ عليكَ عَطَاءَهُ صَنيعةُ تَقْوَى أو خَليلٌ تُخالقُهْ

مَنَعْتَ ، وبَعْضُ المَنْعِ حَزْمٌ وقُوَّةٌ فلم يَفْتَلِذْكَ المالَ إلاَّ حَقائقُهْ(٣)

فبُورِكَ ما أَعْطَى ابنُ لَيْلَى بِنيَّة وصامتُ ماأعْطَى ابنُ لَيْلَى وناطقُهْ(٤)

٩٠٦ • وكان كُثَيِّرٌ يقولُ بالرَّجْعَة ، وفى ذلك يقولُ :

---

(١) الطارف والطريف : المال المستفاد المستحدث . التلاد والتالد والتليد : المال القديم الأصلى يورث عن الآباء أو يولد عندك ، وهو نقيض الطارف .

(٢) البيتان الأولان فى الكامل ٣٠٩ – ٣١٠ غير منسوبين ، وقال الأخفش فيما يستدرك به عليه : « الشعر لنصيب ، وقيل لكثير ، والأول أثبت » . وهما فى اللسان ٥ : ٢٨ لكثير قولا واحداً.

(٣) لم يفتلذك : لم يقتطع منك ، يقال « فلذ له من العطاء » أى قطع له ، ومنه « فلذة الكبد » .

(٤) الصامت من المال : الذهب والفضة ، والناطق : الحيوان ، الإبل والغنم ونحوها .

أَلاَ إنَّ الأَئِمَّةَ من قُرَيْشٍ وُلاَةَ الحَقِّ أَرْبَعَةٌ سَوَاءُ

عَلِيٌّ والثلاثَةُ من بنيه هُمُ الأَسْباطُ لَيْسَ بِهِمْ خَفَاءُ

فَسِبْطٌ سِبْطُ إيمانٍ وبرٍّ وسبْطٌ غَيَّبَتْهُ كَرْبَلاَءُ

وسبْطٌ لا يَذُوقُ المَوْتَ حَتَّى يَقُودَ الخَيْلَ يَقْدُمُها اللِّواءُ

تَغَيَّبَ لا يُرَى عنهم زماناً برَضْوَى عندَه عَسَلٌ وماءُ

كأنَّه يعنى ابنَ الحَنَفيَّة ، ويذكرون أنه دَخَل شِعْب اليمنِ فى أربعين من أصحابه فما رئى لهم أثرٌ .

٩٢ ـ الأحوص (١)

330 ٩٠٧ ● هو الأَحْوَصُ بن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت بن أبى الأَقْلَحِ . وعاصمُ بن ثابتٍ من الأَنصار ، وهو حمىُّ الدَّبْرِ (٢) .

٩٠٨ ● وكان الأَحْوَصُ يُرْمَى بالأُبْنَة والزِّنا ، وشُكِىَ إلى عمر بن عبدالعزيز فنفاه من المدينة إلى قريةٍ من قُرَى اليمنِ على ساحل البحر ، فدَخل إليه عدَّةٌ من الأَنصار فكلَّموه فيه ، وسأَلوه أن يردَّه إلى المدينة ، فقال (٣) لهم عمرُ : مَنِ القائلُ :

أَدُورُ ولَوْلا أَنْ أَرَى أُمَّ جَعْفَرٍ بأَبْيَاتِكُمْ ما دُرْتُ حَيْثُ أَدُورُ ؟

قالوا : الأَحوصُ ، قال : فمَنِ الذى يقولُ :

ستُبْلَى لكم فى مُضْمَرِ القَلْبِ والحَشَا سَرِيرَةُ حُبٍّ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائرُ ؟

قالوا : الأَحوصُ ، قال : فمَنِ الذى يقولُ :

اللهُ بَيْنِى وبَيْنَ قَيِّمِها يَفِرُّ منى بها وأَتَّبِـعُ ؟

(١) ترجمته فى الجمحى ١٣٧ – ١٤٠ والأغانى ٤ : ٤٠ – ٥٨ والمؤتلف ٤٧ – ٤٨ واللآلى ٧٣ والخزانة ١ : ٢٣١ – ٢٣٤ .

(٢) الدبر ، بفتح الدال وسكون الباء : النحل والزنابير . وسمى عاصم « حمى الدبر » لأن النحل حمته من المشركين أن يمثلوا به بعد قتله . وكان رضى الله عنه من السابقين الأولين . بعثه رسول الله صلى الله عليه فى نفر من أصحابه إلى عضل والقارة يفقهونهم ويقرئونهم القرآن ، حين سألوه ذلك . ثم غدروا بهم فقتلوهم ، وتلك قصه يوم الرجيع سنة ٣ من الهجرة . وكان عاصم قد عاهد الله أن لا يمس مشركاً أبداً ولا يمسه مشرك ، فلما أرادوا أن يأخذوه أرسل الله عليهم الدبر فحمته منهم . انظر الإصابة ٤ : ٣ وسيرة ابن هشام ٦٣٩ .

(٣) فى الأغانى والخزانة أن الذى نفاه هو سليمان بن عبد الملك ، وأنه أقام منفيا إلى أن ولى عمر ابن عبد العزيز ، فكتب إليه الأحوص يستأذنه فى القدوم ، وسأله الأنصار أيضاً أن يقدمه إلى المدينة إلخ.

قالوا : الأَحوصُ ، قال : لا جَرَمَ لا رَدَدْتُه إلى المدينة ما كان لى سلطانٌ.

٩٠٩ ● وقال (الأَحوصُ) يعاتب عمرَ بن عبد العزيز[١] :

أَلَسْتَ أَبَا حَفْصٍ هُدِيتَ مُخَبِّرِى : أَفى اللهِ أَنْ أُقْصَى ويُدْنَى ابنُ أَسْلَمَا[٢]

وكُنَّا ذَوِى قُرْبَى إليك فأَصْبَحَتْ قَرابَتُنا ثَدْياً أَجَدَّ مُصَرَّمَا[٣]

وكُنْتَ وما أَمَّلْتُ منك كبارِقٍ لَوَى قَطْرَهُ من بَعْدِ ما كان غَيَّمَا

وقد كُنْتَ أَرْجَى الناسِ عنْدِى مَوَدَّةً لَيَالِىَ كان العِلْمُ ظَنًّا مُرَجَّمَا[٤]

أَعُدُّكَ حِرْزًا إنْ خَشِيتُ ظُلامَةً ومالًا ثَرِيًّا حينَ أَحْمِلُ مَغْرَمَا

تدَارَكْ بعُتْبَى عاتباً ذَا قَرابَةٍ طَوَى الغَيْظَ لم يَفْتَحْ بسُخْطِكم فَمَا

٩١٠ ● ويُسْتَحْسَنُ من شعره قولُه :

أَلَا لا تَلُمْهُ اليَوْمَ أَنْ يَتَبَلَّدَا فقَدْ غُلِبَ المَحْزُونُ أَنْ يَتَجَلَّدَا[٥]

وما العَيْشُ إلاَّ ما تَلَذُّ وتَشْتَهِى وإنْ لَامَ فيه ذو الشَّنَانِ وفَنَّدَا[٦]

بَكَيْتُ الصِّبَا جَهْدًا فمَنْ شاءَ لامَنِى ومَن شاءَ واسَى فى البُكاءِ وأَسْعَدَا[٧]

---

(١) الأبيات فى الخزانة ٢ : ١٤ وفيها بيتان زائدان .

(٢) فى الخزانة أن عمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة أدنى يزيد بن أسلم ، وجفا الأحوص ، وأن الأحوص أرسل له هذه القصيدة من منفاه . وراوية الخزانة «أفى الحق أن أقصى» إلخ ، قال : «فقال عمر : ذلك هو الحق» .

(٣) الثدى الأجد : المقطوع ، أو اليابس . المصرم : المقطوع : وإنما ذكر قرابته منه ، لأن أم عمر بن عبد العزيز هى أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، وعاصم هذا أمه أنصارية ، وهى أم جميلة بنت ثابت بن أبى الأقلح ، فهى أخت عاصم بن ثابت الجد الأعلى للأحوص .

(٤) المرجم : الذى لا يوقف على حقيقة أمره ، من «الرجم» وهو القذف بالغيب والظن .

(٥) يتبلد : يتردد متحيراً ، التبلد نقيض التجلد . والبيت فى اللسان ٤ : ٦٤ غير منسوب .

(٦) الشنان : البغض ، وأصله «الشنآن» مصدر «شنأ» وهو مصدر على «فعلان» كالنزوان والضربان ، ثم سهلت همزته . فند : من التفنيد ، وهو اللوم وتضعيف الرأى . والبيت فى اللسان ١ : ٩٥ .

(٧) أسعده : شاركه فى البكاء وعاونه ، وأصل الإسعاد للنساء فى المناحات ، تقوم المرأة فتقوم معها أخرى من جاراتها فتساعدها على النياحة . قال الخطابى : «أما الإسعاد فخاص فى هذا المعنى ، =

وإنى وإنْ عُيِّرْتُ فى طَلَب الصِّبَا　　لأَعْلَمُ أنى لَسْتُ فى الحُبِّ أوْحَدَا

إذا كُنْتَ عِزْهاةً عن اللَّهْوِ والصِّبَا　　فكُنْ حَجَرًا من يابِسِ الصَّخْرِ جَلْمَدَا[١]

٩١١ ● وكان يزيدُ بن عبد الملك صاحبُ حَبَابَة وسَلاَّمَةَ قد تَرك لشُغْله باللَّهو الظهورَ للعامَّة وشهادةَ الجمعة ، فقال له مَسْلَمَة أخوه : يا أمير المؤمنين قد تركتَ الأُمور وأضعتَ المسلمين وقعدتَ فى منزلك مع هاتَيْن الأَمَتَيْن ، فارْعَوَى قليلًا وظَهر للناس ، فقالت حَبَابَةُ للأَحوص : قُلْ شعرًا أُغنى به أميرَ المؤمنين ، فقال : * وما العَيْشُ إلا ما تَلَذُّ وتَشْتَهى * الأبيات

ثم غنَّتا يزيدَ به ، فضربَ بخَيْزُرَانَته الأَرْضَ ، وقال : صدقتِ صدقتِ ، على مَسْلَمةَ لعنةُ الله وعلى ما جاءَ به ، وعاد لحالته الأُولى ، إلى أن ماتَتْ حَبَابَةُ ، ثم ماتَ بعدها بأيّامٍ حزناً عليها ووَجْدًا[٢] .

٩١٢ ●ومن هذا الشعرِ :

وأَشْرَفْتُ فى نَشْزٍ منَ الأَرْضِ يافعٍ　　وقد تَشْعَفُ الأَيفاعُ مَن كان مُقْصَدَا[٣]

فقُلْتُ : أَلَا يا لَيْتَ أَسْماءَ أَصْقَبَتْ　　وهَلْ قَوْلُ « لَيْتَ » جامعٌ ما تَبَدَّدَا[٤]

وإنى لَأَهْـواها وأَهْوَى لقاءَها　　كما يَشْتَهِى الصادى الشَّرابَ المُبَرَّدَا[٥]

332

=وأما المساعدة فمامة فى كل معونة » وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن هذا الإسعاد ، وهو عمل جاهلى .

(١) العزهاة : العازف عن اللهو والنساء ، لا يطرب للهو ويبعد عنه . والبيت فى اللسان ١٧ : ٤١٠ غير منسوب .

(٢) القصة مفصلة فى الأغانى ١٣ : ١٥٠ — ١٥٣ بأطول مما هنا ، وفيه أبيات كثيرة من هذه القصيدة .

(٣) النشز : المتن المرتفع من الأرض . اليافع : المرتفع المشرف أيضاً ، كاليفع ، وجمع اليفع « أيفاع » . تشعفه : تذهب بفؤاده . المقصد ، بضم الميم وفتح الصاد : الذى أصابه السهم أو الرمح فمات مكانه . وقد مضى البيت ٢٥ .

(٤) أصقبت : دنت وقربت .

(٥) الصادى : العطشان .

عَلاَقَةَ حُبٍّ لَجَّ فى سَنَنِ الصِّبا فأبْلَىٰ وما يَزْدادُ إلاَّ تَجَدُّدَا

٩١٣● ويُختار له قولُه :

ما من مُصيبَةِ نَكْبَةٍ أُمنىٰ بها إلاَّ تُشَرِّفُنى وتُعْظِمُ شانى

إنى إذَا خَفىَ اللِّئَامُ وَجَدْتَنى كالشَّمْس لا تَخْفَىٰ بكُلِّ مكان

٩٣ ـ أرطاة بن سهية[١]

٩١٤ ● هو من بنى مُرَّةَ بن عوف بن سعد ، ويكنَى أبا الوليد . ودخل على عبد الملك بن مروان فقال : هل تقولُ اليومَ شعرًا ؟ فقال : (كيف أقولُ وأنا) ما أشربُ ولا أطرب ولا أغضبُ ، وإنَّما يكون الشعرُ على هذا[٢]؟! وأنا الذى أقولُ :

رَأَيْتُ المَرْءَ تأْكُلهُ اللَّيَالى ... كأَكْلِ الأَرْضِ ساقطةَ الحَديد[٣]

وما تُبْقِى المَنيَّةُ حينَ تأْتِى ... على نَفْس ابْنِ آدَمَ من مَزِيد

وأَعْلَمُ أنَّها سَتكُرُّ حتَّى ... تُوَفِّىَ نَذْرَها بأَبِى الوليد

ففزع عبدُ الملك ، وكانت كنيتَه ، فقال : لم أعْنِكَ إنَّما عَنَيتُ نفسى ، فقال عبدُ الملك وأنا أيضاً .

٩١٥ ● وهو القائلُ :

وما دُونَ ضَيْفى من تلادٍ تَحُوزُهُ ... لِىَ النَّفْسُ إلاَّ أنْ تُصانَ الحَلائِلُ

وهو القائلُ :

لَقَدْ رَأَيْتُكَ عُرْيَاناً ومُؤْتَزِرًا ... فما دَرَيْتُ أأُنثَى كنْتَ أمْ ذَكَرَا[٤]

---

(١) ترجمته فى الاشتقاق ١٧٦ – ١٧٧ والأغانى ١١ : ١٣٤ – ١٤٠ والإصابة ١ : ١٠٤ واللآلى ٢٩٩ ، ٦٣٠ . و « أرطاة » بفتح الهمزة ، و « سهية » بضم السين ، وهى أمه ، وهى سهية بنت زامل ، غلب عليه النسب إليها . وهو أرطاة بن زفر بن عبد الله بن مالك ، أدرك الجاهلية وعاش إلى خلافة عبد الملك بن مروان ، دخل على عبد الملك وقد أتت عليه مائة وثلاثون سنه . وله شعر فى نسب قريش للمصعب (ص ١١٨ خط) . (٢) مضت هذه القصة ٨٠ وانظر الأغانى والإصابة .

(٣) الأبيات فى نسب قريش (ص ١٢٣ خط)

(٤) فى الأغانى « أنثى أنت أم ذكر » . وفيه أنه قال هذا للربيع بن قعنب ، فقال له الربيع : « لكن سهية قد عرفتنى ! فغلبه وانقطع أرطاة » .

٩١٦ ● (ومما سَبَق إليه وأُخذ منه قولُه يصفُ الخيلَ :

كأَنَّ أَعْيُنَها من طُولِ ما جَشِمَتْ   سَيْرَ الهَوَاجِرِ زَيْتٌ فى قَوَارِيرِ

قال غيرُه :

إذ الرَّكائبُ مَخْسُوفٌ نَوَاظِرُها   كما تَضَمَّنَتِ الدُّهْنَ القَوَارِيرُ

وفى هذه يقول أَرْطَاةُ بن سُهَيَّةَ :

إذا وَنَتْ ذاتُ أَذْيَالٍ تُذِيعُ به   قالَتْ لأُخْرَى كَغَيْرَى أُغْضِبَتْ : دُوري

كأَنَّ مُخْتَلِفَ الأَرْواحِ بَيْنَهما   فيها مَلَاعبُ أَبْكارٍ مَعَاصيرِ[1])

---

(١) معاصير : جمع « معصر » بضم الميم وكسر الصاد ، وهى التى بلغت عصر شبابها وأدركت ، وتجمع أيضاً « معاصر » بدون الياء .

٩٤ ـ ذو الرمة[١]

٩١٧ ● هو غَيْلَانُ بن عُقْبَةَ بن بُهَيْش[٢] ، ويكنى أبا الحرث . وهو من بنى صَعْبِ بن مِلْكانَ بن عَدِىّ بن عبد مَنَاةَ .

٩١٨ ● وسُئل جريرٌ عن شعره ، فقال : أبْعارُ غِزْلَانٍ ونُقَطُ عَرُوس !

٩١٩ ● وكان يوماً يُنْشِد فى سوق الإبلِ شعرَه الذى يقول فيه ·

* عَذٌّ بَتنْهُنٌ صَيْدَحُ[٣] *

و «صَيْدَحُ» ناقتُه ، فجاء الفرزدقُ فوقَفَ عليه فقال له : كيف تَرَى ما تَسمعُ يا أبا فِراسٍ ؟ قال : ما أَحْسَنَ ما تقولُ ! فقال فما بالى لاأُذْكَرُ مع الفُحول ؟ قال : قَصَّر بِكَ عن غاياتهم بُكاؤُكَ فى الدِّمَنِ وصِفَتُكَ للأَبعار والعَطَنِ ، وأنشأ يقولُ[٤] :

334 ودَوِّيَّةٍ لو ذُو الرُّمَيْمِ يَرُومُها بِصَيْدَحَ أَوْدَى ذو الرُّمَيْمِ وصَيْدَحُ[٥]

---

(١) ترجمته فى الجمحى ١٢١ ، ١٢٥ – ١٢٨ والاشتقاق ١١٦ واللآلى ٨١ – ٨٢ والأغانى ١٦ : ١٠٦ – ١٢٥ وابن خلكان ١ : ٥١٠ – ٥١٣ والخزانة ١ : ٥٠ – ٥٣ والعينى ١ ٤١٢ وأول ديوانه المطبوع بالمطبعة الوطنية ببيروت سنة ١٣٥٣ . و « الرمة » بضم الراء ، وهى الحبل البالى ، ونسب إليها لشعر قاله ، وسيأتى ٣٣٤ ل .

(٢) بهيش : بضم الباء الموحدة وآخره شين معجمة ، كما ضبطه الذهبى فى المشتبه ٥٨ وكما ذكر فى القاموس فى مادة (ب ه ش) وفى ب د « بهيس » بالموحدة والمهملة ، وفى ه « نفيس » وكلاهما تصحيف . وفى الأغانى واللآلى وابن خلكان « نهيس بالنون والمهملة » ولم أجد ما يؤيده .

(٣) لم أجد هذه الجملة فى القصيدة الحائية التى يظن أن تكون منها فى ديوان ذى الرمة . ولكن البيت ثابت فى الأغانى ١٦ : ١١١ .

(٤) البيتان فى ديوان الفرزدق ١٤٧ .

(٥) الدوية : المفازة البعيدة الأطراف المستوية الواسعة ، كالدو ، أو هى نسبة إلى « الدو » .

قَطَعْتُ إلى مَعْرُوفها مُنْكَرَاتِهـا إذَا خَبَّ آلُ الأَمْعَزِ المُتَوَضِّحُ[١]

٩٢٠● وقال عيسى بن عُمر[٢] : قال لى ذُو الرُّمَّة : ارفعْ هذا الحرفَ ، فقلتُ له: أتَكتبُ؟ فقال بيده على فيه ، أى: اكْتُمْ علىَّ : فإنَّه عندنا عَيْبٌ!

٩٢١● قال : وقدمتُ من سفرٍ فأتانى ذُو الرُّمَّة فعرضتُ له بأن أعطيَه شيئاً ، فقال لى : أنا وأنت (واحدٌ) ، نأْخذُ ولا نُعطِى .

٩٢٢● ولمَّا حضرتْه الوفاةُ بالبادية قال : أنا ابنُ نصف الهَرم ، أى أنا ابن أربعينَ ، وقال :

ياقابِضَ الرُّوحِ مِن نَفْسى إذَا احْتُضِرَتْ وغافِرَ الذَّنْبِ زَحْزِحْنِى عَنِ النارِ[٣]

٩٢٣● وإنَّما سُمِّىَ ذا الرُّمَّة بقوله فى الوَتِدِ :

---

(١) س ب « وقد خب » . خب : أسرع ، والخبب : ضرب من السير . الآل : السراب . الأمعز : الأرض الحزنة الغليظة ذات الحجارة . المتوضح : الأبيض ، من « الوضح » وهو الضوء والبياض . وفى الأغانى : « قال عمر بن شبة فى هذا الخبر : فقام إليه ذو الرمة فقال : أنشدك الله أبا فراس أن تزيد عليهما شيئاً! فقال : إنهما بيتان ولن أزيد عليهما شيئاً » .

(٢) بهامش د ما نصه : « عيسى بن عمر النحوى مولى خالد بن الوليد المخزومى ، وأخذ عن ابن أبى إسحق ، وكان يطعن على العرب ، وتوفى سنة اثنتين وثمانين ومائة ، قبل وفاة أبى عمرو بن العلاء بخمس سنين أو ستة) . وعيسى هذا هو الثقفى ، نزل فى ثقيف فنسب إليهم ، وهو عالم بالنحو والعربية والقراءة مشهورة بذلك . وهو شيخ سيبويه ، وصنف نيفاً وسبعين كتاباً فى النحو لم يبق منها سوى الجامع والإكمال ، لأنها كانت احترقت إلا هذين . وهو صاحب الكلمة المشهورة : « ما لكم تكأكأتم على »! وانظر رواية أخرى لهذا الخبر فى المزهر ٢ : ٣٤٩ . وتاريخ وفاته الذى ذكر فيما كتب بهامش د خطأ ، فإنه توفى سنة ١٤٩ وأبو عمرو بن العلاء مات سنة ١٥٤ . وترجمة عيسى فى معجم الأدباء ٦ : ١٠٠ — ١٠٣ وابن خلكان ١ : ٤٩٧ — ٤٩٨ وطبقات القراء ١ : ٦١٣ والتهذيب ٨ : ٢٢٣ — ٢٢٤ وبغية الوعاة ١٧٠ والشذرات ١ : ٢٢٤ — ٢٢٥ .

(٣) فى الأغانى ١٦ : ١٢٢ : وكان آخر ما قاله :

يارب قد أشرفت نفسى وقد علمت علماً يقيناً لقد أحصيت آثارى

يا مخرج الروح من جسمى إذا حتضرت وفارج الكرب زحزحنى عن النار »

(لم يَبْقَ منها أَبَدَ الأَبِيدِ غَيْرُ ثَلاَثٍ ماثلاتٍ سُودِ[١]

وغَيْرُ مَرْضُوخِ القَفَا مَوْتُودِ) أَشْعَثَ باقِى رُمَّة التَّقْليد[٢]

٩٢٤ ● وكان ذو الرمّة أَحدَ عُشّاقِ العرب المشهورين بذلك ، وصاحبتُه مَيَّةُ بنتُ فلان بن طَلَبَةَ[٣] بن قَيْسِ بن عاصم بن سِنَانٍ .

335

قال أَبو سَوَّارٍ الغَنَوِىُّ[٤] : رأَيتُ مَيَّةَ وإذَا معها بَنُونَ لها صغارٌ ، فقلتُ : صِفْهَا لى ، فقال : مَسْنُونَةُ الوجه[٥] طويلةُ الخدِّ شمَّاءُ الأَنف عليها وَسْمُ جَمال . فقالتْ : ما تلقَّيْتُ بأَحدٍ من بنىَّ هؤلاءِ إلاَّ فى الإبل[٦] ،قلت : أَفكانتْ تُنشدكَ شيئاً ممّا قال فيها ذو الرُّمَّة ؟ قال : نعم ، كانت تَسُحُّ سَحًّا[٧] ما رأَى أَبوكَ مثلَه .

٩٢٥● ومكثتْ مَيَّةُ زماناً لا تَرَى ذا الرُّمَّة وتسمعُ شعرَه ، فجعلتْ لله عليها أَن تَنْحَرَ بَدَنَةً يومَ تَرَاه ، فلمّا رأَتْه رأَتْ رجلاً دميماً أَسودَ ، وكانت من أَجمل النساءِ . فقالت : واسَوْأَتَاهْ ! وابُؤْسَاهْ ! فقال ذو الرمّة :

---

(١) أبد الأبيد : أى أبد الدهر ، يقال « لا أفعل ذلك أبد الأبيد » و « أبد الآباد » و « أبد الأبدية » ونحو ذلك .

(٢) مرضوخ : من الرضخ ، وهو الدق والكسر . موتود : مثبت ، يقال « وتدت الوتد أتده » أى أثبته . والأبيات فى اللسان ٥ : ١٤٣ .

(٣) هكذا أبهم المؤلف اسم أبيها ، لعله نسيه ، أو من أجل الاختلاف فيه ، فى اللآلى أنها « بنت عاصم بن طلبة » وفى ابن خلكان « ابنة مقاتل بن طلبة » .

(٤) هذا يوافق ما فى الأغانى ١٦ : ١١٥ نقلا عن الجمحى . وفى ه « أبو ضرار الغنوى » وهو يوافق ما فى ابن خلكان نقلا عن ابن قتيبة فى هذا الكتاب .

(٥) مسنونة الوجه : مخروط وجهها أسيل كأنه قد سن عنه اللحم .

(٦) يقال : « تلقت المرأة » و « هى متلق » أى علقت .

(٧) تسح سحاً : أصل « السح » سيلان الماء من فوق وشدة انصبابه ، يريد أنها تكثر الإنشاد وتسرع فيه بقوة .

على وَجْه مَىٍّ مَسْحَة من مَلاَحَة ... وتَحْتَ الثِّيَابِ الشَّيْنُ لَوْ كان باديًا[١]

أَلم تَرَ أَنَّ الماءَ يَخْبُثُ طَعْمُهُ ... وإنْ كان لَوْنُ الماءِ أَبْيَضَ صافيَا

فيا ضَيْعَةَ الشِّعْرِ الّذى لَجَّ فانْقَضَى ... بِمَىٍّ ولم أَمْلِكْ ضَلاَلَ فُؤَاديَا

٩٢٦ ● وكان يُشَبِّبُ أَيضاً بخَرْقاءَ ، وهى من بنى البَكَّاءِ بن عامر بن صَعْصَعَة . و [كان[٢]] سببُ تشبيبه بها أنَّه مرَّ فى سفر[٣] ببعض البَوَادى ، فإذا خَرْقَاءُ خارجةٌ من خِبَاءٍ (لها) ، فنظر إليها ، فوقعتْ فى قلبه ، فخَرَّقَ إدَاوَتَه ودنَا منها يستطعمُ كلامَهَا ، فقال : إنِّى رَجُلٌ على ظهرِ سَفَرٍ وقد تخرَّقتْ إداوتى فأَصْلِحِيهَا لى ، فقالت : والله إنى ما أُحْسِنُ العَمَلَ ، وإنى لخرقاءُ ، والخرقاءُ : التى لا تعملُ (بيدها شيئاً) لكرامتها على أهلها ، فشبَّب بها وسمَّاها خَرْقاءَ .

336

٩٢٧ ● وقال المفضَّلُ الضَّبِّىُّ : كنتُ أَنزلُ على بعض الأَعراب إذَا حَجَجْتُ ، فقال لى يوماً : هل لكَ إلى أن أُرِيَكَ خرقاءَ صاحبةَ ذى الرُّمَّة ؟ فقلت : إن فعلتَ فقد بَرَرْتَنِى ، فتوجَّهنا جميعاً نريدُها ، فعَدَلَ بِى عن الطريق بقدرِ ميلٍ ، ثم أَتينا أَبياتَ شَعر ، فاستفتَح بيتاً ففُتِحَ له وخرجتْ علينا امرأَةٌ طويلةٌ حُسَّانَةٌ بها فَوَهٌ[٤] ، فسلَّمتْ وجلستْ ، فتحادثْنا ساعةً ثم قالت لى : هل حَجَجْتَ قطُّ ؟ قلتُ : غيرَ مرَّة ، قالت : فما مَنَعكَ من زيارتى ؟ أَمَا علمتَ أَنى مَنْسَكٌ من مَنَاسك الحَجِّ ؟! قلتُ :

---

(١) مسحة من ملاحة : شىء منها . والبيت فى اللسان ٣ : ٤٣٤ .

(٢) الزيادة من س ف .

(٣) س ف والخزانة « فى بعض أسفاره » .

(٤) حسانة : بضم الحاء وتشديد السين : حسنة . وفى ابن خلكان : « الحسانة أشد حسناً من الحسناء » . الفوه بفتح الفاء والواو : سعة الفم وعظمه . وهو أيضاً خروج الأسنان من الشفتين وطولهما .

وكيف ذاك ؟ قالتْ : أمَا سمعتَ قولَ عمِّك ذى الرُّمَّة :

تَمَامُ الحَجِّ أنْ تَقِفَ المطَـايَا على خَرْقاءَ واضِعَةِ اللِّثَام ؟ !

٩٢٨ ● وكان لذى الرمَّة إخوةٌ ، هشامٌ وأَوْفَى ومسعودٌ . فماتَ أَوفَى ، ثم مات (بعدَه) ذو الرمَّة ، فقال مسعودٌ[١] :

337 تَعَزَّيْتُ عن أَوْفَى بغَيْلاَنَ بَعْدَهُ عَزَاءً وجَفْنُ العَيْنِ ريَّانُ مُتْرَعُ[٢]
ولم تُنْسِنِى أَوْفَى المُصيباتُ بَعْدَهُ ولٰكنَّ نَكْءَ القَرْحِ بالقَرْحِ أَوْجَعُ

٩٢٩ ● هشامٌ الذى يقولُ :

حَتَّى إذا أَمْعَرُوا صَفْقَىْ مَبَاءَتِهِمْ وجَرَّدَ الخُطْبُ أَثْبَاجَ الجَراثيمِ[٣]
وأَبَّ ذُو المَحْضَرِ البادى إبابَتَهُ وقَوَّضَتْ نِيَّةٌ أَطْنَابَ تَخْيِيمِ[٤]
أَلْوَى الجِمَالُ هَرَاميلُ العِفَاءِ بها وبالمَنَاكبِ رَيْعٌ غَيْرُ مَجْلُومِ[٥]

---

(١) البيتان فى المرزبانى ٣٧٦ من رواية ابن الأعرابى أنهما لمسعود ، ثم قال : « وغيره يروى هذين البيتين لهشام أخى ذى الرمة » . وذكر الجمحى ١٢٧ – ١٢٨ الشطر الأول منهما منسوباً إلى مسعود قولا واحداً . وهى فى الأغانى ١٦ : ١٠٧ خمسة أبيات . وكذلك هى فى الحماسة ٢ : ٢٨٧ – ٢٨٩ ولكنه نسبها إلى هشام بن عقبة ، وجعل أوفى رجلا آخر ، سماه « أوفى بن دلهم » . وانظر اللآلى ٥٨٥ – ٥٨٦ ، ٦٠١ والأمالى ١ : ٢٦٣ . والبيت الثانى فى جمهرة اللغة ٣ : ٢٩٠ ونسبه لهشام بن عقبة .

(٢) س د ه « ملآن مترع » .

(٣) أمعروا : أكلوا . الصفقتان : الناحيتان . المباءة : منزل القوم حيث يتبوءون . الخطب : بضم الخاء وسكون الطاء : جمع « أخطب » وهو الحمار تعلوه خضرة . وضبط فى ل بضم الطاء ، وهو خطأ . الأثباج : جمع « ثبج » بفتحتين ، وثبج كل شىء : معظمه ووسطه وأعلاه . الجراثيم : جمع جرثومة ، وهى أصل الشجرة يجتمع إليها التراب . والبيت فى اللسان ٧ : ٣٠ .

(٤) أب : رجع . إبابته : رجوعه ، يقال « أب إلى وطنه إبابة » نزع ، وفى ل « إيابته » بالياء المثناة التحتية ، وهو خطأ . النية : الوجه يذهب إليه . الأطناب : ما يشد به البيت والسرداق من الحبال . التخييم : الإقامة وضرب الخيمة . والبيت فى اللسان ١ : ١٩٩ وجمهرة اللغة ١ : ١٣ .

(٥) ألوى الجمال : ذهبن . هراميل العفاء بها : حال من الجمال . الهراميل : جمع هرمول ، بضم الهاء : قطعة من الشعر . العفاء . ما كثر من الوبر ، يريد متساقطة الوبر . الريع : الزيادة . غير مجلوم : غير مقطوع .

حتَّى أَنَاخُوا فزَمُّوا كُلَّ مَزْمُومِ ... تَضْطَاكُّ أَعْنَاقُها والبَقُّ تَقْدَعُها[١]

أَنْسَاعُ تَابُوتِ جَوْفٍ غيرِ مَهْضُومِ ... من كُلِّ أَكْلَفَ أَوْ أَجْأَى تَئِطُّ. له[٢]

رَوْضُ القِذَافِ رَبِيعاً أَيَّ تَأْوِيمِ ... عَرَكْرَكٍ مُهْجِرِ الضُّؤْبانِ أَوَّمَهُ[٣]

الضُّؤْبانُ : وسطه[٤]. والمُهْجِر : الواسعُ ، يقال ناقةٌ ذاتُ سَنَامٍ مُهْجِرٍ إذَا كان مُشْرِفاً[٥] .

قَيْنَيْهِ فى مَرْتَعٍ أَرْمَاثُ تَرْمِيمِ ... ما مَسَّ مُذْ لُهِنَ البُهْمَى تَبَقَّلَهَا[٦]

بالنَّاصلاتِ أَنَابِيشاً بِتَشْهِيمِ ... حتَّى رَمَى أُمَّهاتُ القُرْدِ خابِطُهَا[٧]

---

(١) البق : البعوض . تقدعها : تضرب أنفها . زموا : شدوا بالزمام ، وهو الخيط الذى يجعل فى أنف البعير .

(٢) أكلف : من الكلفة ، بضم الكاف وسكون اللام ، وهى حمرة شديدة يخلطها سواد ليس بخالص ، يقال : بعير أكلف ، وناقة كلفاء . أجأى : من الجؤوة ، بضم الجيم وسكون الهمزة ، وهى من ألوان الإبل ، حمرة تضرب إلى السواد . تئط : من الأطيط ، وهو صوت النسع الجديد وصوت الرحل .

(٣) العركرك : الجمل القوى الغليظ . أومه : سمنه وعظم خلقه ، يعنى أن أكله الكلأ فعل به ذلك . القذاف : موضع .

(٤) الضؤبان : هكذا ثبت هنا بضم الضاد وبالهمزة ، ويجوز تسهيلها مع ضم الضاد ومع فتحها ، وقد فسره المؤلف هنا بأنه الوسط ، ولم أجد ذلك فى المعاجم ، والذى فيها أنه : الجمل السمين الشديد القوى الضخم .

(٥) الذى فى اللسان أن المهجر هو الفائق فى الشحم والسمن ، وأن الأصل فيه أنه الذى يتناعته الناس ويهجرون بذكره ، أن يتنعتونه . والبيت فيه ٢ : ٤٠ و ٧ : ١١٢ و ١٤ : ٣٠٥ غير منسوب .

(٦) لهن : من اللهنة ، بضم اللام وسكون الهاء ، وهى الطعام الذى يتعلل به قبل الغداء ، يقال « لهنه تلهيناً » . البهمى : نبت يرتفع نحو الشبر ، ونباتها ألطف من نبات البر . تبقلها : رعاها ، والتبقل : رعى البقل ، وهو من النبات ما ليس بشجر . قينيه : مفعول « مس » ، والقينان : موضع القيد من البعير والناقة ، أرماث : جمع « رمث » بكسر الراء ، وهو شجر يشبه الغضى لا يطول ولكنه ينبسط . الترميم : من « الرم ؛ والارتمام » وهو تناول العيدان . وهو بالراء فى د ه ولكنه فى ل بالزاى ، ولا وجه له .

(٧) القرد ، بضم القاف وسكون الراء تخفيفاً : جمع « قراد » وهو دويبة تعض الإبل ؛

وَاسْتَنَّ فَوْقَ الحَذَارَى القُلْقُلَانَ كما شَكْلُ الشُّنُوفِ يُحَاكِي بالهَيَانِيمِ[1]

الحَذَارَى : جمع حَذْرِيَة . وهى الأرض الصلبة . والقُلْقُلَانُ : النَّبْتُ[2]

بعدَ المَصِيفِ إلى خَبْرَاء مَعْقُلَةٍ حتّى يَمُوتَ سَمَالُ الصَّيْفِ بالعُومِ[3]

338 منَ الفَرَاشِ المُقَضَّى عاش فى رَنَقٍ رَخْفِ السَّحايَاتِ وَلَّى غَيْرَ مَطْعُومِ[4]

السَّحايَاتُ : بَقِيَّةُ الماءِ ، واحدتُها سَحَايَةٌ :

كَأَنَّ أَجْسادَها الأظْفارُ جامدَةً فى قِنَّفِ الصَّقِرِ الآنِي الشَّرَاذِيمِ

القِنَّفُ : طينُ القاعِ إذا تشقَّق . والصَّقِرُ : الذى قد صَقَرَتْهُ الشَّمسُ : والآنِي : الذى قد بَلَغ إنَاهُ[5] .

٩٣٠● قال أبو محمَّد : ولم أذكر هذا الشعر لأنَّه عندى مُخْتارٌ .

= وجمعها « قردان » بكسر القاف ، و « قرد » بضمتين ، و « أم القردان » : الموضع بين الثنة والحافر فى فرسن البعير ، فأراد الشاعر ههنا بأم القرد أم القردان . الأنابيش : أصول البقل المنبوش ، واحدها أنبوش وأنبوشة .

(١) استن : أسرع . كما شكل : « ما » زائدة ، أراد : كشكل . الشنوف : جمع شنف » بفتح فسكون ، وهو القرط الذى يلبس فى أعلى الأذن . الهيانيم : جمع « هينمه » وهى الصوت الخفى لا يفهم .

(٢) يريد أنه النبت المعروف ، وفى اللسان : « أنه شجر أخضر ينهض على ساق ، ومنابته الآكام دون الرياض ، وله حب كحب اللوبياء يؤكل ، والسائمة حريصة عليه » .

(٣) الخبراء : القاع ينبت السدر ، والخبر ، بفتح الخاء وسكون الباء : شجر السدر والأراك وما حولهما من العشب . معقلة ، بفتح الميم وضم القاف وفتح اللام : موضع بعينه بالدهناء ، تمسك الماء ، قال أبو منصور الأزهرى : « وقد رأيتها ، وفيها حوايا كثيرة تمسك ماء السماء دهراً طويلا ، وإنما سميت معقلة لأنها تمسك الماء كما يعقل الدواء البطن » ، وضبطت فى ل بكسر القاف ورفع اللام مضافة إلى ضمير الغائب « معقلة » ! وهو خطأ . السمال ، بفتح السين : دود يكون فى الماء الناقع .

(٤) الفراش : جمع فراشة . الرنق : الماء الكدر . الرخف ، بفتح الراء وسكون الخاء المعجمة : جمع « رخفة » وهى الطين الرقيق .

(٥) الشراذيم : القطع المتفرقة ، واحدها شرذمة . أراد : الذى شراذيمه آنية حارة . شبه فى البيت أجساد الديدان الميتة بالأظفار الجامدة .

ولكنْ ذكرتُه لأنّى لم أسمع لهشامٍ بشعرٍ غيرِه[١].

٩٣١ ● قال ابنُ أبى فَرْوَةَ : قلتُ لذى الرُّمّة فى قوله :

إذا انْجَابَت الظَّلْمَاءُ أَضْحَتْ رُؤُوسُها ... عليهنَّ من جَهْد الكَرَىٰ وهْىَ ظُلَّعُ

ما علمتُ أحدًا من الناس أَظْلَعَ الرؤوسَ غيرَك ؟ قال : أَجَلْ[٢] .

٩٣٢ ● وكان ذو الرمّة كثيرَ الأخذ من غيره . وممّا أخذه من غيره قولُه فى الحِرْباء :

يَظَلُّ بها الحِرْباءُ للشَّمْس ماثِلاً ... لَدَىٰ الجِذْلِ إلاَّ أنَّهُ لا يُكَبِّرُ[٣]

إذَا حَوَّلَ الظِّلَّ العَشِىُّ رَأَيْتَه ... حَنِيفاً وفى قَرْنِ الضُّحَىٰ يَتَنَصَّرُ

وقال ظالمُ بن البَرَاءِ الفُقَيْمِىُّ[٤] :

ويَوْمٍ من الجَوْزاءِ أمَّا سُكُونُه ... فَضِحٌ ، وأمَّا رِيحُهُ فَسَمُومُ[٥]

إذا جَعَلَ الحِرْباءُ والشَّمْسُ تَلْتَظِى ... على الجِذْلِ من حَرِّ النَّهارِ يَقُومُ

يَكُونُ حَنيفاً بالعَشِىِّ وبالضُّحَىٰ ... يُصَلِّى لنَصْرانيَّةٍ ويَصُومُ[٦]

---

(١) وليته لم يفعل !

(٢) لأن الظلع ، بفتحتين ، العرج ، وهو فى الأرجل لا فى الرؤوس !

(٣) الحرباء : دويبة نحو العظاءة أو أكبر ، يستقبل الشمس برأسه ويكون معها كيف دارت ويتلون ألواناً بحر الشمس ، وهو مذكر ، والأنثى « حرباءة » و « أم حبين » . الجذل : ما عظم من أصول الشجر المقطع . والبيت فى كتابى الأضداد : للأصمعى ٣١ ولابن السكيت ١٨٦ وروايتهما « على الجذل » .

(٤) لم أجد له ترجمة ولا ذكراً إلا فى المؤتلف ١٥١ وذكر له شعراً آخر .

(٥) الضح ، بكسر الضاد : ضوء الشمس إذا استمكن من الأرض ، أصله « ضحى » فاستثقلوا الياء مع سكون الحاء فثقلوها وقالوا « الضح » بتشديد الحاء .

(٦) بعد هذا فى س ف : « ومما سبق إليه ذو الرمة قوله « كأن مخواها * إلخ ، وهو الذى سبق فى ٣٥٩ ، وحذفه مصحح ل ، وقد أحسن .

339 ٩٣٣ ●حدثنى عبد الرحمن عن الأصمعىّ عن رُؤْبَةَ قال : دخل علىّ ذو الرمّة فسمع قولى :

يَطْرَحْنَ بالدَّوِّيَّةِ الأَمْـــلاسْ لكُلِّ ذئبٍ قَفْرَةٍ وَلّاسْ(١)

مَوْتَى العظامِ حَيَّةَ الأَنْفَاسْ أَجِنَّةً فى قُمُصِ الأَغْراسْ(٢)

فخرج من عندى ، فبلغنى (بعدَ ذلك) أنّه يقول :

يَطْرَحْنَ بالدَّوِّيَّة الأَغْفالْ كُلَّ جَنينٍ لَثِقِ السِّرْبالْ(٣)

حَىِّ الشَّهيقِ مَيِّتِ الأَوْصالْ فَرَّجَ عَنْهُ حَلَقُ الأَقْفَالْ

مِنَ السُّرَى وجِرْيَةِ الحِبَالْ ونَغَصَانِ الرَّحْلِ من مُعَالْ

قال الأصمعىُّ : فإذا رؤبةُ يَرَى أَنَّ ذَا الرمةِ يسرِقُ منه(٤) .

٩٣٤ ●وقال أيضاً فى قول ذى الرمّة * يَطْفُو إذَا ما تَلَقَّتْهُ الجَرَاثيمُ *

أخذه من قول العَجّاج : * إِذَا تَلَقَّتْهُ الجَرَاثيمُ طَفَا(٥) *

---

(١) الأملاس : جمع « ملس » بفتحتين ، وهو المكان المستوى . الولاس : الموالس ، أى المخادع ، أو هو من « الولس » بسكون اللام ، أى السرعة .

(٢) الأغراس : جمع « غرس » بكسر الغين وسكون الراء ، وهو الجلدة التى تخرج على رأس الولد أو الفصيل ساعة يولد ، فإن تركت قتلته . يريد أن النوق لسرعتها فى المفازات تطرح فصلانها وتدعها للذئاب .

(٣) الأغفال : جمع « غفل » بضم الغين وسكون الفاء ، وهى الأرض المجهولة الميتة التى لا أعلام فيها يهتدى بها . اللثق : اللزج المبتل .

(٤) القصة فى الأغانى ١٦ : ١١٦ عن ابن دريد عن أبى حاتم عن الأصمعى عن محمد بن أبى أبى بكر المخزومى ، وفى آخرها أن محمداً قال لرؤبة : « فقوله والله أجود من قولك وإن كان سرقه منك ! فقال : ذلك أغم لى » .

(٥) الجراثيم : ما اجتمع من التراب فى أصول الشجر . ورواية ديوان العجاج ٢٩ وأراجيز العرب ٥٣واللسان ١٣ : ٤٩١ « العقاقيل » وهى جمع « عقنقل » وهو الكثيب العظيم المتداخل الرمل . وفى الأغانى ٢١ : ١١٢ نحو هذا عن حماد بن إسحق عن أبيه ، وزاد : « وسرقه العجاج من علقمة بن عبدة فى قوله * تطفو إذا ما تلقته العقاقيل * » .

٩٣٥ ● قال : وأخذَ قولَه :

إذَا اسْتَهَلَّتْ عليه عَيْبَةٌ أَرِجَتْ   مَرَابِضُ العينِ حتّى يَأْرَجَ الخَشَبُ

من معنى قول العجّاج : * مَثْوَاهُ عَطّارِينَ بالعُطُورِ *

٩٣٦ ● وأخذ قولَه : * كأَنَّها فِضّةٌ قد مَسَّها ذَهَبُ *

من معنى امرئ القيس :

كبِكْرِ مُقَانَاةِ البَيَاضِ بِخُضْرَةٍ   (غَذَاها نَميرُ الماءِ غَيْرَ مُحَلَّلِ)

وكذلك كان يرويه[1] .

٩٣٧ ● وأخذمن كعب بن زُهَير فى صفة الآثار ما قد ذكرتُه فى أخبار زُهَير[2] .

٩٣٨ ● وقال ذو الرمّة ، وهو من حَسَن شعره .

وأَرْمِى إلى الأَرْضِ الّتى من وَرَائكُمْ   لتَرْجِعَنِى يَوْماً عليكَ الرَّوَاجِعُ

وقال آخرُ فى معناه :

وأَذْهَبُ فى الأَرْضِ الّتى من وَرَائكُمْ   لأُعْذَرَ فى إتْيانِكُمْ حينَ أَرْجِعُ

٩٣٩ ● وسمع أعرابىٌّ ذَا الرمّة وهو يُنشِدُ[3] :

تُصْغِى إذَا شَدَّها بالكُورِ جانِحَةً   حتّى إذَاما اسْتَوَى فى غَرْزِها تَثِبُ[4]

---

(١) البيت من المعلقة ، انظر الديوان ١٣١ وشرح القصائد العشر ٣٥ واللسان ٢٠ : ٦٨ وروايتهم * كبكر المقاناة البياض بصفرة * . والبكر ههنا : أول بيض النعامة . المقاناة : أى المخالطة أى التى قونى بياضها ، أى خلط . البياض روى بالنصب والرفع والجر ، وتوجيهها فى شرح القصائد . النمير من الماء : الذى ينجع فى الشارب وإن لم يكن عذباً .

(٢) مضى ١٣٧ — ١٤٩ .   (٣) القصة مفصلة فى الأغانى ١٦ : ١١٨ .

(٤) الكور : الرحل . الغرز : ركاب الرحل .

فقال الأعرابىُّ صُرِعَ واللهِ الرجلُ ! ألاَّ قلتَ كما قال عمُّكَ الراعى :

وواضعَة خَـدَّها للزِّما م ، فالخَدُّ منها له أصْعَرُ[1]

ولا تُعْجِلُ المَرْءَ قَبْلَ البُرُو كِ ، وهْىَ بركبَتِها أبْصَرُ

وهِىَ إذا قام فى غَـرْزِها كَمِثْلِ السَّفينَة أو أوْقَرُ

٩٤٠ ● وأُخذ عليه قولُه يصفُ الكِلاَب :

حَتَّى إذا دَوَّمَتْ فى الأَرضِ راجَعَهُ كِبْرٌ ، ولو شاءَ نَجَّى نَفْسَهُ الهَرَبُ

قالوا : والتَّدويمُ إنما هوفى الجَوِّ ، يقال : دَوَّمَ الطائرُ فى السماء : إذا حَلَّقَ واستدارَ (فى طَيَرانه[2]) ، ودَوَّى فى الأَرض : أى ذَهَب .

341 ٩٤١ ● وقالوا : ذو الرمَّة أحسن الناس تشبيهاً ، وإنما وضعه عندهم أنَّه (كان) لا يجيد المدحَ ولا الهجاءَ . ولمَّا أنشد بلالَ بنَ أبى بُرْدةَ (قولَه) :

رَأَيْتُ الناسَ يَنْتَجِعُونَ غَيْثاً فقُلْتُ لِصَيْدَحَ انْتَجِعِى بِلاَلاَ[3]

قال بلالٌ : يا غلامُ أعطه حبلَ قَتٍّ لصَيْدَحَ .

٩٤٢ ● قالوا : وغَلِطَ فى قوله فى النساء :

---

(١) الصعر : الميل فى الخد خاصة ، وكلاهما بفتحتين .

(٢) هذا المأخذ نسب فى اللسان ١٥ : ١٠٥ إلى الأصمعى . وذهب غيره إلى صواب ما قال ذو الرمة ، ففيه : « قال الأخفش وابن الأعرابى : دومت : أبعدت ، وأصله من دام يدوم ، والضمير فى دوم على الكلاب . وقال على بن حمزة : لو كان التدويم لا يكون إلا فى السماء لم يجز أن يقال : به دوام ، كما يقال : به دوار ، وما قالوا : دومة الجندل ، وهى مجتمعة مستديرة » .

(٣) صيدح : اسم ناقة ذى الرمة . والرواية المشهورة « سمعت الناس» برفع « الناس » وهى رواية اللسان ٣ : ٣٤٠ . وفى شرح القاموس ٢ : ١٧٨ : « وفى الصحاح : رأيت الناس ، بدل سمعت ، والناس : مرفوع . قال أبو سهل : هكذا بخط الجوهرى وصحح عليه ، والمحفوظ : سمعت الناس ، ووجدت فى الهامش لابن القطاع : يروى هذا البيت برفع الناس ونصبه بعد سمعت ، فالنصب ظاهر ، وأما الرفع فعلى الحكاية ، لأن سمعت فعل غير مؤثر ، فجاز أن يعلق وتقع بعده الجملة ، وتقدير المعنى : سمعت من يقول الناس ينتجعون غيثا ، وأما مع رأيت فلا يصح ذلك »

وما الفَقْرُ أَزْرَىٰ عِنْدَهُنَّ بِوَصْلِنا ... ولٰكِنْ جَرَتْ أَخْلَاقُهُنَّ على البُخْلِ[١]

قالوا : والجيدُ قولُ عَلْقَمَةَ :

يُرِدْنَ ثَراءَ المالِ حَيْثُ عَلِمْنَهُ ... وشَرْخُ الشَّبَابِ عِنْدَهُنَّ عَجِيبُ[٢]

وقولُ امرِئِ القيس :

أَراهُنَّ لا يُحْبِبْنَ مَنْ قَلَّ مـالُهُ ... ولا مَنْ رَأَيْنَ الشَّيْبَ فيه وقَوَّسا

٩٤٣ ● وأَشَدُّ هجائه قولُه :

وأَمْثَلُ أَخْلَاقِ امْرِئِ القَيْسِ أَنَّها ... صِلَابٌ على طُولِ الهَوَانِ جُلُودُها

وما انْتُظِرَتْ غُيَّابُها لِعَظِيمَةٍ ... ولا استُعْمِرَتْ فى جُلِّ أَمْرٍ شُهُودُها[٣]

إِذَا مَرَئِيَّاتٌ حَلَلْنَ بِبَـلْدَةٍ ... مِنَ الأَرْضِ لم يَصْلُحْ طَهُوراً صَعِيدُها[٤]

٩٤٤ ● ويُستحسَن له قولُه فى الظبية ووَلَدِها :

إِذَا استَوْدَعَتْه صِفْصَفاً أَو صَرِيمَةً ... تَنَحَّتْ ونَصَّتْ جِيدَها للمناظِرِ[٥]

حِذَارًا على وَسْنَانَ يَصرَعُهُ الكَرَىٰ ... بِكُلِّ مَقِيلٍ من ضِعافٍ فَوَاتِرِ

وتَهْجُرُهُ إِلَّا اختِلَاساً بِطَرْفِها ... وكَمْ من مُحِبٍّ رَهْبَةَ العَيْنِ هاجِرِ

٩٤٥ ● ومِمَّا صُحِّفَ فيه من شعره قولُه :

---

(١) سيأتى البيت ٩٤٤ ل

(٢) البيت ١٠ من المفضلية ١١٩ وقد مضى ٢١٩ .

(٣) س ب « ولا استؤذنت » . ب هـ « ولا استؤمرت » .

(٤) مرئيات : منسوبات لامرئ القيس ، وقد غلب على القبيلة ، وهذه النسبة مما ينسب إلى الأول دون الثانى ، يقال « امرئى » بسكون الميم وكسر الراء ، و « مرئى » بفتحهما ، كأنهم أضافوا إلى « مرء » ، فكان قياسه فتح الميم وسكون الراء ، ولكنه نادر معدول النسب . انظر اللسان ١ : ١٥١ — ١٥٢ .

(٥) الصفصف : الفلاة لا نبت فيها . الصريمة : القطعة المنقطعة من معظم الرمل . نصت جيدها : رفعته .

بَراهُنَّ تَفْويزى إذَا الآلُ أرْقَلَتْ ... به الشمسُ إزْرَ الحَزْوَرَاتِ الفَوالكِ[1]

342 رواه أبو عمرو «أرقلَتْ» ، وقال الأصمعىُّ : إنما هو «أرْفَلَتْ»[2] ومعناه أسْبغَتْ وغطَّت ؛ يريد أسبغتْ إزْرَ الحَزْوَارت من الآل .

(١) التفويز : ركوب المفازة ، يقال «فوز الرجل بإبله» إذا ركب بها المفازة . يريد أن إبله براها السرى فى المفاوز وأنضاها . الآل : السراب . أرقلت . بالقاف : أسرعت . الحزورات : جمع «حزورة» وهى الرابية الصغيرة . الفوالك : المستديرات .

(٢) يعنى بالفاء لا بالقاف .

٩٥ – نهار بن توسعة[1]

٩٤٦ ● هو نَهَارُ بن تَوْسِعَةَ بن أَبِي عِتْبان ، من بكر بن وائلٍ ، من بنى حَنْتَمٍ وكان أشعرَ بكرٍ (بن وائل) بخراسانَ . وهو القائلُ :

أَبِي الإِسْلامُ لا أَبَ لِي سِوَاهُ إِذَا هَتَفُوا بِبَكْرٍ أَو تَمِيمِ
دَعِيُّ القَوْمِ يَنْصُرُ مُدَّعِيهِ فيُلْحِقُهُ بذى النَّسَبِ الصَّمِيمِ
وما كَرَمٌ ولو شَرُفَتْ جُدُودٌ ولكنَّ التَّقِيَّ هو الكَرِيمُ

٩٤٧ ● وكان هَجَا قُتَيبَةَ بنَ مُسلمٍ فقال :

أَقُتَيْبَ قد قُلْنا غَدَاةَ لَقِيتَنا : بَدَلٌ لَعَمْرُكَ من يَزِيدٍ أَعْوَرُ[2]

وقال أيضاً[3] :

كانَتْ خُرَاسَانُ أَرْضاً إذ يَزِيدُ بها وكُلُّ بابٍ منَ الخَيْرَاتِ مفْتُوحُ
فَبُدِّلَتْ بَعْدَهُ قِرْدًا نُطِيفُ به كَأَنَّما وَجْهُهُ بالخَلِّ مَنْضُوحُ[4]

---

(١) ترجمته فى المؤتلف ١٩٣ واللآلى ٨١٧ وشرح الحماسة ٣ : ٧ وله خبر مطول مع قتيبة ابن مسلم فى الأمالى ٢ : ١٩٨ – ١٩٩ وله شعر فى الأغانى ١٤ : ١١١ .

(٢) البيت مع ثلاثة أبيات فى ابن خلكان ٢ : ٣٥٥ – ٣٥٦ ونسبها لعبد الله بن همام السلولى ، وكذلك ذكر البيت فى اللسان ٦ : ٢٩١ وشرح القاموس ٣ : ٤٣١ ونسب لعبد الله بن همام . « بدل أعور » : فى الأمثال ١ : ٧٨ : « قيل إن يزيد بن المهلب لما صرف عن خراسان بقتيبة بن مسلم الباهلى ، وكان شحيحاً أعور ، قال الناس : هذا بدل أعور ، فصار مثلا لكل من لا يرتضى بدلا من الذاهب » . وفى اللسان : « مثل يضرب للمذموم يخلف بعد الرجل المحمود » .

(٣) البيتان فى اللآلى ، وهما مع ثلاثة أخر فى البلدان ٢ : ٣٨٢ ، وهما أيضاً فى الأمثال ٧٨ : ولكنه لم ينسبهما ، والأبيات الخمسة فى فتوح البلدان ٤١٨ منسوبة لمالك بن الريب ، ثم قال : « ويقال إن هذه الأبيات لنهار بن توسعة » .

(٤) بدلت : بالبناء للمفعول . وضبطت فى ل بالبناء للفاعل . وهو خطأ .

فبلغَ ذلك وغيرهُ من هجائه قُتَيبةَ ، فطلبه فهرب ، وأتى أمَّ قتيبةَ فأخذ منها كتاباً إليه فى الرضى عنه وترك مؤاخذته بما كان منه ، فرضى عنه ، فقال له نَهَارٌ : إنَّ نفسى لا تَسْكُن ولا تَطيب حتَّى تأمر لى بشىءٍ ، فإنى أعلم أنَّكَ إذا اتَّخذَت عندى معروفاً لم تُكَدِّره . (فأعطاه) . فقال[1] :

343

ما كان فيمَنْ كان فى الناسِ قَبْلَنا ولا هو فيمَنْ بَعْدَنا كابْنِ مُسْلِمِ

أَشَدَّ على الكُفَّارِ قَتْلاً بسَيْفِه وأَكْثَرَ فينا مَقْسِماً بَعْدَ مَقْسِمِ

فقال له قُتَيبةُ : ألستَ القائلَ :

ألَا ذَهَبَ الغَزْوُ المُقَرِّبُ للغِنَى ومات النَّدَى والغَزْوُ بَعْدَ المُهَلَّبِ[2]

فقال له : إنَّ الذى أنت فيه ليس بالغزوِ ولكنَّه الحَشْر .

٩٤٨ ● وأمر له قتيبةُ بصلَةٍ فأبطأتْ عنه ، ولَقِيَه فقال :

ولقَدْ عَلِمْتُ وأَنْتَ تَعْلَمُهُ أَنَّ العَطاءَ يشينُهُ الحَبْسُ

فقال : عجّلوا له الجائزةَ :

(١) البيتان فى تاريخ الطبرى ٨ : ٨٩ والأمالى ٢ : ١٩٩ وابن خلكان ١ : ٥٤١ .

(٢) البيت فى ابن خلكان ، وهو مع آخر فى الطبرى ٨ : ٨٩ والأمالى ٢ : ١٩٩ ، وهى سبعة أبيات فى الطبرى أيضاً ٢ : ٢٠ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٩٦ ـ ابن قيس الرقيات (١)

٩٤٩ ● هو عُبيد الله بن قيس ، أحد بنى عامر بن لُؤَىّ . وإنما سُمِّىَ 344 الرُّقَيَّات لأنّه كان يُشبّب بثلاث نسوة يقال لهنّ جميعاً رُقَيَّةُ(٢) .

٩٥٠ ● وهو القائل فى مُصْعَب بن الزُّبَير(٣) :

إنّما مُصْعَبٌ شهابٌ مِنَ اللّـ ـهِ تَجلَّتْ عن وَجْهِهِ الظَّلْماءُ
(مُلْكُهُ مُلْكُ رَحْمَةٍ لَيْسَ فيه جَبَرُوتٌ يُخْشَى ولا كِبْرِياءُ
يَتَّقِى اللهَ فى الأُمُورِ وقَدْ أَفْـ ـلَحَ مَنْ كان هَمَّهُ الاتِّقاءُ)
كَيْفَ نَوْمِى على الفِراشِ ولَمَّا تَشْمَلِ الشَّأْمَ غارَةٌ شَعْواءُ

٩٥١ ● ولمَّا قُتل مُصْعَبٌ(٤) وصار الأَمرُ إلى عبد الملك بن مروان أتَى عبيدُ الله بن قيسٍ عبدَ الله بن جعفرٍ يستشفعُ به إليه(٥) ، فقال له عبدُ الله ابن جعفر : إذا دخلتَ معى على عبد الملك فكُلْ أكلاً يَستبشعُه عبدُ الملك ابن مروانَ ! ففَعَل ، فقال (له) : مَن هذا يا ابنَ جعفرٍ ؟ قال : هذا أكذبُ

---

(١) ترجمته فى الجمحى ١٣٧ – ١٣٨ والاشتقاق ٧١ واللآلى ٢٩٤ – ٢٩٦ والأغانى ٤ : ١٥٤ – ١٦٦ والروض الأنف ١ : ٥٠ والخزانة ٣ : ٢٦٥ – ٢٦٩ وشواهد المغنى ٢١١ – ٢١٢ . و « الرقيات » إما مرفوعة على الصفة فينون « قيس » أو مجرورة على الإضافة فلاينون . والتفصيل فى الخزانة .

(٢) فى هذا خلاف ، وقال الأصمعى : « نكح قيس نساء اسم كل واحدة رقية » . وقال الجمحى : وإنما نسب إلى الرقيات لأن جدات له توالين يسمين رقيه » . وانظر الأقوال فى الروض الأنف والخزانة مفصلة .

(٣) الأبيات فى اللآلى ، وصدر الأول فى الجمحى ثم ذكر بيتين آخرين . والثلاثة الأول فى الكامل ٦٤٦ – ٦٤٧ .

(٤) القصة مفصلة فى الأغانى ٤ : ١٥٦ – ١٥٨ والكامل ٦٤٦ – ٦٤٨ واللآلى ٢٩٤ – ٢٩٦

(٥) لأن عبد الملك كان قد جعل على قتله جعلا لنصره مصعب بن الزبير ومدحه .

الناسِ إنْ قُتل ! قال : ومَن هو ؟ قال : الذى يقول(١) :

ما نَقَمُوا من بنى أُميَّـةَ إ لاَّ أنَّهُمْ يَحْلُمُونَ إنْ غضبُوا
وأنَّهُمْ مَعْدِنُ المُلُوك فلا تَصْلُحُ إلاَّ عليهِمُ العَرَبُ

فقال عبدُ الملك : قد عفونا عنه ولا يأخذُ مع المسلمين عطاءً ، فكان عبدُ الله بن جعفر إذا خَرج عطاؤُه أعطاه .

٩٥٢ ● وكان يمدحه بعد ذلك . وهو القائلُ فيه(٢) :

تَقَدَّتْ بِىَ الشَّهْباءُ نَحْوَ ابنِ جَعْفَرٍ سَوَاءٌ عليها لَيْلُها ونَهَارُهَا(٣)
345
ووالله لولا أنْ تَزُورَ ابنَ جَعْفَرٍ لكان قليلاً فى دِمَشْقَ قَرَارُهَا
أَتَيْنَاكَ نُثْنِى بالذى أنْتَ أَهْلُهُ عليكَ كما أَثْنَى على الرَّوْضِ جارُهَا

٩٥٣ ● وأنشدَ عبدَ الملك(٤) :

إنَّ الحَوَادثَ بالمَدينَة قَدْ أَوْجَعْنَنِى وقَرَعْنَ مَرْوَتِيَهْ(٥)
وجَبَبْنَنِى جَبَّ السَّنامِ ولم يَتْرُكْنَ رِيشاً فى مَنَاكِبِيَهْ

فقال له : أحسنتَ لولا أنَّك خَنَّثْتَ فى قوافيه ! فقال : ما عدوتُ كتابَ الله ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ . هَلَكَ عَنِّى سُلْطَانِيَهْ﴾(٦) . وإنما أخذَ قوله « وقَرَعْنَ مَرْوَتيَهْ » من قولِ أبى ذُؤَيْبٍ :

حتَّى كأنِّى للحَوَادثِ مَرْوَةٌ بِصَفَا المُشَرَّقِ كُلَّ يومٍ تُقْرَعُ(٧)

---

(١) من القصيدة ٧ أبيات فى الجمحى ١٣٨ و ٩ أبيات فى الكامل ٦٤٧ – ٦٤٨ وهى ٢٢ بيتاً فى شواهد المغنى ٢١١ – ٢١٢ .

(٢) الأبيات فى الكامل ومعها رابع ، وهى ثمانية فى الأغانى ٤ : ١٥٧ .

(٣) تقدت : أسرعت ولزمت سنن الطريق ، و « التقدى » : استعانة الفرس بهاديه فى مشيه برفع يديه وقبض رجليه شبه الخبب .

(٤) البيت الأول فى اللآلى ٣٢١ ومعه ٤ أبيات أخر ، وذكر أنه رثى بها سعداً وأسامة ابنى أخيه ، قتلا يوم الحرة .

(٥) نسب قريش ٤٣٢ مع بيتين آخرين . و المروة : واحد المرو ، وهى حجارة بيض يقدح منها النار .

(٦) الآيتان ٢٨ ، ٢٩ من سورة الحاقه .

(٧) المشرق ، بفتح الراء المشددة : المصلى ، يقول : أنا من كثرة المصائب كمروة يقرعها مرور الناس بها ، وإنما خص المشرق لكثرة مرو الناس به . والبيت هو الحادى عشر من المفضلية ١٢٦ .

٩٧ ـ أيمن بن خريم[1]

٩٥٤ ● هو أَيْمَنُ بن خُرَيْم بن فاتك[2] ، من بنى أَسَد . وكان أبوه قد صحب النبىَّ صلى الله عليه وسلم وروَى عنه أحاديثَ[3] . وكان به بَرَصٌ ، وكان أثيرًا عند عبد العزيز بن مروان[4] ، فعتب عليه أَيْمَنُ يوماً فقال له : أنت طَرِفٌ مَلُولَة[5]! فقال له : أنا مَلُولَةٌ وأنا أُوَاكلك ! ! فلحق ببشر بن مروانَ فأكرمه واختصَّه ، ولم يكن يواكله ، فدخل عليه يوماً وبين يديه لبنٌ قد وُضِع ، فقال له : إنى حَدَّثتُ البارحةَ نفسِى بالصومِ ، فلمّا أصبحوا أتَونى بهذا وهم لا يعلمون ، ولا أرَى أحدا أحقَّ به منكَ ، فدونكه ! 346

٩٥٥ ● وهو القائل :

إنَّ للفتْنَة مَيْطاً بيِّناً فرُوَيْدَ المَيْطَ منها تَعْتَدِلْ[6]

---

(١) ترجمته فى الأغانى ٢١ : ٥ – ٨ والإصابة ١ : ٩٤ وتهذيب ابن عساكر ٣ : ١٨٧ – ١٨٩ وله ذكر فى ترجمة أبيه فى طبقات ابن سعد ٦ : ٢٤ – ٢٥ والإصابة ٢ : ١٠٩ .

(٢) نسب إلى جده الأعلى ، فهو خريم بن الأخرم بن شداد بن فاتك .

(٣) فى الإصابة ٢ : ١٠٩ أن خريماً وأيمن ابنه أسلما يوم الفتح ، فيكون لأيمن صحبة أيضاً . وقد روى الإمام أحمد فى المسند ٤ : ١٧٨ ، ٢٣٣ والترمذى فى السنن ٢ : ٤٨ من طريق سفيان بن زياد عن فاتك بن فضالة عن أيمن بن خريم قال : « قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيباً فقال ؛ يا أيها الناس ، عدلت شهادة الزور إشراكا بالله ، ثلاثاً ، ثم قرأ : واجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور » . وقال الترمذى : « وهذا حديث غريب ، إنما نعرفه من حديث سفيان بن زياد ، وقد اختلفوا فى رواية هذا الحديث عن سفيان بن زياد ، ولا نعرف لأيمن بن خريم سماعاً من النبى صلى الله عليه وسلم) . ثم رواه من طريق سفيان بن زياده عن أبيه عن حبيب بن النعمان الأسدى عن خريم بن فاتك الأسدى ، ثم قال : « هذا عندى أصح ، وخريم بن فاتك له صحبة » . والذى أراه أن الإسنادين كليهما صحيحان .

(٤) فى الإصابة عن الصولى : « كان أيمن يسمى خليل الخلفاء ، لإعجابهم فى تحديثه لفصاحته وعلمه » وفى طبقات ابن سعد فى ترجمة خريم : « كان ابنه أيمن بن خريم شاعراً فارساً شريفا » .

(٥) الطرف ، بفتح الطاء وكسر الراء : الذى لا يثبت على امرأة ولا صاحب .

(٦) الميط : الجور والميل .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فإذَا كان عَطاءٌ فأْتِهِمْ وإذَا كان قِتَالٌ فاعْتَزِلْ
إنَّما يَسْعَرُها جُهَّالُهـــا حَطَبَ النَّارِ ، فدَعْها تَشْتَعِلْ

٩٥٦ ● وقال عبد الملك بن مروان لأَيْمَنَ بن خُرَيْمٍ : إنَّ أَباكَ كانتْ له صحبةٌ ولعَمِّكَ ، فخُذْ هذا المالَ وانطلقْ فقاتِلِ ابنَ الزُّبير ، فأَبَى وقال[1] :

ولَسْتُ بقاتِلٍ رَجُلًا يُصَلِّى على سُلْطانِ آخَرَ من قُرَيْشِ
له سُلْطانُهُ وعلىَّ وِزْرِى مَعاذَ الله من سفَه وطَيْشِ
أأقْتُلُ مُسْلِماً وأَعيشُ حَيًّا فليس بِنافِعِى ما عِشْتُ عَيْشى

٩٥٧ ● (وكان غَزَا مع يحيَى بنِ الحكمِ فأَصاب يحيى جاريةً برصاءَ ، فأَهداها له ، فغضب وقال :

تَرَكْتُ بنى مَرْوانَ تَنْدَى أَكُفُّهُمْ وصاحَبْتُ يَحْيَى ضَلَّةً من ضَلالِيَا
خَلِيلًا إذَا ما جِئْتُهُ أو لَقِيتُهُ يَهُمُّ بشَتْمِى أو يُرِيدُ قِتالِيَا
فإنَّكَ لو أَشْبَهْتَ مَرْوانَ لم تَقُلْ لقَوْمِىَ هُجْرًا إذْ أَتَوْكَ ولا لِيَا)

٩٥٨ ● وهو القائل[2] :

لَقِيتُ منَ الغانِيَاتِ العُجابَا لَوَ ٱدْرَكَ منّى العَذَارَى الشَّبابَا
ولٰكنَّ جَمْعَ العَذَارَى الحسانِ عَناءٌ شَديدٌ إذَا المَرْءُ شابَا
يُرَضْنَ بكُلِّ عَصَا رائِضٍ ويُصْبِحْنَ كُلَّ غَدَاةٍ صعابَا

347

---

(١) الأبيات فى ابن سعد ٦ : ٢٥ وابن عساكر ٣ : ١٨٨ .

(٢) لهذه الأبيات قصة فى الأغانى ، وقد روى الأبيات مرتين ٢١ : ٥ — ٦ ، ٧ ، وهى هناك ٩ أبيات ولم يذكر فيها البيت الأخير الذى هنا . وكذلك ذكرت مع قصتها فى شرح المختار من شعر بشار — ٢١٠ — ٢١٢

عَلامَ يُكَحِّلْنَ نُجْلَ العُيُـــونِ ويُحْدِثْنَ بَعْدَ الخِضَابِ الخِضابَا

ويُبْرِقْنَ ؟ إلاَّ لما تَعْلَمُـــونَ فلا تَحْرِمُوا الغانيَاتِ الضِرَابَا

[إذَا لم يُخَالَطْنَ كلَّ الخِلاَ ط أَصْبَحْنَ مُخْرَنْطمَاتٍ غِضَابَا] (١)

يُميتُ العِتَابَ خِلَاطُ النِّسَاءِ ويُحْيِي اجْتِنابُ الخِلَاطِ العتابَا

وقال له عبد الملك بن مروان حين أنشده هذه الأبيات : ما عَرَفَ النساءَ أحدٌ معرفتَكَ (٢) !

(١) الزيادة من عيون الأخبار . المخرنطمة : الناضبة المتكبرة .

(٢) الأبيات فى عيون الأخبار أيضاً ٤ : ١٠٢ . وفى الأغانى نقلا عن ابن قتيبة : « قال له عبد الملك لما أنشده هذا الشعر : ما وصف النساء أحد مثل صفتك ، ولا عرفهن أحد مثل معرفتك. قال : فقال له : لئن كنت صدقت فى ذلك لقد صدق الذى يقول :

* فإن تسألونى بالنساء * — فذكر أبيات علقمة بن عبدة الثلاثة التى مضت فى ص ٢١٩ — فقال له عبد الملك : قد لعمرى صدقتما وأحسنتما » .

٩٨ ـ مسكين الدارمى[1]

٩٥٩ ● هو ربيعة بن عامر بن أُنَيْفٍ ، من بنى دارم . ومِسْكِينٌ لَقَبٌ ، وقال :

وسُمِّيتُ مِسْكيناً وكانَتْ لَحَاجَةٍ ... وإنى لَمِسْكينٌ إلى الله راغبُ

٩٦٠ ● وهو القائل فى معاوية [2] :

إلَيْكَ أميرَ المُؤْمنينَ رَحَلْتُها ... تُثيرُ القَطَا لَيْلاً وهُنَّ هُجُــودُ

على الطائرِ المَيْمُونِ والجَدُّ صاعدٌ ... لكُلِّ أُناسٍ طائرٌ وجُــدُودُ

إذَا المِنْبَرُ الغَرْبِىُّ خَلَّى مكانَهُ ... فإنَّ أميرَ المُؤْمنينَ يَزِيدُ

٩٦١ ● وهو القائل[3] :

وإذَا الفاحشُ لاقَىٰ فاحشاً ... فهُنَاكُمْ وافَقَ الشَّنُّ الطَّبَقْ

إنَّما الفُحْشُ ومَنْ يَعْتادُهُ ... كغُرَابِ السَّوْءِ ، ما شاءَ نَعَقْ

أو حِمارِ السَّوْءِ ، إنْ أشْبَعْتَهُ ... رَمَحَ الناسَ وإنْ جاعَ نَهَقْ

أو غُلامِ السَّوْءِ ، إن جَوَّعْتَه ... سَرَقَ الجارَ وإنْ يُشْبَعْ فَسَقْ

---

(١) ترجمته فى الأغانى ١٨ : ٦٨ – ٧٢ واللآلى ١٨٦ – ١٨٧ ومعجم الأدباء ٤ : ٢٠٤ – ٢٠٦ والخزانة ١ : ٤٦٥ – ٤٧٠ وتهذيب تاريخ ابن عساكره : ٣٠٠ – ٣٠٣ . وفى معجم الأدباء أنه مات سنة ٨٩ . وهو صاحب البيت السائر المشهور فى الشواهد وغيرها :

أخاك أخاك إن من لا أخاله ... كساع إلى الهيجا بغير سلاح

وله قصيدة «أورد فيها شعراء كل منهم نسب قبره إلى بلده ومسقط رأسه ، وذكر حال الشعراء المتقدمين ، وأنهم ذهبوا ولم يبق منهم أحد ، يصغر أمر الدنيا ويحقره» كما فى الخزانة ٢ : ١١٦ – ١١٧ وذكر منها ١٠ أبيات .

(٢) هى عشرة أبيات فى الأغانى ١٨ : ٧١ – ٧٢ قالها ترشيحاً ليزيد بن معاوية ، إذ تهيب معاوية الإقدام على ذلك .

(٣) الأبيات فى معجم الأدباء ٤ : ٢٠٥ – ٢٠٦ وقبلها ٥ أبيات .

أَو كَغَيْرَى رَفَعَتْ من ذَيْلِها ثُمَّ أَرْخَتْه ضِرَارًا فامَّزَقْ

أَيـها السائِلُ عن مَّنْ قد مَضَى هَلْ جَديدٌ مِثْلُ مَلْبُوس خَلَقْ

ولا عَقبَ لمسكينٍ .

٩٦٢● وهو القائل(١) :

نارى ونارُ الجارِ واحِدَةٌ وإِلَيْه قَبْلِي تُنْزَلُ القِدْرُ

ما ضَرَّ جارًا لى أُجاوِرُهُ أَلاَّ يَكُونَ لبابِه سِتْرُ

أَعْمَىٰ إِذَا ما جارَتِى بَرَزَتْ حتَّى يُغَيِّبَ جارَتِى الخِدْرُ

آخر الجزء الأول ، والحمد لله

الجزء الثانى : أوله « عمر بن أبى ربيعة »

وأسأل الله العصمة والتوفيق ؛

كتب

أحمد محمد شاكر

عفا الله عنه

---

(١) الأبيات فى لباب الآداب بتحقيقنا ٢٦٥ وهى فى مكارم الأخلاق للخرائطى ٢ ٤٢ منسوبة لحاتم الطائى ، وهو خطأ . وهى فى معجم الأدباء ٤ : ٢٠٦ ومعها آخر . والبيتان الأولان فى اللآلى ١٨٦ – ١٨٧ ومعهما آخران . والقصيدة ١٦ بيتاً فى أمالى السيد الشريف المرتضى ٢ : ١٢٠ – ١٢٣ . وقد اختار له الشريف ٢ : ١١٩ – ١٣٥ شعراً كثيراً ممتعاً .



رقم الإيداع	١٩٨٢/٣٢٣٢
الترقيم الدولى	ISBN ٩٧٧-٠٢-٠٠٨٦-٧

١/٨٢/٩٥

طبع بمطابع دار المعارف (ج. م. ع.)









